نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

الجزء الأول

إعداد

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود



الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

الفهرســـت

الموضــــوع	الصفحة

رقم الإيداع ٤٩٣٧ / ٨٧

الترقيم الدولي ٤ ـ ١٧ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

فهـرس الموضوعـات

الموضــوع — الصفحة

الموضـــوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الباب الثانى

المؤامرة اليهودية الأوربية مستمرة

الباب الثالث

الشعب الفلسطينى يتصدى للمؤامرة اليهودية الأوربية

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *

فهـــرس الموضـوعات

نحو تأصيل إسلامى للدراسات التاريخية
الأمة المسلمة

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

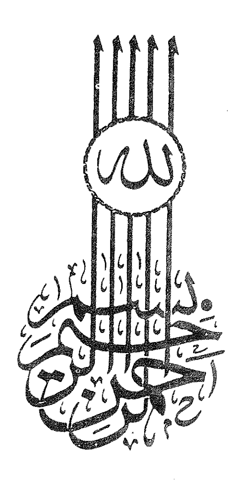
الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

الجزء الأول

إعـــداد
الدكتور جمال عبد الهادى محمد مسعود

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ من قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فى الأَرْضِ ما لم نُمَكِّنْ لَكُمْ ، وأرسلنا السَّمَاءَ عليهم مدرارا وجعلنا الأَنْهَارَ تجرى من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾[1] . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ؛ فجزاه الله عنا وعن أمة الإسلام خير ما جازى نبيا عن أمته . اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) الأنعام : ٦ .

« الطريق إلى بيت المقـدس »

تقديـــم

حينما نعنون بحثنا « الطريق إلى بيت المقدس » ، لا يعنى ، أن بحثنا ، سينصب فقط على بيت المقدس ، ولكنه سينصب أيضا على بيان معالم الطريق ، الذى يجب أن يسلكه المسلمون المجاهدون ؛ لإقامة حكم الله على أرض الشام[1] كلها ؛ فذكرنا هنا الجزء « وهو بيت المقدس » من باب التنبيه على الكل بأهم جزء من أجزائه .

هذه الأرض المقدسة قد تعرضت للغصب مرات كثيرا ، على مدار تاريخها الطويل ، على يد أقوام أطلق عليهم القرآن الكريم اسم « قوما جبارين » ، ومرة أخرى سماهم « جالوت وجنوده » ومرات كثيرة أخرى على يد الآشوريين والكلدانيين والفرس واليونان والروم ، والأوربيين (الفرنج)[2] الذين تستروا بستار الصليب ، والعبيديين ، والمغول ، والتتار ، وغيرهم .

وفى كل مرة كانت تتعرض فيه بيت المقدس للغصب كانت تنكس فيها راية لا إله إلا الله ، وتعطل شريعة الله ، ويطارد فيها المسلمون العاملون لنصرة دين الله .

---

(١) أرض الشام حدودها من الغرب بحر الروم (البحر المتوسط) ، ومن الشرق البادية من إيلة إلى الفرات ثم من الفرات إلى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (تركيا حاليا) ومن الجنوب حد مصر وتيه بنى إسرائيل ، وآخر حدودها مع مصر رفح . (المسالك والممالك) للأصطخرى ، ص ٤٢٣ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ .

وهى الآن الأرض التى تضم سورية ولبنان وفلسطين والأردن .

(٢) تطلق المصادر الإسلامية اسم الفرنج أو الفرنجة على أبناء أوروبا الذين قاموا باغتصاب العالم الإسلامى منذ نهاية القرن الخامس الهجرى (الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ : البداية والنهاية ، جـ ١٢) أما المراجع الحديثة فتطلق عليهم اسم الصليبيين على اعتبار أنهم تستروا بالصليب فى اغتصابهم لبلاد المسلمين .

وفى كل مرة كان الجيل الجبان الذى كان ينتسب إلى الإسلام ، والذى قد يقاتل أحيانا .. من أجل الأرض ، أو من أجل المال ، أو من أجل الأبناء .. لا يستطيع أن يهزم هذه الهجمة العدوانية على الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، فكان يكتب عليه التيه والضياع ، إلى أن يقيض الله سبحانه وتعالى جيلا مجاهدا يسترد الأرض المباركة ليقيم عليها دين الإسلام ، ويقيم حياة الناس على نظام الله وشرعه .

كما تعرضت هذه الأرض المباركة للغصب مرة أخرى ، بعد انهيار الدولة الإسلامية التى كان يقوم عليها آل عثمان ، وعلى وجه الخصوص بعد إقصاء السلطان عبد الحميد الثانى عن الخلافة عام ١٣٠٨ هـ/١٩٠٨ م ، على يد اليهود يعاونهم الفرنسيون والانجليز ظاهراً ويساندهم (الشيوعيون الملحدون) والحاقدون من الصليبيين تحت سمع وبصر ما تسمى بالمنظمات الدولية بداية بعصبة الأمم ونهاية بما يسمى بالأمم المتحدة ومجلس الأمن وغيرها .

إذن هذا الغصب ، لبيت المقدس قد حدث بعد انهيار الخلافة ، السياج الحامى للأمة الإسلامية وفى غفلة من أبناء المسلمين ، بعد أن ابتعدوا عن دينهم ، ونحوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عن حياتهم .

لقد اغتصب اليهود بلاد الشام ... التى بارك الله فيها للعالمين ... وعليها أقاموا دولة يهودية ، تحكم فى أرض الإسلام ، وأبناء الإسلام ، بغير شرع الإسلام ، وتنزل بأهله وجيرانه وإخوانه أبشع أنواع الانتقام والإبادة . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ كيف وإن يَظْهَرُوا عليكم لا يَرْقُبُوا فيكم إِلًّا ولا ذِمَّة ، يُرضُونَكُم بأفواههم وتأبي قُلُوبهم وأكثرُهم فاسقون ... اشتروْا بآيات الله ثَمنًا قليلاً فَصَدُّوا عن سَبِيله إِنَّهُمْ ساء مَا كانُوا يَعْمَلُونَ . لا يَرْقُبُونَ فى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ، وأولئك هم المعتدون ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : ٨ ــ ١٠ .

وهدف أعداء الإسلام ، من وراء اغتصاب أرض الإسراء والمعراج ، هو جزء من مخطط الكيد الشيطانى والتآمر العالمى ، اليهودى والصليبى والملحد ، لإحكام السيطرة على العالم الإسلامى ، واستغلال خيراته وثرواته بعد رد أهله كفارا حسدا من عند أنفسهم ، ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[1] . وذلك كخطوة على الطريق نحو إقامة دولة يهودية عالمية[2] – لامكنهم الله من ذلك – تتحكم فى بنى آدم على امتداد رقعة الأرض التى يحيون عليها .

ودراسة هذا الحدث الخطير ، والمؤامرة الدولية التى تستهدف الأمة المسلمة ودينها وعقيدتها ، له هدف ، هذا الهدف هو :

معرفة الطريق الذى يجب أن يسلكه المسلمون إلى بيت المقدس ، لإنهاء هذا العدوان اليهودى العالمى الشرس ، وإعادة حكم الإسلام إلى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين .

---

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) وهذا الهدف يكشف عنه ما تسمى بالتلمود « الذى غرس فى اليهود آمالا كبارا فى السيطرة على العالم ، وطلب منهم اتخاذ كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، وصولا إلى الهدف النهائى : وهو التسلط على العالم » . وقد ورد فى التلمود على لسان حاخامات اليهود وهم يرسمون سياسة المستقبل :

« يجب على كل إسرائيلى أن يبذل جهده لمنع تملك باقى الأمم فى الأرض حتى تبقى السلطة لإسرائيل ، فإذا لم يتيسر لهم ذلك اعتبروا منفيين وأسرى ، وإذا تسلط غير الإسرائيليين على أوطان إسرائيل ، حق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا (يا للعار ، يا للخراب) ، ويستمر ضرب الذلة والمسكنة على بنى إسرائيل حتى ينتهى حكم الأجانب ، وقبل أن تحكم إسرائيل نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلث العالم » .

ويعتبر اليهود كتاب التلمود كتابا منزلا ، وأفضل مما يسمونها التوراة ، وأجدر بالاحترام ، حتى أن الحاخامات أدخلوا فى روع اليهودى أن من يخالف ما يسمونها التوراة يغفر له ، أما من يخالف التلمود فلن يغفر له . (انظر : سياسة الاستعمار والصهيونية ، ص ٧ – ٩ ؛ أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ١٩٦٣/١٩٦٤ م ، ص ٥٩ . تأليف د . إسماعيل راجى الفاروقى ؛ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، القاهرة ، دار القلم ١٩٦٥ م ، الفصل السادس ، ص ٦٩ – ١٠٥ ، تأليف عبد الله التل ، ومن التلمود ، من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ٢٥ ، ٧٩) .

وذلك من خلال تأصيل الأحداث التى تعرضت لها المنطقة تأصيلا إسلاميا اعتمادا على :

- القرآن الكريم .
- سنة النبى محمد ﷺ .
- سنة الخلفاء الراشدين .
- ثم فى ضوء الأحداث التى تعرض لها العالم الإسلامى على مدار تاريخه الطويل ، اعتمادا على الله ثم على المصادر والمراجع الموثقة .

وبعد ذلك فإن أخطأنا فمن أنفسنا ، وإن أصبنا فمن الله سبحانه وتعالى ، وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير .

المؤلف

الفصل الأول

بلاد الشام عبر التاريخ

(الجزء الأول)

منذ أقدم العصور « على عهد آدم وإبراهيم عليهما السلام » .

- الله سبحانه وتعالى يبارك بيت المقدس .
- آدم يبنى المسجد الأقصى .
- إبراهيم عليه السلام وذريته المسلمة ، أئمة على الأرض المباركة .

بيت المقدس هى عاصمة الشام منذ زمن لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وهى الأرض التى وصفها الخالق عز وجل : (بالمباركة) ، فى قوله تعالى : ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾[1] .

يقول الإمام أبو عبد الله محمد القرطبى : « الأرض ؛ أرض الشام (سورية وفلسطين) ، وقال ابن عباس : وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها ، ولأنها معادن الأنبياء ، وقيل بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء »[2] .

وبيت المقدس تضم موضعا من المواضع التى لا تشد الرحال إلا إليها[3] ، هذا الموضع هو المسجد الأقصى ، الذى بارك الله حوله ، يقول الله تعالى :

---

(١) الأنبياء : ٧١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ج ١١ ، ص ٣٠٥ .

(٣) لحديث رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله ﷺ ، ومسجد الأقصى » ؛ رواه البخارى ، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة .

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾[١] .

وقد ورد فى تفسير هذه الآية : ﴿ باركنا حوله ﴾ : قيل بالثمار وبمجارى الأنهار ، وقيل : بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين ، وبهذا جعله مقدسا . وروى معاذ بن جبل عن النبى ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : يا شام أنت صفوتى من بلادى ، وأنا سائق إليه صفوتى من عبادى »[٢] .

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبى ذر ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض قال : « المسجد الحرام » . قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركتك الصلاة فصل » .

كما أخرج النسائى بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : « أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثة : حكما يصادف حكمة فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا . لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ، حين فرغ من بناء المسجد ، ألا يأتيه أحد ، لا ينهزه إلا الصلاة فيه ، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه . فجاء إشكال بين الحديثين ، لأن بين إبراهيم وسليمان آمادا طويلة . قال أهل التواريخ : أكثر من ألف سنة فقيل : إن إبراهيم وسليمان عليهما السلام إنّما جددوا ما كان أسسه غيرهما . وقد روى أن أول من بنى البيت آدم عليه السلام ، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس[٣] . من بعده بأربعين عاما ، ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله ، وكل محتمل ، والله أعلم »[٤] .

---

(١) الإسراء : ١ ، وقد سمى الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة ، (والمسجد الأقصى هو بيت المقدس) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٢ - ٢٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : جـ ١٠ ، ص ٢١٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ . تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

(٤) فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

وأورد الإمام ابن حجر قول ابن الجوزى : « وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ، ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ، ثم انتشر ولده فى الأرض ، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن ، وكذا قال القرطبى : أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما » . ويضيف الإمام ابن حجر : « وقد وجدت ما يشهد له ويؤيد قول من قال : إن آدم هو الذى أسس كلا من المسجدين » .

وعلى هذه الأرض المباركة ، وهب الله إبراهيم عليه السلام ، ذرية مسلمة صالحة طيبة ، كانت تحكم حياتها ، وحياة المجتمع الشامى بالمنهج الإسلامى الربانى :

﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين** : (أى وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله) **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا** (أى رؤساء يقتدى بهم فى الخيرات وأعمال الطاعات ، ومعنى بأمرنا : أى بما أنزلنا عليهم من الوحى والأمر والنهى ، فكأنه قال : يهدون بكتابنا . وقيل : المعنى يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق ، ودعائهم إلى التوحيد) **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** (أى أن يفعلوا الطاعات) **وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** (أى مطيعين)[1] . **ولوطا آتيناه حكما وعلما** (والحكم : النبوة ، والعلم : المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم) **ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث** (يريد : سدوم . ابن عباس : كانت سبع قرى قلب جبريل عليه السلام ستة وأبقى واحدة للوط وعياله ، وهى زغر التى فيها الثمر من كورة فلسطين إلى حد الشراة[2] ، ولها قرى كثيرة إلى حد نجد والحجاز) **إنهم كانوا قوم سوء فاسقين** (أى خارجين عن طاعة الله) **وأدخلناه فى رحمتنا** (أى النبوة : وقيل فى الإسلام) **إنه من الصالحين** ﴾[3] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١١ ، ص ٣٠٥ . (٢) الأنبياء : ٧٢ - ٧٥ ، جبل بنجد لطىء .
(٣) الأنبياء : ٧٤ - ٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١١ ، ص ٣٠٩ .

الإســـــلام
يحكم حياة بــلاد الشـــام

إبراهيم عليه السلام ، نبى مسلم ، وإمام مسلم ، وإلى الإسلام كان يدعو ، وبه وصى أبناءه ﴿ ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ ، يا بَنىَّ ، إنَّ الله اصطفى لكم الدين ، فلا تَمُوتُنَّ إلَّا وأنتم مُسْلِمُون ﴾[1] .

أى أنَّهم لم يكونوا هودا أو نصارى :

﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين . قولوا : آمنا بالله وما أُنْزِلَ إلينا وما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى ، وما أُوتِىَ النبيُّون من ربهم ، لا نُفَرِّقُ بين أحد منهم ، ونحن له مُسْلِمُون ﴾[2] .

حكام مسلمون على الأرض المباركة :

وحينما كان الإسلام يحكم حياة الأمم والشعوب التى كانت تعيش على الأرض المباركة (أرض الإسراء والمعراج) كان هنالك أئمة مسلمون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، إبراهيم عليه السلام .

يقول الله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلمات فَأَتَمَّهُنَّ ، قال : إنِّى جَاعِلُكَ للناس إمَاماً قال : ومن ذُرِّيَّتِى ؟ قال : لا ينال عهدى الظالمين ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٤ ، يقول الإمام أبو عبد الله محمد الأنصارى القرطبى : (كل من كان ظالما ، لم يكن نبيا ولا خليفة ، ولا حاكما ولا مفتيا ، ولا إمام صلاة ، ولا يقبل عنه ما يرويه عن صاحب الشريعة ، ولا تقبل شهادته فى الأحكام) ؛ الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ ؛ وذلك يؤكد أن إبراهيم عليه السلام لم يكن ظالما وإلا ما استحق أن يكون إماما .

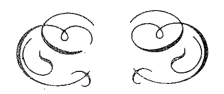
ونذكر منهم لوطا[1] عليه السلام ، الذى بعث على جزء من هذه الأرض المباركة ، وكان يدعو إلى الإسلام : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[2] .

وعلى هذه الأرض المباركة ، رُزِقَ إبراهيمُ عليه السلام بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب عليهم السلام ، قال الله عز وجل :

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نَافِلَةً ، وَكُلاًّ جعلنا صالحين ، وجعلناهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بأمرنا ، وأَوْحَيْنَا إليهم فِعْلَ الخيرات وإقامَ الصلاة ، وإيتاءَ الزكاة ، وكانوا لنا عابدين ﴾[3] .

وعلى هذه الأرض المباركة رزق يعقوب (إسرائيل) بأبنائه الاثنى عشرَ (ومنهم الأسباط)[4] الذين كان من بينهم أئمة وحكام على بيت المقدس .

وهذا يعنى أن بيت المقدس كانت محكومة بنظام الإسلام ، الذى يقوم على تنفيذه أئمة وحكام مسلمون .



---

(١) نزل لوط عليه السلام بمدينة سدوم من أرض غور زغر (وهى مشهورة ببلاد الغور ومتاخمة لجبال بيت المقدس ، ومكانها الآن البحر الميت . (تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٣٤٤ ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٧ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٧ ، جـ ٩ ، ص ٨١ - ٨٤ .

(٢) الذاريات : ٣٥ - ٣٦ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٣) الأنبياء : ٧٢ - ٧٣ .

(٤) وهؤلاء الأنبياء كانوا على الإسلام ، انظر : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام . تأليف د . جمال عبد الهادى ، ودكتورة وفاء محمد رفعت ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ؛ دار طيبة بالرياض .

الجـــزء الثانـــى

على عهد أبناء يعقوب (إسرائيل عليه السلام)

إلى عهد يوشـــع بن نـــون

والمصادر الإسلامية - أى القرآن الكريم وحديث الرسول محمد ﷺ - تثبت أن إمامة المسجد الأقصى ، وبالتالى زمام الأمر ، على هذه الأرض المباركة ، استمرت فى يد الصالحين من ذرية إبراهيم عليه السلام (أى من أبناء يعقوب « إسرائيل » بن إسحاق عليهم السلام) .

وفى فترة من الزمان - حوالى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريبا شاءت إرادة الله عز وجل ، أن ينتدب من هذه الذرية الطيبة التى تكاثـرت على أرض الإسراء والمعراج ، نبيا مسلما ، من أبناء يعقوب عليه السلام ، ليدعو شعب مصر إلى الإسلام ، وفى أثناء حكم هذا النبى الكريم لمصر ، ترك يعقوب عليه السلام ، وبعض أبنائه بلاد الشام إلى مصر ، ليقيم إلى جوار يوسف عليه السلام .

وقبل أن يغادر يعقوب - عليه السلام - بيت المقدس ، ترك الإمامة والولاية فى أيدى بعض أفراد أسرته من المسلمين ؛ لأنه ليس من المتصور أن يترك يعقوب ، النبى المسلم ، الأرض المباركة التى درج عليها أبوه وجده عليهما السلام فى غير أيد مسلمة ، أو يكون قد تركها بغير إمامة ، وهو يعلم أن الإمامة جزء من نظام الإسلام ..

ومصر وبلاد الشام كانت فى ذلك الزمان أرضا واحدة ، بدليل أن أهل الشام كانوا يمتارون من مصر أثناء المجاعة التى حلت بمصر وبلاد الشام ، وكانت

القوافل تذرع المنطقة ما بين مصر وبلاد الشام دون قيود أو عوائق[1] .

قوم جبارون يغلبون على بيت المقدس :

ولكن إمامة المسجد الأقصى ، أو بيت المقدس لم تظل دواما فى أيدى المسلمين من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ففى فترة من الزمان غلب أقوام جبارون على هذه الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وكان ذلك فى فترة تعاصر رسالة موسى – عليه السلام – فى مصر .

موسى – عليه السلام – يقود بنى إسرائيل لتحرير بيت المقدس :

وأدرك موسى – عليه السلام – الواجب الملقى على عاتقه ، وهو ضرورة أن تكون بيت المقدس فى أيدى المسلمين ، ليقيموا عليها نظام الله وشرعه ، فترك مصر ، واتجه إلى شبه جزيرة سيناء فى طريقه إلى الأرض المباركة لتحريرها ممن غلب عليها .

الجيل الجبان يرفض الدخول بحجة أن فيها قوما جبارين :

وفى أثناء مسيرة الجيش ، وقف موسى خطيبا فى قومه يذكرهم بنعم الله عليهم ، ومنها أن الله قد مكن لهم فى الأرض ، وجعل فيهم أنبياء وملوكا ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، ويطلب منهم استحضار نية الجهاد فى سبيل الله ، ودخول الأرض المقدسة التى كتبها الله للمسلمين المجاهدين ، كما حذرهم نبيُّهم – عليه السلام – من النكوص على الأعقاب ، وتولى الأدبار ؛ فينقلبوا خاسرين ... فى الدنيا بحرمانهم من دخول الأرض المقدسة ، وفى الآخرة بإدخالهم النار .

ولكن الجيل الذى استمرأ حياة الذِّلَّةِ والمسكنة على يد فرعون مصر ، جحد بنعمة ربه ، ولم يستجب لدعوة رسوله ، لدخول الأرض المقدسة بحجة أن فيها قوما جبارين ، وأنه لا طاقة له بجهادهم ، وأنه لن يدخلها إلا بعد أن يخرج القوم منها .

ولم يحرم الصف المسلم ، من رجال أتقياء ذكَّرُوا أبناء هذا الجيل بأن النصر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٩ ، ص ٢٢٠ ، ٢٥٩؛ سورة يوسف عليه السلام .

بيد الله ، وأن عليهم فقط أن يتوكلوا على الله ، ويفوضوا أمرهم إليه ، ويدخلوا بيت المقدس على عَدُوِّهِمْ ، لأن مجرد دخولهم سيؤدى إلى غلبتهم وهزيمة عدوهم .

ولكن الجيل الجبان ، رفض النصيحة ، بل وتطاول على موسى وربه سبحانه وتعالى .

وهنا طلب موسى – عليه السلام – من ربه أن يفرق بينه وبين قومه الذين كفروا ، حتى لا يشمله غضب الله عز وجل معهم .

وعاقب الله الجيل الجبان ، الذى فضل أن يعيش طريدا شريدا ، على أن يعيش عزيزا أو يموت شهيدا ، عاقبه بالتيه ، والطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى .

ويحكى الله – عز وجل – هذه الحادثة بقوله :

﴿ وإذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم ، فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إنَّ فيها قوما جبارين ، وإنَّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنَّا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنَّكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ها هنا قاعدون . قال : رب إنى لا أملك إلَّا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال : فإنَّها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾[1] .

وهنا يجدر بنا وبالمسلمين – داخل وخارج الأرض المحتلة – أن يقفوا أمام هذا النص القرآنى وأن يتملوا ما فيه ، لأنه المفتاح لأزمتنا المعاصرة ، وفيه معالم الطريق الذى يجب أن يسلكه المسلمون لاسترجاع الأرض المباركة .

---

(١) المائدة : ٢٠ – ٢٦ ، بعثة موسى عليه السلام كانت فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريبا .
﴿ أنعم الله عليهما ﴾ . يقول الإمام أبو عبد الله القرطبى ، أى بالإسلام أو باليقين أو بالصلاح ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ ، ١٢٣ إلى ١٣٣ .

الدروس المستفادة :

بعد هذا العرض الربانى ، لهذه الحادثة التاريخية :

- قوم جبارون يغتصبون بيت المقدس .

- الله ينتدب موسى عليه السلام ليقود قومه لاستعادة الأرض المباركة .

- القوم يرفضون .

- الله سبحانه وتعالى يكتب عليهم التيه والضياع فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة .

- ومن خلال هذا العرض الربانى ، لهذه الواقعة على محمد - ﷺ - وصحبه - رضوان الله عليهم -، وعلى المسلمين فى كل زمان ومكان يتجلى الكثير من المعالم البارزة على طريق العودة إلى أرض الشام ، لإقامة حكم الله :

أولا : أن بلاد الشام هى الأرض المقدسة ، وقد كتبها الله للمسلمين المؤمنين الموحدين ، وبهذا يقول الإمام القرطبى : ﴿ التى كتب الله لكم ﴾ أى فرض دخولها عليكم ووعدكم دخولها وسكناها لكم[1] .

ثانيا : لا يجوز للكفر أن يكون له ولاية على بيت المقدس .

ثالثا : أن الأمة المسلمة هى أمة مجاهدة ، ويجب أن تكون كذلك إلى ما شاء الله .

رابعا : أن النصر بيد الله ، وما على المؤمنين إلا أن يأخذوا بالأسباب ، ليتحقق نصر الله - عز وجل - ومنها : الإيمان بالله ، والتوكل عليه ، وطاعته فيما أمر ونهى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، جـ ٦ ، ص ١٢٥ .

خامسا : ضرورة الحث على الجهاد فى سبيل الله لاستخلاص الأرض المقدسة من الأيدى الكافرة التى اغتصبتها .

سادسا : أن الجيل المؤهل لاسترجاع الأرض المقدسة هو الجيل المسلم المجاهد فى سبيل الله[1] .

سابعا : ضرورة تميز الصف المسلم المجاهد الذى يعد نفسه لاستعادة الأرض المقدسة عن الصف غير المسلم .

ثامنا : أن الجيل الجبان الذى يقول اليوم بأنه لا طاقة له بقتال إسرائيل وأمريكا وروسيا ، لأنها تملك أسلحة نووية وقوة مادية ضخمة ، هو صورة مكرورة للجيل الجبان الذى عوقب بالتيه أربعين عاما[2] .

والأمة الآن معاقبة بالتيه ، فهى حائرة لا تدرى ماذا تفعل ، فكلما حاول الناصحون أن يعرفوها الطريق الصحيح لاسترجاع الأرض المقدسة المغتصبة ، صمَّت آذانها ، ووصفت الناصحين بالرجعية والتطرف ، ولذلك كان لابد وأن يجرى عليها عقاب الله ، وتعمل فيها سنة ربانية ، ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾[*] . سيهلك الجيل الجبان ، ويأتى الجيل المسلم المجاهد الذى سيكون على يديه استعادة الأرض التى بارك الله فيها للعالمين .

* * *

- جيل مسلم مجاهد يحرر بيت المقدس :

- الجيل المسلم يقوده يوشع بن نون :

لله فى حياة الأمم سنن ، تتحقق بتحقق أسبابها ، من هذه السنن ما يتضح من قول الله تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

---

(١) ويصدق هذا حديث رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر ، يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود » صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٣٠٧٨/٧٣٠٤ ؛ رواه مسلم .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣٦ - ٤١ .

(*) محمد : ٣٨ .

يقول الإمام القرطبى وابن كثير : (وإن تتولوا عن طاعة الله واتباع شرعه ﴿ يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ أى ولكن يكونوا سامعين مطيعين لله وأوامره)[1] .

فحينما تولى قوم موسى ، ورفضوا مجاهدة القوم الذين اغتصبوا بيت المقدس ، كتب عليهم التيه والضياع ، حتى قضى الجيل الجبان ، وجاء الله سبحانه وتعالى بجيل آخر مسلم مجاهد ، قاده (يوشع بن نون) لتحرير بيت المقدس .

وهنا تتحقق سنة ربانية أخرى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرض ، كما اسْتَخْلَفَ الذين مِنْ قبلهم ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذى ارْتَضَى لهم ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ﴾[2] .

يروى الله سبحانه وتعالى أخبار التمكين للجيل المسلم فى بيت المقدس : ﴿ وإذ قلنا : ادخلوا هذه القرية[3] ، فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا : حطة ، نغفر لك خطاياكم ، وسنزيد المحسنين ﴾ .

يقول المفسرون : (إن يوشع بن نون قد افتتح بيت المقدس يوم الجمعة ، فهموا بافتتاحها ودنت الشمس للغروب ، فخشى إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا ، فنادى الشمس : إنى مأمور وإنك مأمورة ، فوقفت حتى افتتحها)[4] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، جـ ١٦ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ .

(٢) النور : ٥٥ . تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

(٣) يقول القرطبى : (قيل ، إنَّها بيت المقدس وقيل : إنها أريحا من بيت المقدس ، وقيل : الشام ، وقيل : الرملة والأردن وفلسطين وتدمر) ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ ؛ (والصحيح : أ بيت المقدس) ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٩٨ ، جـ ٢ ، ص ٣٩ - ٤١ . وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال : « غزا نبى من الأنبياء » الحديث أخرجه مسلم وفيه قال : « فغزا فأدنى للقرية (لفظ البخارى : فدنا من القرية) حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها على شيئا ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » ؛ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

ولكن هذا الجيل المجاهد كان يضم بعض ضعاف النفوس ، الذين لم يستسلموا تماما لله رب العالمين يتضح ذلك من موقفهم فى مسألتين حيال أمر الله لهم :

المسألة الأولى :

لقد أمرهم الله عز وجل أن يدخلوا بيت المقدس (سجدا) أى شكرا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ، ورد بلادهم عليهم ، وإنقاذهم من التيه والضلال[1] . وأن يقولوا : (حطة)[2] أى احطط عنا خطايانا ولكنهم خالفوا أمر الله الحكيم ، فلم يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول ، ولم يعترفوا بذنوبهم ، ويستغفروا منها ، ولم يشكروا الخالق العظيم على النعمة التى أنعم عليهم بها ، وهى الفتح ، ولم ينادوا إلى فعل ما يحبه الله عز وجل ، رغم أن الله سبحانه وتعالى قد وعدهم ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ .

﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾[3] .

أى أنهم لم يستجيبوا لأمر الله ، ويستسلموا له بالكلية ، ومن ملامح هذا التمرد على أوامر الله ، قولهم : (حبة فى شعرة) بدلا من (حطة)[4] .

ولذلك نزل بهم عقاب الله عز وجل ، الذى يتمثل فيما أصابهم من الأوجاع والأسقام[5] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

(٢) (قيل لبنى إسرائيل : ادخلوا البا سجدا وقولوا حطة . فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا : حبة فى شعرة) رواه البخارى والنسائى .

(٣) البقرة : ٥٨ - ٥٩ .

(٤) يقول الإمام الحافظ أبو عبد الله القرطبى : (فبدل الذين ظلموا قولا) الذين ، فى موضع رفع ، أى فبدل الظالمون منهم قولا غير الذى قيل لهم : (قولوا : حطة) فقالوا : حنطة ، على ما تقدم ، فزادوا حرفا فى الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا ، تعريفا أن الزيادة فى الدين والابتداع فى الشريعة عظيمة الخطر ، شديدة الضرر ، هذا فى تغيير كلمة هى عبارة عن التوبة أوجبت كل ذلك العذاب ، فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود . هذا والقول أنقص من العمل ، فكيف بالتبديل والتغيير فى الفعل) . الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٤١٥ .

(٥) يقول رسول الله ﷺ : « الطاعون رجز عذاب ، عُذِّب من كان قبلكم » رواه النسائى ، وفى =

الدروس المستفادة :

أولا : لله فى حياة الأمم والشعوب سنن لا تتغير ولا تتبدل ، ومنها : أن نكول الناس عن الاستسلام لأوامر الله سبحانه وتعالى يؤدى إلى استبدالهم بأقوام آخرين يطيقون الاستسلام لأوامر الله عز وجل ، ومنها : أن الله سبحانه وتعالى قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والذين يفردون الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، ولا يشركون به أحدا فى عبادته بالتمكين والاستخلاف فى الأرض ، ونشر ظلال الأمن والطمأنينة عليهم .

ثانيا : أن الجهاد ، هو المحك الحقيقى ، الذى يتميز من خلاله الخبيث من الطيب ، داخل الصف المسلم .

ثالثا : ليس بالضرورة أن يكون الصف المسلم على درجة واحدة من الاستسلام لله عز وجل ، حتى يتحقق نصر الله عز وجل ، وإنَّما قد يضم الصف من ظلم نفسه ، بعدم الطاعة لله ، بشرط أن يكونوا قلة .

رابعا : أنّ من سنن الله الثابتة فى حياة بنى آدم إصابتهم بالأوجاع والأسقام حينما يخالفون أوامر الله سبحانه وتعالى : ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ .

خامسا : أن الذنوب والمعاصى تعزل العبد عن رحمة الله عز وجل ، وتحرمه من نصرته : ﴿ وقولوا : حطة ، نغفر لكم خطاياكم ، وسنزيد المحسنين ﴾ .

سادسا : أهمية الأرض المقدسة عند الله عز وجل .

سابعا : أن الكون كله خلق منقاد طائع لله عز وجل ، فها هو نبى

= رواية : « إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها » . رواه البخارى ومسلم ، وفى حديث آخر : « إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم » أصل الحديث مخرج فى الصحيحين . (تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ١٠٠) .

بنى إسرائيل المسلم ينادى الشمس : (إنِّى مأمور وإنَّك مأمورة فوقفت حتى افتتحها) .

ثامنا : أن المجاهدين المسلمين وهم قلة ، يجب أن لا يأسوا على قومهم الذين خالفوا أمر الله ورسوله ، ونكلوا عن طاعتهما فيما أمرهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصارعة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم ومقابلتهم ، مع أن الله قد وعد المسلمين المجاهدين بالنصر والظفر على أعدائهم .

تاسعا : أن الذين يسطون على الأرض المباركة « قوم جبارون » ، وبالتالى فإن الجيل المؤهل للجهاد فى سبيل الله ، وتطهير الأرض المباركة من تسلط أمثال هؤلاء القوم، هم الذين تحرروا من حب الدنيا، ويعيشون على الأرض وهم يرنون بأبصارهم إلى جنة عرضها السموات والأرض .

الدليل : ما رواه رسول الله ﷺ عن الفئة التى قاتلت مع (يوشع ابن نون) عليه السلام ، لقد استبعد منها من ملك امرأة ولم يبنى بها ، ومن بنى بيتا ولم يرفع سقفه ، ومن اشترى غنما وينتظر أولادها ، أى أنه استبعد كل من انشغل بأمر من أمور الدنيا :

« غزا نبى من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى منكم رجل ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر ، أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : إنَّك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه »[1] .

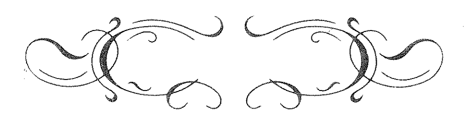
المسألة الثانية : أخذهم الغلول :

يروى الإمام الحافظ ابن كثير : (أنه لما فتح « يوشع بن نون » بيت المقدس ، وجد فيها من الأموال ما لم يُرَ مِثْلُهُ قط ، فقربوه إلى النار فلم تأته ، فقال فيكم الغلول ، فدعا رؤوس الأسباط ، وهم اثنا عشر رجلا ، فبايعهم والتصقت

---

(١) جزء من حديث روى عن رسول الله ﷺ : انظر : ١٩٧٢/٤٠٢٩ صحيح الجامع الصغير ، حرف الغين ، رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده .

يد رجل منهم بيده ، فقال : الغلول عندك ، فأخرجه . فأخرج رأس بقرة من ذهب ، لها عينان من ياقوت ، وأسنان من لؤلؤ ، فوضعه مع القربان ، فأتت النار تأكله)[1] .



---

(١) وهذا السياق له شاهد فى الصحيح ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ١٣٠ - ١٣١ ، انظر : حديث رقم ١٩٧٢/٤٢٠٩ صحيح الجامع الصغير .

الدروس المستفادة :

أن الصف المسلم الذى قدر له أن يحرر بيت المقدس ، ضم أفرادا طغى عليهم حب الدنيا حتى ارتكبوا المعصية ؛ والمعصية التى ارتكبوها ، حالت بينهم وبين قبول الله لأعمالهم .

وفى هذا بيان أيضا ، لأهمية أن يكون الجيل الذى سيأخذ على عاتقه تحرير الأرض المباركة نظيف اليد ، لا تمتد يده إلى شرق أو إلى غرب ، أو إلى المال الحرام ، طاهر القلب ، قد خرج من حظ نفسه .

* * *

- زاوية انحراف أهالى بيت المقدس تتسع تدريجيا :

- جالوت وجنوده يغتصبون بيت المقدس :

لله فى حياة الأمم والشعوب سنن ، تتحقق بتحقق أسبابها ، ومن هذه السنن ما يبينه قوله تعالى : ﴿ وكذلك نُوَلِّى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾[1] .

يقول الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى[2] فى تفسير هذه الآية الكريمة : (جعل بعض الظالمين أولياء بعض ، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غدا) . ومعنى : ﴿ نولى ﴾ على هذا ، نجعل وليا . قال ابن زيد : نسلط بعض الظلمة على بعض فيُهْلِكُهُ وَيُذِلُّهُ . وهذا تهديد للظالم ، إن لم يمتنع عن ظلمه سلط الله عليه ظالما آخر . ويدخل فى الآية جميع من يظلم (نفسه) ، أو يظلم (الرعية ، أو التاجر يظلم الناس فى تجارته ، أو السارق وغيرهم . وقال فضيل ابن عياض : (إذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف ، وانظر فيه متعجبا) . وقال

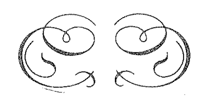
---

(١) الأنعام : ١٢٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٧ ، ص ٨٥ .

ابن عباس : (إذا رضى الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم ، وإذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم) . وفى الخبر عن النبى ﷺ : « من أعان ظالما سلط عليه » . يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾[1] .

هذه السنة الربانية نلمحها ، حينما زادت زاوية انحراف سكان بيت المقدس عن دين الله وهو الإسلام ، فسلط الله عليها عدوا ظالما طاغيا ، هو جالوت وجنوده ، فأخرجوهم من ديارهم[2] ، وكان ذلك فى فترة لاحقة لعهد موسى عليه السلام[3] .



---

(١) الشورى : ٣٠ ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، جـ ١٦ ، ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) وهذا شبيه الآن بموقف اليهود والمارون (الكتائب) والدروز والنصيريين الذين أخرجوا مسلمى الأرض المباركة من ديارهم ، وذبحوا الأطفال وقتلوا الرجال والنساء واعتدوا على أعراض الحرائر من النساء ، واغتصبوا أموالهم وثرواتهم ودورهم وأرضهم .

(٣) يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ، إذ قالوا لنبى لهم .. ﴾ سورة البقرة ، آية ٢٤٦ .

الجـــزء الثالـــث

عهد طالـــوت وداود وسليمان - عليهم السلام

- الله يقيض مسلمين مجاهدين لاسترجاع بيت المقدس وأرض الشام ، هؤلاء المسلمون هم طالوت وجنده ومنهم داود عليه السلام .

- دولة إسلامية عاصمتها بيت المقدس .

يعتبر عهد داود وسليمان - عليهما السلام - العصر الذهبى لبيت المقدس ، فقد قامت على أرضه دولة إسلامية ، مكن الله لها تمكينا لم يتكرر فى حياة البشرية إلا على عهد محمد - ﷺ - وصحبه - رضوان الله عليهم -.

هذه الدولة الإسلامية قد قامت على أكتاف المسلمين المجاهدين من بنى إسرائيل[1] ، ولهذه الدولة وقيامها على أرض الإسراء والمعراج قصة بدايتها : قام بأدوارها طالوت وداود - عليهما السلام - فى مواجهة جالوت وجنوده ، فما هى هذه القصة ؟

يقول الله عز وجل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ ألم تر ، إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى : إذ قالوا لنبى لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أَلَّا تُقَاتِلُوا . قالوا : وما لنا أَلَّا نُقَاتِلَ

---

(١) ليس هناك أية علاقة بين إسرائيل الحالية ، وإسرائيل (يعقوب) نبى الله المسلم ، وأبنائه من المسلمين ، وكون أن هنالك من يتسمى بأسماء الصالحين ، من المجرمين ، فلا يعنى لك أن نبرأ من الأسماء الصالحة وأصحابها من الصالحين ، على العكس ، فنحن أولى بنبى الله إسرائيل (يعقوب) النبى المسلم من غيره من الناس الكفار ، ولو كانوا من صلبه ،

انظر : رسالتنا : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ؛ وطبعة دار طيبة بالرياض .

فى سبيل الله ، وقد أُخرِجْنَا من ديارنا وأبنائنا . فلما كُتِبَ عليهم القتالُ تولوا إلّا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم : إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا : أنى يكون له الملك علينا ؟ ونحن أحق بالملك منه ! ولم يؤت سعة من المال . قال : إن الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، تحمله الملائكة . إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال : إنَّ الله مبتليكم بِنَهَر ، فمن شَرِبَ مِنْه ، فليس منى ، وَمَنْ لَمْ يطعمه ، فإنَّه مِنِّى ، إلَّا مَنْ اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه إلّا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . قال الذين يظنون أنهَّم ملاقوا الله : كم مِنْ فِئَةٍ قليلة غلبت فِئَةً كثيرةً بإذن اللهِ ، واللهُ مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله ، وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء ، ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهُمْ ببعض لفسدت الأرضُ ، ولكن الله ذو فضل على العالمين . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، وإنَّك لمن المرسلين ﴾[1] .

وجالوت كما قلنا جبار غلب على أرض بيت المقدس ، وأخرج أهلها وأبناءهم منها ، وذلك فى فترة لاحقة لتاريخ يوشع بن نون .

والسبب فى ذلك ، أن الجيل الذى سكن بيت المقدس ، وسكن الأرض المباركة بعد موسى - عليه السلام - انحرف عن الصراط السَّوِىِّ كما شاهدنا وَرَكَنَ إلى الدنيا ، واستمرأ حياة الترف والرذيلة . وكانت النتيجة أَنْ سلط اللهُ عليهم جبارا طاغية هو جالوت يخرجهم وأبناءَهُمْ مِنْ الأرض المقدسة . وهذا إمضاء لسنة ربانية : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[2] .

---

(١) البقرة : ٢٤٦ - ٢٥٢ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٥٣ .

وندم القوم على تفريطهم فى مقدساتهم ، وعدم انضباط حياتهم مع أوامر ربهم وسنن أنبيائهم ، وطلبوا من نبى لهم أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يختار لهم ملكا يقودهم للقتال فى سبيل الله ، لتخليص الأرض المقدسة من أيدى الأعداء .

ونظرا لأن هذه الأجيال كانت تعتاد التمرد على أوامر الله ، فإن نبيهم قال لهم : ألا يُنتظر أن تنكلوا عن القتال إذا فرض عليكم ؟ فأنتم الآن فى سعة من الأمر ، أمّا إذا استجبتُ لكم ، فتقرر القتال عليكم ، فتلك إذن فريضة مكتوبة ، ولا سبيل بعدها إلى النكول عنها ..

وهنا ارتفعت درجة الحماسة والفورة ، وذكر الملأ أن هناك من الأسباب الحافزة للقتال فى سبيل الله ما يجعل القتال هو الأمر المتعين الذى لا تردد فيه ، وإن كان يَشُوبُه أمر الدنيا : ﴿ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ .

والقارىء لأخبار هؤلاء القوم فى القرآن الكريم ، يجد أن الأمر كان واضحا فى حسهم مقررا فى نفوسهم .. إن أعداءهم هم أعداء لله ، ولدين الله ، وقد أخرجوهم من ديارهم ، وسبوا أبناءهم ، فقتالهم واجب ، والطريق الوحيد الذى أمامهم هو القتال ، ولا ضرورة إلى المراجعة فى هذه العزيمة أو الجدال .

ولكن هذه الحماسة الفائرة فى ساعة الرخاء لم تدم : ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ﴾[1] .

وقال لهم نبيهم : إن الله اختار لهم (طالوت ملكا) ، فكان الاعتراض ، أنهم أحق بالملك منه بالوراثة ، فلم يكن من نسل الملوك ، ولأنه لم يؤت سعة من المال تبرر التغاضى عن أحقية الوراثة ، وكل هذا غبش فى التصور .

فرد عليهم نبيهم ، إن الله قد اختاره ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله وحده صاحب التصرف ، فهو ملكه ، وهو يختار من عباده من يشاء ، ليس لفضله خازن ، وليس لعطائه حد ، وهو الذى يعلم الخير ، ويعلم كيف توضع

---

(١) فى ظلال القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ - ٢٧١ ، وهو يعتمد على الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٦١ ، تفسير الطبرى ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

الأمور فى مواضعها وكان هذا الرد من النبى كافيا لأن يستجيب القوم ، ولكن طبيعة بنى إسرائيل لا تصلح لها هذه الحقائق العالية وحدها . وهم مقبلون على معركة ، ولا بد لهم من خارقة ظاهرة تهز قلوبهم ، وتردها إلى الثقة واليقين :

﴿ وقال لهم نبيهم : إنَّ آية ملكه أن يَأْتِيَكُمْ التابوتُ ، فيه سكينةٌ من ربكم ، وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارونَ تحمله الملائكةُ ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

وكان أعداؤهم الذين شردوهم من الأرض المقدسة ، التى غلبوا عليها ، على يد يوشع بن نون بعد فترة التيه ، ووفاة موسى – عليه السلام – قد سلبوا منهم مقدساتهم ممثلة فى التابوت الذى يحفظون فيه مخلفات أنبيائهم من آل موسى وآل هارون .

وتولى طالوت القيادة ، ثم أعد جيشه ممن لم يتولوا عن فريضة الجهاد ، ولم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم من أول الطريق .

﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بنَهَرٍ ، فَمَنْ شرب منه فليس منى ، وَمَنْ لَمْ يطعمه فإنَّه مِنِّى إلاّ مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِه فشربوا مِنْهُ إلا قليلا منهم ﴾ .

هنا يتجلى لنا مصداق حكمة الله فى اصطفاء هذا الرجل ... إنَّه مُقْدِمٌ على معركة ، ومعه جيش مِنْ أمة مغلوبة ، عرفت الهزيمة والذل فى تاريخها مرة بعد مرة . وهو يواجه جيش أمة غالبة ، فلابد إذن مِنْ قوة كامنة فى ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة . هذه القوة الكامنة لا تكون إلا فى الإرادة ، الإرادة التى تضبط الشهوات والنزوات ، وتصمد للحرمان والمشاق ، وتستعلى على الضرورات والحاجات ، وتؤثر الطاعة وتحمل تكاليفها ، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء .. فلابد للقائد المختار إذن أنْ يَبْلُوَ إرادةَ جَيْشِهِ ، وصموده وصبره : صموده أولا للرغبات والشهوات .. وصبره ثانيا على الحرمان والمتاعب .. واختار هذه التجربة ، وهم – كما تقول الروايات – عطاش ، ليعلم من يصبر معه ، ممن ينقلب على عقبيه ، ويؤثر العافية .. وصحت فراسته[1] : ﴿ فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾ .

(١) هذا الموضوع مأخوذ التفسير فيه عن « فى ظلال القرآن » كما قلنا ، لأن عرض سيد قطب رحمه الله .. يمكن أن يعين بلا شك فى تحقيق الهدف التربوى .

شربوا وارتووا ، فقد كان أباح لهم أن يغترف منهم مَنْ يريد غرفة بيده ، تبل الظمأ ولكنها لا تشى بالرغبة فى التخلف !! وانفصلوا عنه بمجرد استسلامهم ونكوصهم .. انفصلوا عنه لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقهم وعاتقه . وكان من الخير أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف ، لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة . والجيوش ليست بالعدد الضخم ، ولكن بالقلب الصامد ، والإرادة الجازمة والإيمان الثابت المستقيم على الطريق .

ودلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفى ، ولابد من التجربة العملية ... ومواجهة واقع الطريق إلى المعركة قبل الدخول فيها . ودلت كذلك على صلب عود القائد المختار الذى لم يهزه تخلف الأكثرية مِنْ جنده عند التجربة الأولى ... بل مضى فى طريقه .

﴿ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ ..

لقد صاروا قلة .. وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرته .. بقيادة جالوت . إنهم مؤمنون مستسلمون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم . ولكنهم هنا أمام الواقع الذى يرونه بأعينهم فيحسون أنهم أضعف من مواجهته . إنها التجربة الحاسمة .. تجربة الاعتزاز بقوة أخرى أكبر من قوة الواقع المنظور .. وهذه لا يصمد لها إلا مَنْ اكتمل إيمانهم ، فاتصلت بالله قلوبهم ، وأصبحت لهم موازين جديدة يستمدون منها مِنْ واقع إيمانهم ، غير الموازين التى يستمدها الناسُ مِنْ واقع حالهم !!

وهنا برزت الفئة المؤمنة .. الفئة القليلة المختارة .. الفئة ذات الموازين الربانية : ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللهِ ، واللهُ مع الصابرين ﴾ .

هكذا ... (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة).. بهذا التكثير .. فهذه هى القاعدة فى حس الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله .

القاعدة : أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هى التى ترتقى الدرج الشاق حتى تنتهى إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار ، ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل

بمصدر القوى ، ولأنها تمثل القوة الغالبة .. قوة الله الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده ، محطم الجبارين ، ومخزى الطاغين ، وقاهر المتكبرين .

وهم يكلون هذا النصر لله : ﴿ بإذن الله ﴾ ... ويعللونه بعلته الحقيقية : ﴿ والله مع الصابرين ﴾ فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون مِن الله لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل ...

وتمضى القصة ، فإذا الفئة القليلة ، الواثقة بلقاء الله ، التى تستمد صبرها كله من اليقين بهذا اللقاء ، وتستمد قوتها كلها مِنْ إذن الله ، وتستمد يقينها كله من الثقة فى الله ، وأنه مع الصابرين ... إذا هذه الفئة القليلة الواثقة الصابرة ، الثابتة ، التى لم تزلزلها كثرة العدو وقوته ، مع ضعفها وقلتها .. إذا هذه الفئة هى التى تقرر مصير المعركة ، بعد أن تجدد عهدها مع الله ، وتتجه بقلوبها إليه ، وتطلب النصر منه وحده ، وهى تواجه الهول الرعيب :

﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملكَ والحكمة ، وعلمه مما يشاء ﴾ ...

فقد وَضُحَ الموقف ... إيمانٌ تِجَاهَ كُفْر . وحق إزاء باطل ، ودعوة إلى الله لينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه الكافرين ..

وكانت النتيجة هى التى ترقبوها واستيقنوها : ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ .. ويؤكد النص القرآنى هذه الحقيقة : ﴿ بإذن الله ﴾ .. ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علما . وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجرى فى هذا الكون ، ولطبيعة القوة التى تجريه ... إن المؤمنين ستار القدرة ، يفعل الله بهم ما يريد ، وينفذ بهم ما يختار بإذنه .. ليس لهم من الأمر شيء ، ولا حول لهم ولا قوة ، ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته ، فيكون منهم ما يريده بإذنه ... وهى حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين ... إنه عبد الله ... اختاره الله لدوره ... وهذه مِنَّةٌ من الله وفضل ، وهو يؤدى هذا الدور المختار ويحقق قدر الله النافذ . ثم يكرمه الله – بعد كرامة الاختيار – بفضل الثواب ... ولولا فضل الله ما فعل ، ولولا فضل الله ما أثيب ... ثم إنَّه مستيقن من نبل الغاية وطهارة

القصد ونظافة الطريق ... فليس له فى شيء من هذا كله أرب ذاتى ، إنما هو منفذ لمشيئة الله الخيرة ، قائم بما يريد . استحق هذا كله بالنية الطيبة ، والعزم على الطاعة ، والتوجه إلى الله فى خلوص .

ويبرز السياق القرآنى دور داود : ﴿ وقتل داود جالوت ﴾ :

وداود كان فتى صغيرا من بنى إسرائيل ، وجالوت كان قائدا قويا ، وقائدا مخوفا .. ولكن شاء الله أن يرى القوم وقتذاك أن الأمور لا تجرى بظواهرها ، إنما تجرى بحقائقها . وحقائقها يعلمها هو . ومقاديرها فى يده وحده ، فليس عليهم إلا أن ينهضوا هم بواجبهم ، ويفوا لله بعهدهم ، ثم يكون ما يريده الله ، بالشكل الذى يريده . وقد أراد أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير ، ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبونهم ضعاف ضعاف يغلبهم الفتية الصغار ، حين شاء الله أن يقتلهم ... وكانت هناك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله ... **فلقد قدر أن يكون داود هو الذى يتسلم الملك بعد طالوت** ، **ويرثه ابنه سليمان** ، فيكون عهده هو العهد الذهبى لبنى إسرائيل فى تاريخهم الطويل ، جزاء انتفاضة العقيدة فى نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود : ﴿ وآتاه اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ .

وكان داود – عليه السلام – ملكا نبيا ، وعلمه الله صناعة الدروع وعدة الحرب ، مما يفصله القرآن فى مواضعه ، فى سور أخرى ...

أما فى هذا الموضع فإن **السياق يتجه إلى هدف آخر من وراء القصة جميعا** .. **وحين ينتهى إلى هذه الخاتمة** .

ويعلن :

النصر الأخير للعقيدة الواثقة ، لا للقوة المادية ، وللإرادة المستعلية لا للكثرة العددية .. حينئذ يعلن عن الغاية العليا من اصطراع تلك القوى .. إنها ليست المغانم والأسلاب ، وليست الأمجاد والهالات ، إنما هو الصلاح فى الأرض ، وإنما هو التمكين للخير بالكفاح مع الشر :

﴿ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهُمْ ببعض لفسدت الأرضُ ، وَلَكِنَّ اللهَ ذو فضل على العالمين ﴾ .

الدروس المستفادة :

دروس نذكر أنفسنا بها أولا ، وإخواننا فى الأرض المحتلة فى أرض الشام ، وأفغانستان ، وفى كل شبر مغتصب من أرض الإسلام ، وخاصة إخواننا الذين يقعون تحت القهر الشيوعى للدولة الروسية الفاجرة ، وإخواننا فى جنوب أفريقية ، وفى أريتريا ، والصومال ، والحبشة ، وغيرها من أرض الإسلام .

* إنها تجربة فى حياة بنى إسرائيل (أى الذين كانوا جزءا من الأمة المسلمة فى يوم من الأيام) من بعد موسى بعدما ضاع ملكهم ، ونهبت مقدساتهم ، وذلوا لأعدائهم ، وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدى ربهم وتعاليم نبيهم ، ثم انتفضت نفوسهم انتفاضة جديدة ، واستيقظت فى قلوبهم العقيدة ، واشتاقوا للقتال فى سبيل الله ، فقالوا لنبى لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ..

ومن خلال هذه التجربة تبرز جملة حقائق ، تحمل إيحاءات قوية للجماعة المسلمة فى كل جيل ، فضلا عمّا كانت تحمله للجماعة المسلمة فى ذلك الحين .

والعبرة الكلية التى تبرز من القصة كلها هى أن هذه الانتفاضة — انتفاضة العقيدة — على الرغم من كل ما اعتورها أمام التجربة الواقعة من نقص وضعف ، ومن تخلى القوم عنها فوجا بعد فوج فى مراحل الطريق — على الرغم من هذا كله ؛ فإن ثبات حفنة قليلة من المؤمنين عليها قد حقق لبنى إسرائيل نتائج ضخمة جدا .. فقد كان فيها النصر والعز والتمكين ، بعد الهزيمة المنكرة ، والمهانة الفاضحة ، والتشريد الطويل والذل تحت أقدام المتسلطين . ولقد جاءت لهم بملك داود ، ثم ملك سليمان — وهذه أعلى قمة وصلت إليها دولة بنى إسرائيل فى الأرض ، وهى عهدهم الذهبى الذى يتحدثون عنه ، والذى لم يبلغوه من قبل فى عهد النبوة الكبرى ... وكان هذا النصر كله ثمرة مباشرة لانتفاضة العقيدة من تحت الركام ، وثبات حفنة قليلة عليها أمام جحافل جالوت !

وفى خلال التجربة تبرز بضع عظات أخرى جزئية ، كلها ذات قيمة للجماعة المسلمة فى كل حين :

من ذلك .. أن الحماسة الجماعية قد تخدع [illegible] لو أخذوا بمظهرها ، فيجب أن يضعوها على محك التجربة ، قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة .. فقد تقدم الملأ من بنى إسرائيل – من ذوى الرأى والمكانة فيهم – إلى نبيهم فى ذلك الزمان ، يطلبون إليه أن يختار لهم ملكا يقودهم إلى المعركة مع أعداء دينهم ، الذين سلبوا ملكهم وأموالهم ، ومعها مخلفات أنبيائهم من آل موسى ، وآل هارون . فلما أراد نبيهم أن يستوثق من صحة عزيمتهم على القتال ، وقال لهم : ﴿ هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألَّا تقاتلوا ! ﴾ .. استنكروا عليه هذا القول ، وارتفعت حماستهم إلى الذروة وهم يقولون له : ﴿ وما لنا ألَّا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ ﴾ ... ولكن هذه الحماسة البالغة ما لبثت أن انطفأت شعلتها ، وتهاوت على مراحل الطريق كما تذكر القصة ، وكما يقول السياق بالإجمال : ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلاَّ قليلا منهم ﴾ .. ومع أن لبنى إسرائيل طابعا خاصا فى النكول عن العهد ، والنكوص عن الوعد ، والتفرق فى منتصف الطريق ، إلاّ أن هذه الظاهرة هى ظاهرة بشرية على كل حال ، فى الجماعات التى لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغا عاليا من التدريب ... وهى خليقة بأن تصادف قيادة الجماعة المسلمة فى أى جيل ... فيحسن الانتفاع فيها بتجربة بنى إسرائيل .

ومن ذلك أن اختيار الحماسة الظاهرة والاندفاع الفائر فى نفوس الجماعات ينبغى ألا يقف عند الابتلاء الأول ... فإن كثرة بنى إسرائيل هؤلاء قد تولوا بمجرد أن كتب عليهم القتال استجابة لطلبهم ، ولم تبق إلا قلة مستمسكة بعهدها مع نبيها . وهم الجنود الذين خرجوا مع طالوت بعد الحجاج والجدال حول جدارته بالملك والقيادة ووقوع علامة الله باختياره لهم ، ورجعة تابوتهم وفيه مخلفات أنبيائهم تحمله الملائكة ...! ومع هذا فقد سقطت كثرة هؤلاء الجنود فى المرحلة الأولى . وضعفوا أمام الامتحان الأول الذى أقامه لهم قائدهم : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال : إن الله مبتليكم بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ منه فليس منى ، وَمَنْ لم يطعمه فإنه منى – إلاَّ مَنْ اغترف غرفة بيده – فشربوا منه إلاّ قليلا منهم ﴾ ... وهذا القليل لم يثبت كذلك إلى النهاية . فأمام الهول الحى ، أمام كثرة الأعداء وقوتهم ، تهاوت العزائم ، وزُلْزِلَتْ القُلُوبُ : ﴿ فلما جاوزه هو والذين

آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بِجَالُوتَ وجنوده ﴾ .. وأمام هذا التخاذل ثبتت الفئة القليلة المختارة التى اعتصمت بالله ووثقت وقالت : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قليلة غلبت فِئَةً كثيرةً بإذن اللهِ واللهُ مع الصّابرين ﴾ ... وهذه هى التى رجحت الكفة ، وتلقت النصر ، واستحقت العز والتمكين .

وفى ثنايا هذه التجربة تكمن عبرة القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة ... وكلها واضحة فى قيادة طالوت . برز منها : خبرته بالنفوس ، وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة ، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى ، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة فى نفوس جنوده قبل المعركة ، وفصله للذين ضعفوا وتركهم وراءه .. ثم - وهذا هو الأهم - عدم تخاذله وقد تضاءل جنوده تجربة بعد تجربة ، ولم يثبت معه فى النهاية إلا تلك الفئة المختارة . فخاض بها المعركة ثقة منه بقوة الإيمان الخالص ووعد الله الصادق للمؤمنين .

والعبرة الأخيرة التى تكمن فى مصير المعركة .. أن القلب الذى يتصل بالله تتغير موازينه وتصوراته ، لأنه يرى الواقع الصغير المحدود ، بعين تمتد وراءه إلى الواقع الكبير الممتد الواصل ، وإلى أصل الأمور كلها وراء الواقع الصغير المحدود ، فهذه الفئة المؤمنة الصغيرة ، التى ثبتت وخاضت المعركة وتلقت النصر ، كانت ترى من قلتها وكثرة عدوها ما يراه الآخرون الذين قالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ .. ولكنها لم تحكم حكمهم على الموقف . إنَّما حكمت حكما آخر ، فقالت : ﴿ كم من فِئَةٍ قليلة غلبت فِئَةً كثيرةً بإذن الله ، واللهُ مع الصابرين ﴾ .. ثم اتجهت إلَى ربها تدعوه : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .. وهى تحس أن ميزان القوة ليس فى أيدى الكافرين ، إنَّما هو فى يد الله وحده . فطلبت منه النصر ، ونالته من اليد التى تملكه وتعطيه .. وهكذا تتغير التصورات والموازين للأمور عند الاتصال بالله حقا ، وعندما يتحقق فى القلب الإيمان الصحيح . وهكذا يثبت أن التعامل مع وعد الله الواقع الظاهر للقلوب أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون[1] ! .

---

(١) فى ظلال القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

★ إن الذى يتقدم لقيادة الجماعة المسلمة ، أو الصف المسلم لابد أن يتصف بالصفات التى بينها الله سبحانه وتعالى .

فالله سبحانه وتعالى قد اختار (طالوت) واختيار الله حجة قاطعة ، ومع ذلك فقد بين الله سبحانه وتعالى السبب الذى مِنْ أجله اصطفى (طالوت) - والله لَا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلُون - وهو بسطته فى العلم الذى هو ملاك الإنسان ، والجسم الذى هو معينه فى الحرب ، وعدته عند اللقاء ، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة : (وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب ، فلا حظ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس وأنها متقدمة عليه ، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته ، وإن كانوا أشرف منه نسبا)[1] .

★ ﴿ كم مِنْ فِئَةٍ قليلة غلبت فِئَةً كثيرة ﴾ .. فيها كما يقول الإمام أبو عبد الله القرطبى (تحريض على القتال ، واستشعار للصبر ، واقتداء بمن صدق ربه . قلت : هكذا يجب علينا أن نفعل ، لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكثير منا قدام اليسير - كما شاهدنا - غير مرة ، وذلك بما كسبت أيدينا) . وفى البخارى : وقال أبو الدرداء : إنَّما تقاتلون بأعمالكم . وفيه مسند إلى النبى ﷺ ، قال : « هل ترزقون وتنصرون إلاّ بضعفائكم ؟ » .. فالأعمال فاسدة ، والضعفاء مهملون ، والصبر قليل ، والاعتماد ضعيف ، والتقوى زائلة !! قال الله تعالى : ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله ﴾ .. وقال : ﴿ وعلى الله فتوكلوا ﴾ .. وقال : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .. وقال : ﴿ ولينصرن الله من يَنْصُرُه ﴾ .. وقال : ﴿ إذا لقيتم فِئَةً فَاثْبُتُوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تُفْلِحُون ﴾ ... فهذه هى أسباب النصر وشروطه ، وهى معدومة عندنا ، غير موجودة فينا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا . بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره ، ولا من الدين إلا رسمه ، لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد ، حتى استولى العدو شرقا وغربا ، برا وبحرا ، وعمت الفتن ، وعظمت المحن ، ولا عاصم إلا من رحم[2] .

* * *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ . (٢) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .

داود النبى المسلم (عليه السلام)
خليفة على أرض فلسطين

لله سنن كونية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، ومنها : التمكين فى الأرض للمؤمنين الموحدين : ﴿ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بعد خوفهم أَمْناً ، يعبدوننى لا يُشْرِكُونَ بى شيئا ﴾[1] ..

وتحقيقا لهذا الوعد الربانى ، مَكَّنَ اللهُ لداود – عليه السلام – فجعله خليفة على أرض يحكم فيها بشرع الله ، ﴿ وآتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه مما يشاء ﴾ ، ﴿ ولولا دفعُ اللهِ الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[2] .

فقامت على أرض الشام دولة إسلامية ، عاصمتها بيت المقدس ، على رأسها نبى الله المسلم داود – عليه السلام –: ﴿ يا داود إنَّا جعلناك خليفةً فى الأرض ﴾[3] .

وقد وردت أخبار هذا النبى الكريم فى القرآن الكريم[4] وأحاديث النبى محمد ﷺ ، وكلها تؤكد حقيقة هامة وهى كون (داود) – عليه السلام – نبيا

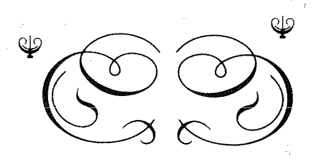
(١) النور : ٥٥ .
(٢) البقرة : ٢٥١ .
(٣) ص : ٢٦ ؛ تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٢ .
(٤) سبأ : ١٠ – ١١ ، الأنبياء : ٧٩ – ٨٠ ، ص : ١٧ – ٢٦ ، تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩ – ٣٢ ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٠ . تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

مسلما ، طائعا منقادا لله – عز وجل – بالكلية .. وكان من أثر ذلك أن الله – سبحانه وتعالى – قد سخر له الجبال والطير يسبحن الله لتسبيحه .

ولقد مكن الله سبحانه وتعالى لداود المجاهد فى الأرض ، ومن مظاهر هذا التمكين ، أن الله سبحانه وتعالى علمه صناعة الدروع من الحديد ، ليحصن المقاتلين من أعدائهم . ورغم أن داود عليه السلام كان خليفة ، وكان إماماً لأمته ، وقاضيا يفصل فى قضاياها ، فإن ذلك لم يمنعه أن يقتات من عمل يده ، ولم يعش عالة على أمته ، وقيام داود – عليه السلام – بواجبات الملك وما يقتضيه من أعمال ، لم يحل بينه وبين ساعات يمضيها متعبدا ساجدا لله عز وجل ، فهو الملجأ والملاذ ومنه يتلقى العون والتأييد .

ويوم يكون فى الأمة قواد يتأسون بهذا النبى – ﷺ – ونبينا محمد – ﷺ – حينذاك سوف يتنزل عليهم نصر الله – عز وجل .

وقد توفى داود – عليه السلام – وله من العمر مائة عام[1] ، فتولى الأمر على أرض الشام من بعده – بأمر الله عز وجل – ابنه سليمان عليه السلام .



(١) البداية والنهاية : جـ ٢ ، ص ١٦ ، انظر : اخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام ، تأليف د . جمال عبد الهادى ، ود . وفاء محمد رفعت ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة .

سليمان – عليه السلام – النبى المسلم
ملك على أرض الشام وجزيرة العرب
بَيْتُ المقدس عاصمة للدولة الإسلامية

قيض الله – سبحانه وتعالى – للأرض المباركة بعد وفاة داود – عليه السلام – ابنا له نجيبا هو رسول الله سليمان – عليه السلام – الذى استخلفه الله – عز وجل – على دولة امتدت حدودها – على الأقل – لتشمل بلاد الشام كلها (سورية وفلسطين) وجزيرة العرب ، وكانت عاصمتها (بيت المقدس .

وقد مكن الله – سبحانه وتعالى – لسليمان – عليه السلام – على هذه الأرض المباركة ، ووهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، والذى يعترف به سليمان – عليه السلام – والذى يعبر عنه قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل المبين ﴾[1] .

فقد كان سليمان – عليه السلام – يعرف لغة الطير : ﴿ وَعُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾[2] .. ولغة النمل (مع سماع أصواتها رغم خفوتها) ، ولغة الجن والإنس . وكان له جيش ينتظم فيه جنود من الجن والإنس : ﴿ وَحُشِرَ لسليمانَ جُنُودُهُ من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾[3] .. أى بلغة العصر كان سليمان يملك قواتٍ جوية (طيران) وقواتٍ بحرية : ﴿ شياطين كل غواص

---

(1) النمل : ١٦ .
(2) النمل : ١٦ .
(3) النمل : ١٧ .

وبناء ﷺ .. وقواتٍ أرضية (برية) ، تتميز عن جيوش العصر الحديث بضمها جنوداً من الجن ، يرون الناس والناس لا يرونهم .

كما مكن الله – سبحانه وتعالى – لسليمان – عليه السلام – بإمكانيات مادية وعلمية ، استخدمها فى إحضار عرش ملكة سبأ من جنوب الجزيرة العربية (دولة سبأ) إلى بيت المقدس فى غمضة عين (مع أنها مسافة كان يقطعها الناس فى شهرين ذهابا وإيابا) .

واستخدمها أيضا فى تمريد الصرح .

كما سخر الله – سبحانه وتعالى – له الرياح التى تجرى بأمره رخاء حيث أصاب .

وكان سليمان – عليه السلام – نبيا شاكرا ، لقد وظف كل هذا التمكين الربانى فى الدعوة إلى الإسلام .

وقد وردت الأخبار الصحيحة عن هذا النبى الكريم فى القرآن الكريم وحديث النبى محمد – ﷺ –[1] .

معالم بارزة ترسيها سيرة سليمان – عليه السلام – على الأرض المقدسة :

– أن سليمان – عليه السلام – نبى مسلم وإلى الإسلام كان يدعو .

– أن الدولة التى كان يحكمها سليمان – عليه السلام – وعاصمتها بيت المقدس ، كانت دولة إسلامية ، دينها الإسلام ، وبه تعمل ، وإليه تدعو الناس .

– أن الواجب الذى أنيط بسليمان – عليه السلام – الرسول المسلم تحقيقه على أرض الشام وعلى أرض الجزيرة العربية وغيرها – هو إقامة حكم الله عز وجل .

---

(١) انظر التفاصيل : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم – عليه السلام –، سورة النمل : الآيات : ١٥ – ٤٤ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ – ٣٦٦ ؛ نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٣٣ – ٣٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٢٠ – ٢٦ .

وذلك يعنى أن واجب المسلمين الآن بالدرجة الأولى هو استعادة أرض الشام وغيرها من الأراضى الإسلامية المغتصبة ، لأنها ميراثها عن الأمة المسلمة ، لتقيم عليها نظام الإسلام وشرعه لا لإقامة دولة علمانية كما كان ينادى بعض أبناء فلسطين على منبر ما تسمى بالأمم المتحدة[1] .

– أن سليمان – عليه السلام – قام بتجديد وإكمال مسجد بيت المقدس (المسجد الأقصى) الذى أسسه آدم عليه السلام ، وقام بتجديده وعمل إضافات له أكثر من شخص منهم إبراهيم ويعقوب وداود – عليهم السلام –[2] .

أى أن سليمان – عليه السلام – لم يبن هيكلا كما زعمت يهود ، ولكنه بنى مسجدا يتعبد فيه المسلمون لله عز وجل . وهذا أيضا يدحض أيضا ادّعَاء النصارى أن المسجد الأقصى كان كنيسة قد أقامها الإمبراطور جستنيان تبجيلا

---

(١) ومن هنا يتضح لنا التشويه والتزييف الذى تعرض له تاريخ داود وسليمان – عليهما السلام – على أيدى اليهود ومن شايعهم من الصليبيين ومن أبناء العرب والمسلمين .. وأن هذا التشويه والتزييف المتعمد يهدف إلى تربية أجيال لا تعرف حقيقة تاريخها الإسلامى وحقيقة العلاقة التى تربطها بأمتها الإسلامية على امتداد الزمن ، وحقيقة المقدسات التى يجب أن تحرص عليها .

وقد نجحت الخطة أيما نجاح ، فقد نشأت أجيال تحمل أعلى الدرجات العلمية ، سلمت لليهود بأن لهم حق فى الأرض المقدسة (انظر : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام) .

(٢) روى الإمام البخارى حديثا : « حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم التيمىّ عن أبيه قال : سمعت أبا ذر رضى الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قال ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة . ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فَصَلِّه ، فإنَّ الفضل فيه » .

وقد ورد فى شرح الحديث :

(أ) أن المسجد الحرام بمكة المكرمة كان أول بيت وضع لعبادة الله .

(ب) المسجد الأقصى يعنى مسجد بيت المقدس ، قيل الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة .

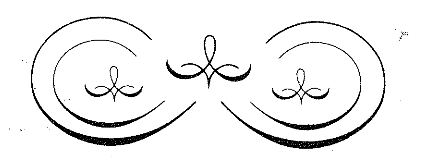
(ج) أن أول من أسس المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام ، ليكون قبلة لبعض ذريته .

(د) أن ما قام به يعقوب ومن قبله إبراهيم – عليهما السلام – هو رفع القواعد لهذا المسجد .

(ﻫ) أن ما قام به داود – عليه السلام – هو تجديد لذلك ،، وابتداء بناء فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان عليه السلام ، انظر : فتح البارى ، جـ ٦ ، ص ٤٠٧ – ٤١٠ ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

للعذراء فى الأصل ، وحوَّلها العرب إلى مسجد بأمر الخليفة عمر بن الخطاب[1] رضى الله عنه .

وللمسجد الأقصى أهمية وفضيلة لكونه مسجد الأنبياء ، والدليل حديث الرسول محمد - ﷺ -: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، ومسجد الأقصى »[2] .



(١) حضارة العرب ، تأليف جوستاف لوبون ، ص ١٦٢ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ؛ صحيح أبى عبد الله البخارى ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، جـ ٢ ، ص ٧٣ ؛ فتح البارى ، جـ ٣ ، ص ٦٣ - ٦٨ ؛ الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٠ ، ص ٢١١ .

الجــزء الرابــع

بــلاد الشــــام

على عهد زكريا ويحيى وعيســى - عليهم السلام

ظلت أرض الشام - بما فى ذلك بيت المقدس - فى الفترة الزمنية الممتدة من عهد سليمان - عليه السلام - إلى زمن بعثة عيسى - عليه السلام - ورفعه إلى السماء ، عامرة بسلالات من الأمة المسلمة من بنى إسرائيل التى حرص الشيطان على اجتيالها عن دينها .

ومن رحمة الله - عز وجل - أن جعل فى بنى إسرائيل[1] (النبى المسلم) ملوكا وأنبياء ورسلا مسلمين .

ومن هؤلاء زكريا ويحيى وعيسى - عليهم السلام - وأخبار هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - مبسوطة فى القرآن الكريم[2] وحديث الرسول محمد - ﷺ - والمصادر الإسلامية الأخرى[3] .

وتعرض لنا المصادر ، صورة لانحرافات بنى إسرائيل عن الإسلام ، وقد

---

(١) لا علاقة - كما قلنا - بين إسرائيل ، النبى المسلم - عليه السلام -، وإسرائيل الحالية ، فهو تشابه فى الأسماء فقط .

(٢) مريم : ١ - ١٥ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ١١٠ - ١١٤ ؛ آل عمران : ٣٧ - ٤١ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ ؛ الأنعام : آية ٨٥ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ الأنبياء : ٨٨ - ٩٠ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ١١٠ ؛ مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، صحيح أبى عبد الله البخارى .

(٣) تاريخ الرسل والملوك للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، البداية والنهاية ، للإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير ؛ أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام .

اتسعت زاوية انفراجها ، فكانوا يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ، وكانوا يسفكون دماء بعضهم البعض ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ولا يتناهون عن فعل المنكرات ومع ذلك فقد تغمدهم الله برحمته عسى أن يعودوا إلى ربهم وإسلامهم ، ومن هذه الرحمات بعثة عيسى[1] - عليه السلام - (منتصف القرن الأول الميلادى) فى بنى إسرائيل على أرض فلسطين ، حول المسجد الأقصى..

وكان بَيْت المقدس وكذلك أرض الشام كلها قد وقعت فى قبضة الاحتلال الرومى منذ عام ٦٤ و٦٣ ق . م .

وهكذا نلاحظ أن أرض فلسطين ، لم تتعرض للغصب فى القرن الثالث عشر الهجرى فقط ، بل إنها وأرض سورية كانت مبتلاة بالغزو الأجنبى منذ زمن بعيد ، ولعل حدوث ذلك الغزو كان نتيجة لانحراف أهل تلك البلاد من المسلمين ، فكان لابد وأن تعمل فيهم سنة من سنن الله الكونية الثابتة : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا ، وعذَّبْنَاها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها ، وكان عاقبة أمرها خُسْرًا ﴾[2] ...

ولعله من باب تسليط الله الظالمين على الظالمين : ﴿ وكذلك نُوَلِّى بعضَ الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾[3].

* * *

---

(١) آل عمران : ٣٣ - ٣٧ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ؛ آل عمران : ٤٤ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ ؛ آل عمران : ٤٥ - ٥١ ؛ مريم : ١٦ - ٣٧ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ١١٤ - ١٢١ ؛ المائدة : ١١٠ - ١١١ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ؛ آل عمران : ٤٨ - ٥٤ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ؛ الصف : ٦ - ٨ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ الأعراف : ١٥٧ ؛ الصف : ١٤ ؛ تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٣٦٢ ؛ آل عمران : ٥٥ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ ، المائدة : ١١٢ - ١١٥ ؛ تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) الطلاق : ٨ - ٩ .

(٣) الأنعام : ١٢٩ .

بعثـــة

عيســى عليــه الســلام

على أرض الشـــام

ولد عيسى - عليه السلام - وبعث على الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، والتى إليها نجى الله جده إبراهيم عليه السلام ، والتى عليها درج إسحاق ويعقوب وداود وسليمان - عليهم السلام -.

وقد بعثه الله إلى قومه ، الذين كان الشيطان قد نجح فى اجتيالهم عن دينهم : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم ﴾(١) .

وعيسى - عليه السلام - نبى مسلم ، وإلى الإسلام دعا : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون ﴾(٢) .

وفى الحديث عن رسول الله محمد - ﷺ -: « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد »(٣) .

وقد بعث عيسى - عليه السلام - على أرض الشام وكان الروم

---

(١) المائدة : ١١٧ .
(٢) آل عمران : ٥٢ .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(الأوربيون) قد اغتصبوها قبل بعثة محمد - ﷺ - بسبع وسبعين عاما وستمائة[1] .

لقد كانت الفرصة متاحة لأهل الشام بعد بعثة عيسى - عليه السلام - لكى يعودوا إلى الله - عز وجل -، ويعلنوا توبتهم وإنابتهم وإيمانهم برسول الله عيسى - عليه السلام - واستسلامهم الكامل لله رب العالمين .

ولكنهم أصروا على ذنوبهم ومعاصيهم ، وعلى موقفهم المعادى لأصحاب الرسالات ، متعاونين فى ذلك مع المغتصب الأجنبى ، ممثلا فى دولة الروم التى كانت تحتل الشام كلها بما فى ذلك بيت المقدس[2] .

معالم بارزة ترسيها سيرة عيسى - عليه السلام - على أرض الشام فى ظل الاحتلال الأوربى (الرومى) :

إن المستعرض لأحوال المجتمع الشامى قبل بعثة عيسى - عليه السلام - يرى عجبا ، يرى ذرارى المسلمين الذين يزعمون أنهم ينتسبون إلى إبراهيم - عليه السلام - وقد كفروا بالله - عز وجل -، ومرقوا من دين الله ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتفشت فيهم الموبقات والكبائر من أكل للربا ، ومن شرب للخمر ، ومن انتهاك للأعراض ، وقتل للأنبياء والرسل ، والدعاة إلى دين الله عز وجل ، رغم تَعَهُّدهم بالنبوات على مدار تاريخهم ، رحمة من الله بهم .

ولذلك كان لابد - وهذا بإرادة الله - أن تجرى عليهم سنن الله سبحانه وتعالى ، ومنها تسليط الظالمين عليهم .

ويدخل فى هؤلاء الظالمين المغتصبون الآشوريون والكلدانيون والفرس

---

(١) انظر : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام .

(٢) والمكر الذى مكره اليهود الذين لم يؤمنوا برسولهم عيسى - عليه السلام - مكر طويل عريض فقذفوه - عليه السلام - وأمه الطاهرة : أمه مع يوسف النجار خطيبها الذى لم يدخل بها كما تذكر الأناجيل ، وقد اتهموه بالكذب والشعوذة ، ووشو إلى الحاكم الرومى (بيلاطس) وادعوا أنه مهيج يدعو الجماهير للإنقضاض على الحكومة ، وأنه مشعوذ يفسد عقيدة الجماهير ، حتى سلم لهم (بيلاطس) بأن يتولوا عقابه بأيديهم ، لأنه لم يجرؤ - وهو وثنى - على احتمال تبعة هذا الإثم مع رجل لم يجد عليه ريبة . (تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ٥٩٣) .

واليونان الذين اغتصبوا بلاد الشام على فترات طويلة من تاريخها[1] .

ولكن مع هذا الانحراف ، فإن رحمة الله قد تداركت سكان المجتمع الشامى ، فبعث الله – سبحانه وتعالى – فيهم عيسى – عليه السلام – يدعوهم إلى :

- إفراد الله وحده بالعبادة والكفر بالطاغوت .
- إخضاع الحياة لنظام الله وشرعه .

ولكن سكان المجتمع الشامى ، رفضوا التحرر ، من ربقة الطاغوت (ممثلا فى الحكام الروم وأنظمتهم وقوانينهم) وإفراد الله وحده بالعبادة .

أى أنهم استمرأوا العيش فى ظل الاحتلال الرومى ، الذى انتهك حرماتهم ، واستخدمهم فى تحقيق مآربه ورغباته ، ورفضوا دعوة نبيهم عيسى – عليه السلام –، بل إنهم شوهوا سمعته ، واتهموا أمه بيوسف النجار ، لا بل اتهموه نفسه بالكذب والشعوذة[2] .

فلا كرامة لنبى فى وطنه !!

ووفاءً للمغتصب ، وعداءً وحقدا على أحد أبناء أمتهم الذى ابتعثه الله ليحررهم من العبودية للعباد ، ويجعلهم عبيدا لله الواحد القهار ، تولى المنحرفون من بنى إسرائيل – عليه السلام – مهمة القضاء على صاحب الرسالة (ولكن الله نجاه) وأعوانه الذين أسلموا لله رب العالمين .

وبهذا العمل ، مهد أعداء الإسلام لاستمرار اغتصاب الروم لأرض الشام ،

---

(١) وهذا هو واقع المجتمع الشامى الآن ، الذى تلسط عليه أصحاب العقائد الفاسدة ، النصيريون والدروز والمارون (الكتائب) والقوميون والبعثيون وغيرهم .

وصدق رسول الله ﷺ : « إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم » .. ففساد أهل الشام علامة على فساد هذه الأمة كلها . وهذا هو واقع الأمة فعلا ، لقد تسلط عليها الأعداء وأعوانهم وعملاؤهم .

(٢) ما أشبه اليوم بالبارحة ، فأبناء الأرض المحتلة من الدروز والنصيرية والمارون (الكتائب) والقوميين والبعثيين ، يتآمرون مع المغتصب اليهودى للقضاء على كل صوت يدعو إلى تحرير الإنسان من استعباد الأجنبى الدخيل ، وتحرير الأرض التى بارك الله فيها للعالمين وإقامة حكم الله عليها .

أى أن أبناء الوطن هم الذين حملوا عن المغتصب الدخيل عبء القضاء على كل صوت يرتفع بتحرير الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وإقامة حكم الله عليها .

وهذا هو الواقع الآن ، إن الكثيرين من أبناء الوطن العربى هم الذين مهدوا لاغتصاب اليهود لأرض فلسطين ، وهم الذين يحمون وجودهم ، وهم الذين يتولون القضاء على كل محاولة لإنهاء الهجمة اليهودية الشرسة على الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وعلى الأرض الإسلامية .

ولقد كان الجزاء من جنس العمل ، لقد عاقب الله أهل الأرض المحتلة باستمرار تسلط الروم الظالمين عليهم لمدة خمسة قرون أخرى أو يزيد ، بعد محاولة قتل نبى الله عيسى – عليه السلام – واستئصال شأفة الإسلام .

وهنا نتساءل : إذا كان أهل الأرض المحتلة قد تواطأوا مع العدو المغتصب ، وعاونوه فى القضاء على المقاومة الإسلامية ، إذن مَنْ الذى حرر هذه الأرض المباركة ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

والإجابة نتلقاها فى الفصل القادم بإذن الله .

وكعادة بنى إسرائيل ، فقد حاولوا قتل رسولهم عيسى – عليه السلام – فرفعه الله إليه ، وانتقم الله منهم بأن سلط عليهم (تيتوس) بن الإمبراطور فسبسيان ملك رومية ، فغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى – عليه السلام – بأربعين سنة . فقتل مَنْ فى بيت المقدس ، وسبى ذراريهم وأمر بالمدينة فنقضت أحجارها ، حتى لم يترك بها حجرا على حجر[1] .

وظلت أرض الشام بما فى ذلك بيت المقدس ، فى قبضة المحتل الأوروبى (الرومى) حتى قيض الله لها الأمة المسلمة بقيادة رسول الله محمد – ﷺ – وصحبه – رضوان الله عليهم –.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ٥٨١ .

الفصـــل الثانـــي

الجـــزء الأول

أرض الشـــام

بعد بعثة محمد - ﷺ -

وعلى عهد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهـم -

- الله ينتدب محمدا - ﷺ - وصحبه من المسلمين لاستنقاذ الأرض المباركة من أيدى الطغاة الأوروبيين (الروم) .

- صحابة رسول الله - ﷺ - يقيمون حكم الإسلام على أرض الشام .

ظلت بلاد الشام[1] فى قبضة الاحتلال الأوروبى (الرومى)[2] لمدة سبعة قرون ، منذ عام ٦٣ ق . م وحتى عام ١٣ هـ .

وفى عام ٦١٣ م بعث رسول الله محمد - ﷺ - وقبل الهجرة بسنوات أسرى به من مكة إلى مسجد الأقصى (بيت المقدس) ، ومنها عرج به إلى السماء[3] .

ولأهمية هذه الحادثة الضخمة سجلها الله سبحانه وتعالى فى القرآن

---

(١) روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - أنه قال : « يقول الله تعالى يا شام أنت صفوتى من بلادى ، وأنا سائق إليك صفوتى من عبادى » ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٠ ، ص ٢١٢ .

(٢) وتسميهم المصادر الأجنبية باسم البيزنطيين وتطلق عليهم المصادر العربية (الفرنجة) (البداية والنهاية ، جـ ١٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٤ - ٢١٢ .

الكريم : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنَّه هو السميع البصير ﴾[(١)] .

والمسجد الأقصى كما بين الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير ، (هو بيت المقدس الذى بإيلياء ، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل – عليه السلام –، ولهذا جمعوا له (لرسول الله محمد – ﷺ –) هناك كلهم فأمهم فى محلتهم ودارهم ، فدل على أنَّه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدم – صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين –.

وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة ما يؤكد « أنه – أى رسول الله محمد – ﷺ – اجتمع بالأنبياء فى السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيا وهم معه ، وصلى بهم فيه »[(٢)] .

فهل هذا كان توجيها من الله عز وجل لمحمد – ﷺ – وأمته المسلمة أن أرض الشام مسئوليتكم ، وهى ميراثكم عن بنى إسرائيل !!.. وأنه لابد من تحمل مسئولية القيادة والسعى إلى تحريرها وبيت المقدس من أيدى الأوروبيين (الروم) الذين احتلوها منذ سبعة قرون ، وإقامة حكم الله عليها ؟؟

إن توجيهات رسول الله ﷺ ، وما وقع من أحداث بعد الإسراء والمعراج تؤكد هذا :

(أ) توجيهات رسول الله محمد – ﷺ – :

١ – « عليكم بالشام فإنَّها صفوة بلاد الله ، يسكنها خيرته من خلقه ، فمن أبى فليلحق بيمنه ، وليُسْقَ من غُدُرِه ، فإن الله تكفل لى بالشام وأهله »[(٣)] .

٢ – « الشام أرض المحشر والمنشر »[(٤)] .

---

(١) الإسراء : ١ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٢ وما بعدها .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) حديث رقم ٣٩٤٨ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الدين الألبانى ، المجلد الرابع ، المكتب الإسلامى ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤٨ ، رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) المصدر السابق ، حديث ٣٦٢٠ .

٣ – « عقر دار الإسلام بالشام »[١] .

٤ – « طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه »[٢] .

٥ – « صفوة الله من أرضه الشام ، وفيها صفوته من خلقه وعباده ، وليدخلن الجنة من أمتى ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب »[٣] .

٦ – « يا معاذ ، إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى ، من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو فى جهاد إلى يوم القيامة »[٤] .

أحداث بعد الإسراء برسول الله محمد – ﷺ – تقوى هذا الافتراض :

(ب) غزوة مؤتة[٥] :

ففى عام ثمان من الهجرة وجه رسول الله محمد – ﷺ – سرية زيد ابن حارثة فى نحو ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أطراف الشام .

ومضت السرية حتى نزلت معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل (قيصر الروم) قد نزل أرض مآب ، وانضم إليه خمسون ألف من العرب (لخم وجذام والقين وبهراء وبَلَى) .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا :

---

(١) رواه أحمد فى مسنده والنسائى .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه . وأحمد فى مسنده ، المصدر السابق ، حديث رقم ٣٨١٥ .

(٣) المصدر السابق ، حديث رقم ٣٦٥٩ .

(٤) رواه معاذ ، أخرجه القاضى مجير الدين الحنبلى المقدسى ، فى الأنس الجليل ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

(٥) وهى التى يطلق عليها كتاب السير غزوة مؤتة : (السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ – ٧٧٤ هـ) جـ ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٣ هـ ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٨ – ٤٧٨ .

نكتب إلى رسول الله - ﷺ - نخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون ، الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطِلقُوا ، فإنّما هى إحدى الحسنيين[1] : إما ظهور وإما شهادة ..

وقتل قائد السرية (زيد بن حارثة) ، وقتل القائد الثانى (جعفر بن أبى طالب) وهو يقول :

يا حبَّذا الجنة واقترابها طيبة وباردٌ شرابُها
والرومْ رَوْم قد دنا عذابُها (كافرة بعيدة أنسابها)
علىّ إنْ لاقيتُها ضِرَابُها[2]

وقتل القائد الثالث عبد الله بن رواحة وهو يقول :

يا نفس إن لا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هديت

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد الذى دعا له رسول الله محمد - ﷺ - : « اللهم إنّه سيف من سيوفك ، أنت تنصره »[3] .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يهزم جموع الروم والعرب الذين معهم ، ليُرسِى الله سبحانه وتعالى بهم معلما ضخما فى حياة الأمة المسلمة :

---

(١) أليست هى نفس كلمة المؤمنين المجاهدين على أبواب بيت المقدس ، التى سجلها الله وهم يواجهون طالوت ﴿ قال الذين يخافون الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ وكأنما أراد صحابة رسول الله ﷺ أن يتركوا معلما بارزا للأمة المسلمة ، وهو أن الغلبة لأصحاب هذا الدين (الإسلام) . وليست العبرة بالعدد ولا بالقوة ولا بالكثرة ، إنما العدة (الإيمان) .

وما أحرى الذين يخافون وترتعد فرائصهم فرقا من إسرائيل أو من أمريكا وروسيا وغيرهم ، أن يتملوا ما جاء فى توجيهات صحابة رسول الله ﷺ ، ومواقفهم لكى يتخلوا عن خوفهم واعتمادهم على عدوهم ، ويعودوا إلى ربهم وإسلامهم وجهادهم لتحرير الأرض التى بارك الله فيها للعالمين .

(٢) السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ .

(٣) السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ ، بها تنوخ وبهراء .

١ – أن الغلبة للإيمان مهما قلت عدته ، وصغر عدد حملته ..

٢ – أن الهزيمة للكفر وأهله مهما كثر عدد أفراده وكثرت عدتهم .

٣ – أن الذى تولى قيادة الجيش بعد استشهاد أمرائه الثلاثة هو خالد ابن الوليد – رضى الله عنه وأرضاه –، وهو قائد الجيوش الإسلامية فى معركة اليرموك ، فهل كان هذا مصادفة ؟ أم أنه تقدير العزيز العليم ؟؟

فهو الذى قدر الله على يديه هزيمة الأوروبيين (الروم) وخروجهم من بلاد الشام .

٤ – أن مغتصبى أرض الشام من الأوروبيين (الروم) لم يكونوا يواجهون المسلمين وحدهم ، بل كان متحالفاً معهم عددٌ كبير من نصارى الشام العرب[١] ، وهذا الموقف هو نفس الموقف الذى يتكرر الآن ، فالعدو اليهودى وأبناء أوروبا يتحالف معهم ضد المسلمين النصارى (المارون العرب) ، والدروز العرب ، والشيعة العرب ، والنصيريون العرب ، إلى آخر هؤلاء من أعداء الإسلام ، وللأسف فإن الأمة لا تستفيد من توجيهات ربها ورسولها ، بل ولا تتعظ من تاريخها ، فلا زال يعيش بيننا حتى الآن من يضع يده فى أيدى هؤلاء الذين لا يريدون أن ترتفع للإسلام راية .

– أن مهاجمة الأعداء خير وسيلة للكسب والنصر ، وهذا ما فعله رسول الله – ﷺ – وصحبه – رضوان الله عليهم –، أن هذه الغزوة كانت بمثابة الطلقة الأولى التى أطلقها رسول الله محمد – ﷺ – لتوجيه نظر الصحابة – رضوان الله عليهم –؛ لتحرير هذه الأرض المباركة من أيدى طواغيت الأوروبيين (الروم) ومن شايعهم .

(ج) غزوة تبوك :

« وفى سنة تسع من الهجرة ، فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحيث طابت الثمار .. أمر رسول الله محمد – ﷺ – أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وخرج رسول الله – ﷺ – فى ثلاثين ألف من أصحابه –

(١) السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ .

رضوان الله عليهم -، ولما انتهوا إلى تبوك ، أتاهم يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله - ﷺ - وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جَرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله - ﷺ - كتابا » .

« فأقام رسول الله - ﷺ - بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة بعد أن هرب الروم من وجهه »[1] .

وكانت هذه الغزوة تأكيدا لغزوة مؤتة وبيانا عمليا منه - ﷺ -، أنه لا يجوز أن يكون هنالك مسلمون موحدون يعيشون على سطح الأرض ، وتكون أرض الشام محتلة بكفار يعيثون فى الأرض فسادا ، ويحكمون بغير شرع الله .

(د) حملة أسامة بن زيد - رضى الله عنه -:

وقبل أن يُتَوَفَّى الرسول - ﷺ - عقد اللواء لجيش بقيادة أسامة ابن زيد ، وأمره بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام ، حيث قتل زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، فَيَعْتَزُّوا على تلك الأراضى .

ولعل فى هذا إشارة من الرسول - ﷺ - إلى صحابته من بعده ، أن ما بدأه لابد أن يستمر ، وأنه لابد من مواصلة الجهاد فى سبيل الله حتى يسقط طواغيت الروم ، وتتحرر بلاد الشام - بما فى ذلك بيت المقدس - من ربقة الاحتلال الأوروبى ومن شايعهُ من أبناء العرب المشركين .

ووعى أبو بكر الصديق رضى الله عنه توجيه رسول الله - ﷺ -، وأصر عليه ، فحينما أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم ، امتنع الصديق - رضى الله عنه - من ذلك ، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة وقال : (والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله - ﷺ -) .

« ووصل أسامة وجيشه إلى تخوم البلقاء ، فأقاموا أربعين - ويقال : سبعين - يوما ، ثم أتوا سالمين . فكان خروج جيش أسامة فى ذلك الوقت من

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٣ وما بعدها .

أكبر المصالح والحالة تلك ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة من الهجرة »[1] .

(هـ) **أبو بكر الصديق – رضى الله عنه** – يوجه أربعة جيوش إلى بلاد الشام لتحريرها من الاحتلال الرومى ومن شايعه من العرب .

(و) **أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه** – يتسلم مفاتيح القدس .

وفى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وجه أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – أربعة[2] جيوش إلى بلاد الشام ، الأول بقيادة يزيد بن أبى سفيان ووجهته دمشق ، والثانى بقيادة أبى عبيدة بن الجراح وجعل له نيابة حمص ، وبعث عمرو ابن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين ، ثم تبعه جيش رابع بقيادة شرحبيل بن حسنة ، كما سير أبو بكر – رضى الله عنه – جيشا آخر بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد – رضى الله عنه –.

وفى سنة خمس عشرة من الهجرة حاصر الصحابى الجليل أبو عبيدة ابن الجراح – رضى الله عنه وأرضاه – بيت المقدس ، ووجه إلى أهلها الرسالة التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وبالرسول . أما بعد فأنا أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، فإن شهدتم بذلك ، حَرُمَتْ علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم ، وكنتم لنا إخوانا . وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون . وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم أشد حبا للموت منكم إلى شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنك إن شاء الله أبدا حتى أقتل مقاتليكم ، وأسبى ذراريكم » .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٠٤ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ٢ وما بعدها .

ولكن المغتصب الأجنبى رفض فى البداية معتمدا فى ذلك على بعض أبناء الأرض المحتلة ، فضيق عليهم أبو عبيدة – رضى الله عنه – حتى أجابوه إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فسار إليهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وصالح نصارى بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ، ثم دخلها ودخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله – ﷺ – ليلة الإسراء[1] ..

وهكذا بعد جهاد استمر سبع سنوات ، نجح صحابة رسول الله – ﷺ – والمسلمون فى تطهير بلاد الشام من رجس الاحتلال الأوروبى (الرومى) ومن عاونه من أبناء العرب المشركين بعد سبعة قرون من الاحتلال ، وفتح الله على المسلمين أغلب مدن الشام .

وفى هذا بيان ﴿ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

– أن الطريق لتحرير الأرض من حكم الطواغيت ومنهم طواغيت الروم والعرب المشركين ، هو الجهاد فى سبيل الله ، ولا طريق غيره .

– وأن الإيمان بالله عز وجل ، والانضباط مع أوامره ونظامه وشرعه ، هو الغالب فى أى معركة يقف فيها الحق والباطل وجها لوجه .

– وأن أهل الباطل من الأوروبيين الذين اغتصبوا الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، لم يغن عنهم جمعهم وعدتهم شيئا فى مواجهة المجاهدين المخلصين من جند الحق رغم قلة عدتهم وعددهم .

– أن أرض الشام قد تعرضت لاحتلال دام سبعة قرون كاملة ، رغما عن أنوف الجيل الجبان من أهلها ، واستمر ذلك حتى قيض الله للأمر محمدا وصحبه من المسلمين ، أى أن الجيل المؤهل لإنهاء الاغتصاب اليهودى الأوروبى لأرض الشام ، هو الجيل المسلم .

أى أن الجيل المؤهل لانهاء هذا الغصب اليهودى للأرض المباركة ، هو الجيل المسلم المجاهد ، كما بشر بذلك رسول الله – ﷺ –: « لا تقوم الساعة

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ٥٥ .

حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتَّى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرْقد فإنه من شجر اليهود »[1] .

الجـــزء الثـــانى

أولا : الدولة الإسلامية على عهد بنى أمية :

ظلت الشام أرضا إسلامية ، تحكم من عاصمة الخلافة فى دمشق حتى عام ١٣٢ هـ/٧١٢ م .

ثانيا : الدولة الإسلامية على عهد بنى العباس :

استمرت بلاد الشام – بما فى ذلك بيت المقدس – جزءا من أرض الإسلام حتى القرن الخامس الهجرى .



---

(١) صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٣٠٧٨/٧٣٠٤ .

الفصل الثالث

الجزء الأول

أوروبا تجهز حملات صليبية لإعادة اغتصاب الشام

إن أوروبا بعد خروجها من بلاد الشام فى القرن الأول الهجرى - ظلت تتحين الفرصة للعودة لاغتصاب تلك البلاد مرة أخرى ، وقد أتيحت لها الفرصة حينما ازداد الصراع بين المسلمين على السلطة ، وتفككت عرى الخلافة الإسلامية ، وتسلط الإسماعيلية والعبيديون (٢٩٦ - ٣٢٢ هـ) - الذين زعموا أنهم ينتسبون إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ والرسول منهم براء - على أرض أفريقية ومصر وبلاد الشام والرافدين ، فقتلوا العلماء وأفسدوا عقيدة أهل الشام ومصر وأهل الرافدين .

وكان على المغامرين وقطاع الطرق من أبناء أوروبا ، أن يتظاهروا فى غزوهم بأنهم أصحاب عقيدة ، وأن لهم مقدسات يرغبون فى استرجاعها فى أرض الشام .

ومن هنا غزوا ديار الشام وهم يحملون الصليب ، ويزعمون أنهم ورثة عيسى - عليه السلام - وأن القدس نصرانية ، وأن الأقصى فى الأصل كان كنيسة قد بناها الإمبراطور جستنيان للعذراء مريم[١] .

ولما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان فى سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، اغتصب الأوروبيون - لعنهم الله - بيت المقدس ، شرفه الله - وقتلوا

---

(١) حضارة العرب ، تأليف جوستاف لوبون ، ص ١٦٢ .

فى وسطه ما يزيد على سبعين ألفا[1] من المسلمين ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم .

لكن لن يفوتنا هنا أن نذكر أن أخطر ما تعرضت له بلاد الشام من غصب كان أثناء حكم العبيديين (الفاطميين)[2] لمصر وبلاد الشام ، ففى أثناء حكمهم كما يقول الإمام الحافظ ابن كثير : (كثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتغلب الفرنج « الأوروبيون » على سواحل الشام بكماله ، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس ، وصور ، وعكا وصيدا ، وبيروت ، وصفد ، وطرابلس ، وأنطاكية ، وجميع ما إلى ذلك ، إلى بلاد إياس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ، ورأس العين ، وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقا وأمما لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذرارى المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف)[3] .

ومن دراسة أسباب نجاح هذا الغزو والغصب لأرض الإسلام بالشام تبرز جملة أمور :

أن اغتصاب أوروبا لبلاد الشام فى بداية القرن الخامس الهجرى ، والانفراد بالمسلمين ، ومحاولة القضاء عليهم سبقه عدة أمور :

الأولى : زرع دولة شيعية مؤسسها يهودى أو مجوسى من سلمية (عبيد ؟؟ المهدى) ترفع شعار الإسلام ، بادعاء انتسابها إلى فاطمة بنت رسول الله محمد - ﷺ -[4] ، تهدف إلى عزل دول الشمال الأفريقى ، وخاصة مصر عن بقية بلاد الشام أثناء تعرضه للغزو الصليبى .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٦ ؛ الكامل فى التاريخ جـ ٨ ، ص ١٨٩ .

(٢) أول من قام منهم بالمغرب عبيد الله سنة ست وتسعين ومائتين ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٢٤ ، وانهارت دولتهم عام ٥٦٧ هـ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٧ : (الحكام الفاطميون كانوا من أنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، وظهر فى دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد ، وقتل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، ومؤسس دولتهم من أصل يهودى ، وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، بإذن الله) .

(٤) تاريخ الخلفاء ، ص ٤ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٧ .

الثانية : هذه الدولة كانت لها مراسلات وسفارات[1] مع الأوروبيين الصليبيين الذين عادوا لاغتصاب أرض الشام ومصر ، بل من الثابت أنها طلبت منهم المعاونة ضد نور الدين زنكى وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين .

الثالثة : أن حكام هذه الدولة حرصوا على هدم الخلافة العباسية ، التى كانت تحتاج إلى من يدعمها ويساندها ويأخذ بيدها بدلاً من الحرص على هدمها ، لأن الخلافة هى السياج الحامى بعد الله لبلاد المسلمين من كيد أعدائها .

الرابعة : ظهور الباطنية القرامطة[2] ، الذين يدعون انتسابهم إلى على بن أبى طالب – رضى الله عنه –، الذين عملوا على هدم الخلافة العباسية ، وإفساد عقيدة الأمة (مؤسسها أبو سعيد الجنابى رأس القرامطة) (سنة خمس وثمانين ومائتين) ، والعجيب أنهم قصدوا دمشق فى جحفل عظيم فقاتلهم نائبها فهزموه عدة مرات ، وكان ذلك بقيادة يحيى بن زكرويه بن بهرويه الذى ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، وقد كذب فى ذلك .

الخامسة : حرص حكام الدولة التى تسمى زورا وبهتانا بالدولة الفاطمية على إفساد عقيدة السلف ، عقيدة الأمة المسلمة ، ويدخل فى ذلك محاولة فرض المذهب الشيعى بالقوة على الأمة ، وقتل أهل السنة والجماعة ، وعلمائهم وفقهائهم ، وسب الخلفاء الراشدين ، وصحابة رسول الله – رضوان الله عليهم – على المنابر ، كما أن بعض حكامهم قد ادعوا الألوهية .

السادسة : عزل مسلمى مصر عن إخوانهم فى بلاد الشام والشمال

---

(١) أرسلوا سفارة إلى معسكر الصليبيين عند أنطاكيا عام ٤٩٢ هـ، عرضت عليهم اقتراحا يتضمن اقتسام أملاك السلاجقة (المسلمين) بالشام ، فيكون للصليبيين أنطاكيا وشمال الشام ويكون للفاطميين فلسطين ، وهكذا نرى الذين يدّعون انتسابهم إلى بنت رسول الله – ﷺ – يعادون إخوانهم فى الإسلام ويوالون أعداء الإسلام ضد إخوانهم ، ويساومونهم على بلاد المسلمين ، بدلا من أن يجاهدوهم (انظر ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق) ص ١٣٥ ؛ الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٨٦) .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٨١ ، ٨٥ .

الإفريقى ، وأثناء هذا العزل جرى القضاء على المقاومة الإسلامية ببلاد الشام والاستيلاء عليها .

وهذا هو الذى تكرر فى عصرنا ، فقد عزلت مصر عن العالم العربى والإسلامى ، وضرب الإسلام فيها وفى غيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وتفككت عرى البلاد العربية والإسلامية ، واختلف الحكام العرب ، وانشغل بعضهم ببعض فى الوقت الذى واصل اليهود فيه ضربهم لكل القوى العربية الإسلامية ، وتمزيق صفوفها ، لكى يحققوا هدفهم – لا مكنهم الله من ذلك – فى إقامة دولة يهودية عالمية تمتد بداية من النيل إلى الفرات ، لأنّهم يحلمون بما هو أكبر من ذلك ، إذ أنهم يحلمون بخيبر وبنى النضير وجنوب الجزيرة العربية .



الجـــزء الثانـــى

الله سبحانــه وتعالــى

يقيض آل زنكى بن آقسنقر (عماد الدين زنكى ، ونور الدين محمود) وآل أيوب (أسد الدين شيركوه ، ونجم الدين أيوب ، وصلاح الدين يوسف بن أيوب) وغيرهم لتحرير مصر وبلاد الشام من أيدى الغاصبين مع بداية القرن السادس الهجرى

لقد كانت الأمة المسلمة فى عافية من دينها ، رغم الفتن التى تعرضت لها ، ولهذا فإن إرادة الله شاءت أن لا تنقطع المقاومة الإسلامية للأوربيين المغتصبين ومن شايعهم من نصارى الشام والإسماعيلية والعبيديين والأرمن وغيرهم على مدار التاريخ .

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يقيض لهذه الغزوات الأوروبية الحاقدة والحركات الباطنية رجالا حملوا على عاتقهم مسئولية التصدى لها ، وتحرير بلاد الإسلام من قبضتها .

وأبرز هؤلاء الرجال :

عماد الدين زنكى بن آقسنقر[1] .

---

(١) الذى ولى أمر الموصل وحلب وغيرها من المدن الشامية والجزيرة منذ عام ثمان وثلاثين وخمسمائة . (انظر : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تأليف ابن الأثير ، والروضتين لأبى شامة ؛ والبداية والنهاية ، جـ ١٢) .

نور الدين محمود زنكى .

أسد الدين شيركوه .

نجم الدين أيوب .

صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ومما لا شك فيه أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد وفق هؤلاء القادة لإدراك خطورة الهجمة الأوروبية على بلاد المسلمين التى تستهدف الإسلام بالدرجة الأولى ، وتستهدف الأرض والثروة والعرض ، ولذلك فقد وفقوا أيضا – بفضل الله – لتنفيذ خطة لإنهاء هذه الهجمة الشرسة ، واستعادة ديار الإسلام ، بما فى ذلك بيت المقدس ، وإقامة حكم الله عليها .

هذه الخطة تعتمد على :

أولا : تحديد الأعداء الحقيقيين للأمة المسلمة الذين ساهموا فى تنفيذ مخططات الأعداء أو الذين وقفوا موقفا سلبيا من تنفيذها .

هؤلاء الأعداء هم :

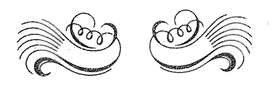
الأوربيون الذين كانوا يرفعون شعار الصليب ، يعاونهم النصارى والأرمن ، والإسماعيلية والدرزية والحشيشية والعبيدية ، وفئات من المسلمين تصورت أن السلامة فى اجتناب خوض الصراع ضد الأعداء ، واجتناب الانحياز إلى الفئة المسلمة المجاهدة ، وآثرت الحياة الذليلة ، وموقف المتفرج على العرض الإسلامى وهو ينتهك ، وأرض الإسلام وهى تتعرض للغصب ، ودين الله يحارب وينحى عن تسيير حياة بنى آدم .

ثانيا : توحيد مجموع الأمة المسلمة ، وتَجْديد الإيمان الصحيح فى قلوبهم ، وتربيتهم على حب الجهاد فى سبيل الله لإنهاء الهجمة الشرسة ، واستعادة بلاد الإسلام ، وإقامة حكم الله عليها .

ثالثا : الشد من أزر الخلافة العباسية ، ليظل علم الخلافة مرفوعا ، رمزاً لوحدة العالم الإسلامى ، ولأن الخلافة هى السياج الحامى للأمة الإسلامية .

رابعا : الجهاد والثبات والتضحية :

لقد أدرك هؤلاء القادة المسلمون بداية بعماد الدين زنكى ، أنه مع السعى لتحقيق الخطوة الثانية السابقة ، لابد من أخذ زمام المبادرة ضد تجمعات العدو بأرض الشام وغيرها ، وضربها ومحاولة إنهاكها حتى لا تكتسب موقعا ترسخ فيه وجودها لتنطلق منه إلى موقع آخر .



الجـــزء الثالـــث

« عماد الدين زنكى يجاهد أعداء الإسلام »

وهذا ما فعله عماد الدين زنكى ، الذى بدأ جهادا حقيقيا ضد الفرنج : (الصليبيين وأعوانهم) . ففى عام ٥٣٩ هـ استرجع عماد زنكى (الرها) وغيرها من حصون الجزيرة من أيدى الفرنج[١] ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وسبى نساء كثيرة وغنم أموالا جزيلة ، وأزال عن المسلمين كربا شديدا . وفى سنة ٥٤١ هـ سير جيشا إلى قلعة فنك وهى تجاور جزيرة ابن عمر . وفى عام ٥٤١ هـ قُتِلَ عماد الدين زنكى وهو يحاصر حصن جعبر (وهو مطل على الفرات) . يقول ابن الأثير : (جماعة من مماليكه قتلته غيلة)[٢] . وغالبا ، أن قتله كان مؤامرة قد دبرت بيد أعدائه وخاصة الباطنية الذين عرفوا بالاغتيالات للعناصر الإسلامية المجاهدة منذ القرن الثالث الهجرى ، وإن كان تاريخهم يرجع إلى قبل ذلك بزمن طويل .

---

(١) وكان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة (العراق وشمال شرق سورية حاليا) وشرهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم إلى أدانيها وأقاصيها ، وبلغ آمد ونصيبين ورأس العين والرقة ، وكانت قاعدتهم بهذه الديار من قرب ماردين إلى الفرات مثل : الرها وسروج والبيرة وسن ابن عطية وحملين والموزر والفرادى وغير ذلك . (الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٨ وما بعدها ؛ التاريخ الباهر ، ص ٦٦ - ٧٠ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢٧٥) .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ؛ الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٨ ، ١٢ ، ١٣ . يقول عنه الحافظ ابن كثير : (وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلا ، وكان شجاعا مقداما حازما ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرفقهم بالعامة) . ويقول عنه ابن الأثير : (كان شديد الهيبة على عسكره ورعيته ، عظيم السياسة ، لا يقدر القوى على ظلم الضعيف ، وكانت البلاد قبل أن يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج ، فعمرها وامتلأت أهلا وسكانا ، وكان أيضا شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد ، وكان =

الجـــزء الرابـــع

نور الدين محمود وسيف الدين غازى يحملان راية الجهاد بعد استشهاد والدهما عام ٥٤١ هـ[1]

يقول ابن الأثير : (لما قتل أتابك زنكى ، أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده[2] ، وكان حاضرا معه وسار إلى حلب فملكها)

= أشجع خلق الله أمّا قبل أن يملك فيكفيه أنه حصر مع الأمير مودود صاحب الموصل مدينة طبرية وهى للفرنج فوصلت طعنته باب البلد وأثرت فيه ، وحمل أيضا على قلعة عقر الحميدية وهى على جبل عال فوصلت طعنته إلى سورها إلى أشياء . وأما بعد الملك فقد كان الأعداء محدقين ببلاده وكلهم يقصدها ويريدون أخذها ، وهو لا يقنع بحفظها حتى أنه لا ينقضى عليه عام حتى يفتح من بلادهم (أى التى اغتصبها الفرنج) . فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره فى ناحية تكريت وقصد الموصل وحَصَرها، ثم إلى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ، ثم ابن سقمان صاحب خلاط ، ثم داود بن سقمان صاحب حصن كيفا ، ثم صاحب آمد وماردين ، ثم الفرنج من مجاورة ماردين إلى دمشق ، ثم أصحاب دمشق ، فهذه الولايات قد اختلطت بولايته من كل جهاتها ، فهو يقصد هذا مرة وهذا مرة ، ويأخذ من هذا ويصانع هذا إلى أن ملك من كل من يليه طرفا من بلاده) .

وهكذا يتبين للقارىء التفكك الذى كانت عليه الأمة المسلمة ، وكيف أن بعض حكام المسلمين قد انشغلوا بأنفسهم عن عدوهم . ويتبين أيضا صفات الجيل المجاهد لإنهاء العدوان الواقع على الأمة المسلمة ، ومنه القائد المسلم المجاهد الذى انطلق يجاهد ابتغاة مرضاة الله ، التاريخ الباهر ، ص ٧٤ ، ٧٦ – ٨٤ ؛ النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢٧٩ .

(١) وفى هذا العام اغتصب الفرنج طرابلس الغرب ، وهكذا نرى أن الهجمة الأوربية كانت تريد أن تمتلك العالم الإسلامى كله ، كما هى راغبة الآن .

(٢) هذا نموذج نقدمه لقادة المسلمين ، القائد عماد الدين زنكى رحمه الله تعالى لا يترك ابنه خلفه فى بيته إنه يحب له ما يحب لنفسه ، إنه يحب له أن يكون مجاهدا فى سبيل الله حتى لو أدى الأمر إلى استشهاده ، هذا نموذج نسوقه للقادة الذين يقبعون تحت الأرض وخلف الأسوار فى معارك أممهم مع الأعداء ، ويتركون جنودهم وضباطهم يواجهون قوات الأعداء ، بدلا من أن يتقدموا الصفوف ، ويسعون فى طلب الشهادة . (انظر : الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٣ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢١) .

وأما الولد الآخر وهو سيف الدين غازى فقد قام بالأمر بعد أبيه فى الموصل .

وحمل هذان الشابان مسئولية جهاد أعداء الإسلام بعد والدهما[١] ، وكانت لهما مواقع كثيرة مع الأعداء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

– عام ٥٤٢ هـ استعاد نور الدين محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج على السواحل .

– عام ٥٤٣ هـ لما حاصرت الفرنج وهم فى سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان فى خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل دمشق ، وعليها مجير الدين وأتابكه معين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول ، فخرج إليهم أهلها فاقتتلوا قتالاً شديدا ، وقتل من المسلمين فى أول يوم نحو من مائتى رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون واستمرت الحرب مدة ... واستغاث مجير الدين بنور الدين محمود صاحب حلب ، وبأخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل ، فقصداه سريعا فى نحو من سبعين ألف مقاتل ، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد ، فلحقهم الجيش ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجما غفيرا ، وقتلوا قسيسا معهم اسمه إلياس ، وهو الذى أغراهم بدمشق وقد قتل الفرنج خلقا كثيرا من أهل دمشق ، وممن قتلوا : الفقيه الكبير الملقب بحجة الدين يوسف ابن ذى باس الفندلاوى المغربى (شيخ المالكية بها) وكان شيخا كبيرا[٢] .

وهذه الواقعة تؤكد :

(أ) تعاون نصارى الشام مع المغتصب الأوربى الذى كان يتستر بستار الصليب .

---

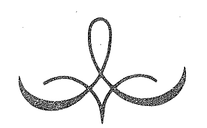
(١) وهذا يبين لنا ضرورة أن يعد القائد المسلم أبناءه وأبناء المسلمين للجهاد فى سبيل الله .

(٢) فلما رآه معين الدين – وهو راجل – قصده وسلم عليه وقال له : يا شيخ أنت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذب عن المسلمين . وسأله أن يعود فلم يفعل وقال له : قد بعت واشترى منى ، فوالله لا أقلته ولا استقلته . يعنى قول الله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ . وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب ، نحو نصف فرسخ عن دمشق . (الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٠ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٤) .

(ب) علو همة سيف الدين غازى ونور الدين محمود حينما لبيا نداء أخيهما مجير الدين .

(جـ) دور العلماء المجاهدين فى تحرير بلاد الشام .

(د) أن أبناء عماد الدين زنكى لم ينقطعوا عاما عن الجهاد فى سبيل الله .



الجـــزء الخامـــس

وفاة سيـــف الديـــن

نور الدين يواصل معارك التحرير

– عام ٥٤٤ هـ توفى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى صاحب الموصل ، وواصل نور الدين محمود جهوده لجمع شمل الأمة المسلمة التى كان يرى [1] بعض حكامها سلامتهم فى مداهنة الصليبيين ، وفى نفس الوقت واصل جهاده لإنهاء الهجمة الصليبية .

– وفى عام ٥٤٤ هـ غزا نور الدين محمود بن زنكى المنطقة التى كان يحتلها الصليبيون من ناحية أنطاكية[2] ، وقد حقق نصرا كبيرا وأكثر الشعراء مديح نور الدين وتهنئته بهذا الظفر .

(وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج أقبح هزيمة ، وقتل منهم جمع كثير ، وأسروا مثلهم ، وكان ممن قتل البرنس صاحب أنطاكية ، وكان عاتيا من عتاة الفرنج) .

وقد قال القيسرانى الكاتب قصيدة بهذه المناسبة ، أولها :

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٤ .

(٢) الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ؛ الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

* الدولة الأتابكية دولة إسلامية ظهرت فى النصف الغربى من دولة الخلافة العباسية أسسها قيِّم الدولة آقسنقر الحاجب بمدينة الموصل سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) وشملت فى عهد ابنه نور الدين محمود الموصل والجزيرة والشام ومصر واليمن ؛ الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

هذه العزائم لا ما تدعي القضب | وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم التى متى خطبت | تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صافحت يا بن عماد الدين ذروتها | براحة للمساعى دونها تعب
ما زال جدك يبنى كل شاهقة | حتى بنى قبة أوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة | فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة | أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
طهرت أرض الأعادى من دمائهم | طهارة كل سيف عندها جنب

– عام ٥٤٥ هـ يقول ابن الأثير : (فتح نور الدين محمود بن الشهيد زنكى حصن فاميا من الفرنج ، وهو مجاور شيزر وحماة على تل عال من أحصن القلاع وأمنعها)[١] .

– عام ٥٤٦ هـ واصل نور الدين محمود جهاده ، وأسر أحد شياطين الصليبيين وهو (جوسلين) الفرنجى ، وكان شيطانا عاتيا ، شديدا على المسلمين ، قاسى القلب ، ولَّما أُسِرَ سار نور الدين إلى قلاعه شمال حلب فملكها (وهى : تل باشر ، وعين تاب ، وإعزاز ، وتل خالد ، وقورس ، والراوندان وبرج الرصاص ، وحصن البارة ، وكفر سود)[٢] ..

وكان نور الدين محمود كلما فتح حصنا نقل إليه كل ما تحتاج الحصون خوفا من نكبة تلحق المسلمين من الفرنج ، فتكون بلادهم غير محتاجة إلى ما يمنعها من العدو »[٣] .

وواصل نور الدين محمود جهاده للصليبيين :

– ففى عام ٥٤٧ هـ اقتتل نور الدين مع الفرنج عند (دلوك) وهزم الفرنج ، وعاد نور الدين إلى دلوك فتملكها ، واستولى عليها . ومما قيل فى ذلك :

---

(١) الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٩ ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٢) الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٩ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٨ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٩ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٢٩ .

أعدت بعصرك هذا الانيـــق فتوح النبى وأعصارهـا
فواطأت يا حبذا أحد بهــا وأسررت من بدر أبدارها
وكان مهاجرها تابعــيك وأنصـــار رأيــــك
فجــددت إسلام سلمـانها وعمر جدك عمـــارهـا[1]

(١) الكامل : جـ ٩ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

الجـــزء الســـادس

نور الدين محمود يعيد دمشـق إلى الصف المسلم

– وفى عام (٥٤٩ هـ) تسع وأربعين وخمسمائة استرد نور الدين محمود ابن زنكى بن آقسنقر مدينة دمشق ، وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق ابن محمد بن بورى بن طغدكين أتابك وكان سبب حرصه على ملكها : أن الفرنج لما ملكوا فى العام الماضى عسقلان لم يكن لنور الدين طريق إلى إزعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان ، فلما ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق ، وكان لهم على أهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم ، فكان رسلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم . فلما رأى نور الدين ذلك خاف أن يملكها الفرنج ، فلا يبقى للمسلمين حينئذ بالشام مقام ، فأعمل الحيلة فى أخذها ، وتوجه نور الدين محمود إلى دمشق .

والعجيب أن مجير الدين (وهو عربى من عرب الشام) بعث رسالة إلى الفرنج ، يبذل لهم الأموال وتسليم قلعة بعلبك إليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه .

ورغم ذلك فقد نجح نور الدين فى أخذ دمشق[1] ؛ والعجيب أن ملوك الفرنج كتبوا إليه يهنئونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويخضعُون له[2] .

وهنا يبدو أمر هام ، وهو تعاون بعض أبناء الشام من أبناء العرب

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٤٥ – ٤٦ ، كما ملك فى نفس العام تل باشر وهى قبل دمشق وشمال حلب ، وفى عام اثنين وخمسين وخمسمائة ملك نور الدين بعلبك ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٧ . وملك حارم سنة خمس وخمسين وخمسمائة (ص ٨٦) وقلعة بانياس (ص ٨٧) ؛ التاريخ الباهر ، ص ٨٩ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٣٢ .

والمسلمين مع المغتصب الأجنبى حماية لوجوده ، فى مقابل بقائهم على كرسى السلطة ، وهذا هو واقع بلاد الشام الآن .

ويبدو أيضا واضحا أن مجاهدة هؤلاء الخونة المتعاونين مع الأعداء شرط أساسى وبداية الطريق لاستعادة أرض الإسلام المغتصبة .

معالم يرسيها نور الدين محمود عند إعادة دمشق إلى الصف المسلم :

- معالم يرسيها نور الدين محمود على طريق العودة إلى القدس ، من خلال تعامله مع القاعدين من أبناء المسلمين .

إنَّ من أقسى المواقف على نفس المسلم الحر الأبى ، أن يرى إخوةً له فى الإسلام يقفون موقفا سلبيا حيال إخوانهم الذين يجاهدون أعداء الإسلام وهذا أمر عقدى على جانب كبير من الأهمية ، لأنه من الواجب على المسلم نصرة أخيه المسلم ، فإذا قعد عن نصرته ، وتركه وحده يواجه أعداء الإسلام فقد تعرض لغضب الله - عز وجل -.

- تذكر كتب التاريخ ، أن مجير الدين أبق بن محمد بن بورى بن طغدكين كان يحكم دمشق أثناء الهجمات الصليبية على بلاد الشام ، ولم يكن لهذا الحاكم من الأمر شيء ، وإنما الحكم فى البلد لمعين الدين أنز مملوك جده طغدكين .

هذا الحاكم كان من الواجب عليه حيال هذه الهجمة الصليبية ، أن يسعى إلى دفعها بقدر ما يستطيع : ﴿ يا أيها الذين آمنوا : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[1] . أو على الأقل يضع يده فى يد إخوانه القادرين على دفع مثل هذا العدوان : ﴿ إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾[2] .

---

(١) الصف : ١٠ - ١١ .

(٢) الأنفال : ٧٢ .

– أو يسعى إلى إيجاد الصف القادر على مواجهة هذا العدوان : « فيد الله على الجماعة » « ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » .

ومن هنا نفهم أن مجير الدين ومقدم عساكره معين الدين ، كان من الواجب عليهما أن يمدا أيديهم إلى نور الدين وغيره من أبناء المسلمين الصادقين لمجاهدة الأعداء ، وهذه فريضة فى رقبة كل مسلم : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا ، فإن الله بما يعملون بصير ﴾[1] .

– إن الوحدة الإسلامية هنا ضرورة ، والعمل على تحقيقها ضرورى فى مواجهة هجمة أعداء الإسلام : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾[2] . أمر رباني وتشريع سماوى على كل مسلم بحسب استطاعته ، ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾[3] .

ولكن مجير الدين ومقدم عساكره ، آثرا الموقف السلبى ، وهو عدم التحرك لمجاهدة أعداء الإسلام وهم يرونهم ينتهكون العرض الإسلامى والأرض الإسلامية ، من منطلق إيثار السلامة ، ونسوا أن الأجل بيد الله ، وأنه لا يستطيع إنسان أن يؤذى الآخر ، أو ينفعه إلاّ بإذن الله ، والله علم البشر درسا : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم ﴾[*] . لقد نسى حاكم دمشق وأعوانه : أن الأعداء لا يطيقون أن يروا صوتا يرتفع بلا إله إلا الله ، وإن تركوا مهاجمته فذلك لفترة محدودة ، وأن الأعداء يخططون للإجهاز عليه ، بعد الإجهاز على بقية الأمة الإسلامية .

وقد كان ، ففى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة هاجم الصليبيون بقيادة ملك الألمان ، مدينة دمشق وحاصروها ، ثم إنهم زحفوا سادس ربيع الأول بفارسهم وراجلهم ، فخرج إليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم –

---

(١) الأنفال : ٣٩ .
(٢) التوبة : ٣٦ .
(٣) الصف : ٤ .
* البقرة : ٢٤٣ .

وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوى المغربى .

(وقوى الفرنج وضعف المسلمون ، فتقدم ملك الألمان حتى نزل بالميدان الأخضر ، فأيقن الناس بأنه يملك البلد) .

وهنا أدرك مجير الدين ومعين الدين أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، لقد أرسل معين الدين إلى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى يدعوه إلى نصرة المسلمين وكف العدو عنهم ، فلم يملك سيف الدين غازى إلا الاستجابة لنداء إخوانه فى الإسلام فجمع عساكره وسار إلى بلاد الشام ، واستصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب .

ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، يصحب معه أخاه ، ولم يقل يكفى أن أجاهد بنفسى وأستبقى أخى ؟ على العكس ، إنه يريد أن يحشد كل قوة ممكنة على طريق مجاهدة الأعداء وتحرير المسلمين ، يريد أن يغنم أخوه شرف الجهاد فى سبيل الله ، إنهم كانوا يتطلعون إلى جنة عرضها السموات والأرض .

لله دركم يا أبناء العماد ، رحمكم الله ونفع الله بسيرتكم العطرة المسلمين .

« فنزلوا بمدينة حمص ، وأرسل إلى معين الدين يقول له : قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح من بلادى » .

يا لله ، إنه النفير العام إذن ، لأن المستهدف هو الإسلام .

(فأريد أن يكون نوابى بمدينة دمشق لأحضر وألقى الفرنج ، فإن انهزمت دخلت أنا وعسكرى البلد واحتمينا ، وإن ظفرنا فالبلد لكم ، لا أنازعكم فيه) .

ماذا كان رد معين الدين حيال هذه الخطة العسكرية التى يحتمها الموقف ؟ وإذ لم تكن خطة ، أنت استغثت بإنسان فأجابك ، فمن الواجب عليك عند

وصوله أن ترحب به ، وتنزله المنزل الكريم الذى يليق به كإنسان أجابك فى وقت شدة .

ولكن ما حدث من معين الدين ، شيء يدعو إلى العجب ؟؟

لقد أوصد معين الدين ومجير الدين أبواب دمشق أمام سيف الدين غازى ونور الدين محمود ، والأنكى من ذلك أنه أرسل رسالة إلى الفرنج (يتهددهم إن لم يرحلوا عن البلد) بسيف الدين ونور الدين . فرجع (الفرنج خوفا من كثرة الجراح ، وربما اضطروا إلى قتال سيف الدين فأبقوا على نفوسهم) . هذه الأولى !!...

الثانية : لقد أرسل معين الدين إلى الفرنج الغرباء يقول لهم : (إن ملك الشرق - يقصد سيف الدين - قد حضر ، فإن رحلتم وإلا سلمت البلد إليه ، وحينئذ تندمون) .. (وأرسل إلى فرنج الشام يقول لهم : بأى عقل تساعدون هؤلاء علينا ؟ وأنتم تعلمون أنهم إن ملكوا دمشق أخذوا ما بين أيديكم من البلاد الساحلية ، وأما أنا فإن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته إلى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه إن ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام فى الشام ، فأجابوه إلى التخلى عن ملك الألمان ، وبذل لهم تسليم حصن بانياس إليهم)[1] .

لا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد وقع معين الدين بهذا التصرف فى عديد من الأخطاء :

أولا : أنه ترك إخوانه المسلمين خارج دمشق يواجهون مؤامرات الأعداء .

ثانيا : أنه أفشى أسرار جيش إخوانه فى الإسلام ، حينما أعلم الأعداء أنه لن يسمح لهم بدخول دمشق إلا إذا اضطر أن يحارب الفرنج ويثبت عجزه عن دفعهم .

ثالثا : أنه بذل النصيحة لأعداء الإسلام ، وكان من الواجب عليه أن

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٠ - ٢١ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

يجتمع بإخوانه الذين تداعوا لنصرته ، ويخططون لمجاهدة الأعداء قبل أن ينجحوا فى ترسيخ وجودهم بأرض الإسلام .

رابعا : أنه أسلم إخوانه الذين جاءوا لنصرته .

خامسا : أنه بذل أرض المسلمين لأعدائهم حينما أعطاهم بانياس ، وهذه جريمة كبرى .

وهنا نتساءل ما هو موقف المخلصين من المسلمين ؟ ما هو موقف سيف الدين غازى ونور الدين محمود ؟ هل يتركون إخوانهم سادرين فى غيهم دون أن ينبهوهم ؟ هل يتركونهم وشأنهم ؟ أم يضربوا الصفح عنهم ؟...

الواقع أنهم لا يملكون شيئا من ذلك مطلقا ؟ إن الأمر أمر شريعة الله ، إنه أمر هذا الدين ؟ « كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم »[1] لقد أدرك سيف الدين غازى ونور الدين محمود قول رسول الله ﷺ : « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »[2] .

ولكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر درجات ومع إخوة الإسلام له أساليب شرعية عديدة ، لابد من اتباعها ، لابد من التنبيه أولا إلى مغبة التعاون مع أعداء الإسلام ، والوقوف موقف المتفرج على الدين وهو يمتهن ، وعلى العرض الإسلامى وهو ينتهك .

ففى سنة ٥٤٩ هـ وجه نور الدين محمود رسالة إلى مجير الدين حاكم دمشق وإخوانه : (إننى ما قصدت بنزولى هذا المنزل طالبا لمحاربتكم ، وإنما دعانى إلى هذا الأمر شكاية المسلمين : بأن الفلاحين أخذت أموالهم وشتت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج وانعدام الناصر لهم ، فلا يسعنى مع ما أعطانى الله – وله الحمد – من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ،

---

(١) جزء من حديث لرسول الله ﷺ ، رواه أبو داود والترمذى . وقال : حديث حسن .

(٢) جزء من حديث لرسول الله ﷺ ، رواه البخارى .

ولا يحل لى القعود عنهم والانتصار لهم ، مع معرفتى بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها ، والتقصير الذى دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج على محاربتى ، وبذلتم لهم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلما لهم وتعديا عليهم ، وهذا ما لا يرضى الله تعالى ولا أحدا من المسلمين)[1] .

لله درك يا نور الدين محمود ، لله درك يا ابن العماد .. ليت أبناء المسلمين يقرأون فيتعلموا ..

وهنا نرى لزاما علينا أن نقف قليلا عند فحوى هذه الرسالة :

إنها كلمات قلب مكلوم ، يرى الفرنج يتداعون على المسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وأولو الأمر يقفون مكتوفى الأيدى ، فلا يذبون عن أمتهم ، ولا يدافعون عن رعيتهم ، بل ويصل الأمر إلى أنهم يبذلون أموال المسلمين لأعداء الإسلام ، مع أنه لا يجوز إعطاء الكافرين أموال المسلمين وأرضهم ؛ فكان لابد وأن يتحرك الأبرار الشرفاء .

إن نور الدين محمود رحمه الله يبدو فى هذه الرسالة غير حريص على قتال إخوانه فى الإسلام ، وأن الذى دفعه إلى الخروج والنزول حول دمشق ، هو إغاثة المسلمين المكلومين الذين ابتلوا بالفرنج ، ولا طاقة لهم فى دفعهم – مع قعود مجير الدين صاحب دمشق ، وصاحبه معين الدين عن نصرتهم – ابتغاء مرضاة الله ، وقيام بواجب عجز حكام دمشق عن القيام به ، كما أنه لا يحل لمسلم أعطاه الله القدرة على نصرة المسلمين وجهاد أعدائهم ، ولا ينصرهم .

وفى هذه الرسالة يرسى نور الدين معالم على طريق التحرير ، لعل حكام المسلمين يعون ما فيها ، حينما يذكر أن التمكين فى الأرض نعمة ، وكثرة المال ، وكثرة الرجال نعمة ، تستحق الشكر لله عز وجل ، وتوظيفها فى طاعة الله عز وجل ، أى لابد هنا من توظيفها فى الجهاد فى سبيل الله ، ولا يحل لمسلم أعطاه الله هذه النعم أن يقعد عن نصرة إخوانه فى الإسلام ومجاهدة الأعداء .

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ، الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٥ .

لهذا قرر نور الدين محمود أن يهب لنجدة إخوانه سكان دمشق ، لا أقول حكام دمشق ، إنما القاعدة العريضة من أهل دمشق ، الذين لجأوا إلى الحاكم المسلم نور الدين بعدما تبين لهم أن زعيمهم حاكم دمشق خائن ، ويتعاون مع الأعداء ضدهم ، حفاظا على كرسيه .

وذلك يعنى أيضا : أنه إذا اتضح خيانة أحد زعماء المسلمين لدينه وقضايا أمته ، وعجز عن حفظ ديار الإسلام والذب عنها ، فعلى القادرين من المسلمين الشرفاء الأتقياء عتابه ورده ، وإن لم يرتدع وجب عزله .

وفى نفس الوقت وجه نور الدين محمود رسالة إلى شعب دمشق المسلم يطلب منه :

الثبات والصبر والتضحية والمرابطة فى مواجهة الفرنج ، ويطلب منهم التعاون معه لإسقاط حاكم دمشق الظالم ، وعدم بذل الأموال[1] للفرنج ، أو التعامل معهم .

ثم توجه نور الدين محمود بعد ذلك لحصار دمشق ، وكان ذلك سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، لمدة عشرة أيام ، ولم يقم بمهاجمتها تحرجا من قتل المسلمين ، وقال : (لا حاجة إلى قتل المسلمين بأيدى بعضهم بعضا ، وأنا أرفههم ليكون بذل نفوسهم فى مجاهدة المشركين[2] . فهو يعلم جيدا أن الأمة إذا قتلت نفسها سهلت على العدو ، وإذا قدرت على حماية دمها بذلته رخيصا فى مجاهدة هذا العدو ... ومن ثم كانت عادة نور الدين كما يقول أبو شامة : (أنه لا يقصد ولاية أحد من المسلمين إلاّ ضرورة ، إما ليستعين على قتال الفرنج ، أو للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما[3] . لقد كان الدم : « عنده عظيما » كما يقول ابن الأثير : « لما جبل عليه من الرأفة والرحمة والعدل »)[4] .

---

(١) (فقد كان مجير الدين حاكم دمشق يسمح لرسل الفرنج أن يدخلوا إلى دمشق ويأخذوا الإتاوات من الرعية) . الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٥ – ٤٦ .

(٢) نور الدين محمود ، الرجل والتجربة ، ص ١٧ .

(٣) كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٤٤ . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٥ – ٣١٦ .

(٤) التاريخ الباهر ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ الروضتين ، ج ١ ، ص ٥ ، ٢٩٥ .

ماذا فعل مجير الدين حاكم دمشق ؟

لقد أصر على أن يباشر الخيانة مرة أخرى ، (لقد أرسل إلى الفرنج يبذل لهم الأموال وتسليم قلعة بعلبك إليهم لينجدوه ، ويرحلوا نور الدين عنه ، فشرعوا فى جمع فارسهم وراجلهم ليرحلوا نور الدين عن البلد) .

هذا هو موقف حاكم دمشق .

أما الشعب فقد كان له شأن آخر :

لقد استجاب أهل دمشق المسلمين لنداء نور الدين محمود ، وقاموا بفتح أبواب دمشق (الباب الشرقى) رغما عن أنف زعيمهم ، أمام قوات الحاكم المسلم المجاهد نور الدين ، إعانة له على أداء مهمته ، وهى حشد جهود الأمة المسلمة كلها فى صف واحد لجهاد أعدائها . وحينما دخل نور الدين دمشق نادى فى البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس . العجيب أن ملوك الفرنج كتبوا إلى نور الدين يهنئونه بدمشق ، ويتقربون إليه ، ويخضعون له[1] .

وهنا نتساءل ماذا فعل نور الدين محمود بحاكم دمشق مجير الدين ؟... لقد عفا عنه ، وسيره إلى حمص ، ومنها انتقل إلى أرض العراق وأقام ببغداد إلى أن مات .



---

(١) وبهذا وفق الله نور الدين محمود إلى إعادة دمشق إلى الصف المسلم ، وكان سبب حرصه عليها كما يقول ابن الأثير : (أن الفرنج لما ملكوا مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق إلى إزعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلما ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٤٥ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

الفصـــل الرابـــع

الجـــزء الأول

إعادة مصر إلى الصف المسلم

أمر ضرورى على طريق العودة إلى القدس

توجيه من القائد نور الدين محمـــود

أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب

يفتحون مصر عام ٥٦٢ هـ

- القائدان يخرجان منها تحت ضغط الفرنج والوزير الفاطمى شاور[١]

وفى عام ٥٦٤ هـ هجم الصليبيون على مصر يريدون الاستحواذ عليها تماما ، ويصور ذلك ابن كثير بقوله :

(وفيه طغت الفرنج بالديار المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة « نائبا » لهم بها ، وتحكموا فى أموالها ومساكنها أفواجا أفواجا ، ولم « يبق » شىء من أن يستحوذ عليها ، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين . وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاءوا إليها من كل فج وناحية صحبة ملك عسقلان فى جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس ، وقتلوا من أهلها خلقا

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا بها أثقالهم ، وجعلوها موئلا ومعقلا لهم ، ثم ساروا فنزلوا على القاهرة ... فنهبوا البلد ، وذهب للناس أموال كثيرة جدا) وأمر الوزير شاور بحرق مصر ، (وبقيت النار تعمل فى مصر أربعة وخمسين يوما)[1] .

وذلك يعنى :

أن الصليبيين لم يكتفوا بصداقة ما يسمى بالخليفة العاضد العبيدى لهم ، وإنما رأوا أنه لابد لهم من الاستحواذ على مصر تماما لعدة أسباب :

١ - ضمان عدم إقلاق تواجدهم ببلاد الشام ، لأن مصر بإمكاناتها المادية وسكانها المسلمين كانت الرافد الذى يمكن أن يمد حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين فى بلاد الشام بما تحتاجه .

٢ - أن مصر تعتبر الجبهة الجنوبية لبلاد الشام ، وهناك احتمال أنهم قد فطنوا بعد وصول أسد الدين شيركوه وصلاح الدين لمصر ، أن نور الدين زنكى يرغب فى إعادة مصر إلى الصف المسلم ، وتوحيدها مع بلاد الشام . للضغط على الصليبيين ، وإخراجهم من هناك ولذلك قرروا أن يسبقوا ويأخذوا مصر .

وهنا نرى أن حاكم مصر العاضد العبيدى (أرسل يستغيث بنور الدين محمود ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول : أدركنى واستنقذ نسائى من أيدى الفرنج ، والتزم له بثلث خراج مصر ، على أن يكون أسد الدين مقيما بها عندهم)[2] .

وهنا وجد نور الدين الفرصة سانحة لإعادة مصر إلى الصف الإسلامى كخطوة أساسية ولازمة نحو تحرير بلاد الشام ، فشرع فى تجهيز الجيوش إلى مصر .

وهنا نلمح الخيانة تطل برأسها من بين جوانح وزير فى حكومة العاضد وهو الوزير (شاور) الذى أرسل رسالة إلى ملك الفرنج يقول : (قد عرفت محبتى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٥ .

ومودتى لكم ، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقون على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد « مصر » بألف ألف دينار ذهب)[1] .

ثم شرع الوزير شاور فى مطالبة الناس بالذهب الذى صالح به الفرنج وتحصيله ، وضيق على الناس ، مع ما نالهم من الضيق والحريق والخوف ، وكان هدف شاور من وراء هذا الأمر أن يمنع جيوش المسلمين بقيادة أسد الدين شيركوه من دخول مصر وهكذا يبذل حكام المسلمين أموال المسلمين لأعداء الإسلام بدلا من إنفاقها على الجهاد فى سبيل الله وأوجه الخير الأخرى ، وذلك حفاظا على مناصبهم بحجة أن السبب الذى من أجله استقدموا قد انتهى .

(واستدعى نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه من حمص إلى حلب ، فساق إليه هذه المسافة وقطعها فى يوم واحد ، فإنه قام بعد أن صلى الصبح[2] ، فسر بذلك نور الدين ، وأضاف إليه من الأمراء والأعيان ، كل منهم يبتغى بمسيره رضى الله والجهاد فى سبيله)[3] . لقد وقر فى قلوبهم قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ . وكان من جملة الأمراء : ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب[4] .

(ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة راجعين إلى قواعدهم) .

(وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت إليهم التحف والكرامات) .

وقتل الخائن شاور بأمر الحاكم العاضد ، وأسندت الوزارة إلى أسد الدين شيركوه ، ولكنه توفى بعد ولايته بشهرين وخمسة أيام ، فأسند الأمر إلى ابن أخيه

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢) وهكذا خرج المجاهد بعد صلاة الصبح ، ولم يخرج بعد سهرة حمراء أو خضراء ..

(٣) إنه ليس الخروج من أجل الدنيا ؛ التاريخ الباهر ، ص ١٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٨٤ – ٨٥ .

صلاح الدين يوسف ، الذى لقبه العاضد بالملك الناصر ، وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمسمائة[1] .

(وأقام صلاح الدين بمصر بصفته نائب للملك نور الدين ، وقد التفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس) .

وكانت هذه هى الخطوة الأولى لإعادة مصر إلى الصّف المسلم .

ولكن هل الخونة المدينون بمناصبهم لأعداء الإسلام يسلمون قيادتهم للمسلمين الصادقين ؟

هذا ما ستقرأ عنه فى الجزء الثانى .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ؛ التاريخ الباهر ، ص ١٤١ .

الجـــزء الثانـــى

مؤامرة شيعية - يهودية للقضاء على قوات نور الدين محمود ، وصلاح الدين يوسف

- مؤتمن من يسمى الخليفة الحاكم العاضد[١] ومقدم عساكر القصر يتفق وجماعة على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى البلاد ، والتَّقوِّى بهم على صلاح الدين ومن معه .

- المتآمرون يسيرون الكتاب مع إنسان يثقون به .

- القبض على حامل الكتاب .

- الرسالة تلقى الضوء على خطة المتآمرين[٢] :

(أن يتحرك الفرنج إلى الديار المصرية ، فإذا وصلوا خرج صلاح الدين بالعساكر إلى قتالهم ، فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم ، فيقتلونهم ، ثم يخرجون بأجمعهم يتبعون صلاح الدين ، فيأتونه من وراء ظهره والفرنج من بين يديه ، فلا يبقى لهم باقية) .

والعجيب أن كاتب الكتاب (يهودى) ..

وكان فضل الله عظيما ، إذ أمكن القضاء على هذه المؤامرة فى مهدها ، بفضل الله ثم بفضل يقظة صلاح الدين وجنده[٣] .

---

(١) هذا هو موقف المسئول الأول فى قصر العاضد الذى ادعى أنه من سلالة تنتمى إلى فاطمة بنت محمد ﷺ . إن رسول الله يبرأ من هذا الحاكم وأمثاله فى الدنيا والآخرة .

(٢) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٠٣ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) وهذا فيه تنبيه إلى ضرورة يقظة الصف المسلم على ما يدبره الأعداء ، مع أخذ الحيطة والحذر ﴿ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ ..

مدلول هذه المؤامرة :

فشل المؤامرة الداخلية وتحرك قوات الصليبيين لغزو مصر :

كان من الواجب على حاكم مصر العبيدى (الشيعى) الذى يدعى انتسابه إلى الفاطميين ، أن يحمد الله عز وجل ، أن منّ عليه بإخوه فى الإسلام حفظوا البلد من هجمات الأعداء ، وحفظوا عليه أعراض النساء ..

وكان من الواجب أيضا أن يحشد جهوده وإمكانياته المادية – خاصة وأن مصر كانت على جانب كبير من الثراء – ضد أعداء الإسلام . ولكن الذى حدث شيءٌ آخر ، وهذا يثبت لنا تواطؤ بين الشيعة الذين كانوا يحكمون مصر ، والصليبيين ، واليهود ..

إن هذه الحادثة تلقى الضوء على كثير من المسائل التى يجب أن يضعها المخلصون من أبناء المسلمين وهم يسعون لتحرير الأرض الإسلامية من مغتصبيها فى كل مكان ، لأنها تلقى الضوء على العقبات التى يمكن أن يصادفوها فى الطريق .

إن هنالك طائفة من أصحاب المناصب العليا فى بلاد المسلمين ، حريصون على مناصبهم ولو كلفهم ذلك أن يبيعوا الأمة التى ينعمون بخيراتها إلى أعدائها ، فها هو مؤتمن الحاكم ، ومقدم عساكر القصر يحيك خيوط المؤامرة .

إن هذه الطائفة تمقت الإسلام وأهله ، وتعطى ولاءها وحبها للصليبيين وأعداء الإسلام واليهود ؛ فمؤتمن القصر ، يراسل الفرنج ، ويستدعيهم إلى مصر ، وكاتب الرسالة يهودى ، والمطلوب هو القضاء على صلاح الدين وأتباعه .

ويبدو أن حاكم مصر العبيدى كان فى ذلك الوقت على علم بهذا الأمر ، لأنه ليس من المتصور أن يجرى ذلك فى قصره وبدون علمه ، يؤكد ذلك أن قوات صلاح الدين بن أيوب تعرضت وهى تصفى أطراف المؤامرة ، لهجمات بالحجارة والسهام صادرة من قصر الحاكم ، بل إن العاضد كان يرقب المعركة من القصر[1] . وكان من الواجب عليه أن يكون إيجابيا ، بأن يقف إلى جوار جند

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٨ .

المسلمين الذين منعوا عرضه من أن ينتهك وكرامته من أن تداس .

وفى أعقاب هذه الأحداث التى قدر فيها الله سبحانه وتعالى أن ينجو صلاح الدين وجنده من عاقبتها ، بدأت تتحرك الجبهة الصليبية فى بلاد الشام ، فاتصلت بصليبيي الأندلس وصقلية ، يستعدونهم ، من أجل ما تجدد من ملك صلاح الدين لمصر ، وأنهم خائفون على بيت المقدس وقواعد الصليبيين ، وواعدوهم على الالتقاء عند دمياط لاغتصاب مصر .

– فهل فشل المؤامرة السالفة هو الذى أدى إلى تحرك القوات الصليبية من بلاد الشام ومن بلاد الأندلس اتجاه مصر ؟؟

– هنالك تواطؤ غير مرئى بين الحكام الذين يدعون انتسابهم إلى بنت رسول الله ﷺ والصليبيين !!

إن سياق الأحداث يؤكد أن الصليبيين قد أدركوا أن معنى عودة مصر إلى الصف الإسلامى ، وخضوعها هى وبلاد الشام المحررة لقيادة إسلامية واحدة ، بالإضافة إلى إمكانيات مصر البشرية والمادية ، يمكن أن تعجل بإنهاء الغصب الصليبى ، لبلاد الشام والشمال الأفريقى . ومن هنا كان تحالف الصليبيين لغزو مصر عام ٥٦٥ هـ .

– صلاح الدين يواجه الغزو الصليبى لمصر عام ٥٦٥ هـ ويجاهده .

– القائد عيناه مفتوحتان على أى مؤامرة داخلية ضد الإسلام .

﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴾ لقد أرسل صلاح الدين ، رسالة ، إلى قائده نور الدين محمود ، يستنجده عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليه بإمداد من الجيوش ، فإنه إن خرج من مصر ، خلفه أهلها بسوء[1] ، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط . وقد حاصر الفرنج مدينة دمياط فى بلاد مصر خمسين يوما ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أمما كثيرة ..

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٠ ، وهذا يبين لنا كيف نجح الحكام العبيديون (الذين يسمون بالفاطميين) فى عزل مصر وجدانيا وشعوريا عن حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ، بل كان منهم سند للأعداء ضد الحركة الجهادية وقادتها .

ماذا فعل القائد العام نور الدين محمود رحمه الله ؟

لقد وجه جيوشا ، يتبع بعضها بعضا ، إلى الجبهة الجنوبية (إلى مصر) ،. ثم قام هو بقيادة الجبهة الشمالية[1] ، وهاجم قواعد الصليبيين ببلاد الشام ، فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم ، وقتل وسبى شيئا كثيرا .

وهزم الفرنج وأخرجوا من مصر بفضل الله ، ثم بفضل الرجال المجاهدين . ومن خلال هذه المعركة يبرز أهمية ودور مصر فى حركة الجهاد الإسلامى ضد أعداء الإسلام اليوم وغدا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[2] .

وهنا يبرز شيء ، له أهمية كبيرة أيضا ، وهو إحساس القائد بخطورة الموقف وحرصه على ديار الإسلام ، فيحشد له كل ما يستطيع حشده ، ولكن يدرك فى البداية والنهاية أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى ، ولابد من الخشوع والتذلل والعودة إليه . يقول ابن كثير :

(قرأ عليه (أى على نور الدين محمود) بعض طلبة الحديث جزءا فى ذلك ، فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك وقال : إنّى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون يحاصرهم الفرنج بثغر دمياط)[3] .

ويبرز أيضا أمر هام ، هو توجيه نور الدين محمود ، لنجم الدين أيوب ، والد صلاح الدين ، وهو متوجه إلى مصر : (أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسى)[4] .

وهذا دليل على إحساس نور الدين بأهمية الخلافة ، ولا عجب فى ذلك

---

(١) وكان على إحداها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وهكذا تثبت لنا الأحداث أن المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

(٢) وهذا يعكس لنا السبب الذى من أجله يحرص اليهود والصليبيون والشيوعيون على عزل مصر عن العالم الإسلامى .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦١ .

(٤) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦١ ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١١١ .

فهى السياج الحامى للأمة الإسلامية ضد أعدائها ، وهى عنوان وحدتها وفى هذا دليل أيضا على أن نور الدين لم يكن يطمع فى شىء لنفسه ، لقد خرج من حظ نفسه ، وإلا فالخليفة كان ضعيفا ، ولم يكن يملك من أمر الناس شيئا ، وكان بإمكان نور الدين أن يعلن نفسه ملكا على مصر أو خليفة على العالم الإسلامى ، وإنّما لم يكن لنور الدين أرب فى هذه الدنيا ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لصلاح الدين ، لم يكن له أرب فى شىء ، وإلا لو كان يطلب الزعامة لاستقل بمصر ، ولدعا لنفسه ، ولكنه جندى يسمع ويطيع لقائده المجاهد المسلم نور الدين .

الجـــزء الثالـــث

أولا : خطوة أخرى على طريق التحرير :

تولية قضاء مصر لعلماء السنة :

وفى سنة ست وستين وخمسمائة عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، فى بلد شعبه من أهل السنة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماردانى الشافعى ؛ فاستناب فى سائر المعاملات قضاة الشافعية ، وبنى مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية[1] . كما قطع صلاح الدين الآذان بحى على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع فى تمهيد الخطبة لبنى العباس[2] على المنابر .

ثانيا : مصر تنتقل من الدفاع إلى الهجوم :

- جبهة بلاد الشام الجنوبية فى مصر تهاجم قواعد الصليبيين :

(وفى سنة ست وخمسين وستمائة هاجم صلاح الدين قواعد الفرنج بنواحى عسقلان وغزة وضرب قلعة كبيرة كانت لهم على إيلة)[3] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٣ .

(٢) وكانت الخطبة قد قطعت لبنى العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة حين تغلب عليها العبيديون .

(٣) ويجب على القارىء أن لا تأخذه الحمية للعاضد ، لأنه كما يقول ابن كثير : (كان شيعيا خبيثا ، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة) ولذلك فقد اعتبره ابن كثير (آخر خلفاء العبيديين) . البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٤ ، وقد تكررت هجمات الصليبيين على مصر فى عهد صلاح الدين لإخراجه منها . الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ .

إصلاح الأحوال الداخلية ضرورة يستلزمها حشد الجهود لمواجهة الأعداء :

إن اهتمام صلاح الدين الأيوبى بأحوال الشعب الداخلية لم يكن أقل اهتماما بأحوال الجبهة الخارجية مع الأعداء ؛ لأنه أدرك أنه كلما كانت الجبهة الداخلية سليمة متماسكة كانت جبهة القتال مع العدو قوية . من هنا نرى أن صلاح الدين الأيوبى قد أسقط عن أهل مصر الضرائب والمكوس[1] .

مصر الإسلامية لن تكون آمنة إلا إذا تحررت بلاد أفريقية من تسلط أعداء الإسلام عليها :

- توجيه سرية إلى بلاد أفريقية :

لقد أدرك صلاح الدين خطورة الجبهة الواقعة إلى غرب مصر ، ولذلك نراه يبعث سرية صحبة قراقوش مملوك تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين يوسف إلى بلاد أفريقية ، فملكوا طائفة كبيرة منها ، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها ، وكان ذلك عام ثمانية وستين وخمسمائة .

« حفظ مصر أهم عندنا من غيرها » :

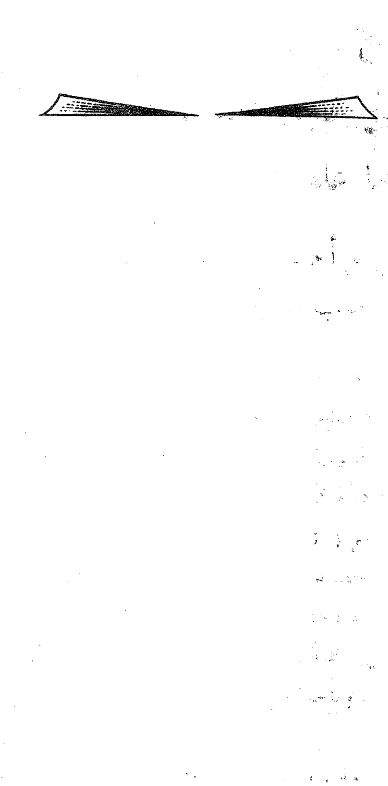
كلمة خالدة جعلها الله فى ميزان حسنات نور الدين محمود بن زنكى .

فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، اتفق نور الدين أن يخرج(صلاح الدين من مصر باتجاه الكرك) . ويسير نور الدين إليها ، فأيهما يسبق صاحبه ، يقيم ، إلى أن يصل الآخر إليه ، وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه . فسار صلاح الدين عن مصر لأنه طريق أبعد وأشق ، ووصل إلى الكرك (وكان فى يد الصليبيين) وحصره . وأما نور الدين فإنه لما وصل إليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرق الأموال ، وحمل الأزواد وسار إلى الكرك ، فوصل إلى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان .

ولسبب ما ، رجع صلاح الدين إلى مصر وأرسل رسالة إلى نور الدين مع الفقيه عيسى ، يعتذر عن رحيله (بأنه كان قد استخلف أباه نجم الدين أيوب على

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ، الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١١٩ .

ديار مصر ، وأنه مريض شديد المرض ، ويخاف أن يحدث حادث الموت ، فتخرج البلاد عن أيديهم) . فجاء الرسول إلى نور الدين وأعلمه ذلك ، فعظم عليه ، ولكنه قال : « حفظ مصر أهم عندنا من غيرها »[1] .



---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢١ . هنا لفتة بسيطة وهى أن الكامل قد ذكر أن سبب عودة صلاح الدين هو خوفه من نور الدين ، وفى تصورنا هذا غير صحيح ، والاحتمال الكبير هو أن صلاح الدين بعد أن خرج من مصر باتجاه الكرك ، قد تلقى رسالة أن أباه يحتضر ، فعاد إلى مصر ولو كان صلاح الدين يخاف ، ما سمح لنفسه أن يواعد نور الدين ويخبره بذلك ويصل إلى الموقع المتفق عليه ، ثم يعود . يؤيد ذلك :

(أ) أن صلاح الدين قد عاد فوجد أباه قد توفى فعلا .

(ب) وبعد وصوله تم اكتشاف مؤامرة أخرى لإعادة حكم الشيعة العبيدية (الخلفاء الذين تسموا بالفاطميين) إلى مصر (انظر : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٥) .

الجـــزء الرابـــع

- **خطوة أخرى على الطريق يتخذها القائد المسلم صلاح الدين :**

- **إعادة جنوب الجزيرة العربية إلى الصف المسلم :**

بلغ صلاح الدين الأيوبى أن اليمن قد تغلب عليها رجل يقال له عبد النبى ابن مهدى ، تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالإمام وزعم أنه سيملك الدنيا كلها ، (وكان هذا الرجل سيىء السريرة والسيرة)[1] .

وقد اعتبر صلاح الدين ذلك خروجا على الخليفة ، وخروجا على الصف المسلم ، ولذلك وجب قتاله وقتله إذا قدر عليه .

فوجه صلاح الدين سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة توران شاه ، الذى ورد مكة فاعتمر بها وسار منها إلى زبيد ، فامتلكها ، كما سار إلى عدن وامتلكها ، ومنع الجيش من نهبها وقال : « ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لعمارتها وملكها » ؛ ثم سار إلى بقية الحصون والمخالف والمعاقل فملكها ، واستوثق له ملك اليمن بحذافيره وخطب للخليفة العباسى المستضىء[2] .

(وقتل الدعى المسمى بعبد النبى ، وصفت اليمن من أكدارها ، وعادت إلى ما سبق من مضمارها) .

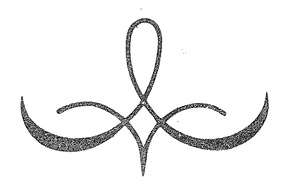
وكتب شمس الدولة إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يخبره ، بما فتح الله

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢٢ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) ليت أبناء المسلمين الذين يقتل بعضهم بعضا يتلون هذه الأخبار التى تعكس لنا ورعا وتقوى وخوفا من الله عز وجل ، علهم يعتبرون ويتأدبون ، ففيها حرص القادة المسلمين على الخلافة ، وعلى وحدة الجبهة الإسلامية .

عليه[١] ، وأحسن إليه . فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة[٢] يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له .



---

(١) لأن الفتح من الله .. هذا هو الأدب يا أبناء المسلمين !!

(٢) هذه هى الجندية يا أبناء المسلمين ؟؟ أنهم خرجوا من حظ أنفسهم ، إنهم لا يريدون زعامات !! إنهم أتقى لله من ذلك ؟ إنَّهم يريدون الآخرة ، فهل نتعظ ؟ فهل نتعلم ؟ فهل نتأدب ؟

الجــزء الخامــس

تحذير :

– إن على الزعماء المسلمين الذين يأخذون على عاتقهم قيادة الأمة المسلمة على طريق التحرير ، أن يحذروا مؤامرات الأعداء فى الداخل : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

لم يمض خمس سنوات على المؤامرة التى دبرت فى مصر وكانت تستهدف الأمة الإسلامية ممثلة فى القائد المرتجى صلاح الدين وجند نور الدين ، حتى تم الكشف بفضل الله عن غيرها ، وملخصها :

رؤوس ما يسمى بالحكم الفاطمى اتفقوا على الانقلاب على نظام صلاح الدين الأيوبى لرد ما يسمى بالحكم الفاطمى (الشيعى العبيدى) .

– المتآمرون فى الداخل ، يكاتبون الفرنج أعداء الإسلام من خارج مصر ، يستدعونهم إليهم .

وقبض على المتآمرين ، (واستفتى صلاح الدين الفقهاء فى أمرهم فأفتوه بقتلهم) ، (ثم عند ذلك أمر بقتل رؤوسهم دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنفى من بقى من جيش العبيديين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية العاضد وأهل بيته فى دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يتعلق بهم من الأرزاق والثياب)[1] .

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٢٣ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٧ .



الفصـــــل الخامــــس

الجـــزء الأول

- وفاة نور الدين محمود بن زنكى .
- الأعداء يحاولون أن ينتهزوا فرصة موته .
- صلاح الدين الأيوبى يحمل الراية من بعده .

وفى يوم الأربعاء حادى عشر شوال ، سنة تسع وستين وخمسمائة توفى نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر ، صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر واليمن والحجاز (وكان قد خطب له بالحرمين الشريفين) ، وكان مولده سنة إحدى عشرة وخمسمائة[١] .

يقول المؤرخون : (فلما مات نور الدين طمعت الأعداء من كل جانب فى المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدى المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس ، فضعف عن مقاومتهم ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالا جزيلة عجلها لهم ، ولولا خوفهم بقدوم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم الأتابك يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، فردوا إليه كتابا فيه غلظة ، وكلاما فيه بشاعة)[٢] .

---

(١) التاريخ الباهر ، ص ١٦١ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٨٥ .

(وقد اقترنت وفاة نور الدين أيضا بظهور الشرور ، وكثرة الخمور ، وانتشار الفواحش) .

واقترنت بقيام الفرنج بمحاولة غزو مصر سنة سبعين وخمسمائة ، كما اقترنت أيضا بقيام أنصار العبيديين الشيعة (ممن يسمون بالفاطميين) بتدبير مؤامرة لمحاولة القضاء على صلاح الدين وجند المسلمين ، وإعادة حكم الشيعة إلى مصر[1] .

وهنا تبدو عدة أمور على جانب كبير من الأهمية :

(أ) ضرورة تربية صف مسلم يتحمل التبعات الملقاة على عاتقه ، إذا ما قتل قائد المسيرة الإسلامية الجهادية ؛ فعماد الدين أعد ابنيه سيف الدين غازى ونور الدين محمود ؛ ونور الدين محمود أعد أسد الدين شيركوه وصلاح الدين .

(ب) إنّ أعداء الأمة الإسلامية ينتهزون المصائب التى تحل بالأمة للقيام بتنفيذ مخططاتهم ، وهذا ما فعله الفرنج بعد موت نور الدين .

(ج) إن الأعداء حريصون على زرع أعوان لهم داخل بلاد المسلمين ، مهمتهم تدبير المؤامرات وتقويض الجبهة الداخلية . وهنا تبدو أهمية اليقظة على عناصر الخيانة داخل بلاد المسلمين .

(د) إن أعداء الإسلام حريصون على أن تشيع الفاحشة داخل المجتمع الإسلامى لتدميره فلا يقوى على الجهاد .

وهنا نقف قليلا لنتأمل كيف وفق الله سبحانه وتعالى الملك الناصر صلاح الدين فى القضاء على هذه المؤامرات الخارجية والداخلية بعد وفاة القائد المجاهد نور الدين محمود :

لقد كان صلاح الدين رجل الساعة بلا نزاع ، فالمصيبة بفقد نور الدين كانت كبيرة ، ولكن صلاح الدين تعالى فوق أحزانه وأسرع برفع الراية ومواصلة مسيرة الجهاد على طريق التحرير .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

الدليل على ذلك :

أولا : إفشاله الحملة الصليبية التى تحركت من صقلية لغزو مصر عن طريق الإسكندرية سنة سبعين وخمسمائة هجرية . يقول ابن كثير : (فى أسطول لم يسمع بمثله)[1] .

ثانيا : إفشال مؤامرة الشيعة العبيديين (الذين يسمون بالفاطميين) جنوب مصر . هذه المؤامرة كان يقوم عليها أحد مقدمى الديار المصرية على عهد الدولة العبيدية ، وحاول خلالها أن يجمع الناس حوله بحجة أنه سيعيد ما تسمى بالدولة الفاطمية لحكم مصر ، ويقضى على صلاح الدين وجنده . وقد جرد صلاح الدين لهذه المؤامرة حملة بقيادة أخيه العادل أبى بكر الكردى الذى أخمد الفتنة وقتل قائدها[2] .

ثالثا : جمع أهل الشام على قلب رجل واحد :

(أ) لما اطمأن صلاح الدين إلى متانة الجبهة الداخلية ، أعد العدة للتوجه إلى بلاد الشام ، وكان هدفه كما يقول المؤرخون : (جمع شملها ، والإحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الإسلام ودفع الطغاة ، وإظهار القرآن ، وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصلبان فى رضى الرحمن وإرغام الشيطان)[3] .

واستناب صلاح الدين على مصر أخاه أبا بكر ، وسافر باتجاه دمشق فدخلها فى يوم الاثنين سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة دون إراقة دماء .

وكان وصول صلاح الدين إلى دمشق وصول خير وبركة ، إذ أنه عامل الناس بالإحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) التاريخ الباهر ، ص ١٧٦ .

واستناب صلاح الدين أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الإسلام على دمشق[1] .

(ب) محاولة دخول حلب لما فيها من (التخبيط والتخليط) .

وواجه الملك الناصر صلاح الدين فى حلب مؤامرات شتى بعد موت نور الدين محمود منها :

١ - الأمراء المقدمون عند نور الدين قبل وفاته يطلبون من أهل حلب قتال الملك الناصر صلاح الدين .

٢ - أهالى حلب من الشيعة الرافضة يشترطون لقتال صلاح الدين :

- إعادة الآذان بحى على خير العمل .
- وأن يكون لهم فى الجامع الجانب الشرقى .
- أن يذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر بين يدى الجنائز .
- وأن يكبروا على الجنائز خمسا ، إلى غير ذلك من الشروط فأجيبوا إلى ذلك .

ولكن أنَّى لهذه الطغمة الفاسدة أن تقف فى وجه القائد صلاح الدين ، وعجز أهل البلد عن مقاومته ، **فلجأوا إلى المؤامرة** :

- فاستأجروا بعض الأفراد لقتله ، فلم يظفروا منه بشىء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم ، فَقُتِلُوا ، عن آخرهم[2] .

- راسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجى ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحَّل عنهم الناصر وهكذا نرى أن الشيعة من أبناء الشام تتعاون مع الصليبيين للقضاء على المسلمين من أهل السنة[3] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) البرق الشامى ، ص ١٠٠ .

(٣) البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٨٩ .

وفشل التآمر بفضل الله ، واستطاع صلاح الدين أن يعيد حمص وحلب وحماة إلى الصف المسلم ، وأن يخمد الفتنة التى كادت تعصف بوحدة البلاد الإسلامية بعد وفاة نور الدين محمود .

ولكن هل انتهت بذلك المؤامرات ؟

لم تنته فلقد استمرت المؤامرات الداخلية والخارجية ، أطرافها من يدّعون أنهم شيعة[1] بيت النبى محمد - ﷺ - والأوربيون (الفرنج) ، وأبناء المسلمين الذين باعوا أنفسهم للشيطان .

وفى عام ٥٧١ هـ وقعت أمور هامة على طريق التحرير ، إذ أن صلاح الدين استناب أخاه نور الدولة الذى كان على اليمن ، على دمشق ، وفتحت بلاد كثيرة بالمغرب على يد بهاء الدين قراقوش .

بمثل هؤلاء يقاد المسلمون فى طريقهم إلى القدس :

- أوقات يخلوا فيها القائد إلى ربه يطلب منه العون والتثبيت ، وأوقات ينظر فيها أحوال العباد والبلاد ، رغم الانشغال بجهاد الأعداء :

يقول الله عز وجل : ﴿ كتب الله لَأَغْلِبَنَّ أنا ورسلى ، إنَّ الله لقوى عزيز ﴾ .. ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَاد ﴾ .. ﴿ إن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكم وَيُثَبِّتْ أقدامكم ﴾ .. ﴿ وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركُم من بعده ؟ ﴾ ..

لقد أدرك صلاح الدين أن النصر من عند الله وأنه لا يتنزل إلا على عباده المخلصين ، ومن ثم كان له أوقات يخلو فيها إلى ربه وخالقه ، يطلب منه المغفرة ، ويطلب منه العون والتثبيت .

نلمح ذلك فى سلوك الملك الناصر صلاح الدين حينما رجع إلى مصر عام ٥٧٢ هـ :

---

(١) البرق الشامى ، ص ٢١٠ .

لقد ركب إلى الإسكندرية فأسمع ولديه : على والعزيز عثمان على الحافظ السلفى ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام : أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وعزم الناصر على إتمام القيام بها .

كما أن القائد قد أدرك أيضا ، أن الإعداد لجنة عرضها السموات والأرض لا يقف عند حد جهاد الأعداء ، ولكن لابد وأن يقترن به إصلاح أحوال العباد ، وتربيتها على الإسلام ، والنظر فى مظالمها ومطالبها ، وتحصين الثغور نلمح ذلك حينما أكمل عمارة السور حول مدينة الإسكندرية ، وأمر بتجديد الأسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة ، وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة ، وأرصد للأسطول من بيت المال ما يكفيه بجميع شئونه ، ثم عاد إلى القاهرة فى أثناء رمضان فأكمل صومه .

وفيها أمر ببناء مدرسة للشافعية ، وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقوفا كثيرة[1] .

وفى عام ٥٧٣ هـ أمر الملك الناصر صلاح الدين ببناء قلعة الجبل ، وإحاطة السور على القاهرة ومصر .

ورغم هذا فقد اشتهر عن صلاح الدين أنه كان يواظب على سماع الحديث بالقاهرة[2] . ويقال : إنه رحل إلى الإسكندرية عام ٥٧٧ هـ ليسمع موطأ مالك على الشيخ أبى طاهر بن عوف ، عن الطرطوشى .

صلاح الدين يواصل مجاهدته أعداء الإسلام :

واصل الملك الناصر صلاح الدين جهاده ضد الفرنج وأعوانهم من أبناء المسلمين .

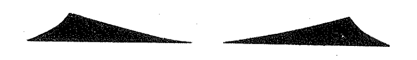
ففى عام ٥٧٧ هـ ركب صلاح الدين فى عساكره من الديار المصرية ، فسار حتى أتى الفرات فعبرها واستولى على بلاد الجزيرة بكمالها ، ثم جاء إلى حلب فتسلمها .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٩٦ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٨ .

وحينما قصد الصليبيون تيماء من أرض الحجاز ، ليتوصلوا منها إلى المدينة النبوية ، وكان قد تولى كبر هذه المسألة صاحب الكرك ، جهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصده ذلك عن قصده .

وفى نفس الوقت قام الصليبيون بقطع السبل على المسلمين برا وبحرا وسرا وجهرا فأمكنه الله منهم[1] .



(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

الجـــزء الثانـــى

– حركة جهادية عارمة اعتبارا من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وتأمين الجبهة الإسلامية فى مصر والعراق وبلاد اليمن والحجاز وبلاد المغرب ..

– بدء مهاجمة الصليبيين فى الشمال انطلاقا من دمشق .

ووصل الملك الناصر إلى دمشق عام ٥٧٨ هـ ، وخرج منها واقتتل مع الفرنج ، وكانت النصرة للمسلمين(١) .

(وقد استحوذ الملك الناصر فى نفس الوقت على بلاد الجزيرة والرها والرقة ونصيبين ، وخضعت له الملوك ، ثم عاد إلى حلب(٢) فتسلمها ، فاستوثقت له الممالك شرقا وغربا ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

الصليبيون يحاولون قطع الطريق على الحجاج :

لما عجز أمير الكرك الصليبى عن إيصال الأذى إلى المسلمين فى البر ، عمل مراكب فى بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجار ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب (وهو ميناء على البحر الأحمر) ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم .

ماذا كان موقف الملك الناصر ؟

أمر الملك العادل ، الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه فى بحر القلزم ليحارب أصحاب أمير الكرك الصليبى ، ففعل ذلك وظفر

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١١ – ٣١٣ .

(٢) وكان صلاح الدين قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب . المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وقد استشهد فى حصار حلب تاج الملوك بورى بن أيوب أخو صلاح الدين نتيجة جرح بليغ ، فمات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين سنة ، وقيل : إنه جاوزها بسنتين ، وهكذا نرى نماذج أعادت إلى الأبصار سيرة صحابة رسول الله ﷺ .

بهم . وأمن البر والبحر بإذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه[1] .

* * *

– الملك الناصر يستخلف ولده الظاهر غازى على حلب .

– العودة إلى دمشق .

– الملك الناصر يخرج من دمشق جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسمائة قاصدا نحو بيت المقدس .

إنَّ المشكلة الحقيقية على طريق العودة إلى القدس ، هى مشكلة الرجال ..

نلمح هذا فى اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب من صلاح الدين لتأمين الجبهات كلها وهو يسعى لاستعادة بيت المقدس .

– فى رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة (سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفى صحبته تقى الدين عمر بن أخيه) ..

– استدعاء العادل لأخيه ، واستعماله على حلب ، ليكون قريبا منه ، فإنَّه كان لا يقطع أمرا دونه[2] .

– السلطان يرسل ابن أخيه تقى الدين عمر إلى مصر ثانيا ، ويستدعى ولده الظاهر ، وكذلك نوابه ومن يعز عليه ليكونوا قريبين منه .

– مرض الملك الناصر صلاح الدين منذ سنة ثمانين وخمسمائة مرضا شديدا .

ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ، ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلما ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ، ولو صرف فى سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتلن البرنس صاحب الكرك

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

بيده ، لأنه تنقص رسول الله - ﷺ - وأخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى بلاد الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم وهو يقول : (أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم) ، (وكان هذا النذر بإشارة القاضي الفاضل ، وهو أرشده إليه وحثه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض)[1] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

الجـــزء الثالـــث

حطيـــــن

موقعة حطين كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس واستعادته من يد الكفرة .

الوثائق[1] تتحدث :

(وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم فى جيشه ، فسار إلى رأس الماء ، فنزل ولده الأفضل هناك فى طائفة من الجيش ، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى ، فخيم على قصر أبى سلام ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلموا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بجحافله ، فالتفت عليه جميع العساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصدا بلاد الساحل ، وكان من جملة من معه من المقاتلة اثنا عشر ألفا غير المتطوعة فتسامعت الفرنج بقدومه ، فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم ، وتصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بحدهم وحديدهم ، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت ، يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت ، فى خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفا ، وقيل :

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٠ ٣٢٦ ؛ الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٨٠ ؛ البرق الشامى ، ص ٢٩٨ .

ثلاثا وستين ألفا . وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك ، فقال له : لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وسترى غب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين ؛ وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك ، وتحصنت منه القلعة ، فلم يعبأ بها ، وحاز البحيرة فى حوزته ، ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا فى عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربى من طبرية عند قرية يقال لها : حطين ، التى يقال : إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان وأسفر وجه الإيمان وأغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان وذلك عشية يوم الجمعة . فبات الناس على مصافهم ، وأصبح صباح يوم السبت الذى كان يوما عسيرا على أهل الأحد ، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج ، واشتد الحر ، وقوى بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما ، وكان ذلك عليهم مشئوما فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج نارا تحت سنابك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال . وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة ، فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فمنحهم الله أكتافهم ، فقتل منهم ثلاثون ألفا فى ذلك اليوم ، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم . وكان فى جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس ، فإنه انهزم فى أول المعركة . واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذى يزعمون أنه صلب عليه المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب واللالىء النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم فى عز الإسلام وأهله . ودمغ الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفا وثلاثين أسيرا من الفرنج ، قد ربطهم بطنب خيمة ، وباع بعضهم أسيرا بنعل ليلبسها فى رجله ، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا فى زمن الصحابة والتابعين ، فلله الحمد دائما كثيرا طيبا مباركا) .

(فلما تمت هذه الوقعة ، ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة ، وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجىء

بالأسارى تتهادى بقيودها — فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية — والأسارى بين يديه — صبرا ، ولم يترك أحدا منهم ممن كان يذكر الناس عنه شرا ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرناط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوجا ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرناط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندى . ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة ، واستدعى أرناط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ، ودعاه إلى الإسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله — ﷺ — فى الانتصار لأمته ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم فى الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله — ﷺ — ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاستثارية صبرا ، وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين ، ولم يسلم ممن عرض عليه الإسلام إلا القليل . فيقال : إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفا ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفا ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفا . وكان من سلم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم ، وممن مات كذلك قومس طرابلس ، فإنه انهزم جريحا فمات بها بعد مرجعه ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج ، ومن لم يقتل من رؤوسهم ، وبصليب الصلبوت صحبة القاضى ابن أبى عصرون إلى دمشق ليودعوا فى قلعتها ، فدخل بالصليب منكوسا ، وكان يوما مشهودا) .

(ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضى كلها بالنصف فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة . ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهى قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر ، فافتتحها صلحا يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم . وأمر بإقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت

بالساحل بعد أن أخذه الفرنج ، نحوا من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا ، وبيروت ، وتلك النواحى من السواحل يأخذها بلدا بلدا ، لخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائرا إلى غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضى الغور ، فملك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد ابن لاشين ، وهو الذى افتتحها . وكان جملة ما افتتحه السلطان فى هذه المدة القريبة خمسين بلدا كبارا ، كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئا كثيرا ، وسبوا خلقا) .

(ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتع فى هذه الأماكن مدة شهور ، ليستريحوا ويحموا أنفسهم وخيولهم لفتح بيت المقدس ، وطار فى الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصده العلماء والصالحون تطوعا ، وجاءوا إليه ، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين ، وفتح عكا . ففتح بنفسه حصونا كثيرة . فاجتمع من الجيوش ومن عباد الله شيء كثير جدا . فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتى .

وقد امتدحه الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا ، وأكثروا ، وكتب إليه القاضى الفاضل من دمشق – وهو مقيم بها لمرض اعتراه –: (ليهن المولى أن الله أقام به الدين ، وكتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه : إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم : أنه الواحد . سجد لله شكرا تارة يفيض من لسانه وتارة يفيض من جفنه سرورا بتوحيد الله تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال : محمد رسول الله الصادق الأمين . وجزى الله يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون المولى ، وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن

ثم قال : وللألسنة بعد فى هذا الفتح تسبيح طويل ، وقول جميل جليل)[1] :

---

(١) البرق الشامى ص ٣٠٩ – ٣١٢ .

الجـــزء الرابـــع

« **فتح بيت المقدس فى هذه السنة** واستنقاذه من أيدى النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة » .

(لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم ، أمر العساكر فاجتمعت ، ثم سار نحو بيت المقدس ، فنزل غربى بيت المقدس فى الخامس من رجب من هذه السنة – أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة – فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين ، وكانوا ستين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون ، وكان صاحب القدس يومئذ رجلا يقال له : « بالبان بن بازران » ، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان ، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصلبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاد والنزال ، وقاتل الفرنج دون البلد قتالا شديدا ، هائلا ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى نصرة دينهم وقمامتهم ، واستشهد فى الحصار بعض أمراء المسلمين فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا فى القتال ونصب المجانيق والعرادات ، على البلد ، وغنت السيوف والرماح الخطيات ، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقا وشدة التشمير ، وكان ذلك يوما عسيرا على الكافرين غير يسير . فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلقها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته ، فإذا هو واجب . فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع ، والخطب

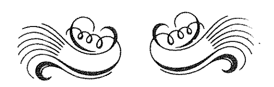
المؤلم الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان ، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فامتنع من ذلك ، وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتموها أنتم عنوة . ولا أترك بها أحدا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها « باليان بن بازران » الأمان ليحضر عنده فأمنه ، فلما حضر ترقق للسلطان ، وذل ذلا عظيما ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا : إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا – وكانوا قريبا من أربعة آلاف – وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه ، ولا نبقى ممكنا فى إتلاف ما نقدر عليه ، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير فى حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادا منكم ، فماذا ترتجى بعد هذا من الخير ؟) .

(فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأناب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة ديارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيرا للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم ، وهى مدينة صور . فكتب الصلح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوما فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد : وهى ليلة الإسراء برسول الله – ﷺ – من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال فى الإسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافا لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت فى الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محيى الدين بن محمد بن على القرشى ابن الزكى كما سيأتى قريبا) .

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير ، وخرجت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربى المحراب الكبير ، واتخذوا المحراب مشتاً – لعنهم الله – فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه فى الأيام

الإسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت للناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وعادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعا فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهبا ، فنذر استعادة ما قطع منها) .

(ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المسامحة فى كثير منهم ، وشفع فى أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب فى العسكر ، ولم يأخذ منه شيئا مما يقتنى ويدخر ، وكان رحمه الله حليما كريما مقداما شجاعا رحيما)[1] .



---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٤ ؛ الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ ، ١١٠ ، هذا النص منقول بأكمله من المصدر .

الجــزء الخامــس

« أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه »[1]

(لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساوس ، ودخله أهل الإيمان ، ونودى بالأذان وقرىء القرآن ، ووحد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت فى الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر إلى جانب المحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل ، وتلى التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجدات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلت البركات ، وانجلت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس القسيسون ، وزال البؤس وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد ، الـذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع ، وسالت لرقة القلوب المدامع ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت القلوب تطير من الفرح فى ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب ، فبرز من السلطان المرسوم الصلاحى وهو فى قبة الصخرة أن يكون القاضى محيى الدين بن الزكى اليوم خطيبا ، فلبس الخلعة السوداء ، وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات ، وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة فى الروضتين بطولها ، وكان أول ما قال : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ﴾ .

ثم أورد تحميدات القرآن كلها ، ثم قال : (الحمد لله معز الإسلام

---

(١) الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٩٣ — ١٠١ .

بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، الذى أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع . أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الإفك ، الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى - ﷺ - وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفّان - ذى النورين - جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مزلزل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان) .

ثم ذكر الموعظة ، وهى مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يَسَّره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس، الذى من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره، وأنه أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله - ﷺ - من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

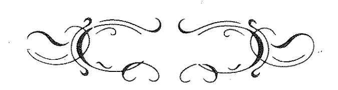
(قلت : ويقال : إن أول من أسسه[1] يعقوب - عليه السلام - بعد أن بنى

---

(١) ذكرنا ما أورده الإمام ابن حجر بأن آدم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الأقصى (صفحة ١١ من كتابنا الذى بين يديك) .

الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود - عليهما السلام - كما ثبت فيه الحديث بالمسند والسنن ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم . وسأل سليمان - عليه السلام - الله عند فراغه منه خلالا ثلاثا : حكما يصادف حكمة ، وملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة العباسى ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن ابن على نجا المصرى على كرسى الوعظ بإذن السلطان فوعظ الناس ، واستمر القاضى ابن الزكى يخطب بالناس فى أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيبا مستقرا ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذى كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدى بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته)[1] .



---

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، والنص مأخوذ من المصدر .

الجـــزء الســـادس

تحرير بيــت المقــدس

دروس وعبـــر

وقراءة الوثائق تضع أيدينا على الكثير من الحقائق الهامة على طريق التحرير والعودة إلى القدس :

– قبل الهجوم الشامل لتحرير بيت المقدس بعدة سنوات ، وجه صلاح الدين نداء إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج ، فلبوا النداء ، فقاتل بها العدو قتالا محدودا أمر بعده العساكر أن ينصرفوا إلى بلادهم ، وعاد هو إلى دمشق ليؤدى فرض الصيام وليجل الخيل ويحد الحسام[1] .

فهل كان هذا التصرف من صلاح الدين ليختبر مدى استجابة الجبهة الإسلامية لندائه إذا ما جد الجد ؟..... نعم .

– حرص صلاح الدين على سلامة المسلمين ، فها هو لم يتحرك تجاه حطين ، حتى جاز الحجاج سالمين[2] .

– ملة الكفر واحدة ، فحينما تسامع الفرنج بقدوم عساكر المسلمين بقيادة الملك الناصر (اجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم) ، وهذا شيء لابد وأن يدركه العاملون على طريق العودة إلى القدس ، فأعداؤهم قد يختلفون فيما بينهم ، ولكن يتحالفون ضدهم[3] .

– إن الخطة العسكرية التى اتبعها صلاح الدين جديرة بالدراسة

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

والاهتمام ، وهى جد مهمة رغم مضى السنين والأعوام .

– إن صلاح الدين عرف بكرم خلقه ، وبالعفو عند المقدرة ، ولكن هنالك مواقف لا يملك العفو فيها ، وهى حينما وقع أمير الكرك أرياط فى يده ، دعاه إلى الإسلام فامتنع ، قمة الخلق ، بل قمة الدين والتسامح ، فلو أسلم لحفظ دمه ، رغم ما ارتكبه من جرائم فى حق المسلمين .

(فقال له صلاح الدين : نعم أنا أنوب عن رسول الله – ﷺ – فى الانتصار لأمته) ؛ وكان بهذه يذكره بجريمته الشنعاء حينما قتل أفراد القافلة التى كانت تسير من بصرى إلى بلاد الشام وهو يقول : (أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم)[1] .

– يجب على المسلمين أن لا ييأسوا أبدا من رحمة الله ، ولابد أن يصبروا ويحتسبوا ويعملوا على طريق العودة إلى بلاد الشام ، فها هم المسلمون يعودون إلى القدس بعد أن استحوذ عليها الصليبيون مدة ثنتين وتسعين سنة ، منع أثناءها النداء « الله أكبر » أن يتردد ، وتحولت فيها أثناءها المساجد إلى بيع[2] .

– إنّ النصر بيد الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

– موقف صلاح الدين من الصفى بن الفايض وكيل الخزانة بدمشق بعد استرجاع بيت المقدس ، وكان قد بنى له (دارا بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلى) لقد عزله ، وقال : (إنّا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وإنّما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد فى سبيله ، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له)[3] .

– حاول الرافضة من أنصار العبيديين بمصر أن يعيدوا دولة ما تسمى بالفاطميين ، منتهزين فرصة انشغال صلاح الدين فى تحرير بيت المقدس[4] ، ولكن الله سلم ، وهذا يؤكد من جهة أخرى أن أعداء الإسلام لا يحرمون من أعوان لهم يتواجدون بصفة دائمة داخل الصف المسلم ، منتهزين أول فرصة تلوح لهم لتنفيذ مؤامراتهم الدنيئة .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٦ ، ٣٢١ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٣ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

الجـــزء السابــع
سقوط عكـا فى يد أعداء الإســلام

« دروس وعبر » :

إن استعادة القدس على يد صلاح الدين وصحبه ، قد هز أوروبا هزا عنيفا ، تداعى على أثره الصليبيون (الفرنج) لإعداد ما فى طوقهم لمواجهة طلائع الجهاد الإسلامى ، لأنهم قد أدركوا أن عودة القدس إلى يد المسلمين ، هو نذير بتحرير البقرة الحلوب التى كانت تدر عليهم أحسن الخيرات بين أيديهم ، بعد أن تصوروا أنها لن تفلت من أيديهم أبدا . ووصل الصليبيون (الفرنج) إلى عكا وحاصروها سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتتابعت عليهم الإمدادات من كل أنحاء أوروبا[1] ، ومن القواعد الصليبية فى البحر المتوسط ، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتى بنية راحة الغرباء لينكحوها فى الغربة ، فيتخذون راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء ، وأجملهن بهذه النية[2]

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٥ : الحقيقة أن أبناء أوروبا قد غرر بهم ، وكانوا ضحية حملة إعلامية مضللة كاذبة ، فبعد عودة القدس إلى أيدى المسلمين ركبت جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ،.... من صور فى أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبى وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربى آخر يضربه ويؤذيه ، فإذا سألوهم من هذا الذى يضرب المسيح ؟ قالوا : هذا نبى العرب يضربه ، وقد جرحه ومات . فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون ، فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم ، وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والزوانى والزانيات الذين هم عند أعليهم أعز الثمرات . البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

ورابط المسلمون داخل عكا وحولها بقيادة الملك الناصر صلاح الدين ، وصبروا وصابروا لمدة سبعة وثلاثين شهرا ، ولكن شاءت إرادة الله أن تسقط عكا فى أيدى الصليبيين .

وفى وسط المحنة الشديدة يبرز على بن عريف النحاسين بدمشق .

صورة مُشَرِّقة للشباب المسلم :

(تواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة لأجل نصرة أصحابهم ، يمدونهم بالقوة والميرة ، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل ، لئلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهى أعلا من أبرجة البلد ، وهى مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها ، وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره بإحراقها ، وأحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلى بن عريف النحاسين ، والتزم بإحراقها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها ، وغلى ذلك فى ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تتأجج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارا بإذن الله ، لها ألسنة فى الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق فى كل برج منها سبعون كفورا ، وكان يوما على الكافرين عسيرا ، وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة (٥٨٥ هـ) ، وكان الفرنج قد تعبوا فى عملها سبعة أشهر ، فاحترقت فى يوم واحد ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾[1]، ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية ، وأموال كثيرة ، فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك ، وقال : إنَّما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده سبْحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا[2] .

---

(١) الفرقان : ٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦ . والنص مأخوذ من المصدر .

وفى هذا تبدو العقلية الإسلامية الفذة فى أبهى صورها ، إنَّها تستعين بالله ولا تعجز ، ويتجلى الإيمان بالله فى أبهى صوره حينما يأمر الملك الناصر صلاح الدين بعطية سنية وأموال كثيرة للشاب المخترع ، فيرد الشاب قائلا : (إنَّما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ، ولا شكورا)[1] .

وتبدو العناية الإلهية ورحمتها الواسعة بالصف المسلم وقد اجتمعت عليه الدنيا كلها :

لقد قدم مع من قدم لقتال المسلمين ملك الألمان : (فإنه أقبل فى عدد وعدد كثير جدا ، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليما بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فما نال من ذلك شيئا بعون الله وقوته ، بل أهلكهم الله عز وجل فى كل مكان وزمان ، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية ، فدعته نفسه لأن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت رأسه ، وأخمدت أنفاسه ، وأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر فى الملك ، وقد تمزق شملهم ، وقَلَّت منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا فى ألف فارس ، فلم يرفعوا بهم رأسا ، ولا لهم قدرا ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ، ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله ، وإذلال دين الإسلام)[2] .

* * *

الحرب خدعة :

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ :

(وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، فى العشر الأول من شعبان إلى السلطان : أنه لم يبق عندهم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٦ .

فى المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، خوفا من إشاعة ذلك ، فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين ، وتضعف القلوب . وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفى أهل البلد طول الشتاء ، وهى صحبة الحاجب لؤلؤ ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فاقتتلوا فى البحر قتالا شديدا ، والمسلمون فى البر يبتهلون إلى الله عز وجل فى سلامتها ، والفرنج أيضا تصرخ برا وبحرا ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين ، وسلم مراكبهم ، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحا شديدا ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أربعمائة غرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شىء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم ، وشدوا الزنانير ، واستصحبوا فى البطشة معهم شيئا من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج ، فاعتقدوا أنهم منهم ، وهى سائرة إليهم كالسهم إذا خرج من كبد القوس ، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها ، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء ، فأفرغوا ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيرا ، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية ، وكانت البلد يوجد بها برجان يقال لأحدهما برج الديان ، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات ، إذا أرادوا أن يضعوه على شىء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا فى أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهى سائرة بين بطش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان فى بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر

عليهم بقدرة الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين فى قوله تعالى : ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾[1] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٧ ، ٣٨ .

الجـــزء الثامـــن

- صلاح الدين إسلام يتحرك على الأرض .
- هذه هي سماحة الإسلام يا أعداء الإسلام .

أولا : وقد كان للمسلمين أشخاص يدخلون إلى خيام الفرنج فيحملون ما يجدون حتى أنهم كانوا يأخذون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صبيا رضيعا من مهده ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجدا شديدا ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها : إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذن لك أن تذهبى إليه فتشتكى أمرك إليه ، قال العماد : فجاءت إلى السلطان فأنهت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه . ثم أمر بإحضار ولدها ، فإذا هو قد بيع فى السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشترى ، ولم يزل واقفا حتى جىء بالغلام ، فأخذته أمه ، وأرضعته ساعة وهى تبكى من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه[1] .

ثانيا : (وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها قد ضعفت وهو يطلب دجاجا وطيرا للتقوِّى به ، فعرف أنه إنما يطلب لنفسه يلطفها به ، فأرسل إليه شيئا كثيرا من ذلك كرما ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجا فأرسل إليه أيضا ، فلم يفد معه الإحسان ، بل لما عوفى عاد إلى شر مما كان)[2] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ .

الجـــزء التاســـع

– الفرنج يحاولون اغتصاب القدس سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولكن الله سلم .

– صلاح الدين وإخوانه يفشلون محاولة الأعداء .

– كلمة صلاح الدين فى إخوانه تكشف هدف الصليبيين من اغتصاب القدس ، ومسئولية جند الإسلام أمام الله عز وجل :

(اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم فى ذممكم معلقة ، والله – عز وجل – سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ، فإن توليتم – والعياذ بالله – طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الصليب فى المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله فى ذممكم ، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله ، وأكلتم مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم وتنصروا ضعيفهم ، فالمسلمون فى سائر البلاد متعلقون بكم ، والسلام)[1] .

– صلاح الدين يوسف يستجيب للصليبيين ويعقد معهم هدنة عام ٥٨٨ هـ .

– سبب الهدنة : (ملك انكلترا « انجلترا » لما رأى إجماع العساكر ، وأنه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر ، وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه ، وقد طالت غيبته عن بلاده ، أرسل إلى صلاح الدين فى الصلح) .

– أصحاب صلاح الدين وجماعة من الأمراء أشاروا بالإجابة إلى الصلح ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٨ .

وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل .

- (لما انفصل أمر الهدنة أذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس)[1] .

- صلاح الدين يعود إلى دمشق مرورا بالقدس .

- انتهاز فرصة الهدنة لإصلاح أحوال البلاد الداخلية .

- عزم صلاح الدين على الحج .

- القاضى الفاضل ينهاه عن ذلك (خوفا من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها، وفساد الناس والعسكر وقلة نصحهم ، وأن النظر فى أحوال المسلمين خير لك عامك هذا ، والعدو مخيم بعد بالشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقووا ويكثروا ، ثم يمكروا ويغدروا)[2] .

ومن هذه الرسالة ، يبدو فقه العلماء بفروض الأوقات ، وفرض الوقت حينذاك هو المرابطة فى مواجهة الأعداء ومجاهدتهم ، ويبدو أيضا حرص العلماء على إسداء النصيحة للحكام دون خوف أو وجل ، ابتغاء مرضاة الله .

فسمع السلطان منه وشكر نصحه ، وترك ما عزم عليه ، وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقيما بالقدس جميع شهر رمضان فى صيام وصلاة وقرآن .

وفى هذا صورة صادقة لتواضع الحكام المسلمين ، واستجابتهم لنصائح العلماء ، والقيام بما أوجبه الله سبحانه وتعالى عليهم .

فلما كان فى خامس شوال ركب السلطان فى العساكر ، فبرز من القدس قاصدا دمشق ، واستناب على القدس عز الدين جوردبك ، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعى ، فاجتاز على وادى الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح فى نابلس ، فنظر فى أحوالها ، ثم ترحل عنها ، فجعل يمر بالقلاع والحصون والبلدان فينظر فى أحوالها .

---

(١) الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٥٠ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٥١ .

الجـــزء العاشـــر

– وفاة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة :

(استهلت هذه السنة وهو فى غاية الصحة والسلامة ، وخرج هو وأخوه العادل إلى الصيد شرقى دمشق ، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعدما يفرغ من أمر الفرنج « أى تحرير بلاد الشام من الصليبيين » يسير هو لبلاد الروم ، ويبعث أخاه إلى بغداد ، فإذا فرغا من شأنهما سارا جميعا إلى بلاد أذربيجان ، وبلاد العجم)[1] .

ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه ...

(فقد مرض صلاح الدين ، واشتد به الحال ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر ، واستدعى أبا جعفر أمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو فى الغمرات فقرأ : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ فقال : وهو كذلك صحيح . فلما أذن الصبح جاء القاضى الفاضل ، فدخل عليه وهو فى آخر رمق ، فلما قرأ القارىء : ﴿ لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ ، تبسم وتهلل وجهه ، وأسلم روحه إلى ربه سبحانه ، ومات رحمه الله وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفردوس مأواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة ، لأنه ولد بتكريت فى شهور سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله ، فقد كان ردءا للإسلام ، وحرزا وكهفا من كيد الكفرة اللئام ، وذلك بتوفيق الله له)[2] .

---

(١) وفى هذه خطة حكيمة لتوحيد بلاد العالم الإسلامى ، مع استمرار راية الجهاد مرفوعة ، حتى يكون الدين لله . (البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢ ؛ الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٢٥ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣ .

هكذا خرج صلاح الدين من الدنيا ، نموذجا للقائد المسلم المجاهد الذى ندعوا الله أن يرزق الأمة المسلمة أمثاله ، يقول ابن الأثير :

(وكان رحمه الله كريما حليما ، حسن الأخلاق ، متواضعا صبورا على ما يكره ، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ، ولا يتغير عليه . وبلغنى أنه كان جالسا وعنده جماعة ، فرمى بعض المماليك بعضا بسر موز فأخطأته ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته ، ووقعت بالقرب منه ، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها . وطلب مرة الماء فلم يحضر ، وعاود الطلب فى مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر ، فقال : يا أصحابنا والله قد قتلنى العطش فأحضر الماء فشربه ولم ينكر التوانى فى أحضاره)[1] .

وقال العماد : (لم يترك فى خزانته من الذهب سوى جرام واحد – أى دينار واحد – صوريا ، وستة وثلاثين درهما ، ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا بستانا ولا شيئا من أنواع الأملاك . هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكرا وابنة واحدة)[2] .



(١) الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ . البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٤ .

الفصـــل الســـادس

رجال خلفوا صلاح الدين بخير
وساروا على الطريق لإتمام تحرير أرض الإسلام

لقد وفق الله سبحانه وتعالى صلاح الدين الأيوبى قبل موته إلى كسر شوكة الهجمة الصليبية على بلاد الشام ، حقيقة أن الصليبيين قد استمروا مائة سنة أخرى بعد وفاته فى بقاع متفرقة من بلاد الشام ، إلا أن جهود عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وجهت طعنات نجلاء فى جسد الهجمة الصليبية الأوربية ، وكانت بداية النهاية للهجمة الشرسة على بلاد الشام وغيرها من بلاد المسلمين .

يقول ابن كثير :

(انقضت مدة الهدنة التى كان عقدها صلاح الدين للفرنج سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة فأقبلوا بحدهم وحديدهم ، فتلقاهم الملك العادل أبو بكر بعد صلاح الدين بمرج عكا فكسرهم وغنمهم ، وفتح يافا عنوة ، ولله الحمد والمنة ، وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه سريعا ، وأخذت الفرنج فى هذه السنة بيروت من نائبها عز الدين شامة من غير قتال ولا نزال)(١) .

(وجرت خطوب كثيرة بينهم وبين العادل ، ففى كلها يستظهر عليهم ، ويكسرهم ، ويقتل خلقا من مقاتلتهم ، ولم يزالوا كذلك معه حتى طلبو الصلح والمعاهدة ، فعاقدهم على ذلك) .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٤ ، ١٥ .

ومن خلال هذا العرض الذى قدمه ابن كثير ، يتضح عدة أمور :

أولا : أن أعداء الإسلام يطلبون الهدنة ليتقووا بها على المسلمين ، من إعداد للعتاد وحشد للمقاتلة ، كما قال القاضى الفاضل فى رسالة إلى صلاح الدين – رحمة الله عليهما –(١) .

ثانيا : بركة الجهاد فى سبيل الله ، فهو السبيل إلى عزة المسلمين . وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف »(٢) .

ثالثا : لقد كان وراء هذا الصمود العظيم ، توفيق الله سبحانه وتعالى ، ثم توجيهات العلماء الفقهاء الصادقين . فها هو القاضى الفاضل يكتب من مصر إلى الملك العادل بدمشق يحثه على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصدده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الإسلام . وهكذا يجب أن يكون العلماء ، وأن الأمة الإسلامية لم تُؤْذَ فى حاضرها إلا بسبب ندرة العلماء الصادقين .

رابعا : رغم أن الملك العادل قد هادن الفرنجة إلا أنهم قد عادوا مرة أخرى عام ٥٩٤ هـ ، وحاصروا إحدى حصون الشام (تينين) .

الفرنج (الصليبيون الأوربيون) يركزون هجماتهم لاغتصاب مصر

لقد أدرك الفرنج ، كما بينا ، أن مصر تشكل مركز الثقل فى الصراع الدائر بينهم وبين بلاد العالم الإسلامى ، ولذلك نراهم يركزون هجماتهم على مصر لاغتصابها ، ولكن الله سلم .

ففى سنة خمس عشرة وستمائة ، هاجم الفرنج دمياط ، وحاصروها أربعة أشهر ، (والملك الكامل يقاتلهم ويمانعهم ، فتملكوا برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر ، تأوه لذلك تأوها شديدا ، ودق

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٥١ .

(٢) رواه مسلم .

بيده على صدره أسفا وحزنا على المسلمين ، وبلادها ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله عز وجل)[1] .

(ولما اشتهر الخبر بموت العادل ووصل إلى أخيه الكامل وهو بثغر دمياط مرابط للفرنج ، أضعف ذلك عضد المسلمين ، وفشلوا) .

ولما استحوذ الفرنج على مدينة دمياط ، ودخلوها بالأمان (فغدروا بأهلها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء ، وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورؤوس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة)[2] .

أبناء الملك العادل سيف الدين أبو بكر يواصلون رفع راية الجهاد :

(نزل الكامل تجاه الفرنج يمانعهم من دخول القاهرة بعد أن كان يمانعهم من دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستحثهم ويستنجدهم ، ويقول : الوحا الوحا العجل ، أدركوا المسلمين قبل أن تملك الفرنج جميع أرض مصر) .

واستجاب المسلمون لنداء مصر المسلمة : (فأقبلت العساكر الإسلامية إليه من كل مكان ، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف – بيض الله وجهه – ثم المعظم)[3] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٧٩ . وقد توفى فى سابع جمادى الآخرة ، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادى من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، دَيِّناً عاقلا صبورا وقورا ، أبطل المحرمات والخمور والمعازف من مملكته كلها ، وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين ، سوى حلب ، فإنه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازى ؛ لأنه زوج ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليما صفوحا صبورا على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه . حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها فى مقاتلة الفرنج ، وكانت له فى ذلك اليد البيضاء ، وكان ماسك اليد ، وقد أنفق فى عام الغلاء بمصر أموالا كثيرة على الفقراء ، وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئا كثيرا جدا ، ثم إنه كفن فى العام الثانى من بعد عام الغلاء فى الفناء مائة ألف إنسان من الغرباء والفقراء ، وكان كثير الصدقة فى أيام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه ...) .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٣ – ٨٤ ؛ الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٣١٥ – ٣١٦ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٠ ، وكان للملك العادل من الأولاد جماعة ، محمد الكامل صاحب مصر ، وعيسى المعظم صاحب دمشق ، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة ، وخلاط وحران وغير ذلك ، والأوحد أيوب مات قبله ، والفائز إبراهيم ، والمظفر غازى صاحب الرها ، والعزيز عثمان ، والأمجد حسن وهما شقيقا المعظم ، والمقيت محمود ، والحافظ أرسلان صاحب جعبر ، والصالح إسماعيل ، والقاهر =

وقد واصل هؤلاء القادة المسلمون الجهاد ، وقد وفقهم الله إلى طرد الفرنج من دمياط سنة ثمان عشرة وستمائة .. (بعد أن حصروهم وأجهدوهم فأثابوا إلى المصالحة)[1] .

دروس وعبر :

إن دراسة أحداث هذه الفترة تبرز لنا العديد من الدروس المستفادة :

أولا : أن أعداء الأمة المسلمة نهازون للفرص ، فها هم قد انتهزوا فرصة موت الملك العادل ، وقد انتابت الأمة حالةٌ من الحزن العميق ، والقلق والحيرة ، نتيجة موت قائد مسيرتها الجهادية ، لتحقيق مخططهم . ومن هنا تظهر أهمية تعالى الأمة على أحزانها ، وصبرها وثباتها فى مواجهة أعدائها .

ثانيا : أهمية قيادة الأمة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، ويدخل فى ذلك ضرورة إعداد الأشخاص الذين يرتبطون بالله ، ويقدرون – بفضل الله – على تولى موقع القيادة فى حالة غياب القائد أو وفاته : « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يَمُوت » .

ثالثا : أن اتحاد شعوب الأمة الإسلامية وزعمائها فى مصر ودمشق والجزيرة قد أدى إلى تضييق الخناق على الفرنج فى مصر ، وطردهم منها بعد ثلاث سنوات ، ومن هنا تظهر أهمية وحدة هذه الأقطار .

رابعا : أهمية الجهاد فى سبيل الله ، وهو الوسيلة الوحيدة لإجهاض مخططات أعداء الأمة الإسلامية ، فها هو الملك المعظم عيسى حاكم بلاد الشام يصدر أمرا إلى نائبه فى دمشق ليحرض الناس على الجهاد : (وأريد أن تحرض الناس على الجهاد وتعرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط من قبل الكفرة أهل

إسحاق ، ومجير الدين يعقوب ، وقطب الدين أحمد ، وخليل وكان أصغرهم ، وتقى الدين عباس وكان آخرهم وفاة ، بقى إلى سنة ستين وستمائة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون زوجة الظاهر غازى صاحب حلب ، وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذى ملك دمشق ، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح وهو الذى قتله هولاكو . البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٠ .

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٣١٧ – ٣١٨ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٩٥ .

العناد) . وهكذا يتضح لنا معنى حديث رسول الله - ﷺ -: « مثل المؤمنين في تَوَادِّهم وتَرَاحُمِهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

خامسا : حرص الصليبيين الأوربيين (الفرنج) على اغتصاب مصر ، رغم أنهم قد حاولوا ذلك مرات عديدة وباءوا بالفشل :

ففى سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، هجمت الفرنج مرة أخرى على دمياط واستحوذوا على الثغر ، وقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين ، وقد قيض الله لمصر فى هذه المحنة ، سلطانا مسلما هو الملك الصالح أيوب الذى وقف سَدًّا منيعاً فى وجه هذه الهجمة الأوربية الصليبية الشرسة ، وشاء الله أن يموت هذا السلطان وهو مرابط فى ليلة النصف من شعبان بالمنصورة ، وأخفت جاريته أم خليل المدعوة (شجرة الدر) خبر موته ، وأظهرت أنه مريض لا يوصل إليه ، حتى عاد ابنه الملك توران شاه من الثغر الذى كان يرابط عليه ببلاد الشام (حصن كيفا) : « فركب فى عصائب الملك وقاتل الفرنج حتى كسرهم وطهر البلاد من رجسهم ، ووقع لويس التاسع وبعض الأمراء الصليبيين أسرى فى أيدى أبناء مصر المسلمة »[1] .

والشيء الذى يَلْفِتُ النظر هنا ، أن يدا آثمة قد امتدت - عشية النصر - لتغتال القائد المسلم[2] ، المجاهد (توران شاه) ، الذى كان على يديه ، كسر شوكة الصليبيين ، وتحرير مصر من كيدهم .

فمن الذى اغتاله ؟ هل هى اليد التى اغتالت عماد الدين زنكى وهو يحاصر حصن جعبر ؟؟ والتى حاولت أن تغتال نور الدين محمود ؟؟ وصلاح الدين يوسف ؟

إن المؤامرات التى حصلت ضد هؤلاء الحكام المسلمين المجاهدين ، تجعل ذلك الاحتمال كبيرا .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) يذكر ابن كثير : (وكان كريما حييا دينا) ، جـ ١٣ ، ص ١٩٦ .



الفصـــل السابـــع

تمهيد :

اقتران الهجمة الصليبية على بلاد الشام ، والجزيرة ومصر ، بالهجمة التتارية الكافرة التى اجتاحت العالم الإسلامى منذ سنة سبع عشرة وستمائة :

يقول الإمام الحافظ : (وفى هذه السنة عمّ البلاء وعظم العزاء بجنكيز خان المسمى بتموجين - لعنه الله ومن معه من التتار قبحهم الله أجمعين - واستفحل أمرهم ، واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا إلى العراق ومن حولها حتى انتهوا إلى أربل وأعمالها ، فملكوا فى سنة واحدة - وهى هذه السنة - سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر ، وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال ، وكثيرا من النساء والأطفال ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى كانوا يجمعون الحرير الكثير الذى يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويخربون المنازل وما عجزوا عن تخريبه يحرقوه ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا فى القتال قتلوهم)[1] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

الجـــزء الأول

– الرزايا تجتمع على أرض الرافدين والجزيرة وبلاد الشام ومصر .

– جحافل التتار تجتاح البلاد وتنزل بأهلها أسوأ أنواع النكال منذ عام ٦٥٥ هـ .

– إسقاط الخلافة وقتل الخليفة المستعصم بالله عام ٦٥٦ هـ .

– لم ينج من التتار سوى (أهل الذمة) من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى .

– الله سبحانه يقيض القائد المسلم الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركى لإجهاض هذه الهجمة التتارية الشرسة ، التى استهدفت الأمة المسلمة ودينها فى عين جالوت[1] .

لقد هاج التتار بقيادة هولاكو عاصمة الخلافة الإسلامية ، بغداد ، فى سنة ست وخمسين وستمائة وأنزل بها وبأهلها أسوأ أنواع القتل والدمار ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضى وطائفة من التجار ... وكان الوزير ابن العلقمى قبل هذه الحادثة يجتهد فى صرف الجيش[2] وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر فى آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٣٢٩ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨٢ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ .

(٢) وهنا تظهر خطورة صرف الجيوش الإسلامية عن مهامها القتالية ، لتكون على أهبة الاستعداد للذود عن الإسلام والمسلمين إذا ما جد الجد .

الأكاسر ، فلم يزل يجتهد فى تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب التتار وأطمعهم فى أخذ البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعا فى أن يزيل السُنَّة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة[1] ، وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبيد العلماء المفتين[2] .

وفى سنة ثمان وخمسين وستمائة (دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاكو خان ، وجازوا الفرات على جسور عملوها ، ووصل إلى حلب فى ثانى صفر من هذه السنة ، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ثم غدروا بأهلها وقتلوا منها خلقا لا يعلمهم إلا الله – عز وجل – ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال ..... وكان نائبها الملك توران شاه بن صلاح الدين ، وكان عاقلا حازما ، لكن لم يوافقه الجيش على القتال)[3] .

(وأرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشا من أمير من كبار دولته يقال له : كتبغا نوين فوردوا دمشق فى آخر صفر ، فأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة) ... وسلمت البلد والقلعة إلى أمير يقال له : ابل سيان ، وكان – لعنه الله – معظما لدين النصارى فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعظمهم جدا ، وزار كنائسهم[4] ، فصارت لهم دولة وصولة بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو ، وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، ومعهم أوانى فيها خمر ، لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس

---

(١) وهذا يبين لنا خطورة تسلل العناصر العميلة إلى جهاز الحكم فى الدولة الإسلامية ، لتحقيق مخطط الأعداء ، والمسلمون لا يشعرون ، ولا يأبهون ، وقد يكونوا متورطين .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٠٠ – ٢٠٢ ، وهذا يشير إلى أن عناصر الخيانة قد وصلت إلى أعلى منصب وزارى فى الدولة ، على عهد أحد خلفاء بنى العباس ، فما هو السبب ؟؟

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢١٨ ؛ وهذا دليل على أن أهل الكفر لا عهد لهم .

(٤) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢١٩ .

وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به فى الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم)[1] .... اتفق وقوع هذا كله فى العشر الأخير من رمضان من هذه السنة .

(فما مضت سوى ثلاثة أيام ، حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت) ، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لمّا بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة ، وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام بادرهم قبل أن يبادروه ، وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فخرج فى عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى إلى الشام ، واستيقظ له عسكر المغول ، وعليهم (كتبغا نوين) ، وكان إذ ذاك فى البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكى ، فأشاروا عليه : بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو ، فأبى إلا أن يناجزه سريعا ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا عظيما ، فكانت النصرة – ولله الحمد – للإسلام وأهله ، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة ، وقتل أمير المغول كتبغا نوين وجماعة من بيته ، وقد قيل : إن الذى قتل كتبغا نوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسى ، وأتبعهم الجيش الإسلامى يقتلونهم فى كل موضع ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماه مع الملك المظفر قتالا شديدا ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب ، وكان أتابك العسكر ، وقد أسر من جماعة كتبغا نوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأمن الأشرف صاحب حمص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاكو خان نائبا على الشام كله ، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص ، وكذلك رد حماه إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها ، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب ، واتبع الأمير بيبرس البندقدارى وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم فى كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ ، وصدق الله العظيم : ﴿ لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمّة ﴾ ؛ ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ﴾ .

والعشرين من رمضان ، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ، ويستفكون الأسارى من بين أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة – ولله الحمد على جبره إياهم بلطفه – فجاوبتها دق البشائر من القلعة ، وفرح المؤمنون بنصر الله فرحا شديدا ، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدا ، وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون)[١] .

وفى غمرة النصر ، قتل القائد المجاهد السلطان الملك المظفر قطز لمّا عاد قاصدا مصر ، فمن الذى قتله ؟؟ هل هم الصليبيون ؟ هل هم الشيعة الباطنية ؟ الذين قتلوا عماد الدين زنكى ؟ ونور الدين محمود ؟ وحاولوا قتل صلاح الدين يوسف ؟؟

وبعد مقتل السلطان قطز[٢] تولى المسئولية من بعده الملك الظاهر بيبرس البندقدارى[٣] .

(وكان هولاكو خان لما بلغه ما جرى على جيشه من المسلمين بعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستعيدوا الشام من أيدى المسلمين فحيل بينهم وبين ما يشتهون ، فرجعوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيف الباتر الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٢) يقول عنه ابن كثير : (الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركى ، أحد مماليك الصالح أيوب بن الكامل ، بويع فى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة ، ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرة الإسلام كما ذكرنا ، وقد كان شجاعا بطلا كثير الخير ناصحا للإسلام وأهله ، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرا . ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحدا فى الساعة الراهنة من الوشاقية الذين معهم الجنائب ، فترجل وبقى واقفا على الأرض ثابتا ، والقتال عمال فى المعركة ، وهو فى موضع السلطان من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبنها فامتنع وقال لذلك الأمير : ما كنت لأحرم المسلمين نفعك . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخيل فركب ، فلامه بعض الأمراء وقال : يا خوند لم لا ركبت فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه ، وقد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقا من الملوك ، فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيع الإسلام) ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٥ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

العساكر فى كل وجه لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة ، فلم يقدر التتار على الدنو إليه ، ووجدوا الدولة قد تغيرت ، والسواعد قد شمرت ، وعناية الله بالشام وأهله قد حصلت ، ورحمته بهم قد نزلت ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين القهقرى ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات)[1] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٣ .

دروس وعبر :

ما أشبه اليوم بالأمس البعيد والقريب ، فأعداء الأمة المسلمة ، هم هم ، لم يتغيروا ، ولم يتبدلوا ، إنَّهم الشيوعيون الذين ورثوا الحقد التتارى اللعين على الإسلام والمسلمين ، فهم الذين اغتصبوا الأقاليم الإسلامية : الأورال ، استراخان وسنيبريا والقرم والقوقاز والتركستان ، أى الشمال الشرقى من العالم الإسلامى أجمع[1] .

ولا زالوا يدمرون ويقتلون أبناء الإسلام فى أفغانستان لاغتصابها ، والإجهاز على آخر صوت يقول : لا إله إلا الله .

إنَّهم الأوربيون الذين اغتصبوا أرض الإسلام فى بلاد الشام ، والشمال الأفريقى ، وأفريقية وغيرها ، وهم الذين مهدوا الطريق أمام اليهود لاغتصاب أرض فلسطين ، ولعملائهم للسيطرة على الكثير من أرض الشام .

إنَّهم الفرق الباطنية : الإسماعيلية والنصيرية والدروز والنصارى الذين كانوا عونا للهجمة التتارية على بلاد الإسلام ، وهم الذين يعاونون اليهود وأوَربا الصليبية اليوم لاغتصاب ديار الإسلام فى بلاد الشام ، وغيرها من بلاد الإسلام .

الفارق بين الأمس واليوم ، بالأمس كان المسلمون فى عافية من دينهم ، وكانوا يدركون عدوهم ويجاهدونه أما اليوم ، فقد تخلى الكثير من أبناء الإسلام عن دينهم ، وصاروا ذيولا ، وعملاء لأعدائهم من الشيوعيين والاشتراكيين وغيرهم . إن المشكلة الخطيرة التى يواجهها العالم الإسلامى اليوم ، أن الأمر قد عمّى عليه ، فلم يدرك ولم ينتبه إلى أن الاحتلال الأجنبى قد خرج من كثير من بلاد المسلمين ، وخلف وراءه أبناءً يأتمرون بأمره ، وينفذون مخططه . لذلك

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، تأليف محمد الغزالى ، المختار الإسلامى ، القاهرة .

لا عجب أن يشاهد الكثير من أبناء المسلمين اليوم يوالون أعداء الله ويعطونهم حبهم ومودتهم وولاءهم وصفقة أيديهم .

– ملة الكفر واحدة ، نلمح ذلك من تعاون الفرنج (الصليبيين الأوربيين) مع التتار ضد أبناء المسلمين . فحينما تحرك جيش مصر الإسلامية بقيادة الظاهر بيبرس باتجاه بلاد الشام (حلب) لطرد التتار ، ووصل إلى غزة ، كتب الفرنج إلى التتار ينذرونهم فرحلوا عنها مسرعين[1] .

– أن سرد الأحداث التاريخية ، يؤكد لنا أن الأعداء حريصون على زرع أقليات غير إسلامية فى بلاد العالم الإسلامى ، لإثارة المشاكل والقلاقل وليكونوا لهم عينا على بلاد الإسلام ، ولضمان عدم استقرار الأحوال فى ديار الإسلام ، ولعل ما يحدث الآن عام (١٤٠٦ هـ) فى جنوب السودان ولبنان وغيرها دليل على ما نقول .

– أن أعداء الإسلام لا أيمان لهم ، فكم من المرات أعطوا الأمان لأهل البلاد ليفتحوها ؛ وبعد ما فتحوها نكثوا أيمانهم ، وأنزلوا بالبلاد أسوأ أنواع الانتقام .

تماما كما حدث فى صبرا وشاتيلا ، حينما تعهد اليهود والعالم الغربى بالحفاظ على أبناء فلسطين على أرض لبنان ؛ على شريطة أن يخرج المقاتلون الفلسطينيون ؛ ماذا حدث ؟ لقد نكثوا أيمانهم وتعاون الكتائب واليهود فى هتك الأعراض وقتل النساء ، وإجهاض الحوامل ، والتنكيل بالشيوخ والشباب ، بل وحرصوا ويحرصون على تدمير الوجود الفلسطينى أيا كان فى أى مكان .

– أن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لاستنقاذ الأرض الإسلامية والعرض الإسلامى والثروة الإسلامية وإقامة دين الله فى الأرض ، فلولا خروج السلطان سيف الدين قطز مجاهدا على رأس جيش مصر الإسلامية ، ما تمكن المسلمون من إجهاض الهجمة التتارية الكافرة .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٣١ .

– أن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، لقد عاث التتار فى الأرض فسادا ، وتحقق لهم الفوز فى غالب معاركهم ، واجتاحوا الشرق بأكمله ، وتصوروا بعد أن سقطت الشام أمام جحافلهم ، أنه ليس أمامهم إلا مصر وبعدها يكونوا قد ملكوا أزمة الأمور ؛ وشاء السميع العليم أن تكون هزيمتهم بل مصرعهم ، وإنهاء ملكهم على يد القائد المجاهد المسلم قطز حاكم مصر .

– ومن هنا نتبين ونستيقن أنه إذا هزم المسلمون فى معركة واحدة ... فلا يعنى ذلك أن الهزيمة قد كتبت عليهم إلى الأبد ، على العكس من ذلك يعنى أنه لابد من الأخذ بالعدة وأولها الإيمان بالله ، وتوحيد الصف المسلم ، وإعداد ما فى الطوق ، وحينذاك يتنزل نصر الله – سبحانه وتعالى – وهذا ما فعله قطز وبيبرس فتحقق النصر على أيديهم .

– أن اليد الآثمة التى امتدت لتغتال القائد المجاهد قطز وهو فى أوج انتصاره ، هى نفس الأيدى التى حاولت أن تغتال محمد رسول الله – ﷺ – وهى نفس الأيدى التى اغتالت عمر وعثمان – رضى الله عنهما – وهى التى يمكن أن تمتد لتغتال الحاكم الصالح ، أو الحاكم الذى لا يعين على تنفيذ مخططات الأعداء ، وإن كانت الآجال كلها بيد الله ﴿ ما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الجـــزء الثانـــى

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس يجاهد الصليبيين والتتار

بعد اغتيال القائد المسلم قطز ، الذى حقق الله على يديه النصر على جموع التتار ، برز على الساحة شخصية مجاهدة ، هى شخصية السلطان ركن الدين بيبرس حاكم مصر الذى واصل جهاده ضد التتار والصليبيين فى آن واحد .

لقد اشتهر – هذا القائد – كما تحكى كتب التاريخ بالصلاح والتقوى ، واقترن عهده بتصفية معظم الجيوب الصليبية فى بلاد الشام ومصر .

واقترن عهده أيضا ، بإقامة الخلافة ، حينما نصب الحاكم بأمر الله أبى العباس خليفة سنة إحدى وستين وستمائة .

وقد خطب الخليفة العباسى بمناسبة تنصيبه خطبة هذا نصها : (الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركنا ظهيرا ، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا ، أحمده على السراء والضراء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء ، وأستنصره على دفع الأعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله – ﷺ وعلى آله وصحبه – نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء ، لا سيما الأربعة ، وعلى العباس كاشف غمة أبى السادة الخلفاء ، وعلى بقية الصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أيها الناس ، اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأنام ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سبيت الحرم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم ، فلو شاهدتم أعداء الإسلام لما دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والأموال وقتلوا الرجال والأطفال ، وسبوا الصبيان والبنات ، وأيتموهم من الآباء والأمهات ، وهتكوا حرم الخلافة والحريم ، وعلت الصيحات

من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خصبت شيبته بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه ، فشمروا عباد الله عن ساق الاجتهاد فى إحياء فرض الجهاد ، واتقوا الله ما استطعتم ﴿ واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ . فلم يبق معذرة فى القعود على أعداء الدين ، والمحاماة عن المسلمين وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأصبحت البيعة بهمته منتظمة العقود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نياتكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ، ولا يروعكم ما جرى فالحرب سجال والعاقبة للمتقين ، والدهر يومان والأجر للمؤمنين ، جمع الله على الهدى أمركم ، وأعز بالإيمان نصركم ، وأستغفر الله لى ولسائر المسلمين ، فاستغفروا إنه هو الغفور الرحيم)[١] .

السلطان ركن الدين بيبرس يواصل مسيرته الجهادية :

(جهز السلطان الظاهر عسكرا جما كثيفا إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة ، فلما سمعوا العساكر قد أقبلت ولوا مدبرين)[٢] .

(وفى سنة ثلاث وستين وستمائة خرج الملك الظاهر فى عساكره فقصد بلاد الساحل لقتال الفرنج ففتح قيسارية ومدينة أرسوف واستعادها من براثن الصليبيين)[٣] .

كما انتزع الملك الظاهر صفد من بين أيدى الفرنج قهرا سنة أربع وستين وستمائة[٤] .

واسترجع مدينة يافا ، وحصن الشقيف وغيرها سنة ست وستين وستمائة[٥] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٤٤ ، وهذا يبين لنا أهمية دور مصر الإسلامية فى الذود عن ديار المسلمين .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٤٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

وفى نفس السنة ، استرجع الملك الظاهر أنطاكية فى يوم السبت رابع عشر من رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره[1] .

(وفى جمادى الآخرة سنة سبع وستين وستمائة رسم السلطان الملك الظاهر بإراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطىء بالبلاد كلها ، وأسقط المكوس التى كانت مرتبة على ذلك)[2] .

(وفى خامس جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وصل السلطان معسكره إلى الفرات لأنه بلغه أن طائفة من التتار هناك فخاض إليهم نهر الفرات بنفسه وجنده وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقا كثيرا ، ثم ساق إلى ناحية البيرة ، وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ، ودخل السلطان إلى البيرة)[3] . وكان أول من اقتحم الفرات الأمير سيف الدين قلاوون .

وفى سنة خمس وسبعين وستمائة استعاد الملك الظاهر مدينة قيسارية فى بكرة الأحد ثانى عشر ذى القعدة[4] .

وفاة الملك الظاهر :

وقد توفى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك ، سنة ست وسبعين وستمائة ، يقول عنه ابن كثير : (كان شهما شجاعا عالى الهمة بعيد الغور مقداما جسورا ، يشفق على الإسلام ، له قصد فى نصرة الإسلام وأهله)[5] . وكان مقتصدا فى ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه ، وهو الذى أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها ، وبقى الناس بلا خليفة نحوا من ثلاث سنين . وكان رحمه الله متيقظا شهما شجاعا لا يفتر عن الأعداء ليلا

---

(١) نفس المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٤ ، ٢٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
(٥) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٧٥ .

ونهارا ، بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله ، ولم شعثه واجتماع شمله . وبالجملة أقامه الله فى هذا الوقت المتأخر عونا ونصرا للإسلام وأهله ، وشجا فى حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين . وأبطل الخمور ونفى الفساق من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفاسد إلاَّ سعى فى إزالته بجهده وطاقته[1] .

★★★★★★★

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

الجـــزء الثالـــث

الملك المنصور قلاوون يواصل مسيرة الجهاد

وفى سنة ثمان وسبعين وستمائة بويع الملك المنصور قلاوون الصالحى فى مصر وبلاد الشام[1] ، الذى واصل جهاده للفرنج والتتار[2] .

وقد نازل التتار فى مواقع عديدة نذكر منها وقعة حمص فى سنة ثمانين وستمائة[3] . التى كسر فيها التتار بحول الله وقوته ، وتحقق فيها النصر للمسلمين ، ونجت بلاد الشام من شرهم ؛ كما قام باسترجاع ما تبقى من معاقل الصليبيين فى بلاد الشام :

(ففى سنة أربع وثمانين وستمائة استرجع حصن المرقب ببلاد الشام ، والذى كان مضرة على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، وفتح حولة بانياس ، واستنقذ المنصور خلقا كثيرا من أسارى المسلمين الذين كانوا عند الفرنج ولله الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافرت العساكر المصرية إلى القاهرة[4] .

(وفى سنة ثمان وثمانين وستمائة ، كان استرجاع مدينة طرابلس ، وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيوش المنصورة المصرية صحبته إلى دمشق ، فدخلها فى الثالث عشر من صفر ، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبته خلق كثير من

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

المتطوعة ، منهم القاضى نجم الدين الحنبلى قاضى الحنابلة ، فنازل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا ... وفتحت طرابلس عنوة ... وقد كان لها فى أيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ . وقد كانت قبل ذلك فى أيدى المسلمين من زمن معاوية)[1] .

وقد عزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . يقول عنه الإمام الحافظ : (كان حسن الصورة مهيبا ، عليه أبهة السلطنة ، ومهابة الملك ، تام القامة ، حسن اللحية ، عالى الهمة ، شجاعا وقورا ، سامحه الله)[2] .



(١) المصدر السابق ، ص ٣١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون
يطهر بلاد الشام من بقايا الجيوب الصليبية
سنة تسعين وستمائة من الهجـــرة[1]

وقد تولى مسئولية مصر وبلاد الشام بعد وفاة أبيه الملك المنصور ، وعلى يديه يسر الله – سبحانه وتعالى – استمرارية مسيرة الجهاد الإسلامية ، فقد تم استرجاع بقية ثغور الشام من أيدى الصليبيين .

ففى عهده فتحت عكا وبقية السواحل :

يقول الإمام الحافظ ابن كثير : (وفيها جاء البريد إلى دمشق فى مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا ، ونودى فى دمشق الغزاة فى سبيل الله إلى عكا ، وقد كان أهل عكا فى هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأبرزت المجانيق إلى ناحية الجسورة ، وخرجت العامة والمتطوعة يجرون فى العجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء ، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى ، وخرجت العساكر بين يدى نائب الشام وخرج هو فى آخرهم ، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر ، وخرج الناس من كل صوب ، واتصل بهم عسكر طرابلس ، وركب الأشرف من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا ، فتوافت الجيوش هنالك ، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ، ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها ، واجتهدوا غاية الاجتهاد فى محاربتها والتضييق على أهلها ، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخارى ، فقرأن الشيخ شرف الدين الفزارى ، فحضر القضاة والفضلاء

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

والأعيان) ... وصمم السلطان على الحصار .. ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ... وطلع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس ، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد ، فولت الفرنج عند ذلك الأدبار ، وركبوا هاربين فى مراكب التجار ، وقتل منهم عدد لا يعلمه إلا الله تعالى ، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئا كثيرا جدا ، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها ، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك ، فيسر الله فتحها يوم جمعة ، كما أخذتها الفرنج من المسلمين فى يوم الجمعة ، وسلمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف ، فاستوثق الساحل للمسلمين ، وتنظف من الكافرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين) .

(وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ، ففرح المسلمون ودقت البشائر فى سائر الحصون ، وزينت البلاد ليتنزه فيها الناظرون والمتفرجون ، وأرسل السلطان إلى صور أميرا فهدم أسوارها وعفا آثارها . وقد كان لها فى أيدى الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسمائة . وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدى الفرنج ، ثم إن الفرنج جاءوا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة ، ثم جاء صلاح الدين ليمانعهم عنها مدة سبعة وثلاثين شهرا ، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين ، كما تقدم ذلك) .

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصدا دمشق فى أبهة الملك وحرمة وافرة ، وفى صحبته وزيره ابن السلعوس والجيوش المنصورة ، وفى هذا اليوم استناب بالشام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وسكن بدار السعادة ، وزيد فى إقطاعه حرستا ولم تقطع لغيره ، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة ، وجعل له فى كل يوم ثلثمائة على دار الطعام ، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة ، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقى فيها برج عَضِىّ ، ففتحه ودقت البشائر بسببه ، ثم عاد سريعا إلى السلطان فودعه ، وسار السلطان إلى الديار المصرية فى أواخر رجب ، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها فى أقرب وقت ، وسلمت عثلية وانطرطوس وجبيل . ولم يبق بالسواحل – ولله الحمد – معقل

للفرنج إلا بأيدى المسلمين ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ودخل السلطان إلى القاهرة فى تاسع شعبان فى أبهة عظيمة جدا)[1] .

(١) البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، محمد الرسول الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل :

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (التوبة آية ٤١) .

ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، القائل : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (رواه أحمد والطبرانى فى الكبير) .

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :

فقد تتبعنا على الصفحات السابقة أحوال بلاد الشام وبعض البلاد المجاورة عبر التاريخ ، فى محاولة مِنّا لرسم معالم الطريق الذى يجب أن يسلكه المسلمون لتحرير أرض الشام وغيرها ، لإقامة حكم الإسلام فيها ؛ وقد أسفرت المحاولة عن نتائج كثيرة منها :

– إن أرض الشام ، بما فى ذلك بيت المقدس ، هى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وأنها دواما ، وفى أغلب فترات التاريخ ، كانت محكومة بنظام الإسلام وشرعه ، كما أنها كانت موطن رسالات سماوية كلها دعت إلى الإسلام .

– أن الإمامة على أرض الشام كانت للأنبياء والملوك المسلمين ، ومنهم إبراهيم واسحاق ويعقوب وداود وسليمان عليهم السلام .

– إن أول من بنى المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام[1] ، وكان ذلك بعد

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرة إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى ، ص ٣١٧ .

بناء المسجد الحرام بأربعين عاما ، وقد قام الأنبياء إبراهيم ويعقوب وسليمان عليهم السلام بعمل تجديدات وإضافات لهذا المسجد .

– إن سليمان عليه السلام نبى مسلم ، وعلى عهده وعهد أبيه ، قامت دولة إسلامية امتدت حدودها لتشمل بلاد الشام والجزيرة العربية وغيرها ، وسليمان عليه السلام قد جدد بناء المسجد الأقصى ، ولم يبن هيكلا ليهوه أو لغيره ، كما زعم المستشرقون ، ومن سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين .

– إن أرض الشام بما فى ذلك بيت المقدس وغيرها من البلاد المجاورة ، قد تعرضت للغصب مرّات عديدة ، أخطرها ذلك الذى تعرضت له منذ نهاية القرن الخامس الهجرى على أيدى الأوربيين ، وذلك الذى تتعرض له الآن (بداية القرن الرابع عشر الهجرى) على أيدى اليهود الذين رمت أوروبا بهم العالم الإسلامى .

– وقد ابتليت بلاد الشام بتسلط الأعداء عليها ، فى الفترات التى ضعف فيها سلطان الإسلام على نفوس العباد ، فانطلقوا يعيثون فى الأرض فساداً ، فسلط الله عليهم بذنوبهم من لا يخاف الله ولا يرحمهم .

– إن انحراف المسلمين على أرض الشام وغيرها ، كان دواما فى أول الأمر ، يسيرا ، ثم تزداد زاوية الانحراف ، ثم يحدث السقوط ، تماماً كما حدث فى نهاية عصر الدولة العباسية ، لقد انحرف أهل الإسلام ، وهم يتصورون أنهم على شيء ، فقصروا فى القيام بواجباتهم ، حيال ربهم وأمتهم وأنفسهم ، ووقعوا فى الحرام ، وركنوا إلى الدنيا ، ونكلوا عن مجاهدة الأعداء ، واستمرأوا حياة الترفل والانكباب على الملذات ، ولذلك كان لابد وأن يضربهم الله بالذلّ ، إمضاء لسنة ربانية بيَّنها رسول الله محمد ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاًّ ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »[1] .

---

(١) صحيح ، رواه أحمد فى سنده والطبرانى فى الكبير (صحيح الجامع الصغير وزيادته) تأليف محمد ناصر الدين الألبانى ، المجلد الأول ، المكتب الإسلامى ، ط ٣ ، دمشق ١٤٠٢ هـ حديث رقم ٤١٦ .

لقد سلّط على العالم الإسلامى فى بلاد الشام ، ومصر وأرض الرافدين وتركيا ، عدوا نزعت من قلبه الشفقة والرحمة ، هو أوروبا التى تسترت بستار الصليب لكى تسفك الدم الإسلامى ، وتهتك العرض ، وتؤيم النساء ، وتيتم الأطفال .

وهنا نجد سؤالا يفرض نفسه ؟

لقد التقى معسكران ، وجهاً لوجه ، معسكر الأوروبيين الذى يبغى القضاء على كل صوت يرتفع مردداً لا إله إلا الله ، ليغتصب الأرض والعرض والثروة !

ومعسكر يرفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والأصل أن ينتصر المعسكر الثانى ، ولكن النتيجة جاءت غير ذلك ، وعلى عكس ما كان يتصور أهل الإسلام ، والسبب واضح : أن كون لا إله إلا الله محمد رسول الله . أصبحت شعاراً لا يكفى لتحقيق النصر ، لقد نسى أبناء المسلمين أن لها مقتضيات ، ومن مقتضياتها أن تخضع الحياة بأكملها لنظام الله وشرعه ، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وتظل راية الجهاد مرفوعة على الدوام ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ .

ولذلك كان من الطبيعى أن ينتصر المعسكر الأول على المعسكر الثانى .

– لقد أدرك أعداء الإسلام ، أنه ليس من السهل التغلب على أبناء المسلمين واغتصاب ديارهم ، إلا إذا ضعف سلطان العقيدة فى نفوسهم ، لذلك لجأوا إلى أسلوب خبيث ، وهو إعداد قيادات لتقود الشعوب الإسلامية ، رافعه شعار الإسلام ، لضرب الإسلام وتمزيق الصف المسلم من الداخل .

من هذه القيادات عبيد ؟؟ المهدى ، الذى اغتصب جزءاً من جسد الدولة الإسلامية على عهد الخلافة العباسية ، زاعما أنه من سلالة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ومؤسسا لدولة تسمى الدولة الفاطمية ، وكان هذا المجوسى الرافضى ، كما

يقول السيوطى فى تاريخ الخلفاء[1] ، حريصا على هدم دولة الخلافة العباسية وإفساد عقيدة الأمة المسلمة فى الشمال الأفريقى ومصر وبلاد الشام ، بجعل المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى للدولة وإجبار أهل السنة على التحول إليه ، بل إنهم قتلوا علماء أهل السنة ، وكانوا يسبون الخلفاء على منابر المساجد . كما أن حكام هذه الدولة كانت لهم سفارات متبادلة مع الأوربيين الغزاة ، الذين اغتصبوا ديار المسلمين .

والشىء الذى يدعو إلى الدهشة أن هذه الحيلة قد انطلت على كثير من المسلمين بدليل التأييد الذى لقيه الحكام العبيديون من أبناء الأمة الإسلامية . ولا يعنى ذلك أن الساحة الإسلامية قد خلت من العناصر الواعية ، الذين انتبهوا لهذا الأمر ، على العكس ، كان هنالك مدركون من العلماء العاملين ، ولكن أسلوب القهر الذى اتبعه الحكام العبيديون قد أخفت صوت الحق .

وما حدث فى غرب الدولة الإسلامية ، حدث فى شرقها ، وفى توقيت مشابه حيث ظهر القرامطة الباطنيون الذين رفعوا شعار الإسلام . والإسلام منهم براء ، وحرصوا على إسقاط دولة الخلافة العباسية ، وإفساد عقيدة أهل السنة والجماعة ، واغتيال العلماء والحكام الصالحين على امتداد رقعة كبيرة من الوطن الإسلامى ، امتدت من إيران وأرض الرافدين إلى تركيا وبلاد الشادم .

وزحفت أوروبا على العالم الإسلامى ، لتجد أمّة مؤهلة للسقوط ورغم هذا فقد كانت الأمة المسلمة فى عافية من دينها ، فقد قيضّ الله علماء أجلاء ، وحكاماً أتقياء ، منهم : عماد الدين زنكى ونور الدين محمود ، ونجم الدين أيوب وصلاح الدين يوسف ، الذين أدركوا أن إزالة آثار هذه الهجمة الأوروبية العدوانية الشرسة يستلزم :

أولا : بناء العقيدة الصحيحة فى قلوب أبناء الأمة الإسلامية .

ثانيا : إعادة مصر وبلاد الشام إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) ص ٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٧ .

ثالثا : تدعيم كيان الخلافة ؛ لأنها السياج الحامى للأمة الإسلامية .

رابعا : توحيد الصف المسلم مع تنقيته من الأعداء الذين يتسمون بأسماء المسلمين ، ويرفعون شعاراته لضرب الإسلام والمسلمين .

خامسا : الأخذ بأسباب القوة .

وحينما نجح هؤلاء القادة فى تحقيق هذه المستلزمات ، تحقق النصر بفضل الله ، وانتصر المسلمون على أعدائهم ، وتحررت بلاد الشام وغيرها من البلاد بعد قرنين من اغتصاب الأوروبيين لها .

– فى كل مرة اغتصبت القدس وأرض الشام ، كان يقيض الله سبحانه وتعالى جيلا مجاهداً ، يعمل على تحريرها من أيدى الغاصبين ، وذلك يعنى أن تحرير القدس وبلاد الشام لن يتم إلا على أيدى المسلمين المجاهدين ، ويعنى أيضا أن أسلوب المفاوضات واللجوء إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وما تسمى بالدول الكبرى لن يَرُدَّ للأمة الإسلامية حقا مغتصبا، بل إنه سيؤدى إلى تكريس العدوان على أرض الإسلام .

إن الذين اغتصبوا بلاد الشام وبيت المقدس وبلاد المسلمين على مدار سبعة قرون (٦٤ قبل الميلاد – ٦١٤ ميلادية) هم الفرنج الأوربيون ، والذين اغتصبوا أرض الشام على مدار قرنين (٤٩٢ هجرية – ٦٩٠ هجرية) هم الفرنج (الأوربيون) ، والذين رموا بلاد الشام وبيت المقدس وغيرها باليهود وغيرهم ، هم الأوربيون ، وذلك يعنى أن أوربا هى التى كرّست العدوان على أرض الإسلام ، وهى التى تسانده ، حتى الآن . ولن تتخلى أوروبا عن مساندتها الظاهرة والخفية لليهود وحلفائهم ، إلا إذا أجبرت على ذلك .

إن الأمة المسلمة معاقبة بالتيه الذى عوقب به بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام ، لأنهم رفضوا مجاهدة الأعداء على أرض القدس و﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ﴾ ، والأمة الآن تقول : لا قبل لنا بمواجهة ما تسمى بالدول الكبرى ، تماماً مثلما قال جنود طالوت : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ ، ونخلص من ذلك أن هذه المحنة ستفرز – بكل تأكيد بفضل الله –

جيلا مجاهداً سيكون على يديه تحرير المقدسات الإسلامية .

إن أرض الشام بما فى ذلك بيت المقدس ، ميراث الأمة المسلمة ﴿ التى كتب الله لكم ﴾[1] ، ولذلك فإن الإمامة عليها لابد وأن تكون فى يد الأمة المسلمة ، وهذا ، لعله ، مدلول إمامة رسول الله محمد ﷺ لجميع الأنبياء والمرسلين فى بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج .

إن الحملات التى دفعت بها أوروبا إلى بلاد الشام وبيت المقدس وغيرها ، كانت تجد دعماً من اليهود وطائفة الإسماعيلية التى كانت تحرص على القيام باغتيال الحكام المسلمين من أهل السنة . بل كانت هناك مراسلات بين الإسماعيلية والفرنج (الأوربيين) ، فقد ذكر وليم الصورى المؤرخ ، أن راشد الدين قد أرسل وفداً إلى املريك ملك بيت المقدس عام ٥٦٩ هـ لعقد اتفاق بين الطرفين ضد نور الدين ولوح له بأنه وقومه يفكرون بالتحول إلى النصرانية ، وطلب منه مقابل ذلك إلغاء الضريبة التى فرضها فرسان الداوية من الصليبيين الأوربيين على بعض القرى الإسماعيلية[2] .

وقد ذكر الرحالة اليهودى بنيامين (ت : ٥٦٩ هـ) أن أربعة آلاف يهودى كانوا يعملون ضمن نطاق الحركة الإسماعيلية ببلاد الشام وأنهم كانوا ينتقلون معهم فى الجبال ، وأن رأس الجالوت ببغداد كان يراسل العلماء اليهود لمساندة الحركة الإسماعيلية وذلك على عهد نور الدين محمود زنكى[3] .

وفى هذا دليل على أن الفرنج (الأوربيين) كانوا يجدون دعماً من الشيعة الإسماعيلية ، واليهود لتحقيق مخططهم .

والجدير بالذكر – وهو مهم لمعرفة حقيقة ما يجرى على الساحة الآن – أن علاقة مماثلة كانت بين الإسماعيلية ويهود القدس ، وقد عثر على رسالة موجهة إلى ملك

---

(١) المائدة آية : ٢١ .

(٢) سياسة صلاح الدين فى بلاد مصر والشام والجزيرة (٥٧٠ – ٥٨٩ هـ) تأليف دريد عبد القادر نورى ، مطبعة الإرشاد بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٥ ، ٣٧٦ – ٣٧٧ .

بيت المقدس الفرنجى للإتفاق معه على القضاء على صلاح الدين وقواته فى مصر سنة ٥٦٩ هـ ، وكان كاتبها يهودى[١] . بل إن صلاح الدين قد أرسل رسالة إلى نور الدين محمود يخبره بإحباط مؤامرة اشترك فيها الفرنج واليهود والفاطميين (انظر الخطاب آخر الكتاب) .

لقد كان التواطؤ بين اليهود والشيعة الفاطميين كبيراً بدليل تولى اليهود بعض المناصب الهامة جداً فى عصر ما تسمى بالدولة الفاطمية التى تكاد - كما يقول ظفر الإسلام خان فى كتابه -[٢] أن اليهود هم الذين كانوا يحكمونها من وراء الخليفة » .

ومن اليهود الذين أسلموا وحصلوا على بعض الوزارات فى الدولة الفاطمية يعقوب بن كلس وصدقة بن يوسف وإبراهيم التسترى كما يقول د . فاروق عمر فوزى فى مقالته[٣] . وقد أعلن ابن كلس إسلامه عام ٩٦٢ م ويعلق المستشرق ميشيل على ذلك بقوله : (إن طموحه الدنيوى ، أكثر من عقيدته الخالصة فى الإسلام ، كان الدافع وراء إسلامه)[٤] .

(وفى المغرب - كما يقول نفس المؤلف - اتصل ابن كلس بجماعة من اليهود حيث يشير ابن خلكان « هرب (ابن كلس) إلى المغرب واتصل بيهود » . كما يؤكد ذلك ابن القلانسى بقوله : « قصد يهوداً كانوا هناك مع المعز » وتدل الروايات أن يعقوب رغم إسلامه لم يقطع صلته باليهود أبناء جلدته . وقد استطاع بمساعدة هؤلاء اليهود أن يدخل حاشية المعز سنة ٩٦٨ م)[٥] .

والعجيب أن ابن كلس كان مهتماً بالفقه الإسماعيلى وشجع تدريسه بالأزهر كما ألف كتابا سماه الرسالة الوزيرية ، كما كان له كتاب فى الفقه الإسماعيلى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ، تأليف ظفر الإسلام خان ، دار النفائس ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ص ٥٢ .

(٣) مجلة الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، مجلد ٢ ، عدد ٤ أيلول ١٩٧٣ مقال عن يعقوب بن كلس ، تأليف د . فاروق عمر فوزى .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٩١ .

وكانت هذه الكتب وغيرها تدرس بصورة منتظمة فى الجامع الأزهر ، حتى أن الوزير نفسه كان يجلس أيام الجمع ليقرأ ويناقش الآراء حول المذهب الإسماعيلى ، كما أورد المؤلف[1] .

إن الهدف من وراء هذا العرض تنبيه الأمة إلى حقيقة الروابط التى تربط بين اليهود وغيرهم من مغتصبى أرض الشام وحقيقة الدور الذى يقومون به فى داخل بلاد المسلمين[2] .

إن الذين يأخذون على عاتقهم تحرير أرض الشام وبيت المقدس وغيرها من بلاد المسلمين ، يجب أن يضعوا فى الاعتبار أن أعداءهم لن يتوقفوا عن العودة لاغتصاب تلك البلاد مرات ومرات . ومن هنا نستطيع أن نفهم واجبنا من حديث رسول الله ﷺ : « يا معاذ إن الله سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة ، من اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو جهاد إلى يوم القيامة »[3] .

عدم اليأس أو القنوط من رحمة الله ، فالوضع الذى تعيشه الأمة وضع عارض ، وليس بدائم ، ولم يمض عليه وقت طويل ، ولهم فيما عرضنا بشارة ، فبيت المقدس قد تحررت وعادت إسلامية بعد اثنتين وتسعين (٩٢) عام من الجهاد ، على عهد صلاح الدين يوسف بن أيوب وظلت كذلك على عهد الحكام الأيوبيين وحكام المماليك ، وعلى عهد آل عثمان وحتى قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى . كما أن عكا قد استعيدت على عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، كما أن تصفية بقية الجيوب الصليبية وعودة بر الشام بأكمله إلى المسلمين تم بعد قرنين من الجهاد الإسلامى .

– حرص الحكام المسلمين فى مصر وبلاد الشام على أن تظل القدس بل

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩ ، ١٠٢ .

(٢) دور اليهود فى الفرق الباطنية رسالة من إعداد أحمد محمد المغربى ، تحت اشراف الشيخ محمد الغزالى ، مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى (قسم العقيدة) .

(٣) أخرجه القاضى مجير الدين الحنبلى المقدسى فى الأنس الجليل ، جـ١ ، ص ٢٠٣ .

وبلاد الشام كلها ، إسلامية رغم شراسة الهجمات الصليبية والتتارية .

– أن سلاطين المماليك الذين اتهمهم كتاب التاريخ وخاصة المستشرقين بالسكر والمجون والعربدة ، كانوا يعتبرون أن الجهاد الإسلامى ضد أعدائهم من الفرنج والتتار وغيرهم فريضة من الواجب إقامتها ، أى أنها لم تكن غائبة كما هى الآن فى عالمنا المعاصر ، كما أنهم كانوا يرون أن الخلافة من الواجب إقامتها لأنها هى التى تجمع شمل المسلمين ، وهى كالسياج الواق للأمة ، وحينما لاحظوا ضعف سلطان الخلافة ، قاموا بتدعيمها ومساندتها ، إيمانا منهم بأن الخلافة جزء من الإسلام .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .
وصلى اللهم على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .



ملحـــق

رسالة صلاح الدين إلى نور الدين وذلك على أثر المؤامرة المخفقة غير الناجحة التى استهدفت إعادة ما يسمى بالحكم الفاطمى إلى مصر بعد إلغاء ما تسمى الخلافة الفاطمية وهى تثبت تآمر الأوروبيين والباطنية (الحشاشية) وبقايا البيت العبيدى المجوسى الرافضى والنصارى واليهود ضد شعب مصر المسلم وهى من إنشاء القاضى الفاضل .

قصر هذه الخدمة على متجدد سار للإسلام وأهله ، وبشارة مؤذنة بظهور وعد الله فى إظهاره على الدين كله ، بعد أن كانت لها مقدمات عظيمة ، إلا أنها أسفرت عن النجاح، وأوائل كالليلة البهيمة إلا أنها انفرجت عن الصبح . فالإسلام ببركاته البادية وفتكاته الماضية قد عاد مستوطناً بعد أن كان غريباً ، وضرب فى البلاد بجرانه بعد أن كان الكفر يتم عليه نحيلاً عجيباً . إلا أن الله سبحانه اطلع على أمرها من أوله ، وأظهر على سرها من مستقبله ، والمملوك يأخذ فى ذكر الخبر ، ويعرض عن ذكر الأثر .

لم يزل يُتوسم من جند مصر ومن أهل القصر ، بعدما أزال الله من بدعتهم ونقض من عرى دولتهم ، وخفض من مرفوع كلمتهم ، أنهم أعداء وإن تعدت بهم الأيام ، وأضداد وإن وقعت عليهم كلمة الإسلام ، وكان لا يحتقر منهم صغيراً ولا يستبعد منهم شراً كبيراً ، وعيونه لمقاصدهم موكلة ، وخطواته فى التحرز منهم مستعجلة ، لا تخلو سنة تمرّ ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه ، وفساد يتسرعون إليه ، وحيلة يبرمونها ومكيدة يتممونها . وكان أكثر ما يتعللون به ويستريحون إليه المكاتبات المتواترة والمراسلات المتقاطرة إلى الفرنج – خذلهم الله تعالى – التى يوسعون لهم فيها سبل المطامع ، ويحملونهم فيها على العظائم والفظائع ، ويزينون لهم الإقدام والقدوم ، ويخلعون فيها ربقة الإسلام خلع المرتد

المخصوم . ويد الفرنج – بحمد الله – قصيرة عن إجابتهم ، إلا أنهم لا يقطعون حبل طمعهم على عادتهم . وكذلك ملك الفرنج ، كلما سولت له نفسه الاستتار فى مراسلتهم والتحيل فى مفاوضتهم ، سير (جرج) كاتبه رسولاً إلينا ظاهراً ، وإليهم باطناً ، عارضاً علينا الجميل الذى ما قبلته قط أنفسنا ، وعاقداً معهم القبيح الذى يشتمل عليه فى وقته علمنا . ولأهل القصر والمصريين فى أثناء هذه المدد رسل تتردد وكتب إلى الفرنج تتجدد .

ثم قال :

والمولى عالم إن عادة أوليائه المستفادة من أدبه ألا يسطوا عقاباً مؤلماً ولا يعذبوا عذاباً محكماً ، وإذا طال لهم الاعتقال ولم ينجع السؤال أطلق سراحهم وخلى سبيلهم ، فلا يزيدهم العفو إلا ضراوة ، ولا الرقة عليهم إلا قساوة . وعند وصول (جرج) فى هذه الدفعة الأخيرة رسولاً إلينا بزعمه ، ورد إلينا كتاب ممن لا نرتاب به من قومه يذكرون أنه رسول مخاتلة لا رسول مجاملة ، وحامل بلية لا حامل هدية ؛ فأوهمناه الإغفال عن التيقظ لكل ما يصدر منه وإليه ، فتوصل مرة بالخروج ليلاً ، ومرة بالركوب إلى الكنيسة وغيرها نهاراً ، إلى الاجتماع بحاشية القصر وخدامه ، وبأمراء المصريين وأسبابهم ، وجماعة من النصارى واليهود وكلابهم وكتابهم . فدسسنا إليهم من طائفتهم من داخلهم ، فصار ينقل إلينا أخبارهم ويرفع إلينا أحوالهم . ولما تكاثرت الأقوال ، وكاد يشتهر علمنا بهذه الأحوال ، استخرنا الله تعالى وقبضنا على جماعة مفسدة ، وطائفة من هذا الجنس متمردة ، وقد اشتملت على الاعتقادات المارقة والسرائر المنافقة . فكلاً أخذ الله بذنبه ، فمنهم من أقر طائعاً عند إحضاره ، ومنهم من أقر بعد ضربه ، فانكشف أمور أخر كانت مكتومة ، ونوب غير التى كانت عندنا معلومة ، وتقريرات مختلفة فى المراد ، متفقة فى الفساد .

ثم ذكر تفصيلاً حاصله : أنهم عينوا خليفة ووزيراً ، مختلفين فى ذلك ، فمنهم من طلب إقامة رجل كبير السن من بنى عم العاضد ، ومنهم من جعل ذلك لبعض أولاد العاضد ، وإن كان صغيراً . واختلف هؤلاء فى تعيين واحد من ولدين له . وأما بنو زريك وأهل شاور فكل منهم أراد الوزارة لبيتهم من غير أن يكون لهم غرض فى تعيين الخليفة .

ثم قال :

وكانوا فيما تقدم ، والمملوك على الكرك والشوبك بالعسكر ، قد كاتبوهم وقالوا لهم أنه بعيد والفرصة قد أمكنت ، فإذا وصل الملك الفرنجى إلى صَدْر أو إلى إيلة ثارت حاشية القصر وكافة الجند وطائفة السودان وجموع الأرمن وعامة الإسماعيلية وفتكت بأهلنا وأصحابنا بالقاهرة .

ثم قال :

ولما وصل (جرج) كتبوا إلى الملك الفرنجى أن العساكر متباعدة فى نواحى إقطاعاتهم وعلى قرب من موسم غلاتهم ، وأنه لم يبق فى القاهرة إلا بعضهم ، وإذا بعثت أسطولاً إلى بعض الثغور أنهض فلاناً من عنده وبقى فى البلد وحده ، ففعلنا ما تقدم ذكره من الثورة .

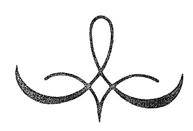
ثم قال :

وفى أثناء هذه المدة كاتبوا سناناً صاحب الحشيشية بأن الدعوة واحدة والكلمة جامعة ، وأن ما بين أهلها خلاف إلا فيما لا يفترق به كلمة ، ولا يجب به قعود عن نصرة ، واستدعوا منه من يتمم على المملوك غيلة ، أو يبيت له مكيدة وحيلة . والله من ورائهم محيط . وكان الرسول إليهم عن المصريين خال ابن قرجَلة المقيم الآن هو وابن أخته عند الفرنج .

ولما صح الخبر وكان حكم الله أولى ما أخذ به ، وأدب الله أمضى فيمن خرج عن أدبه ، وتناصرت من أهل العلم الفتاوى ، وتوالت من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى ، قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعة من الغواة الغلاة ، الدعاة إلى النار ، الحاملين لأثقالهم وأثقال من أضلوه من الفجار ، وشنقوا على باب قصورهم وصلبوا على الجذوع المواجهة لدورهم ، ووقع التتبع لأتباعهم ، وشردت طائفة الإسماعيلية ونفوا ، ونودى بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد . فأما من فى القصر فقد وقع الحوطة عليهم إلى أن ينكشف وجه رأى يمضى فيهم ، ولا رأى فوق رأى المولى . والله سبحانه مستخار وهو المستشار ، وعنده أهل العلم من

تطيب النفس بتقليده ، وتمضى الحدود بتحديده . ورأى المملوك إخراجهم من القصر ، فإنهم مهما بقوا فيه بقيت مادة لا تنحسر الأطماع عنها ، فإن حبالة للضلال منصوبة ، وبيعة البدع محجوجة(١) .

ومما يطرف به المولى أن ثغر الإسكندرية على عموم مذهب السنة فيه ، اطلع البحث أن فيه داعية خبيثاً أمره ، محتقراً شخصه ، عظيماً كفره ، يسمى قديد القصاص ، وأن المذكور ، مع خموله فى الديار المصرية ، قد فشت فى الشام دعوته وطبقت عقول أهل مصر فتنته ، وأن أرباب المعايش فيه يحملون إليه جزءاً من كسبهم . والنسوان يبعثن إليه شطراً وافياً من أموالهن . ووجدت فى منزله بالإسكندرية ، عند القبض له والهجوم عليه ، كتب محرزة فيها خلع العذار وصريح الكفر الذى ما عنه اعتذار ، ورقاع يخاطب بها فيها ما تقشعر منه الجلود ، وكان يدعى النسب إلى أهل القصر ، وأنه خرج منه صغيراً ، ونشأ على الضلالة كبيراً ، وبالجملة فقد كفى الإسلام أمره وحاق به مكره وصرعه كفره(٢) .



---

(١) هكذا وردت هذه الكلمة بالأصل ، ولعل الصواب (محجوبة) كما يقول المؤلف .

(٢) كتاب الروضتين لأبى شامة ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٦ ، وقد وردت مقتضيات مختصرة من هذه الرسالة الشهيرة فى مفرج الكروب لابن واصل ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥١ ولكن نص أبى شامة أوفى وأتم وأكمل .

مصادر ومراجع البحث

المصادر :

(أ) القرآن الكريم وما يتصل به من كتب التفسير :

١ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن . تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٢ هـ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن . تأليف أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٦٦ م .

٣ - تفسير القرآن العظيم . تأليف الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، دار الفكر ، بيروت .

(ب) سنة النبى محمد ﷺ وشروحها ، ومنها :

- صحيح أبى عبد الله البخارى ، مطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، تأليف أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

(ج) ما كتبه المؤرخون المسلمون :

- البداية والنهاية . تأليف الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى ، مكتبة المعارف . بيروت .

- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) تأليف على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

– كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية . تأليف الشيخ الإمام الفاضل شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الشافعى ، دار الجيل ، بيروت .

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . تأليف جمال الدين أبى المحاسن ، يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨١٣ – ٨٧٤ هـ) ، وزارة الثقافة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة .

– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين . تأليف بهاء الدين أبى المحاسن يوسف بن رافع بن تميم شهر جاين شداد ، وتحقيق د . جمال الدين الشيال ، ط ١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ .

– الكامل فى التاريخ ، تأليف ابن الأثير الجزرى (سبق ذكره) .

– سنا البرق الشامى مقوم الدين الفتح بن على البُندارى (وهو مختصر البرق الشامى) للعماد الأصبهانى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧١ ومكتبة الخانجى ، مصر .

– شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

– تاريخ أبى يعلى حمزة ابن القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق ، مكتبة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ .

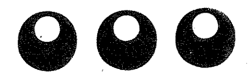
– تهذيب تاريخ دمشق الكبير للإمام الحافظ المؤرخ أبو القاسم على ابن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ، بيروت .

المراجع :

– عماد الدين زنكى . تأليف الدكتور عماد الدين خليل ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ .

- نور الدين محمود الرجل والتجربة . تأليف الدكتور عماد الدين خليل ، دار القلم ، ط ١ ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ .

- المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي . تأليف الدكتور عماد الدين خليل ، ط ١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠١ هـ .





عن « الحركة الصليبية » د/ سعيد عاشور

عن دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية تأليف دكتورة عفاف سمير صبرة ، عن « الحركة الصليبية » د/سعيد عاشور

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأُمَّة المُسْلِمَة

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

الجزء الثاني

إعداد

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

دار الوفاء

٨١٥٠

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
الأمة المسلمة

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

الجزء الثاني

إعداد
الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

تقديـــم

الحمد لله ﴿ **الذى علم بالقلم.علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى علّمنا : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ الآيات ١، ٢ سورة الممتحنة .

ونشهد أن زعيمنا وقائدنا رسول الله محمد ﷺ الذى علّمنا : «أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله» .

والذى علّمنا : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون على أبواب بيت المقدس لا يضرهم خذلان من خذلهم» .

والذى علّمنا : لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة » .

والذى علمنا «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وحرّم أشياء فلا تنتهكوها» .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثانى من الطريق إلى بيت المقدس القضية الفلسطينية نعرض فيه لتاريخ فلسطين منذ عهد الدولة العثمانية وحتى عام ١٩٦٧ م .

وفلسطين – كما بينا فى الجزء الأول –[1] جزء من الأرض التى بارك الله فيها للعالمين (الشام) ، وقد فرض الله على الأمة المسلمة ، دخولها ، وسكناها ، وإقامة حكم الله عليها ، بعد تطهيرها من الفسقة والمجرمين الذين غلبوا عليها . وعلى أرض فلسطين أقام آدم عليه السلام ، المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله فى بيت المقدس ، بعد بناء المسجد الحرام بمكة بأربعين عامًا .

وعلى أرض فلسطين عاش رسل وأنبياء وخلفاء وأئمة مسلمون منهم : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام ، يحملون رسالة الإسلام إلى أهل الأرض ، وعلى أرض فلسطين قامت خلافة إسلامية على منهج الله فى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، عاصمتها بيت المقدس .

هذه الأرض المباركة ، قد تعرضت للغصب فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى)، وعليها أقيمت قاعدة يهودية[2] عدوانية، تحكم فى أرض الإسلام وأبناء الإسلام بغير شرع الإسلام ، وتنزل بأهله وجيرانه أبشع أنواع الإبادة والانتقام ، تحت سمع وبصر المجتمع الدولى ، بمنظماته ، التى اتخذت مطية لتحقيق ذلك العدوان على مقدسات العالم الإسلامى .

ولما كان مفروضا على المسلمين إحياء روح الجهاد الإسلامى والتصدى لهذه الهجمة العدوانية وتحرير تلك الديار المقدسة ونصرة أهلها ، ودفع الضرر والأذى الواقع عليهم ؛ كان من الواجب أيضًا – اعتمادًا على المراجع التاريخية الصحيحة – بيان الطريق الذى يجب أن تسلكه الأمة المسلمة لإنهاء هذا العدوان اليهودى المدعوم من قوى البغى العالمية ، وإعادة حكم الإسلام ، إلى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، ليأمن فيها كل إنسان على دينه ونفسه وماله وأولاده .

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الطريق إلى بيت المقدس الجزء الأول ، القضية الفلسطينية ، إعداد د. جمال عبدالهادى محمود مسعود ، دار الوفاء المنصورة ١٤٠٧ هـ صفحة ٩ وما بعدها ، ليس لليهود حق فى فلسطين ، لنفس المؤلف .

(٢) ويأتى هذا العدوان اليهودى مدعومًا بقوة أوربا الصليبية ، التى فشلت عبر قرون عديدة (٤٩٢ هـ – ٦٩٢ هـ) من الغزو المسلح للعالم العربى الإسلامى ، فى اغتصاب تلك الديار وتنصيرها .

ومن خلال هذا البيان سوف يتضح الكثير من الحقائق منها[1] :

أولا : إن اغتصاب فلسطين ، وإقامة دولة يهودية تمتد حدودها من النيل إلى الفرات ، هو جزء من مؤامرة أوربية يهودية صليبية الحادية ، تتخذ المنظمات الدولية (هيئة الأمم ، مجلس الأمن) ، ومعظم الأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى مطية لتنفيذها بهدف السيطرة على العالم الإسلامى وردّ أهله كُفارًا ، وأن باقى المؤامرة يجرى تنفيذه الآن .

ثانيًا : إن الذى أخّر وأعاق تنفيذ بقية المؤامرة الأوربية اليهودية هو وجود الدولة العثمانية (دولة الخلافة) التى كانت تشكل السياج الحامى للعالم الإسلامى وخاصة فلسطين وأرض الحرمين مكة والمدينة ، فى وجه أطماع وحملات أوربا اليهودية الصليبية لعدة قرون ، وحينما ضعفت الدولة العثمانية مع بداية القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) سقط العالم الإسلامى فى قبضة الاحتلال الأوربى .

ثالثًا : إن نجاح المؤامرة الأوربية اليهودية بهذا الحجم الذى يؤكده واقع الأمة المعاصر – يرجع إلى الخلل الذى أصاب الإيمان فى قلوب أبناء المسلمين ، وما ترتب عليه من خلل تسلل إلى جنبات الحياة كلّها ، وتنكيس راية الجهاد ، وحب الدنيا وكراهية الموت ، وكثرة المظالم ، وإعطاء الولاء لأعداء الله وأعداء دينه وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين بصورة مكّنت ومازالت تمكن أوربا من تحقيق بقية فصول المؤامرة .

رابعًا : إن أحداث الخليج التى بدأت بحرب العراق / إيران ثم بغزو العراق للكويت عام ١٤١٠/١٤١١ هـ (١٩٩٠/١٩٩١ م) ما هى إلا فَصْل من المؤامرة الأوربية اليهودية على العالم الإسلامى التى بدأت باغتصاب فلسطين ، وإقامة الدولة اليهودية عليها .

---

(١) اقرأ ثورة يوليو الأمريكية علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، محمد جلال كشك : الزهراء للإعلام، حبال من رمل ، ايفلاند ، ترجمة سهيل زكار ، طلاس للنشر ، دمشق ؛ لعبة الأمم وعبد الناصر ، محمد الطويل ، المكتب المصرى الحديث ؛ لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ، الزهراء للإعلام ؛ مذكرات موشى دايان ، أيبقى السيف الحكم .

خامسًا : إن العقبة الكؤود التى كانت ومازالت تحول بين الأمة والتصدى لعدوها من أبناء أوربا اليهودية الصليبية هى الأنظمة الحاكمة ، التى لولا تصرفاتها ما اغتصبت فلسطين .

والعقبة الكؤود التى أخّرت إتمام فصول المؤامرة الأوربية اليهودية ، هى حركات الجهاد المسلح التى قادها المجاهدون الفلسطينيون وشباب الإخوان المسلمين على أرض فلسطين .

سادسًا : إن معاهدة مخيم داود – عليه السلام – الذى يبرأ من اليهود وعبدة الطاغوت – كانت من أخطر الضربات التى وجهت إلى القضية الفلسطينية لأنها سلّمت لليهود بأنهم أصحاب فلسطين ، كما أنها فتحت الديار أمامهم بحجة التطبيع لتحقيق ما تبقى من فصول المؤامرة .

سابعًا : إنه قد تم الإعداد لجولة قادمة قبل منتصف التسعينات بين اليهود والعرب : ميدانها سورية وشرق الأردن وسيناء وقد تشمل ما هو أبعد من ذلك ، وسوف تكون هذه الحرب فرصة لاستكمال القوات الغربية (الأوربية) حلقة حصارها للمنطقة بتكثيف تواجدها عند مدخل البحر الأحمر والقرن الإفريقى بغرض حماية الجناح الجنوبى للعمليات اليهودية » .

ثامنــاً : إن مؤتمرات السلام هى إحدى مصائد النظام اليهودى والأنظمة الأوربية ، والهدف منها تخدير مشاعر الأمة ، وتكبيلها بالأغلال ريثما يتم تنفيذ مخططات اليهود بالكامل . إن مؤتمرات السلام لن تعيد القدس وفلسطين لأهلها ، لن تودى القتلى ... لن تعيد الابتسامة إلى اليتامى والأرامل ، إنما تهدف إلى تطبيع العلاقات بين العدو اليهودى وبقية العالم الإسلامى .

تاسعاً : إن التصدى لهذه المؤامرة ، وإنهاء هذا العدوان الواقع على فلسطين بل على الأمة كلها ، لن يتحقق إلا على أكتاف إنسان العقيدة الذى حرر ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين .. إنسان العقيدة الذى تربى على مقاومة الترف .. إنسان العقيدة الذى استشعر العزة الإسلامية .. إنسان العقيدة الذى أعد مافى الطوق ، وإلى أن يتم

ذلك لابد من دعم الانتفاضة الفلسطينية وحركة الجهاد الأفغانى وكل حركات الجهاد الإسلامى فى العالم ، والانسحاب من المنظمات الدولية التى تستظل بغير نظام الإسلام ، وهى المسئولة عمّا نزل بأمتنا ، مع إعلان المقاطعة التامة لأوربا اليهودية الصليبية . وغير ذلك من الإجراءات التى سنكمل عرضها فى الكتاب التالى إن شاء الله .

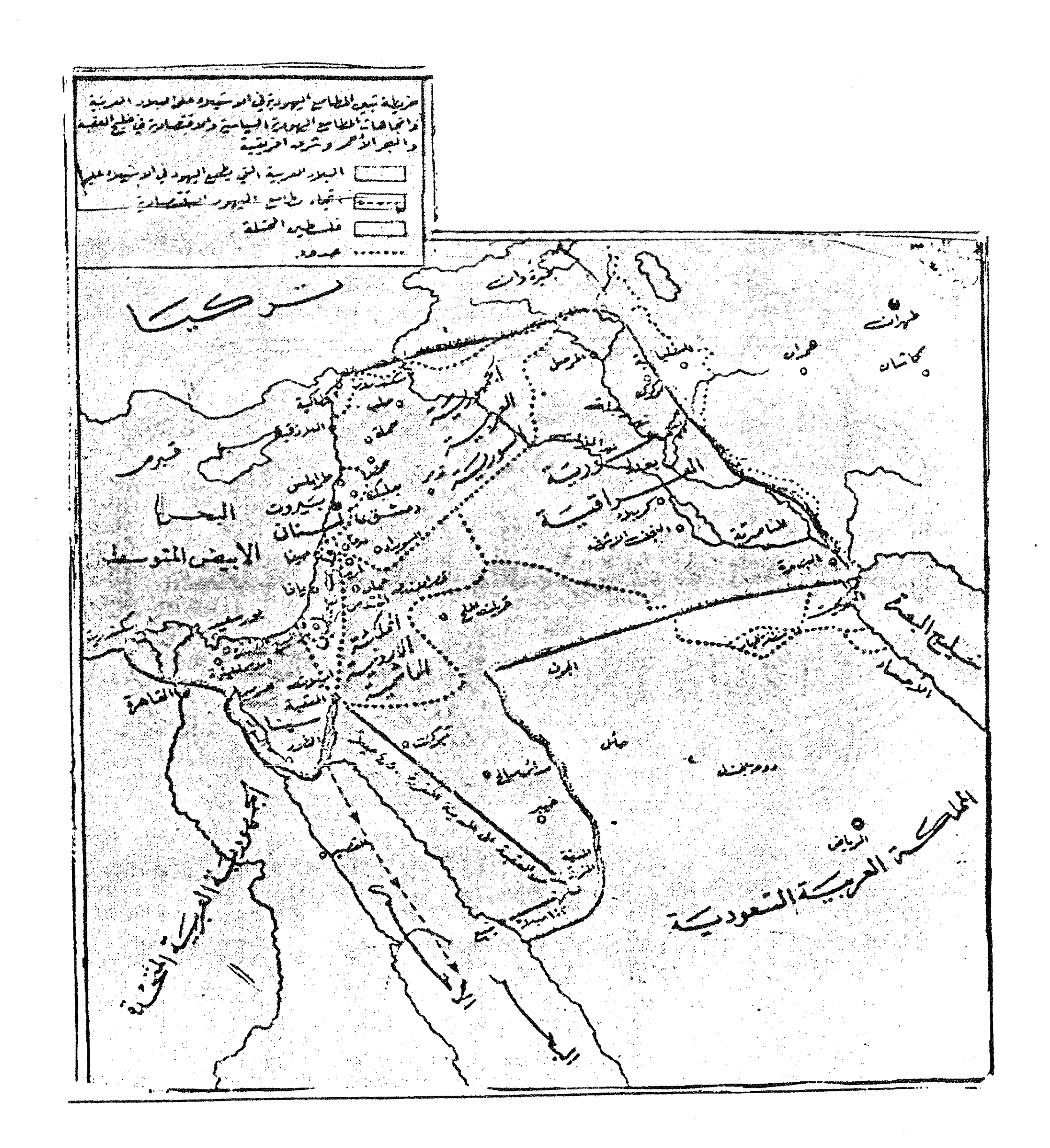
المؤلف



الباب الأول

اغتصاب فلسطين وإقامة الدولة اليهودية

مؤامرة أوربية (يهودية صليبية)


خريطة تبين المطامع اليهودية في الاستيلاء على البلاد العربية
واتجاهات المطامع اليهودية السياسية والاقتصادية في خليج العقبة
والبحر الأحمر وشرق افريقية
البلاد العربية التي يطمع اليهود في الاستيلاء عليها
اتجاه مطامع اليهود الاقتصادية
فلسطين المحتلة
حدود
تركيا
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
لبنان
بغداد
البصرة
خليج العجم
الرياض
المملكة العربية السعودية
الجمهورية العربية المتحدة
القاهرة
طهران
حلب
حماة
بيروت
الجوف
حائل

الفصل الأول
اغتصاب فلسطين لإقامة دولة يهودية من النيل إلى الفرات

اغتصاب فلسطين وهى جزء من الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وإقامة قاعدة يهودية عدوانية عليها ، تحمل اسم نبىّ كريم يبرأ إلى الله من اليهود فى الدنيا والآخرة ، هو إسرائيل عليه السلام؛ وتمتد حدودها من النيل إلى الفرات[1] –أى أن بقية المؤامرة لم

(١) أهداف إسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، دار الاعتصام القاهرة ، وهذا المرجع يحوى خريطة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، كما هى مرسومة على باب الكنيست اليهودى ، وقد وزعها اليهود فى نيويورك قبل عدوانهم عام ١٩٦٧ على البلاد العربية . ومنها يبدو أنّهم لا يكتفون بالتهام فلسطين ، بل يتطلعون إلى اغتصاب بقية البلاد العربية ، فقد ذكر المرجع :

– « إن رغبة اليهود فى اغتصاب الأردن بضفتيه الغربية والشرقية من الأمور المسلم بها لديهم ، لأسباب سياسية واقتصادية وعسكرية (صفحة ١٢) » وكذلك الاستيلاء على لبنان كلّه حتى حدوده الشمالية ، بالإضافة إلى سورية كلّها ولواء الاسكندرونة» (صفحة ١٤)، ويظهر المرجع بالدليل «أن اليهود يهدفون إلى اغتصاب مصر وخاصة سيناء والعريش والدلتا حتى مدينة الاسكندرية (صفحات ١٨ – ٢٣) ؛ كما أنهم قد قرروا احتلال العراق كله بحيث تمتد حدود الدولة اليهودية على امتداد الحدود العراقية التركية الإيرانية .

وقد صرّح موشى دايان وزير دفاع العدو اليهودى فى ٦ يونية ١٩٦٧ وهو يوم احتلال اليهود للقدس ؛ « لقد استولينا على أورشليم ، ونحن فى طريقنا إلى يثرب وإلى بابل » (صفحة ٢٥) .

وعن مطامع اليهود فى الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية ، والخليج العربى) قال موشى دايان يوم احتلال القدس : الآن أصبح الطريق مفتوحًا أمامنا إلى المدينة ومكة » ، وقد ذكر مؤلف الكتاب أن اليهود يطمعون أن يمتد نفوذهم جنوب المدينة المنورة (١١٢ كيلو متر) وإلى مناطق آبار النفط فى نجد ، وكل إمارات الخليج العربى وحتى تكون موانىء الخليج العربى منطلقا لخطوط مواصلات تربط اليهود بدول آسيا فى الهند والشرق الأقصى » (ص ٢٦) . إن ما يجرى من أحداث فى منطقة الخليج (بعد ٢ أغسطس ١٩٩٠) وما وراءها هو توطئة وتمهيدًا لتحقيق هذه الآمال اليهودية غير المشروعة .

وقد ذكر كامل الشريف فى كتابه الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، مكتبة المنار الزرقاء ، ١٤٠٤ ص ٩ « إن اليهود يسيل لعابهم كُلّما ذكروا سيناء المصرية ، إنهم يعتبرونها بقعة مقدسة ويعملون جاهدين لضمّها إلى دولتهم بكل وسيلة » ... هذا إلى جانب أهميتها الاستراتيجية وقيامها كدرع صخرى منيع يقف فى وجه مصر ، ويتحكم كقلعة راسخة فى البحرين الأبيض والأحمر .. يضاف إلى ذلك خصوبة أرضها وامتلاؤها بالمعادن والخامات اللازمة للنهضة الصناعية الإسرائيلية ... وما يقال عن مصر والأردن يقال عن سوريا ولبنان وأطماع اليهود فيهما معروفة غير منكورة ، فهل هذا خطر يمكن السكوت عليه ؟ =

يكتمل تنفيذها بعد – جزء من مؤامرة يهودية أوربية لا نقول إنّها ضد العالم الإسلامى فحسب ، ولكنّها ضد البشرية بأكملها ، خطط لها وقام ويقوم على تنفيذها اليهود ، بالاتفاق مع الأنظمة الأوربية الاستعمارية (الاستخرابية) بما فى ذلك روسيا وأمريكا ، التى اتخذت من المنظمات الدولية مطية لتنفيذ مؤامرتها على العالم الإسلامى بعد أن نجحوا فى الامساك بزمامه وتوجيهه الوجهة التى يريدون .

وهدف هذه المؤامرة اغتصاب العالم الإسلامى أولاً ثم بقية العالم[٢] ثانيًا ، وتمزيقه وتوزيعه غنائم وأسلاب بين أبناء أوربا وأتباعهم مع رد المؤمنين كفاراً حَسدًا من عند أنفسهم[٣] . ويقترن ذلك بالحرص والعمل الدائب والدائم على عدم بعث أمة الإسلام مرة أخرى ، بل والحرص على إبادتها إبادة شاملة كما حدث فى الأندلس والقارة الجديدة (ما يسمى بالأمريكتين الآن) وكما حدث فى جمهوريات تتاريا والقرم الإسلامية وكما وقع للمسلمين فى تركستان الشرقية والغربية على أيدى الشيوعيين[٤] الروس وغيرهم .

قراءة فى التلمود اليهودى تميط اللثام عن مؤامرة اليهود على الدين والإنسانية :

« ينطلق اليهود فى عدوانهم على البشرية من زعم خاطىء أنهم شعب الله المختار ، وأنهم

= ولهذا قدم الكاتب بارك الله فيه النصيحة التالية من وراء أسوار المعتقلات التى وضع فيها المجاهدون لحساب اليهودية والاستعمار العالمى ضرورة تحصين هذه المناطق (سيناء) تحصينا قويًا ، ولقد اقترحنا من أجل تحقيق هذه الغاية بناء مستعمرات زراعية على طول الحدود فى المناطق التى يوجد فيها الماء والأراضى الزراعية الصالحة ، كما دعونا إلى انشاء قوات للبادية من القبائل العربية وإعدادها لتؤدى دورًا فعالاً فى عرقلة وإحباط أى هجوم متوقع من جانب العدو ، وناشدنا المسئولين فى الحكومة .. أن يشجعوا المصريين على الهجرة إلى سيناء وتعميرها حتى لا تبقى هذه المناطق الحيوية فارغة مما يغرى المستعمر اليهودى باحتلالها (المرجع السابق ، ص ١٣) .

(٢) نشر محام يسمى هنرى فينش عام ١٦١٦ كتابا أسماه :نداء لليهود ودعا فيه إعادة إنشاء وطن مؤقت لليهود ، تمهيدًا لتأمين امبراطورية عالمية واسعة الأرجاء بواسطتهم ؛ السياسة الدولية وفلسطين تأليف أ.د. محمد كمال الدسوق ، صفحة ١٣٧ .

(٣) يقول الله عز وجل : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ آية ٨٢ سورة المائدة ؛ ويقول سبحانه : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ سورة البقرة : آية ٢١٧ .

(٤) حاضر العالم الإسلامى ، لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق شكيب أرسلان ، صفحة ؟ الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، الشيخ محمد الغزالى ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية،محمود شاكر ؛ مواطن الشعوب الإسلامية لنفس المؤلف ؛ دراسات إسلامية ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ٧ ، ١٤٠٧ ، ص ١٨٧ وما بعدها .

عنصر متميز عن بنى آدم جميعًا ، واليهودية فى نظرهم ليست دينًا فحسب بل هى قومية يلزمها رقعة من الأرض تتسع وتتسع ، حتى تصبح دولة كبرى تسيطر على العالم بأكمله . وعليها للوصول إلى أهدافها - كما نص التلمود وبروتوكولات حكماء (شياطين) صهيون - عليها أن تلجأ لكل الوسائل، المشروع منها وغير المشروع. ووسيلتها الأولى هى استخدام القوة والعنف والارهاب والتهديد ، وعليها أن تلجأ إلى كبت الحريات وتكميم الأفواه المعارضة ، وأن تستعين بمن تستطيع من الدول ضد من يعارضها من الدول الأخرى ، وأن تغدر بالأعداء والأصدقاء على حد سواء ، إن هى رأت فى ذلك مصلحة تعود عليها » . وحسبنا أن نقرأ بعض نصوص التلمود(٥) لنرى تخطيطهم وأسلوبهم واضحاً ، و« كلها لا تحترم الله ولا تقدس المعانى الإنسانية ولا تعرف غير البطش والخداع وسيلة :

- ليس الله معصومًا من الطيش والغضب والكذب (تعالى الله عما يقولون عُلوا كبيرًا) .

- إن نطفة غير اليهودى كنطفة باقى الحيوانات .

- أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات .

- النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود .

- يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم .

- إن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات ، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة .

- الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب .

---

(٥) نقلا عن : السياسة الدولية وفلسطين ، د. محمد كمال الدسوقى ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ . وهو يعتمد على بروتوكولات حكماء صهيون ؛ والتلمود تأليف شوقى عبدالناصر ، ص ٣٣ ، ٣٩ والتلمود نسختان إحداهما تنسب إلى أورشليم والأخرى تنسب إلى بابل كما يزعم اليهود ، وقد طبع فى أمستردام عام ١٦٤٤ ووارسو عام ١٨٦٣ وبراغ عام ١٨٣٩ .

– يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودى وعبد الأوثان ، وكل مسيحى لم يتهود بعد فهو وثنى عدو لله ولليهود (وهذا كذب لأن المسيح عليه السلام كان مسلماً موحداً : **﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ﴾** .

– يحق لليهودى أن يغش الكفار .

– حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله .

– اقتل الصالح والمجد من غير اليهودى .

– الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى .

– قتل غير اليهودى من الأفعال التى يكافىء عليها الله .. وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وبأى طريقة ممكنة »[٦] .

« وكان من الطبيعى وتلك خصائص الصهيونية وأهدافها ، أن تلتقى بالاستعمار العالمى وزعيمته آنذاك بريطانيا التى كانت تمثل أعظم الامبراطوريات الاستعمارية فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين » .

تعليــق:

ياأهل الكتاب إن اليهود يخططون بمعاونة أوربا للقضاء عليكم واغتصاب دياركم !! نأمل أن تتاح الفرصة لأتباع محمد ﷺ ، وأهل الكتاب قراءة هذه الكلمات القلائل ، حتى يوقنوا أن اليهود لا يفرقون بين مسلم ونصرانى فى أن الجميع أعداء لهم ، وأن خروجهم (أى اليهود) من الأندلس (أسبانيا والبرتغال) قد جرى على يد حاكم أوربى يتستر بستار النصرانية ، وأنهم أى اليهود يستعينون الآن بأهل الكتاب فى أوربا وغيرها للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وبعدها يكملون المؤامرة بالقضاء على أهل الكتاب واغتصاب ديارهم وأموالهم هذه واحدة .

---

(٦) السياسة الدولية وفلسطين ، ص ١٤٦ – ١٤٧ ؛ وهو يعتمد على شوق عبد الناصر – بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ٣٣ – ٣٩ .

أما الثانية : إن الإطلاع على التلمود يؤكد أن اليهود يستحلون ديار وأموال ودماء جميع بنى آدم من غير اليهود ويعتبرون ذلك قربة وذلك يؤكد أن اليهود هم الذين ابتدعوا الارهاب ومارسوه واعتمدوا عليه فى تنفيذ مؤامراتهم على بنى البشر .

الثالثة : إن اغتصاب ديار وأموال بنى آدم بعد سفك دمائهم ، استراتيجية ثابتة فى سياسة يهود ، يعاونهم فى ذلك أبناء أوربا بما فى ذلك روسيا وأمريكا .

الرابعة : ان اليهود قوم غدّارون ، لا يحترمون العهود قساة القلوب إلى حد الوحشية مغرمون بسفك الدماء ، واغتصاب حقوق الآخرين ، كافرون بالله ورسله عليهم السلام ، وغير ذلك من الصفات التى يكشف عنها رب العالمين تحذيرًا للبشرية من شرهم .

بل إن الذى يرجع إلى القرآن الكريم ، مرجع هذه الأمة بالأمس واليوم وغدًا ، يدرك أن الخطر اليهودى يسعى كالعقارب والحيات بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، كالشيطان ، وأنه يتربص بالأمة المسلمة بل بالبشرية كلها ، وأن الأحداث المعاصرة (أحداث الخليج منذ ٢٠ أغسطس ١٩٩١) من مضاعفات مرضه .

وقد نبهنا الله إلى هذا الخطر فى مرحلة الدعوة المكية ، وهى مرحلة ما قبل الصدام ، ومرحلة الدعوة المدنية والرسول محمد ﷺ يعاملهم معاملة كريمة ويعهد لهم ويؤمنهم على دينهم وبيعهم وأموالهم وديارهم ، وأيضا حينما نقضوا العهود وتآمروا على الدولة وقائدها ﷺ وأهلها بالاتفاق مع أعداء الأمة المسلمة .

والنفسية اليهودية ، نفسية غير سوية ، ولها مفاتيح .. لها مواصفات ، ما أحوج الأمة إلى التعرف عليها ، خاصة فى هذه الظروف التى أعطت كثير من الأنظمة الحاكمة فى العالم ولاءها وثقتها لهذا الصنف الغادر من بنى الإنسان ، من مفاتيح هذه النفسية اليهودية كما بين الشيخ عبدالستار فتح الله سعيد فى محاضراته فى مسجد الفتح :

- الإلحاد المطلق فى العقيدة .
- قساوة القلب إلى أبعد الحدود : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ .
- احتراف التزييف والتحريف : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ .
- الغدر ونقض العهود .

- غاية الحقد والحسد على الأمم جميعًا .
- الاستهانة بالقيم والحرمات .
- الاستعلاء العنصرى .
- ملازمة الذلّة والمسكنة إلى يوم القيامة .
- تأصل الجبن فى نفوسهم إلى درجة الاعتقاد .

الخامسة : إن شعار السلام الذى ترفعه يهود ومن عاونهم ، هو شعار مرحلى لتخدير المشاعر ، ريثما يتم الاعداد وتمرير المخططات ، ولعل شعار السلام الذى روج له الذين لا يعرفون كيد يهود ، قد خدّر الأمة ، وحرمها من الإعداد للتصدى لمؤامرة يهود بل وصرف اهتماماتها إلى العبث واللهو والمجون ، فى الوقت الذى انشغل اليهود بتطوير أسلحتهم واعداد العُدَّة التى تمكنهم من تحقيق حلمهم .

والعجيب أن اليهود لا يخفون أطماعهم ولا يملُّون الإعلان عنها بين الحين والآخر ، مثال ذلك تصريحات نائب أركان حرب إسرائيل موشيهباركوخبا[٧] بأن الجيش اليهودى سيعبر قناة السويس ولن يقف عند حدود ١٩٦٧ ، وتصريحات شامير[٨] بأن اليهود يريدون إقامة « دولتهم الكبرى من البحر إلى النهر » .

وأيضًا الإجراءات التى اتخذها يهود فى الأرض المحتلة تمهيدًا لهدم المسجد الأقصى ، ووضع ما يسمونه بحجر الأساس لهيكل مزعوم ، وطمس الهوية الإسلامية لبيت المقدس .

وكذلك الغزو اليهودى الروسى للأراضى الفلسطينية المحتلة تحت ستار الهجرة ، يتصاعد بمعدلات مزعجة ، بدعم من أوربّا ، ودعم من الحكومة الأمريكية .

والمذابح والتشريد التى يوقعها اليهود بالشعب الفلسطينى ، كل ذلك يؤكد أن السلام الذى تزعمه يهود ما هو إلا شعار مرحلى ترفعه لتخدير الأمة ريثما يتم تنفيذ بقية مخططاتها فى اغتصاب الديار .

فهل نفيق من غفلتنا ، ونستجيب لتحذيرات وتوجيهات رب العالمين ، قبل أن تطوينا مؤامرات الأعداء .

---

(٧) نائب رئيس أركان حرب الجيش اليهودى ، صحيفة الأهرام فى ١٩٩٠/٦/٥ الجمهورية ١٩٩٠/٦/١٣ .

(٨) صحيفة الأهرام العدد ٣٧٩٦٨ لسنة ١١٥ .

الفصل الثانى

الدولة العثمانية تَحْمِى العالم العربى وفلسطين من الوقوع فى يد أبناء أوربًا الصليبية وأعوانها من اليهود لمدة أربع قرون أو يزيد

- اليهود يحاولون التسلسل إلى بلاد الشام وسيناء تحت ستار الهجرة والحج إلى مقدساتهم – كما يزعمون – أو شراء الأراضى .
- حكام الدولة العثمانية يدركون خطورة هذه المحاولات على أرض الاسراء والمعراج وبلاد الإسلام فيصدرون أوامر مشددة تُحرِّم على اليهود سكنى أرض فلسطين أو سيناء ، من هؤلاء الحكام : سليم الأول ، وسليمان ، ومراد الثالث ، وعبدالحميد الثانى .
- سفراء الدول الأجنبية ، ومنهم سفراء أمريكا وروسيا ، يحاولون الضغط على الحكام العثمانيين لتحقيق أهداف اليهود (وهذا دليل على تواطؤ أبناء أوربا مع اليهود) .
- نجاح اليهود فى التسلل إلى فلسطين بمساعدة قناصل الدول الأوربية فى فلسطين وشراء بعض الأراضى وإقامة مبان عليها .
- السلطان عبدالحميد الثانى يرفض السماح لليهود بسكنى فلسطين .

* * * *

حاول اليهود التسلل إلى بلاد الشام ، وخاصة فلسطين والطور (سيناء) ، عن طريق الهجرة وشراء الأراضى ، ولكن سلاطين آل عثمان ، كانوا يدركون خطورة هذه الحركة فأصدروا أوامر مشددة إلى رجال الإدارة ، ببلاد الشام ، تُحرّم على اليهود سكنى أرض فلسطين أو سيناء ؛ فعلى سبيل المثال :

فقد أصدر السلطان العثمانى سليم الأول عام ٩٢٤ هـ – ١٥١٧ م فرمانا يمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء ، وواضح من هذا الفرمان أن اليهود كانوا يبغون الهجرة إلى هذا الاقليم المصرى واستيطانه انطلاقا منه إلى أرض الميعاد كما تزعم توراتهم المحرفة . وقد سد ذلك الفرمان الطريق فى وجه أطماع اليهود .

« وسار السلطان سليمان ٩٢٧ - ٩٧٣ هـ (١٥٢٠ م - ١٥٦٦ م) على نفس الطريق الذى كان عليه والده ، فأصدر فرمانا ، أكد فيه ما جاء فى الفرمان الذى أصدره والده السلطان سليم ، مما يدل على أن الخطر اليهودى كان لايزال ماثلاً على سيناء وأرض فلسطين » .

ولكن اليهود لم يتوقفوا عن بذل المحاولات المتكررة لتحقيق هدفهم ، وقد نجحوا فى الوصول على هيئة هجرات متقطعة ، إلى « سيناء بداية بالطور ، على اعتبار أن الطور يقع على الساحل الشرقى لخليج السويس ، ولها ميناء يصلح لرسو السفن ، ويُمكّن مدينة الطور من الاتصال بالعالم الخارجى عن طريق البحر » .

وكان فى الإمكان ألا يُكْتَشف أمر تلك الهجرات ، التى كانت بقيادة إبراهام اليهودى ، لولا الشكايات التى رفعها للدولة العثمانية ، رهبان دير سانت كاترين ، يشكون من الأذى الذى يتعرضون له على أيدى اليهود .

ولهذا السبب فقد أصدر الوالى العثمانى على مصر من قبل السلطان العثمانى مراد الثالث ثلاث فرمانات متتالية :[1]

عام ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) و ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م)و ٩٩٣ هـ (١٥٨٥ م) تأمر المسئول بإخراج إبراهام اليهودى ، وزوجه وأولاده ، وسائر اليهود من سيناء ، ومنعهم قابل الأيام منعا باتا من العودة إليها بما فيها مدينة الطور أو الإقامة أو السكن فيها .

«ونبهت الفرمانات الثلاثة على أرباب الوظائف بضرورة تنفيذ الأوامر تنفيذًا فوريًا ، وألا يتأخر يومًا واحدًا» .

وفى عام ١٢٨٢ هـ (١٨٨٢ م) أثناء حكم السلطان عبدالحميد الثانى أراد يهود روسيا النزوح إلى فلسطين ، وتدخل بعض كبار اليهود لدى القنصل العثمانى العام فى ثغر أوديسا[2] كى يمنح اليهود تصريحًا بدخول فلسطين والاستقرار بها ، واتصل القنصل

(١) الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى فى تقديم رسالة « سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين » ، تأليف د. حسن صبرى الخولى ، المجلد الأول دار المعارف مصر ، ١٩٧٣ ، ص ١١ - ١٣ ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جامعة القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢ ص ٩٦٦ وما بعدها .

(٢) أوديسا ببلاد اليونان .

بحكومته فتلقى منها ردًا عُلّق صورة منه على شكل إعلان ، على دار القنصلية فى ٢٨ من إبريل سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) جاء فيه « إنَّ الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين فى الهجرة ، إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الاستقرار فى فلسطين ، وأن الدولة تسمح لهم بالاقامة ، فى أى إقليم آخر من أقاليم الدولة ، بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين ، ويخضعوا لقوانين[٣] الدولة » .

وتدخل السفير الأمريكى[٤] فى الآستانة ، لدى وزير الخارجية العثمانى ، فى شأن منع هجرة اليهود إلى فلسطين ، فتلقى السفير تأكيدًا بمنع هذه الهجرة فى ضوء القرار الذى أبلغ إلى القنصل العثمانى العام فى أوديسا .

وإمعانا من الباب العالى (السلطان عبدالحميد الثانى) فى سياسة منع الهجرة اليهودية :

- أرسلت الآستانة فى يونيو سنة ١٨٨٢ (١٣٠٠ هـ) برقيات إلى متصرف القدس وإلى السلطات العثمانية فى بيروت واللاذقية وحيفا بمنع أى يهودى من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا من أن تطأ قدمه أرض فلسطين .
- أبلغ الباب العالى (السلطان عبدالحميد الثانى) فى (٢٢ من يناير سنة ١٨٨٣ م - ١٣٠١ هـ) رؤساء البعثات الدبلوماسية فى الآستانة رسميا بقرار مجلس الوزراء العثمانى بمنع استيطان أو استقرار اليهود الروس فى فلسطين .
- أصدر الباب العالى سنة ١٨٨٤ م (١٢٩١ هـ) قرارًا بألا تزيد على ثلاثين يوما ، إقامة اليهود الراغبين فى زيارة فلسطين ، واحتجت الدول الأوربية على قيد المدة بثلاثين يومًا

---

(٣) الدكتور عبدالعزيز الشناوى يعتمد فى معلوماته على كتاب : « دراسات فى تاريخ الشرق العربى الحديث ؛ حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوى ، ج ١ ؛ تأليف د. محمود صالح منسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٨٢، ٨٧ .

(٤) هل أدركتم ياعرب ، أن أوربّا بما فى ذلك أمريكا وروسيا هى التى طعَنتكم بالخنجر اليهودى ، وبعد ذلك توالونها وتصادقونها وتنفذون رغباتها رغم تعارض ذلك مع تعليمات ربّكم ومع مصالح شعوبكم ، بل وتفتحون لهم أبواب دوركم وتعطونهم الفرصة ليعتلوا ظهور شعوبكم . ألا من عودة إلى الله واستجابة لتوجيهاته وأوامره : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ (الآيتان ١ ، ٢ سورة الممتحنة) .

بمقولة أنّها قصيرة ، فأصدر الباب العالى فى سنة ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ) قرارًا بجعلها ثلاثة أشهر يغادرون بعدها فلسطين .

« استطاع بعض اليهود التسلل إلى فلسطين بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين فى فلسطين وقبول بعض الموظفين العثمانيين الرشا . وفطن عرب فلسطين إلى هذا التسلل ، فأرسل أعيان القدس ، فى الرابع والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٩١ م (١٣٠٩ هـ) التماسا إلى الباب العالى ، لاتخاذ اجراءات فعالة كفيلة ، بمنع نزوح اليهود الأجانب ، إلى فلسطين وشرائهم الأراضى[٥] ؛ وكان العرب قد أدركوا أن القيود المفروضة على اليهود الأجانب ، قد خَفّت بعد أن ترك محمد شريف رؤوف باشا الذى كان يتولى متصرفيه القدس منصبه (سنة ١٨٨٩ م - ١٣٠٧ هـ) ؛ وكان هذا المتصرف يؤيد تأييدًا حارًا ، سياسة السلطان عبدالحميد الثانى ، فى منع اليهود من الإقامة فى فلسطين ، وكان يسارع إلى طرد اليهود ، من فلسطين بالقوة بمجرد انقضاء المدة المسموح بها لهم ، كما كان يمنع قدر استطاعته بيع الأراضى لليهود » (فهل نفعل مثلهم وخاصة أن الخطر اليهودى بات فى عقر دارنا ؟) .

« وقد استجاب الباب العالى للالتماس الذى رفعه إليه أعيان القدس ، وجدد القيود المفروضة على إقامة اليهود فى فلسطين وعلى بيع الأراضى إليهم ؛ وفى (سنة ١٨٩٢ م - ١٣١٠ هـ) صدر قانون يحرم بيع أراضى الحكومة إلى جميع اليهود ، بما فيهم رعايا الدولة العثمانية اليهود (هل أدركنا أى جريمة ارتكبنا فى حق أمتنا ، حينما أصدرنا قوانين تبيح للأجنبى أن يتملك فى ديارنا الأراضى والمؤسسات) ؟؟ .

وفى عام ١٨٩٦ م-(١٣١٤ هـ) وصلت البجاحة بصحفى نمساوى يهودى هو تيودور هرتزل[٦] إلى إصدار كتاب « الدولة اليهودية » ذكر فيه أن قيام دولة يهودية من شأنه أن يقلل من حدة اللاسامية المعادية لليهود ، وطلب من السلطان عبدالحميد الثانى

---

(٥) وفى هذا تنبيه للأمة التى سمحت لنفسها أن تبيع أرضها للأجانب ومنهم اليهود تحت ضغط حاجتها .. إن هذا النوع من بيع الأراضى كان أول الطريق لضياع فلسطين فهل وعيت الدرس يأمتى ، وانطلقت للقيام بواجبك ؟ أم أنك لا تعى ؟ وإذا وعيت ، لا تملكين من أمرك شيئاً ؟ والأخطر من ذلك بيع القطاع العام ، لمن ؟؟

(٦) السياسة الدولية وفلسطين صفحة ١٤٠ - ١٤١ ، وهو يعتمد على يوميات هرتزل التى نشرت فى تل أبيب عام ١٩٣٤ والتى نقل عنها محمود كامل فى كتابه الدولة العربية الكبرى ص ٢٦٦) وأيضًا الدولة العثمانية ، ج ٢ ص ٩٩٠ ، وهو يعتمد على فلسطين فى خطط الاستعمار والصهيونية (١٨٩٧ - ١٩٢٢ تأليف أحمد طربين .

أن يتنازل لليهود عن فلسطين لكى يؤسسوا فيها دولة ، وأغْرَى هرتزل السلطان عبدالحميد الثانى بالمعونات المالية السخية ثمنا لذلك . ولكن السلطان عبدالحميد رفض طلبه وكتب إليه قائلاً : « أنصح دكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات أخرى فى هذا الطريق ، فإننى لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض » ، أى أرض فلسطين . « لأنها ليست أرضى وإنّما أرض شعبى الذى حارب فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، دع اليهود يحتفظون بملايينهم ، فإذا تفككت امبراطوريتى فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل ، ولكنهم لن يصلوا إليها إلّا على أشلاء أجسامنا بعد تمزيق[٧] أوصالها إننى لا أستطيع أن أوافق على إجراء هذه التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبى الأحياء .

اليهود بمعاونة أوربا يواصلون سعيهم لاغتصاب فلسطين :

لم ييأس اليهود ، وعقدوا مؤتمرًا فى مدينة بال بسويسرا يوم ٢٩ اغسطس ١٨٩٧ لوضع الحجر الأساسى للمأوى الذى سيقيم فيه اليهود .

ولكن الشيء الذى لابد من ذكره هنا أن هرتزل نصح قومه فى المؤتمر : « لست أنصحكم ، بأن تهاجروا إلى فلسطين ، فذلك خطر عليكم ، وعلى السكان الأصليين ، ابتعدوا عن فلسطين ، واجتنبوها ، واختاروا ، لأنفسكم بلدا غيرها ، ذلك خير لكم » ، ولكنهم لم يستجيبوا له .

ولكنهم استجابوا لكلمته الأخرى « الصهيونية هى عودة اليهود لليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية » . وهذه الكلمة تعنى أنه لابد من صبغ الاتجاه لاغتصاب أرض فلسطين بالصبغة العقدية اليهودية .

---

(٧) هذا هو موقف سلاطين آل عثمان ، هذا هو موقف السلطان عبدالحميد الثانى ، رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة ماذا حدث بعد وفاتهم ، وبعد سقوط الدولة العثمانية التى كانت تشكل السياج الذى يحمى دول الإسلام بعد الله تعالى على مدار قرون طويلة ؟ لقد اغتصب اليهود فلسطين واغتصب الصليبيون ديار الإسلام . فهل بعد ذلك يُصرّ العرب الأشاوس على اعتبار الحكم العثمانى ، احتلالاً تركيًا ؟
وكلمة أخرى ، هل قرأنا فى التاريخ أن واحدًا من سلاطين الدولة العثمانية أمثال عثمان ، وسليم الأول ، وسليمان ومراد الثانى وغيرهم أعطى ولاءه للكافرين كما تفعل الأنظمة المعاصرة اليوم. هل واحد منهم سَلّم لأعداء الأمة بشبر واحد من أرض فلسطين أو غيرها ؟ أم أنهم كانوا يعتبرون موالاة الكافرين خيانة لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين ؟! أفيدونا إن كنتم تعلمون .

وفى نهاية المؤتمر(٨) ، قرر المتآمرون تأسيس وطن للشعب اليهودى على حد زعمهم - فى فلسطين يضمنه القانون العام بمعنى أن يضمن ذلك قانون المجتمع الدولى الذى يسمح باغتصاب أرض الغير (نظرية الملك المباح ونظرية الدول الكبرى لها الحق فى التهام الدول الصغرى ، الدولة العثمانية ج ٢، ص ١٠٢٩) .

وواصل اليهود سعيهم وحاولوا أن يتسللوا إلى فلسطين تحت ستار المشروعات التى تقوم بها أوروبا فى العالم العربى ، واتصل هرتزل بغليوم الثانى قيصر ألمانيا ، لإقناعه أن اليهود يستطيعون مساعدة ألمانيا على تدعيم نفوذها ، فى المنطقة ، من خلال المشاركة فى تنفيذ مشروع سكة حديد برلين - بغداد ، ولكن بعرض الأمر على السلطان عبدالحميد الثانى عام ١٨٩٨ (١٣١٦ هـ) أثناء زيارة غليوم الثانى للقسطنطينية ، رفض الاقتراح .

ولم يفقد اليهود حماسهم ، وأرسل هرتزل رسالة إلى يوسف ضياء الخالدى ، كبير نواب العرب، فى مجلس المبعوثان العثمانى ، محاولاً تضليله وبيان الفوائد التى ستعود على العرب إن هم أعطوا لليهود وطناً فى فلسطين . « إن الفكرة الصهيونية التى أخدمها بتواضع لا تضمر أية روح عدائية للحكومة العثمانية ، بل العكس ، فإن هذه الحركة ترمى إلى إيجاد موارد جديدة للدولة العثمانية ، إذْ « أنّه مما لا شك فيه أن استيطان عدد من اليهود يجيئون

---

(٨) لقد سبق هذه الدعوة دعوات عديدة لتجميع اليهود ، من هذه الدعوات دعوة دافيد روبينى فى القرن السادس عشر الميلادى دعا زعماء اليهود لغزو فلسطين وتأسيس دولة يهودية فى أراضيها .

كما أصدر « نابليون بونابرت » أثناء حصاره لمدينة عكا عام ١٧٩٩ م ١٢١٤ هـ بيانا ليهود العالم مطلقا عليهم اسم « الورثة الشرعيين لفلسطين » للاستيلاء على فلسطين . حايم مونتفيور سمسار إيطالى الأصل قابل محمد على بعد استيلائه على فلسطين وعرض عليه إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، ولكن محمد على رفض طلبه ؛ وقد استطاع هذا القنصل أن يحصل من « لورد بالرمستون » على وعد بأن يَعُدّ القناصل الإنجليز فى الشرق أنفسهم حماة لليهود فى الأقطار التركية . وفى عام ١٨٤٥ (١٢٦١هـ) نجح فى الحصول على أرض فى فلسطين عهد باستغلالها إلى خمس وأربعين أسرة يهودية .

وقد صدر كتاب البحث عن صهيون للحاخام كاليشار (١٨٩٥-١٨٧٤) (١٢١٠-١٢٩١ هـ) قال فيه : على اليهود أن يبادروا إلى استعمار فلسطين فورًا وبلا تردد ؛ وردَّد نفس الشيء موسى هينس اليهودى الألمانى فى كتابه روما والقدس ودعا فيه إلى إنشاء دولة يهودية ، والبدء عمليا فى ذلك بإنشاء مستعمرات يهودية فى فلسطين . وفى عام ١٨٧٠ (١٢٨٧ هـ) انتقل النشاط اليهودى إلى روسيا ، فأُسِّس الحلفُ الإسرائيلى العالمى ، بناء على تعضيد اليهود الروس ، مدرسة زراعية قرب يافا لأبناء اليهود (السياسة الدولية ، صفحة ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩ المسيح الدجال ص ٦٢) .

إلى البلاد بما فطروا عليه من ذكاء وروح عالية ، وبما لهم من امكانيات من شأنه أن يزيد فى رخاء البلاد » .

وانتهت الاتصالات بين هرتزل والسلطان عبدالحميد عام ١٩٠٢ بعرض من الحكومة العثمانية اشترطت فيه أن يتجنس المهاجرون اليهود بالجنسية العثمانية وأن يوزعوا على جميع الولايات العثمانية فى آسيا عدا فلسطين ، بمعدل خمس أسر لكل ولاية» ! ورفض الصهاينه العرض لأنهم يريدون فلسطين كلها لتكون وطنا لثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود ولتكون منطلقا للتوسع وفرض السيطرة » .

ولم يفت ذلك الرفض من قبل السلطان عبدالحميد فى عَضد اليهود ، فقد اتصلوا بخديوى مصر للتنازل لهم عن العريش ، فرفض مجرد المفاوضة فى هذا الشأن .

مؤتمر أوربى يقرر العمل لتمزيق العالم العربى وغرس الكيان اليهودى :

واهتم وايزمان أيما اهتمام بالحصول على تأييد الشعوب غير اليهودية لأهداف الصهيونية وعبر عن ذلك عام ١٩٠٧ قائلاً : « إن الصهيونية السياسية تعنى الآتى : أن تجعل من المسألة اليهودية مسألة دولة . إنها تعنى أن نتوجه إلى الأمم المختلفة ونقول لها : إننا فى حاجة إلى مساعدتكم لكى نحقق أهدافنا »(٩) .

واستغلت الصهيونية مؤتمرًا عقده عام ١٩٠٧ ممثلون عن بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا فى لندن ، على مستوى أساتذة الجامعات والخبراء فى كافة النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية واستغل اليهود ذلك المؤتمر وتسلطوا على مسير جلساته، ووجّهوه لتصدر قراراته متفقة مع الأمانى الصهيونية . « لقد اجتمع ذلك المؤتمر فى عديد من الجلسات لإجراء دراسات وأبحاث تحفظ للدول الاستعمارية سيطرتها على مستعمراتها ، وتمنع انهيار إمبراطوريتها ، وعقد المؤتمر أولى جلساته فى لندن وجاء فى توجيهات رئيس الوزارة البريطانى هنرى كامبل بانرمان - H. Campbell Bannrman للمؤتمر ما يأتى : « إن الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر إلى حد ما ، ثم تنحل رويدًا ثم تزول .. فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون

---

(٩) السياسة الدولية وفلسطين ص ١٤١ - ١٤٣ اعتمادًا على الصهيونية وربيبتها إسرائيل تأليف عمر رشدى ، صفحة ٧٢ ،وقضية فلسطين أمام القانون الدولى ، محمد طلعت الغنيمى ص ٢٨ .

السقوط أو الانهيار ، أو تؤخر مصير الاستعمار الأوروبى ، وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفذت مواردها ، وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لايزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والرفاهية ؟ هذه مهمتكم أيها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » .

وجاءت قرارات المؤتمر متفقة تمامًا مع ما كانت تحلم به الصهيونية العالمية .

لقد تضمن تقرير المؤتمر النقاط التالية :

١ - «أهمية السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، شريان المواصلات بين الشرق والغرب.

٢ - استبعاد أى خطر على الاستعمار فى أى من المستعمرات عدا منطقة البحر الأبيض المتوسط ، التى يكمن فيها الخطر على الاستعمار لأنها مهد الحضارات ويسكنها شعب له مقومات الوحدة، فإذا تجمعت هذه المقومات مع نزعة هذا الشعب للتحرر ، فسيكون فى ذلك الضربة القاضية على الاستعمار . ولذلك فإن على الدول الاستعمارية ذات المصلحة المشتركة أن تبقى وضع هذه المنطقة على ما هو عليه مجزأة متأخرة ، وأن تبقى شعبها على ما هو فيه من تفكك وجهل .

٣ - لمواجهة هذا الخطر يجب فصل الجزء الافريقى عن الجزء الآسيوى من هذه المنطقة ، وذلك بإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وأفريقيا ، على مقربة من قناة السويس ، لتكون قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة[١٠] .

وهكذا وجد الاستعمار فى الصهيونية ضالته المنشودة لإقامة ذلك الحاجز البشرى فى منطقة الجسر على مقربة من قناة السويس ، ووجدت الصهيونية العالمية فى الاستعمار خير صديق يعاونها على تحقيق أهدافها الاجرامية ضد شعب فلسطين والأمة العربية » .

---

(١٠) السياسة الدولية وفلسطين ص ١٥٠ ؛ ولتحقيق هذه الأهداف نشطت المخابرات الأمريكية وغيرها داخل ديار العالم العربى لعمل الانقلابات العسكرية والمجىء بأنظمة تخدم تحقيق مخططاتهم (حبال من رمل تأليف ولبركرين ايفلاند مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط (١٩٥٠ - ١٩٨٠) ، نقله إلى العربية سهيل زكار ؛ ثورة يوليو الأمريكية علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، محمد جلال كشك ، الزهراء للاعلام ، لعبة الأمم وعبد الناصر ، محمد الطويل . المكتب المصرى الحديث ؛ لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ؛ المكتب المصرى الحديث .

عظات وعبر :

*** هل قرأنا تاريخنا يا أمتنا لمواجهة الهجمة الأوربية ، هل استوعبنا أحداثه ؟ إن أوربا** كما ورد فى تقرير رئيس وزراء بريطانيا ، فى طريقها إلى السقوط والانهيار ، وأنها قد استنفذت مواردها وأن ديار الإسلام لاتزال فى مرحلة الشباب بالنسبة للثروات .

هل عرفنا الآن لماذا خططت أمريكا لأحداث الخليج عام ١٤١٠/١٩٩٠ ، لقد دفعت طاغية العراق إلى اغتصاب الكويت ، للقضاء على النبتة التى تراخت في اتخاذ إجراء حاسم فى وجه الدعم الشعبى الكويتى للجهاد الأفغانى والفلسطينى وغيره ، واتخاذ هذه الواقعة تكأة ، للغزو الأوربى العالمى (الأمريكى والروسى والفرنسى والانجليزى) المسلح للعالم العربى ، بهدف حرمان المجاهدين الأفغان والفلسطينيين وغيرهم من دعم إخوانهم من شعب الكويت وغيرهم من دول الخليج .. .

- وضع اليد على منابع البترول (الدجاجة التى تبيض كل يوم ذهبًا) ، لكى تظل أوربا هى المستفيد الأول من ثروات العالم العربى ، دون أن تتعرض لأى تهديد من قبل أهله .
- وضع اليد على مدخرات الأنظمة العربية فى بنوك أوربا (وأمريكا امتداد لها ، فى مقابل مصروفات وأجر للقوات الأوربية ، وثمنًا للأسلحة التى أحضرتها) .
- إشعال القتال بين أبناء الأمة الواحدة (العربية المسلمة) لإجهاض قوتها البشرية والاقتصادية وغيرها ليصبح الطريق مفتوحًا أمام بنى يهود لتحقيق حلمهم باغتصاب وإقامة دولة تمتد من النيل إلى الفرات .
- إجهاض (وهذا هو الهدف الأكبر من الغزو الأمريكى الأوربى المتستر بستار الأنظمة العربية) قوة حركات البعث الإسلامى فى العالم بعد أن استقامت النبتة على عودها وعجزت الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى عن تحجيم قوتها .

بقيت كلمة ، وهى أن دفع طاغية العراق إلى القيام بغزو[١١] الكويت ، عمل جرى التخطيط والاعداد له منذ زمن ، وأشرف عليه أبناء أمريكا وغيرهم من أبناء أوربا ، بل انه

---

(١١) الأمريكان أصحاب الفيل جاءوا لهدم الكعبة ، د. عبدالرحمن فارس ، أستاذ الاستراتيجية بالجامعات المصرية ، أزمة الخليج أبعاد الواقع وآفاق المستقبل ، شارك فى إعداده عدد من أساتذة الجامعات تقديم أ.د. سيد دسوقى حسن ؛ حقائق حول أزمة الخليج ، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالى ، دار مكة المكرمة .

جرى اعداد فيلم سينمائى فى أمريكا عام ١٩٨٤ عن غزو العراق للكويت واستنجاد الأخيرة بأمريكا لتحريرها(*) وفى أعقاب عرض الفيلم فى دور السينما الأمريكية ، علقت جريدة الأنباء الكويتية بأن العراق والكويت شعبان شقيقان لا يمكن أن يحدث ذلك بينهما ، وجاءت الأحداث لتؤكد أن الأمة منوّمة ولا تفق أحياناً إلا على هول الأحداث .

* هل أدركت أمة الإسلام أنها مهد الحضارات ، وأنّها تملك كل مقومات الوحدة ، بشهادة الأعداء ؟

هل أدركت أن ما نعانيه من أزمات سياسية واقتصادية وعسكرية وتعليمية وثقافية ، وراءها مؤامرات يهودية أوربية ؟

هل أدركنا أن أوربا وروسيا وأمريكا امتداد لها قد غرست الكيان اليهودى فى جسد الأمة حتى تتمكن من خلاله من السيطرة على العالم العربى والإسلامى بعد تمزيقه وتفتيت وحدته ؟

هل أدركنا أن رغبتنا فى التحرر من العبودية لغير الله ، ورغبتنا فى عودة الخلافة وتوحيد العالم الإسلامى ، يزعج أوربا ، ولذلك فهى تعمل جاهدة على أن نستمر فى أغلال العبودية ؟!

هل أدركنا أن الكثير من الأنظمة الحاكمة بموقفهم الراهن يخدمون مخطط الأعداء – بقصد أو بدون قصد ؟

هل أدركنا أن كامب ديفيد ، وشعار السلام اختيار مصيرى لا يخدم إلا مخطط العدو الذى جُبل على الغدر ونقض العهود ؟ وتقوم سياسته على التوسع والغصْب لديار الإسلام .

هل أدركنا أن سياستنا[١٢] التعليمية والاعلامية لا تخدم إلا مخططات الأعداء ؟

هل أدركنا أن المعلومات التى تدرس لأبنائنا فى المدارس والتى تزعم أن العالم الإسلامى قد نضبت ثرواته وقلت موارده وكثر نسله وهذا سبب مشاكله ، ليست إلا

(*) وقد نشرت ذلك مجلة العربى عدد ٣٥٣ إبريل ١٩٨٨ .

(١٢) التطوير بين الحقيقة والتضليل ، أ. على أحمد لبن ، د. جمال عبدالهادى ، التاريخ بين الحقيقة والتضليل لنفس المؤلف .

أكاذيب لا سند لها من الحقيقة ، وتهدف إلى إصابة شبابنا بالإحباط حتى يسلم نفسه وزمامه ، لعدوه ؟

هل عرفنا الصفحات المُغيّبة من تاريخ الدولة العثمانية ومن مؤامرة أوربا على العالم الإسلامى ؟ التى تؤكد :

● إن الحكام العثمانيين المجاهدين ، كانوا يشكلون الدرع الواقى الذى حمى الله به ، العالم الإسلامى وخاصة فلسطين من الوقوع فى أيدى أبناء أوربا واليهود لمدة ستة قرون أو يزيد .

أى أن العثمانيين قد حفظوا لنا فلسطين ، وسلّموها لأمة الإسلام ، فمن الذى ضيعها ؟ من الذى سلّم بها لأعداء الأمة الذين أبادوا وشردوا أهلها ، واغتصبوا ديارها وثرواتها ؟ أليسوا الزعماء الذين وثقت بهم الأمة ، وأعطتهم صفقة يدها . ورغم ذلك فإن كتب التاريخ التى تدرس فى دور العلم ، لازالت تعتبر العثمانيين أتراكا محتلين مستعمرين [13] ، والهدف هو تشكيك الأمة فى كون إقامة الخلافة واجباً لتوحيد العالم الإسلامى وإقامة دين الله والتصدى لمؤامرات الأعداء وتحرير ديار الإسلام ..

● إن سيناء تدخل ضمن دائرة أطماع العدو اليهودى وتوافقهم أوربا على ذلك ؛ فهل أدركت أمتنا لماذا جردت سيناء من السلاح الثقيل (منطقة منزوعة السلاح) وتخضع لتفتيش من قوات الطوارىء الدولية (التى يشكل الأمريكان ومنهم يهود) نسبة كبيرة ؟

هل عرفنا الآن لماذا ترك العدو اليهودى عند انسحابه من سيناء أنْصَابا مكتوبا عليها لن ننساك ياسيناء ؟ هل عرفنا أن موشيه باركوخيا نائب رئيس أركان الجيش اليهودى حينما صرح فى عام ١٩٩٠ أنه سيعبر سيناء وقناة السويس ولن يقف عند حدود ١٩٦٧ كان يقول الصدق وهو كاذب ؟ هل أدركنا أن وضع سيناء الآن يتيح للعدو اليهودى الوصول إلى ضفة القناة[14] فى ساعات قليلة ؟ هل أدركت الأمة الآن أنها فى دائرة الخطر المباشر ؟

---

(١٣) تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، للصف التاسع من التعليم الأساسى ، تأليف إميل بباوى غالى وآخرين ، وزارة التربية ، مصر ، ط ١٩٨٥ - ص ١٢ - ١٤ .

(١٤) جريدة مايو عدد ٨٨٨ لسنة ١٩٩٠ .

والآن نتساءل :

إن سيناء تشكل ٣,٥٪ من مساحة القطر المصرى أى حوالى ٣٥,٠٠٠ كم٢ معظمها صالح للزراعة وبها الكثير من الثروات ، وتطل على البحرين الأحمر والأبيض ، لماذا لا تُعمَّر ؟ لماذا لا يعاد تركيب خط السكك الحديدية الذى دمَّره العدو اليهودى ، لماذا لا تعمر بالشباب يفلحونها ويدربون ويربون تربية جهادية لحمايتها ممن قد يفكرون فى غزوها ؟ لماذا لا ينفذ فيها نظام المستعمرات المحصنة على اعتبار أنها المواجهة مع العدو .

وكيف تسمح أمتنا بمد المياه عبر ترعة تسمى ترعة السلام ؟ إلى سيناء فى هذه الظروف ، أى سلام يقصدون ؟ السلام الذى باسمه خُدرت الأمة ووجهت إلى الاهتمام بالكرة والمسرح والموسيقى فى الوقت الذى فتح فيه العدو بابه لاستقبال المقاتلين اليهود (الهجرة اليهودية) وانشغل فيه بتطوير أسلحته الهجومية والدفاعية ، وواصل فيه إبادة للشعب الفلسطينى تحت سمع وبصر المجتمع الدولى .

شعار السلام الذى أعطى العدو اليهودى فرصة – قد يهتبلها وهو بيقين سيفعل إلا أن يشاء الله شيئًا آخر – هذه الفرصة هى مدّ ماء النيل إلى سيناء ، بينما رفض الإنجليز حينما كانوا يحتلون مصر تنفيذ هذه الفكرة التى اقترحها اليهود فى حينها ؟ بحجة أنها لا تكفى لزراعة مصر ، وأن كمية المطر التى تنزل سيناء[١٥] تكفى لزراعتها ؟

* لعل الأمة تدرك أن أوربا بما فى ذلك أمريكا وروسيا هى التى كانت حريصة على طعن الأمة بالخنجر اليهودى .

ولعلها أدركت اللعبة الآن (أغسطس عام ١٩٩٠ م[١٦] (١٤١٠ هـ) أمريكا تتظاهر بالانزعاج لهجرة اليهود إلى أرض فلسطين المحتلة ، وهى التى كانت تسعى إلى فتح

---

(١٥) الدولة العثمانية ج ٢ ص ٩٧٢ .

(١٦) ذكر الأستاذ اللواء أ. ح. د. فوزى طايل « إنه من المؤكد أن جولة شاملة بين إسرائيل والعرب قد تم الإعداد لها .. ومن المتوقع أن تكون قبل منتصف التسعينات ، وأن ميدانها الرئيسى سوف يكون سوريا ، وربما شرق الأردن ، وقد تمتد لتشمل كل سيناء، وربما أبعد من ذلك، وقد تكون هذه الجولة إسلامية يهودية» . وسوف تكون هذه =

باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ عام ١٨٨٢ م ، بل إنها هى التى تدعمها الآن ماديا وأدبيا ، وذلك يعنى أن دعم القاعدة اليهودية العدوانية على أرض فلسطين هو خط ثابت فى استراتيجية أوربا بما فى ذلك أمريكا ، فهل تعى أمتنا الأحداث والمخططات ؟ هل تنتبه ، هل تصطلح مع الله ، هل تعود إلى الإسلام نظام حياة شامل ، هل آن لها أن تعلن براءتها ممن يشاقون الله ورسوله ؟ هل آن لها أن تربى أبناءها على عقيدة التوحيد وتحيى روح الجهاد لتحرير فلسطين وغيرها من ديار الإسلام .

= الحرب فرصة لاستكمال القوات الغربية حلقة حصارها للمنطقة بتكثيف تواجدها عند مداخل البحر الأحمر والقرن الافريقى بغرض حماية الجناح الجنوبى للعمليات اليهودية : » (أزمة الخليج أبعاد الواقع وآفاق المستقبل ، نادى أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة ، تقديم أ. د. سيد دسوق حسن ، ص ٨٢) .

الفصـــل الثـــالث

عقبات فى طريق تنفيذ المخطط اليهودى الأوربى

الخلافة العثمانية – وحدة العالم الإسلامى وقوة الإيمان فى قلوب أبنائه

* **المتآمرون اليهود – بالاتفاق مع أوربا يقررون :**
إسقاط الخلافة وتمزيق العالم الإسلامى .

الوسيلة : الانقلاب العسكرى ، واقصاء السلطان عبدالحميد الثانى عن الحكم .

حينما حاول المتآمرون اليهود ، بمعاونة أبناء أوربا ، تنفيذ مخططهم ، صادفتهم عقبات عديدة منها وجود الخلافة العثمانية[1] ووحدة العالم الإسلامى وقوة عقيدة الإيمان بالله رب العالمين فى قلوب المسلمين ، وكلها كانت تشكل دواما الصخرة التى تتحطم عليها مؤامرات الطامعين فى العالم الإسلامى ؛ ولهذا رأى المتآمرون أنه لا سبيل لتحقيق أطماعهم إلا بإسقاط الخلافة العثمانية ، وتمزيق وحدة العالم الإسلامى ، وإفساد الإيمان فى القلوب ، وذلك لا يتحقق إلا بتقويض البنيان من الداخل وبأيدى من ينتسبون إلى دين الإسلام ، من خلال انقلاب عسكرى يقوم فيه العسكر ممن ينتسبون إلى الأمة بالدور الأكبر فى تنفيذ مخطط الأعداء ، ويقترن ذلك بغزوة فكرية تعمل على تقويض الإيمان بالله الواحد فى القلوب ، حتى تنزاح العقبة الكؤود التى يمكن أن تتحطم عليها أطماع الأعداء ومؤامراتهم .

---

(١) التى من واجباتها كما يقول القاضى أبو يعلى الحنبلى محمد بن الحسين بن محمد .. بن الفراء (٣٨ م – ٤٥٨ هـ) فى كتابه الأحكام السلطانية ص ١١ ؛ « حماية البيضة والذب عن الحوزة لينصرف الناس فى المعايش وينتشروا فى الأسفار آمنين . تحصين الثغور بالقوة المانعة والقوة الدامغة حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها مُحرّما أو يسفكون فيها دما لمسلم أو معاهد . ولهذا فإن العمل على إقامة الخلافة واجب ، ونصب خليفة للمسلمين واجب (الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٢٦٤ تفسير قول الله تعالى : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ آية ٣٠ ، سورة البقرة ؛ الخلافة (أو) الإمامة العظمى مجلة المنار الجزء السادس من المجلد ٢٤ (ص ٥٤٩ – ٤٦٥) تأليف الشيخ محمد رشيد رضا ، القاهرة ٣٠ رمضان ١٣٤١ (١٦ مايو ١٩٣٣) ، وما بعده من أعداد ؛ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، أ.د. محمد محمد حسين ، ج.م.ع دار النهضة العربية ، ط ٣ القاهرة ١٣٩٢ ص ٥٥ وما بعدها ؛ النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام بتركيا .

وقد ذيّل على الكتاب وأعاد نشره وعلق عليه ، أ.د. مصطفى حلمى ، تحت عنوان الأسرار الخفية وراء الخلافة العثمانية – دار الدعوة بالاسكندرية .

ولتحقيق ذلك ، وقع انقلاب عسكرى[٢] داخل الدولة العثمانية خططت له وقامت به جمعية سرية ، هى ما تسمى جمعية « الاتحاد والترقى »[٣] ، والتى من أقطابها الظاهرين

---

(٢) وقد سبق ذلك انقلاب آخر وقع عام ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) كان يسمى بانقلاب المشروطية ، وسبق هذين الانقلابين ومهد وأعد لهما : تنظيمات سرية مثل تركيا الفتاة ، والاتحاد والترقى ، وغالبها تنظيمات يهودية (ماسونية) نجح اليهود وأعوانهم فى إقامتها والتسلل إليها ، وكانت تتخذ من السفارات الأجنبية (الإنجليزية والروسية والفرنسية والايطالية) والقنصليات أماكن للاجتماعات ، كما سبق ذلك واقترن به إثارة النعرات القبلية ، والفتن الطائفية بين المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى كما حدث فى بلغاريا عام ١٨٧٦ م واليونان عام ١٨٢١ م .

ففى بلغاريا وقعت مذابح عامة بين المسلمين الذين كانوا مجردين من السلاح فكانت خسائرهم فادحة (الدولة العثمانية ج ٢ – ص ٨٤٤) وذلك على يد النصارى البلغار .

وفى بلاد اليونان أوقع بعض سكانها النصارى مذابح عامة بين المسلمين سكان جالاتز وجاسى وقد أخذوهم على غرة ونالوا منهم منالا عظيمًا لأنهم كانوا قلة . وأقر رئيس الجمعية (جمعية الإخوان) وهى جمعية سرية تكونت فى ثغر أوديسا وكانت تهدف إلى هدم الخلافة العثمانية ـ المجازر البشرية التى ذهبت ضحيتها ألوف المسلمين » (الدولة العثمانية ج ٢ ص ٣٨) .

وقد ذكر نفس المرجع أن النصارى فى متراس فى إبريل – نيسان – عاه ١٨٢١ م قد أوقعوا بالمسلمين مذابح رهيبة ، ثم امتدت المذابح عبر كورنثه إلى الشمال من مقدونيا وتراقيا ومثلوا بالمسلمين أفظع تمثيل حوالى ٨٠٠٠ قتيل ، وقد أسهم رجال الدين النصارى إسهاما فعليا فى المذابح العامة ص ٨٣٩) .

وقد أعطى ذلك فرصة لتدخل الدول الأجنبية بحجة حماية الأقليات غير المسلمة ، وسبق ذلك واقترن به أيضًا استدراج دولة الخلافة العثمانية إلى حروب على امتداد حدودها مع روسيا وغيرها من دول أوروبا . وسبق ذلك واقترن به مهاجمة واغتصاب دول العالم الإسلامى التى كانت تشكل جزءا من جسد دولة الخلافة الإسلامية مع تمزيقها واحتلالها ، مثال ذلك : اغتصاب فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م – ١٢٤٦ هـ ، وتونس عام ١٨٨١ م – ١٣٠٠ هـ ، والمغرب ١٩١٢ م – ١٣٣١ هـ، واغتصاب فرنسا ١٧٩٨ م – ١٢١٣ هـ ، ثم بريطانيا لمصر عاه ١٨٨٢ م – ١٣٠١ هـ ، وعدن عام ١٨٣٩ م – ١٢٥٥ هـ ، واغتصاب إيطاليا لطرابلس عام ١٩١٢ م .
وسبق ذلك كله وارتبط به غزو فكرى منظم شمل جنبات الحياة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية ، وسبق ذلك واقترن به أيضًا تشويه سمعة دولة الخلافة ، وسمعة حكامها ، والتشكيك فى إسلامها ، كما سبق ذلك واقترن بمحاولة صبغ المجتمعات العثمانية بالصبغة غير الإسلامية ، ورد الناس كفاراً عن طريق التنصير ، تحت شعار الخدمة التعليمية والطبية والمعونة المادية .

(٣) كانت جمعية سرية حتى وقوع الانقلاب العسكرى وكانت تضم طائفة من يهود الدونمة التى تظاهر أفرادها بالإسلام للكيد للإسلام وأهله من داخل الصف المسلم .

الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية د. مصطفى حلمى وهو دراسة حول كتاب النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة ، لشيخ الإسلام مصطفى صبرى ، دار الدعوة للطبع والنشر ، الاسكندرية ١٤٠٥ ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، أ.د. محمد محمد حسين ، ج ٢ ص ٧٥ ، ٧٩ الهوامش .

كمال أتاتورك ؛ هذا الانقلاب قام بخلع السلطان عبدالحميد الثانى[٤] فى ١٣ مارس ١٩٠٩ (١٣٢٧هـ) ؛ وبخلع السلطان عبد الحميد ، انتهت السياسة الإسلامية فى الدولة العثمانية ، وبرزت العصبية القومية ، التى حاربها عبدالحميد ، بكل جهد أيام حكمه ؛ واتجهت سياسة الاتحاد والترقى إلى تغذية العصبية الطورانية[٥] ، لتمزيق وحدة الأمة .

والذى يؤكد هوية هذا الانقلاب ، وأن وراءه يهود ، هو أن مجلس النواب العثمانى قد أوفد ثلاثة من أعضائه لخلع السلطان عبدالحميد وكان أحد هؤلاء الثلاثة يهوديًا يدعى أيمانويل قرسو (كاراسو) وهو يهودى أسبانى الأصل ؛ وهو شخص سبق للسلطان عبدالحميد الثانى أن طرده من مجلسه فى يلدز حين حاول التأثير عليه لإسكان اليهود فى فلسطين[٦] .

السلطان عبدالحميد الثانى – رحمه الله – يكشف مخطط اليهود لاغتصاب فلسطين :

وقد وجه السلطان عبد الحميد رسالة إلى شيخه يحكى فيها خبر عزله عن الخلافة ، جاء فيها :

« إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية ، لسبب ما سوى أننى – بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى باسم (جون تورك) وتهديدهم – اضطررت وأجْبرتُ على ترك الخلافة . إن هؤلاء الاتحاديين ، قد أصروا وأصروا ، علىَّ بأن أصادقَ عَلى تأسيس وَطن قَومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم اصرارهم ، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا ، وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :

---

(٤) لقد لجأ زعماء الاتحاد والترقى فى الجيش ، إلى العنف فقد اقتحموا عاصمة دولة الخلافة وحاصروا يلدز ، واشتبكوا مع رجال عبدالحميد الثانى ، فى معركة كبيرة انتهت بالتسليم ، وقبضوا على أنصار عبدالحميد وأعدموا عددًا كبيرًا يزيد على الألف (الاتجاهات الوطنية ص ١ ، ص ٤٦) .

(٥) المرجع السابق صفحة ١٠١ .

(٦) جهاد شعب فلسطين ؛ مذكرات السلطان عبدالحميد ، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار بالقاهرة ، ص ٦، ٧ .

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا ، فضلا عن ١٥٠ مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا ، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة . فلم أسوّدُ صحائف المسلمين آبائى وأجدادى ، من السلاطين والخلفاء العثمانيين : لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى أيضًا » .

« وبعد جوابى القطعى ، اتفقوا على خلعى ، وأبلغونى أنّهم سيبعدوننى إلى سلانيك فقبلت هذا التكليف الأخير » .

« هذا وحمدت المولى وأحمده أننى لم أقبل أن أُلطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشىء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة : فلسطين[٧] . وقد كان بعد ذلك ما كان » .

على أيدى ضباط الانقلاب التركى (حكم العسكر) تم تمهيد الطريق لتهويد فلسطين :

« قد علق على ذلك أحد الأساتذة : » على هذا النحو ، جاءت الخطورة على فلسطين ، بعد زوال الدولة العثمانية ، وبالذات بعد عزل السلطان عبدالحميد الثانى عام ١٩٠٩ م (١٣٢٧ هـ) ، لأن بعض اليهود نجحوا فى التسلل إلى بعض المراكز فى مجالس جمعية الاتحاد والترقى (الماسونية) ، التى سيطرت على مقاليد الحكم فى الدولة بعد غياب السلطان عبدالحميد ، وقد لمس السفير البريطانى فى استانبول تفوق مركز اليهود فى دوائر الحكومة العثمانية ، وذكر هذه الحقيقة فى صراحة تامة فى مذكرة بعث بها فى شهر أغسطس – آب – ١٩١٠ م (١٣٢٨ هـ) إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وكان مما جاء فيها : « إن لجنة الاتحاد والترقى تبدو فى تشكيلها الداخلى تحالفا يهوديا تركيا مزدوجًا ، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ، ويمدها اليهود بالعقل المدبر ، وبالمال وبالنفوذ الصحفي القوى فى أوربا . إن اليهود الآن فى موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلى للدولة » .

---

(٧) مذكرات السلطان عبدالحميد الثانى السياسية – دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٨ م ، صفحة ١٠ / ١١ ، المجتمع الكويتية عدد ٤٦٧ ربيع الأول ١٤٠٠ مقالة للدكتور عجيل النشمى ، ترتيب أوراق سقوط الخلافة ، الحلقة السادسة ، سقوط الخلافه ، صفحة ٤٠ ، ٤١ .

وقد نجم عن وجود اليهود فى بعض مراكز القوى فى العهد الجديد أن تراخت رقابة الدولة على الحدّ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ..

ويختم الأستاذ الدكتور الشناوى كلمته : « وكان من النتائج التى تمت تصفية الدولة (العثمانية) على أيدى الاتحاديين[٨] ، وانفسح المجال أمام بريطانيا والصهيونية لتهويد فلسطين » .

(٨) وهكذا تلمح أيها القارىء أن الطعنة المميتة التى وجّهت إلى قلب الخلافة العثمانية إنّما وجّهها ضباط الانقلاب التركى العسكرى الذى خطط له ونفذه أعداء الأمة من خلال التنظيم الذى بدأ وكأنه تنظيم تركى وطنى تسمى باسم الاتحاد والترق ، وهو فى الأصل تنظيم ماسونى يهدف إلى تدمير بنية الأمة من الداخل وعلى أيدى من يتصور الناس أنه من أبناء الأمة ؛ وهذه التجربة ، تجربة الانقلابات العسكرية – قد تم تعميمها على بقية أرجاء العالم لتحقيق مخططات اليهود والدول الأوربية وأطماعهم فى ديار المسلمين، ثورة يوليو الأمريكية، محمد جلال كشك، الزهراء للإعلام لعبة الأمم، مايلز كوبلاند؛ لعبة الأمم والسادات، محمد الطويل، الزهراء للاعلام العربى. لعبة الأمم وعبد الناصر، محمد الطويل ، المكتب المصرى الحديث .



الفصـــل الرابـــع
الإنجليز بتفويض من دول الحلفاء يبدأون تنفيذ المؤامرة لاغتصاب فلسطين وتسليمها لليهود

- بدء الاتصال بالشريف الحسين أمير الحجاز ..
- وعود انجليزية خادعة : « خليفة عربى على دولة عربية مستقلة » .

رسالة من هنرى ماكماهون ، نائب ملك بريطانيا فى مصر عام ١٩١٥ م (١٣٣٤ هـ) :

« إلى الشريف الحسين : « إنَّا نصرح مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة على يد عربى صميم من فرع تلك الدوحة النبوية المباركة » .

- تحريض الشريف الحسين على إعلان الثورة على الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى ودخول الحرب إلى جانب بريطانيا وفرنسا ، الهدف هو استدراج العرب المسلمين ، لحرب الأتراك المسلمين لإجهاض القوة العسكرية والاقتصادية والبشرية للعالم الإسلامى وبعدها يصبح الطريق مُعَبَّدا أمام قوات الاحتلال اليهودى والانجليزى والفرنسى إلى فلسطين وسورية وغيرها .
- الشريف الحسين يلتقط الطعم ويقع فى المصيدة ويعلن ما تسمى بالثورة العربية الكبرى[1] !! فى العاشر من يونيه (حزيران) ١٩١٦م – ٩ شعبان ١٣٣٥ هـ .
- مؤتمرات واتفاقيات انجليزية وفرنسية وروسية (سان بطرسبرج – سايكس بيكو) تقرر تمزيق العالم الإسلامى واحتلاله .

---

(١) السياسة الدولية وفلسطين، ص ١٨٣ – ١٨٤ – ٢١٤ ، وقد بدأ الاتصال عن طريق عبدالله بن الشريف الحسين بكتشنر مندوب الاحتلال البريطانى فى مصر، بحضور السكرتير رونالد ستورز فى فبراير ١٩١٤ – ١٣٣٣ هـ، وكان فيصل بن الشريف الحسين يرى عدم التعاون مع الانجليز بسبب مطامع فرنسا فى بلاد الشام ومطامع الإنجليز فى جنوب العراق .

- المسلمون العرب بتخطيط وتوجيه لورانس ، وقيادة فيصل بن الحسين ، يخرجون من جزيرة العرب باتجاه بلاد الشام لقتال إخوانهم المسلمين الأتراك .

- إفناء وتشريد الجيوش العثمانية الثالث والسابع والثامن التى حفظت العالم العربى (قلب العالم الإسلامى من الوقوع فى يد أبناء أوربا لمدة أربعة قرون أو يزيد .

- بتوجيه من الإنجليز عبر ضابط المخابرات لورانس تمَّ تدمير خط سكة حديد (١٣٠٨ كم) الذى كان يربط المدينة المنورة بالشام .

- الانقلاب الشيوعى الروسى عام ١٩١٧ م – ١٣٣٦ هـ يذيع اتفاقية سايكس بيكو مميطا اللثام عن المؤامرة الانجليزية الفرنسية الروسية .

- قائد الجيش العثمانى (ببلاد الشام) أحمد جمال باشا يبعث برسالة إلى الشريف الحسين يحذره من المؤامرة ، ولكن الشريف الحسين لا يستجيب[٢] ..

- بريطانيا (صديقة العرب الوفية) تتمادى فى مؤامراتها وتنكر اتفاقية سايكس بيكو !! وبتكليف من الحلفاء تقدم على خطوة أشد جرما، وتصدر وعد بالفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ م (١٣٣٦هـ) : الحكومة البريطانية تَعِدُ اليهود باغتصاب فلسطين وتسليمها لهم (بعد إبادة وتشريد أهلها) .

- جريدة الجيويش كرونيكل تنشر الوعد فى ٦ نوفمبر ، ورويتر تُذيعه فى ٨ نوفمبر[٣] .

- دول أوربا وعلى رأسها فرنسا وإيطاليا وأمريكا تسارع إلى تأييد الوعد وهكذا اتفق القراصنة على تمزيق الفريسة والتهامها[٤] .

---

(٢) نشرت مجلة العربى عدد إبريل ١٩٨٨ ملخصا عن فيلم أمريكى يصور أحداث اعتداء العراق على الكويت ، واستدعاء القوات الأمريكية إلى منطقة الخليج ، وكان على حكام العرب أن ينتبهوا ويعتبروا ذلك تحذيرًا من التآمر الأمريكى الذى استدرج النظام العراقى للقيام بفعلته ، والعمل الحاسم والسريع لإفشال ذلك المخطط .

(٣) حينما وصلت القوات الأمريكية إلى أراضى الجزيرة العربية فى أغسطس ١٩٩٠ أعلنت بدون حياء أو مواربة أنها جاءت من أجل بترول الخليج .

(٤) لقد شارك فى هذه الهجمة كل دول أوربا الغربية ، بل إن بعض الدول مثل اليابان لم يفتها أن تساهم فى الحملة وكذلك الدول التى تسمى بمحايدة ، حتى يتاح لها بعد انتهاء المعركة فرصة المطالبة بنصيب من الفريسة: ثروات =

لقد أدرك أعداء الإسلام أن تمزيق الأمة المسلمة ، لا يمكن أن يتم من خلال مواجهة عسكرية معها ، وإنّما يمكن أن يتحقق من داخلها وبأيدى أبنائها ، ولهذا تراهم يبحثون عن زعامات ، لها ثقل داخل الوطن الإسلامى ، قادرة على توجيه مشاعر الجماهير المسلمة الوجهة التى يريدون بوعى أو بغير وعى ، لتحقيق مخطط الأعداء .

وقد تحقق لأوربا ما أرادت ، فوجدت بغيتها فى حزب الاتحاد والترق وأعوانه فى تركياووجدت بغيتها فى الشريف الحسين بن على أمير مكة– وابنيه فيصل وعبدالله فى العالم العربى . وانتدب المتآمرون بريطانيا ، – صديقة العرب – الوفية !! للاتصال بالحسين بن على وهو محدد الإقامة فى الآستانة وكان السلطان عبدالحميد الثانى قد حدد إقامته بعد أن استشعر خطره على العالم الإسلامى ، نتيجة طموحه للزعامة وبعد وقوع الانقلاب العسكرى التركى الأول ، ضغطت بريطانيا على السلطان عبدالحميد من خلال حزب الاتحاد والترقى (الفرقة والتدنى) لتعيينه أميرًا على مكة (٥) .

وبمجرد تولى الشريف الحسين منصبه حرصت بريطانيا على توثيق علاقتها به ، ومن خلال العلاقات ، أوعزت إليه أنه يمكن أن يكون خليفة على دولة عربية مترامية الأطراف لأن الخلافة يجب أن تكون فى العرب ، مستدلة على ذلك بحديث الرسول محمد ﷺ « الأئمة من قريش » وبهذا يتخلص من التبعية للدولة التركية وحول هذا الموضوع لتحقيق هذا الحلم الذى صادف هوى فى نفس الشريف الحسين جرت مراسلات بين الشريف الحسين ومندوبى الاحتلال البريطانى فى مصر بداية بكتشنر ونهاية بهنرى مكماهون(٦) .

= وديار العالم العربى (حقائق حول أزمة الخليج ، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالى ، دار مكة المكرمة ، أزمة الخليج أبعاد الواقع وآفاق المستقبل ، شارك فى إعداده عدد من أساتذة الجامعات ، وقدم له أ.د. سيد دسوقى حسن ؛ نادى أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة .

(٥) وقد عبر السلطان عبدالحميد عن قلقه عن الدور الذى يمكن أن يقوم به الشريف الحسين فى تقويض بنيان الخلافة الإسلامية وقال كلمة مشهورة :

« لقد خرجت الحجاز من يدنا ، واستقل العرب ، وتشتت ملك آل عثمان بتعيين الشريف الحسين أميرًا على مكة المكرمة ، ويا ليته يقنع بإمارة مكة المكرمة ، وباستقلال العرب فقط ، ولكنه سيعمل بدهائه إلى أن ينال مقام الخلافة لنفسه » (الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ص ١٠١٦ ، وهو يعتمد على : « الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، تأليف أنيس صايغ » . .

(٦) فى الفترة من ١٤ يوليو – تموز – ١٩١٥ (١٣٣٣ هـ) إلى ١٠ مارس – آذار – ١٩١٦ (١٣٣٤ هـ) .

ويعلق على هذه المراسلات الأستاذ محمد محمد حسين رحمه الله : « ويستطيع قارىء هذه الرسائل أن يلمس فيها ظاهرتين بارزتين : أولاً : أن إدراك الحسين للمسألة العربية هو من وجهة نظر إسلامية خالصة . (ثانيًا) إن الإنجليز يمالقونه ويداهنونه ويجارونه فى مطامعه وأحلامه ولكنهم لا يبذلون له وعودًا صريحة ، ولا يجيبونه إجابة واضحة ويكتفون بالإحالة إلى رسائل شفوية يبلغها حامل الرسالة فيما لا يريدون أن يتقيدوا فيه بوعد مكتوب » .

« أما فهم الشريف حسين للمسألة العربية فهمًا إسلاميًا ، فهو واضح من طموحه إلى الخلافة ، وواضح كذلك فى كل الرسائل المتبادلة بينه وبين ممثل الانجليز فى مصر فمكماهون يقول فى رسالته إليه ، المؤرخة فى ١١ شوال ١٣٣٣ - ٣٠ أغسطس ١٩١٥ : « فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التى وصلت سيادتكم على يد على أفندى[٧] ، وهى التى كان موضحا بها رغبتنا فى استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها ، وانا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملكة بريطانيا العظمى ترحب باسترداد الخلافة على يد عربى صميم من فرع تلك الدوحة النبوية المباركة » .

« أما نفاق الإنجليز واستتارهم وراء وعود غامضة ، فيما يتصل بالمستقبل وبإقرار حدود الدولة العربية التى وعد بها الحسين ، فهو واضح فى كل رسائل مكماهون . فهى جميعًا تبدأ بملق قد يتجاوز سبعة أسطر ، ثم هى تختم بمثل هذا الملق ؛ وليس بين هذا الملق فى البداية وفى النهاية إلا كلام غامض لا يتضح فيه إلَّا سوء نية الانجليز ، وهاك نموذجًا للنفاق الانجليزى العارى من الحياء بما بدأت به إحدى رسائل مكماهون إلى الشريف الحسين :

---

(٧) تاجر مصرى من حى الجمالية اسمه على أفندى وهو من أبناء حسين روحى البهائى الموظف فى قلم الترجمة بدار المندوب البريطانى يومئذ . والإنجليز شديدة الثقة بهؤلاء البهائيين وأمثالهم من صنعائهم كالقاديانيين يعتمدون عليهم فى أعمالهم السرية ببلاد العرب (الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ص ٢ ، صفحة ١٠٤ - ١٠٦) .

« بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذى الحسب الطاهر والنسب الفاخر ، قبلة الإسلام والمسلمين ، معدن الشرف وطيد المحتد ، سلالة مهبط الوحى المحمدى ، الشريف ابن الشريف ، صاحب الدولة ، السيد الشريف حسين بن على أمير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء . آمين . بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجلة والاحترام ، وتقديم خالص التحية والسلام ، وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية ، أرفع إلى دولة الأمير المعظم أننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر١٣٣٤ .. الخ » .

وهاك نموذجًا مما تختم به مثل هذه الرسائل :

« وفى الختام أبث دولة الشريف ، ذا الحسب المنيف ، والأمير الجليل ، كامل تحيتى وخالص مودتى . وأعرب عن محبتى له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجيًا من ذى الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم ومصالح الشعوب . فبيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف يشاء . نسأل الله تعالى حسن الختام » . ثم يختم خطابه بالتاريخ الهجرى ، يتلوه التاريخ الميلادى » .

ولم يلبث الشريف حسين أن أعلن الثورة العربية فى ٩ شعبان سنة ١٣٣٥ (١٠ يونيه ١٩١٦)[٨] وتدفقت المؤن والدواب والذخائر والذهب تحملها ، السفن الانجليزية إلى موانىء الحجاز .. وسيطر الانجليز على الجيش العربى عن طريق رجالهم من الإنجليز الذين يعملون فى المخابرات ، وعن طريق بعض ضباط العرب الذين فروا من الجيش التركى ليلتحقوا بالجيش العربى الجديد[٩] .

وقد كان فهم الشريف حسين الإسلامي للمسألة العربية سببًا فى انصراف الإنجليز عنه منذ اللقاء الأول بينه وبين لورانس ، واتجاههم إلى ابنه فيصل ، واعتمادهم عليه فى

---

(٨) راجع نص منشور الثورة الذى أصدره الشريف حسين فى : الثورة العربية الكبرى ١ : ١٤٩ – ١٥٧ .

(٩) راجع تفاصيل ذلك فى مواضع كثيرة متفرقة من كتابى .. Seven Pillars ، الثورة العربية – والكتاب الثانى تلخيص للأول بقلم المؤلف نفسه . وقد نشرت « دار النهار » ببيروت فى عام ١٩٦٩ كتابًا للضابط العربى صبحى العمرى بعنوان « لورانس كما عرفته » رد فيه على كثير من مزاعم لورانس .

زعامة الثورة ، مما أحنق عليه والده ، حتى فسدت العلاقات بينهما فى أواخر الحرب[١٠] ذلك بأن الإنجليز لم يكونوا يبحثون فى الزعامة العربية التى ينشدونها عن الذكاء ، ولا عن صدق الحكم على الأشياء ، ولا عن الحنكة السياسية ، ولكنهم كانوا يبحثون - كما يقول لورانس - عن حرارة الحماس التى تضرم نار الثورة فى الصحراء[١١] ، وقد كان فى الشريف حسين ذكاء ، وكان فيه دهاء ، ولكنه كان مسلمًا أولا وقبل كل شيء . والإنجليز لا يريدون هذه الوطنية الإسلامية ، ولكنهم ينشدون وطنية قومية . وذلك هو ما صرح به لورانس ، حين وصف ما كان يدور بخلده أثناء تنقله بين معسكرات أبناء الشريف حسين ، بحثًا عن الزعيم العربى ، الذى كانت مهمته الأولى فى هذه الرحلة حسب زعمه هى اكتشافه فهو يقول :[١٢] « وأخذت طول الطريق أفكر فى سوريا .. وفى الحج ، وأتساءل : هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطنى الاعتقاد الدينى ؟ وبمعنى أوضح ، هل تحل المشاكل العليا السياسية مكان الوحى والإلهام ، وتَستبدل سوريا مثلها الأعلى الدينى بمثلها الأعلى الوطنى ؟ .. هذا ما كان يجول بخاطرى .

« كان فيصل هو الزعيم الذى ينشده الإنجليز ، أو هو (نبى الوطنية) (*) كما سماه لورانس[١٣] . فراح يبشر بهذه الوطنية فى كل مكان ، ويملأ أرجاء الصحراء بصوته الرنان ، مذكرًا البدو بأمجاد أجدادهم الذين فتحوا الدنيا ودانت لهم الممالك ، ويأخذ العهود من شيوخ القبائل على الإخلاص للقضية العربية ، وكان فيصل ينثر الذهب الإنجليزى مع خطبه هذه فيجتمع من حوله فقراء البدو ، الذين كانوا يقسمون على

---

(١٠) راجع وصف لورانس لرسائل الشريف حسين إلى ابنه فيصل ، المملوءة بالسباب ، والتى يتهمه فيها بالخيانة . وراجع كذلك وصفه لكراهية الشريف حسين لكل ضباط العرب الذين كان يحتضنهم الإنجليز ويقربونهم ، مثل مولوى ونورى السعيد - الثورة العربية ص ١٢٠ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ - ٢٢٧ .

(١١) وهو يعتمد على Seven Pillars ص ٦٧ .

(١٢) الثورة العربية ص ١٤ ، قوله « وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الدينى بمثلها الأعلى الوطنى » خطأ فى الترجمة ، صوابه « مثلها الوطنى بمثلها الدينى » لأن الباء تدخل على المتروك .

(١٣) الثورة العربية ص ٥٢ .

(*) لا يوجد شيء فى الإسلام اسمه نبى الوطنية ، وصفة النبوة والرسالة ثابتة فقط لمن أثبتها لهم رب العالمين ولرسول الإسلام محمد ﷺ . لأن النبوة والرسالة اختيار ربَّانى . الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ولهذا لا يجوز لأى أحد أن يلصق صفة النبوة بغير الأنبياء أو الرسل عليهم السلام .

الإخلاص له وللقضية العربية[١٤] . ونشطت الدعاية الإنجليزية تشد أزر فيصل وتؤيد جهوده ، مستعينة بالمطبعة التى أسسها لورانس أثناء زيارته الأولى لفيصل . ونال الإنجليز والفرنسيون من العرب كل ما أرادوا . وكان آخر ما أداه لهم الجيش العربى من الخدمات أنه كفل لجيوشهم الأمن فى بلاد العرب وفى أرجاء الشام ، حيث نظر إليهم الناس نظرة الحلفاء والأصدقاء ، ولم يعاملوهم معاملة الأعداء كما كان شأنهم فى العراق ، فقد كانوا يقابلون بالترحاب حيثما حلوا ، وفتحت لهم أبواب دمشق تستقبلهم استقبال الأبطال حين دخلوها تحت راية جيش فيصل العربى » .

« ثم كان ما كان من خيانة الإنجليز لكل عهودهم التى بذلوها للعرب . فقد تبين فيما بعد أنهم بذلوا للفرنسيين ولليهود فى الوقت نفسه وعودًا أخرى تتعارض مع الوعود التى بذلوها للعرب ، إذ اتفقوا مع الأولين على احتلال الشام ، واتفقوا مع الآخرين على التمهيد لتحقيق أحلامهم فى اتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا[١٥] . وقد اعترف لورانس بسوء نية الإنجليز فى أول كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » إذ يقول[١٦] : إن كل ما بذله الحلفاء للعرب من وعود قد تبخر بتأثير مطامع إنجلترا فى بترول العراق ، وتحت تأثير سياسة فرنسا الاستعمارية . ويقول : إن كل ما نحتاجه هو أن نهزم أعداءنا ، والترك من بينهم . وقد استطاع « النبى » بحكمته أن يحقق ذلك فى آخر الأمر بخسارة تقل عن أربعمائة قتيل ، وذلك باستغلال المعارضين لتركيا . وكم أنا فخور بالمعارك الثلاثين التى خضتها والتى لم ترق فيها نقطة دم انجليزى . بل هو يقول فى صراحة أوضح : « إن مجلس الوزراء قد دفع

---

(١٤) راجع أمثلة لتدفق الذهب الإنجليزى فى الثورة العربية ص ٣١ ، ٥٧ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١١٢ ، ٢٣١ – وراجع كذلك صفحات ٥٠، ٥٢، ٨١، ٢١٧، ٢١٨ – وراجع فى المعونة الإنجليزية وما أدى العرب فى مقابلها من خدمات : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢١١ – ٢١٧ .

(١٥) راجع نص معاهدة سايكس – بيكو وما سبقها من مفاوضات بين الفرنسيين والإنجليز عن تقسيم العالم العربى فى : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٣٥٤ – ٣٥٦ ، ملوك المسلمين المعاصرون ص ٣٥٠ وما بعدها – وترجمته أوضح من المرجع السابق – وراجع كذلك : حاضر العالم الإسلامى ٢ : ١٧ – ١٧١ . وراجع موقف حسين فى مؤتمر الصلح ومفاوضات ابنه فيصل فى باريس فى : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١٩٢ – ٢١٠ . وراجع المسألة اليهودية وتطوراتها فى الكتاب نفسه ص ٢٢١ – ٢٢٦ وفى كتاب « الثورة العربية الكبرى » ١ : ١٧٨ وما بعدها ، ٣، ٣٣ وما بعدها .

(١٦) Seven Pillars ص ٢٣ – ٢٤ .

العرب إلى أن يقاتلوا فى صفنا لقاء وعود معينة ، وعود بأن يحكموا أنفسهم فى المستقبل .. ولم يكن هناك بد من أن أدخل فى المؤامرة وأصبح أحد أعضائها . فأكدت للعرب ما بُذِل لهم من الوعود عن مكافأتهم على ما سيبذلون من عون . وفى خلال السنتين اللتين رافقتهم فيهما بين نيران الحرب نمت ثقتهم بى ، ونمت تبعًا لذلك ثقتهم بحكومتى ، فاعتقدوا بأنها لا بد أن تكون مخلصة مثلى .. وقد أنجزوا ما أنجزوا من عمل مثمر بدافع من هذه الآمال . وهأنذا أعانى من الشعور الدائم بالمرارة والخزى ، بدل أن أكون فخورًا بما حققت بمعونتهم من انتصار . وقد كان واضحًا منذ البداية أن هذه الوعود المبذولة تصبح حبرًا على ورق فى حالة انتصارنا . ولو أخلصت للعرب لنصحتهم وقتذاك بأن يعودوا إلى بيوتهم ، وبأن لا يغامروا بحياتهم فى القتال لقاء دراهم معدودة .. وقد غامرت بنفسى فى هذه المؤامرة الغادرة لأنى كنت واثقًا أن مساعدة العرب لازمة ضرورية لإحراز ذلك النصر فى الشرق رخيصًا وسريعًا ، وقد فضلت أن نكون منتصرين وناكثين بالعهد على أن نكون خاسرين مهزومين » . وهذه النية المبيتة من جانب الإنجليز على أن ينكثوا عهودهم هى التى تعلل ما نراه من حرصهم الشديد فى مد العرب بالأسلحة ، مما نراه فى مواضع متفرقة من كتاب لورانس ، الذى أرخ به هذه الثورة .

تعليق :

صدق الله سبحانه وتعالى القائل : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتو الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾ .

وأمتنا التى تنتسب إلى الإسلام ، سواء كانوا عربا أو أتراكا ، أطاعوا أعداء دينهم ، وتركوا توجيهات إسلامهم خلف ظهورهم ، فقتل بعضهم بعضا لمصلحة عدوهم . وهذا الذى وقع قد تكرر أثناء أزمة الخليج ، لقد قاتل العرب بعضهم بعضا تحت راية الكافرين ، وفتحوا الطريق أمام الاحتلال الأجنبى للعالم العربى .

الفصل الخامس
المبحث الأول
تآمر أوربا مع اليهود ضد العالم الإسلامى واغتصاب فلسطين وإقامة قاعدة يهودية عدوانية على أرضها ، والاستمرار فى دعمها خط ثابت فى سياسة أوربا

من القرائن والأدلة :

أولاً : معاهدة سايكس بيكو :

ففى الوقت الذى كانت فيه الحكومة البريطانية تتصل بالشريف الحسين وتبذل له **الوعود بدولة عربية مستقلة يكون خليفة عليها، كان هنالك تجهيز وإعداد لعقد مفاوضات** ومؤتمرات انجليزية فرنسية روسية فى بطرسبرج أسفرت عن توقيع اتفاقية سايكس بيكو ، لاقتسام الفريسة (ما تبقى من العالم العربى والإسلامى أو ما سمته أوربا تركة الرجل المريض)[1] عند وقوعها فى شباكهم. «ففى منتصف مارس ١٩١٦ (١٣٣٥ هـ) بدأت مفاوضات فى بطرسبرج وتوصلت بريطانيا وفرنسا وروسيا إلى اتفاق حددت فيه المقاطعات العثمانية التى ستصبح منطقة نفوذ لكل منها ، فخصصت لروسيا القسطنطينية مع أراضى واسعة على جانبى البوسفور وشرق الأناضول من المناطق المتاخمة للحدود الروسية . وفى الاجتماع الذى عقد بين انجلترا وفرنسا ومَثّل انجلترا فيه مارك سايكس ، عضو البرلمان البريطانى ، والمندوب البريطانى لشئون الشرق الأدنى ، ومثل فرنسا فيه جورج بيكو ، قنصل فرنسا السابق فى بيروت ، وأشرف على المباحثات ، التى جرت فيه بين الدولتين

---

(١) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ٢ – ص ٨٣٠ وما بعدها ، الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، ص ١٩ .

مُعتمد روسيا سازونوف بموجب المعاهدة الثلاثية بينهم فى (سان بطرسبرج) ثم توقيع معاهدة سرية ، بموجبها ، اقتسمت بريطانيا وفرنسا العالم العربى بينهما ، وتم تحديد مناطق نفوذ كل دولة على الخرائط التى وقعها كلا من مندوب بريطانيا ومندوب فرنسا[٢] ، وتبودلت الكلمات والمذكرات السياسية بين الحكومات فى ٢٦ ابريل ١٩١٦ - ١٣٣٤هـ) .

وفى يوم ٩ من مايو ١٩١٦ م (١٣٣٥هـ) تلقى وزير الخارجية البريطانية من سفير فرنسا فى لندن خطابا يقول فيه :

« أمرت أن أبلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التى رسمت على الخرائط الموقعة من جناب السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو ، ورضيت بالمبادىء التى دارت عليها المفاوضات بينهما » ثم أرفق بالخطاب المعاهدة المشار إليها والتوزيع المسطر على الخريطة والمثبت فى مواد تعطى لكل دولة منطقة نفوذ ، وتحصر الاستقلال العربى الخاضع لإشراف إحدى الدول فى مناطق داخلية ضيقة[٣] ، وتمزق بلاد العرب تمزيقًا كان أشنع ما عرف .

إن المطلع على نصوص هذه المعاهدة يجد فيها أدلة لا تقبل الشك على مخطط أوروبا لاغتصاب العالم الإسلامى (والعالم العربى جزء منه) ، ففى ثناياها يبدو حرص بريطانيا وفرنسا على أن تظل الدول العربية بعد تمزيقها ضمن دائرة نفوذ كل منهما . فبمقتضى هذه الاتفاقية أصبح لبريطانيا كامل النفوذ فى العراق وفلسطين والأردن ، وأصبح لفرنسا كامل النفوذ فى البلاد السورية مع جزء كبير من جنوب الأناضول ليتمكن اليهود من اغتصاب فلسطين تحت رعاية بريطانيا . وبموجب الاتفاقية تم الاتفاق على إنشاء إدارة دولية فى فلسطين يُعينُ شكلها بعد استشارة روسيا والاتفاق مع بقية الحلفاء (المادة الثالثة من الاتفاقية) .

---

(٢) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٥٤ - ٢٥٨ ، السياسة الدولية وفلسطين ص ١٩٥ - ١٩٧ ؛ الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، د . محمد كمال الدسوقى .

(٣) جهاد شعب فلسطين ، ص ٧٠، ٧٤، الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين وثيقة رقم ١٠ ص ٢٧ - ٢٨ ، وثيقة ٢٣ ص ٨٤ - ٨٦ ، الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٨٨ النصوص الكاملة للاتفاقية Hurewitz. J.C., Diplomacy in the Near and Middle East, vols, New York 1956, T2 pp. 18-12.

وتوجب الاتفاقية أيضًا على « شركاء الجريمة » مراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية .

« والحق أن بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول الأوربية الصليبية قد حافظت على روح اتفاقية سايكس بيكو التى نفذت بكل اهتمام وبمقتضى هذه الاتفاقية منع السلاح عن العرب ، الأمر الذى ظهرت آثاره واضحة عام (١٩٤٨ - ١٣٦٨ هـ) حيث استطاع اليهود جلب السلاح من أوروبا ومن أمريكا ، وفى الوقت الذى منعت فيه أوربا (انجلترا وفرنسا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا السلاح عن العرب وحين باعت بعضُ المصانع الايطالية كميات من السلاح للعرب ، كانت علة التساهل هو أن السلاح كان فاسدًا ومدمرًا لمستعمله ، لا لمن يوجه إليه)(٤) .

ولقد علق الدكتور محمد كمال الدسوقى رحمة على الاتفاق بقوله :

« إن اتفاقية سايكس بيكو التى ظلت سرية ولم تنشر إلا فى شهر نوفمبر ١٩١٧ م - ١٣٣٦ هـ على أثر قيام الثورة البلشفية ، تعد فى الواقع وليدة الجشع فى أبشع صوره ، وتعد رمزًا للنكوص بالعهد ، وعدم احترام العهود والمواثيق التى ارتبطت بها بريطانيا مع العرب ، بل هى فى الواقع صورة خسيسة لما يمكن أن يصل إليه الاستعمار من انحطاط(٥) . بل ان بريطانيا على أثر فضح نصوص هذه الاتفاقية كتبت إلى الشريف الحسين فى ٨ فبراير ١٩١٨ م (١٣٣٧ هـ) مؤكدة أن شيئًا من ذلك لم يحدث ، وأن مثل هذه الاتفاقية لا وجود لها ، وأن تلك الصورة المنشورة لم تكن إلا مجرد محادثات قبل قيام الحرب » .

وصدق الشريف الأكذوبة ، وانطلت عليه المؤامرة ، وواصل العدو تنفيذ مخططاته فى غيبة الوعى الإسلامى .

---

(٤) جهاد شعب فلسطين ، ص ٥٨ .

(٥) السياسة الدولية وفلسطين ص ١٩٧ ، والعجيب أن هذه الدول الأوربية لا تعرف الصدق مثال ذلك الإعلان البريطانى « أن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثبات لكل نهضة تؤدى إلى تحرير الأمم المظلومة ، وهى مصممة على أن تقف بجانب الأمم العربية فى جهادها حتى تبنى عالما عربيا يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثمانى » .
(المرجع السابق ص ٢٠١) تعليق: مبارك الكلمات يا أمة العرب ! احلموا بموقف الثبات ، وتحرير الأمم المظلومة .. وأيضا احلموا ببريطانيا ستطبق فيكم شريعة الله ...!!!

ثانيًا : وعد بالفور :

وكانت اللطمة الأخرى الغادرة التى وجهتها بريطانيا للأمة العربية خلال الحرب العالمية الأولى هى وعد بالفور الذى أصدرته بريطانيا لصالح اليهودية العالمية .

وقد سبق هذا الوعد البريطانى ، مفاوضات فى لندن بين زعماء اليهود والحكومة البريطانية فى ٧ فبراير ١٩١٧ (١٣٣٦ هـ) وأعقبتها مفاوضات بين اليهود وبريطانيا والحكومة الفرنسية والايطالية بشأن إصدار وعد لليهود بانشاء وطن لهم فى فلسطين ، وتمت الموافقة رسميا على الوعد فى لندن وباريس وروما ، وأرجىء نشر هذه الموافقة حتى أواخر اكتوبر (تشرين) ١٩١٧ م ، وكان نص التصريح قد عرض قبل إصداره على الرئيس الأمريكى ولسون ووافق عليه . وإلى القارىء نص الوعد :

« عزيزى اللورد روتشيلد زعيم الطائفة اليهودية الانجليزية يسرنى أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المتضمن عطفها على الأمانى الصهيونية ، التى عرضت على الوزارة ، وحازت قبولها - إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى[٦] للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل كل مساعيها لتسهيل الوصول إلى هذا الهدف ، على أن يكون مفهوما أن لا يتخذ أى شىء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود أو بمركزهم السياسى الذى يتمتعون به فى غيرها من البلاد .

وأكون شاكرا لو تفضلتم بابلاغ هذا التصريح إلى اتحادات الهيئات الصهيونية .

توقيع
« آرثر جيمس بالفور
٢ نوفمبر ١٩١٧ »

---

(٦) « والوطن القومى كما فسره اللورد كيرزون : مفاده كيان سياسى يؤلفه اليهود ، ويدير شئونه اليهود ويحكم وفقا لمصالح اليهود » .

« ولمّا كان اليهود قلّة ، لذلك كان لابد من فتح باب الهجرة لليهود من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين حتى يتكاثروا ويكونوا أغلبية . ولابد من أرض يستولون عليها ، فهجرة دون أرض هى اغتراب لا يساعد على تنفيذ البرنامج الصهيونى » . مع العلم أن لينين فى أعقاب الانقلاب الشيوعى أصدر بيانا فى أكتوبر ١٩١٧ يعد اليهود بوطن فى فلسطين . (حماس حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين . د.عبدالله عزام) .

وفى يوم ١٤ من فبراير – شباط – ١٩١٨ ، صدر بيان فى باريس عن وزير خارجية فرنسا ستيفان ، وممثل الجمعيات الصهيونية ســوكولوف عبّرا فيه عن ارتياحهما عن التضامن بين الحكومتين الإنجليزية والفرنسية فى قضية إسكان اليهود فى فلسطين » .

وفى إبريل – نيسان – ١٩١٨ م صدرت الأوامر من الحكومة البريطانية إلى الإدارة العسكرية البريطانية الحاكمة فى فلسطين ، أن تسمع وتطيع لأوامر اللجنة اليهودية التى وصلت فى ذلك الوقت إلى فلسطين برئاسة وايزمان الذى صرح إثر وصوله إلى فلسطين : لا يصح القول إننا قادمون إلى فلسطين ، بل نحن راجعون إليها .

لقد صدر وعد بالفور فى وقت كانت فيه قوات الشريف حسين وابنه فيصل تتقدم من الحجاز لتريق دماء إخوانهم فى العقيدة من الأتراك المسلمين ، على أرض بلاد الشام ، مصلحة القوات البريطانية الصليبية التى كانت تتقدم من مصر صوب القدس ، لقد أصدرت بريطانيا هذا الوعد فى نفس الوقت الذى كانت فيه الدماء الإسلامية (العربية والتركية) تسيل تحقيقا لمؤامرة دول أوروبا على فلسطين والعجيب أن هذا الوعد ، وعد من لا يملك لمن لا يستحق جعل اليهود شعبا ، وجعل من أهل فلسطين « طوائف غير يهودية » .

ووجه قائد الجيش الرابع العثمانى فى فلسطين أحمد جمال باشا ، رسالة إلى الشريف الحسين يحذره من استمرار مساندة القوات الانجليزية ، وأرسل له نسخة من وعد بالفور ، ولكن الشريف الحسين تصرف تصرفا يدعو إلى العجب ، فبدلا من أن يوقف العمليات العسكرية فورًا ، وينتهز الفرصة لينزل ضربة قاصمة بأعداء الإسلام من الإنجليز وغيرهم نجده يوجه الرسالة إلى صديقة العرب الوفية بريطانيا طالبا تفسيرًا للوعد ؛ وهل الوعد يا شريف يحتاج إلى تفسير ؟

= وقامت بريطانيا صديقة العرب الوفية بكل ذلك ، لأنه لم يكن بطوق اليهود أن يقوموا بذلك دون معاونتها وقد عبّر عن هذا وايزمان فى خطبة له بنقابة الصحفيين بانجلترا عام ١٩١٩ : « إن إقامة الدولة اليهودية يستلزم أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا ، لتسهل لنا الهجرة والسكنى ، وتمكننا من تحضير الجهاز الادارى اللازم لبلوغ هدفنا » (جهاد شعب ، ص ٨٦) ، السياسة الدولية وفلسطين ص ١٩٨ ، الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين – مكتبة المنار الزرقاء ، ص ١٨ .

المهم أن بريطانيا وجهت أحد مسئوليها وهو الكولونيل باست المقيم البريطانى بجدة حاملاً مذكرة رسمية مؤرخة ٨ فبراير ١٩١٨ ، ليؤكد للشريف الحسين أن الحكومة البريطانية لن تسمح بالاستيطان اليهودى فى فلسطين إلا بقدر ما يتفق مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية .

وصدق الشريف مقولة بريطانيا التقية الشريفة !! التى لا يمكن أن تنكص فى عهودها !!

الله يقول : ﴿ **قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم** ﴾ والشريف الحسين يعطيهم صَفْقَةَ يده ويثق فى عهودهم ، ويدعم مخططاتهم .

وما فعله الشريف الحسين ، يفعله الكثير من رؤوس الأنظمة الحاكمة فى عالمنا المعاصر .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وانطلت الحيلة على الشريف الحسين بن على فقال لهوجارث : أنه ما دامت الغاية من وعد بالفور هى أن تهيئ لليهود ملجأ من الاضطهاد فإنه سيبذل كل نفوذه ليساعد على تحقيق تلك الغاية ، دون التنازل عن مطلب السيادة للعرب ، وبذل الشريف فعلاً كل نفوذه لتحقيق أمانى اليهود ، والنتيجة نحصدها سويا !! وواصل مهمته .

وحينما توقفت الحرب العالمية الأولى فى نوفمبر ١٩١٨ كانت الجيوش الانجليزية بقيادة اللنبى قد دخلت القدس فى أواخر ١٩١٧ ، وهناك ترجل القائد الانجليزى قائلاً : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » [٧] أى انتصار أوربا على المسلمين ، واحتلال فلسطين .

---

(٧) وبهذا وقعت فلسطين فى قبضة الاحتلال الانجليزى الذى لم يخرج إلا عام ١٩٤٨ بعد أن سلمها لليهود . جهاد شعب فلسطين ، ص ٦١ وما بعدها السياسة الدولية وفلسطين ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

ويعلق على ذلك الكاتب صالح أبو بصير :

« والعجيب أن أجراس الكنائس فى برلين (عاصمة ألمانيا) دقت أجراسها فرحاً يوم دخول اللنبى (الإنجليزى) القدس ، بل إن بابا رومية قد دعا اتباعه فى العالم بأسره أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال بيت المقدس » .

« لقد كانت واجبات الأدب والعدالة تقتضى أن يشيد اللنبى بجهود العرب التى خففت ثقل الحرب على دولته ، وأن يُقوى أمل الشعب العربى فى حريته ، ولكن اللنبى كان يترجم عمّا فى عقله الباطنى من حقد وتآمر على العالم الإسلامى ، وجَرِّه إلى حرب كانت تستهدف تحطيم العرب والأتراك المسلمين على السواء ، مع توزيع أوطانهم ، وتمزيق كيانهم ، هادفة إلى احتلال أرضهم والاستيلاء على خيراتهم » (جهاد شعب فلسطين ٦٥، ٦٨) .

المبحث الثاني

بريطانيا تحتل فلسطين وفرنسا تحتل سورية

بريطانيا تفاجىء العالم بوضع فلسطين تحت إدارة عسكرية بريطانية ، وأطلقت عليها : O. E. T. A. S وهذه الأحرف هى اختصار للعبارة :
Occupied Enemey Territory Administration South أى الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة .
يحكمها ، مدير عام ، ومقره فى بيت المقدس ، ويخضع للورد اللنبى القائد العام لقوات الاحتلال البريطانى وحليفاتها فى الشرق .

وكانت هذه الإدارة الانجليزية تحكم المنطقة الممتدة من الحدود المصرية جنوبا حتى خط الناقورة غربا ، ونهر الأردن شرقا ، ولواء القدس ، ولواء نابلس ، ولواء عكا .. ثم أنشأت (أى بريطانيا بالاتفاق مع الحلفاء) الإدارة الشرقية لبلاد العدو المحتلة O.E.T.A.E. وتضم داخل سورية من معان جنوبا حتى حدود تركيا الجنوبية شمالا مع أقضية أدلب ، وجسر الشاغور ، والباب غربا والفرات شرقا ، وتركت بريطانيا إدارة هذه المنطقة فى أيدى رجال أسمتهم ، رجال الثورة العربية وعلى رأسهم الأمير فيصل بن الحسين[٨] ، وذلك ذرًّا للرماد فى العيون ، حتى يحين وقت احتلالها بمعرفة فرنسا صديقة العرب الوفية الآن .

ولم يدع الفرنسيون الفرصة تفوتهم ، فطالبوا الانجليز بتمكينهم من أخذ نصيبهم فى أقاليم الشرق العربى الآسيوى ، ودارت اتصالات لم يشترك فيها العرب ، ولم يؤخذ فيها رأيهم ، وانتهت باتفاق ٣٠ من سبتمبر – أيلول – ١٩١٨ ، وتقرر إنشاء الادارة الغربية لبلاد العدو المحتلة O.E.T.A. West . وتشمل : جبل لبنان ، ولواء طرابلس ، ولواء

---

(٨) الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ – هامش صفحة ٩٩٩ ، السياسة الدولية وفلسطين ، ص ٢٠٢ .

اللاذقية ، وقضاء أنطاكية ، وقضاء اسكندرونة ، وهذان القضاءان من ولاية حلب ووضعت هذه المنطقة بأكملها تحت النفوذ الفرنسى[٩] .

(٩) المرجع السابق ، هذه هى نظرة بريطانيا وفرنسا ودول أوربا إنهم يعتبرون العالم العربى والإسلامى أعداء لهم ؟ فما هو موقفكم يا عرب ؟ وما هى نظرتكم إليهم ؟؟

الباب الثانى

المؤامرة اليهودية الأوربية مستمرة



الفصل الأول
انهيار الدولة العثمانية ، ووقوع بلاد المسلمين في قبضة الاحتلال الأوربى

- أوربا (دول الحلفاء) يواصلون تنفيذ المؤامرة لاغتصاب فلسطين .
- الحلفاء يجتمعون فى فرنسا « تحت عنوان مؤتمر الصلح » .
- بريطانيا تطلب من الحسين إيفاد مندوب لحضور المؤتمر .
- وسافر فيصل بن الشريف الحسين إلى فرنسا ، ليشهد ما يسمى مؤتمر الصلح الذى عقد فى (فرساى) فى ٢٣ من فبراير ١٩١٩ م .
- الحكومة الفرنسية رفضت أن تُعِدّهُ ذو صفة رسمية .
- ضابط المخابرات الإنجليزى لورانس ، يستغل سذاجة فيصل السياسية كما يقول كتاب التاريخ ويغريه بعقد اتفاق مع حاييم وايزمان ممثل الصهيونية العالمية مقنعا إياه بأهمية الاتفاق مع اليهود لحضور المؤتمر لمواجهة مطامع فرنسا فى بلاد الشام .. وتورط فيصل كما يقال ، وإن كان قد اشترط لسريان تلك الاتفاقية أن تنجز بريطانيا عهودها فى مسألة استقلال العرب[1] .

وهكذا ، « وقع فيصل بسذاجته السياسية فى الفخ الذى نصبته له الصهيونية ، وأهدى الصهيونية العالمية ورقة رابحة ، لاستغلالها فيما بعد ضد العرب واعترف فيما اعترف به بوعد بالفور ، بل ووعد بالعمل على تنفيذه ، واتخذ من بريطانيا ذات المطامع الواسعة فى العالم العربى قاضيا يحتكم إليه فى تقرير مصير فلسطين والأمة العربية » .

« ورغم ذلك فقد رفضت الحكومة الفرنسية الاعتراف بفيصل ممثلاً للعالم العربى فى مؤتمر الصلح ولكن لابد من ضمان سكوت العالم العربى المسلم الذى غرروا به واحتوائه ولهذا سمحوا بحضوره ، بحجة تدخل بريطانيا الصديقة الوفية للعرب !! ليقدم مذكرة !! مطالبا فيها باستقلال العرب فى ٢٩ يناير ١٩١٩ :

(١) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٢٢ ؛ السياسة الدولية وفلسطين ، ص ٢٠٢ .

« جئتُ ممثلا لوالدى الذى قاد الثورة العربية ضد الترك ، تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية فى آسيا – معترفا باستقلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم » .

وتتابعت فصول المأساة ، الصهاينة يتقدمون إلى مؤتمر الصلح بمذكرة مرفق بها الاتفاقية التى وقعوها مع فيصل حسب ما تزعمه كتب التاريخ ، يطالبون فيها بوضع فلسطين تحت ملكية عصبة الأمم[٢] على أن تفوض عصبة الأمم ، بريطانيا بإدارة شئون فلسطين بصفتها دولة منتدبة ، لتقوم بجعل الهدف الأساسى لنظام الانتداب هو تحقيق إنشاء الوطن القومى لليهود فيها؛ وذلك بتشجيع الهجرة وتسهيل إقامة اليهود فى الأراضى الفلسطينية ، وبإنشاء مجلس يهودى يمثل يهود فلسطين ، ويهود العالم بأسره فى الوطن القومى لليهود ، على أن تكون لهذا المجلس الأولوية فى القيام بالمشروعات العامة والحصول على الامتيازات واستثمار الموارد الطبيعية للبلاد .

ماذا فعل ما يسمى مؤتمر الصلح[٣] المنعقد فى فرنسا ؟

لقد تظاهر بالحيرة (تمثيلية) تجاه ما تقدم به الأمير فيصل ، وما تقدم به الصهاينة ، وتجاه رغبات فرنسا وبريطانيا المتعارضة فى اقتسام الفريسة ، وقرر ذراً للرماد فى العيون ، تشكيل لجنة ، بناء على اقتراح الرئيس الأمريكى ولسن ، من كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا

---

(٢) السياسة الدولية ص ٢٠٦ ألم نقل إنّها مؤامرة عالمية ، العصابة تنشىء « عصابة الأمم » ، وتعتبرها منظمة تمثل المجتمع الدولى واحد أفراد العصابة وهم اليهود ، يخططون ، وبقية أفراد العصابة ينفذون...

المخطط اغتصاب فلسطين ووضعها تحت ملكية عصابة الأمم ؛ من يقول هذا ، أمم تُغتصب وتباع دون إرادة من أهلها ، وتحت سمع وبصر مجتمع دولى ، هذا هو الذى وقع .

المخططون اليهود يطالبون بتفويض بريطانيا من قبل « عصابة الأمم » لاغتصاب وتهويد فلسطين وتسليمها لهم ... أو بمعنى أوضح إبادة وتشريد شعب فلسطين وإحلال القراصنة وقطاع الطرق اليهود وأعوانهم المستقدمين من كافة بلاد العالم محله ، السياسة الدولية ، ص ٢٠٦ .

(٢) السياسة الدولية ص ٢٠٦ .

(٣) الأولى أن يسمى « مؤتمر اغتصاب الفريسة وتمزيقها » ، والفريسة هى العالم العربى .

والولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٥ مارس ١٩١٩ للسفر إلى البلاد العربية والتعرف على رغبات السكان وأمانيهم[٤] القومية » .

ورغبات الشعوب العربية ، هى الاستقلال التام ، وهذه لم تكن تحتاج إلى تشكيل لجان أو تحقيقات إنما تشكيل هذه اللجنة كان يهدف أساسًا إلى دراسة أوضاع المنطقة العربية على الطبيعة ، واستطلاع مدى تقبل أهالى تلك المنطقة لغرس الكيان اليهودى ، ولمعرفة العقبات التى يمكن أن تعترض تنفيذ المخطط ، وكيفية التغلب عليها ، ولهذا تم الاكتفاء بتشكيل لجنة أمريكية عرفت باسم لجنة كنج - كرين .

والتقط فيصل الطعم ، ورجع إلى بيروت فى إبريل ١٩١٩ ، واستقبلته جماهير الشعب العربى استقبال الأبطال وهى لا تعلم شيئًا عن اتفاقيته مع وايزمان ، وكان رجوعه لإعداد العُدّة لاستقبال الوفد الأمريكى .

لجنة كنج - كرين الأمريكية :

ووصلت لجنة كنج كرين إلى يافا فى ١٠ يونيو ١٩١٩ ، وتسلمت مذكرة بالمطالب[٥] العربية فى ٣ يوليو ١٩١٩ وهى :

أولاً : الاعتراف باستقلال سوريا كلها بما فى ذلك فلسطين ولبنان دولة ذات سيادة على رأسها الأمير فيصل ملكًا ، والاعتراف باستقلال العراق[٦] .

ثانيًا : الغاء اتفاقية سايكس - بيكو ، ووعد بالفور ، وأى مشروع لتقسيم سوريا ، أو إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .

---

(٤) السياسة الدولية ، ص ٢٠٧ .

(٥) وهى القرارات التى اتخذها المؤتمر السورى العام فى ٢ يوليو ١٩١٩ ؛ بعثة كنج-كرين ، هارى ن . هوارد .لى ، مكتبة خياط ، بيروت .

(٦) سبحان الله ، لقد كنتم مستقلين أحرارا ياعرب ، أنتم الذين فتحتم الطريق أمام الاحتلال إلى بلادكم يوم أرقتم دماء إخوانكم العثمانيين الذين كانوا يحمون أرض الشام وأرض الجزيرة وأرض العراق .. وهذا يتكرر فى عالمنا المعاصر ، وما زال، من الذى صفى الوجود العسكرى الفلسطينى فى الأردن؟ فى مذابح أيلول الأسود ١٩٦٨؟ من الذى صفى الوجود العسكرى الفلسطينى فى لبنان ؟ أليسوا المارون والكتائب والدروز والنصيريون ، من الذى يحمى ظهر العدو اليهودى الآن فى الأرض المحتلة ؟ أليست الأنظمة العربية الحاكمة ؟!! السياسة الدولية ، ص ٢٠٩ .

ثالثًا: رفض الوصاية السياسية التى تتضمنها النظم الانتدابية المقترحة ، وقبول المعونة الأجنبية[٧] لفترة محدودة على شرط أن لا تتعارض مع الاستقلال الوطنى والوحدة القومية[٨] ، وتفضل المعونة التى تقدمها أمريكا[٩] ، فإن لم يتيسر فالمعونة البريطانية ، مع رفض المعونة الفرنسية فى أى شكل .

وحملت لجنة كنج - كرين الأمريكية القرارات ، ووصلت إلى باريس فى سبتمبر ١٩١٩ لتجد ظروفًا مغايرة جعلت مهمتها كأن لم تكن ، وذلك أن المخطط اليهودى الأوربى قد بدأ يدخل مرحلة أخرى من مراحل التنفيذ .

أوربا تواصل تنفيذ المؤامرة :

- فرنسا تعد العدة لالتهام أجزاء من سورية .
- فيصل يحاول تهدئة الجماهير العربية ، تحت الضغط الفرنسى والبريطانى . سامحك الله يافيصل !!
- مؤتمر شعبى فى دمشق فى ٨ مارس ١٩٢٠ يعلن استقلال سوريا بما فى ذلك لبنان وفلسطين بقيادة فيصل .
- مؤتمر شعبى بالعراق يعلن استقلال العراق بقيادة الأمير عبدالله شقيق فيصل .
- المجلس الأعلى للحلفاء (القراصنة) يجتمع فى سان ريمو (فرنسا) فى ٢٥ إبريل[١٠] ١٩٢٠ ويقرر : (١) وضع سورية ولبنان تحت الاحتلال الفرنسى (وسموا الاحتلال انتدابا !)[١١] (٢) وضع العراق وفلسطين تحت الاحتلال البريطانى . (٣) التزام حكومة الاحتلال الإنجليزى بتطبيق وعد بالفور .

---

(٧) رحم الله زمانا كانت الشعوب تدرك أن المعونات الأجنبية تتعارض والاستقلال السياسى للأمة .

(٨) إذن المنطلق الذى كانت تنطلق منه الشعوب العربية هو المنطلق القومى ، الوطنى ، وبهذا تم عزل حركة الجهاد العربى من أجل الاستقلال عن بقية حركات الجهاد الإسلامى ضد قوى الاستخراب العالمى .

(٩) ويبدو أن جماهير الأمة لم تكن تدرك خطورة دور الولايات المتحدة الأمريكية فى مساندة الحركة الصهيونية .

(١٠) السياسة الدولية وفلسطين ، صفحة ٢٠٩، ٢١١ .

(١١) من الذى انتدبهم ؟ قراصنة الأمم والشعوب من أبناء أوربا .

نذالة فرنسية :

- وواصل الأعداء تنفيذ المخطط ، « وقامت فرنسا بإعداد العدة لالتهام بقية سوريا باسم الانتداب (الاحتلال) ، فوجَّه قائد القوات الفرنسية يوم ١٤ يوليو ١٩٢٠ انذارًا للملك فيصل تضمن عدة مطالب أهمها :

١ – تسليم سكة حديد رياق – حلب إلى السلطة العسكرية الفرنسية .

٢ – إلغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربى .

٣ – قبول الانتداب (الاحتلال) الفرنسى قبولا غير مشروط .

٤ – تداول العملة التى فرضتها الإدارة الفرنسية .

٥ – معاقبة الأشخاص الذين قاموا بأعمال عدائية ضد القوات الفرنسية » .

تعليـــق :

سامحك الله يافيصل وسامح والدك ، هذه هى أمة الحلفاء (فرنسا وانجلترا) التى من أجلها أعلنتم ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ! هل لنا أن نسميها النكبة العربية الكبرى ! ارقتم دماء إخوانكم فى بلاد الشام وجزيرة العرب والعراق لكى تمهدوا الطريق لقوات الاحتلال الانجليزى والفرنسى هل أدركتم الآن وأنتم بين يدى الله ، أن العدو قد ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، وبعد ذلك أجهز على من تبقى منهم ؟

ماذا كان على الأمة أن تفعل وماذا كان على الزعيم أن يفعل ، كان لابد من رفض الانذار الفرنسى وتنظيم الصفوف وإحياء روح الجهاد .

ولكن الزعيم قبل الانذار ، ورحل إلى أوربا ، وبقى الجيش السورى يقاتل ، وقتل قائده يوسف العظمة ، واحتل الفرنسيون سوريا[١٢] .

---

(١٢) إذن بعد الحرب العالمية أصبح العالم العربى ممزقا تحت الاحتلال الأوروبى .. سورية ولبنان تحت الاحتلال الفرنسى ، مصر والعراق وشرق الأردن تحت الاحتلال الانجليزى ، المغرب العربى فريسة للاستعمار الفرنسى والأسبانى والإيطالى .

واحتل الانجليز العراق ، ونصبوا فيصل[13] ملكا عليها ، واقتطعوا شرق الأردن من سوريا ونصبوا عليها الأمير عبدالله[14] بن الحسين أميرًا تحت الانتداب (الاحتلال) البريطانى ، واحتلوا أيضًا فلسطين وبدأوا يعدون العدة لتهويدها .

---

(١٣) ما هو الهدف من تنصيب فيصل ملكا على العراق ؟ تطويق فلسطين وحصارها حتى لا يسمع الناس صوت الشعب الفلسطينى وهو يذبح ويشرد وتنتهك حرماته على يد دول أوروبا بما فى ذلك أمريكا وروسيا وتحت سمع وبصر وبموافقة ما تسمى بهيئة الأمم ومجلس الأمن (الظلم) (السياسة الدولية ص ٢١٢) .

(١٤) ما هو الهدف من تنصيب عبدالله أميرًا على شرق الأردن ؟! وإقامة جيش عربى أركان حربه جلرب باشا الانجليزى ، وقادة ألويته وكتائبه غالبهم من الإنجليز .. الهدف منع أى محاولة إنقاذ للشعب الفلسطينى أن تدخل عن طريق هذه الجبهة ، أى أن النظام الملكى برئاسة الأمير عبدالله الذى أصدرت بريطانيا قرارًا بجعله ملكا كان بطريق غير مباشر فى خدمة تحقيق إقامة القاعدة اليهودية فى قلب العالم العربى .

الفصــل الثــانى

أوربــا تقــرر

« وضع فلسطين تحت الانتداب الانجليزى لتنفيذ وعد بالفور »
وذلك يعنى بوضوح أن أوربا قد فوضت بريطانيا
لإبادة وتشريد شعب فلسطين ، وفتح باب الهجرة إلى فلسطين أمام اليهود
لإقامة دولة لهم

- بريطانيا صديقة العرب الوفية !! تتنكر لعهودها ، وتدير ظهرها للعرب ، وتبدأ فى تنفيذ وعد بالفور وتنشيء حكومة لفلسطين برئاسة الصهيونى هربرت صمويل فى أول يوليو ١٩٢٠ .

- « بيان صمويل ..

« إنّى مأمور من جلالة الملك جورج الخامس أن أبلغكم الرسالة الآتية ..

إن الدول المتحالفة التى نالت الفوز الباهر فى هذه الحرب ، قد أودعت إلى بلادى أمر الوصاية على فلسطين لكى تسهر على مصالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى كنتم تنشدونه .. ولا يخافكم أن الدول المتحالفة قررت اتخاذ التدابير لتضمن إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج » .

- « عصابة الأمم » تبارك الجريمة الأوربية :

وافقت دول أوربا على وضع فلسطين تحت الانتداب (الاحتلال) البريطانى ، فى ٢٥ إبريل ١٩٢٢ كما ذكرنا ، ولم تكتف بذلك ، بل حرصت على تحقيق مساندة دولية لهذه الجريمة ، فاستصدرت موافقة من عصبة الأمم على صك الانتداب فى ٢٤ يولية ١٩٢٢ .

وقد علق على هذه الواقعة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الشناوى (رحمه الله) :

« إن صك الانتداب – وقد صادق عليه مجلس « عصبة الأمم » فى الرابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٢٢ – ١٣٤١ هـ يمثل قمة النجاح للحركة الصهيونية فى مطلع

العشرينات من القرن العشرين ، وهو دليل على أن أقطاب الصهيونيين قد استطاعوا تطويع الدول الأعضاء فى تلك الهيئة الدولية لتحقيق الأهداف الصهيونية ، فبريطانيا التى أصدرت تصريح بالفور هى التى عهد إليها مجلس عصبة الأمم فى حكم فلسطين وفق نظام الانتداب ، وكان اختيار بريطانيا لهذه المهمة نزولاً على رغبة الصهيونيين .

ويلاحظ أن الصهيونيين من الإنجليز والأمريكيين قد اشتركوا مع خبراء وزارتى الخارجية والمستعمرات فى لندن فى وضع وصياغة[1] صك الانتداب كى تجىء أحكامه متمشية مع وعد بالفور ، ولذلك أدرجوا فى مقدمة الصك نص تصريح بالفور ، ولم تقنع مقدمة صك الانتداب بهذا الادراج لنصوص التصريح بل جاءت بمزيد من الادعاءات الصهيونية فزعمت المقدمة بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين وبالأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومى فى تلك بالبلاد . « ظلمات بعضها فوق بعض » وإغراق فى مغالطات تلجأ إليها عصبة الأمم ، فالصلة التاريخية معناها أن يهود العالم فى القرن العشرين لا يعدُّون أجانب أو دخلاء على فلسطين ، وترديد عبارة « الشعب اليهودى » ، والاصرار على وصف عرب فلسطين بأنهم طوائف ، هودعم وتأكيد لادعاءات اليهود ، وكان جديرًا بعصبة الأمم ألّا تزج بنفسها فى دروب الصهيونية ومتاهاتها ، وألا تجعل من نفسها بوقا يردد مزاعم الصهيونية ، وفى مواد صك الانتداب البالغ عددها ثمانى وعشرين مادة يتعاقب فى نظام رتيب النص على الامتيازات التى تقررت لليهود فى فلسطين ، وليست إلا إشراكا للمنظمات والهيئات الصهيونية إشراكا فعلياً فى حكم البلاد وصولا إلى إنشاء الوطن القومى كمرحلة أولى من مراحل البرنامج الصهيونى »[2] .

« إن عصبة الأمم حين عهدت إلى بريطانيا فى تنفيذ تصريح بالفور قد تنكرت للميثاق الذى قامت عليه » ؛ و« أن عصبة الأمم جعلت من نفسها أداة طيِّعة لينة فى خدمة الاستعمار والصهيونية ، بل بدت كأنها جهاز من أجهزة الاستعمار والصهيونية » ؛ والحق

---

(١) د. عبدالعزيز محمد الشناوى فى تقديم لرسالة « سياسة الاستعمار والصهيونية » ج ١ ص ١٧ - ١٨ الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، ص ١٨ .

(٢) ذكر وايزمان فى مذكراته : أن اليهودى الأمريكى بنيامين كوهين كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه ، جهاد شعب فلسطين ، ص ١١٣ .

أن عصبة الأمم قد بدت بداية غير طيبة حين أريد لها أن يصدر عنها صك الانتداب على فلسطين متضمنا أحكاما جائرة بالنسبة للعرب ، وما نجم عن ذلك من تخضيب أراضى فلسطين بدماء آلاف من الشهداء العرب ، وتشريد البقية الباقية من السكان ، وتحويلهم إلى لاجئين يعانون شظف العيش وقسوة الحياة » .

« ليس من المبالغة فى شيء أن نقول : إن صك الانتداب كان حجر الزاوية فى تهويد فلسطين وإقامة الوطن القومى تمهيدًا لإنشاء الدولة اليهودية فى نهاية المطاف ويلاحظ أن عمليات تفتيت بلاد الشام فى التسويات التى تمت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى قد استهدفت خدمة الاستعمار والصهيونية معًا ؛ فإن اجتزاء فلسطين من بلاد الشام كان تدبيرا استعماريًا صهيونيًا يخدم مصالح الامبراطورية البريطانية والحركة الصهيونية فى الوقت نفسه ، كما أن إنشاء سورية ولبنان كوحدتين سياسيتين تخضعان لانتداب فرنسا كان إجراء قصد به خدمة الاستعمار الفرنسى ؛ واستكملت عمليات التفتيت السياسى والإقليمى بزرع إمارة شرق الأردن ووضعها تحت الانتداب الانجليزى . وهكذا شهدت هذه الرقعة التى كانت تسمى بلاد الشام قيام كيانات سياسية يخضع بعضها للندن ، وبعضها الآخر لباريس ، وتسيطر الصهيونية بأجهزتها الرهيبة ، وفى مقدمتها الوكالة اليهودية على مقدرات فلسطين تحت ستار الانتداب البريطاني »[٣] .

« وهكذا دخلت بريطانيا فلسطين ، وهى متمنطقة بهذا الصك الخطير للانتداب ، الذى تقمّص بالفور ووعده فى كل بند من بنوده ؛ والذى حَوّر وعد بالفور من وعد بريطانى إلى صك عالمى » .

« وكما فى وعد بالفور لا يوجد فى صك الانتداب أى ضمان للعرب مسلميهم ومسيحيهم ، من أهل فلسطين إلا ضمان بعض الحقوق المدنية ، فكأن أهل البلاد هم الأجانب الوافدون ، وكأن اليهود المستجلبين هم أهل البلاد الشرعيون ، فلا يهتم الانتداب إلا باليهود ينميهم اقتصاديا ، ويقويهم إداريا ، ويكونهم سياسيا » .

---

(٣) د. عبدالعزيز محمد الشناوى فى تقديم رسالة سياسة الاستعمار والصهيونية ج ١ ، ص ١٩ - ٢٠ .

« والحق أنه انتداب غريب ، يتضمن جريمة عالمية ، ويفرض على وطن مأهول بسكان تاريخيين ليساعد على طردهم وإبادتهم وإحلال غيرهم من الغرباء محلهم »(٤) .

كما أن الاطلاع على بنود صك الانتداب ، **يؤكد حقيقة لابد وأن تعرفها جماهير** الأمة المسلمة، وهى أن الصديقة الوفية!! بريطانيا العظمى قِبْلَة بعض الأنظمة الحاكمة فى عالمنا المعاصر ، **هى التى فتحت الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين !!**

إذ تنص المادة الثانية من صك الانتداب :

« تكون الدولة المنتدبة (بريطانيا) **مسئولة عن جعل البلاد (فلسطين) فى أحوال** سياسية وإدارية واقتصادية **تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى » .**

وتنص **المادة السادسة :**

« **على حكومة فلسطين (الانجليزية) أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين فى أحوال مناسبة وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية استقرار اليهود فى الأراضى الأميرية والأراضى الموات المطلوبة للأعمال العمومية » .**

وتنص المادة السابعة :

« **على حكومة فلسطين (الإنجليزية) أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا** بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين **مقاما دائما على الرعوية الفلسطينية .**

ولتحقيق **هذا الهدف أصدرت حكومة الاحتلال الانجليزى بفلسطين قانون المهاجرة لإغراق فلسطين باليهود » .**

---

(٤) وضع القانون رجل يهودى اسمه بنتويتس ، وكان مدير الهجرة يهوديا أيضًا هو حايمسون ، **جهاد شعب فلسطين ،** ص ١١٦ ، ١١٧ ، كان عدد اليهود لا يزيد عن خمسين ألف نسمة سنة ١٩١٦ ، **ووصل الرقم لأكثر من نصف** مليون فى عام ١٩٤٠ ، **هل عرف الناس الآن وخاصة أمة العرب ، المجرم الحقيقى وهل من سياسة حازمة واجراءات** جادة تعيد المجرم إلى صوابه ، حتى يكف عن دعمه لأعداء أمتنا ، بل أعداء الإنسانية .

تعليـق :

إذن أوربا – انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا – هى التى اغتصبت أرض فلسطين وسلمتها لليهود بعد إبادة وتشريد شعبها ، ومع ذلك لازالت أمة العرب تواليهم ، وتعقد معهم المعاهدات الاقتصادية ، وتتبادل معهم السفراء ، وتسمح لهم بحرية الحركة فى ديار الإسلام أكثر من أبناء الإسلام ، بل وتعطى الفرصة لمراكزهم الثقافية لإفساد شباب الإسلام . بل وفتحت أمامهم الباب على مصراعيه إلى ديار الإسلام ، فتمكنوا بذلك من العمل الدائم لتدمير ما تبقى من خلق ودين ، لإزاحة صخرة الإسلام التى يتحطم عليها ما تبقى من مخططات تمكنهم من السيطرة النهائية على ديار الإسلام .

والأنكى من ذلك أن الأنظمة العربية لا زالت تتوهم أن أمريكا وأوربا حريصون على حل قضية الشعب الفلسطينى عبر مؤتمرات السلام وعبر المنظمات الدولية ، غير مدركة أن شعارات الشرعية الدولية ومؤتمرات السلام ما هى إلا وسيلة يهودية أوربية لتخدير مشاعر الأمة العربية والإسلامية ريثما يتم تمرير بقية مخطط الأعداء « من النيل إلى الفرات » . ريثما يتم إجهاض الانتفاضة الفلسطينية وما نجم عنها من يقظة إسلامية تتنادى إلى الجهاد فى أرجاء العالم الإسلامى .



الفصل الثالث
بريطانيا بمساندة عصابة الأمم
تتخذ الخطوات التنفيذية
لتهويد فلسطين الإسلامية وإتمام تنفيذ الجريمة

«ضاعت فلسطين لا بالسيف من يدنا لكن بإصبع غدّار ومنسحب
قد فرقتنا ومازالت تفرقنا عدوة الشرق والإسلام والعرب[١]»

وبدأت بريطانيا ، بعد تطويع المجتمع الدولى لاصدار القرارات لتحقيق أهداف اليهود ، باتخاذ الخطوات العملية لتهويد أرض فلسطين ، بمعنى إبادة وتشريد شعبها ، وفتح باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين على مصراعيه ، مع تهويد أجهزة الحكم والأجهزة الاقتصادية والثقافية والتعليمية ، وكل ذلك يجرى تحت إشراف وتوجيه من الوكالة اليهودية[٢] .. مثال ذلك :

أ) تهويد هيئة الحكومة ، ودائرة الخزينة ، ودائرة الشرطة ، بمعنى إسناد وظائفها الإدارية إلى اليهود بعد طرد العرب منها .

ب) إخضاع المدارس العربية لإشراف المفتشين الانجليز ، لمراقبة المناهج والعملية التربوية لضمان عدم تربية أجيال مسلمة تعرف أعداءها الذين اغتصبوا أرضها ، وهتكوا أعراضها وشردوا وأبادوا أهلها ، وتدرك أن الله قد فرض عليها إحياء روح الجهاد الإسلامى لإنهاء هذه الهجمة اليهودية الإنجليزية العالمية الشرسة .

---

(١) الشاعر الليبى أحمد رفيق المهداوى ، جهاد شعب فلسطين ، ص ٩٦ - ١٠٣ .

(٢) مع أن صك الانتداب لم توافق عليه عصابة الأمم إلا فى يوليه ١٩٢٠ ، فإن اللجنة اليهودية برئاسة وايزمان قد وصلت إلى فلسطين فى إبريل نيسان ١٩١٨ ، بناء على توجيه بريطانيا ، ومعها تعليمات إلى الحاكم البريطانى فى فلسطين أن يسمع لها ويطيع (جهاد شعب فلسطين ص ٨٧) .

وفى المقابل أطلق الإنجليز لليهود حرية إنشاء المدارس واستقلالها وحرية اختيار المناهج مع جعل اللغة العبرية لغة رسمية لهم .

ج) تمكين اليهود من إحكام قبضتهم على الاقتصاد الفلسطينى ، ولتحقيق ذلك فقد نقب مندوب الاحتلال البريطانى فى فلسطين عن كل وسيلة لإفقار الفلسطينيين وإبعادهم عن أرضهم ، وفى نفس الوقت كان يضع اللبنات القوية لتنمية الثروة اليهودية ومن هذه الوسائل :

١ - قام المندوب البريطانى صموئيل بتسليم اليهود ، أراضى الغور ، التى كانت باسم السلطان عبدالحميد الثانى فى إبريل ١٩٢٠ ، كما أنه وهب وأجّر الأراضى العمومية التى كانت ملكا للدولة لليهود ، وهكذا اغتصب الانجليز أرض المسلمين التى كانوا يزرعونها وينتفعون بها وسلموها لليهود .

٢ - منح المندوب البريطانى امتياز الكهرباء لليهود فى ١٢ سبتمبر ١٩٢١ كما منحهم أيضا امتياز البحر الميت ومناجم المعادن .

٣ - إغلاق البنك الزراعى العثمانى ، الذى كان يقرض الفلسطينيين قروضا ميسرة ، بدون فوائد ، لتضييق الخناق عليهم ، ليقترضوا من البنوك الربوية التى أنشأها اليهود والانجليز ، فإذا تراكمت عليهم الديون والفوائد وعجزوا عن سدادها ، أُخذت أرضهم منهم عنوة .

وهكذا وجد الشعب الذى يعيش على أرض فلسطين نفسه يتعرض لعملية إبادة مقصودة ومرسومة ، وكان لابد من رد فعل - كان لابد من رد فعل على مستوى العالم الإسلامى كله ، ولكنه كان مصفدًا بأغلال الاحتلال الأجنبى ، وأغلال الحكام الذين وظفوا أبناء الأمة فى جيش وشرطة لحماية الأجنبى ، وضرب أبناء الأمة الراغبين فى التحرر .

وهكذا ، قدر للشعب الفلسطينى أن يخوض وحده المعركة ضد قوى الاحتلال الانجليزى اليهودى المدعومة من قوى البغى العالمية ، ولهذا تفتق ذهن مندوب بريطانيا (صديقة العرب الوفية) عن ضرورة إصدار مجموعة من القوانين لمنع أهالى البلاد من التصدى لمخطط الانجليز لتهويد أرض فلسطين .. من هذه القوانين :

أ) قوانين الأحكام العرفية أو العسكرية[٣] (الاستثنائية) وقوانين منع الاجتماعات والمظاهرات وقوانين بفرض الرقابة على الصحف ، والهدف من ذلك قهر إرادة الشعوب وتكميم أفواهها ومنعها من التعبير عن وجهة نظرها ، والمطالبة بحقوقها ، والتصدى لأعدائها ، وهذه هى الوسيلة التى يلجأ إليها حتى الآن كثير من الأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى للحيلولة بين شعوبها وبين التحرر ، والتصدى لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين .

وهكذا ، أبى أعداء الله وأعداء الإسلام ، إلا أن يقتلوا أمة بأكملها ، ويستأصلوا شأفتها ، ويأبوا أيضا إلا أن يتم ذلك فى صمت ، بمعنى عدم السماح للأمة برفع صوتها بالاحتجاج على ما يجرى على أرضها ، أو قل عدم السماح للأمة بالتألم من الجراح التى يثخن بها جسدها .

---

(٣) ولهذا الهدف أصدرت الحكومة الانجليزية دستورًا لفلسطين ، يدعم أهداف اليهود ، وأين ؟! « بقصر بكنجهام فى ١٤ أغسطس ١٩٢٢ » من الذى أصدره ؟! صاحب الجلالة ملك بريطانيا .

« إن هذا الدستور ، كان تقنينا للاستبداد الذى تمارسه بريطانيا فى حق الشعب العربى المسلم فى فلسطين ، إن هذا الدستور كان عبارة عن إطلاق لليد الحمراء الرسمية (الانجليز واليهود بمعاونة الدول الاستعمارية والصليبية) ، تعمل كل ما يبدو لها من إجرام فى سبيل تهويد أرض فلسطين ، دون رادع من خلق ، أو قانون أو عرف ، انه دستور يقنن الظلم ، ولا يلتزم بالعدالة فمثلا المادة ٤٦ من الفقرة ٣ من هذا الدستور الذى وضعه المشركون ليطبق على أرض الإسلام فى فلسطين تنص على :

« يشترط ألا يطبق التشريع العام ومبادىء العدل والانصاف المشار إليها فى هذا الدستور إلا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين وأحوالها » .

هذا هو دستور فلسطين ، الذى أصدرته بريطانيا ، ياأصدقاء بريطانيا ، وأحبائها حتى لا ننسى ، فالعدل والانصاف له حدود فى عرف المغتصب الانجليزى (جهاد شعب فلسطين ص ١١٨ - ١٢١) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فالدولة المنتدبة ، صديقة العرب واليهود !! كانت حريصة أن يكون هناك توازن قوى ، وتوازن القوى فى نظرها أن يُجرد أهل فلسطين من السلاح ، وفى المقابل تدرب اليهود على حمل السلاح ، وتسلمه لهم .

وإخلاصًا ووفاءً للصهيونية العالمية ، قام الجنرال البريطانى « ساندرس » بتوزيع السلاح فعلا على اليهود (جهاد شعب فلسطين ص ١٣٣) .



الباب الثالث

الشعب الفلسطيني يتصدى للمؤامرة اليهودية الأوربية



الفصـــل الأول
الانتفاضة الفلسطينية
مؤتمرات ـ مظاهرات ـ اتصالات ـ إضرابات ـ جهاد مسلح

وهب الشعب الفلسطينى عن بكرة أبيه ، يتصدى للمؤامرة اليهودية العالمية الشرسة التى يقوم بتنفيذها الحكومة الإنجليزية بتوجيه من الوكالة اليهودية ، يتصدى للمؤامرة التى تستهدف الدين والأرض والعرض والثروة والإنسان .

وقد تمثل هذا التصدى فى :

١ - عقد المؤتمرات ، والقيام بمظاهرات ، والاضراب العام والجهاد المسلح .

٢ - تشكيل الوفود لشرح أبعاد المؤامرة على الرأى العام الأوروبى ، ونسوا أن أوربا هى المنفذ لمخطط الجريمة ، وهذا ما لم تكن تدركه ، أو كانت تدركه حركة الجهاد الفلسطينى ، ولكن لم يكن أمامها من سبيل إلى تجاهل هذا الأسلوب .

وكادت الحركات الجهادية الفلسطينية أن تؤتى ثمارها ، وتنهى الهجمة اليهودية الانجليزية الشرسة مثلما حدث عام ١٩٣٦ ، لولا تدخل بعض الأنظمة العربية الحاكمة ولولا الخيانة التى مارستها بعض الأنظمة العربية لتمكين اليهود من أرض فلسطين مثلما حدث عام ١٩٤٨ ، تحت ضغط دول أوروبا شريكة الجريمة .

وذلك يعنى أن أبناء فلسطين ، لم ينتبهوا منذ البداية إلى أن اغتصاب فلسطين وإقامة قاعدة يهودية عدوانية ، جزء من مؤامرة يهودية عالمية على ديار الإسلام ، ضليع فى تنفيذها المجتمع الدولى بما فيه بعض أبناء العرب والمسلمين .

وأدرك المتآمرون خطورة بروز حركة الجهاد على أرض فلسطين رغم كل اجراءات القهر والتعسف التى استخدموها مع أهل فلسطين ، ومن هنا تفتق ذهن أبناء أوربا بما فى ذلك أمريكا وروسيا ، عن أسلوب جديد يمكن من تنفيذ المخطط وتهويد أرض فلسطين هذا الأسلوب يقوم على التسويف ، والمماطلة والخداع وتخدير مشاعر الأمة وتنويمها .

هذا الأسلوب يدخل فيه :

أ) تشكيل اللجان وتوجيهها إلى أرض فلسطين للتحقيق فى المشكلة ظاهرًا وفى متابعة تنفيذ وعد بلفور على أرض فلسطين مثال لجنة رئيس القضاة البريطانى هايكرت[1] فى أعقاب انتفاضة يافا فى مايو ١٩٢١ ولجنة شو عام ١٩٢٩ ، ولجنة جونسون وفرانشى ولجنة بيل ..

ب) الدعوة إلى المفاوضات بين الدول العربية وانجلترا وغيرها من دول أوربا ، ويدخل فى ذلك عقد المؤتمرات والمفاوضات .

ج) إصدار الكتب البيضاء[2] والسوداء لاطلاق الشعارات والوعود الكاذبة لتخدير مشاعر الأمة ريثما يتم تمرير المخططات .

ويمكن لنا أن نقول ، بأن هذه السياسة قد خدعت ، لا أقول كل أهل فلسطين ، وإنما على الأقل خدعت جزءًا كبيرًا منهم ، وبهذه الأساليب التى اتُّبعها الانجليز – وكان يُسهل الثقة فيها رغم كذبها ، بعضُ حكام العرب ؛ وكان العدو يكسب كل يوم شيئا جديداً فى الوقت الذى تخسر فيه الأمة جزءًا من ديارها وأموالها وأبنائها .

---

(١) جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، تأليف صالح مسعود أبو يصير ، ط دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٨٩ ص ١٠٧ .

(٢) جهاد شعب فلسطين ، ص ١٣٠ ، ١٥٠، ١٥٤ وفيه تلخيص للكتاب الأبيض الذى أصدره تشرشل فى عام ١٩٢٢ ، والكتاب الأبيض الذى أصدرته بريطانيا عام ١٩٣٠ ، والكتاب الأسود الذى أصدرته بريطانيا فى نفس العام .

المبحث الأول
صور من انتفاضة الشعب الفلسطينى
وهو يتصدى للمؤامرة اليهودية الأوربية
العالمية على فلسطين

شعب فلسطين يواجه المؤامرة اليهودية العالمية
وحده بعد تكبيل الشعوب العربية والإسلامية
بأنظمة حاكمة تحول بين المسلمين
ونجدة إخوانهم فى فلسطين ، وتحول بينهم وبين
الجهاد لاستخلاص مقدساتهم

وتداعى شعب فلسطين إلى عقد المؤتمرات ، وعقد المؤتمر الفلسطينى الأول فى ٥ مارس ١٩١٩ والثانى فى فبراير ١٩٢٠ ، والثالث فى ديسمبر ١٩٢٠ ، والرابع فى يونيه ١٩٢١ فى مدينة القدس ، وعن هذه المؤتمرات صدرت قرارات تندد بوعد بالفور وتطالب بإنهاء الانتداب (الاحتلال) البريطانى ، وجلاء القوات الانجليزية المحتلة عن أرض فلسطين ، وتنبه العالم العربى والإسلامى إلى خطورة الهجمة اليهودية التى يعاونها ويمكن لها الاحتلال الانجليزى على أرض فلسطين ، ولكن الشعوب لم تكن تملك حرية الحركة وكذلك الأنظمة التى كانت تعين من قبل سلطات الاحتلال الفرنسى أو الانجليزى أو الايطالى وغيرها ، لأنهم أصيبوا بمرض حب الدنيا وكراهية الموت .

كما قام الفلسطينيون باختيار وفد يمثلهم ، سافر إلى بريطانيا لعرض قضيته على الرأى العام البريطانى وعلى الحكومة البريطانية ، وكانت خيبة أمل الوفد كبيرة ، حينما طلب منهم تشرشل وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت مفاوضة وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية ، والذى لم يكن من سكان فلسطين فى يوم من الأيام ، ورفض الوفد العربى الفلسطينى هذا الاقتراح ، وقدم مذكرة إلى الحكومة البريطانية بمطالبه ولكن لم يكن من سميع أو مجيب .

وهكذا تبخرت الآمال وتنكرت بريطانيا لمواثيقها مع الشريف الحسين ، وتنكرت للدماء التي أريقت فداء لحلف مكماهون أملا في دولة عربية مستقلة ، وعلى كل ، الخطأ لم يكن خطأ بريطانيا إنما الخطأ خطأ أبناء العرب والمسلمين الذين أعطوا ولاءهم ومواثيقهم وصفقة أيديهم لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين بل وعاونوا معاونة فعالة في ضرب ثلاثة جيوش عثمانية كانت تحمى بلاد الشام وفتحوا الطريق أمام انجلترا وفرنسا لاغتصاب فلسطين وسورية وغيرها .

وحينما أحست بريطانيا ، أن شعب فلسطين بدأ يعد العدة لمواجهة المؤامرة اليهودية مواجهة جهادية حقيقية ، لجأت (أى بريطانيا) إلى أسلوب التخدير للشعب الفلسطينى فأصدرت بيانا أنها بسبيل إصدار كتاب توضح فيه سياستها فى فلسطين ، وانتظر الناس ، وأصدر تشرشل الكتاب الأبيض وياليته ما صدر ، عام ١٩٢٢ « يشيد فيه باليهود ، ودورهم وتاريخهم فى فلسطين ، ويقرّر أنّه من الضرورى أن نعتبر عودتهم حقًا وليست منة وأن هذا هو السبب فى إعطائهم ضمانا دوليا لوطنهم القومى بينما لا يشير إلى العرب إلا كطائفة فى فلسطين »[٣] .

وهكذا يتضح أن بريطانيا ومن وراءها دول أوربًا هى التى رمت الأمة العربية الإسلامية بهذا البلاء اليهودى ، وأن بقاء هذا السرطان فى جسد الأمة ، مضمون ومسنود من دول أوروبا ، وأن دعم ذلك العدوان على ديار الإسلام هو خط ثابت فى سياستها ، وأنّه من العبث أن تتصور الأمة المسلمة أن تتنصل بريطانيا ودول أوروبا من وعودها وحمايتها لليهود من أجل عيون العرب المسلمين .

واستمر شعب فلسطين ، يعبر عن رفضه لخطة تهويد فلسطين بالوسيلة المتاحة له ، وهى عقد المؤتمرات وإصدار القرارات ، مثال ذلك المؤتمر الثامن الذى عقد بالقدس فى ٢٠ يونيه ١٩٢٨[٤] وصدرت عنه قرارات يطالب فيها بحكومة نيابية ، والحد من الموظفين البريطانيين ، والاحتجاج على منح امتياز البحر الميت لشركة يهودية ، وعلى إيثار العمال

---

(٣) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٢٨ - ١٣٣ .

(٤) جهاد شعب فلسطين ، ص ١٣٢ .

اليهود بالعمل بدلاً من العمال العرب ، والتخلّى عن وعد بالفور ، وغلق باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين .

ولكن صيحات المؤتمر ذهبت أدراج الرياح .

الإنجليز يسلحون العصابات اليهودية لمعاونتهم فى وأد أية مقاومة فلسطينية :

« لقد كشف اليهود عن وجههم الكالح ، فبعد أن كانوا يحاولون خديعة العرب بأنهم لا يضمرون لهم شرًا ، وأنهم سوف يحيلون فلسطين إلى جنة جديدة لصالح العرب واليهود ، وأن رؤوس أموالهم وخبرتهم وقدرتهم العالمية سوف تتيح لشعب فلسطين العربى أن يخدموا بلادهم بأنفسهم بعد هذه اللهجة الوديعة المخادعة ، ومجرد أن أنْهى اليهود مؤتمرهم العالمى المعقود فى زيورخ عام ١٩٢٨ تغيرت لهجتهم وأساليبهم ، فأعلن الحزب اليهودى الإصلاح (الافسادى) بلسان رئيسه جابوتنسكى الدعوة إلى اليهود ليتسلحوا ، وأن يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق أهدافهم وتشجّع اليهود ، وطالبوا صراحة بحائط البراق الشريف وساروا جماعات يوم ١٥ أغسطس ١٩٢٨ فرفعوا عليه العلم اليهودى ، هاتفين الحائط حائطنا ، رافعين صوتهم بأناشيدهم اليهودية ، وهكذا بدأ التبجح واضحا ، القتلة سفاكو الدماء الكفار يدعون بأن بيت المقدس لهم ، واستمرَّ الصراع بين الفلسطينيين واليهود على صفحات الجرائد ، حتى إذا عُلِم أن الميجور ساندرس البريطانى بدأ يوزع السلاح فعلا على اليهود ويجند بعضهم فى الفرق النظامية ، انطلقت الشرارة الثورية ، وبدأ أهل فلسطين معركة كانوا فيها وحدهم ، يقاتلون جموع اليهود المسلحين والدولة البريطانية بجيوشها »[٥] .

---

(٥) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٣٣ ، وهو يعتمد على كتاب محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين ، صفحة ١٦٣ .

المبحث الثانى

الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩[٦]

الفلسطينيون يجاهدون اليهود والإنجليز

– سقوط ٣٣٨ شخصا بين جريح وقتيل فى خلال خمسة عشر يوما .

بريطانيا تصدر أحكامًا بإعدام المجاهدين ، فؤاد حجازى ، وعطا الزير ، ومحمد جمجوم .

– وفى ٢٠ أغسطس ١٩٢٩ ، وقعت معركة بين الفلسطينيين واليهود عند ممر البراق فى بيت المقدس ، وانبرى أهل فلسطين يدافعون عن وجودهم ، ويهاجمون المغتصبين لديارهم ، وفى أثناء ذلك بدأ التواطؤ بين الإنجليز واليهود واضحا لإجهاض الحركة الجهادية وتهويد أرض فلسطين :

أ) « قامت بريطانيا بتوزيع السلاح على الرعايا البريطانيين وكان عدد كبير من اليهود يحمل الرعوية البريطانية كما أعلنت بريطانيا رسميا أنها بدأت تسلح اليهود دفاعا عن مستعمراتهم » .

ب) « استدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها وجاءت بسرب يتكون من ١٣ طائرة تحلق فى عنف فوق المسجد الأقصى لإرهاب المسلمين الذين كانوا يؤدون فريضة الجمعة فى اليوم الأخير من شهر أغسطس ١٩٢٩ » .

ج) « تعاون الإنجليز والفرنسيون فى تشديد قبضتهم على حدود سوريا الفلسطينية حتى تمنع كل معونة محتملة عن الفلسطينيين ، وسلط الإنجليز جيشهم على العرب ، فيستشهد منهم ٢٤ فلسطينيًا ليلة ٣ سبتمبر ١٩٢٩ » .

---

(٦) جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، صفحة ١٣٦ – ١٥٤، وهو يعتمد على صحيفة الأهرام ٢٨ من أغسطس ١٩٢٩ ، برقية لرويتر من لندن فى ٤ من ديسمبر ١٩٢٩ ، صحيفة الأهرام – ٥ سبتمبر ١٩٢٩ .

د) « ما من معركة نشبت بين الفلسطينيين واليهود إلا كان الجنود الإنجليز فى الصف المحارب للفلسطينيين ، ولقد تجاوزوا حد المعارك إلى المهاجمة للبيوت الفلسطينية وتقتيل الأسر الآمنة والتمثيل بها كما حدث فى **قرية صور باهر وغيرها**، ورغم هذا استمرت الحركة الجهادية خمسة عشر يوما قدم فيها الفلسطينيون ٣٣٨ بين جريح وقتيل » .

هـ) حينما عاد المندوب البريطانى تشانسلور من لندن إلى فلسطين فى سبتمبر (أيلول) ١٩٢٩ أصدر بيانا قبل التحقق من الأحداث جاء فيه « قد راعنى ما علمته من الأعمال الفظيعة التى اقترفتها جماعات من الأشرار سفاكى الدماء عديمى الرأفة واعمال القتال الوحشية[٧] التى ارتكبت فى أفراد من الشعب اليهودى » ، وهكذا أصبح المغتصبون المعتدون سفاكو الدماء ، شعبا ، وأصبح المجاهدون الذين يدافعون عن عرضهم ومقدساتهم جماعات من الأشرار !!!

هذا هو سلوك صديقة العرب الوفية بريطانيا العظمى ! ! ومع هذا ما زال العرب يمرِّغون جباههم على أعتابها طمعًا فى كلمة رضا تعيد الحق إلى أصحابه ، كما يتخيلون وهم واهمون !!!! .

ولم يقف إجرام بريطانيا عند هذا الحد ، فقد أصدر المندوب البريطانى تشانسلور أوامر باعتقال مئات من الشباب الفلسطينى ، وأصدر حكما بقتل عشرين فلسطينيًا ، ونفذ الحكم فورًا فى الشهداء الثلاثة .. فؤاد حجازى وعطا الزير ومحمد جمجوم ، وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدًا ، وتنوعت الأحكام حتى بلغ عدد الفلسطينيين المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيًا وفرضت غرامات مالية على عدد من القرى العربية وحددت إقامة كثير من الزعماء فى أماكن نائية فى فلسطين وشرد الألوف من الشباب والرجال ، وحيل بينهم وبين مواصلة عملهم وحياتهم .

وتوالت أحكام الاعدام تصدر للارهاب دون شفقة بتدبير وتوجيه من صديقة العرب الوفية !! بريطانيا العظمى !

---

(٧) جهاد شعب فلسطين ، ص ١٣٨ ، محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين ، ص ٢٢٣ .

و) حينما صدر الحكم الانجليزى اليهودى بالإعدام على الشهداء الثلاثة **فؤاد حجازى وعطا الزير ومحمد جمجوم**[8] ، وتقرر التنفيذ يوم الثلاثاء ١٧ من يونيو ١٩٣٠ ، تدخل رجالات العرب فأبرقوا إلى صديقتهم بريطانيا العظمى ، ورفع التماس إلى **مجلس الملك الأعلى بلندن** ، وبذلت كل المحاولات فذهبت جميعًا أدراج الرياح ، وهكذا تثبت الأيام أن الإنجليز لا يأبهون لإراقة الدم العربى الإسلامى ، **فهل نتعلم ياعرب ؟ فهل نتعظ ؟** أم لازلتم مصرين على الاحتفاظ بصداقة صديقتكم الوفية ؛ بريطانيا العظمى رغم أنها سقت الأمة الإسلامية من كؤوس الموت ألوانًا .

ز) تذكروا شهداءنا على أرض الإسراء والمعراج .. فؤاد حجازى الذى لم يتجاوز الاثنين والعشرين ربيعا ورفيقيه الآخرين عطا الزير ومحمد جمجوم اللذين دخلا الحلقة الرابعة من العمر وهم الذين حمدوا الله على أن غنمهم الشهادة ، وطلبوا حناء خضبوا بها أيديهم حسب عوائد أهل الجليل فى أيام أفراحهم ، وتخاصم الثانى مع الأول عندما حانت ساعة إعدامه وأبى إلا أن يسبق رفيقه إلى لقاء ربه[9] .

ح) « لم تكتف بريطانيا بالإرهاب ، والابعاد والاعدام للشعب الفلسطينى ، إنما اتخذت أساليب شيطانية لإرهاق العرب اقتصاديا عن طريق فرض غرامات على القرى المهيضة الجناح ، وكانت غرامات باهظة ثقيلة مفروضة على قرى أضنتها الديون ، وأثقلت بالضرائب ، وهدتها الرهونات . وبحث المندوب البريطانى عن يهودى قدير يكل إليه تحديد الغرامات على القرى العربية فاختار اليهودى البريطانى ، إبرامسون الذى أنزل جام غضبه وحقده على القرى العربية مثقلا لها بالغرامات الفادحة »[10] .

ط) وكانت بريطانيا تتبنى كل أسلوب ضار بعرب فلسطين ، فما يكاد الفلاح يتم حصاد زراعته حتى تُوقِف حركة التصدير للخارج فيهبط سعر الشعير ، وما يكاد يتم حصاد القمح حتى يَرِدَ لليهود الدقيق الأجنبى بكميات كبيرة ، فتضرب المحصولات المحلية ضربة شديدة .

---

(٨) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٤١، ١٤٢ .

(٩) نفس المرجع ، جريدة الزهور – حيفا عدد ١٩ يونيو ١٩٣٠ .

(١٠) نفس المرجع ، ص ١٤٣ .

ى) كما أصدرت بريطانيا قانون مصارف التسليف ، استهدف إفقار العرب حتى تضطرهم إلى أن يقترضوا بضمان أرضهم تمهيدًا لاستيلاء بنوك التسليف اليهودية على تلك الأراضى[11] .

الفلسطينيون يواصلون جهادهم وبريطانيا تواصل تنفيذ المؤامرة :

وواصل المجاهدون الفلسطينيون وحدهم مقاومة الهجمة الإنجليزية اليهودية الشرسة ، وأحس الأعداء بعجزهم عن مواجهة هذه الحركة الجهادية ، ولذلك ترى بريطانيا تلجأ إلى سياسة المراوغة والخداع ، فأعلنت أنّها سترسل لجنة للتحقيق فى أسباب ما أسمته بالثورة الفلسطينية .

« وجاءت إلى فلسطين لجنة برلمانية يرأسها القاضى والترشو وبدأت عملها فى أواخر اكتوبر ١٩٢٩ وعقدت ٤٧ جلسة علنية و١١ جلسة سرية واستمعت إلى ٦١٠ شهود من موظفين فلسطينيين ويهود[12] .

وجاء التقرير ليضع اليد على العلة ويطالب بضرورة التجاوب مع بعض مطالب الفلسطينيين .. ورحب العرب بتقرير اللجنة ، ورغم أنه كان أقل من طلباتهم ، وسرعان ما ألفوا لجنة من كبار رجالاتهم ، رحلوا فورا إلى لندن ، وكان قوامها « موسى كاظم الحسينى وأمين الحسينى وراغب النشاشيبى وعونى عبدالهادى وجمال الحسينى .

وقدم الوفد إلى رامزى مكدونالد رئيس وزراء بريطانيا آنذاك مطالبهم :

١ - إيقاف الهجرة اليهودية . ٢ - منع انتقال الأراضى إلى اليهود .

٣ - إنشاء حكومة وطنية على أساس سكان البلاد[13] .

« ورفضت بريطانيا المقترحات ، وأعلن رئيس وزرائها أنّها لن تتأثر بالضغط والتهديد ، ولن تخالف صك الانتداب ، غير أنها ستلجأ إلى صيانة مصالح الطوائف غير

---

(١١) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٤٥ ، وهذا يوضح لنا أن سياسة إغراق الأمة بالقروض الأجنبية تستهدف إفقار الأمة وربطها برباط التبعية لأعدائها .

(١٢) المرجع السابق ص ١٤٦ ؛ المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ١٢٦ .

(١٣) نفس المرجع ص ١٤٩

اليهودية فى فلسطين ، ولهذا السبب فقد أوفدت جون هوب سمبسون ليدرس مسائل الهجرة والإسكان والتنمية على الأرض الفلسطينية نفسها ويرفع تقريرًا عنها ، وأدى سمبسون مهمته ورفع تقريره » .

وهكذا نلاحظ بريطانيا العظمى ، صديقة العرب الوفية حريصة على تنفيذ وعد بالفور ، وأنه خط أساسى وثابت فى سياستها ، وفى نفس الوقت اعتبرت سكان فلسطين الأصليين طوائف ، ثم لجأت إلى حيلة تشكيل اللجان ، وإصدار التقارير لتخدير الأمة وتمرير المخططات ، وإجهاض الحركة الجهادية ، ويدخل فى ذلك ما يسمى بالكتاب الأبيض ، الذى أصدرته بريطانيا فى اكتوبر ١٩٣٠ ، معتمدًا على تقرير لجنة والترشو وتقرير سامبسون ، وكلها تنادى بوجوب وضع حد لهجرة اليهود ، وتأمين الفلاح العربى فى أرضه ، وإشعار العرب بأنه لا خطر على مستقبلهم ، وإتاحة الفرصة أمامهم لحكم بلادهم .

ولكن بريطانيا صديقة العرب الوفية أصرت أن تثبت فى الكتاب[١٤] :
أنّه ليس فى نيتها الإخلال بصك الانتداب ، ولا النكوص عن وعد بالفور ؛ ورددت ما ذكره تشرشل فى الكتاب الأبيض الذى أصدره عام ١٩٢٢ من أن اليهود حين يعودون إلى فلسطين ليجعلوها مركزًا يكون فيه لليهود اهتمام وفخر فإن عودتهم تلك إلى فلسطين يعتبر حقًا لا منّة .

ولم تنس صديقتكم ياعرب ، الحركة الجهادية ، فأطلقت عليها لفظة « الاضطرابات » كما تسميها الآن « بالإرهاب » وإنّها قد اتخذت تدابير خاصة لمواجهة مثل هذا ولذلك :

« فقد قررت حكومة جلالته أن تحتفظ فى فلسطين حينذاك بفرقتين من المشاة وسربين من الطائرات وأربع فرق من السيارات المسلحة فى فلسطين وشرق الأردن[١٥] » .

ولكى تكتمل الخدعة ، « استقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية ، والمنظمة الصهيونية احتجاجا على صدور الكتاب الأبيض ، وتحركت الصهيونية فى أوروبا وأمريكا

---

(١٤) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٥٠ .

(١٥) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٥١ ، اعتمادًا على محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين ، ص ٩٥، ١٠٣ .

تستنكر ما ورد فى الكتاب الأبيض ، وإذا بنا نفاجأ ببريطانيا تصدر كتابا سماه العرب « الكتاب الأسود » تتراجع فيه عما ورد فى الكتاب الأبيض بشأن العرب ، ففى ٤ نوفمبر ١٩٣٠ أعلن وزير المستعمرات البريطانية فى خطاب أرسله إلى جريدة التيمس ، « أنّه ليس فى نية بريطانيا ، **إيقاف الهجرة اليهودية** ، **إلى فلسطين** ، وأنَّ هجرة العمال اليهود سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب » [١٦].

« وهكذا تنكرت بريطانيا لما سبق أن نشرته على العالم قبل أيام ليست ببعيدة من اعترافها ، بتضرر العرب من الهجرة اليهودية ، وانتشار البطالة ، وعدم استيعاب الأراضى للمهاجرين ، واستحالة إخراج الفلاحين العرب من أراضيهم ، حتى فى حالة التشكك فى الملكية .

هذا نموذج لأسلوب الخداع والتضليل الذى اتبعته بريطانيا ، بتوجيه وموافقة أبناء أوروبا لتمرير المخططات وتهويد واغتصاب أرض فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها .

وهنا العديد من الدروس المستفادة :

إن اغتصاب أرض فلسطين وإقامة دولة يهودية عليها ، التزام ثابت من دول أوروبا بما فى ذلك أمريكا وروسيا قبل اليهودية العالمية ، وأن تشكيل اللجان وابتعاث المحققين واصدار التقارير والبيانات ومؤتمرات السلام والمفاوضات إنما هى من قبيل التخدير للشعوب الإسلامية وامتصاص الغضب الجماهيرى ، حتى يتم تنفيذ المخطط ويتم الإجهاز على العالم الإسلامى واغتصاب خيراته وثرواته .

---

(١٦) جهاد شعب فلسطين ص ١٥٥ .

المبحث الثالث

الانتفاضة الفلسطينية تستأنف تصديها للإنجليز ، باعتبارهم المسئولون عن العمل لتهويد فلسطين.

– مظاهرات وصدام مع قوات الاحتلال الإنجليزى .
– شهداء وجرحى برصاص الإنجليز .

– مؤتمر بالقدس عام ١٩٣١ تحضره اثنتان وعشرون دولة إسلامية :

قرارات المؤتمر دون المستوى المطلوب لمواجهة المؤامرة اليهودية الأوربية على فلسطين ورغم ذلك ، فإن بريطانيا صديقة العرب !! تعرقل تنفيذها .

– يهود القاهرة يتبرعون ليهود يافا !!

لقد تَنَبّه الشعب الفلسطينى إلى خطورة الدور الذى يلعبه الإنجليز ، فقامت المظاهرات فى كل صقيع من أصقاع فلسطين تدعو إلى التسليح وإلى توجيه الثورة ضد الإنجليز باعتبارهم المسئولين أولاً عن استمرار اغتصاب فلسطين وإعْطَائها لليهود إلى هذا تنادى الخطباء ، وهاجم الجنود البريطانيون المتظاهرين الفلسطينيين وسقط مئات من الجرحى ، واكتظت السجون بالمعتقلين العرب » .

وتلفت الفلسطينيون إلى إخوانهم فى العقيدة ، إلى العالم الإسلامى وتنادوا إلى عقد مؤتمر إسلامى فى القدس .

وفى ليلة « الرابع من ديسمبر[١٧] ١٩٣١ انعقد المؤتمر الإسلامى الذى شهده مندوبون عن أكثر من اثنين وعشرين قطرا ، وأسهم فيه عديد من كبار المفكرين والعلماء ، ولكن قراراته كانت دون المستوى المطلوب ، لقد جاءت قرارات هزيلة » :

---

(١٧) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٥٩، ١٦٠ ؛ حقائق عن قضية فلسطين ، ص ١٣٩ .

- دعوة العالم الإسلامى إلى مقاطعة البضائع اليهودية .
- ضرورة وقف الهجرة اليهودية .
- إنشاء جامعة إسلامية بالقدس .
- إنشاء شركة زراعية لإنقاذ أراضى فلسطين والحيلولة دون استيلاء اليهود عليها .

ورغم ضعف القرارات فقد عجزت الدول الإسلامية عن تنفيذها ، لأن حكامها لم يكونوا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ، لأنهم معينون من قبل الاحتلال الأجنبى ، الذى قرر اغتيال فلسطين وتسليمها لليهود .

لقد ذهب وفد فلسطينى يجوب العالم الإسلامى ، ويقنع زعماءه بالخطر على المقدسات الإسلامية ، والوجود الإسلامى فى أرض الإسراء والمعراج ، واستجاب المسلمون لهذه الدعوة .

« وكان الوفد الإسلامى إلى الهند ، يتكون من عدد من زعماء المسلمين من بينهم مفتى فلسطين السيد أمين الحسينى والزعيم المصرى محمد على علوبة وشاعر الإسلام الهندى محمد إقبال ، وسرعان ما تبرع نظام حيدر أباد بمليون روبية ، وتوالت التبرعات على اللجنة ، ولكن الحكومة البريطانية أرسلت تعليماتها إلى نائبها فى الهند ونجتُون ، تطلب إليه أن يعامل وفد المؤتمر الإسلامى باحترام ، وأن يحاول بجميع الوسائل دون نجاح مهمته (١٨) ، ومنع تحويل الأموال التى جمعها إلى فلسطين .

وبالفعل منع الإنجليز خروج الأموال من الهند ، واحبطوا مهمة الوفد العربى ، وهكذا يبدو بوضوح للعالم الإسلامى ، من هم أطراف المؤامرة على فلسطين ، ودور أوربا ومن وراءها اليهودية العالمية فى اغتصاب أرض فلسطين ، ويتأكد له أيضا ، أن الأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى لم تكن تملك قرارها ، ولا تملك أن تمد يد المساعدة إلى إخوانها فى الإسلام ، لأنَّها كانت خاضعة للاحتلال الأجنبى ، بل ان العالم الإسلامى كان شحيحا فى الإنفاق على إخوانه فى الإسلام على أرض فلسطين ، وفى الوقت الذى ·دفق فيه الأموال

---

(١٨) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ٢٠ .

على اليهود من جميع أنحاء العالم ، بل ان يهود العالم العربى كانوا يتبرعون لليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين »[١٩] .

---

(١٩) فقد نشرت المجلة الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر أن يهود القاهرة أرسلوا ابان احتلال الإنجليزى ثلاثة آلاف جنيه تبرعا ليهود يافا ، جهاد شعب فلسطين صفحة .

« ولا عجب فى ذلك فقد كان التجار اليهود يعملون بحرية وقدرة ونشاط فى جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى ، فهم فى مصر على سبيل المثال كانوا يتمركزون فى أهم البيوتات المالية ولهم الكلمة العليا ، وبيدهم الحول والطول ، فشيكوريل وبنزايون وقطاوى ومزراحى وهانو يتصرفون فى المال والتجارة بحرية كما لو كانوا فى أرضهم وبلادهم . وكان جاتينيو وفلكس دانا وموصيرى وجوزيف ليفى وأوفاديا سالم وروفيه وجرسين يتحكمون فى البورصة وتجارة القطن والبصل وشركات المقاولات ويتصرفون فى الاقتصاد المصرى كما لو كانوا أسياده وحماته » .

وفى شمال افريقيا بأقطاره الأربعة » ليبيا وتونس والجزائر والمغرب كان اليهود يتحكمون فى تجارة السكر والدقيق والصوف ويتعاونون مع دول الاستعمار مترجمين وعملاء وجواسيس ، ومن حصيلة نشاط اليهود فى العالم العربى كانت تجمع إعانات لليهود فى فلسطين كما كان اليهود فى بقية أنحاء العالم يجمعون الملايين لصالح مشروعاتهم فى فلسطين ، وتعتقل فرنسا لجنة التبرعات لفلسطين بالجزائر ، على حين يجمع العون لليهود تحت حمايتها علنا جهاد شعب فلسطين ، ص ١٦٤ ، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ، فتحى الرملى ، ص ١١٧ .

وهكذا ، يتضح لنا أن ولاء اليهود فى بلاد العالم العربى والإسلامى هو لليهود فى أى مكان ، كما يتضح لنا أيضا أن الخراب الاقتصادى الذى يعانى منه العالم العربى والإسلامى اليوم ، كان وراءه اليهود الذين كانوا يتمركزون فى أكبر المؤسسات الاقتصادية ، وتركوها بعد أن نهبوا ثروة العالم الإسلامى وذهبوا إلى بيوتات المال فى أوروبا وأمريكا ، بل انهم قد أخضعوا بلاد العالم الإسلامى لأنظمة اقتصادية تقوم على النظام الربوى الذى أثقل كاهل الأمم والشعوب بالديون وجعلها عبيدًا للدول الأوروبية الكافرة ، وفى أيامنا هذه دُمّرَ الاقتصاد فى بعض ديار العالم العربى ، ومن ثمار ذلك عرض بعض أجزاء من القطاع العام للبيع ، ومع غياب رأس المال الوطنى القادر على الشراء بعد تدمير شركات توظيف الأموال ، سوف تتاح الفرصة لرؤوس الأموال الأجنبية اليهودية المتسترة بالجنسيات الأمريكية وغيرها ، شراء هذه الأجزاء ، وهذه البداية تعرض أمن واقتصاد واستقلال البلاد للضياع ، كما حدث على أرض فلسطين .

المبحث الرابع

الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٣

- الشعب الفلسطيني يستأنف جهاده ضد الإنجليز واليهود فى اكتوبر ١٩٣٣ ، فى القدس ويافا .
بريطانيا تسعى لإجهاض الانتفاضة بوسائل شتى منها :
- إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، استشهاد اثنين وثلاثين وجرح ١٦٧ منهم الزعيم كاظم الحسينى فى يوم واحد .
- اعتقال زعماء الانتفاضة فى مقر الجمعية الإسلامية المسيحية فى يافا .

لقد تأكد لأهل فلسطين أن بريطانيا ضليعة فى الجريمة التى تقوم بتنفيذها على أرض فلسطين وأنها أداة طيعة فى يد اليهود لاغتصاب أرض فلسطين ، وأن سياسة إرسال اللجان والتحقيقات وإصدار البيانات إنما هو لكسب الوقت وتمرير المخطط .

« ولم يكن فى طوق الشعب الفلسطينى إلّا التظاهر تعبيرًا عن رفضه لمخطط بريطانيا واليهود ، ومن هنا فإن بريطانيا وهى تنفذ جريمتها وضعت فلسطين تحت طائلة الأحكام العسكرية (العرفية) وحرمت على العرب التظاهر ، ومنعتهم من حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم .

ولكن أنّى لأية قوة فى الأرض أن تمنع الإنسان عن التعبير عن رفضه للظلم الذى يتعرض له ؟؟ لقد خرجت مظاهرة من المسجد الأقصى يوم الجمعة ١٣ اكتوبر ١٩٣٣ ، انضم إليها جمع كبير من النصارى ، وتقدمهم الزعيم موسى كاظم الحسينى ، وتعرض جنود بريطانيا للمظاهرة وأطلقوا عليها الرصاص[٢٠] ، فجرح حوالى خمسة وثلاثون فلسطينيا .

وخرجت مظاهرة فلسطينية أخرى من مسجد يافا فى يوم الجمعة ٢٧ اكتوبر ، تصدت لها قوات كبيرة من مشاة الجيش البريطانى وخيالته ومدرعاته ، وأطلق الرصاص على

---

(٢٠) جهاد شعب فلسطين ص ١٧٠ .

جموع المتظاهرين ، فاستشهد من الشعب الفلسطينى اثنان وثلاثون شابا ، وجرح ١٦٧ ، وضرب الشيخ موسى كاظم الحسينى (تسعون عاما) فى رأسه فجرح جرحا بليغا لم تفارقه آلامهُ حتى توفى شهيدًا فى ٢٦ مارس ١٩٣٤ .

هذه هى الصديقة الوفية ، بريطانيا هى التى رمت الأمة بهذا البلاء ، هى التى قتلت شباب الأمة ويتمت أطفالها وأيمت نساءها ، وبعد ذلك لازال زعماء العرب يَحجّون إليها ، ويستقبلون نساءها استقبال الفاتحين ، ويقدمون لهن الهدايا من أموال هذه الأمة التى ابتليت بقادة لا يخشون الله حق خشيته .

واجتمع زعماء الانتفاضة وقدموا مذكرة إلى المندوب البريطانى مطالبين بإنشاء حكومة وطنية ، ووقف الهجرة اليهودية – ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود ، ولكنّه لم يستجب .

وتداعى العلماء إلى مؤتمر ، عقد برئاسة مفتى فلسطين ، وعنه صدرت[٢١] قرارات ووجهت نداءات إلى الملوك والأمراء لإنقاذ فلسطين ، ولم يتجاوب معها أحد .

---

(٢١) نفس المرجع ، ص ١٧٥

المبحث الخامس

الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٥

- تنطلق من مسجد حيفا ، بقيادة الإمام ،الشيخ عز الدين القسام(٢٢)
- قوات الاحتلال البريطانى تسعى لإجهاض الانتفاضة .
- استشهاد الشيخ عز الدين القَسّام يوم ٢٥ نوفمبر - تشرين الثانى - ١٩٣٥ .

الشيخ عز الدين القسام عالم من علماء المسلمين الذين كانوا يؤمنون أن الجهاد العملى والقتال الصادق هو خير منطق يجابه به الأعداء الذين يهاجمون أرضنا ويدنسون مقدساتنا ، وأنه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء ويعاملهم أو يصادقهم أو يطمئن إليهم ، وما انتهى درس من دروسه فى مسجد حيفا الكبير إلا وختمه بقوله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنّه منهم** ﴾ .

---

(٢٢) هو الشيخ محمد عز الدين عبدالقادر القسام من مواليد بلدة جبلة من قضاء اللاذقية فى سوريا عام ١٨٧١ .
نشأ فى بيئة عربية إسلامية ، درس بالأزهر الشريف بعد أن بلغ الرابعة عشرة من عمره ، عُين مدرسًا للجامع الكبير فى جبلة .

جاهد الفرنسيين الذين احتلوا سوريا ولبنان إلى جانب عمر البيطار ، صدر عليه حكم الاعدام من الديوان العرفى فى اللاذقية بعد توقف الثورة .

رحل إلى فلسطين حيث استقر فى ضاحية الياجور قرب حيفا وكان معه الشيخان محمد الحنفى وعلى الحاج عبيد (شباط ١٩٢٢) تنبه إلى مؤامرة أوربا واليهود لتهويد فلسطين : « فانضم إلى أسرة المدرسة الإسلامية حيث عمل مدرسا فيها لتكون وسيلته للاتصال بالطلبة وأوليائهم والمدزمين ، ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمين فى حيفا ، حيث انتخب رئيسا لها عام ١٩٢٨ ، ولقد كان انتسابه لهذه الجمعية تغطية لأعماله السرية وإعداده للثورة ، كما أصبح خطيبًا لجامع الاستقلال ، ومأذونًا شرعيًا ، وهكذا جمع الشيخ القسام وظائف معلم فى مدرسة وواعظ فى مسجد ، ومأذون للأنكحة ورئيس لجمعية ، فضمن لنفسه شرعية الاتصال بطبقات الأمة كافة .

بدأ جهاده بتأليف القلوب ونشر المحبة وإزالة الخصومات ، ونبذ الأحقاد وتعميق الوازع الدينى فى نفوس الناس وتربيتهم على العقيدة الإسلامية .

ثم توعية الجيل والأمة إلى مخاطر الهجرة وبيع الأراضى ومؤامرات الحكومة البريطانية وذلك أثناء تدريسه طلابه فى المدرسة وإرشاده المواطنين فى خطبه ودروسه فى المسجد وعكف على تكوين قاعدة إيمانية صلبة من المناضلين =

« واستجاب جموع الشباب لصحبة الشيخ الجليل ، وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة فمنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربى جنين نابلس طولكرم سيلا من الاغتيالات للضباط الإنجليز ونسف القطارات ، وهوجمت معسكرات الجيش البريطانى ، وقتل أى عربى يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالاً مريبًا » .

« وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفى فترات متعاقبة فى غاية الدقة والتنظيم والسرية ، وسرت روح الجهاد بين الشعب فتتابع تنظيم التشكيلات السرية ، وزادت متاعب البريطانيين وإرهابهم .

« ولقد كان القَسَّام صادق الرأى مخلص العقيدة ، فربا بنفسه أن يدعو إلى الجهاد ولا يجاهد وأن يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، وأن يكون قائد الجهاد قابعا وراء أحد أعمدة المساجد أو بعيدًا عن الميدان كما يفعل عديد من قواد المعارك أو الدعوات ، ربا بنفسه عن هذا وأعلن فى قوة عن معاداته لسلطات الاحتلال ، وعزمه على منازلة الجنود البريطانيين ، وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل المجاهد ، ودارت معركة فى غابة يعبد بمنطقة جنين .

انتهت يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ ، باستشهاد القائد وبعض رفاقه ، وأسر الباقون من عصبته المؤمنة بعد نفاذ ذخيرتهم ، ليسجنوا ويعذبوا طويلا فى سجون بريطانيا العظمى ،

= لتكون مستعدة للقتال ، وقد قام بتأسيس مدرسة ليلية لتعليم الأميين فكانت أيضا مكانا لتجميع الناس وبث فكرة الجهاد فيهم .

وكان القسام يلوم العلماء على تهاونهم فى الدعوة إلى الجهاد ويحملهم مسئولية الوضع الجائر الذى كانت تنوء فلسطين تحت أثقاله لعدم تحويل المحاريب إلى منابر الجهاد والدعوة إلى طرد الانجليز واليهود ، ومحاولاتهم وسعيهم الحثيث إلى تجويف الدين وجعله هياكل نظرية مفرغة لا تمت إلى حقيقة الإسلام بصلة ، وإبعاد الدين عن السياسة ، وإغراقهم فى التنعم .

وازداد عدد الجواسيس عليه وعلى منظمته الجهادية التى أسسها ، حتى أن حاكم لواء حيفا الانجليزى أرسل إليه وقال له :

ياشيخ إنك متحرك وذو نشاط مناوىء لنا ، فرد عليه الشيخ قائلاً بعد أن أخرج المصحف من جيب جبته: هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه .

ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها فى الكفاح الفلسطينى ، عونى العبيدى ، مكتبة المنار – الأردن – الإسلام بين العلماء والحكام ، عبدالعزيز البدرى ، ص ٢٣٥ .

وذهب القسام البطل المجاهد إلى ربه شهيدًا ، فجدد فى النفوس معنى التضحية ، وقوى من عزائم شعب فلسطين برغم قلة العتاد وضآلة الزاد .

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب :

أولت عمامتك العمائم كلها — شرفا تقصر عنده التيجان
إن الزعامة والطريق مخوفة — غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت أحسب قبل شخصك أنه — فى بردتيه يضمها اثنان
يارهط عز الدين حسبك نعمة — فى الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت — فرحا ، وهش مرحبا رضوان

تعليق :

هذا نموذج يوضح الطريق إلى بيت المقدس ، ولا طريق سواه ، وهذا النموذج وغيره ، هز الأعداء والأصدقاء من الأعماق ، فها هو هتلر يوجه رسالة إلى ألمان السوديت عام ١٩٣٦ قائلاً : « اتخذوا ياألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، انهم يكافحون انجلترا واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم فى الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإن الدنيا كلها من ورائكم (*) .

وها هو الجنرال ولسون وكان قائد بريطانيا فى بعض معارك فلسطين يشهد : « إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح » .

(*) جهاد شعب فلسطين ، ص ١٧٨ .

المبحث السادس

الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩
– حركة جهادية عارمة تنطلق من المساجد .
– شعب فلسطين بكافة فئاته يقاتل الإنجليز واليهود

- إضراب شامل لمدة ستة أشهر (إبريل حتى أكتوبر ١٩٣٦) يصيب الحياة بالشلل .
- حركة الشيخ عز الدين القسام[٢٣] امام مسجد حيفا كانت بمثابة الشرارة التى أحيت روح الجهاد الإسلامى على أرض فلسطين .
- الجهاد الإسلامى المسلح يقاوم جيوش بريطانيا التى كانت تقوم بتهويد فلسطين ، أسابيع طويلة ، رغم الحصار وقلة السلاح والجوع والفقر الذى أحدثه الاحتلال على أرض فلسطين .
- **لجنة عربية عليا من جميع الأحزاب الفلسطينية تتكون من : أمين الحسينى ، الفردروك ؛** حسين الخالدى ، ويعقوب الغصين ، وجمال الحسينى ، وعونى عبد الهادى ، وأحمد حلمى باشا ، وراغب النشاشيبى ، ويعقوب فراج ، وعبد اللطيف صلاح ومحمد عزة دروزة ، وفؤاد سابا باشا ، تنظم للاضراب والجهاد المسلح ، وتطالب بوقف الغزو اليهودى المسمى بالهجرة ، ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود ، وتشكيل حكومة وطنية .
- فشلت بريطانيا بقواتها فى إنهاء الاضراب وحركة الجهاد المسلح .
- بريطانيا تستعين بالحكام العرب لوقف هذه الانتفاضة ، وإجهاضها .
- أدرك شعب فلسطين ، أن بريطانيا تساندها أوروبا كلها جادة فى اغتصاب أرض فلسطين واستقدام اليهود وتسليمها لهم وأدركوا أن سياسة المؤتمرات والوعود لن تجدى

---

(٢٣) التى أعلنت فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٥ ، ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها فى الكفاح الفلسطينى ، عونى العبيدى ، مكتبة المنار .

سبيلا وأن أفضل أسلوب هو المقاومة المسلحة التى رفع لواءها الشيخ عز الدين القسام .

- العلماء يستغيثون بالملوك والرؤساء العرب .

الحسينى ينادى .. إننى أطالب العالم العربى والإسلامى أن يدرك فلسطين قبل أن تصبح أندلسًا ثانية ، ولكن لا حياة لمن تنادى !![٢٤] .

« وحينما جاء اليوم العشرون من إبريل كان الإضراب يعم فلسطين كلها ، لكنه لم يكن إضرابا جزئيا ولا محدودًا ، بل كان عاما شاملاً مؤثرًا مستمرًا ، وكان إضرابًا وحيدًا فى نوعه لم يعرف له مثيل فى التاريخ ابتدأ فى إبريل واستمر ستة أشهر حتى اكتوبر سنة ١٩٣٦[٢٥] » .

« وتشكلت اللجنة العربية العليا[٢٦] من جميع الأحزاب الفلسطينية التى أجمعت على ضرورة مقاومة السياسة البريطانية مقاومة عملية جهادية » .

« وتجاوب الشعب الفلسطينى مع نداءات اللجنة ، وقراراتها وأضرب طلاب المدارس والمحامون وأغلقت الغرف التجارية فى القدس وحيفا ويافا ونابلس ، وجميع أرجاء فلسطين ، وامتنع عن العمل رؤساء المدن، والمناطق ومديرو البلديات ، وأغلق المجلس الإسلامى دوائره العديدة ، وامتنع السجناء العرب عن العمل التى اعتادت السلطة تكليفهم به ، وأصر رجال البوليس العربى فى طولكرم ويافا والقدس على الإضراب وأعلن الأطباء العرب أنهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الإضراب ، وشاركت المرأة بجهودها ، أضرب سائقو السيارات والموظفون ، وأغلقت المتاجر الكبيرة ، والصغيرة ، وامتنع

---

(٢٤) جهاد شعب فلسطين ص .

(٢٥) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨١ ، تراجع مجموع الصحف العربية لهذه الفترة بدار الكتب المصرية وخاصة الأهرام فبراير ١٩٣٦ .

(٢٦) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨٤ ؛ فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، وهى الآن قد أصبحت أندلسا ثانية ، رحم الله الحسينى ، وسامح الله أبناء الأمة العربية المسكينة ولعنة الله على انكلترا واليهود وأمريكا وروسيا ، وكل من أعانوا فى اغتصاب أرض الإسراء والمعراج وتسليمها لليهود .

القرويون عن إنزال محصولاتهم إلى الأسواق ، وأغلق بائعو الخضروات متاجرهم ، ولم تبق إلا الصيدليات ، والأفران ، توزّع الخبز تحت إرشاد زعماء الإضراب »(٥).

« وفى مطلع شهر مايو بدأ الجهاد المسلح على أرض فلسطين ضد بريطانيا ، وعملائها اليهود ، وقد أخذ ذلك الجهاد الصور التالية :

- إثارة الرأى العام ومطالبته بالامتناع عن دفع الضرائب .
- عقد المؤتمرات لتنبيه الأمة إلى الخطر الذى يحيق بفلسطين .. مثال ذلك المؤتمر العام الذى عقد بالقدس فى ٧ مايو ١٩٣٦ ، وقد أعلن فيه أمين الحسينى ، رئيس لجنة الإضراب المؤتلفة أن العرب لم يعودوا ، يثقون فى وعود بريطانيا ، وأهاب بالأمة أن تثبت إلى النهاية مستعرضا أحداث فلسطين وعهود بريطانيا التى لا عهد لها ، وطالب العالم العربى والإسلامى أن يدركوا فلسطين قبل أن تصبح أندلسًا ثانية .

وعلى طلقات الرصاص ودوى القنابل وأنين الجرحى وسلاسل المعتقلين أصدر الحزب الوطنى الفلسطينى منشوره التالى :

« أيها الشعب الباسل ، باسم الحزب الوطنى ، نوجه إليك هذا النداء ، فقد رأينا أن نغير أساليب كفاحنا قبل أن نطلب إلى الإنجليز تغيير سياستهم ، ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الآن كفاح عملى شريف ، هم الأصل فى قضيتنا ، واليهود فرع هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء أبنائنا دفاعا عن هذه الحركة الآثمة »(٢٧) . وواصل شعب فلسطين جهاده لأعدائه وقد تمثل ذلك فى :

- إشعال الحرائق فى مخازن البضائع(٢٨) ، والسيارات اليهودية والإنجليزية ، وإلقاء القنابل على مراكز الشرطة ، وإلقاء القنابل على القرى والتجمعات العسكرية اليهودية والإنجليزية التى اغتصبت أرض فلسطين وتعمل على إبادة شعبها .
- تحطيم أنابيب المياه التى تسقى القدس . ونسف الجسور بين المدن المختلفة .
- قطع الأسلاك التليفونية فى مدن فلسطين .

---

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٢٧) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨٩ .

(٢٨) نفس المرجع ، صفحة ١٨٣ ؛ جريدة الأهرام مايو ١٩٣٦ .

– قطع أسلاك الإذاعة فى القدس .
– مهاجمة المستعمرات اليهودية وتجمعات قوات الاحتلال الإنجليزى .
– نسف الخط الحديدى بين القدس واللدّ ويافا .

وتحت الضربات الفلسطينية الشجاعة اضطر اليهود إلى هجر مستعمراتهم إلى مدينة القدس؛ وقد نشرت برقيات الصحف فى الرابع من يونيو أن مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين إليها من المستعمرات اليهودية ، وأصبح أمر إعاشتهم عسيرًا جدًا .

« وهكذا انقضى شهر مايو سنة ١٩٣٦ وفلسطين العربية كلها ثائرة مجاهدة ، تجاهد بريطانيا بجيوشها وأساطيلها وطائراتها ، ويكافحون معها الصليبية الاستعمارية ، متمثلة فى فرنسا وأمريكا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا واليونان ، وكلها دول سارعت إلى تأييد وعد بالفور ، والعمل على تهويد فلسطين ؛ وتكافح أيضا الصهيونية العالمية التى سيطرت على دول أوروبا وأمريكا ودوائر المال فسيَّرتها[٢٩] لمصالحها ، وأصبحت صاحبة الحول والطول لدى أحزابها ورجالها » .

واتخذت بريطانيا مزيدًا من الاجراءات التعسفية لكسر حركة الجهاد الإسلامى على أرض فلسطين من ذلك :
١ – الاعتقالات الجماعية[٣٠] .
٢ – تكرار الإنذارات لشعب فلسطين بأنهم سيقمعون الاضطرابات بعنف وشدة .
٣ – تحميل القرى بالنفقات الباهظة للقوات البريطانية التى تتصدى[٣١] لمقاومة حركة الجهاد الفلسطينى .

---

(٢٩) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨٨ .

(٣٠) وارتكب الانجليز فى هذه الفترة من الجرائم الوحشية ما يندى له الجبين فدمروا المنازل ، واحرقوا القرى ، وتركوا المدن نهبًا مباحًا لجنودهم ، وأخذوا يسوقون الناس جماعات لأعواد المشانق ، ويفرضون أقصى العقوبات على من يشتركون فى الثورة بطريق مباشر أو غير مباشر ، حتى أنهم كانوا يحكمون بالاعدام على كل من توجد فى حوزته طلقة ذخيرة فارغة ! الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ٢٣ .

(٣١) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨٨ ، مجموعة اللوائح والقوانين الفلسطينية بمكتبة الجامعة الأمريكية بيروت ، تحت رقم ٥٦٩ – ٣٤٩، محاضرات فى تاريخ فلسطين .

٤ – الاستعانة بقوات جديدة من قوات الاحتلال الانجليزى فى مصر ، بل والاستعانة بسلاح الطيران لضرب تجمعات الفلسطينيين .
٥ – فرض حظر التجول فى المدن والقرى ، ومحاصرة المساجد .
٦ – إعلان قانون الطوارىء (الأحكام العرفية) الذى جاء رهيبا عنيفا ، والذى أعطى للحكومة حق إنزال العقوبات الصارمة لمن تقتنع أنه مخل بالأمن ، وأن للسلطة أن تضع يدها على أى منزل أو بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة أو مواد متفجرة قد أطلقت منه ، وللمندوب البريطانى أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما شاء .
– إلقاء المنشورات على المجاهدين فى محاولة للتغرير بهم لإلقاء السلاح .
– هدم القرى وأحياء كثيرة من المدن .

وفى الثانى والعشرين من يونيو ، أعلنت السلطات الإنجليزية عن نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب ، وقد اشتركت فيها الدبابات والطيارات البريطانية على خط طوله عشرون كيلو مترًا ، وقد عَزَّزت القوات البريطانية أثناء المعركة بنجدات من فرقة السيفورت ، مع عدد من الدبابات والطيارات ، وقد انقسم الثوار إلى فريقين أحدهما تَحصَّن فى جهة الشمال واحتشد القسم الأكبر فى الجنوب ، وقد استؤنفت المعركة بشدة فى مَيدان ازداد طوله إلى ثلاثين كيلو مترًا ، وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية كما هاجموا حاميات القطار »[٣٢] .

« وجن جنون المندوب البريطانى فأصدر أمره بإبعاد أمين سر اللجنة العربية العليا إلى الحفير ثم أمر بإبعاد رئيس لجنة إضراب السيارات ، ثم أمر بإبعاد رئيس بلدية يافا . واستمر المندوب ينزل جام غضبه على شعب فلسطين العربى حتى شرد من كل بيت عددا ، وأبعد من كل أسرة قسما ، وكانت بريطانيا قد أعدت لذلك الأمر تشريعها المشهور « قانون منع الجرائم » الصادر فى ٢٢ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٣ والذى نثبت هنا بعضا من مواده تسجيلاً لأساليب بريطانيا فى تهويد فلسطين .
المادة ٥ فقرة ٤ ب ...

« ليس من الضرورى فى الاجراءات التى تتخذ بموجب هذا القانون إثبات أن المتهم ارتكب فعلا معينا أو أفعالاً معينة من شأنها أن تظهر غايته ، أو تنم عن نيته ، أو أخلاقه

(٣٢) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٩٣ .

ويجوز إصدار قرار بحقه ليستمر الاعتقال أو التعهد أو اطلاق السراح إذا ثبت لحاكم اللواء أو لرئيس المحكمة المركزية من ظروف القضية أو من أخلاقه المعروفة وجوب إصدار قرار بحقه[٣٣] » .

ويحظر على من طبق عليه هذا القانون أن :

١ - ينتقل من مكان إقامته إلى أى قضاء أو مدينة أو قرية أخرى .

٢ - أن ينقل مكان إقامته إلى أية منطقة بوليس أخرى .

٣ - أن يغادر القضاء أو المدينة أو القرية ويجب عليه :

- أن يعلم مدير بوليس اللواء الذى يقيم فيه عن حركته أو مسكنه .
- أن يحضر إلى أقرب مركز بوليس كلما كلف بذلك » .
- أن يبقى داخل مسكنه من غروب الشمس إلى شروقها وللبوليس أن يزوره فى مسكنه فى أى وقت يشاء ، وكل مخالف يعاقب بالحبس أو الغرامة .

تعليق :

هكذا فعلت صديقتكم الوفية بريطانيا العظمى ياعرب ، انها تعامل أصحاب البلاد الأصليين على أنهم مجرمون خارجون على النظام ، تطبق عليهم من القوانين ، ما يطبق على القتلة وسفاكى الدماء وجريمتهم أنهم يدافعون عن ديارهم وأموالهم وأعراضهم .

إن الباحث فى تلك المعارك التى دارت بين مجاهدين لا يملكون سوى إيمان بالله عز وجل ، فى مواجهة أعتى القوى اليهودية والصليبية ، يرى صورًا من الشجاعة والبطولة لا تنسى .

« وإن ننسى ، فلن ننسى أحد شهداء هذه المعركة وهو **الشيخ قاسم محمد الشايب** من علماء الإسلام الذى استشهد يوم بلعا ، لم يوجد بين ثيابه إلا مصحفا كريما ، ١٢ مليمًا لا غير ، كان هذا كل رأس ماله[٣٤] » .

---

(٣٣) نفس المرجع ص ١٩٣ .

(٣٤) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٠٣ ، مجموعة المناشير والقوانين الفلسطينية الجامعة الأمريكية ببيروت ، رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ .

« وهذه امرأة قروية تقف إلى جانب جثث الشهداء ، فتشير بيدها إلى إحدى الجثث « أنه يشبه ابنى » ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهى تزغرد فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها .

وحين تدهور القطار بين كفر جنس ومحطة اللد ، كان الفاعل الشهيد **حافظ صقر** واقفا أمام القطار المتدهور يشاهده ، فأطلق عليه جندى النار ، فأصابه إصابة قاتلة » (٣٥) .

وبينما كان العالم المسلم عبدالحفيظ أبو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند ، واشتبك معها فى معركة ، فلما سدد بندقيته إليهم لم ينطلق رصاصها الفاسد فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين .

« لقد شهدت أرض فلسطين معارك خالدة مازال شعب فلسطين يؤرخ بها عديدًا من الأحداث وهى معارك يجب أن تخشع النفوس لذكراها ، فقد كانت تدور بين شعب لا يكاد يتسلح إلا بجهد قليل وبين جيوش الامبراطورية الانجليزية المدربة ، والمدعومة من دول أوربا .

بل إن هذه الحركة الجهادية قد أرغمت بريطانيا إلى إلغاء مناورات جيشها التقليدية بالقرب من لندن ، ووجهتها لفلسطين بقيادة الجنرال « جون ديل » ولكن ذلك كله لم يفت فى عضد المجاهدين ولم يوقف جهادهم ، والدليل على ذلك :

معركة بلعا(٣٦) :

« فى الثالث من سبتمبر ١٩٣٦ صدرت الأوامر الانجليزية لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند ، وطلب منها أن ترابط على الطريق بين طولكرم

---

(٣٥) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٠٤ ، وما بعدها هنالك معارك لابد من دراستها وتحليل أحداثها وإبرازها لتكون زاداً للحركة الجهادية ضد أعداء الإسلام ، مثل معركة ترشيحا ومعركة جبع ومعركة بيت جبرين (شمال غرب نابلس) ومعركة الخضر التى جرح فيها عبدالقادر الحسينى واستشهد فيها البطل السورى القائد سعيد العاصى ، ومعركة كفر صور التى اشتركت فيها عشر دبابات ، غنم الثوار واحدة منها فى جبل طولكرم ، ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية ، فهذا فلسطينى يطلق النار على مساعد مدير الشرطة فى حيفا (جهاد شعب فلسطين صفحة ١٩٩ - ٢٠٤) .

(٣٦) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٩٩ ، انظر أخبار المزيد من المعارك ، صفحة ٢٠٠ وما بعدها نفس المرجع .

ونابلس ، للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية ، وعلمت بهذا قيادة المجاهدين ، من مخبريها الذين يعملون داخل صفوف العدو ، فبثت الألغام فى طريق السيارات ، وحين نزل الجند مفزوعين من الانفجارات ، أطلق المجاهدون رصاصهم وابتدأت معركة كبرى ، وكان المجاهدون يرابطون على جبلين متقابلين ، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الأشجار وخلف الدبابات » .

« ووصلت أثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس ، وأصبح عدد الجند يقارب خمسة آلاف جندى ، واشتركت خمس عشرة طائرة فى المعركة ، واستعمل الجيش البريطانى مدافع الميدان ، فحطم صخور الجبال وعصف بثمار الأشجار ، وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين ، واستمرت هذه المعركة يومًا كاملاً من الصباح حتى غروب الشمس ، وأسقطت منها طائرتان للعدو ، وأحرقت اثنتان ، واستشهد عشرة من المجاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام ، وكانت خسائر الإنجليز كبيرة » .

توقفت الحياة على الأرض المغتصبة ، وعجزت بريطانيا تحت ضغط التهديد والوعيد عن إيقاف حركة الجهاد وإنهاء الاضراب الشامل ، ولهذا لجأت بريطانيا إلى أسلوب الخداع والترغيب :

١ - طلبت من نورى السعيد رئيس وزراء العراق محاولة تهدئة المجاهدين فلم تفلح .
٢ - حاولت الإيقاع بين المسلمين والمسيحيين ، وأسندت إلى عدد كبير من المسيحيين مناصب استحدثتها للغرض المذكور .
٣ - تأليف لجنة من البرلمان البريطانى برئاسة المدعو ونترتون ادعت صداقة العرب والدفاع عنهم بقصد تضليلهم وتهدئة جهادهم -كما هو واقع الآن- واقناعهم ألّا يقطعوا آمالهم فى الإنجليز(٣٧) .
٤ - أعلنت فى ١٨ مايو أنها سوف ترسل لجنة ملكية لبحث أسباب الثورة ، وكأنها لا تدرى سببا .

---

(٣٧) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ١٨٩ .

(٣٨) نفس المرجع صفحة ٢٠٤ وما بعدها ، جريدة الأهرام ٢ يوليو سنة ١٩٣٦ .

الفصـــل الثـــانى

المبحث الأول

بريطانيا تستنجد بالملوك والأمراء العرب لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية الكبرى

- صديقة العرب !! الحكومة البريطانية، تصف جهاد الشعب الفلسطينى، ضد اللذين يريدون غصب مقدساته وأعراضه ودياره بأنه « تكدير لصفو السلام فى فلسطين »[1] وهكذا يختل المعيار ويصبح جهاد صاحب الحق لاستخلاص حقه ، إقلاقًا لراحة المغتصب .
- بريطانيا .. « صاحبة الرغبة المعلنة لتحقيق العدل » !! تستنجد بالملوك والأمراء العرب ، لإجهاض الجهاد الفلسطينى .
- الرؤساء والملوك يتجاوبون ..
- بريطانيا تلجأ إلى سياسة التسويف والمماطلة لتمرير المخطط ولاغتصاب فلسطين ، وتشكل اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق ..

أى تحقيق ياأعداء الأمة الإسلامية ؟ شعب اغتصبت دياره وانتهكت حرماته ، ويتم أطفاله ، وأيم نساؤه ، يحتاج إلى تحقيق ؟؟

- الفلسطينيون يقاطعون اللجنة ، ثم يتصلون بها تحت ضغط إخوان العروبة الذين قالوا لهم : « نظرًا لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية فى إنصاف العرب ، فقد رأينا من المصلحة الاتصال باللجنة الملكية[2] ..

مبارك حسن نية الحكومة البريطانية !! ياعرب !!

---

(١) نفس المرجع صفحة ٢٠٤ وما بعدها ، جريدة الأهرام ٢ يوليو سنة ١٩٣٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢١١ .

وفى الأسبوع الثانى من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٦ أذيعت نداءات ثلاثة بتوقيع بعض حكام العرب منهم الملك غازى الأول ملك العراق ، والأمير عبد الله أمير شرق الأردن ، وجاء النداء على النحو التالى :
القدس - بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا :

« لقد تألمنا كثيرًا للحالة السائدة فى فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ، ندعوكم للإخلاد إلى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل .

وثقوا أننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم »[٣] .

وتوقفت الحركة الجهادية العارمة على أرض فلسطين استجابة لنداء بعض حكام العرب ، وانتظارًا للتحقيق الذى ستجريه بريطانيا صديقة العرب !!

تعليــق :

أبشروا ياعرب .. أبشروا يامسلمون .. الأنظمة العربية الحاكمة ، قد تألمت لما يجرى على أرض فلسطين ، وبناء على هذا الألم الذى أحست به ، يطلبون من المجاهدين الفلسطينيين الإخلاد إلى السكينة ، وحقن الدماء ، وبالطبع دماؤهم ودماء الصليبيين واليهود .. والسبب اعتمادًا على حسن نوايا صديقتكم الحكومة البريطانية .

هذه هى قصة إجهاض جهاد الشعب الفلسطينى لليهود والإنجليز عام ١٩٣٦ كما رواها صالح مسعود أبو بصير فى كتابه وهى تؤكد جملة نقاط :

أولاً : إن بريطانيا ضليعة فى التآمر على العالم العربى الإسلامى ، وهى التى قامت بغرس وحماية الكيان اليهودى فى أرض فلسطين ، وهى كذلك لازالت حريصة على استمرار هذا الكيان العدوانى ودعمه[٤] .

---

(٣) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٠٨ ؛ محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين ، صفحة ٨٦ ، الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، ص ٢٣ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ثانيــًا : حسن النية المفرط تجاه بريطانيا – الذى كان عليه حكام العرب ، وما كان لهم أن يكونوا كذلك ، لأن الله علمنا : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** ﴾ .

ثالثًا : **إن توقف حركة الجهاد كانت خسارة للشعب الفلسطينى ، لأنها أعطت فرصة للأعداء للتنكيل بقادة الجهاد وتصفية بعض قواعد المقاومة(٥) .**

رابعًا : **كان من الواجب على الحكام العرب ، وقد تبين لهم هدف بريطانيا من اغتصاب فلسطين وتسليمها لليهود ، وتصفية المقاومة الفلسطينية ، أن يخطوا خطوات إيجابية فيحيوا روح الجهاد الإسلامى لتحرير فلسطين وغيرها من ديار الإسلام ، على اعتبار أن تحرير فلسطين مسئولية العالم الإسلامى ، وفريضة فى رقبته .**

خامسًا : **كان من الواجب قطع العلاقات الدبلوماسية والثقافية والاقتصادية وغيرها مع** دول العالم التى تدعم العدوان الإنجليزى اليهودى على أرض فلسطين ومنهم أمريكا وروسيا وفرنسا ..

---

(٥) توقف الانتفاضة لمدة أربعة أشهر تلبية لرجاء الإخوان العرب وأثناءها كان عشرة آلاف يهودى بولنديين يستعدون للسفر إلى فلسطين لدعم الكيان اليهودى وكانت قوات الاحتلال البريطانى تسعى إلى تفتيت وحدة صف المقاومة وإجهاضها ، وحينما أدرك الفلسطينيون الخدعة ، واصلوا جهادهم لعدوهم فى عام ١٩٣٧ .

المبحث الثانى
بريطانيا تجهض الانتفاضة الفلسطينية عبر لجان التحقيق

مثال (١) لجنة بيل الملكية :

وصلت لجنة بيل الملكية للتحقيق والبحث عن الحقيقة على أرض فلسطين ، وأعد تقريرًا ، نشر فى ٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٣٧ ، ينادى بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وفرض انتداب على منطقة القدس ، وضم القسم العربى إلى إمارة شرق الأردن[٦] .

الإنجليز واليهود ينتهزون فرصة توقف الجهاد على أرض فلسطين ، لإجهاض قوة المجاهدين ، ودعم قوات العدوان اليهودى والإنجليزى ومن ذلك :

- تنفيذ حكم الإعدام فى بعض الشبان العرب .
- تسلط الضباط وحكام الألوية على الشعب العربى يسومونهم سوء العذاب (سجن – نفى – تعذيب) من هؤلاء المجرمين حاكم لواء الجليل « أندروز » الذى كان يحمى اليهود ويشجعهم على تملك الأراضى وسلبها من العرب .
- تطبيق قانون الطوارىء على الشعب الفلسطينى .. مثال « إصدار أمر بتجديد سجن (اعتقال) جماعة الشهيد عز الدين القسام عاما جديدًا بعد انتهاء مدة الحكم القضائى الأصلى .

---

(٦) جهاد شعب فلسطين ، ص ٢١٦ ، تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، مطبعة دير الروم القدس ١٩٣٧ ، وهكذا نلمح التواطؤ بين اليهود وبريطانيا ، وكيف أن تشكيل اللجان للتحقيق كانت وسيلة من وسائل تخدير الشعب الفلسطينى وإخماد روح الجهاد به ريثما يتم استكمال تنفيذ المخططات ومشروع التقسيم الذى يجعل لليهود جزءًا من أرض فلسطين كخطوة مرحلية نحو التهام فلسطين كلها وأجزاء من البلاد العربية المجاورة والدليل رفض اليهود لفكرة التقسيم فى حينه – فى مذكرات وايزمان التى ذكرت ذلك وما نلمحه فى إصرار اليهود ونحن فى عام ١٩٩١ على التمسك بكل شبر اغتصبته من ديار العرب المسلمين .. أين صديقتكم بريطانيا ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ؟ « ياعرب » عرفتم من الذى وجه الطعنة النجلاء إلى قلب الوطن العربى الإسلامى » ، وأنكم كنتم مخدوعين فى أعداء الإسلام والمسلمين ، وأنكم كنتم مخطئين حينما وثقتم فيهم وأعطيتموهم ولاءكم ، ألم يكن من الأولى بكم أن تستجيبوا لداعى الجهاد ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم ﴾ ، ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ .

وردّ الشعب الفلسطينى على وحشية الإنجليز واليهود : « مصرع أندروز » وحليم بسطا وموفات .

فكان الجزاء من جنس العمل ، ففى السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٣٧ وبينما كان أندروز خارجا من الكنيسة الانجليكية فى الناصرة قتله المجاهدون الفلسطينيون ، وكان المجاهدون قبل ذلك قد وجهوا ، كما يقول صالح مسعود أبو يصير (تحذيرًا) إلى ضُبَّاط الشرطة الذين وجدوا فى رحاب بريطانيا منطلقا لوحشيتهم ضد الوطنيين ، والمعتقلين والأبطال الذين يؤسرون فى المعارك ، وفى أوائل عام ١٩٣٧ أطلق الرصاص على حليم بسطا ، وكان بسطا هذا قد دخل فلسطين فى حملة الإنجليز الأولى بقيادة اللنبى ثم أخلص فى خدمتهم ، حتى أصبح مساعدًا لمدير الشرطة وكثيرًا ما أنذره المجاهدون دون جدوى ، طالبين إليه أن يكف عن إيذائهم وعن شدته مع العرب ، ومع ذلك لم يرعو هذا الضابط مِمَّا اضطر المجاهدين إلى ملاحقته(٧) وقتله .

وبينما كان المدعو « موفات » حاكم جنين قد أحاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مَقّره بعد أن تلقّى إنذارًا من الثوار كان هذا نصه : « من القائد الصغير يوسف أبو دره إلى مستر موفات » :

«إذالم تحسن سلوكك مع الأهالى خلال ثمانية أيام .. فسأقتلك » ولكن مستر موفات ركب رأسه واستمر شرًا على عرب فلسطين ، بينما نقل سكنه إلى معسكر الجيش البريطانى خارج جنين ، واشتدت حراسته بالمصفحات ، ولم يبق أى احتمال لإمكان الاعتداء عليه ولكن القائد الصغير أبو درّة كان صادقًا فى وعيده ، فبعد ثمانية أيام تماما أرسل إليه اثنين من المجاهدين تسلق أحدهما أنابيب المياه حتى وصل الدور الذى به مكتب موفات ؛ فوجّه انذارًا إلى سكرتيره العربى رأفت الدرهللى ، واجتاز غرفة الحاكم البريطانى وأفرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه ، واستمر يطلق الرصاص دون أن يحفل أو يخاف تاركا المكان بينما أخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتغطية الانسحاب .

- عجز بريطانيا عن التصدى لهجمات المجاهدين الفلسطينيين ، رغم أنها استجلبت قوات جديدة من قوات الاحتلال المرابطة فى مصر وعينت الماجور جنرال وايفل قائدًا عسكريًا جديدًا فى فلسطين(٧).

---

(٧) جهاد شعب فلسطين ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، جريدة الأهرام ٢٤ أغسطس ١٩٣٧ .

• اللجوء إلى الحيلة والخديعة : خطاب من وزير المستعمرات البريطانى (ديسمبر ١٩٣٧) إلى المندوب البريطانى فى فلسطين يعلن فيه سحب مشروع التقسيم .

• حركة الجهاد تزداد اشتعالاً فى عام ١٩٣٨[٨] .

صفحات من تاريخ هذا الجهاد يجب على الأمة التعرف عليها لتكون لها زادًا فى جهادها ضد أعدائها وأعداء الإنسانية .

ولما عجزت بريطانيا عن إخماد شعلة الجهاد الفلسطينى والاستمرار فى تهويد فلسطين لجأت إلى الخديعة وأسلوب المماطلة وتشكيل اللجان :

مثال ٢ : لجنة جون ودهيد[٩] فى ٢٧ إبريل (نيسان) ١٩٣٨ :

– العرب يستقبلون اللجنة بالإضراب العام .

– منشور من اللجنة العربية العليا « ليس فى الوطن العربى أقسام للمنح ، فمن شاء فليهب من ماله ومن أراد فليمنح من ملكه الخاص » .. وقاطع العرب لجنة جون وود هيد مقاطعة تامة فعادت من حيث أتت ورفعت تقريرًا ذكرت فى نهايته :

« إن تنفيذ هذا القسم ، الذى نوصى به سوف يقابل بثورة عربية ، وسوف لا يمكن إخمادها ؛ إلا بقوة تفوق قوتهم ، أما عدد تلك القوات اللازمة لهذا الأمر ، وأما المدة التى ستصرف فى إخمادها ، وأما النفقات التى ستبذل ، والخسائر التى تلحق بالبلاد ، والعدد والأرواح التى ستزهق وتعداد ما ستخلفه هذه الأعمال من شعور الكره للإنجليز واليهود ، فهى أسئلة لا تستطيع اللجنة أن تكلف نفسها عناء الإجابة عنها[١٠] .

• **بريطانيا تتراجع عن قرار تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ، وتعلن أنّها تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود فى سبيل إقامة السلام فى فلسطين ، وأنها فى سبيل ذلك سوف توجه فورًا دعوة إلى الدول العربية وإلى الوكالة اليهودية وإلى عرب فلسطين لعقد اجتماع فى لندن[١١] حول السياسة الخاصة بفلسطين » .**

---

(٨) نفس المرجع ص ٢٣٦ .

(٩) جهاد شعب فلسطين صفحة ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(١٠) جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، ص ٢٤٧ ؛ حبال من رمل ، ايفلاند ، ص ٥٦ .

(١١) نفس المرجع : ص ٢٥٠ .

- بريطانيا تحتفظ بحق رفض الزعماء الفلسطينيين المسئولين عن الانتفاضة[١٢] ، ومنعهم من تمثيل عرب فلسطين .
- بريطانيا تعد لمؤتمر المائدة المستديرة فى لندن .
- بيان لوزير المستعمرات فى مجلس العموم البريطانى (٦ اكتوبر ١٩٣٨) .
البيان يلقى الضوء على سياسة الدول الأوربية المعاصرة .
- البيان يزعم « أن اليهود كان لهم موطن فى فلسطين منذ ألفى سنة[١٣] وأنهم عادوا إليها استنادًا إلى صك الانتداب » .
- إن بريطانيا قد قامت بواجبها وفتحت الأبواب للهجرة اليهودية[١٤] إلى فلسطين ، وأنه قد وصل فلسطين حوالى ٢٥٠,٠٠٠ يهودى فى الفترة بين (١٩٢٢- ١٩٢٨) .
- وجود اليهود فى فلسطين هو حق لهم وليس مِنَّة .
- إن الشعب العربى يعيش فى فلسطين منذ قرون عديدة .
- وصف البيان جهاد الفلسطينيين وتصديهم لمخطط التهويد بالإرهاب .

« ثم أعلن عن الاجتماع الذى سوف يُدعى له العرب والحكومات المجاورة وشعب فلسطين وكذلك اليهود من جانب آخر ، ولكن الوزير البريطانى لا يذكر اليهود وحدهم ولكنه يقول : إن الحكومة بطبيعة الحال ستدخل المباحثات مرتبطة بالالتزامات

---

(١٢) نفس المرجع ، ص ٢٥١، ٢٥٢ .

(١٣) هذا هو منطق صديقتكم العجوز ياعرب ، وأصدقائكم الجدد أمريكا - واليهود ، من يدافعون عن ديارهم وأعراضهم وأموالهم إرهابيون !! من يريدون أن يتحرروا ويحرروا مقدساتهم ارهابيون !! والذين يغتصبون الديار والأعراض والأموال راغبون فى السلام !!

هنيئا لأصحاب هذا الفهم المعكوس ، وبعد ذلك تعطون ولاءكم لأعدائكم اليهود والشيوعيين والصليبيين ونسيتم قول الله: ﴿ لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .

(١٤) جهاد شعب فلسطين ، ص ٢٥٣ وهذا غير صحيح ، وإن كانت كتب التاريخ التى كتبها المستشرقون تذكر ذلك بعد أن زيفوا التاريخ وزعموا لليهود وجودا مزعومًا فى أرض الإسلام منذ ألفى سنة ، وقد بينا فساد ذلك فى كتابنا (الطريق إلى بيت المقدس ؛ ذرية إبراهيم والمسجد الأقصى ؛ ليس لليهود حق فى فلسطين ؛ للمؤلفين دار الوفاء للطباعة والنشر) .

المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب ونحو اليهود ونحو البرلمان ونحو الولايات المتحدة[١٥] الأمريكية .

مثال ٣ : مؤتمر المائدة المستديرة (لندن) عام ١٩٣٩ :
إجهاض الانتفاضة الفلسطينية وتمرير مخططات اليهود جرى عبر مؤتمر السلام الذى دعت إليه بريطانيا !!
إن لم تصدقوا فارجعوا إلى مراجع التاريخ واقرأوا عن مؤتمر المائدة المستديرة (لندن)

حينما تسلمت بريطانيا تقرير جون وودهيد سنة ١٩٣٨ تظاهرت بعدولها عن قرار التقسيم الذى اقترحته لجنة بيل سنة ١٩٣٧ ، ولم يكن ذلك لأنها أدركت خطأها ، ورأت العدول عن أطماعها .. وإنما السبب هو الصعوبات السياسية والادارية والمالية العظيمة التى ينطوى عليه اقتراح إنشاء دولة يهودية[١٦] .

ولهذه الأسباب تراجع الإنجليز عن فكرة التقسيم واقترحوا عقد اجتماع فى لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بما فيها الهجرة اليهودية ، وجاء فى ثنايا الاقتراح ، وإنّ بريطانيا لتحتفظ لنفسها بالنسبة لتمثيل عرب فلسطين[١٧] ، بحق رفض الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حَملة الاغتيال والعنف ، وإذ لم تنجح هذه المباحثات فسوف تعلن بريطانيا السياسة التى يجب اتباعها .

وهكذا يتضح لنا أن الإنجليز الذين أرغموا رئيس المجلس الإسلامى فى فلسطين وهو رئيس اللجنة العليا وعديدًا من رفاقه على الهجرة إلى سورية ولبنان .. الإنجليز الذين قاموا باعتقال ونفى أعضاء اللجنة العربية العليا إلى سيشل كانوا حريصين أن يبتعد هؤلاء عن شرف التمثيل لشعبهم ، فهم الثوار وهم القادة وهم الأعداء للمؤامرة اليهودية الأوربية ، كانوا حريصين على أن يمثل الشعب الفلسطينى ، الذين يبحثون عن أنصاف الحلول ، ولكن الشعب الفلسطينى كان يقظا ، وتحت ضغطه ، اضطرت بريطانيا إلى إطلاق سراح

---

(١٥) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٢٥٥ .

(١٧) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٥١ .

المعتقلين فى ديسمبر ١٩٣٨ وإعطاء الشعب الفلسطينى الحق فى اختيار ممثليه فى مؤتمر لندن .

وفى أعقاب الإفراج عن الزعماء الفلسطينيين وقبل انعقاد المؤتمر - كما بينّا ، أصدر وزير المستعمرات (الاقطار المحتلة) بيانا فى ١٦ اكتوبر تشرين الأول ١٩٣٨ فى مجلس العموم البريطانى يحدد فيه سياسة بريطانيا فى المؤتمر ، ولو وعت الحكومات العربية ما فيه ما كلفت نفسها مشقة التفكير فيه أو حضوره لأن بريطانيا دعت إلى هذا المؤتمر وهى مصممة على تهويد فلسطين ، استنادًا إلى صك الانتداب وإلى التفويض الصادر لها من مجلس الحلفاء الأعلى والذى وافقت على اصداره « عصابة الأمم » ، **وذلك يعنى أن المجتمع الدولى شريك فى الجريمة**[١٨] .

وعقد مؤتمر لندن فى السابع من فبراير « شباط » ١٩٣٩ وحضره عن الأنظمة العربية مصر والعراق وشرق الأردن واليمن والمملكة العربية السعودية وعن بريطانيا وفد برئاسة تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية .

تكلم رئيس الوفد الفلسطينى وندد بالمؤامرة اليهودية البريطانية وطالب باستقلال العرب والعدول عن إقامة الوطن اليهودى والغاء الانتداب ، ووقف هجرة اليهود إلى فلسطين .

وأسفرت مناقشات المؤتمر عن لعبة جديدة لتخدير حركة الشعوب العربية ريثما يتم تنفيذ الجريمة هذه اللعبة تتمثل فيما أعلنته بريطانيا :

« إنه ليس فى نيتها أن تقيم دولة عربية ولا دولة يهودية ، ولكنها عازمة على إعلان استقلال فلسطين[١٩] لجميع سكانها بعد عشر سنوات (أى عام ١٩٤٨) وعلى أن تستمر الهجرة اليهودية إلى فلسطين » بمعدل ٧٥ ألف للسنوات الخمس التالية .

---

(١٨) وهذا هو نفس الأسلوب الذى تنتهجه دول أوربا وأمريكا واليهود قبل وبعد أحداث الخليج عام ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، لا فارق بين أسلوب الأمس واليوم ، إلا أن قطاعا من الأمة العربية أصبح يردد ما يردده الأعداء .

(١٩) نفس المرجع ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

تعليــق :

لقد حاولت بريطانيا من خلال الدعوة إلى هذا المؤتمر تخدير حركة الشعب الفلسطيني الجهادية ، وتخدير الشعوب العربية ، بل انه أثناء انعقاد المؤتمر ، كانت القوات البريطانية تقاتل المجاهدين الفلسطينيين وتفتش القرى بحثا عن السلاح والمجاهدين وتهدم المباني وتنكل بالجموع الثائرة مثلما يفعل اليهود الآن ، ولكنها لم تفلح ، وواصلت الثورة الفلسطينية جهادها .

أمتنا .. انتبهى .. وأنت تدعين إلى مؤتمر للسلام بين اليهود وأمة الإسلام .. تذكرى مؤتمر لندن (فبراير ١٩٣٩) أنه وسيلة الأعداء لتخدير الأمة وتمرير المخطط .. أنه لن يعيد للأمة حقا مسلوبا ، لن يحرر الأرض التى بارك الله فيها للعالمين .. لن يؤدى ديات القتلى ولن يعيد الحياة إلى آباء وأمهات اليتامى .. أنه لن يعيد الابتسامة إلى الأرامل والأيامى .. تذكرى ذلك ياأمتنا أمة الغثاء وأنت تتصورين أن مؤتمرات السلام أو الأمم المتحدة أو الدول الأوروبية سوف تنهى العدوان الواقع على العالم الإسلامى ومنه أرض فلسطين .

الانتفاضة الفلسطينية تستأنف جهادها عام ١٩٣٩ :

وواصلت الحركة الجهادية نضالها ضد القراصنة الجدد الذين يتسترون بستار الشرعية الدولية ؛ القراصنة الذين اتخذوا من المنظمات الدولية مطية لتحقيق عدوانهم ، وإذا بصديقة العرب تتصدى لهم ، تقتل ، تعتقل ، تعذب ، ولهذا فإن المجاهدين قد أحالوا فلسطين جحيمًا تحت أقدام اليهود وحاميتهم بريطانيا ، وسقط الشهداء يروون شجرة الحرية بدمائهم ومن هؤلاء **عبدالرحيم الحاج محمد**[٢٠]، **ومحمد عيسى فراج، وأخيه عبدالغنى من أهالى الخليل .**

حركة الجهاد الفلسطيني تتوقف فى سبتمبر ١٩٣٩ ، ما هو السبب ؟؟

أولاً : المظالم البريطانية التى أنزلتها بريطانيا بالشعب الفلسطيني ، لم يعد هناك سكان قرية لم تفرض عليهم غرامات جماعية تحت طائل من قانون العقوبات المشتركة الذى

---

(٢٠) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٥٦ - ٢٥٨ .

كان يحتم فرض العقوبات والغرامات على سكان القرية أو الحى مهما بلغ عددهم ومهما كان الفاعل واحدًا (وهذا لازال يطبق فى الأراضى المحتلة بل انه يطبق فى بعض بلاد العالم اليوم) . إنّ هذه المظالم قد أنهكت قوة الشعب الفلسطينى خاصة أن الأنظمة العربية كانت تحول دون تلاحم بقية الشعوب مع الشعب الفلسطينى فى نضاله ضد اليهود والإنجليز[٢١] .

ثانيًا : تشريد القيادة الفلسطينية خارج الأرض المحتلة ، فقد كان المفتى رحمه الله لاجئا فى لبنان الواقعة تحت الاحتلال الفرنسى ، وكان يجب أن تدور حركته فى أضيق الحدود وإلا طاردته فرنسا[٢٢] .

ثالثًا : قيام الحرب العالمية وإحكام الرقابة على حدود العراق ، وإصابة الحركة الفلسطينية فى لبنان وسورية بالشلل نتيجة ضغط قوات الاحتلال الفرنسى ، فالحصار كان شديدًا والامكانيات ضعيفة ، والهجمة شرسة .

رابعًا: البيان الذى أعلنته بريطانيا فى أعقاب مؤتمر لندن ، فتح باب الأمل فى استقلال فلسطين بعد عشر سنوات[٢٣] .

وفى نفس الوقت كانت بريطانيا قد أشرفت على تكوين الجيش اليهودى المسلح ، ووضعت عددًا كبيرًا منه فى ورش الجيش البريطانى ، ومطاراته ، وثكناته ، ودربت أعدادًا كبيرة منهم وأشركتهم فى العمليات الحربية ، واعتمدت إنشاء بعض المصانع اليهودية لانتاج المتفجرات والذخائر وسائر الاحتياجات العسكرية .

وهكذا أصبح لليهود جيش رسمى عاد إلى فلسطين بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية بجميع أسلحته ومعداته ، بل لقد استجلبت بريطانيا الجنرال وينجيت البريطانى خبير حرب العصابات وكلفته بأن يدرب منظمة (الهاجانا) اليهودية على حرب العصابات .

---

(٢١) نفس المرجع ، ص ٢٥٩ – ٢٦٤ .

(٢٢) ص ٢٧٤ .

(٢٣) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٤٠٤ .

ارجع إلى التفاصيل ، جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٥٩ – ٢٧٤ واعداد الأهرام من بداية يناير وفبراير ومارس ومايو ١٩٣٩ ، لكى تدرك بطولة شعب استهان بالحياة وقدمها فى سبيل إسلامه المرجع السابق ٢٧٤ .



الفصـل الثـالث

بريطانيا تضع يدها في يد أمريكا لإتمام جريمة تهويد فلسطين

أولاً: حرص الحزبين الحاكمين فى بريطانيا (العمال والمحافظين) على تهويد فلسطين !!

أعلن الحزب .. « إن مؤتمر حزب العمال ، يعلن أنه لإزالة السبب الأساسى لآلام اليهود ، ولضمان بقائهم ونموهم الحر ، يجب أن يدعم النمو المطرد ، للوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، بالهجرة والاستيطان بمساعدة دولية ، ويجب أن يسمح للشعب اليهودى (أصبحوا شعبا) أن يستغل إلى الحد الأقصى مقدرة القطر الاقتصادى لاستيعاب المهاجرين ، تأكيده التقليدى لإنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، يُشدد على الالتزامات الخاصة المفروضة على بريطانيا بموجب تصريح بالفور والانتداب »(١) .

وفى مؤتمر عام ١٩٤٤ الذى عقد بلندن ، أصدر حزب العمال البريطانى قرارًا يطالب بإجلاء العرب عن فلسطين وإحلال اليهود محلهم :
« فليشجع العرب على الخروج ، بينما اليهود يدخلون ، إن للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم فيجب ألا يطالبوا بإخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتى تقل عن مساحة ويلز ، وبالحقيقة يجب علينا أن نعيد دراسة إمكانية توسيع حدود فلسطين الحالية ، بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن »(٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨ .

تعليــق :

كم مضى على هذا القرار يأمة العرب ؟؟ وقت طويل .. أربعون عاما ، ونفذ الجزء الأكبر من القرار ، وجارى تنفيذ الجزء الباقى من إبادة وطرد شعب فلسطين وإحلال اليهود محلهم .. وبدون مفاوضات توسعت قاعدة العدوان اليهودى ، وسلم لها الخونة الجولان السورية ، وضم القراصنة الضفة الشرقية لنهر الأردن ، ونُزع سلاح سيناء تمهيدًا لعدوان يحدد شركاء الجريمة زمانه وأسبابه !!(٣)

وماذا فعل أبناء العروبة ؟ مشغولون بالمهام العظام ، بالمطربين والمطربات وبطولات الكرة .. وهجوم السلام الذى ترنحت أمامه قوى اليهود !! سامحكم الله .. لو وجدتم من يأخذ على أيديكم لنجونا ونجت مقدساتنا ، ولكن تركتم وشأنكم ، ولذلك فإن المركب يغرق « وليس لها من دون الله كاشفة » .

ثانياً : تعاون بريطانى أمريكى فى عهد ترومان لاستكمال خطة تهويد فلسطين :

أ) وحينما وصل حزب العمل البريطانى إلى الحكم عام ١٩٤٥ ، سعى لدى أمريكا فى عهد رئيسها « ترومان » إلى تشكيل لجنة انجليزية أمريكية ظاهرها إيجاد حل للقضية الفلسطينية ، وباطنها دراسة على الواقع ، لما تم تنفيذه من خطة التهويد وما تبقى منها والعقبات وكيفية التغلب عليها ، مع معرفة اتجاهات الرأى العام فى العالم العربى والإسلامى تجاه خطة التهويد(٤).

---

(٣) ولعلنا قرأنا تصريحات موشيه باركوخيا نائب رئيس أركان حرب الجيش اليهودي فى جريدة الأهرام والجمهورية بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٣ التى توعد فيها الدول العربية ومنها مصر وزعم أن اليهود سيعبرون قناة السويس ولن يقفوا (أى اليهود) عند حدود ١٩٦٧ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٨٨ .

تعليـــق :

يبدو أن الصهيونية العالمية لم تكن مطمئنة تماما إلى قيام بريطانيا بمهمة تهويد فلسطين ، حتى يتم إعلان قيام الدولة اليهودية بعد خمسين عام من قرارات مؤتمر بال الذى عقد عام ١٨٩٧ ، ولهذا فقد رأت ضرورة إشراك أمريكا مع بريطانيا لمتابعة تحقيق الهدف فى موعده المقرر ، ولهذا شكلت اللجنة لتقويم ما تم إنجازه ، وتحديد الخطوات المتبقية لإتمام عملية التهويد .

كل ذلك يحدث وهجرة اليهود مستمرة إلى فلسطين بمعدل ثابت ومستمر ..

« لقد تحولت فلسطين بعد تقرير اللجنة الإنجليزية الأمريكية إلى شعلة من النيران ، ولكن بين كفتين غير متوازنتين. فالعرب الفلسطينيون يجاهدون وحدهم فى الميدان ، لا سند لهم إلا جهودهم الذاتية، حيث الأمة العربية ممزقة الأوصال ، مغلوبة على أمرها ، يحكمها حكام يدينون بالولاء للمستعمر أكثر مما يدينون لإسلامهم وعروبتهم. أما اليهود فوراءهم ثروات اليهود فى كل بقاع الأرض ووراءهم أمريكا وأوربا تمدهم بالمال وتسندهم بالنفوذ ثم حكومة فلسطين البريطانية مهمتها سن القوانين التى تسهل لليهود تحقيق أغراضهم أمام العرب وجنود الجيش البريطانى يهاجمون العرب فى الليل والنهار ويقتلون المجاهدين ويحمون اعتداء اليهود وإجرامهم » .

ب) ميلاد هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن :

مؤامرة يهودية أوربية تتمخض عنها الحرب العالمية الثانية ، تهدف إلى تأكيد هيمنة الدول الكبرى على الدول الصغرى ، طبقا للمبدأ السياسى الذى أقرته الدول الاستعمارية : « الدول الكبرى لها الحق فى التهام الدول الصغرى » « وأن الشعوب الصغيرة يجب أن تفنى أمام الدول الكبرى » ، وأيضا الملك المباح Res Nullus[٥] .

---

(٥) الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ص ١٠٢٩ .

ج) « مؤتمر أمريكى انجليزى روسى فى يالتا » ١١ فبراير ١٩٤٥ :

بتاريخ ١١ فبراير ١٩٤٥ اجتمع روزفلت (رئيس أمريكا) وستالين (رئيس روسيا) ، وتشرشل (رئيس وزراء بريطانيا) فى يالتا واتفقوا على اقتسام مناطق النفوذ فى العالم .

وتمخض الاجتماع عن تشكيل هيئة الأمم المتحدة تضم كل الأنظمة الحاكمة فى العالم على أن تكون السيطرة الفعلية عليها فى يد دول خمس من أعضاء هذه المنظمة ، الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة (بريطانيا) وفرنسا والصين ، بمعنى أن إرادة أى شعب من شعوب الأرض كما تمثلها هيئة الأمم المتحدة ، وهيئتهم التنفيذية التى يعبر عنها مجلس الأمن ، غير نافذة ، إلا إذا وافقت عليها خمس دول مجتمعة على رأسها أمريكا .

وهكذا أصبحت إرادة الدول الاستعمارية المتآمرة الجائرة الظالمة تعلو فوق إرادة أمم الأرض جميعًا[٦] .

---

(٦) لقد وافقت أغلبية كاسحة من الجمعية العامة على إدانة الصهيونية بأنها عنصرية ، بما يعنى أن دولتها غير مشروعة ، كما وافقت على قرار بإسقاط العضوية عنها ، ومع ذلك بقيت برغم إرادة أغلب دول العالم ، لأن الولايات المتحدة ناهضت هذه الإرادة، ومن الأمثلة القريبة منا اعتراض الولايات المتحدة على ما كان يتضمنه مشروع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر على أن حرب ١٩٦٧ من عودة القوات المتحاربة إلى المواقع التى كانت بها قبل ٥ يونيه ١٩٦٧ أى انسحاب إسرائيل وهو نص تقليدى فى كل قرارات مجلس الأمن المتضمنة إيقاف إطلاق النار . ولكن الولايات المتحدة الأمريكية اعترضت على الانسحاب فتوقف القتال وبقيت سيناء وباقى الأرض العربية ، مرتهنة وتحت أيدى الصهاينة ، ومنذ ذلك لم تتوقف الحروب والعنف على الأرض العربية ، ومازلنا نتذكر أنه فى سبتمبر ١٩٧٤ ، بعد أن رفضت دولة اليهود ما طلب جونار يارنغ ، مبعوث هيئة الأمم المتحدة من التزامها من حيث المبدأ بالانسحاب من الأرض المحتلة طبقا للقرار ٢٤٢ قدمت دولة عدم الانحياز إلى مجلس الأمن مشروع قرار يتضمن « إدانة استمرار احتلال إسرائيل للأراضى التى استولت عليها نتيجة لنزاع عام ١٩٩٧ مخالفة بذلك التزاماتها طبقا لميثاق الأمم المتحدة ، وافقت عليه كل الدول الأعضاء فى مجلس الأمن فى ذلك الوقت ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية .

والمثال الآخر كان يوم ١٤ يناير ١٩٩١ حين تقدمت فرنسا باقتراح إلى مجلس الأمن ، كان كفيلاً باجتناب مخاطر الحرب وويلاتها ، اعترضت عليه الولايات المتحدة الأمريكية ، فقامت الحرب ولم تزل .

وما حدث أخيرًا من انسحاب الاتحاد السوفيتى من حلبة المنافسة ، بعد انهيار امبراطوريته تحت ضربات المجاهدين الأفغان وصمودهم وانحيازه إلى الولايات المتحدة ، لتتوحد قوى الديكتاتورية الدولية المفروضة على العالم فى الولايات المتحدة . =

وهكذا قام النظام الدولى المتجسد فى هيئة الأمم المتحدة ، فلا تقبل أية دولة عضوا فى الجمعية العامة إلا إذا وافقت الولايات المتحدة ولو وافقت كل الدول ماعداها ، فبقيت الصين الشعبية غير مقبولة إلى أن أرادت الولايات المتحدة فقبلت ، ولا تسقط العضوية عن أى عضو ولو كان عنصريا إن لم لم توافق الولايات المتحدة الأمريكية ، وهكذا أصبح الجو ممهدًا أمام اليهودية العالمية وقوى الاستعمار العالمى لالتهام فلسطين ، ممتطية ظهور دول العالم ممثلا فى هيئة الأمم ومجلس الأمن .

(د) ميلاد جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ :

وصاحب الفكرة هو « ايدن » الإنجليزى ، وكان الهدف تجميع الدول العربية فى تنظيم واحد حتى يسهل الامساك بزمامه وتوجيهه الوجه التى يريد المحتل الأجنبى . وفى ظل جامعة الدول العربية تم اغتصاب فلسطين ، وأقام اليهود دولتهم على الأرض المحتلة واعترفت معظم الدول التى تتواجد فيها للعدو اليهودى الذى اغتصب فلسطين إنه صاحب فلسطين ، وفى ظلها اغتصب المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وامتدت حدود الدولة اليهودية وفك الحصار من حولها ، وأصبح الطريق مفتوحا أمام بنى يهود لتحقيق المزيد من الأهداف على حساب العالم العربى .

= وهكذا منذ مؤامرة يالتا عام ١٩٤٥ انعدمت المساواة بين الدول ، ولم تعد قواعد القانون الدولى ملزمة إلا لمن تريد أمريكا أن تلزمه بها ، ولم تعد قرارات الهيئة العامة للأمم المتحدة نافذة إلا إذا أرادت أمريكا نفاذها ، ولم تعد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة برلمانها ولم يعد مجلس الأمن سلطتها التنفيذية ، فسقطت الشرعية الدولية ، كما تسقط الشرعية فى أى مجتمع يتحكم فيه طاغ.

ما فائدة الحياة إذن ؟ ما فائدة الحديث عن دول حكامها وأعلامها وجيوشها وشعوبها إذا كانت مجرد أدوات مسخرات لاشباع نهم الوحش الأمريكى .

إن سقوط الشرعية الدولية قد وضع كل الأمم والشعوب والبشر فى كل الدول المقهورة أمام الخيار بين أمرين لا ثالث لهما : اما أن تقبل مذلة الخضوع للإدارة الأمريكية واما أن تقاتل من أجل الحرية .

عن مقال : (الحقيقة الوحيدة فى حرب الخليج ، أمريكا هى التى خرقت الشرعية .. فكيف تنادى بها ، بقلم د. عصمت سيف الدين مقالة نشرتها جريدة الشعب ، عدد ٥٨٣ الصادر فى ١٣ رجب ١٤١١) .



الفصــل الرابــع

الشعوب العربية تستيقظ على هول المؤامرة

تمهيــد :

- الشعوب العربية والإسلامية تفيق على هول المؤامرة : مظاهرات شعبية تطالب الحكومات العربية باتخاذ موقف حاسم فى مواجهة الهجمة اليهودية ، وانقاذ فلسطين ، لأن ذلك واجب فى رقاب المسلمين.
- تطور خطير على الساحة الدولية بعد توقف الحرب العالمية الثانية : شركاء الجريمة أمريكا وبريطانيا يوفدون لجنة مشتركة منهما إلى فلسطين لتضع تقريرًا يطابق سياستهما .
- هذا التطور حدث بعد تولى الرئيس الأمريكى ترومان مهام رئاسته وبعد وصول حزب العمل البريطانى إلى حكم بريطانيا .
- الهيئة العربية تصدر بيانا تندد فيه بنقض بريطانيا للعهد الذى قطعته على نفسها فى مؤتمر لندن فبراير (١٩٣٩) : « إن العرب يعارضون بكل قواهم دخول مهاجر يهودى واحد إلى فلسطين[١] .. ان فلسطين ملت سياسة إيفاد لجان التحقيق » .

تعليــق :

« هل عرفتم ياعرب لماذا يئس الفلسطينيون من مؤتمرات السلام التى تدعون إليها ، لماذا كفروا بالمنظمات الدولية ؟ لأنَّها ضيَّعت فلسطين ، وشباب الانتفاضة قرأ التاريخ وعرف طريقه .. فلا تضيعوه بالتلويح بالمؤتمرات .. عليكم أنتم بحضور المؤتمرات .. ومزيدًا من التنازلات .. ومزيدًا من الضياع ، أما الذين عرفوا طريق الجهاد فدعوهم وشأنهم .

(١) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٨٩ .

وواصل البيان العربى قوله : « (وشعب فلسطين) لا يعترفون لأى فريق بالتدخل ، ولا يقرون لأى شعب آخر أو دولة أخرى بحق تقرير مصير بلادهم ، ولذلك فهم يستغربون إشراك بريطانيا للولايات المتحدة فى هذه القضية ، ورفض البيان تشكيل اللجنة وتمسكوا بمطالبهم .

ولكن لم يأبه أحد للبيان العربى ، وواصلت بريطانيا فتح أبواب فلسطين لاستقبال المزيد من المهاجرين اليهود .

واستمر الضغط الشعبى داخل أمريكا وبريطانيا ، يستعجل عملية التهويد ، وجاء تقرير اللجنة المشتركة ، مطابقا للسياسة البريطانية والأمريكية ، « يجب أن يصرح فى الحال بإدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين[٢] » ، وأن يمنح أذونات الدخول بالسرعة الكافية خلال عام ١٩٤٦ ، وأن تطلق حريّة التصرف بالأراضى .

---

(٢) أعلن الحاكم العسكرى الإنجليزى فى فلسطين « ليس من العدل أن تقف الهجرة اليهودية انتظارًا لتوصيات اللجنة الإنجليزية الأمريكية وسوف تستمر الهجرة بالمعدل المقترح ، وهو ألف وخمسمائة مهاجر سنويًا » نفس المرجع ، ص ٢٨٩ . وقد صرح الرئيس الأمريكى ترومان عشية إصدار اللجنة قرارها : « انى سعيد جدًا بأن أيدت لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية طلبى بالسماح لمائة ألف يهودى إلى فلسطين فى الحال ، أى أن النظام الأمريكى الذى يدعم الهجرة اليهودية الآن ١٩٩١ ، إنما ينفذ خطا ثابتا فى سياسة وهى دعم التواجد اليهودى على أرض فلسطين واغتصابها » .

المبحـــث الأول

الشعوب العربية تطالب الأنظمة الحاكمة بالتحرك لنصرة فلسطين والتصدى للمخطط الأمريكي البريطاني

اجتماع ملوك وممثلى سبع دول عربية فى انشاص فى مايو ١٩٤٦ ، وممثلى الجامعة العربية فى بلودان فى يونيه ١٩٤٦

رئيس مخابرات بريطانى يوجّه جلسات المؤتمر لخدمة مخطط التهويد

وتداعت الشعوب العربية إلى أداء واجب نصرة الشعب الفلسطينى والدفاع عن « الأرض المقدسة » التى بارك الله فيها للعالمين ، والتصدى للهجمة اليهودية على أرض فلسطين .

وتحت ضغط الشعوب ، اجتمع ملوك ورؤساء وممثلو سبعة دول عربية : (مصر وشرق الأردن وسورية ولبنان والسعودية واليمن والعراق) فى انشاص فى ٢٨ مايو ١٩٤٦ ، وقرر المجتمعون (الملوك والرؤساء العرب) .. ماذا قرروا ؟ لقد قرروا التمسك بالاستقلال لفلسطين وعروبتها وتأليف هيئة تمثل الفلسطينيين وترفع صوتهم عاليا(١) .

تعليـــق :

مبارك يافلسطين ... لقد تمسكت الأنظمة العربية الحاكمة بعروبتك وهذا يكفيك ، لا عليك أن تغتصب الديار وتنتهك الأعراض ،!!! فلسطين عربية وستظل عربية !!

ثم ماذا ؟ وعقدت الجامعة العربية مؤتمرًا استثنائيًا فى بلودان فى سورية ، خلال يونيه (حزيران) ١٩٤٦ ، واتخذ القرارات التالية (نعم قرارات) :

- تكوين لجنة خارجية ولجنة داخلية ..
- تكلف اللجنة الخارجية بوضع رد باسم الجامعة العربية على مقترحات لجنة التحقيق الأمريكية الإنجليزية .

---

(١) جهاد شعب فلسطين ص ٢٩١ وما بعدها .

- أما اللجنة الداخلية فقد قررت تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا (استجابة لقرارات الملوك والرؤساء) تواصل أعمالها لصالح القضية (وهكذا تحولت مأساة فلسطين إلى قضية مجالها اللجان والتحقيقات) .
- كما قررت إنشاء لجنة مركزية داخلية تكون تابعة للهيئة العليا ، لإنقاذ الأراضى العربية .. (ومن أين المال ؟!) على أن تمدها الجامعة العربية بمليون جنيه[٢] ، ماشاء الله ، ما هذا الاسراف يا عرب ؟ ورغم هذا هل نفذت القرارات ؟ لم تنفذ بل لم تقرأ !!

تعليـق :

عرفتم الآن أيتها الشعوب كيف أضاعت الأنظمة العربية فلسطين ثم ذهبت بموافقتها المتخاذلة تتباكى عليها ، هذه هى ردَّة فعل الأنظمة ، وما كان يجب أن يكون هذا ، كان من الواجب عليها :

دعوة العالم الإسلامى إلى نصرة الشعب الفلسطينى وتحرير مقدسات المسلمين فى فلسطين ، وإحياء روح الجهاد الإسلامى ، وضرب مصالح الدول الأوروبية فى العالم الإسلامى ، ولكن لابد لكى تدركوا أن ذلك هو الحل ، أن تتربوا فى مدرسة محمد ﷺ ، ليس هذا كل ما فى الجُعبة انتظر أيها القارىء ، لتعرف ماذا فعلت اللجنة الخارجية .. يقول صالح أبو يصير رحمه الله « إن أولئك العرب الذين اجتمعوا فى بلودان عام ١٩٤٦ لم يكن أغلبهم يملك نفسه ، ولا يعترف له باستقلاله ، فقد لحق بالمجتمعين الجنرال كلايتون رئيس المخابرات بالجيش البريطانى فى الشرق الأوسط ، ورافقه المستر برايانس المدير المساعد للمخابرات البريطانية فى فلسطين وهو المختص بالشئون العربية فيها ، ولم يجرؤ عربى واحد أن يستغرب وجود هذين الانجليزيين الخطرين ، بل ولم يستطع العديد من أولئك المجتمعين أن يبعد عن لقائهما والتحدث إليهما » .

---

(٢) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٩١ - ٢٩٢ .

النتيجة :

« منذ أن دخل كلايتون بهو فندق بلودان الكبير ، جاءت قرارات الجامعة العربية على وفاق لا خلاف فيه مع ما قررته بريطانيا قبلا ، وأعلنه بيفن وزير خارجيتها . « وبهذه الروح الكليتونية قرر مجلس الجامعة العربية مفاوضة الحكومة البريطانية وفى حال فشل المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة[٣] ، وليس من شك فى أن هذا القرار يكاد يكون من صياغة كلايتون » .

(٣) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٩٣ .

المبحـث الثـانى

مؤتمر السلام .. لندن عام ١٩٤٦

مندوبو الأنظمة العربية تعترف بالكيان اليهودى على أرض فلسطين

وسرعان ما أخذ القرار العربى طريقه إلى التنفيذ ، وخلال نوفمبر (تشرين الثانى) من عام ١٩٤٦ انعقد مؤتمر لندن الذى اقترحته دول الجامعة العربية ونال موافقة بريطانيا فدعيت إليه .

كان من الواجب على ممثلى الحكومات العربية رفض حضور المؤتمر دون ممثلين عن الشعب الفلسطينى .. ولكنهم لم يفعلوا !!

رغم ذلك .. لم ييأس شعب فلسطين من الحكومات العربية ، وحملهم أمانة الدفاع عن مصالحه أمام المؤتمر .

ماذا قدم مندوبو الحكومات العربية ؟؟ قدموا اعترافا بالكيان اليهودي على أرض فلسطين قبل معاهدة كامب ديفيد بثلاث وأربعين سنة .

المشروع : « الحكومات العربية فى مؤتمر لندن تسلم لليهود بكيان فى فلسطين » ! سامحكم الله أيتها الأنظمة !! كيان يهودى على أرض فلسطين !!

فقرات من المشروع العربى المقدم إلى بيفن وزير الخارجية البريطانية :

« اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان فى فلسطين على ألا يزيدوا فى أى يوم من الأيام عن ثلث السُكّان ، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم ، على أن يتمتع اليهود فى مناطقهم بحقوقهم الدستورية وبلغتهم العبرية .. وبقسط وافر من الحكم الذاتى .. وأن يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف »[٤] .

---

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٩٤ .

هكذا ترى أيها القارىء ، أيها الدارس ، مظهرًا من مظاهر الهوان والضعف العربى الذى برز فى المؤتمر واستغلته بريطانيا وأمريكا .

وزير خارجية بريطانيا صديقة العرب التى يستقبل زعماؤها استقبال الفاتحين (بيفن) يعلن رفض المشروع العربى فى ٤ فبراير (١٩٤٧)[٥] لأن اليهود لا يوافقون عليه ولأنه يخشى أن يقوموا بحركة عنف ضد الحكومة البريطانية إذا هى قبلته .

وقد علق أحد مندوبى الشعب الفلسطينى فى مؤتمر لندن .

« لقد انتهى مؤتمر لندن بفشل ذريع للعرب ، وربح البريطانيون واليهود هذه الجولة »[٦] .. هل رأيتم دور المؤتمرات .. إنّه تخدير لمشاعر الجماهير ، والحصول على وقت كاف يعاون فى تمرير المخططات .. ورغم ذلك لازالت الأنظمة الحاكمة وأعوانها تدعو إلى مؤتمرات السلام .

(٥، ٦) نفس المرجع ، ص ٢٩٥ .

المبحث الثالث
الأمم المتحدة مطية لاغتصاب فلسطين وتهويدها

تعلمى ياأمتنا .. إنّ قضيتك لن تحل إلا فى ميدان الجهاد ، وكل من يصور لك أنها ستحل عن طريق المفاوضات أو مؤتمرات السلام أو المنظمات الدولية انما يخدعك خدعة ليس بعدها خدعة إنّما يسلم رقبتك للقصاب للإجهاز عليها .

المسألة الفلسطينية أمام المنظمة الدولية (هيئة الأمم) فى ٢٨ إبريل (نيسان) ١٩٤٧ .
من أراد ذلك ؟
بريطانيا وأمريكا .. لماذا ؟ لإشراك المجتمع الدولى فى تمرير المخطط .

- الدول العربية تلتقم الطعم وتوافق على عرض مشكلة فلسطين على هيئة الأمم ، وما كان لها أن تفعل !!

- هيئة الأمم مطية اليهودية العالمية تشكل لجنة للتحقيق فى قضية فلسطين !!!
التحقيق فى ماذا ! شعب اغتصبت دياره وأمواله ويخضع للإبادة والتشريد لإحلال آخر محله .. يطالب بدفع العدوان عنه .. هل هذه تحتاج إلى تحقيق ؟؟
المهم أن الأنظمة العربية وافقت على تشكيل اللجنة . وكان هدف اللجنة الأصلى استطلاع رغبات أبناء اليهود لتحقيقها ، وتخدير مشاعر الثوار الفلسطينيين وتذليل العقبات التى تقف أمام إقامة الدولة اليهودية وإشراك المجتمع الدولى فى تنفيذ ما تبقى من الجريمة .

يقول مناحم بيجن زعيم عصابة «الأرجون زفاى ليومى» الارهابية، وقائد مذبحة دير ياسين ومخرج.. كامب ديفيد : لقد حرص أعضاء هذه اللجنة على مقابلتى ومقابلة زملائى .

وقال دكتور بانش أحد أعضاء اللجنة لليهود الذين قابلهم : « اننى أستطيع أن أفهمكم تماما .. أننى مثلكم انتمى إلى أقلية مضطهدة » .

أما الدكتور هو « مساعد الأمين العام للأمم المتحدة وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين فقد وجه كلامه إلى زعيم العصابة ، ولمعاونيه يعقوب كوهين وإفراهام شمويل ، قائلاً : « إلى اللقاء فى إسرائيل المستقلة » .

أما مندوب جواتيمالا فقال : « كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التى رسمتها الوكالة اليهودية فى مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب » .

لجنة هيئة الأمم تقترح تقسيم فلسطين بين العرب واليهود :

لقد اقترحت أكثرية اللجنة أن تؤسس الدولة اليهودية على مساحة ١٤,٢٠٠,٠٠٠ دونم(*) كان يقيم فيها ٤٦٠,٠٠٠ عربى ولا يزيد اليهود فيها آنذاك على ٥٣,٠٠٠ يهودى ، وكان العرب يملكون فيها ثلثى الأراضى المسجلة والعقارات المملوكة ، هذه المناطق المقترحة لهذه الدولة تتألف من الجليل الشرق ومرج ابن عامر والسهل الساحلى من أسدود ويشمل تل أبيب ويافا وحيفا إلى قرب عكا مُضافا إليها بئر سبع ومنطقة النقب(٧) .

أما الدولة العربية والتى كان من المفروض أن تعطى لأهل البلاد الأصليين ، فكانت تحتوى ١١,٥٨٩,٨٧٠ دونم يقيم فيها ٦٥٠ ألف عربى وأحد عشر ألف يهودى ، ولا يملك اليهود فيها إلا نحو ١٠٠,٠٠٠ دونم ، وكانت الدولة اليهودية المقترحة حسب قرار التقسيم تشمل ٥٦,٤٧٪ من مجموع أراضى فلسطين على حين تشمل الدولة العربية ٤٢,٨٨٪ من تلك الأراضى ، أما منطقة القدس الدولية فكانت تشمل ٠,٦٥٪ منها .

---

(٧) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٩٥ - ٢٩٧ ، ولعلنا لا ننسى أن بيريز دى كويار كان يريد من هيئة الأمم عام ١٩٩١ إلغاء القرار الذى اتخذته باعتبار أن الصهيونية حركة عنصرية . ويبدو أنه يريد أن ينهى خدماته لليهود بهذه المحاولة : وهكذا يتضح ولاء المنظمة الدولية حتى الآن لليهود بإلغاء هذا القرار .

(*) الدونم ١٠٠٠ متر .

تعليــق :

إن التقسيم المقترح كان بناء على طلب الوكالة اليهودية ، ولم يكن ذلك كمطلب نهائى وإنما كخطوة مرحلية نحو التهام فلسطين كلها ، والعالم العربى بعد ذلك .

وتحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية ، وافقت ما تسمّى هيئة الأمم المتحدة بأغلبية ٢٥ صوتا ضد ١٣[٨] صوتا على قرار التقسيم ، وذلك فى ٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ .

والملاحظ أن الدول التى وافقت على التقسيم هى الدول الصليبية الأوربية الاستعمارية ومن يدور فى فلكها ، ومنها روسيا وأمريكا .

والعجيب أن بريطانيا قد امتنعت عن التصويت ، وذلك لكى تبدو فى موقف الحياد ، بينما هى صاحبة الفكرة ، وهى التى تتبناها ، وتعمل على إنجاحها ، والهدف أن تظل بقواتها واستخباراتها وأنصارها فى حنايا العالم العربى لتنفيذ ما يراد من مخططات الأعداء ، دون أن ينتبه إليها أحد .

موافقة هيئة الأمم على تقسيم فلسطين كانت بمثابة طعنة موجهة إلى قلب القضية الفلسطينية وخطورة الطعنة هنا تتمثل فى التزام الدول العربية الأعضاء فى هيئة الأمم بقرار يمزق الأرض الفلسطينية ، وبالتالى العالم العربى (وهو واقع) حرصا على روح الوفاق الدولى !!

ما هو الإجراء الذى كان يجب على الدول العربية والإسلامية اتخاذه ؟

---

(٨) الدول التى رفضت المشروع : مصر ، السعودية ، اليمن ، سورية ، لبنان ، إيران ، افغانستان ، باكستان ، العراق ، تركيا ، الهند ، اليونان ، كوبا ، إن الذى يرجع إلى مرجع جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٢٩٩ - ٣٠٥ يدرك الدور الخطير الذى بذلته أمريكا لتمرير قرار التقسيم ، فحينما أدركت أمريكا يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ أن الدول العربية والإسلامية تكتلت ضِدّ قرار التقسيم ، طالبت بتأجيل الاجتماع إلى ما بعد عيد الشكر الذى سيكون فى اليوم التالى ، قالت نيويورك تايمز ٢٧ نوفمبر ١٨٤٧ « أجلت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلستها التى تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمنون ثلثى الأصوات اللازمة لنجاح المشروع ، وفى يوم التأجيل كانت أمريكا بضغطها قد استطاعت أن تشترى قهرًا ثلاثة أصوات ، صوت هايتى ، ليبيريا ، سيام ، ليفوز المشروع العدوانى بالأغلبية .

كان من الواجب أن تنسحب الدول العربية والإسلامية الأعضاء من عضوية هيئة الأمم ويرفضون القرار لأنه قرار جائر .. كيف يسمحون لأنفسهم بعضوية مجلس يمزق الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ، ويعطى شرعية لاغتصاب الأرض والديار والأموال والأعراض ؟ كيف يسمح العرب والمسلمون لأنفسهم أن يكونوا أعضاء فى منظمة تخطط وتنفذ العدوان على أرض الإسلام ، وتستظل بغير شرع الله ؟؟

كيف يعطون ولاءهم لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دينه والله يقول : ﴿ **لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا لكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ (سورة الممتحنة آيتان ١، ٢) .

لقد كان من واجب الأنظمة العربية بعد تمرير المؤامرة على فلسطين الإسلامية على هذا النحو ، الانسحاب من المنظمة التى تسمى دولية ، ورفض قراراتها ، والعودة إلى ربها ، وإسلامها ، وإعلان توبتها ، وتربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل وإحياء روح الجهاد الإسلامى ، وتحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقطع العلاقات الدبلوماسية والثقافية والاقتصادية مع دول أوربا الشرقية والغربية بما فى ذلك أمريكا وروسيا) ، وقفل الأسواق فى وجه منتجات العالم الغربى والشرقى ، والاعتماد على الله ثم على النفس ، وتوحيد الجهود لتحرير فلسطين والعالم العربى (قلب العالم الإسلامى) من قبضة الاستعمار الأوربى، هذا ما كان على الأنظمة أن تفعله ، ولكن كيف لها أن تقوم بهذا وهى لم تكن تملك قرارها فضلاً عن حريتها ، وهذا هو واقعها المعاصر ، لا فارق بين اليوم والأمس ، فإلى الله المشتكى وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المبحث الرابع

صدور قرار هيئة الأمم الظالم فى نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود

الشعوب العربية تحاول إيقاظ حكامها وتطالبهم بالتصدى للخطر اليهودى الدولى لتهويد أرض فلسطين .. اجتماع مجلس الجامعة العربية فى عالية بلبنان فى ٧ أكتوبر ١٩٤٧ . شعب فلسطين يتقدم إلى الجامعة بطلبات محددة :

- موافقة الدول العربية على تشكيل حكومة عربية بفلسطين لتحكم البلاد بمجرد انسحاب الحكومة الإنجليزية .
- إمداد الفلسطينيين بالسلاح والمال والخبراء العسكريين والاعتماد على الله ثم عليهم فى إنهاء الهجمة اليهودية المدعومة من أوربا على فلسطين .

مجلس الجامعة يشكل لجنة من الخبراء لدراسة الوضع :

وقام خبراء العرب بدراسة الوضع داخل فلسطين ووصلوا إلى النتائج التالية :

« إن لليهود فى فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها أن يؤلفوا فورًا حكومة صهيونية وأن لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد ، ولهم موارد من المال لا تنضب ، وليس لعرب فلسطين فى الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن أن يقاس بما لأعدائهم اليهود .. وأن جزءًا كبيرًا من شعب فلسطين معرض للفناء .. وأن فلسطين قادمة على أحداث خطيرة بسبب ما أعلنته بريطانيا من عزمها على الانسحاب من فلسطين » .

وفى نهاية التقرير المؤرخ ١٩٤٧/١٠/٩ أوصت اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية بقيادة إسماعيل صفوت باشا:

اولا : تجنيد المتطوعين وتسليحهم .

ثانيـًا : أن تقوم الدول العربية بحشد جيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية ، لدخولها بعد انتهاء الاحتلال البريطانى .

ثالثـًا : تأليف قيادة عربية عامة ، وأن يعين المرجع الأعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .

رابعـًا : مد شعب فلسطين بكميات من السلاح إلى أن يتم تحقيق ما جاء فى توصيات اللجنة .

خامسًا: وضع مليون دينار تحت تصرف اللجنة العسكرية لتموين القوات الفلسطينية .

سادسًا: أن تقوم الدول العربية بتخزين أكبر كمية من الأسلحة والأعتدة وأن تدخرها للمجاهدين .

ماذا كانت النتيجة ؟؟ ماذا فعلت الأنظمة الحاكمة أعضاء الجامعة العربية ؟؟

لم تبد اهتماما لتنفيذ المقترحات باستثناء تخصيص مليون دينار ، والوعود فقط بإرسال كميات من السلاح(٩) .

إنشاء معسكر فى قطنا قرب دمشق لتدريب الشباب الفلسطينى

صديقة العرب الوفية بريطانيا تطالب بإغلاق المعسكر .. الأنظمة العربية تتجاوب مع بريطانيا حرصًا على روح المودة بينهم .

« وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطينى فى معسكر قطنا غرب دمشق حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بمذكرة إلى الجامعة العربية معارضا تدريب الفلسطينيين وتسليحهم ، معتبرة ذلك عملا غير ودى(١٠) .

«وكأن الأنظمة العربية كانت تنتظر تلكم المذكرة ، فما أن وصلت حتى أخذهم الرعب ، وسرحوا الشباب الفلسطينى وسحبوا أسلحتهم » كما يقول صالح أبو يصير رحمه الله :

وهكذا تلمحون المؤامرة ..

---

(٩) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٣٠٩ – ٣١٢ ؛ نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، صفحة ١٦ ، ١٧ .

(١٠) نفس المرجع ، ص ٣١٢ ؛ المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٢ .

عجيب أمر عالم القراصنة ، مؤامرة لاغتصاب شعب وأرض وإبادة وتشريد أمة ، والمجرمون الغاصبون يتمتعون بتأييد أوربا.. وبريطانيا صديقة العرب تُهوِّدُ الأرض وتسلِّحُ الغاصبين بالأسلحة والعتاد ، وحينما يقوم الجيران – بمحاولة إعانة المظلوم للتصدى لمن ظلمه ، تُقيم الدنيا وتُقعدها وتعتبر ذلك عملا غير ودى .. إذن ماذا تسمين يابريطانيا صديقة العرب ما قمت به أنت ومن سار على شاكلتك فى غرس الكيان اليهودى فى قلب الوطن العربى ؟ ما قمت به على أرض فلسطين ؟ عمل وديا ؟

وأنتم ياعرب ، أيتها الأنظمة العربية كيف تسمحون لأنفسكم أن تتخلوا عن نصرة إخوانكم فى العقيدة بل جيرانكم ، لماذا لم تتجاوبوا مع قرارات اللجنة العسكرية ، كيف تغلقون معسكرا يتدرب فيه المظلومون ليتصدوا لمغتصبى ديارهم ؟ لمن ولاؤك أيتها الأنظمة ؟ لله ولرسوله وللمؤمنين ؟؟

فِعلكم يؤكد عكس ذلك .. هل هذا وفاء ؟ أم خيانة ؟
وكان على الشعب الفلسطينى أن يواجه المؤامرة وحده !!

اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية تعانى من قلة السلاح والعتاد ، لأن الدول العربية لم توف بما وعدت به .

- اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية تجتمع وتقرر إلزام الدول العربية بتقديم كميات محددة من الأسلحة[١١].

- الدول العربية توفى وتقدم أسلحة غير صالحة للاستعمال أما لقدم أو لفساد أو لعدم وجود ذخيرة له .

وقد علق على ذلك كاتب: «وإذا كان الشعب الفلسطينى قد حرم السلاح ، والتدريب خلال فترة الاحتلال البريطانى ، فإن السلاح الذى أمده به إخوانه العرب كان قديمًا ضئيلاً فاسدًا ؛ على أن الدول العربية ذاتها لم تكن دولاً مسلحة عام ١٩٤٧ ، وتلك مصر حين تسلحت غدر حكامها ، بجيشها العظيم فزودوه بسلاح فاسد وطرح موضوعه أمام القضاء المصرى وأدان المتهمين »[١٢] .

---

(١١) جهاد شعب فلسطين ، صفحة ٣١٣ ؛ نكبة بيت المقدس ، ص ٥ ، ج ١ ص ٥٥ .

(١٢)نفس المرجع ، ص ٣١٥ ؛ حبال من رمل ، ولبركريس ايفلاند ، نقله إلى العربية د. سهيل زكار ، طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، ص ٥٦ .

« وإذا كانت أكبر دول الجامعة العربية ، لم تكن تملك سلاحًا ذا قيمة فى ذلك التاريخ ، فكيف يمكن أن ينتظر من شعب فلسطين أنْ ينال من دول تلك الجامعة سلاحًا يقابل به جيش الهاجانا وعصابات شترن وزفاى ليومى ، لقد كانت دول الجامعة العربية تمثل سبع دول تحمل كل منها اسمًا بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشىء لا يعطيه »[١٣] .

الانتفاضة الفلسطينية تواصل نضالها المسلح بعد صدور قرار التقسيم :

الشعب الفلسطينى يواصل نضاله المسلح بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ اعتمادًا على الله ثم على نفسه وعلى ما يغنمونه من أسلحة اليهود .

بعد صدور قرار التقسيم ، تأكد لشعب فلسطين انه حيال مؤامرة يهودية تتواطؤ على نجاحها دول أوروبا التى اتخذت المنظمات الدولية مطية لتحقيق أغراضها فى الوقت الذى تقف فيه الأنظمة العربية موقف المتفرج .

وتجددت الانتفاضة الفلسطينية[١٤] ، وهاجمت اليهود والإنجليز الدخلاء فى كل مكان ، فى المدن والقرى وواصل اليهود مخططهم الإجرامى يقتلون الأطفال ، والنساء والشيوخ ويدمرون الدور ويحرقون المحاصيل ، وينتهكون الأعراض ، وينكلون بالأموات والأحياء ، وقد اقترن ذلك بمزيد من الغصب للمدن والقرى ..

دروس وعبر من معارك خاضتها الانتفاضة الفلسطينية :

خاض المجاهدون الفلسطينيون معارك عديدة ضد عدوهم ، منها :

---

(١٣) نفس المرجع ، ص ٣١٥ .

(١٤) تراجع جريدة الأهرام ١٢، ١٤، ١٥، ٣١ من ديسمبر ١٩٤٧ ، ١ يناير ، ١٥ يناير ١٩٤٨ ، ٢٥ فبراير ١٩٤٨ ، ٢٨، ٢٩ مارس ١٩٤٨ ، جهاد شعب فلسطين (صفحة ٣١٨ - ٣٢٩ ، نكبة بيت المقدس ج ١ - ص ٧٦) .

معركة الصبيح[15]نسبة إلى أبناء عشيرة الصبيح ، الثالث من يناير - كانون الأول ١٩٤٨.
معركة جبل ظهر الحجة[16].
معركة قرية كفر كُنا[17].
معركة عين ماهل[18]٢٣ يناير - كانون الأول - ١٩٤٨ .
معركة تل الماصيون[19](منطقة رام الله) ومن بين الذين ساهموا فى هذه المعركة د. خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام الله ، ولبيب حشمت رئيس الكشاف العربى ، والشيخ عبدالحليم عبدالصمد (٧٠ سنة) .
معركة الدهيشة[20]٢٧ مارس - آذار - ١٩٤٨ .

وعندها تصدى مائتا مجاهد من أبناء فلسطين المنخرطين فى فرقة «الجهاد المقدس» لقافلة يهودية ، قوامها مائتان وخمسون رجلا من رجال الهاجانا اليهودية ، كانوا يركبون أربعا وخمسين سيارة محروسة بأربع مصفحات عسكرية ، تعاونها أربع من الطائرات اليهودية ، وحوصر اليهود ، وأسرع الجيش البريطانى لنجدتهم ، لكنه لم يستطع فك الحصار المضروب على اليهود ، وهرع فى نفس الوقت أهالى فلسطين إلى مكان المعركة ، وهددوا بنسف قوات الجيش البريطانى الذى لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة أمام تهديد المجاهدين ، واستنجد اليهود بالوكالة اليهودية التى استنجدت بدورها بالحكومة البريطانية التى استنجدت بكبار العرب طالبة فك الحصار ، وتحت إصرار المجاهدين وبعد حصار دام ستا وثلاثين ساعة ألقى اليهود سلاحهم متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثمانى سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين ، وأربعين بندقية من طراز برن ، ومائة قنبلة انجليزية وألمانية وقنابل ومسدسات كثيرة ، وطن ونصف طن من ملح

---

(١٥) جهاد شعب فلسطين ص ٣٢٥ .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٣٢٦ .

(١٧) نفس المرجع ص ٣٢٦ .

(١٨) نفس المرجع ، ص ٣٢٦ ؛ النكبة والفردوس المفقود ، عارف العارف .

(١٩) نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .

(٢٠) نفس المرجع ، ص ٣٢٨، ٣٢٩ .

البارود والمتفجرات ، ومقادير كبيرة من الأمتعة والذخائر .

هذا نموذج من المعارك التى تؤكد أن العامل الفعال فى كل المعارك التى يقاتل فيها أهل الحق أهل الباطل، هو الإيمان بالله رب العالمين، وأنه لو خُلِّىَ بين الفلسطينيين ومن عاونهم من المجاهدين ، ولم تتدخل الأنظمة العربية ، ما ضاعت فلسطين .

إن المناضلين الفلسطينيين قد شهدت لهم أوربا ذاتها فها هو هتلر يذكر جنده :

« اتخذوا ياألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، إنهم يكافحون انجلترا (أكبر امبراطورية فى العالم) واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم فى الدنيا نصير أو مساعد »[٢١].

ولهذا السبب قررت أوربا أن بقاء أنظمة عربية معينة فى موقع السلطة فى ديار المسلمين ، هو سبيلها لتحقيق حلم اليهود ، والدليل أن هناك أنظمة قد اعترفت للعدو الذى اغتصب الدار وشرد وأباد وسجن بأنه صاحب الدار وفتحت أمامه الحدود إلى داخل ديار الإسلام يتحرك ويتآمر على الأمة وهو فى حماية أبنائها ، بل انه يذبح أبناء الأمة ويشرد ويغتصب وظهره فى حماية أبناء الأمة التى تنتسب إلى الإسلام .

معركة حى الشيخ جرّاح[٢٢] بالقدس الثالث عشر من إبريل – نيسان – ١٩٤٨

بينما قوة يهودية مكوّنة من تسع سيارات كبيرة ، اثنتان منهما مصفحتان فى حماية رجال الهاجانا المسلحين كانت فى طريقها إلى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا ؛ اعترضها أربع وعشرون مقاتلا مشاة مسلحين من فرقة الجهاد المقدس ، التى فقدت قائدها عبدالقادر الحسينى .

---

(٢١) رسالة هتلر إلى ألمان السوديت عام ١٩٣٦ ، نقلاً عن جهاد شعب فلسطين ، ص ١٩٤ .

(٢٢) جهاد شعب فلسطين ص ٣٢٣ – ٣٢٤ .

وفتكت ألغام المجاهدين بسيارتين ، ولم تستطع القافلة المدرعة أن تصمد أمام المجاهدين المشاة المسلحين تسليحًا خفيفًا ، واستنجدت على الفور بالجيش البريطانى الذى تجاوب معهم ضد المجاهدين ودوت صيحات التكبير وهرع الفلسطينيون لنجدة إخوانهم ، وصمدوا ، ووسط العزم النافذ للمجاهدين عرض اليهود الاستسلام والقاء السلاح ، وقتل اليهود غدرًا المندوب العربى المفوض لإبلاغهم الشروط (رغم أن الرسل لا تقتل ولكنهم اليهود الذين جُبلوا على الغدر ونقض العهود) .

ولقد أسفرت المعركة عن خسائر كبيرة فى جانب العدو رغم تفوقه فى العُـدَّة والعتاد ، وكانت خسائر المجاهدين يومها أربعة عشر شهيدًا ، وجرح قائد المجموعة عادل النجار .

هذه المعركة تؤكد على الروح المعنوية العالية للفلسطينيين فى تصديهم لليهود الذين تدعمهم بريطانيا ، رغم قلة السلاح والعدة ، ورغم الموقف المخزى الذى وقفته الأنظمة العربية بعد قرار التقسيم ، وتبين أيضًا ، كيف أمكن للفلسطينيين المشاة ، أن يحرزوا نصرًا ضد سيارات ومدرعات العدو الذى لم يجرؤ أن يواجههم فى الميدان وجهًا لوجه ، وتبين أيضًا أن المقاومة لم تلن رغم استشهاد قائدها عبدالقادر الحسينى .

وتبين أيضًاأن مذبحة دير ياسين التى ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين لـم تبث الرعب والخوف فى نفوس الفلسطينيين كما توقع العدو .

• **معارك حىّ المونتفيورى**[٢٣] ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٨
بيت سوريك[٢٤] ومن أبطالها إبراهيم أبو دية (القائد) وعبدالقادر الحسينى ، وعزمى الجاعونى ، وفوزى القطب ، وكامل عريقات .

---

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٢٤) نفس المرجع ، ص ٣٤١ ؛ وهو يعتمد على نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٩١ – ٩٢ .

- **معارك قرية بيت صفافا .**
- **معارك القسطل**[٢٥] ابريل (نيسان) ١٩٤٨ .

ومن أبطالها صبحى أبو جبارة ، وبعض شباب الجهاد المقدس يقودهم كامل عريقات ، وعبدالله العمرى ، ومعه أنور نسيبة المحامى (من بيت صفافا) وحافظ بركات من القدس ، وخليل عنون من عين كارم ، وقد حاول المجاهدون استرداد بلدة القسطل التى كانت قد وقعت فى يد اليهود ، وسقط شهداء ، وأوشكت الذخيرة على النفاذ ، وذهب الأستاذ عارف العارف ، يستنهض همة الجيش العربى الأردنى المعسكر فى رام الله على بعد قريب من ميدان المعركة لكى يساعدهم ويهاجم بعض المعسكرات اليهودية ليخفف الضغط على المناضلين ، ورفض القائد العام للجيش الأردنى جلوب باشا البريطانى الطلب الفلسطينى ، وحذا حذوه أحمد صدقى الجندى قائد اللواء الرابع الأردنى ، والعجيب أن هذا الجيش العربى الذى رفض مساندة الفلسطينيين لم يجد مانعا من أن يتدخل لصالح اليهود ، عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود فى حيفا فى الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ ، وكان النصر فى جانب الفلسطينيين فخف هذا الجيش الأردنى وحال دون الفلسطينيين واتمام نصرهم ، وانقذ مئات اليهود كان موتهم حتميًا فى تلك المعركة[٢٦] . والجدير بالذكر ان قلّة السلاح فى أيدى المجاهدين ، دفعت بقائد الجهاد المقدس عبدالقادر الحسينى ، أن يلجأ إلى اللجنة العسكرية للجامعة العربية (ومقرها دمشق) طالبا تزويده بالسلاح الكافى ، ولكنها خذلته ، وأثناء ذلك وصلت الأنباء بسقوط القسطل بيد اليهود بدعم من الإنجليز وأدرك عبدالقادر أن المسئولين ليسوا فى مستوى الأحداث ، أو أنهم ضليعون فى ضياع فلسطين .

- **معارك يـــافا :**

يافا مدينة عربية عريقة وجميلة وذات ميناء مزدهر على ساحل البحر المتوسط ، وهى من أغنى مدن فلسطين وأشهرها بتجارة البرتقال .

---

(٢٥) نفس المرجع ، ص ٣٤٧ - ٣٥٢ .

(٢٦) ولعلّ ذلك يدلل على أن الخيانة قد لعبت دورًا عظيمًا فى ضياع فلسطين . إن خسارة الأمة تتفاقم يومًا بعد يوم لأن الأنظمة أعطت ولاءها لاعدائها ، وبهذا قررت أن تقف فى صف العدو .

وكان اليهود قد أنشأوا فيها حَيّا سموه تل أبيب ، لم يزد فيه عدد المنازل عن مائة وخمسين منزلا فى عام ١٩١٤ ، وبقى صغيرًا هزيلاً حتى اغتصب الانجليز فلسطين ، فنما وازدهر ، وأصبحت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية .

هذه المدينة قُدّر لها أن تقاوم الإنجليز واليهود الذين حاولوا اغتصابها والسيطرة عليها بعد قرار التقسيم الجائر الذى أصدرته هيئة الأمم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، فى معارك جهادية ، استمرت من الرابع من ديسمبر ١٩٤٧ وحتى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨ ، وأثناءها وقع عبء الدفاع عن هذه المدينة على السكان (٦٠ ألفا تقريبًا بين رجل وامرأة وطفل) وبعض المقاتلين الفلسطينيين وخلالها تلمح :

دقة التنظيم فقد ألف المجاهدون الفلسطينيون سبع لجان :

لجنة اقتصادية : تشرف على أسواق المدينة ، وتوفر الأقوات ، وتمنع الاستغلال والتلاعب .

لجنة دفاعية : تُحصّنُ خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح وتصفح السيارات للقتال .

ثلاث لجان صحية : الصحة والقرى ، والرخص ، وكلها تخدم خطوط القتال ، وتنظم الاتصالات بالقرى المحيطة ، وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال .

لجنة السلاح والألغام : وهى التى تُصنّع الألغام ، وتصلح السلاح وتصفح السيارات للقتال .

وجندت اللجنة ، ٥٤٠ مقاتلا منهم ٣٧٥ فى مراكز ثابتة ، ١٦٥ قواتا متحركة ، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة ، وكان قائد القطاع الأوسط وقائد اللد والرملة الشيخ حسن سلامة .

على أن هذا الضعف فى التسليح لم يثن عرب يافا من التفكير فى سد النقص لديهم بامكاناتهم المتاحة ، فكانوا يصنعون القنابل من أوعية ومواد كانت تستعمل لإطفاء الحريق ، ووضعوا فى كل وعاء مقدارًا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلو جراما من المواد المتفجرة ، وكانت انبوبة البوتاجاز تنشر فى شكل مدفع يطلق أنبوبة إطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات ، ولمّا كانت المواد الخام غير متوفرة فقد اضطر أهل يافا إلى طلب النجدة من اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بدمشق ، ولكن ما من مجيب !!

ووقع شعب يافا بين نار اليهود يصلاها ، وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف ، وضعف التسليح ، وعزلت يافا عن العالم ، وأبرق أهلها إلى الملوك والعرب والرؤساء ، وتلقوا جوابا واحدًا من رئيس لبنان ، ستبحر إلى يافا أربع بواخر لنقل المرضى والجرحى ؛ ولم تصل البواخر !!

وتوالت المحنة على المدينة ، واستسلم من بقى فى الرابع عشر من مايو (آيار) ودخلت جيوش اليهود مدينة يافا واعملوا فيها يد السلب والنهب والقتل والفتك ، وكان شهداء يافا يناسب جهادهم البطولى : ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين المسلمين (أتراك[٢٧] ويوغسلاف) .

● **معارك حيـفا :**[٢٨]

كانت هذه المدينة مستهدفة من اليهود ، وكانت بريطانيا حريصة على معاونة اليهود على اغتصابها ، وقد قُدّر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة آلاف جندى مدرب ، بينهم عديد من الضباط الروس ، الجميع مزودون بالسلاح الأمريكى والمصفحات الروسية ؛ بينما كان أهل حيفا يعانون نقصا فى العتاد .

وطوق اليهود يعاونهم الإنجليز – حيفا من جهاتها الأربع تمهيدًا للسيطرة عليها ، ورغم ذلك فقد صمم شعب حيفا على القتال بمفرده بعد أن خذلتهم اللجنة العسكرية للجامعة العربية . وقاتلوا قتال الأبطال من شارع إلى شارع ، وحينما فرض عليهم الاستسلام رفضوا وصمدوا وقاتلوا قتال الأبطال خمسة أشهر كاملة (من ٢ ديسمبر – كانون الأول – ١٩٤٧ إلى ٢٢ إبريل (نيسان) ١٩٤٨) نسفوا خلالها معامل التكرير فحرموا اليهود من النفط والبنزين ، ودام القتال مَرَّة بينهم وبين اليهود ستا وسبعين ساعة دون انقطاع .

---

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ – ٣٧٢ ؛ نكبة بيت المقدس ، ج ١، ص ٢٣٢ ؛ جريدة الأهرام القاهرية ، أعداد ٤، ٩، ١٠ ديسمبر ١٩٤٧، ١٦ فبراير، ١٥ مارس ١٩٤٨ ؛ ١، ٦، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠ .

(٢٨) جهاد شعب فلسطين ، ص ٣٧٢ – ٣٧٩ ؛ المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ٣٩ ؛ نكبة بيت المقدس ج ١ ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

وكان الإنجليز شرّا على شعب حيفا ، فبينما كان محمد فخر الدين أورخان[٢٩] المجاهد التركى الذى تطوع للجهاد مع إخوانه الفلسطينيين قادما من الأناضول ، يقود فريقا من المجاهدين ، مُعدًّا كمية من المتفجرات ، إذ أطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد فى أول مارس (آذار) .

ولن ينسى التاريخ للإنجليز رفضهم لطلب الفلسطينيين وهو طلب كانت تحتمه الإنسانية وتفرض الاستجابة[٣٠] له، وهو نقل الجرحى العرب إلى المستشفيات، وكانوا عددًا كبيرًا ، ولن ينسى لهم أيضًا أنهم عاونوا اليهود معاونة فعالة فى معاركهم ضد الفلسطينيين ، كما أنهم منعوا وصول الامدادات إلى ميدان المعركة ؛ بل انهم وقفوا فى وجه المناضلين العرب، يصادرون ما معهم من أسلحة، ويتركونهم طعما سهلاً لجحافل اليهود وسلاحهم وانسحب الإنجليز من حيفا فى ٢٣ من إبريل (نيسان) ١٩٤٨ بعد أن مكّنوا اليهود منها .

واستنجد الفلسطينيون بقناصل العرب ، وبقيادة الجيش الأردنى ، التى كانت ترابط على بعد أميال منهم (٧٠٠ جندى) ووقف الجميع يتفرجون على مجزرة أريق فيها الدم الفلسطينى مدرارًا .

والسبب فى ذلك أن قيادة الجيش الأردنى كانت فى يد الإنجليز الذين عاهدوا أوربا على التمكين لليهود فى فلسطين ، وحينما تحرك القائد الأردنى لمساندة إخوانه الفلسطينيين على أرض يافا أنذره القائد البريطانى بإطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك ، والأنكى من ذلك أن مساعد الحاكم الإنجليزى للمنطقة أشار على أهل حيفا الفلسطينيين ، « إذا كنتم تريدون تفادى قتل العرب فى حيفا هذه الليلة ، عليكم الاتصال باليهود حالا والاتفاق معهم ، وأنه لن يسمح بدخول قوات عربية لمساعدة أهل حيفا » .

---

(٢٩) هذا مجاهد مسلم من تركيا استشعر الخطر الذى تتعرض له أمة الإسلام ، لقد فهم مالم يفهمه كثيرون ممن يعتبرون علماء فهم مالم يفهمه كثيرًا من الأساتذة والرؤساء والملوك ، فهم أنه إذا غلب العدو على شبر من ديار الإسلام فقد أصبح الجهاد فريضة .

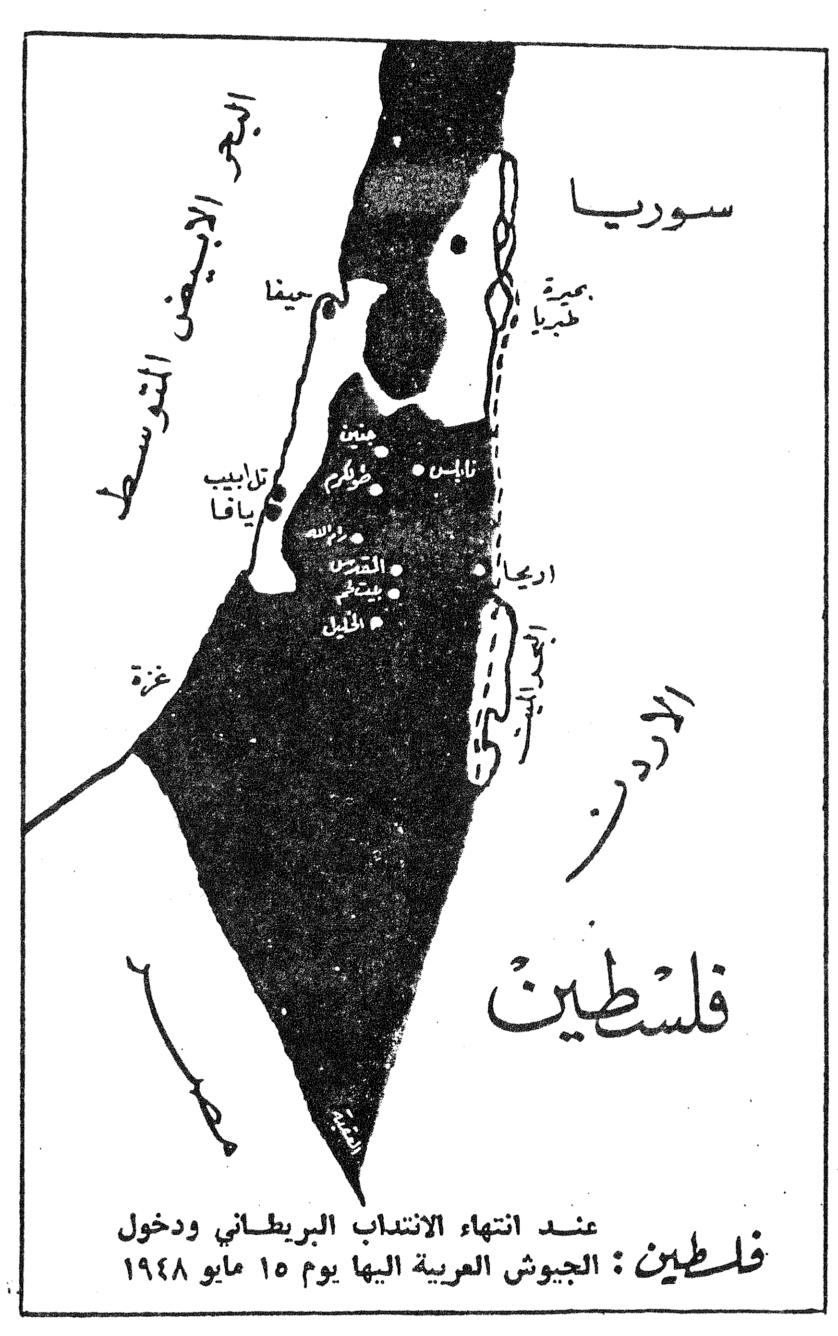
(٣٠) جهاد شعب فلسطين ص ٣٧٦، ٣٧٧ .

ودخل اليهود حيفا على جثث الشهداء وجريا على عادتهم ، أعْمَلُوا فى السكان العرب سلاح الفتك والإبادة فقتلوا ، وشرّدوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع وألقوا بالقتلى أمام النسوة والأطفال وأدخلوا الدواب ، إلى مساجد المسلمين ، يتخذونها كاصطبلات وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين ، ومنذ ٢٢ إبريل (نيسان) عام ١٩٤٨ واليهود يمسكون بثغر حيفا التاريخى .

تعليق :

هذه نماذج من المقاومة الفلسطينية للهجمة اليهودية الأوربية . لقد أدرك المتآمرون أنه يستحيل عليهم اغتصاب فلسطين فى وجود هذه المقاومة التى لا يدرون جذورها ومدى تغلغلها فى حنايا الشعب الفلسطينى والأمة المسلمة ، وهنا تفتق ذهن أعداء الإسلام عن فكرة ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية ، وتهدف إلى انتظام كل العناصر الفلسطينية القادرة على الجهاد على السطح بهدف معركة التحرير المرتقبة فى الصف الظاهر . والتقطت القيادة الفلسطينية الطُعم ، وبدأ تشكيل فصائل المقاومة ، وكانت فرصة العدو التى اهتبلها لتصفية المقاومة الفلسطينية بأيدى بعضهم البعض أو بأيدى الأنظمة العربية . هل هذا يمكن أن يحدث ؟؟ هل هذه حقيقة ؟ أم ماذا ؟؟

على كل ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى الرسمى كان قراراً اتخذته القمة العربية فى عام ١٩٦٤ ، ما هو الهدف ؟ وهل تحقق الهدف المعلن ؟ أم تحقق غيره ؟؟



اللون الأسود يمثل المنطقة التى حافظ عليها شعب فلسطين إلى دخول الجيوش العربية

(عن كتاب جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن)

الفصـــل الخامـــس

– بريطانيا تعلن انسحابها من فلسطين بعد أن سلّمت زمام الأمور فيها لليهود تمهيدًا لإعلان قيام الدولة اليهودية فى ١٤ مايو ١٩٤٨ .

– الإنجليز بتواطؤ أوربى يستدرجون الأنظمة العربية لحرب لم يحددوا زمانها ولا مكانها ، ولم يجهزوا لها .

– تقويم الوضع العربى والعالمى (الإسلامى والأوربى) قبيل إعلان قيام الدولة اليهودية .

المبحـــث الأول

• بريطانيا تعلن انسحابها من فلسطين بعد أن سَلّمت زمامها لليهود .

• الوضع العربى : الأنظمة والجيوش العربية[1] :

أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين ، وذلك بعد أن نَفّذت الخطة اليهودية الأوربية بتهويد فلسطين ، لقد أعلنت بريطانيا انسحابها بعد أن أبادت وشردت معظم الشعب الفلسطينى ومكنت اليهود من زمام فلسطين ، وبمجرد خروج بريطانيا أعلن اليهود قيام دولتهم على أرض فلسطين المغتصبة فى ١٤ مايو ١٩٤٨ .

وبعد إحدى عشر دقيقة من الإعلان تم اعتراف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « ترومان » بالدولة اليهودية التى تسمّت باسم نبى كريم مسلم يبرأ إلى الله من اليهود فى الدنيا والآخرة – هو إسرائيل (يعقوب) عليه السلام . وبهذا أصبح للقراصنة ، سفاكى الدماء ، ناقضى العهود دولة فى قلب الأمة العربية المسلمة على أرض فلسطين .

واندلعت المظاهرات فى البلاد العربية وخاصة مصر ، وتداعت الشعوب لنصرة شعب فلسطين وتحريرها من اليهود الذين غلبوا عليها . وكان الإخوان المسلمون فى مصر

---

(١) جيش مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان (جهاد شعب فلسطين ، ص ٣٩٢) .

بقيادة الشيخ حسن البنا ، طلائع العمل من أجل نصرة فلسطين ، فاتصل الشيخ حسن البنا بعبدالرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية لاتخاذ خطوات عملية فى هذا الشأن واتفق على تشكيل هيئة وادى النيل لإنقاذ فلسطين برئاسة محمد على علوبة باشا ، وكان الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين أحد أعضائها ، وعلى أثرها وجهت الجامعة العربية نداءً إلى الدول العربية لفتح معسكرات لتدريب المتطوعين ، وفتح معسكر الهاكستب فى مصر ومعسكر قطنة فى سورية .

وبالإضافة إلى ما حدث ، قررت الحكومات العربية تحريك جيوشها إلى فلسطين لتحريرها وعينت لها قائدًا عامًا هو الملك عبدالله بن الشريف الحسين(٢) .

وكان عدد الجيوش العربية حوالى عشرين ألف جندى يعانون ضعفًا فى التدريب ، وقلة فى السلاح وفسادًا فيه ؛ وجهلاً بطبيعة الأرض التى سيقاتلون عليها ، وبالعدو الذى سيقاتلونه ؛ يضاف إلى ذلك ضعف فى الإيمان ، وكان ذلك ثمرة طبيعية لجيوش أنشئت تحت الاحتلال الأجنبى وفى ظل حكام أعطوا ولاءهم لأعداء الأمة .

هذه الجيوش كان يعاونها ١٣٠٠٠ مجاهداً على أرض فلسطين ، وفى المقابل كان اليهود بمعاونة الإنجليز قد أعدّوا قوة عسكرية مكونة من أربعين ألف جندى يهودى يساعدهم خمسون ألفا من الميليشيات اليهودية ، يتميزون بمعرفتهم بالأرض التى يحاربون عليها ومن أجلها ، وبالتدريب الجيد والتسليح الكامل ؛ مع تفوق فى الناحية المعنوية والنواحى القتالية والنظامية والخبرة العسكرية وكذلك من ناحية احتياطى السلاح والذخيرة إذ كان لديهم احتياطى من الجنود يبلغ ١٨٥ ألفا يتزايدون باستمرار نتيجة تدفق الجنود المدربين من كل بلاد أوربا الشرقية .

الخطة العربية لتحرير فلسطين :

- يبدأ زحف الجيوش العربية (حوالى ٢٠,٠٠٠ مقاتل) مساء الخامس عشر من مايو (آيار) ١٩٤٨ فتلتقى الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والأردنية جميعًا لدى (العفولة) فى وسط فلسطين تقريبًا ، ثم تواصل زحفها مجتمعة لتقسيم تجمعات

---

(٢) هو عبدالله بن الشريف الحسين ، أمير مكة ، وصاحب ما سُمى بالثورة العربية الكبرى التى ترتب عليها احتلال أوربا (الانجليز والفرنسيين وغيرهم) للعالم العربى .

اليهود ، وتصل إلى الساحل الفلسطينى ، وأن يزحف الجيش المصرى نحو عسقلان ، وغزة ، والمجدل ، ثم يتقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الأخرى ، على حين يتقدم قسم من الجيش الأردنى نحو رام الله والقدس ويتقدم المتطوعون المصريون (الإخوان المسلمون) على طريق الخليل وبيت لحم لتطويق القدس متعاونين مع الأردنيين الذين يجب أن يحاصروها من الشمال والشرق .

وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن اليهود قيام دولتهم على أرض فلسطين ، وبعدها تحركت الجيوش العربية باتجاه فلسطين لتحريرها ، فكانت الهزيمة نتيجة حتمية لواقع الأمة العربية .

تقويم شخصيات القيادة العامة للجيوش العربية

- القيادة والجيوش العربية ، لم تكن مؤهلة لإنهاء العدوان الواقع على فلسطين .
- جلوب[٣] باشا الإنجليزى كان يقود جيشًا عاون فى التمكين لليهود على أرض فلسطين بعد إبادة وتشريد معظم شعبها .

- من الذى أنشأ إمارة شرق الأردن ؟ الإنجليز بعد أن مزقوا الوطن العربى .
- من الذى عين عبدالله أميرًا ثم ملكا فى مايو ١٩٤٦ ؟ الحكومة الإنجليزية .
- من الذين عين جلوب الإنجليزى رئيسا لأركان حرب جيش الأردن ؟ الإنجليز ..
- من الذى فرض على عبدالله معاهدة تحالف ١٥ مارس ١٩٤٨ وإقامة مجلس دفاع مشترك ؟ الإنجليز .
- من الذى كان يحتفظ بوحدات من سلاح الطيران الإنجليزى فى عمان والمفرق ؟[٤]

---

(٣) وبذلك كانت الأوامر العسكرية التى تصدر باسم القائد العام الملك عبدالله إنما يضعها وينفذها القائد البريطانى فى الجيش العربى بل ان حوادث عديدة برهنت على أن جلوب القائد البريطانى للجيش العربى ، إنما كان يقود هذا الجيش ليقيم دولة يهودية ، ويكشف أجنحة الجيوش العربية الأخرى حتى تشفى غلّ بريطانيا الحاقدة ، وحتى اللد والرملة التى تضمنها قرار التقسيم ضمن الدولة العربية ، تخلى عنهما جلوب وسحب منهما جيشه العربى وتركهما ليتصارع فيهما الشعب الفلسطينى الأعزل مع قوات اليهود المدربة المسلحة ، بل إن غالب قيادات الكتائب وألوية الجيش الأردنى الزاحف على فلسطين كانت خاضعة لقيادة بريطانية صرفة ، حتى كأنها كتائب بريطانية ، ومن عجب أن تدخل الجيوش العربية معركة مصيرية وجيش القيادة يقوده بريطانيون سعوا للتهويد وعملوا للتقسيم (انظر الملحق رقم وبه بيان بأسماء الضباط الإنجليز الذين تولوا مناصب قيادية بالجيش العربى الأردنى) .

(٤) جهاد شعب فلسطين ، ص ٣٩٥، ٣٩٦ .

الإنجليز .. لماذا ؟ ليستخدموها عند اللزوم لتنفيذ مخطط تهويد فلسطين .

ومن هنا كان ولاء القائد العام لمن اغتصبوا فلسطين وعملوا على تهويدها .

انتبه أيها القارىء ، لتقرأ ما هو أخطر ، لكى تدرك أن الخيانة كانت وراء اغتصاب فلسطين .

الجنرال جلوب ينشر مذكراته : « جندى مع العرب » ذكر فيه :

أجرى توفيق أبو الهدى باشا رئيس وزراء الأردن محادثات سرية مع أرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا فى فبراير ١٩٤٨ ويقترح (قبل دخول الجيوش العربية المعركة) :

أن يدخل الجيش الأردنى فلسطين غداة انتهاء الانتداب تحت شعار حماية فلسطين كلها ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربى ويضمه إلى شرق الأردن دون أن يشتبك مع اليهود اطلاقا وتعهد أبو الهدى بثلاثة أمور :

- ألا يحتل الجيش الأردنى غزة أو الخليل .
- ألا يعتدى الجيش المذكور على اليهود بأى شكل .
- ألا يحتل شبرًا واحدًا من القسم الذى صدر قرار الأمم المتحدة باعطائه لليهود فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

وأضاف أن الأردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ أى خطوة إيجابية إلا بعد مشاورة الحكومة البريطانية ، فشكر بيفن أبا الهدى لوضوح موقف الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته[٥] .

« إن هذا الحدث الخطير الذى يعترف فيه أبو الهدى فى حديثه السرى[*] مع بيفن بحدود التقسيم ، كان خيانة للمفهوم الوطنى العام الذى قررته الدول العربية ووافق عليه

---

(٥) جهاد شعب فلسطين ص ٣٩٦، ٣٩٧ .

(*) يؤكد ذلك أيضًا خطابات صادرة من جلوب باشا قائد الجيش الأردنى من أنه لن يأمر الجيش الأردنى بعبور حدود الدولة اليهودية طبقًا لما جاء فى قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وستكون أهداف الفيلق العربى الأردنى بئر سبع والخليل ورام الله ونابلس وجنين مع قوات الطليعة فى طولكرم وحتى جنوب اللد ، وأشار جلوب أيضًا إلى أن القدس لن يصيبها ضرر .

أبو الهدى نفسه فى اجتماع الجامعة بعالية فى لبنان . حين قرروا بالإجماع تسليح الفلسطينيين ، واعداد جيش الجيوش لتكون على أهبة الاستعداد لتحرير فلسطين » .

« لقد كان اجتماع رؤساء الحكومات العربية هذا منعقدًا فى ٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٧ ولم يُنس أو يُمح من ذهن رئيس وزراء الأردن ، حين كان يحادث بيغن بعد ذلك بثلاثة شهور ، بل لقد كان أبو الهدى نفسه هو أحد المؤتمرين فى مجلس الجامعة العربية المنعقد فى القاهرة فى ٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ : والذى صدر قراره بالإجماع فقال : منذ تلاقت أغراض الاستعمار وأطماع الصهيونية على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وعرب هذه البلاد فى محنة ، تفرض القوة عليهم جماعات أجنبية عنهم ، تأتيهم من الغرب والشرق بلغاتها ، وعاداتها ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشتى الوسائل أراضيهم ، وموارد رزقهم ، وهى اليوم تسلبهم أوطانهم . وقد أمدت الدولة المنتدبة هؤلاء الدخلاء بالمعونة فمكنتهم من إنشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب فى السنين الأخيرة إلى أداة إرهاب وأداة شر على البلاد بما عاثوا فيها من فساد » .

« ولكن للأسف الشديد تنكرت جمعية الأمم المتحدة لذات المبادىء التى تضمنها ميثاقها ، فأوصت بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها ، وهى بذلك قد أهدرت حق كل شعب فى اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادىء الحق والعدالة جميعًا ، وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفًا واحدًا بجانب شعوبها فى نضالها ، لدفع الظلم عن إخوانهم العرب ، وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها ، ولقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات فى اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير اللازمة ما هو كفيل بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات »[٦] .

---

(٦) نفس المرجع ، ص ٣٩٨ وهو يعتمد على فلسطين تاريخًا وعبرة ومصيرًا ص ٢٤٣ ، نكبة بيت المقدس ج ١، ص ٣٣ عن قضية فلسطين ، ص ٤٩ .

المبحث الثانى

الوضع العربى العام ودور أوربا اليهودية فى صنعه

منذ أن وطأت أقدام المستعمر الإنجليزى (وكذلك الفرنسى) أرض العالم العربى حرص على جملة أمور منها :

أولاً : تنفيذ المقررات الأوربية التى تم الاتفاق عليها وتضمنها تقرير رئيس وزراء بريطانيا كامبل بانرمان عام ١٩٠٧ ، وكذلك معاهدة سايكس بيكو ، وكذلك وعد بلفور ، وقد ترتب على ذلك وقوع مصر ، ومنطقة الخليج العربى وعدن والعراق وفلسطين فى قبضة الاحتلال البريطانى ، ووقوع سورية وتونس والجزائر والمغرب فى قبضة الاحتلال الفرنسى ، ووقوع طرابلس الغربى فى قبضة الاحتلال الايطالى ، وجميع البلاد الواقعة شمال البحر الأسود فى قبضة الاحتلال الروسى .

ثانيًا : الإتيان إلى سدة الحكم فى هذه البلاد ، بأشخاص ينتسبون فى الظاهر إلى أمة الإسلام ، وولاؤهم فى الباطن للاستعمار بمختلف أشكاله وألوانه (وسنقدم نموذجًا لذلك من خلال ما نشر فى الصحف العربية) .

ثالثًا : ضرب الخلافة الإسلامية والحرص على عدم قيامها مرة أخرى ، والعمل الدائب على تمزيق وحدة العالم الإسلامى ، وقد اقترن الغزو العسكرى للعالم الإسلامى بغزوة فكرية ، تهدف إلى تربية أجيال لا تحمل من الإسلام إلا اسمه ، وتقوم على :

أ) الاستشراق .

ب) إفساد مناهج التعليم وخاصة مناهج اللغة العربية والدين والتاريخ .

ج) التغريب أى صبغ الحياة داخل المجتمع الإسلامى بالصبغة الغربية غير الإسلامية ففى المجال السياسى استبدلت أنظمة الحكم الملكية والجمهورية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية بالخلافة والإمارة الإسلامية ، نُحيَّت شريعة الله عن الحكم وعطلت الحدود ، وحلت النظم الاستبدادية محل الشورى ، وجىء إلى سدة الحكم برجال أعطوا ولاءهم لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين ، بل واتخذوا مطية لتحقيق مخططات الأعداء .

فعلى سبيل المثال مصر كان على رأسها ملك تربى على أيدى الإنجلبز وفى مدارسهم ، ملك استحل الحرمات[7] كما ذكر ذلك السفير البريطانى فى مصر واتخذ مطية لتحقيق مخططات اليهود والإنجليز .

وخطط الإنجليز لديمقراطية زائفة ، ممثلة فى إنشاء الأحزاب السياسية وفى الانتخابات المزورة، وتكوين لمجالس نواب وشيوخ ، وإعداد لوزراء ورؤساء وزراء ، يتخذ كل ذلك لتحقيق آمال الإنجليز واليهود ومخططاتهم .

وكانت دوائر الحكم فى وادى وما يجرى على أرض فلسطين فى واد آخر ، فدوائر الحكم فى مصر، القصر الملكى، ومعظم الأحزاب السياسية لا تعرف ما فيه الكفاية عن الحركة الصهيونية، وكانت «معظم المعلومات لدى دوائر الحكم تجىء من الحاخام حاييم ناحوم (أفندى) حاخام اليهود فى مصر وأصلان قطاوى (باشا) وهو أبرز أفراد الجالية اليهودية فى مصر ، وكان عضواً بمجلس الشيوخ المصرى ، وكانت زوجته وصيفة شرف لملكة مصر ، وكل من هذين الرجلين كان يصور الحركة الصهيونية على أساس أنها مجرد تنظيم ليهود لاجئين يبحثون عن مأوى يستطيعون فيه العيش بسلام » .

لقد استطاع اليهود تخدير مشاعر الدوائر المصرية[8] السياسية حيال مؤامراتهم لإقامة الدولة اليهودية ، لدرجة أن الحكومة المصرية طوال مدة الحرب العالمية الثانية ، لم تمانع أن

---

(٧) ذكر اللورد كيلرن فى كتابه دبابات حول القصر ، ص ١٣٣ :
إن ولى عهد اليونان وزوجته كانا من شلة فاروق (الملك) وأن فاروق كان يسهر عند أسرة مصرية من أصل يهودى وهى أسرة موصيرى وأخرى هى أسرة قطاوى ، وأن هيلين موصيرى الزوجة تحتفظ بتليفون خاص فى غرفة نومها وهذا التليفون لا يعرف رقمه السرى ولا يستخدمه سوى شخص واحد فقط هو الملك فاروق . « وعندما يحلو لفاروق أن يلعب القمار فى الواحدة صباحًا مثلاً فإنه يدق التليفون لهيلين موصيرى ويطلب منها أن تجهز له البرتيتة » .
وذكر أيضًا أن فاروق (الملك) قد اقتحم منزلها ذات ليلة من الباب الخلفى بعد أن تسلق سور الحديقة وصعد إلى الطابق الثانى .
والذى كان يأخذه فاروق من هيلين موصيرى أو قطاوى أو الممثلة كاميليا واسمها الحقيقى ليليان كوهين أو أى اسم آخر النزوة والمتعة .. الخ وما الذى كان يأخذه اليهود ؟ طبعًا كل شىء « النقط فوق الحروف ، ص ١٥٩ – ١٦٠ » .

(٨) النقط فوق الحروف ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ، وهو يعتمد على ملفات السويس ، لمحمد حسنين هيكل ، ص ١٠٣ ، وإن كان لا يوافقه على كل ما جاء فى كلامه .

يكون فى مصر مركز لتدريب فيلق يهودى ليشترك مع الحلفاء فى معارك الصحراء الغربية فى أواخر ١٩٤٢ وطوال ١٩٤٣ ، وكان هذا الفيلق اليهودى هو النواة الرئيسية للجيش اليهودى فيما بعد(٩) .

لقد أتاح المغتصب الإنجليزى لليهود ، التغلغل فى العالم العربى ومصر سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى ، أتاح للصهيونية فرصًا لنشاطها على أرض مصر ، حتى أنهم (أى اليهود) كانوا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية يجمعون السلاح من مخلفات معارك صحراء مصر الغربية لتسليح اليهود فى فلسطين ، بل انهم قاموا باغتيال لورد موين مندوب الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٤ ، وحين حكمت المحكمة بإعدام قاتليه تعرضت وزارة أحمد ماهر لضغوط كبيرة لعدم تنفيذ الحكم(١٠) .

وفى المجال العسكرى ، فقد حجمت قوات الاحتلال الانجليزى والفرنسى القوات العسكرية فى العالم العربى والإسلامى ، وفرضت عددًا معينًا لا يتعداه جيش أية دولة عربية ، كما فرضت عليه تسليحًا معينًا لا يتجاوزه إلى غيره ، كما فرضت عليه تدريبًا معينًا لا يخدم أهداف الدولة الإسلامية ، وحرصت على إعداد قادة له ، تضمن دوران الجيش وقواته فى فلك السلطة الحاكمة لحماية عرشه وسلطانه وحماية سلطات الاحتلال داخل الوطن الإسلامى .

ولهذا حينما لعبت بريطانيا لعبتها وأعلنت على الملأ أنها ستنسحب من فلسطين ، وأنها لا تمانع من دخول الجيوش العربية إليها ، إنما كانت تعلم يقينا أن عدد الجيوش العربية وعدتها وتسليحها وذخيرتها وتدريبها لن يمكنها من إجلاء اليهود عن أرض فلسطين ولا تحريرها ، بل كانوا على يقين أن بعض هذه الجيوش – مثل جيش الأردن – سيوجه لخدمة مخطط اليهود فى تهويد فلسطين .

وفى المجال الاقتصادى ، أَحلَّ المُحتَّل الإنجليزى المعاملات الربوية محل المعاملات الإسلامية ، وسحب العملة الذهبية التى كانت تتعامل بها الأمة على مدار ثلاثة عشر قرنا

---

(٩) النقط فوق الحروف ، ص ١٦٣، ١٦٤ .

(١٠) النقط فوق الحروف ، ص ١٦٠ ؛ ولعلنا لا ننسى المظاهرات اليهودية التى طافت بشوارع الاسكندرية ، تهتف باسم بريطانيا العظمى التى أصدرت وعد بلفور ؛ ولا ننسى أيضًا أن يهود مصر كانوا يجمعون التبرعات ليهود الأرض المحتلة (جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن) .

من الزمان وترك بدلاً منها العملة الورقية ، ووضع زمام المناطق الزراعية الخصبة فى يد الشركات الاجنبية ، ووضع زمام الصناعات فى يد شركات يرأسها أحد أبناء المسلمين وجميع أو معظم أعضائها من اليهود ، مثال :

١ – مصانع نسيج القاهرة ورئيسها محمد خطاب بك وأعضاؤها اليهود منهم اميل عدس ، ورولان لينين ويوسف زكار .

٢ – شركة النيل للمنسوجات ورئيسها هنرى دى بتشتو ونائب الرئيس عبدالرحمن البيلى والأعضاء منهم إيلى بصرى .

٣ – شركة النسيج والحياكة المصرية ورئيسها حسن مظلوم باشا ومن الأعضاء جاستون عدس وأصلان قطاوى وموريس موصيرى وسيمون رولو وكليمان عدس .

٤ – شركة البيرة المصرية بومنتى والأهرام ورئيسها رينيه اسمعلون والأعضاء منهم جورج ارثر مارتن ، وستيكر .

٥ – الشركة المصرية للمواسير والأعمدة المصنوعة من الأسمنت المسلح ورئيسها موريس موصيرى وأعضاؤها منهم هنرى برسليون ، وفيتا فرحات .

٦ – شركة الطوب الأبيض الرملى ورئيسها أرنست ترمبلى ومن أعضائها يعقوب رسكوب يوركهات .

٧ – شركة مكابس الاسكندرية ورئيسها على أمين يحيى باشا ومن أعضائها ماسيل ، وارمان نحمان ، ودافيد شيكوريل[١١] .

وذلك غير شركات أخرى اسمها النيل والقاهرة والمصرية .. الخ وهى يهودية .

وكان هم هذه المؤسسات الاقتصادية امتصاص ثروات البلاد إلى خارج البلاد ، وقد اتضحت آثار هذا التخريب على اقتصاد البلاد فيما بعد[١٢] .

أما فى المجال الاجتماعى فقد حرص المحتل المغتصب على إشاعة أنماط من الحياة الغربية فى المجتمع ، وحضّ وخطط لإشاعة الاختلاط بين الرجال والنساء ، وعلى خروج المرأة سافرة بدون حجاب (الذى يعتبر فريضة شرعية فى حقها) وفرض عليها أنواعا من التعليم

---

(١١) النقط فوق الحروف ، ص ١٥٤ – ١٥٦ .

(١٢) وكان هذا تنفيذًا لمخططات قديمة منها على سبيل المثال مخطط مارينو سانوتو .

لا تتناسب وطبيعتها ووظيفتها التى خلقها الله من أجلها ، وفتح أمامها أبواب التوظف والعمل لإخراجها من بيتها وحرمانها من حسن التبعل لزوجها وتربيتها لأولادها .

واقترن ذلك بإشاعة الفاحشة وفتح بيوت البغاء وإعطاء التصاريح اللازمة ، كما اقترن ذلك بإقامة مصانع الخمر والخمارات التى كان يملكها ويديرها اليهود ، أى أن المستعمر عمل على إشاعة الفاحشة والموبقات والرذائل فى المجتمع ، لتدمير بنية الأخلاق وحرص المستعمر كذلك على تأسيس أجهزة إعلام مقروءة تتمثل فى الصحف والمجلات التى أسسها جورجى زيدان ، وأميل وبشارة تقلا ، وشاهين مكاريوس تهدف إلى صبغ المجتمع بالصبغة غير الإسلامية ، ومساندة الأنظمة الحاكمة العميلة . ودخل المسرح والسينما ، والغناء والرقص إلى ديار الإسلام لتدمير البنية العقدية للأمة باسم الترويح عن النفس ، وقد نجحت فى ذلك أيما نجاح والدليل على ذلك اطلالة نلقيها على حياة الأمة ليلة زحف الجيوش العربية على فلسطين لتحريرها من اليهود الذين غلبوا عليها .

كانت القاهرة ترقص مع بديعة مصابنى وغيرها من السهرات ، وإذا رجعنا إلى الصحف نجد أن الأمة فى واد ، وما يجرى على أرض فلسطين فى واد آخر .

« برامج السينما والمسرح .. غدا .. غدا .. سراج منير – هاجر حمدى فى البوسطجى ؛ تمتعوا بسهرة لطيفة بكازينو الجمل ، حديقة غناء ، مشروبات شهية ، سينما الشرق بالسيدة زينب ، عروسة البحر ، سينما كايرو .. أسرار دون جواب .
ملاهى الرقص حيث النساء والخمر ، فلم تكن أقل نشاطا من دور السينما : صفية حلمى .. استعراض فن الرقص . بديعة مصابنى وفرقتها الكبرى .. الجائزة الأولى .

أما الإذاعة فإذا استثنينا البلاغات الرسمية ، وبعض الكلمات المناسبة إلى جانب أغنية عبدالوهاب المعبرة من شعر على محمود طه « أخى جاوز الظالمون المدى » إذا استثنينا ذلك ، فقد كانت برامجها سلمية لا علاقة لها بالحرب ، ولا بهيئة تُهيّئ الشعب للإعداد والاستعداد ومعرفة خطورة الموقف وتقدير جوانبه بجميع مستلزماته » .

وفى الساعة ٣,٤٥ دقيقة من يوم ١٧ مايو آيار ١٩٤٨ ، بينما كان أبناء مصر وفلسطين والبلدان العربية من الجنود البواسل والمتطوعين يقاتلون اليهود ويخوضون ميدان الدم ، كانت الإذاعة المصرية تذيع وصفا لمباراة كرة القدم بين فريق مصر والفريق المجرى

على أرض ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية[١٣] ، وفى الساعة الخامسة و٤٥ دقيقة كانت تذيع عديدًا من أغانى الحب والغرام فى برنامج ما يطلبه المستمعون .

الأنظمة العربية عبر ما نشر فى الصحافة المعاصرة[١٤] :

أولاً : نشرت المطبعة السلفية بالقاهرة مجموعة من الوثائق والمقالات نقلاً عن جريدة أخبار اليوم؛ وجريدة المصرى ، ومجلة آخر ساعة وغيرها من الصحف ، تحت عناوين « وثائق خطيرة عن اتصال ولى الأمر فى شرق الأردن باليهود قبل حرب فلسطين » ، « مؤامرات الأردن واليهود ضد جيش مصر ، والجيوش العربية » ؛ « تبعه فشل العرب وضياع فلسطين منهم وتشريد مليون من أهلها » ؛ « وحقائق عن تسليم مدن اللد ، والرملة ويافا وحيفا لليهود » .

---

(١٣) « ولم يختلف الوضع فى دمشق وبغداد وبيروت عن الوضع فى القاهرة ، جماعات من الشعب تتحدث عن زحف عسكرى على فلسطين ، وجموع غفيرة تؤم دور السينما والمسارح وملاعب الكرة ، وأندية القمار فى اطمئنان ، كأن الأمر لا يعنيها ولا يشغلها ؛ فبينما الأبطال الفلسطينيون يترنحون تحت سلاح الصهيونية المستوردة بعون أمريكا وبريطانيا ودول أوربا كلها ، وبينما كان الشعب العربى فى سوريا يحترق ألمًا على أحداث فلسطين ، كان جانب آخر من الأمة يمثل عدم المبالاة والبعد عن مستوى المعركة وجديتها » .

« هذه هى صورة الأوطان العربية أو بعضها ، إنها بعيدة عن الفهم العميق للمأساة ، وهى غير مدركة للنتائج المرتقبة لمعركة يجب أن تجند فيها كل الامكانيات ، ولصراع رهيب وضعت قواعده ضدنا الصليبية الاستعمارية ربقينا نحن سادرين فى غفلة ولهو ودون مبالاة . ولكن كل وطن من الأوطان لم يخل من مخلصين كانوا يتحرقون ألمًا لما يقع فى بلادهم ، وكانوا طلائع الحرية فبعثوا بفدائيهم إلى الميدان يخوضون المعارك قبل دخول الجيوش ، وكانت مصر أكثر الأوطان حماسة ، وكان مجاهدوها من الإخوان المسلمين وغيرهم يقودهم الشهيد أحمد عبدالعزيز يجاهدون اليهود والانجليز فى صدق وعزم ، فى عراق سويدان والخليل والفالوجا ، وضواحى القدس ، وكان مجاهدون آخرون يعبرون الحدود من سوريا والأردن والعراق ومن الشمال الافريقى إلى فلسطين (جهاد شعب فلسطين ، ص) .

(١٤) تحت عناوين : « وثائق خطيرة » .

أ) بعض ما نشرته جريدة أخبار اليوم :

(١) نشرت الجريدة بالعدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٥٠ :[١٥]
« وثائق خطيرة (خمس) بخط الملك عبد الله ملك شرق الأردن ، وبخط كبار رجال حكومة إسرائيل المسئولين ، تثبت أن الملك الهاشمى ، كان على اتصال باليهود طول مدة حرب فلسطين وبعدها » .

وقد علقت الجريدة على الوثيقة الأولى[١٦] بكلام نقتطف منه :

١ – « إن الملك عبد الله بدأ من نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، وهى أخطر فترة على الجيش المصرى بفلسطين – يتصل باليهود فى باريس بواسطة سفيره فى لندن » .

٢ – « إن الملك عبد الله اجتمع فى ١٣ إبريل ١٩٤٨ ، أى قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بأكثر من شهر ، أى فى نفس الوقت الذى كان جلالته فيه يطالب بالقيادة العليا وكل الجيوش العربية – باثنين من وزارة حكومة إسرائيل فى (غور المجامع) واتفق معهما على قبول قرار التقسيم » ؛ وفى اجتماع آخر اتفق الملك عبد الله مع جولدا مايرسون سفيرة إسرائيل فى موسكو « **أن يقف الجيش الأردنى والجيش العراق** عند الحدود العربية كما رسمها قرار التقسيم ، وهو الاتفاق الذى أيده بعد ذلك عمليا موقف الجيش الأردنى والعراقى فى عمليات فلسطين » .

كما علقت الجريدة على الوثيقة الثانية[١٧] ؛ بكلام :

إنه لولا أن الكولونيل عبد الله التل القائد العربى للقدس خالف سرًّا تعليمات ملكه الصريحة ، وبذل كل محاولة لإحباط الاتفاق بين الملك واليهود لوقعت معاهدة الصلح بينهما فى ذلك الوقت .

---

(١٥) المرجع السابق ، صفحة وما بعدها .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٦ .

(١٧) نفس المرجع ، ص ٩

وعن الوثيقة الثالثة قالت[١٨] جريدة الأخبار :

إن الملك الهاشمى يثق فى حسن نيات اليهود ؛ وأنه يخبر اليهود بحركات جيوشه فى فلسطين .

وعلى الوثيقة[١٩] الرابعة علقت الجريدة بكلمات منها :

أما موسى شاريت وزير خارجية اليهود يعرب عن تقديره للملك الهاشمى ، ويطمئنه بأن قوات اليهود لن تتعدى حدود شرق الأردن .

وفى نهاية التعليقات ذكرت الجريدة :

« إن هذا الاتفاق السرى بين اليهود والملك الهاشمى ، من قبل أن يجلو الإنجليز عن فلسطين ، ومن قبل أن تدخل الجيوش العربية إليها – هو المسئول عن الكوارث التى وقعت فى فلسطين » .

« إن هذه الوثائق تدل على أن الملك الذى كان قائدًا أعلى للجيوش العربية اعترف بإسرائيل ، واعترف بحكومتها ، واعترف بوزير خارجيتها وأرسل الوفود للاجتماع سرًّا برجالها فى الوقت الذى كان يموت فيه ألوف المصريين برصاص اليهود ، وفى الوقت الذى قاطعت فيه مصر إسرائيل ورفضت أن يدخل مندوب إسرائيل الاسكندرية للاجتماع فى المؤسسة الإقليمية للصحة » .

وواصلت جريدة أخبار اليوم نشر الوثائق فى عددها رقم ٢٨١ الصادر بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٥٠ تحت عنوان :[٢٠]

«وثائق جديدة خطيرة بتوقيع الملك عبدالله» ..

الملك عبد الله يعتذر لليهود عن حرب فلسطين ، وعلقت الجريدة على الوثائق بقولها :

« لقد كان جلالته القائد الأعلى للجيوش العربية ، ومع ذلك فاوض اليهود من وراء ظهر

(١٨) نفس المرجع ، ص ١٢ .

(١٩) وثائق خطيرة ، ص ١٥، ١٦ .

(٢٠) نفس المرجع ، ص ٢٠ .

الدول العربية ، وسلم لليهود بأنه لا حق للعرب فى النقب ، فى الوقت الذى كان الجيش المصرى فيه يروى صحراء النقب بدماء المصريين .

إن الملك عبدالله قابل بعض المسئولين اليهود :

وإن المفاوضين اليهوديين أبديا خوفهما من أن لا يلتزم الجيش[٢١] العراقى الهدنة التى يلتزم بها الملك عبدالله ، وأن صاحب الجلالة الهاشمية تعهد بأن يأخذ الجيش العراقى على مسئوليته ، وكتب فى اليوم الثانى إلى شرتوك يقول : إنه عزم على تسلم الجبهة العراقية رغبة فى التسوية المأمولة .

إن الملك يطلب من شرتوك أن تسرى اتفاقية وقف إطلاق النار على الجبهة العراقية من ساعة تسلم الجيش الأردنى لها .

« إن هذه الحركات التى أبلغ بها اليهود لم تبلغ إلى باقى الجيوش العربية أو حكوماتها » .

« إن الغور والشونة شهدتا مفاوضات عديدة بين الملك ورجال حكومتها ، ومن بينها هذه المفاوضات التى تم على أثرها تسليم منطقة المثلث وسكة حديد جنوب القدس لليهود » .

« إن صاحب الجلالة لم يكتف بإرسال تحيته إلى عزيزه المستر شرتوك ، بل شفعها بتحية إلى عزيزه ابن غوريون رئيس وزراء إسرائيل »[٢٢] .

كما علقت الجريدة على إحدى هذه الوثائق وهى عبارة عن خطاب من صاحب الجلالة الهاشمية إلى اللورد صموئيل أول مندوب بريطانى[٢٣] فى فلسطين وإليه يرجع الفضل فى توطيد دعائم الصهيونية فى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى :

« والخطاب عبارة عن دعوة لهذا اليهودى المتطرف بزيارة عمان « كيف شاء ووقتما يشاء » كما أنه يلقى اللوم على الشعب العربى كله أمام اليهودويتهمه بأنه المسئول عما حدث

---

(٢١) نفس المرجع ، ص ٢٣ .

(٢٢) وثائق خطيرة ، ص ٢٣، ٢٤ .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ٢٤ – ٢٧

وأنه لم يطع الملك ، وكل ما فعلته الشعوب العربية هو أنها دخلت الحرب ضد اليهود ، كما أنه يعتمد على اليهودى اللورد صمويل ونصائحه ، وأنه قرر أن يحصل على مزايا السلام » .

وفى نهاية المقال طالبت جريدة أخبار اليوم : جامعة الدول العربية بالتحقيق مع صاحب الجلالة الهاشمية عبدالله بن الحسين عزيز شرتوك .. وبين غوريون واللورد صمويل .

ب) بعض ما نشرته جريدة المصرى :

نشرت جريدة[٢٤] المصرى بعددها الصادر فى ٢٧ مارس ١٩٥٠ مقالا للأستاذ محمود أبو الفتح **تحت عنوان** :

إلى مجلس الجامعة العربية : عبدالله بن إسرائيل وبريطانيا ، هل فى الجامعة العربية حياة أو دبّ فيها الفناء ؟

ويدور مقال الكاتب – رحمه الله – حول تصرفات الملك عبدالله التى ذكرت جريدة أخبار اليوم طرفًا منها **ووصل إلى النتائج التالية** :

« ثم عاد هذا القائد العام ، وفى أذنيه دوى هتاف الشعوب العربية التى عقدت عليه الآمال » .. وما كاد يصل إلى مقر قيادته العامة حتى قهرت أصوات المدافع ، وخبت نيرانها .. وجلت جنوده عن مواقع رئيسية (فى فلسطين) وسلمتها عن طيب خاطر للصهيونيين ، وتخلت لهم عن أراضى وقرى ومدن خضّبتها دماء عرب فلسطين دفاعا » .

« لقد مد يده للصهيونيين يفاوضهم ويساومهم على حساب العرب المشتتين المشردين على حساب مئات الألوف الذين طردوا من ديارهم بعد أن رأوها تنهب وتخرب وتدمر ، على حساب انتهاك أعراض نساء العرب » .

« ووصف الكاتب الملك عبدالله بالخيانة التى لا يكفى فى وصفها كلمة عظمى خيانة لجيش مصر الذى اجترأت قوات اليهود على مهاجمته لأنها أمنت جانب عبدالله وجيشه ، بل وحصلت منه على أسرار عسكرية مكنتها من الانتصارات الدامية التى أحرزتها » .

---

(٢٤) وثائق خطيرة ، ص ٢٩ – ٣٥ .

« خيانة لمصر وشعبها الذى استقبله استقبالاً منقطع النظير وائتمنوه على قيادة جيوشهم ، فكانت النتيجة أن تآمر عليها مع أعدائها ، وأن ضحى بمئات ومئات من خيرة جنودها » .

« وخيانة للدول العربية التى وثقت به واطمأنت إليه ، ووضعته فى موضع الزعامة ، وسلمته قيادها العسكرى » .

« خيانة للعروبة التى انضم إلى كتلتها ووقع ميثاقها » .

« خيانة لمليون عربى وعربية « مسلمين ومسيحيين » .. فكانت النتيجة أنه ساوم الصهيونيين عليهم ، وباعهم بيع السلع ، وتركهم فريسة رخيصة للطغاة المدمرين الفتاكين » .

« كان الناس يتوقعون من مجلس الجامعة فصل شرق الأردن ، (ولكنه تردد) والناس يعزون ذلك إلى ضغط بريطانيا على الدول العربية ، فقد أصدرت حكومة لندن تعليماتها إلى سفاراتها ومفوضياتها فى تلك الدول أن تبذل كل جهد لمنعها من التعرض للملك عبدالله ، وعدم اتخاذ قرار بفصله من الجامعة العربية »[٢٥] .

وبتاريخ ١٩ مارس ١٩٥٠ نشرت جريدة المصرى تحت هذا العنوان :

« ابترو هذا الجزء الفاسد فى جسد الأمة العربية[٢٦] وورد فيها » .

« وهل كان أفجع للاتحاد العربى من أن يسلم الملك عبدالله مدينتى اللد والرملة إلى اليهود ، والحرب دائرة بين الجيش المصرى واليهود ؟ وليت الأمر وقف عند ذلك الحد » .

لقد حان الوقت بعد ظهور تلك الحقيقة الموجعة عن اتصالات الملك عبدالله باليهود ، لأن تعمل الجامعة العربية والدول العربية ، على قطع صلاتها بشرق الأردن ؟ البلد الذى خان الإسلام ، بعد أن خان الحلف العربى وقضية فلسطين » .

« لقد حان الوقت ، لأن نبتر ذلك الجزء الفاسد من جسم الأمة العربية ،... وبذلك وحده ، نريح ونستريح .. لأن الاخوة التى تطعننا من الخلف ، أبشع وأخطر من العداوة التى تشهر فى وجوهنا الرماح » .

---

(٢٥) نفس المرجع ، ص ٢٩ - ٣٥ .

(٢٦) نفس المرجع ، ص ٣٦ - ٣٧ .

ج) مجلة آخر ساعة :

ونشرت مجلة آخر ساعة مقالات بعددها ٨٠٢ الصادر بتاريخ ١٩٥٠/٣/٨ للأستاذ محمد التابعى تحت عنوان هذه هى الجامعة العربية[٢٧] منتقدًا قانون العقوبات المصرى الذى ينص على عقوبة ما يسميه جريمة العيب فى رؤساء الدول وذوات الملوك .

وتحدث عن الموقف السلبى لجامعة الدول العربية من الملك عبدالله الذى يفاوض إسرائيل فى عقد صلح جامعة الدول العربية التى نادت وماتزال تنادى بالعداء حتى الموت لحكومة إسرائيل .

وتحدث الكاتب عن العصر الذى تباع فيه قناطير المبادىء من أجل درهم مصلحة شخصية أو دراهم تدخل الجيب » .

« ولما بيتت المؤامرة بليل وركزت إسرائيل هجومها ضد قوات مصر ، بعد أن اطمأنت إلى سكون أو سكوت جيش العراق وشرق الأردن وتساءل الكاتب ؟ لماذا لا تأخذ هذه الخيانة مكانها فى جدول الأعمال ؟ » .

وفى عدد ٨٠٤ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٢ نشرت نفس المجلة مقالا لنفس الكاتب وصل فى نهايتها بعد حديث عن الوثائق التى نشرتها جريدة أخبار اليوم أنها تثبت[٢٨] :

(١) « إن الملك الأردنى اعترف بحكومة إسرائيل » .

(٢) « إنه اشترك فى حرب فلسطين وليس فى نيته ولا فى نية الجيش « الهاشمى أن يزحفا على تل أبيب » .. إن الملك عبدالله دخل وجيشه فلسطين لا لينقذوا فلسطين ، وإنّما لينفذوا عمليا قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود » .

(٣) إن قضية الملك عبدالله .. هى نفس قضية إسرائيل .

(٤) فى الوقت الذى كانت صحافة العرب تكتب عن فظائع الصهيونيين وكيف إنهم كانوا يحرقون القرى العربية ويشتتون ويطاردون عرب فلسطين .. ويذبحون الشيوخ والأطفال ويبقرون بطون الحبالى من نساء العرب » ، كان الملك عبدالله يكتب إلى عزيزه مستر شرتوك ليبلغه اطمئنان جلالته إلى حسن نوايا إسرائيل » .

---

(٢٧) وثائق خطيرة ، ص ٣٩ – ٤٤ .

(٢٨) نفس المرجع ، ص ٤٥ – ٥٢

والآن وضح الخفاء ، وعرف العالم العربي لماذا خسرنا فلسطين خسرنا فلسطين لا لأننا بخلنا بالجهد أو بالروح أو بالمال وإنما خسرنا لأن نفرًا منا خان قضية العرب .. وراح يتآمر مع الصهيونيين أعداء المسيحية والإسلام .

« إن سبة اليوم أن حكومة عربية .. قد باعت شعبًا كريمًا لليهود » .

حان الوقت أن ننسحب من هذه المهزلة التى نسميها جامعة الدول العربية مادام فيها .. من لا يتورع عن مفاوضة أعداء رب البيت وأعداء العرب وأعداء الإسلام .

اللهم إلا إذا رأى أهل الرأى ، أن تنكمش الجامعة العربية على مصر وسوريا التى لم يستقر أهلوها على رأى بعد .. ولبنان الذى لم يدخل الجامعة إلا تورطا ، أو على الأقل دخلها على كره من طائفة كبيرة من أهليه ! واليمن التى لم ترسل جنديا واحدًا إلى حرب فلسطين بحجة عدم استقرار الأحوال .. والمملكة السعودية التى لم تقتصد فى الكلام عن حبها للعروبة وفلسطين .. ولكنها عندما جد الجد رفضت بل واستنكرت أن تهدد أمريكا بالغاء امتيازات البترول حتى ولو كان فى هذا التهديد انقاذ فلسطين .

إذا رأت مصر هذا الرأى فليكن لها ما تريد ! ولكن الفصل الثانى من المهزلة أن لا ريب فيه ! » .

وفى العدد ٨٠٥ من مجلة آخر ساعة الصادر بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٩ كتب الأستاذ التابعى[٢٩] مقالاً يلوم فيه جامعة الدول العربية والحكومات على موقفها من تصرفات الملك عبد الله :

إغماض العين عن الخيانة ! والسكوت على الغدر وكتم الدم على القيح هكذا قال ونادى زعماء وساسة فى القاهرة وفى دمشق وفى بيروت وطبعا فى بغداد !

وليبق العضو الفاسد !.. وليحضر اجتماعات مجلس الجامعة .. جامعة العروبة وافرحى يا إسرائيل ..

لا عقاب ولا ملامة .. بل ولا كلمة تأنيب ! سيبقى شرق الأردن عضوا فى جسم العروبة .. ولا بأس من أن يرتبط بعهود جديدة ومواثيق جديدة ، لكى ينكث بها غدا .. أو لكى يفشى غدا سرها إلى إسرائيل والعزيز موسى شرتوك والمحترم ابن جوريون .

(٢٩) وثائق خطيرة ، ص ٥٣ – ٥٧ .

ثانياً : كما نشرت هذه الصحف بعض المقالات تتصل بموقف بعض الانظمة العربية وموقف الدول الأوربية من القضية الفلسطينية ، وكلها تؤكد أن تهويد فلسطين كان يجرى تحت سمع وبصر الأنظمة العربية والأوربية ، بل وبمعاونتها ، والدليل :

(١) حديث للقائد العربى المسلم عبدالله التل وبه تقام الحجة على الأمة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويؤكد جملة أمور :

إن ما جرى على أرض فلسطين قبل وأثناء وبعد حرب ١٩٤٨ ، كان بتخطيط من الإنجليز واليهود ، وكان يهدف إلى تدمير القوة العربية العسكرية ، والتمكين لليهود على أرض فلسطين ، فالإنجليز عبر عميلهم جلوب ومساعديه فى الجيش العربى ، منعوا المجاهدين من مهاجمة القدس أو الجامعة العربية ، وعبر عميلهم منع الجيش العربى من نجدة إخوانه من أبناء الجيش المصرى فى النقب بل وإخوانه المجاهدين الفلسطينيين .

إن الإنجليز حينما اجتذوا جزءًا من بلاد الشام وأقاموا عليه إمارة شرق الأردن ، وجعلوها قاعدة عسكرية لقواتهم ، وعينوا لها ملكا ربطوه برباط التبعية ، وجعلوا لها جيشا جعلوا زمام أمره بيد ضباطهم اليهود أو الموالين لهم ، وجعلوا الأنظمة العربية الأخرى تلقى زمام جيوشها إلى القيادة العامة ممثلة فى شخص ملك الأردن ، بهدف منع أية مساعدة للانتفاضة الفلسطينية عبر الجبهة الشرقية لفلسطين ، أى إحكام الحصار حول فلسطين أثناء تنفيذ خطة تهويدها ؛ وهكذا أقام الإنجليز جيشا عربيا زمامه بيد الإنجليز اليهود أو الموالين لهم ، لتحقيق مخططهم والسؤال الذى يطرح نفسه بعد العرض لكل ما سبق ، لماذا اتخذت الأنظمة الحاكمة موقف الشيطان الأخرس حيال ما حدث ، هل لأن حاكم شرق الأردن كان ينفذ مخططا متفقا عليه ؟ أم أن الأوامر من السيد الإنجليز صدرت بعدم التعرض لحاكم شرق الأردن ؟ وكل هذا محتمل وخاصة أن كل الأنظمة قد اتخذت موقف الصمت ، إذا استثنينا بعض الأقلام التى كانت تتناول المسألة بالصحف .

إن السياسة الإنجليزية المرسومة فى فلسطين كانت حرمان المجاهدين من مهاجمة اليهود فى القدس ، ومن مهاجمة الجامعة العبرية ، كما أنها كانت تقضى بانسحاب الجيش العربى من اللد والرملة وتسليمها ويافا وحيفا إلى اليهود ، بل كانت حريصة على تجريد الفلسطينيين من السلاح الموجود بأيديهم .

إن الإنجليز هم الذين منعوا الجيش العربى من إطلاق رصاصة واحدة فى مواقعه على خليج العقبة ، بل وهم الذين أمروا قيادته بسحب القوات من النقب الجنوبى الذى كان يوصل الأردن بمصر ، وهم الذين فرضوا عليه عدم مساعدة الجيش المصرى فى النقب أثناء قتاله لليهود .

إن المساعدات المالية والعسكرية الإنجليزية للأردن ، كانت فى مقابل القواعد العسكرية التى تسيطر عليها ، وثمنا للسيطرة على قيادة الجيش وتوجيهه الوجهة التى تخدم مخطط الاستعمار واليهود . إن اليهود ماضون فى بناء القلاع العسكرية واتخاذها قاعدة للتوسع فى المستقبل فى الأرض المحتلة وهذه كلها قرائن تؤكد أن الذى رمى العالم العربى باليهود ، هم الإنجليز ، وأن دعم اليهود فى اغتصاب فلسطين وغيرها من ديار العالم الإسلامى ، خط ثابت فى سياسة الإنجليز والدول[٣٠] الاستعمارية .

(٢) المقال الذى نشرته آخر ساعة عدد ٧٩٩ بتاريخ ١٩٥٠/٢/١٥ :

إن هذا الخبر يؤكد جملة أمور :

● اعتماد العدو فى تحقيق انتصاراته العسكرية على اختراقه لقوات العالم العربى من خلال عملائه ، والتعرف على أدق أسرارهم وخططهم العسكرية ، وأيضا على غفلتهم وهذا الذى وقع سنة ١٩٤٨ ، قد تكرر سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧[*] بل و١٩٧٣ .

دور قائد الجيش الأردنى ، الإنجليزى الخائن « جلوب » فى التمكين للعدو ، وعلى كل ليس الخطأ خطأه ، وإنما خطأ ولى الأمر الذى سمح للأعداء أن يمكسوا بزمامهم وبوجهوهم الوجهة التى تخدم مخططاتهم .

صدق الله القائل سبحانه : ﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ ، فحينما أتيحت للخائن جلوب أن يضع خطة لإنقاذ قوات الجيش المصرى المحاصرة فى الفالوجا ، وضع خطة تكفى لإبادتهم إبادة كاملة وتدمير أسلحتهم لو قدر لها ونفذت ، ومن الخطة أن يخرج الضباط والجنود بملابس النساء .

---

(٣٠) وثائق خطيرة ، ص ٨٩ – ٩٨ .

(٣١) وثائق خطيرة ، ص ٧٣ – ٨٣ .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، محمد جلال كشك ، الزهراء للإعلام .

● يقظة وشجاعة بعض رجالات القوات المسلحة ودقة فهمهم للمسائل ، وإدراكهم لدور وعمالة الخائن جلوب وضباطه ، ومن هؤلاء اللواء أحمد فؤاد صادق الذى أبرق إلى قائد الفالوجا الأميرالاى السيد طه يقول : « ارفض هذه الخطة .. واطرد ذلك السكير لوكيت من مواقعك .. أى مجد عسكرى فى مثل هذا العمل .. إنها كارثة محققة .. دافعوا على مواقعكم لآخر طلقة ولآخر رجل ، فهكذا يجب أن يكون جنود مصر » وهذا هو السبب لتنحية اللواء فؤاد صادق عن موقعه ، وهذا دليل على أن النظام الحاكم فى مصر كان خائنا ويعمل أيضا لخدمة مخطط اليهود .

من هو « لوكيت » أحد ضباط الجيش العربى ؟؟ وكيف تحقَّق له ذلك ؟ لوكيت هو أحد ضباط المخابرات الإنجليزية ، خدم فترة فى فلسطين ، وكان ياورًا للجنرال ونجث الذى أشرف على تدريب جيش الهاجاناة اليهودى ، ثم نقلُ إلى بورما .. وحينما وقعت الأحداث على أرض فلسطين ، استطاع أن يحصل على وظيفة عبر جامعة الدول العربية لتدريب المتطوعين فى حرب فلسطين ، وفجأة أصبح ضابطًا عاملاً فى صفوف الجيش العربى وأصبح موضع سر جلوب ؟؟

هل أدركنا الآن لماذا نزلت المصائب والهزائم بأمتنا عام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ١٩٧٣ .. هل عرفنا أن السبب يكمن فى استخدام الخبراء والضباط الأجانب لتدريب وتطوير قواتنا .. هل عرفنا أن السبب يكمن فى دائرة المعلومات الضخمة التى يحصل عليها الأعداء اليهود عبر الأمريكان والروس والإنجليز والفرنسيين وغيرهم بحجة حل مشاكل قواتنا .. هل عرفنا السبب فى أننا نسمح لأبنائنا أن يتتلمذوا على أيدى أعدائنا .. هل أدركنا الآن لماذا حرص العدو على تجريدنا من أسلحة العصر الفعالة ، وعلى تقليص دور قواتنا ، وعلى عدم السماح بتواجد عسكرى فى سيناء .. السبب حتى يسهل عليه التهامها ويصبح الطريق مفتوحاً إلى مصر والجزيرة العربية .

(٣) المقالة التى نشرتها جريدة المصرى[٣٢] بتاريخ ٧ مارس ١٩٥٠ :

تعليقة :

انتبه أيها القارىء ! هذه المقالة نشرتها جريدة المصرى ، جريدة وطنية ، مستنكرة

(٣٢) وثائق خطيرة ، ص ٦٩ - ٧٢ .

اتصالات بين أحد قادة العالم العربى وبين الإنجليز واليهود .. لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ؟؟

فما الذى حدث اليوم .. ما الذى جرى لصحافتنا التى تبارك اتفاقيات سلمت لليهود بأنهم أصحاب فلسطين مثل كامب ديفيد !! صحافتنا التى تحرص على تطبيع العلاقات بين أمتنا وبين العدو اليهودى الذى اغتصب مقدساتها وديارها وسعى إلى تشريد من تبقى من أمتنا .. صحافتنا التى كانت تعتبر حماية اليهود الذين يغتصبون ديارنا ويقتلون أبناءنا ، جريمة واليوم تعتبرها صحافتنا وأنظمتنا واجبا إنسانيا ومروءة وشهامة .. أى مروءة وأى شهامة وهم يقتلون الأطفال بدفنهم أحياء ولا يرحمون شيخًا ولا امرأة ، فضلا عن أنهم يغتصبون قدسنا ومسجدنا الأقصى ... أين الأقلام الحرة الطاهرة لتجهر بكلمة الحق ؟؟

إن الحكومات العربية قد اتخذت مطية لتحقيق مخطط اليهود فى فلسطين ، وأن هذا العمل خيانة عظمى ، وهو فعلاً خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ، لأنه سلم أرض الإسلام لأعداء الإسلام وذلك يعنى أن المخططات تحمل وزر تنفيذها الأنظمة الحاكمة من وراء ظهر الشعوب . أين الكتاب الذين يجرمون هذا العمل ابتغاء مرضات الله مهما كان الثمن .

حرص الأنظمة الحاكمة على طمس اسم فلسطين ، ومقاومتها للحركات التحريرية التى ترمى إلى إنماء الوعى القومى فى البلاد واعداد الشباب إلى التكتل والعمل على كل ما يمكن للمسلمين من الوقوف فى وجه الطغيان اليهودى .. ألا يستدعى ذلك كلمة حق ؟؟

(٤) المقالة التى نشرتها جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٠ :

إن صَحّ ما نشرته جريدة الأهرام فذلك دليل على أن أوربا واليهود قد بيّتوا لعدوان على العالم العربى ، يتم السيطرة فيه عليه خطوة خطوة ، وسيلتهم فى ذلك الانفراد بكل قوة من قوى العالم العربى ، وتحجيمها وتحييدها ريثما يتم تصفية القوى الأخرى ، ويتم ذلك عبر قيادات متفاهمة ومتجاوبة مع أهداف اليهود وأوربا ، ويأخذ ذلك شكل الاتفاقات الدولية التى لا يحترمها العدو إلا لفترة تمكنه من تحقيق ما يريد ثم يرمى بها عرض الحائط .

● إن أوربا هى التى مكنت وتمكن للعدو اليهودى من تحقيق أطماعه فى بلاد المسلمين ، ووزير انجلترا فى عمان كبر كبريد ، ووزير الولايات المتحدة جيرالدرو هما اللذان حضرا توقيع الاتفاق بين الملك عبدالله وابن جوريون رئيس الوزراء اليهودى على ظهر

---

(٣٣) وثائق خطيرة ، ص ١٠٦ .

المدمرة البريطانية ماك فاى فى خليج العقبة وكان معهم وزير البلاط سمير رفاعى – ان صح ما نشرته جريدة الأهرام .

وما حدث – إن صح ما نشر – هو نفس الذى حدث فى كامب ديفيد فالولايات المتحدة وأوربا كانتا وراء توقيع هذه المعاهدة .. لأن الأرض المحتلة تحت قيادة اليهود ، تشكل رأس الجسر التى تعبر عليه أوربا وأمريكا إلى ديار العالم الإسلامى ، وهى مخزن السلاح الاستراتيجى لأوربا وأمريكا بمنطقة الخليج وجنوب شرق آسيا ، وهى الذراع التى تفتت به أوربا وحدة العالم الإسلامى وتمزقه ، وهى الوسيلة لفتح الأسواق أمام منتجات العالم الغربى من السلاح وغيره من السلع الاستراتيجية .

● إن العالم الإسلامى كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فها هى جريدة الفجر التى تصدر فى كراتشى تعلق على اتفاق الأردن واليهود ذكرت فيه « إنه إن صح ذلك ، فإن الملك عبدالله يكون قد خان قضية العرب بكيفية لم يسبق لها مثيل » .

« وذكرت الجريدة ان ذلك الاتفاق ليس إلا مقدمة للعدوان اليهودى على العالم العربى ، وهو يشبه الاتفاقات النازية التى سبقت الحرب الأخيرة » . كم مضى يا أمتنا على هذه الكلمة؟ أربعون عاما تعرض العالم العربى لضربات موجعة ماحقة من قبل اليهود عام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ ، وعام ١٩٧٣ ، وعام ١٩٧٩ حينما وقعت اتفاقية مخيم داود .

إن هذه الاتفاقية ، وأمثالها ، كاتفاقية كامب ديفيد بين مصر واليهود فإنما تهدف إلى تجنب الاحتكاك عسكريا مع مصر مرحليا – بموجب ذلك الاتفاق – وتهدف إلى فتح أسواق جديدة لمنتجاتها ، لأنها أدركت أن مقاطعتها اقتصاديا قد أنزل أفدح الخسائر باقتصادياتها ، فضلا عن فتح الطريق أمامها لإنزال ضربات تدميرية بالبنية الاجتماعية والاقتصادية وغيرها لهذه البلاد ، تمهيدًا للوثوب عليها عسكريا .

وأعربت الجريدة – وهذه حقيقة – عن أسفها لعدم قيام التضامن والاتحاد بين الدول العربية وقالت : إذا كانت الأماكن المقدسة لا تستطيع جمع كلمة العرب ، فإن الإنسان يتساءل عن الأمور التى يمكن أن تجمع كلمتهم ...

كما نبهت الجريدة إلى خطورة الدور الذى تؤديه المنظمة الدولية « يبدو أن هيئة الأمم تؤثر أن تترك لإسرائيل الحرية لتحل مشكلة فلسطين ، كما يحلو لها .. » .

(٥) المقالة التى نشرتها مجلة آخر ساعة فى عددها ٨٠٤ بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٢ :

ما هو الوصف الذى يمكن أن نصف به قيادات الجيوش العربية – فى ذلك الوقت ، الغفلة ؟ أم السذاجة ؟ وقبل ذلك ما هو الوصف الذى يجب أن نصف به الإنجليز !! الأصدقاء الأوفياء !؟ لأمة العرب ؟؟ أم الغدارون ؟ أم المتآمرون ؟ أم الخونة ؟؟ أم المستغلون ؟؟ أم الأعداء ؟؟

وما هو الوصف الذى يمكن أن توصف به الأنظمة الحاكمة ؟ الغفلة ؟ أم العمالة ؟ أم الاثنين معا .. كيف يستجيب حاكم الأردن لرغبة الإنجليز ، ويعين انجليزيا يدين بولائه لليهود قائدًا للجيش العربى ، يطلعه ويشاوره فى خطط القيادة العليا للجيوش العربية ، إن غفلة القيادة أدى إلى وصول تقرير رؤساء أركان حرب الدول العربية عبر جلوب إلى الكولونيل الإنجليزى اليهودى جولدى أحد ضباط الجيش العربى (كان قائدًا عامًا للمنطقة المحيطة بالقدس) ومن يده وصل التقرير إلى يدى الكولونيل موسى ديان قائد القدس اليهودى .

(٦) المقالة التى نشرتها جريدة المصرى بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٤ :

إن الاتفاق الأردنى اليهودى ليست قضية محلية بين شرق الأردن ، واليهود ، بل انّها أبعد من ذلك بكثير ، وأنها ستكون الثغرة التى تصيب بناء وحدة العرب فى قضايا أخرى لا تقل خطورة عنها .

والإنجليز هم وراء الذى حدث ، وبعد هذه الحادثة بأربعين سنة ، كان الاتفاق المصرى اليهودى (كامب ديفيد) المصيبة التى دمرت الكيان العربى فى وجه الهجمة اليهودية الأوربية الشرسة ، ووراء هذا الذى حدث الإنجليز والأمريكان والروس وغيرهم ، واتخذوا المنظمات الدولية مطية لتحقيقه .

بل إن اتفاقية كامب ديفيد، كانت تكأة لمطالبة أوربا وأمريكا العالم العربى بل والإسلامى أن يُطبِّعوا علاقاتهم مع العدو اليهودى الذى اغتصب المقدسات ويعد العدة لالتهام ما تبقى من ديار الإسلام .

---

(٣٤) وثائق خطيرة ، ص ٨٤ – ٨٨ .

(٣٥) وثائق خطيرة ، ص ١٠١ – ١٠٥ .

إن وسيلة اليهود والاستعمار فى تنفيذ مخططاتهم ، هى الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى ، ومثال ذلك إسقاط الوزارة العراقية التى كان يرأسها فخامة على جودت الأيوبى ، والاتيان بحكومة لا تقف فى وجه المشاريع التى تطبخ فى لندن وترسل إلى بغداد ، وما حدث يحدث الآن على امتداد الكثير من ديار العالم العربى والإسلامى ، وبهذا يتضح أن سفر المسئولين العرب إلى عواصم الغرب والشرق لإطلاعهم على الخطط المرسومة والاتفاق على كيفية التنفيذ ، وأدوارهم فيها .

(٧) المقالة التى نشرتها جريدة الأساس[٣٦] بتاريخ ١٩٥٠/٣/٢٧ :

تعليق :

إن العالم العربى لا يخلو من رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ومن هؤلاء القائد عبدالله التل ، وأيضا الوزير الأردنى لدى الدولة العربية السعودية ، وهو من كبار القضاة الأردنيين ، هذا الرجل استقال من منصبه ولجأ إلى مصر احتجاجا على المفاوضات السرية التى كانت تجرى بين الملك عبدالله واليهود .

إن هذا العمل - أى التفاوض مع اليهود - كان يعتبره الناس خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ومضى الزمن وتتابعت الأحداث وانقلبت المعايير وأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا كما أخبر بذلك رسول الله محمد ﷺ ، وأصبح فى ضوء انقلاب المعايير التفاوض بين العرب واليهود بطولة ، وعملاً من أعمال التمدن والتحضر ، أصبح العمل على تطبيع العلاقات بين العرب وبين اليهود الذين اغتصبوا ديارهم وأبادوا وشردوا شعبهم وإخوانهم عملاً من أعمال البطولة والشهامة والمروءة . فإلى الله المشتكى وهو المستعان .

(٨) المقالات التى نشرتها بعض الصحف مثل البلاغ[٣٧] فى ٢٨ مارس ١٩٥٠ :

متى أنشئت جامعة الدول العربية ؟ فى أواخر الحرب العالمية الثانية .

لماذا أنشئت ؟ لجمع الأنظمة العربية فى تنظيم واحد ، يتمكنون من خلاله توجيه الشعوب العربية والحكومات العربية الوجهة التى تخدم المخطط اليهودى الأوربى فى اغتصاب

(٣٦) وثائق خطيرة ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣٧) وثائق خطيرة ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

فلسطين ، يتمكنون من خلاله تجميد حركة الشعوب العربية ضد اليهودية العالمية والصليبية العالمية .

هذه الجامعة العربية التى قامت من أجل تحرير فلسطين ، لم تكلف نفسها تشكيل حكومة فلسطينية تدعمها ماديا ومعنويا ، مثلما فعلت أمريكا وانجلترا باليهود ، بل إن فى حضورها التهم الجزء الأكبر من فلسطين ، وفى ظلها أعلنت الدولة اليهودية على أرض فلسطين ، وفى ظلها هوجمت الدول العربية فى عام ٥٦ و٦٧ وهزمت هزيمة عسكرية فاضحة .. وفى ظلها وقعت كامب ديفيد ، وفى ظلها وقع أجزاء من العالم العربى فى قبضة الاحتلال الامريكى والانجليزى والفرنسى ، إذن ما هى القيمة الحقيقية لجامعة الدول العربية ؟؟

(٩) المقال الذى نشرته جريدة المصرى بتاريخ ١٩٥٠/٣/٣٠[٣٨] :

تعليـق :

إن تدمير البنية البشرية والاقتصادية والعقدية والاجتماعية للشعب المصرى هدف يهودى أوربى ، ولتحقيق هذا الهدف دأب اليهود وأعوانهم على إغراق مصر بالمخدرات بشتى أنواعها ، وذلك منذ زمن طويل ، وقد ازدادت حدة هذا الأمر بعد توقيع كامب ديفيد والدليل ما نشر وينشرونه أنه قد تم عمل ٤٥٢٠ قضية تهريب مخدرات أو دولارات مزيفة أو سلاح لليهود من عام ٧٩ وحتى عام ٨٩ ، وأنه قد اكتشف ستة أنفاق فى منطقة رفح على عمق عشرة أمتار لتهريب المخدرات إلى مصر عبر سيناء ، وما خفى كان أعظم .

وذلك يعنى أن العدو اليهودى الأوربى لا يحارب أمتنا على الجبهة العسكرية فحسب ، بل انه يعمد إلى الكيد والتآمر لتدمير بنية المجتمع من الداخل ، حتى لا يقف فى وجه أية هجمة عسكرية للعدو ، وهنا نتساءل :

ما هى أفضل وسيلة لحماية الأمة من شر هذه الهجمة .. هل الاعتماد على القانون ورجال الأمن ، هذا وحده لا يكفى ؟ فما وقفت الصين فى وجه حرب المخدرات بهذا ، وإنما وقفت الأمة كلها فى وجه هذه الهجمة المخدراتية (حرب الأفيون) التى كان يقودها الإنجليز أصدقاء العرب الأوفياء .

---

(٣٨) وثائق خطيرة ، ص ١١١ - ١١٢ .

(١٠) المقالة التى نشرتها جريدة المصرى[٣٩] بتاريخ ١٩٥٠/٣/٣١ ، ونخلص منها إلى ما يأتى إن صح ما ورد فيها ، والتبعة هنا على الناشر :

خيانة بعض الأنظمة الحاكمة للقضية الفلسطينية كانت هى السبب المباشر وراء اغتصابها وإبادة وتشريد شعبها وإقامة الدولة اليهودية على أرضها .

إن اغتصاب فلسطين مؤامرة يهودية أوربية ، قام على تنفيذها أبناء أوربا وخاصة بريطانيا من خلال تواجدها كقوة احتلال فى بلاد العالم العربى والإسلامى ومن خلال رجالها الذين دفعت بهم إلى مركز القرار فى بلاد العالم العربى ، لتحقيق أحلام اليهود فى ديار الإسلام .

ومن هؤلاء الرجال الخونة - البريجادير جلوب باشا ، قائد الجيش الأردنى وهو بريطانى الجنسية ، كان يقود الجيش العربى ، ويوجه حركة بقية الجيوش العربية لتحقيق حلم اليهود فى دولة يهودية ، ولم يكن يعمل لتحرير فلسطين ، ويعمل ذلك وهو يتستر بستار صداقة العرب ، هذا الخائن هو الذى اطلع على خطة الجيوش العربية المشتركة عبر القائد العام (الملك عبدالله) ، وأدرك خطورتها على مخطط اليهود ، فقام بتعديلها وتنفيذها بما يخدم مصلحة اليهود ، وقد ترتب على تنفيذ الخطة « الجلوبية » أن أصاب الجيوش العربية فشل ذريع ، كان السبب المباشر للابقاء على اليهود وقيام دولتهم . فى ظل هذه القيادة الخائنة منع الجيش الأردنى المتواجد على جبال القدس الشرقية من نجدة جيش «الجهاد المقدس» الفلسطينى الذى كان يدافع عن المدينة المقدسة فى وجه أقسى هجوم يهودى ، وفى ظل هذه القيادة الخائنة منعت نجدات المجاهدين من منطقة رام الله والمثلث من الوصول إلى القدس .

أى أن العدو اليهودى لم يغلب لقوة فيه ، وإنما يغلب دواما اعتمادًا على الخونة والخيانة التى تعمل بجد داخل صف العرب والمسلمين .

هذا الخائن - تحت سمع وبصر الأنظمة الحاكمة بل وشعوب المنطقة - هو الذى سلّم اللد والرملة للعدو اليهودى بعد أن كانت بيد جيش الجهاد المقدس بقيادة الشيخ حسن سلامة (قائد المنطقة الوسطى) ، الذى كان يسيطر عليها بقوات المجاهدين ، وأيضًا على مطار اللد الدولى الكبير وعلى جميع المراكز الهامة الواقعة إلى الشمال حتى معسكر العين على

(٣٩) المرجع السابق ، صفحة ٥٨ - ٦٨ .

مسافة ١٣ كليو متراً من مطار اللد ، وهكذا ترتب على خيانة جلوب كشف ميمنة الجيش المصرى الأساسى الزاحف من جنوب فلسطين ، وضاعت منطقة اللد والرملة حتى باب الواد غربا (على طريق القدس) ، بل إن الخائن جلوب قد أرسل برقية إلى القائد اليهودى يهنئه فيها على احتلال اليهود لمنطقة اللد والرملة .

● إن قوات المجاهدين من الإخوان المسلمين بقيادة أحمد عبدالعزيز ، هى الأمل فى الأزمات ، فحينما أوجس الشهيد حسن سلامة خيفة من غدر الجيش الأردنى بقيادة جلوب ، اتصل بالقائد أحمد عبدالعزيز ليتقدم بقواته من بيت لحم عبر جبال العرقوب .

● إن الخائن « جلوب باشا » قد نزع سلاح المجاهدين بعد الهدنة الأولى ، ورفض إعادته إليهم ، بل إنه هو الذى وقف فى وجه تنفيذ خطة الجيوش العربية باستعادة الفالوجا وإنقاذ قوات الجيش المصرى المحاصرة فيها ، وعلى هذا النهج سارت بقية الأنظمة فيما بعد .

وفى هذا دروس مستفادة منها :

● خطورة الاعتماد على الأجانب سواء كانوا يهوداً أو صليبيين متسترين بستار الجنسية الأمريكية والانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها فى تسليح وتدريب وتطوير قواتنا المسلحة ؛ وضرورة اعتماد الأمة على نفسها فى إنتاج سلاحها وتدريب جيشها .

● دور الصحافة الوطنية :

إن خطة انسحاب الجيش الأردنى من اللد والرملة التى نفذها « جلوب » هى التى مكنت العدو اليهودى من اغتصابها ، هذه الخطة المستنكرة والمرفوضة من قبل أى مفكر سليم التفكير يخوض معركة ضد أعدائه ، والتى هاجمتها الصحافة الوطنية فى ذلك الوقت ، هى نفس الخطة التى اتبعت سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ، بمعنى أن انسحاب قوات الجيش المصرى بناء على قرار القائد العام الملهم من سيناء ١٩٥٦ و١٩٦٧ بحجة عدم وجود غطاء جوى ، هو الذى مكن العدو من تحقيق انتصاراته التى لم يكن يحلم بها ، مكنته من فتح طريق له عبر العقبة إلى البحر الأحمر - المحيط الهندى افريقيا وآسيا وهى التى مكنته من الوقوف على الضفة الشرقية لقناة السويس والتى أدت إلى نزع سلاح سيناء تمهيدًا لابتلاعها لا مكنهم الله من ذلك .

● الفارق بين صحافة الأمس وصحافة اليوم، صحافة الأمس كانت تستنكر وتنتقد وتكشف المخططات ، أما اليوم فهى تبارك وتعتبر أن الانسحاب أعظم خطة عسكرية فى التاريخ ، وأن السلام اختيار مصيرى !! ما الذى حدث ؟؟ وهل سيطرة اليهود على وسائل الأعلام لها دخل ؟؟

(١١) ما نشر فى جريدة آخر لحظة ، ومجلة روز اليوسف[٤٠] :

إن ما نشرته جريدة آخر لحظة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٠ ، وروز اليوسف فى عدد رقم ١١٣٨ بتاريخ ١٩٥٠/٤/٤ يؤكد أن أوربا التى تساند اليهود ، تعتمد فى ذلك على أدوار تؤديها الأنظمة العربية ولهذا فهى تساند هذه الأنظمة لمنعها من السقوط ، وهذا هو الذى دفع بريطانيا إلى الاتصال عن طريق وزيرها بيفين بالمسئولين فى الدول العربية لمنع اتخاذ قرار بفصل شرق الأردن من جامعة الدول العربية ، ونفس الشيء فعلته أمريكا عبر سفيرها فى مصر ، وقد كان من أثر هذا التدخل تجاهل الجامعة العربية لكل ما أثير عن علاقة الملك عبدالله باليهود ، وقد نشرت آخر ساعة مقالاً بتاريخ ١٩٥٠/٤/٥ ، أن الجامعة العربية بموقفها من الملك عبدالله أثبتت أنها جامعة حكومات .. لا جامعة شعوب ، وإلا لانضمت لصوت الشعوب ونزلت على مشيئتها .

●جامعة لم يكد يقرع سمعها صوت النذير من أمريكا وبريطانيا حتى تراجعت أمام لندن وواشنطن .. التى تحتضن اليهود لأنها هى التى خلقت دولتهم فى الأرض المحتلة « وهى تحتضن اليوم عبدالله بن الحسين بعد أن مد جلالته يده الكريمة إلى اليهود » .. وهى كذلك هذه الأيام تحتضن كل من يمد يده إلى اليهود .

ولكن ما هو عذر الملك عبدالله الذى قبلته الحكومات العربية .. « ضعف الاقتصاديات وهزال الامكانيات وسوء الأحوال المالية هذه وتلك هى التى حملت عمان على اقتراف ما اقترفت ، وهذه وتلك هى التى دفعتها ، وهى كارهة مرغمة – على الارتماء فى أحضان اليهود » .

نفس الكلمات ترددت تبرر جريمة النظام المصرى حينما وقع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ :

---

(٤٠) وثائق خطيرة ، ص ١١٥ – ١٢٦ .

« لقد شخصوا الحكاية على أنها نزول على حكم الظروف .. وقد تموت .. غدًا .. وقد تموت بعد شهر أو بعد عام ، ولن يعدم أطباء الجامعة يومئذ سببًا رحيمًا فى تشخيص الداء سوف يقولون انها نكسة ، ويطلبون منا أن ندعو للمريض بالشفاء » .

(١٢) جريدة الفجر الباكستانية[٤١] بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٠ :

هذه صحيفة تصدر فى أقصى ديار الإسلام .. فى باكستان تعتبر أن أية محاولة لفك الحصار الاقتصادى الذى تفرضه الدول العربية على اليهود ، خيانة للقضية العربية ، وأنها تحدث صدعًا فى الكتلة العربية التى هى أحوج ما تكون إلى التضامن والتكاتف .

هذه الصحيفة – وكلمتها كلمة حق – تعتبر أن اتفاقنا مع العدو اليهودى خنجر دامٍ فى صدر العروبة ، وصميم الإسلام ، وعقبة لحل قضية فلسطين !! وإذا لم يستطع العرب أن يَقُصُّوا الأصابع التى تدبر الخيانة فإن قضية فلسطين ذاهبة لا محالة طعما لشباك الغدر التى مازال يحركها الصهيونيون من وراء ستار ، والتى ظاهرها عربى وباطنها من قبله العذاب .

فهل عرفنا الآن حجم الجريمة التى ارتكبها النظام المصرى حينما قبل بمبادرة (روجرز) وعام ١٩٧٩ حينما وقع اتفاقية كامب ديفيد التى سلّم فيها لليهود بأنهم أصحاب الحق فى الأرض التى اغتصبوها .

(١٣) ما نشرته مجلة المصور[٤٢] فى عددها ١٣٢٧ بتاريخ ١٧ مارس ١٩٥٠ :

صيحة تحذير حقيقية ، نشرتها مجلة المصور ، تحت عنوان الخطر اليهودى لن يقتصر على فلسطين وحدها .. وإنما هو خطر على البلاد العربية عامة .

ومضت أربعون عامًا ووقعت أحداث والتهم اليهود ديارنا ومقدساتنا .. والخطر ما زال مستمرًا.. الفارق بين أمتنا بالأمس وأمتنا اليوم.. بالأمس.. شعوب الأمة كانت تدرك الخطر وتتصدى له ، وأمتنا اليوم تتخذ مطية لتحقيق مخطط العدو اليهودى الأوربى .. فهل من يقظة ؟؟

---

(٤١) وثائق خطيرة ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٤٢) وثائق خطيرة ، ص ١٤٠ – ١٤٣ .

المبحث الثالث
تقويم النتائج التي أسفرت عنها أحداث عام ١٩٤٨
وهى حصيلة ثلاثين عاما من التآمر الأوربى اليهودى

أولاً : كيف عاونت تصرفات الأنظمة العربية فى اغتصاب اليهود لأرض فلسطين عام ١٩٤٨

مقارنة بين ما اغتصبه اليهود والإنجليز قبل دخول الجيوش العربية المعركة وبعدها تؤكد هذه الحقيقة

« لكى ندرك حجم المأساة ، فى منتصف يونيو ١٩٤٨ لم يكن بيد العصابات اليهودية سوى جزء ساحلى ممتد من غرب يافا إلى شرق حيفا ، وجزء آخر يُحاذِى بحيرة طبرية عند حدود سوريا ، « إن جميع ما استولى عليه اليهود لم يكن يزيد عن ثلاثة ملايين دونما (الدونم ألف متر) وكان شعب فلسطين يتولى الدفاع عن مساحة تزيد على اثنين وعشرين مليون دونما ، أى أن بقية فلسطين كانت مصونة بيد الشعب العربى بما فى ذلك القدس القديمة والأحياء العربية الكبيرة بالقدس الجديدة والناصرة وعكا ورأس العين واللد والرملة وقرى جنين العديدة والخليل وبيت صفافا ورام الله ونابلس وزرعين ونورس والمزار ودير غزالة ، إلى جانب النقب كله بمدنه وقراه ومضارب البادية فى ربوعه وغزة وآلاف القرى والمدن فى الجليل وغيره ، حتى إذاتسلمت الحكومات العربية مسئولية الدفاع عن فلسطين استولى اليهود على أكثر من ١٧ مليون دونم ضمُّوها إلى ما فى حوزتهم » وتشمل : اللد والرملة (٩٥٠ ألف دونم) ، والنقب (١٢,٨٧٥,٠٠٠ دونم) ، والجليل الشرقى والجليل الغربى (مليونى دونم) ، والشونة ورودس (١,٦٧٥,٠٠٠ دونم) .

وذلك يعنى أنه لم يبق بأيدى الفلسطينيين سوى الضفة الغربية من مملكة الأردن وما يسمى بقطاع غزة فى الجنوب (٥ ملايين دونما) .

هل عرفنا الآن لماذا كانت القيادة الإنجليزية (جلوب وضباطه) للجيش العربى ، تركز قواها لسحب السلاح من قوات « الجهاد المقدس » الفلسطينى

وإبعاد أفراده من جو المعركة ، بل إن إبعاد الفلسطينيين وحل فرقهم الجهادية كان الشغل الشاغل لقيادة جلوب ، بل ان الجيوش العربية المنقذة .. لم تكد تدخل فلسطين حتى بادرت بحل المنظمات العسكرية الفلسطينية ونزعت السلاح تدريجيًا من الفلسطينيين .

إن دور الخيانة فى ضياع فلسطين كان واضحا فى أمور كثيرة منها : انسحاب الجيش الأردنى فجأة من اللد والرملة بناء على أمر الجنرال جلوب ، مكَّن لليهود من احتلالهما ، وزاد الربكة نتيجة هجرة أهل البلاد ، وكشف بذلك ميمنة الجيش المصرى ، واحتل اليهود مطار اللد العالمى ، الذى لا يبعد عن تل أبيب بأكثر من أربعة عشر ميلا ، واستولوا على ٧٥٠ ألف دونم (الدونم ألف متر) من أخصب أراضى فلسطين .

إن الجيش العراق الذى كان يرابط فى المثلث (جنين – نابلس – طولكرم) لم تمكنه القيادة المنحرفة من احتلال ناثانيا على البحر المتوسط فيشطر خطوط اليهود نصفين ، ولم تعطه فرصة لإثبات وجوده بالمعنى الصحيح . وحينما صدرت الأوامر إليه بالانسحاب فجأة ، وقف الفلسطينيون مشدوهين ، متسائلين ، ما الذى حدث ؟ بل إن هذا الجيش لم يحاول معاونة جيش الإنقاذ الذى كان يقوده فوزى القاوقجى فى منطقة الجليل حين هاجمه اليهود بقوات كثيرة واستولوا على الناصرة فى ١٦ يونيه ١٩٤٩ .

وحينما اطمأن اليهود إلى عدم تحرك الجيش الأردنى والعراق ضدهم ، وجهوا جهودهم لجبهة الجيش المصرى فى النقب ، وتحركت القوات اليهودية المدعومة أوربيا ، لفرض الأمر الواقع ، فسحب جلوب ٨٠٠ جندى عربى مدرب من طريقهم ، وزحف اليهود فى قوة لا تزيد عن ٣٠٠ جندى ، واحتلوا منطقة النقب التى كانت تحميها القوات الأردنية بما فى ذلك ميناء أم الرشراس (إيلات) على الخليج فى ١٠ مارس (آذار) ١٩٤٩ .

ثانيًا : من أخطر النتائج إعلان قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين المغتصبة فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ومسارعة الدول الأوربية إلى الاعتراف بها ، وقبولها عضوا فى المنظمات الدولية (هيئة الأمم ومجلس الأمن) وهكذا تحول ناقضو العهود ، المغتصبون ،

سفاكو الدماء إلى أعضاء محترمين فى المجتمع الدولى ، وكان ذلك إيذانا بدمار شامل للكيان العربى، تتفاقم أحداثه يوما بعد يوم، بل وكان نذيراً بسقوط الأمة بين براثن أعدائها يوجهونها الوجهة التى تعينهم على تحقيق مخططاتهم وأطماعهم فى ديار الإسلام . وهنا نتساءل :كيف سمحت الأنظمة العربية الحاكمة أن تجلس فى مجلس اللصوص سفاكى الدماء الذى تسمى بمجلس الأمن ؟ إنه من العار الذى سيظل يذكره التاريخ ، أن تظل الأمة فى هذا المجلس الذى تعتبر الكلمة العليا فيه للقراصنة للكفار الذين لا يحبون الله ولا رسوله ؛ وعلى كل فالمرء على دين خليله ، فانظر من يخالل ، وإذا عرف السبب بطل العجب !!

ونتساءل أيضًا :كيف قبلت الأنظمة الحاكمة ما تسمى بالهدنة الأولى التى فرضها مجلس القراصنة (الأمن) فى ٢٩ مايو (آيار) ١٩٤٨ ؛ بناء على طلب بريطانيا المفوضة من قبل أوربا وعصبة الأمم بتهويد فلسطين ؟ إن هذه الهدنة كان الهدف من ورائها تكبيل الأنظمة العربية الحاكمة بالأغلال ووقف حركة جيوشها العسكرية على أرض فلسطين ، وتحجيم حركة الجهاد على أرض فلسطين ، وأثناءها أخذ اليهود يعدون العدة لتنفيذ برنامجهم الطويل المدى ، حيث استمر امدادهم بالسلاح من أوربا ، وحيث بنوا الاستحكامات والخنادق ، وفتحت الطرق التى ربطت تل ابيب بالقدس بعد أن استحال عليهم ذلك مدة الحصار العربى ، بل استطاع اليهود أن يستوردوا الطائرات والدبابات والرجال من بريطانيا وأمريكا ، وواصلوا التدريب العملى الشاق ليجعلوا من عصاباتهم جيشا منظما . هل رأينا غفلة بعد هذه الغفلة ، هل أدركنا من هم أعداؤنا ؟ بريطانيا .. أوربا هى التى رمتنا بالبلاء اليهودى وهى التى تدعمه ماديا وعسكريا ، وهنا نتساءل :كيف نصادقهم ؟ كيف نمد يد العون لهم ؟ كيف نسمح لأنفسنا أن نواليهم .. وأن نجلس مجالسهم ونتصور أنهم يريدون لنا الخير .

ونتساءل أيضا : كيف قبلت الأنظمة الحاكمة الهدنة الثانية التى فرضها مجلس الأمم فى ١٨ يوليه ١٩٤٨ ؟ والعجيب أن الذى كان يلتزم بالهدنة هى الأنظمة العربية ، أما اليهود فكانوا يضربون بالهدنة عرض الحائط ، ويحتلون القرى ومساحات واسعة من فلسطين ، ومجلس القراصنة الدولى ، لا يحرك ساكنا ، فهل رأينا بعد ذلك غفلة ؟ وهل هى كذلك ؟ أم كانت عمالة وخيانة لهذه الأمة ؟

ونتساءل كيف تقبل الأنظمة العربية بمفاوضة العدو القراصنة اللصوص سفاكى الدماء فى رودس تحت إشراف ما يسمى بالأمم المتحدة وما ترتب على ذلك من فرض هدنة ثالثة بين العدو اليهودى وبين الأنظمة العربية فى ١٠ مارس (آذار) ٩٤٩ ؟ .

وبهذا كسب العدو هذه الجولة ، وكان يعد العدة لجولات قادمة .

آن لنا أن نسأل : لماذا تظل الأنظمة أعضاء فى هذه المنظمات الدولية التى أسسها الأعداء ، لخدمة مخططات الأعداء .. مستظلة بأوامر الأعداء ؟ وهل آن لنا أن ننسحب من هذه المنظمات ، لأن جلوسنا فيها تسليم منا بقيادة أعضائها ، أى أن زمام أمتنا بيد القراصنة واللصوص وسفاكى الدماء ؟، إن جلوسنا يؤكد أن ولاء غالب الأنظمة لأعداء الله وأعداء دينه وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين .

ثالثًا : تسليم الفلسطينيين – رجالاً ونساء وأطفالا – الذين بقوا على قيد الحياة إلى قوات الاحتلال اليهودى ، أعدى أعداء البشرية ، لإبادتهم وتشريدهم وتجويعهم ، تحت سمع وبصر شعوب الأمة العربية ، وأنظمتها ، دون خشية لأى حركة منها تمنع استمرار تنفيذ مخطط التهويد بل ان الأنظمة العربية أصبحت مسئولة قبل المنظمات الدولية عن أى تحرك عبر حدودها داخل الأراضى المحتلة يعكر صفو اللص اليهودى ، أى أن الأنظمة قد ساهمت بطريقة أو بأخرى فى تحقيق نوع من الاستقرار مكن العدو اليهودى من ترسيخ وجوده فى الأراضى المحتلة ، بل واقترن ذلك بجمع السلاح من الفلسطينيين بحجة أن الأنظمة العربية ستدافع عن فلسطين وتحررها ، وقد ترتب على ذلك تجريد الشعب الفلسطينى من سلاحه وحرمانه من تحرير أرضه ، وتحوله إلى مجموعة من اللاجئين ينتظرون معونة من هناك وكلمة من هنا ، وبهذا عزل الشعب الفلسطينى فى هذه المرحلة تحت ضغط بنى جلدته عن قضيته . هل عرفت الأمة المجرم الحقيقى الذى أضاع فلسطين ؟ وفتح الطريق أمام اليهود إلى بقية ديار الإسلام ؟؟

رابعًا : إخراج المجاهدين من الإخوان المسلمين من جبهة المواجهة مع العدو اليهودى على أرض فلسطين على يد النظام المصرى الحاكم فى ذلك الوقت ، وبهذا ساهم النظام المصرى ممثلاً فى رئيس وزرائه محمود فهمى النقراشى فى إزالة العقبة الكؤود الوحيدة التى بقيت فى وجه تنفيذ المخطط اليهودى على أرض فلسطين .

خامسا: إجبار الفلسطينيين على ترك ديارهم تحت ضغط المذابح التى تعرضوا لها على أيدى اليهود بدعم من الإنجليز . وقد كتب صالح مسعود أبو يصير مبحثًا يلقى الضوء على هذه المذابح ، تنبيهًا للأمة وتحذيرًا ، لعلّها تنتبه إلى ما يُدبّر لها ، وتعد العدة لإنهاء العدوان اليهودى الأوربى الواقع على فلسطين وبقية ديار الإسلام .

إن هذا المبحث هو صرخة فى وجوه الذين كبلوا أمتنا باتفاقية كامب ديفيد وخدّروها باسم السلام اختيار مصيرى فمنعوها من إعداد العدة لمواجهة الخطر اليهودى الأوربى الذى بات واقعًا داخل ديار المسلمين .

هذا المبحث هو كشف لحقيقة الأنظمة التى مازالت تتداعى إلى السلام فى الوقت الذى يعد العدو اليهودى فيه عدته المادية والبشرية ، بمعاونة أوربا للزحف على مصر وبقية ديار الشام وشبه الجزيرة العربية وأرض الرافدين ، ليفعل بشعبوها مثلما فعل فى فلسطين ، وصبرا وشاتيلا وطرابلس من قبل .

هذا المبحث يكشف طبيعة اليهود – وعلى رأسهم الصديق العزيز للنظام الحاكم المستتر بيغن وشامير – وإرينز وغيرهم انها صورة قبيحة لهؤلاء الأعداء .

يكشف أهدافهم ويكشف أسلوبهم ويكشف وحشيتهم التى حدثنا عنها رب العالمين منذ ثلاثة عشر قرنًا من الزمان .

﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ آية ٨٢ سورة المائدة .

﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ آية ٢١٧ سورة البقرة .

﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ آية ٢ سورة الممتحنة .

﴿ **لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون** ﴾ آية ١٠ التوبة .

ولعل الكشف عن هذا الجانب يلفت نظر الأمة كم قصرت حينما تنكبت طريق الناصح الأمين وهو الإسلام الذى نبّهها وحذرها ، وانساقت وراء الكذبة والمضللين الذين خدروها باسم السلام اختيار مصيرى ، وسلّموا للعدو بديار الإسلام وأغروه بالمسلمين ليقتل ويذبح ويعذّب ، والأمة أمة الغثاء لاهية عابثة .

وإلى المبحث[1] الذى يكشف جانبًا من جرائم اليهود ، إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

« إن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال ، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم ، ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم وإخراجهم إلى البراري ومناطق احتلالهم ، كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما ، وكان اليهود يقصدون إخراج العرب من ديارهم ، ولهذا كانت أعمال الإرهاب إحدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم ، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها وفي قرية ناصر الدين ، لعل قصتيهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية .

« مذبحة دير ياسين »[*] :

« كانت هذه القرية العربية تعيش في بحبوحة من العيش ، يسكنها ٧٧٥ نسمة من العرب المسلمين ويملكون ١٧٠٠ دونم للحبوب والثمار ، وبينهم تجار ومقاولون ، ويحيون حياة يسر ورخاء ، كان فيها مسجدان ومدرستان وناد للرياضة ، وكانت محاطة بمناطق يهودية يربو سكانها على مائة وخمسين ألفا » .

« وفي اليوم التاسع من أبريل (نيسان) ١٩٤٨ وقبل أن ترسل أنوار الفجر أشعتها ، والقرية نائمة هادئة ، كان اليهود يهاجمونها من جميع الجهات ، أرسلوا طائرة رمتها بعديد من القنابل ، وتقدم جنودهم تحميهم خمس عشرة دبابة ، وكانت الحملة اليهودية كبيرة جدًا ، ولم يكن المسلحون بالقرية يزيدون عن خمسة وثمانين مسلحًا ، وصحا أهل القرية على انفجارات ، وهبوا يدافعون عن قريتهم وأراضيهم ، واستمرت المعركة إلى الثانية والنصف ظهرًا ، لم يثنهم طحن الدبابات اليهودية لبعض أبطالهم ، ولا هدمها لمنازلهم ، وتحولت المعركة من بيت إلى بيت ، ومن ركن إلى ركن وشهد ذلك الصباح بطولات خالدة

---

(١) جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، تأليف صالح مسعود أبو يصير ، ص ٤٢٤ وما بعدها ، وهو يعتمد على « كارثة فلسطين » ، ج ١ ص ١٦٩ .

(*) دير ياسين قرية صغيرة تقع على مشارف القدس .

لسكان تلك القرية التي داهمها اليهود فجأة وعلى غرة »[٢] .

« ولم تتخلف نسوة دير ياسين ، بل كن يمددن المقاتلين بالذخيرة ، ويقفن في صف المعركة تلك المعركة التي لم تهدأ إلا عندما نفدت ذخائر العرب ، وعندما نفدت الذخيرة ، تمكن اليهود من تفتيش شوارع القرية ومنازلها ، واستحلوا القتل والتمثيل في سكانها لا فرق بين الشيوخ والأطفال ، وكان بين النسوة خمس وعشرون حاملاً رموهن كلهن بالرصاص وداهموا الدور فقتلوا كبار السن ورموا بجثثهم من الشرفات »[٣] .

« وبينما كانت امرأة عربية تحاول إنقاذ زوجها الكفيف البصر محمد علي خليل وتقوده صارخة ضارعة أطلقوا رصاصهم صامين آذانهم عن دعاء الإنسانية، وبينما كانت السيدة صالحية محمد عيسى مع طفلها الصغير أطلقوا عليها رصاصهم فقتلوهما معا ، وتلك الشهيدة حياة البلبيسي المدرسة في القرية والتي كانت تسعف الجرحى حاملة شارة الصليب الأحمر أردوها شهيدة وسط جراحها وأناتها ، وهناك أسر أبيد معظم أفرادها فى تلك القرية ، فى ذلك الصباح الذي لا ينسى ولم يرحموا حتى النسوة العجزة والشيوخ الكبار فقد كان رصاصهم يقصدهم ويحصدهم على مختلف أحوالهم ، وقد مثلوا بالقتلى وأرغموا الأسرى على أن يدوسوا جثثهم ، وأخذوا سبعة من الأسرى فطافوا بهم شوارع القدس الجديدة ، ثم عذبوهم في شوارع القرية على مرأى من أسرهم ، ثم غابوا في غياهب المجهول إلى اليوم ، واتجهوا إلى نسوة القرية اللاتي فاتهن دور الموت ، سلبوا حليهن وكل ما معهن وجردوهن من الحجاب وسيروهن حافيات الأقدام عاريات الرؤوس والوجوه ، وأخذت تلك الأشلاء الباقية من الأسر طوابير في شوارع القدس بين سب اليهود وتشهيرهم ، ثم أودعن المستشفى الإيطالي في ضواحي القدس الجديدة حيث توزع ذلك الجمع الحزين بين القدس العربية ومختلف القرى » .

« إن مناحم بيغن قائد عصابة الأرغون التي تولت مع غيرها مجزرة دير ياسين ، يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم فيقول : « إن نارهم كانت حامية وقاتلة ، وقد اضطر

(٢) مما يروى عن بعض أحداث ذلك اليوم التاريخي أن محمد الحاج عايش قاتل بشجاعة حتى استشهد ، وكانت والدته السيدة حلوة زيدان ترقبه وتجاوره ، فلما استشهد زغردت لاستشهاده ، فاستلم بندقيته والده الحاج عايش ، وقاتل حتى استشهد ، وهناك لم يعد في بيتها أحد ، فتسلمت البندقية وقاتلت حتى استشهدت .

(٣) فعلوا ذلك بالحاج جابر مصطفى والحاج إسماعيل عطية وزوجته وحفيدها الطفل الصغير .

اليهود أن يحاربوا العرب من شارع إلى شارع ومن دار إلى دار »[٤] .

« وقد تحدثت الحاجة زينب أحمد موسى إحدى نساء دير ياسين اللائي طوّف بهن اليهود في شوارع القدس ، تحدثت إلى المؤرخ عارف العارف فذكرت : أن اليهود أرغموها بعد المعركة على أن تحمل زهاء ثمانين جثة من قتلاهم في ذلك اليوم ، أما مجموع ضحايا العرب في دير ياسين فكان مائتين وخمسين شهيدًا وشهيدة ، ويؤكد الكاتب اليهودي « هاري ليفين » أن الجماعات اليهودية الثلاث اشتركت في تلك المجزرة البشرية سواء في ذلك شتيرن والأرغون وجيش الهاجانا اليهودى وأفاد الدكتور دى رينيه الذى تمكن من دخول دخول القرية يوم الحادث أن عددًا كبيرًا من المدنيين غير المسلحين من الرجال والنساء قد ذبحوا ذبح الأنعام » .

لقد حدثت هذه المجزرة ، وبلغ من فظاعتها أن أخذ اليهود جثث العرب ورموا بها في الآبار وأقفرت تلك القرية من كل عربي فيها ، وكان هناك مائة مسلح من جيش الانقاذ الذي كونته الجامعة وأشرفت عليه لجنتها العسكرية يعسكرون في عين كارم القريبة من دير ياسين ، وكان صوت الرصاص وصرخات النساء والأطفال يتردد في أصداء أجوائهم ، ولكن أحدًا منهم لم يتحرك لنجدة دير ياسين ، أما الإنجليز فقد صرح وزير مستعمراتهم كريتش جونز في مجلس العموم قائلاً : « إن جميع الحقائق التي توافرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية ، وانني لا أستطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة تجاه هذه الأعمال التي هزت العالم كله[٥] . وبينما يعبر الوزير البريطاني عن أسفه وكرهه للجناة ، يتناسى أن حكومته الآسفة كانت المسئولة عن الأمن دوليا وقانونيا حتى الخامس عشر من مايو (آيار) ، وأن هذه المجزرة كانت في التاسع من أبريل (نيسان) تحت سلطان علم بريطانيا ، وبالسلاح الذي كونته ووزعته طوال انتدابها ، بل انه يتناسى أن الجيش البريطاني والبوليس الخاضع للضباط البريطانيين كانوا يسمعون المعركة ويتابعونها من بعد ، لم يتحركوا لانهائها أو حتى لإنقاذ الأطفال والنساء والمدنيين غير المحاربين ، ولطالما أسرعت جيوش بريطانيا تفك حصار اليهود وتحارب العرب في كل موقعة تدرك أن جانب العرب فيها هو الغالب .

---

(٤) المرجع السابق ص ٤٢٦ ، وهو يعتمد على الثورة ، ص ١٦٢ لمناحم بيغن .

(٥) المرجع السابق وهو يعتمد على نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

وفى عام ١٩٥٢ تكشفت فى محكمة إسرائيلية حقائق رهيبة عن تلك المعركة ، فشهد السفاح « مردخان نوفمان » واضع خطة مذبحة دير ياسين أنه اتفق مع « دافيد ليثيل » على أن تشترك عصابتا الأرغون وشتيرن تحت حماية مدافع الهاجانا ، وأنهما تابعا المعركة التى استمرت من الرابعة صباحًا حتى الخامسة مساءً من قرية جبعات شاؤول .

هكذا مرت معركة دير ياسين بعد يوم واحد من استشهاد البطل الفلسطينى عبدالقادر الحسينى فى معركة القسطل ، وتركت هذه المذبحة عديدًا من الأطفال الأيتام والنسوة الأرامل[٦] .

« وسيبقى هذا العدوان لطخة عار فى جبين الصهيونية إلى الأبد وأصدق وصف لهذه المذبحة ما أورده جاك دى رينيه كبير مندوبى هيئة الصليب الأحمر حين عرض حياته للخطر واستطاع أن يصل إلى القرية ويرى بعينى رأسه عواقب المأساة ومما قاله : لقد ذبح ثلاثمائة شخص بدون أى مبرر عسكرى أو استفزاز من أى نوع كان وكانوا رجالاً متقدمين فى السن ونساء وأطفالاً رضعا اغتيلوا بوحشية بالقنابل اليدوية والمدى وبأيدى قوات أرجون اليهودية - ووصف رينيه القوات اليهودية التى لقيها فى مكان الحادث فقال : إنها تألفت من رجال ونساء مسلحين بالمسدسات والمدافع نصف الرشاشة والقنابل اليدوية ومدى كبير كان معظمها لا يزال ملطخًا بالدماء ، بل ان شابة أرته مديتها وهى لاتزال تقطر دمًا - وكأنها علامة على النصر » .

« وقد شق رينيه طريقه إلى دور القرية فرأى الجثث المشوهة للضحايا ومنهم فتاة عمرها عشر سنوات وعجوزان مازلن يتنفسن بالرغم من إنهن جرحن وتركن لكى يدركهن الموت » .

« وهكذا نجحت العصابات الصهيونية من مذبحة إلى أخرى فى طرد مليون عربى بين مسلم ومسيحى من قرابة اثنتى عشرة مدينة وخمسمائة قرية فى عام ١٩٤٨ »

---

(٦) زار الكاتب صالح مسعود رحمه الله ومعه بعض الزملاء من القدس عام ١٩٦٤ الآنسة هند الحسينى التى أشرفت منذ تاريخ النكبة على تربية وتعليم أطفال القرية الحزينة ، زاروها في دار الطفل ولقد راعهم منظر أولئك الأطفال الصغار الذين شبوا ونموا وتخرج بعضهم ومازال بعضهم يواصل الدراسة ، واستمعوا إليهم ينشدون أهازيج العودة ، ويتغنون بدير ياسين ويافا وحيفا وتلك المرابع الخالدة السليبة .

« ومذبحة دير ياسين نذكرها هنا لأنها أصبحت نموذجًا أوليا لعدد من الغارات الإرهابية الصهيونية التى حققت أهدافها فى تفريغ فلسطين من أصحابها العرب »[٧] .

مذابح أخرى :

« وتلك قرية ناصر الدين من أعمال طبرية التى مسحها الصهيونيون من الوجود ، وتلك مذبحة بيت الخوري ٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ حيث قتل اليهود من استطاعوا أسره من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال » .

« وتلك قرية الزيتون حيث جمع اليهود فى أوائل مايو (أيار) بعض الرجال والشيوخ مع نسائهم وأطفالهم فى جامع القرية ثم بثوا الألغام فى جوانب المسجد فتهدم على من فيه ، وتلك قرية شرفات التى نامت فى السابع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وادعة هانئة ، فهاجمها فصيل من جيش اليهود وبث فيها الألغام والقنابل ، فقتل عديدًا من سكانها بينهم ثلاث نسوة وخمسة أطفال لا يزيد عمر أكبرهم عن ١٣ عامًا » .

« وتلك قرية نله التى هوجمت فى التاسع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وتسرب أحد اليهود فقتل فى بيت واحد رجلاً وطفلاً وطفلة ، وعادوا لها من جديد فى هجوم ثان فقتل وجرح عديد من سكانها » .

« وتلك قرية قبية التى هاجمها الصهيونيون عام ١٩٥٣ فدكوها بمدافعهم وهاجمها مشاتهم فمثلوا بسكانها ، وذبحوا نساءها وأطفالها فى صورة وحشية موغلة فى الهمجية » .

« وتذكر جريدة يهودية تلك الأحداث فتقول « إن السلطات اليهودية أعدمت ١٦ شابا من قرية عيلبون (قضاء الناصرة) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية التى غادرها سائر الشبان عبر الحدود اللبنانية ولم يبق فيها غير الشيوخ والعجزة ، وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق فى داخل بيتها إرهابا لسائر السكان لحملهم على الخروج من البلاد » .

---

(٧) عن مذكرات خطية مجاهد عاصر هذه الأحداث على أرض فلسطين وهو الأخ أحمد عبدالغنى الجندى .

وقد أثبت القائد عبدالله التل فى كتابه « خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية » ذلك الحادث المرعب الذى نشرته الصنداى أوبزرفر اللندنية فى الحادى عشر من يونيو (حزيران) ١٩٥٠ من مراسلها في بيروت فيليب توينبي والذي يقول فيه « أحاط بوليس إسرائيل بمائة عربى وسلمهم إلى الجيش بحجة أنهم خالفوا نظام الحدود ، وظل الجنود يسوقونهم فى ساعة مبكرة من الصباح إلى ساعة متأخرة من الليل إلى مكان سحيق خطر على الحدود ، وقد عصبوا عيونهم ، وكانوا إذا تلكأوا فى السير ضربوهم على وجوههم وظهورهم بعصى غليظة من المطاط ، ومنعوا عنهم الماء،ثم رفعت العصابات عن أعينهم ودفعهم الجنود إلى الجرى وأخذوا يطلقون النار فوق رؤوسهم وبين أرجلهم ، وكانت المنطقة التى أرغموا على الجرى بها هى وادى عربة المرعب الواقع جنوب البحر الميت حيث لا يستطيع الحياة فيه إلا الحشرات ، وقد ضل الطريق أغلبهم عدا السعداء منهم الذين وجدهم بعض الأعراب فأخذوهم إلى أقرب مخفر للحدود الأردنية » .

« ويضيف القائد عبدالله التل أن المراسل يذكر أنه كان بين هؤلاء المنكودين أطفال لم يتجاوزوا الثامنة وشيوخ جاوزوا الثمانين ، وأن الجنود سكبوا الماء الذى كان محمولا فى سياراتهم أمام الأطفال والشيوخ الذين كانوا يتلهفون على قطرة ماء لإطفاء لهيب العطش القاتل والذى زاده أوارا حرارة الجو اللافحة فى وادى عربة »[٨] .

« وتلك قرية نحالين التى حاول اليهود هدمها فى ليلة من مارس (آذار) ١٩٥٤ ولكن الحرس الوطنى الفلسطينى وقسما من الجيش الأردنى حالا دون تدميرها كلها ، ومع ذلك استطاعوا أن يقتلوا ثلاثة من جنود الجيش وثمانية من أهل القرية وأن يجرحوا أربعة عشر رجلا بجراح خطيرة » .

« وهناك إحصاء أجرته الجامعة العربية يفيدنا أن ضحايا الفلسطينيين منذ الشهر الخامس لعام ١٩٥٠ أى بعد النكبة بعامين إلى العاشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثى ، كانوا يمثلون من الشهداء ما يزيد عن ٥٥١ شهيدًا من ٣٢ مدينة وقرية على مختلف الحدود العربية » .

---

(٨) جهاد شعب فلسطين ، وهو يعتمد على ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، تأليف عبدالله التل ، دار القلم ، ١٩٦٤ ، ص ٣٢٥ .

« وكيفما كانت الوسيلة إلى نهاية هؤلاء الشهداء ، فإن الاصرار الفلسطينى على المقاومة هو الذى أدى دائمًا إليها ، فحتى أولئك الذين بقوا تحت ويل الذل فى أراضيهم فاقدين الكثير من رفاقهم وذويهم ، فإن الصهيونية لم تستطع أن تخلق فيهم روح الود معها ، ولم تتمكن من أن تجعلهم يشعرون بالأمر الواقع الذى يتلخص فى حتمية الاحتلال اليهودى ، فقد أطبقوا صدورهم على بغض اليهود الغزاة » .

« وحرص اليهود على اضطهاد الفلسطينيين واستمرارها في ذلك يخلق نوعًا آخر من التضحية الفلسطينية ، فهى الآن وقد مرت سنوات على النكبة تجد فى بقائهم داخلها وجود طابور معاد ، وجماعة لا تحمل ولاء لليهود وسوف تتحرك حين تتنادى الجموع للعمل ، ولهذا هى تفرض عليهم الأحكام العرفية وتمنعهم من مغادرة قراهم إلا بتصريح خاص وهى تخلق الأسباب للفتك بهم ، فإن لم تستطع خلقها فتكت دون أسباب ، وليس ما حدث فى قرية كفر قاسم إلا جزءًا من ذلك » .

« مذبحة كفر قاسم »

« كانت الحياة فى القرى العربية فى الأرض المحتلة تسير وفق نظام مستمر يقضى بمنع التجول ابتداء من السادسة مساء ، وكان فلاحو كفر قاسم يغادرون منازلهم إلى الحقول ، فلا يحين الموعد الرسمى إلا وقد وصل واستقر كل منهم فى بيته إلى الصباح التالى ، وفى الثامن والعشرين من اكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٦ أصدر اليهود أمرًا إلى عمدة كفر قاسم بأن الجميع يجب أن يكونوا داخل منازلهم فى الخامسة مساء ، قال العمدة « اننا فى الخامسة إلا ربعا الآن وقد تعود الفلاحون العودة فى السادسة إلا ربعا ، وتوجد استحالة فى إبلاغهم هذا الأمر المفاجىء ولم يبق إلا ربع ساعة ، انى أرجوكم اعطاءنا فرصة نصف ساعة لإبلاغ الجميع الموعد الجديد » ولكن القائد اليهودى ششنة شادمى كان يبيت أمرًا وجاء رده : « هذا أمر عسكرى لابد من تنفيذه ، أخطر القرية واترك لنا أمر من هم فى الحقول » .

« وكجرى العادة كل يوم أخذت جموع العرب الصغيرة تعود من حقولها فى الخامسة والنصف قبل نصف ساعة من الموعد المحدد عادة لمنع التجول ، وبعد نصف ساعة من الموعد الجديد الذى لم يعلموه ولم يبلغ إليهم ، وعلى أبواب القرية استعد ضابطان وأحد عشر جنديا يهوديا بمدافعهم الرشاشة التى فتحوها على الأبرياء ، فسقط منهم ٥٧ عربيا ، كان

منهم سبع عشرة امرأة وطفلا وجرح ٢٧ شخصًا .

كانت هذه الجريمة مصنوعة بيد ضباط ثلاثة من عصابات اليهود وهم القائد « ششنة شادمى » والرائد « مالنكي » والملازم « غبريال دهان » والشاويش شالوم دفير وعشرة من الجنود .

وأمام هياج الرأى العام العالمى ، تظاهرت إسرائيل بسخطها على الفاعلين ، وصدرت أحكام على بعضهم : ١٧ سنة سجنا ، وعلى البعض الآخر بـ ١٣ سنة سجنا ، ولكنها تمثيلية سبق لليهود أن مثلوها فى دير ياسين حين أصدرت بيانًا استنكاريًا ثم بعد عامين ثبت أن المؤامرة كانت رسمية ؛ وسبق لها أن اغتالت الكونت « برنادوت » فى القدس الجديدة وأصدرت بيانا استنكاريا ثم ثبتت موافقتها وأنها لم تتخذ ضد الفاعلين أى إجراء » .

« على أن الصحف اليهودية ذكرت أن غرف المسجونين من هؤلاء السفاحين تحولت إلى غرف من فنادق الدرجة الأولى ، وأنهم يغادرونها مساء كل يوم إلى ذويهم ومنازلهم حتى أن أحدهم تزوج خلال مدة سجنه القصيرة ولم يمض أحد منهم مدة العقوبة ولا ربعها ، بل عادوا إلى وحداتهم العسكرية برتب أكبر » .

لقد دار حديث صحفى مهم مع الضابط اليهودى « مالنكى » يثبت كم هى موغلة فى الحقد روحهم وآراؤهم بالنسبة لنا ، سأل الصحفى الضابط المذكور فدار الحديث على الوجه التالى :

س – هل أنت نادم على ما فعلت ؟

ج – بالعكس لأن الموت لأى عربى فى إسرائيل معناه الحياة لأى إسرائيلى والموت لأى عربى خارج إسرائيل معناه الحياة لإسرائيل كلها .

س – ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك ؟

ج – كنت مطمئنًا للمعاملة التى سأعامل بها لأن العمل الذى قمت به واجب وطنى ودينى .

---

(٨) جهاد شعب فلسطين ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، خطر اليهودية ص ٣٣٠ – ٣٣١

وسئل الملازم « غبريال دهان » :

س – كم عربيا اصطدت فى المجزرة ؟

ج – ١٣ فقط .

س – ماذا كان شعورك أثناء المجزرة ؟

ج – كنت متعطشًا للدم العربى وقد شربت حتى سكرت .

س – هل فى نيتك معاودة الشرب ؟

ج – إذا سمحت الظروف .

وسئل الشاويش شالوم :

س – كم عدد ضحاياك فى المجزرة ؟

ج – ١٥ لقد ضربت الرقم القياسى وكان حظى أحسن من زملائى فى اختيار المكان الذى وقفت فيه .

الفصـــل الســـادس
الإخوان المسلمون يجاهدون لإنهاء العدوان اليهودى الواقع على فلسطين

تمهيـــد :

● حدث – من قدر الله الغالب – يعرقل تنفيذ مخطط اليهود بالسرعة المطلوبة .

● هذا الحدث هو عبور المجاهدين من الإخوان المسلمين من مصر وغيرها من ديار الإسلام إلى فلسطين – لتحريرها من العدوان اليهودى الأوربى الواقع عليها .

إقدام الإخوان على هذه الخطوة ، ينطلق من الإيمان بالله بأن فلسطين جزء من ديار الإسلام التى فرض الله على المسلمين تحريرها وإقامة حكم الله عليها : « إن كل أرض يقال فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله هى جزء من وطننا » .

● المجاهدون يدخلون إلى فلسطين – قلة فى العدد والعدة – قبل دخول الجيوش العربية النظامية ، ويقومون :

(١) بتوثيق علاقاتهم بإخوانهم المجاهدين الفلسطينيين . (٢) ودراسة أرض المعركة وجمع المعلومات عنها وعن العدو وتسليحه وخططه . (٣) ومنازلة العدو فى عقر تحصيناته .

● عندما دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين ، كان الإخوان المسلمون درعها الواقى ، وسندها الأمين ، بل كانوا يشكلون بالنسبة لها كتيبة الاقتحام والأهوال .

● مؤامرة يهودية أوربية عالمية تتخذ المنظمات الدولية والأنظمة العربية مطية لتصفية المجاهدين من الإخوان المسلمين وأهل فلسطين وبقية ديار الإسلام وفصائل الجيوش التى اضطرت للقتال .

● الإخوان المسلمون يواجهون محنة شديدة لأنهم استشعروا الخطر الماحق الذى تتعرض له فلسطين ، وهم يواجهون عدوًّا شرسًا تدعمه أوربا وقوى الشر العالمى فى ميدان القتال .. وأبناء جلدتهم يمنعون عنهم الزاد العتاد .. وهم مجبرون على أن يكونوا تحت قيادة

جيش - رغبة فى توحيد الصف - روحه المعنوية ضعيفة ، خلا بعض الأفراد ، تسليحه قليل ، تدريبه ضعيف ، لا يدرى شيئًا عن أرض المعركة ولا عن عدوه ، ولا يعرف كيف يوظف إمكانات أهل البادية ، أو أهل فلسطين فى خدمة المعركة ؛ وتتغير قيادته فى عجلة رتيبة ، بل وأحيانًا يكون بلا قيادة .. يواجهون محنة وهم يؤمرون بالانسحاب من مواقع فلسطينية غالية حرّروها بدماء إخوانهم .. يواجهون محنة فيطيعون .. وهم يرون العدو أمام أعينهم يلتهم ديارهم .. يواجهون محنة وهم يؤمرون بتسليم أسحلتهم .. وهم يودعون فى معتقل الطور .. وهم يرون مرشدهم حسن البنا يغتال تحت سمعهم .. وهم يرون شُعَبهُم تغلق .. وأموالهم تسلب .. يواجهون محنة قاسية وهم يشاهدون قواتهم وقوات إخوانهم تكبل بالأغلال ، فى الوقت الذى يقوم فيه اليهود باغتصاب مزيد من الأرض ، وارتكاب مزيد من الجرائم ، طاعة لمنظمة دولية (مجلس الأمن) عميلة فرضت الهدنة الأولى والثانية والثالثة لمصلحة العدو .

المبحث الأول
الظروف المحلية والعالمية التى ظهرت فيها جماعة « الإخوان المسلمين »

فى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) دخل العالم الإسلامى - قبيل سقوط الخلافة الإسلامية - فى مرحلة من أحلك مراحل حياته بعد أن مزقت وحدته ، وهجم عليه قوى الاحتلال الأجنبى (الإنجليزى والفرنسى والروسى الغاشم) ، ودخلت الأمة فى مرحلة من مراحل القهر والاستبداد السياسى فى ظل حكّام صنعوا على عين قوى الاستعمار العالمى .

وفى ظل هذه الظروف التى كبلت الأمة فيها بالأغلال ، كانت تجرى أكبر جريمة فى وضح النهار تحت سمع وبصر المجتمع الدولى وهى جريمة اغتصاب فلسطين بعد إبادة وتشريد شعبها فى مجتمع عطل الفرائض ، وأحلّ ما حرم الله ، مجتمع عطل الشريعة الإسلامية عن عملها فى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والجهادية والعلاقات الدولية ، مجتمع يُصنّع الخمر ، ويسمح بفتح دور الدعارة ، ولعب الميسر ، مجتمع

استبدل القوانين الرومانية والفرنسية بمنهاج الإسلام وشريعته ، مجتمع قبل التعامل بالربا ، مجتمع عطل حد القتل والزنا وحد الخمر وحد السرقة ، مجتمع يسمح لبعثات التنصير أن تغتال عقائد الأمة عبر الخدمات التعليمية والطبية والمساعدات العينية ، مجتمع تسلط فيه الظلمة والمنحرفون على سدة الحكم ، مجتمع لا يأبه لما يجرى لإخوانه المسلمين فى ديار الإسلام على يد قوات الاحتلال فضلاً على أنه قد استسلم لقوات الاحتلال الأجنبى على أرضه .

فى هذا الظلام الدامس ولدت جماعة الإخوان المسلمين على يد مجدد هذا القرن الشيخ حسن البنا رحمه الله ، وترددت فى جنبات الوادى صيحة الله أكبر ولله الحمد ، الله غايتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا وتهدف إلى تحرير ديار الإسلام من الاحتلال الأجنبى بكافة أشكاله ، وتطهيرها من الحكام الذين كانوا يعينون بأمره تحقيقًا لمخططاته ، وإقامة دين الإسلام ، نظاما شاملاً للحياة ، ووحدة العالم الإسلامى وعودة الخلافة الإسلامية واستعادة أستاذية العالم امتثالاً لأمر الله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ آية ١٤٣ سورة البقرة .

وسيلتهم فى ذلك دعوة وتربية لإعداد الفرد المسلم لبنة المجتمع المسلم ، مع إحياء فريضة الجهاد لتحرير ديار الإسلام .

وشاء الله سبحانه وتعالى ، أن تختبر الجماعة اختبارًا قاسيًا ، فإذا بها تسمع استغاثة إخوانها على أرض فلسطين ، تسمع القدس يستنهض أمة الإسلام .. لحمايته وإقامة دين الله ، لقد سمع الشيخ حسن البنا نداء الشيخ أمين الحسينى مفتى فلسطين ، أدركوا فلسطين قبل أن تصبح أندلسًا أخرى .

وتجاوب الإخوان المسلمون بقيادة مرشدهم ، وانطلقت قوافل الدعوة من شعب الإخوان المسلمين على امتداد رقعة القطر المصرى ، بل وشكلت الوفود إلى بلاد العالم الإسلامى وأوربا لتعرف الناس بالخطر اليهودى الذى تدعمه أوربا على فلسطين وعلى العالم العربى والإسلامى ، وضرورة إحياء فريضة الجهاد للتصدى لهذا العدوان الواقع على أمة الإسلام ، على اعتبار أن فلسطين تشكل جزءًا من ديار الإسلام ، وضرورة دعم حركة الجهاد الفلسطينى دعما ماديًا عمليًا ، وجمعت التبرعات لهذا الغرض وخطى الإخوان خطوة عملية ، فسافر بعضهم عام ١٩٣٥ إلى أرض فلسطين ليشارك إخوانهم الفلسطينيين

جهادهم لإنهاء العدوان اليهودى الإنجليزى الأمريكى وخاصة فى الشمال من فلسطين حيث عملوا مع المجاهد الشيخ عز الدين القسام واقترن ذلك بالاستمرار فى إعداد إنسان العقيدة وتربية الإخوان تربية جهادية مع مطالبة الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى والإسلامى بالسير فى نفس الطريق لحماية الأمة من الخطر الأجنبى .

وتتابعت الأحداث ، وظهرت المؤامرة سافرة بعد أن وافقت هيئة الأمم تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، على تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ، كمرحلة أولى نحو التهام فلسطين كلها ، واندلعت المظاهرات فى أرجاء العالم الإسلامى تندد بالاحتلال الأجنبى على ديار الإسلام وضرورة توجيه الجيوش العربية لتحرير فلسطين ولكنه أنّى لجيوش غير مدربة وغير مسلحة وغير مدركة لما يجرى حولها أن تحقق نصرًا أو إنجازًا .

وقيّض الله – فى هذا الظلام – مجاهدًا مخلصًا هو الشيخ حسن البنا غيورًا على دين الإسلام ومقدساته ، نحسبه كذلك وما نزكى على الله أحدًا ، فاتخذ خطوة عملية :

لقد أعلن أن فلسطين لن يحررها إلا المجاهدون ، وفتح باب التطوع أمام جموع الإخوان لتحرير فلسطين .. وتدفق المتطوعون ، كل يجهز نفسه وسلاحه وطعامه .. وكان الفحص الطبى ، وكان التدريب والإعداد .

واستيقظت اليهودية العالمية التى تدعمها أوربا الصليبية على جهاد الإخوان المسلمين بقيادة مرشدها حسن البنا ، لقد فوجئت بصيحات الجهاد ونصرة فلسطين تتردد فى جنبات مصر بعد أن ظن المحتل الإنجليزى أنه قد خفت هذا الصوت إلى الأبد .. واجتمعت قوى الشر وأصدرت الأوامر إلى النظام الملكى الحاكم وإلى رئاسة الوزراء تحذّر من التجاوب مع مطالب الشيخ حسن البنا – وتطالب برفضها .

ورغم التضييق الشديد على متطوعى الإخوان المسلمين ، ورغم الحصار الشديد فقد وصلت طلائعهم إلى فلسطين قبل دخول الجيش المصرى ، وبمجرد دخولها قامت بدراسة ميدان المعارك وطبيعة أهل البلاد ، وظروف العدو وتحصيناته وأسلحته وتكتيكاته ، وبعدها كان النزال ، وذاق العدو مرارة الهزيمة فى كثير من المواقع على يد شباب الإخوان(*) .

(*) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، كامل الشريف ، ص ١١٨، ١١٩ – مكتبة المنار الزرقاء، ط٣/١٤٠٤ .

المبحث الثانى

« تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية »

ينبع من عقيدة الإسلام

من أقوال رجالات الإخوان :

* « إن القول مالى ولفلسطين فى هذه الظروف معناه مالى وللإسلام .. ليست قضية فلسطين قضية وطن جغرافى تدينون به ، فما فلسطين إلا قطعة مصابة من الجسد الإسلامى العام ، ولبنة مزعزعة من لبنات بنيانه ، فكل قطعة لا تتألم لألم فلسطين ليست من هذا الجسد ، وكل لبنة لا تختل لاختلال فلسطين ليست من هذا البنيان »[١] .

* إن حل القضية الفلسطينية لن يتم إلا من خلال « وقف الهجرة اليهودية ، والاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات فى جميع البلدان »[٢] .

* « إن قضية فلسطين لم تحل ليس لأن المسلمين لا يقدرون بل لأنهم لا يريدون وهم لا يريدون لأنهم لا يشعرون »[٣] .

* « لا قيام للباطل إلا فى غفلة الحق ، وأن أشد ما يمكن لأعدائكم فى دياركم قعودكم عن نصرة إخوانكم »[٤] .

* عندما علم الإخوان بإن هنالك مؤامرة لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، وجهوا رسالة إلى الحاج أمين الحسينى رئيس اللجنة العربية العليا : « اثبتوا حتى تتحقق مطالبكم ، وأن اعلموا أن موتًا فى سبيل الكرامة خير من حياة يرزح الإنسان معها تحت نير العبودية[٥] .

---

(١) هذه الكلمات مأخوذة نصًا عن تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية سلسلة أوراق فى تاريخنا المعاصر ، د. عبدالفتاح محمد العويسى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ص ٥ والمؤلف يعتمد على نشرات الإخوان المسلمين النذير جريدة ومجلة الإخوان المسلمين مجموعة رسائل الشيخ حسن البنا ، القتال فى الإسلام تأليف أحمد نار ؛ الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ وغيرها من المصادر .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦ .

* « إن الإخوان سيبذلون أرواحهم وأموالهم فى سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلاميًا عربيًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها »(٦) .

* «إن الإنجليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة وهى لغة الثورة والقوة والدم »(٧) .

* أيها الجالسون على كرسى الحكم ، أما آن لكم أن تفقهوا إن من استنصر بغير الله ذل وأن الناس من خوف الذل فى ذل ، ومن خوف الفقر فى فقر ، وأن من حرص على الموت وهب الله له الحياة والله يقول فى كتابه : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا ﴾(٨) آية ١٣٨ سورة النساء .

لماذا يهتم الإخوان المسلمون بفلسطين ؟؟

إن العوامل التى تدفع الإخوان المسلمين للاهتمام بفلسطين تتمثل فى مجموعتين من العوامل الرئيسية والأساسية التى تعد جزءًا أساسيًا من تصور الإخوان المسلمين ، وهى عوامل ثابتة غير قابلة للتعديل أو الحذف أو الزيادة ، لأنها من أساسيات الإسلام » ؛ أما المجموعة الثانية فتشمل العوامل السياسية .

« أولاً العوامل الأساسية : وهى تقوم على مفهومين رئيسين : وهما مفهوم الأمة الإسلامية ، ومفهوم الجهاد :

١ - مفهوم الأمة الإسلامية :

يعتقد الإخوان المسلمون أن المسلمين جميعًا أمة واحدة تربطهم رابطة العقيدة الإسلامية ، ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ آية ٩٢ سورة الأنبياء ، وأنها الأمة الشاهدة التى لا يقبل الله منها أن تكون فى المؤخرة أو فى الذيل ، ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ آية ١٤٣ سورة البقرة »(٩)

---

(٦) المرجع السابق ، ص ٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٧ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٨ .
(٩) هذا المبحث مأخوذ نصًا مع بعض التصرف من المرجع السابق . جعل الله ذلك فى ميزان صاحبه يوم القيامة .

« وعقيدتها عقيدة الإسلام ، التى تقوم على التوحيد الذى يقوم عليه وحدة الشعائر التعبدية والمعاملات . هذه الأمة ، قد حمّلها الله مسئولية إقامة دين الله فى الأرض كلها ، وتحرير البشرية حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

هذه الأمة تؤمن بقول الله تعالى : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ الآية ١٢٨ سورة الأعراف ، ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ آية ١٥٥ سورة الأنبياء ، ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض ﴾ آية ٥٥ سورة النور . « ولهذا فإن أفق الوطن الإسلامى يتسع فى فكر الإخوان المسلمين عن الحدود الوطنية والجغرافية والدموية إلى حدود المبادىء والعقائد والحقائق ، فلم يعترف الإخوان بالحدود الجغرافية ولا بالفوارق الجنسية وعَدُّوا الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا ، وفلسطين جزء منه ، وحدد الإمام حسن البنا حدود الوطن الإسلامى بقوله : « **كل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله ، أو رفعت عليه يومًا من الأيام راية الله ، قد صار أمانة فى يد المسلمين قاطبة ولله ولرسوله ، ووجب عليهم أن يَفْدوا حريته بالنفوس والأرواح ، وأن يبذلوا فى سبيل المحافظة عليه الدماء والأموال** »[(١٠)] .

ومن هنا تأتى أهمية الوحدة الإسلامية باعتبارها السياج الحامى للوطن الإسلامى ، لذلك ركز الإخوان المسلمون على ضرورة إعادة الخلافة الإسلامية لتوحيد كلمة المسلمين ، وتوحيد الشعوب لابد له من عامل مؤثر أو رابطة قوية هذه الرابطة هى الإخوة الإسلامية ، ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ آية ١٠ سورة الحجرات .

ولقد فسَّر الأستاذ البنا معنى الاخوة ، التى جعلها الركن التاسع من أركان البيعة العشرة بقوله : « أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط ، وأعلاها ، والأخوة أخوة الإيمان ، والتفرق أخو الكفر ، وأول القوة ، قوة الوحدة ، ولا وحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الإيثار .. وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

---

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ، ٦١ .

وتقرير مبدأ الاخوة الإسلامية ، يتطلب فى فكر الإخوان المسلمين مجموعة من الحقائق من أهمها : « التفاعل مع الأخوة فى كل الأمور والأحوال ، وأن تكون الأخوة متعاونة فى السراء والضراء » « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، حديث رواه مسلم « إذا اشتكى رأسه اشتكى كله » ، « إذا اشتكى عينه اشتكى كله » ، « والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا » رواه الترمذى ، وكما جاء فى الأثر « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »** .

أما نصيب فلسطين فى مفهوم الأمة الإسلامية عند الإخوان المسلمين فيتمثل فى أن فلسطين ما هى إلا « مديرية هامة فى حدود الوطن الإسلامى »،لقد نص الإخوان على ذلك بالقول : « وما الشعب الفلسطينى إلا أخ لنا ، فمن قعد عن فلسطين فقد قعد عن الله ورسوله ، وظاهر على الإسلام ، ومن أعانها وبذل لها وأمدها فقد انتصر لله ورسوله ودافع عن الإسلام » وبمعنى آخر : فلسطين قطعة من الجسد الإسلامى العام ، ولبنة قيمة من بنيان الكيان الإسلامى ، فكل قطعة لا تتألم لألم فلسطين فليست من هذا الجسد ، وكل لبنة لا تختل لاختلال فلسطين فليست من هذا البنيان .

يضاف إلى ذلك أن الإخوان المسلمين يرون أن القضية الفلسطينية الطريق والخطوة الأولى للوحدة الإسلامية من خلال مرورها بالوحدة العربية .

وقد يثار سؤال حول مفهوم الأمة الإسلامية وهذا السؤال له علاقة بالقضية الفلسطينية : ما هو موقف الإخوان المسلمين من غير المسلمين ؟؟

قسم الإمام البنا الناس فى العالم ، ومن باب أولى القاطنين فى الدولة الإسلامية إلى قسمين : قسم يؤمن بمبادىء الإسلام وهم المسلمون ، وقسم لا يؤمن بتلك المبادىء وهم غير المسلمين ويحدد الإمام حسن البنا الموقف من غير المسلمين بقوله : « نسالمهم ما سالمونا ، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنًّا ، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هى رابطة الدعوة علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه لأنه خير للإنسانية كلها ، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل ، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدى » .

---

(١١) المرجع السابق ص ٢١ .

ويستدل الإمام حسن البنا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ [آيتان ٨، ٩ سورة الممتحنة] .

ويضم هذا التعريف أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين حدّد الإخوان المسلمون الموقف منهم بقول الإمام حسن البنا فلأهل الكتاب ما للمسلمين وما عليهم من حقوق وواجبات بشرط ألا يعملوا على هدم وحدة المسلمين .

أما موقف الإخوان مما يسمي بالوحدة الوطنية ، فلقد أوضحه الإمام البنا بالإضافة لما سبق بقوله : « لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ، ولا نساوم فى سبيلها على عقيدتنا ، ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين ، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى ، فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده » .

وكان للإخوان موقف خاص من اليهود يوضحه الإمام حسن البنا : « بأن اشتراكهم الفعلى فى مد العصابات الصهيونية بفلسطين بكل صنوف المساعدة » جعل الإخوان المسلمين يطبقون عليهم الشطر الثانى الخاص بغير المسلمين وهو « فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدى » .

« إن الإخوان المسلمين يعتبرون الصراع بين المسلمين واليهود صراعا له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية ، ولا تجعل من بين وسائل حلوله الحل السلمى لأنه صراع بين الإسلام واليهودية منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى وحتى الآن » .

فلقد دبر اليهود عدة محاولات لاغتيال الرسول محمد ﷺ ، كما أنهم نقضوا المعاهدة التى وقعها رسول الله معهم ، بالإضافة إلى تأليب اليهود لقريش والقبائل العربية لمحاربته ﷺ ، كما حاك اليهود مؤامرات كثيرة ضد الإسلام والمسلمين منذ ظهور الدعوة الإسلامية والقرآن الكريم يشخص أيضًا طبيعة اليهود تجاه المسلمين بقوله تبارك وتعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [٨٢ المائدة] .

فاليهود وراء المؤامرات والفتن التى حدثت على عهد عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وهم وراء نشأة الخوارج الشيعة – وهو الشرخ الذى أحدثه اليهود فى جسد الأمة المسلمة ، وهم وراء مقتل عمر وعثمان وعلى ودماء الصحابة التى أريقت ؛ واليهود وراء المؤامرات والفتن التى حدثت فى عهد بنى العباس ، فهم وراء ترجمة الفكر اليونانى إلى اللغة العربية وما ترتب عليه من انتشار الإلحاد وظهور الفرق ، وتعرض العلماء لمحنة القول بخلق القرآن ، واليهود كانوا يتعاونون مع الصليبيين أبناء أوربا أثناء غزوهم للعالم العربى (الحروب الصليبية) واليهود والنصارى والشيعة هم الذين سلموا من الغزوة المغولية والتتارية ، بل ان اليهود كانوا حريصين على قتل صلاح الدين الأيوبى (وقد حاولوا اغتياله أكثر من مرة) ، بل ان اليهود الذين رفعوا شعار الإسلام ، هم وراء تمزيق دولة الخلافة الإسلامية فعبيد الديصانى اليهودى هو مؤسس دولة العبيديين التى أعلنت الحرب على الدولة العباسية ، وشطرتها شطرين ، والعبيديون هم الذين راسلوا الصليبيين من أبناء أوربا لغزو آسيا الصغرى وقتال السلاجقة المسلمين ، وهم الذين تآمروا مع الصليبيين فى الأندلس ضد المسلمين ، وهم الذين تآمروا على الدولة العثمانية ، فأثاروا الفتن فى أرجائها ، ومازالوا بها حتى أسقطوا خلافتها ، وحوّلوها من دولة إسلامية إلى دولة علمانية ، اليهود هم الذين فرقوا العالم الإسلامى ، هم الذين اغتصبوا فلسطين ، ويسعون إلى استكمال مخططهم التآمرى .

وقبل ذلك فإن الله قد وصفهم بالغدر والخيانة وحب سفك الدماء وسلب الثروات إلى غير ذلك ، وتاريخ اليهود فى القرآن الكريم من ملحقات العقائد الإسلامية ، لأنه سبق فى علم الله خطورة هذه الفئة على الجنس البشرى وعلى الأمة المسلمة فجعل سبحانه وتعالى التنبيه إلى تاريخهم جزءا من عقيدة المسلم ، فهم أعداء الأمة التاريخيين ، وأشد الناس كراهية لأمة محمد ، لذلك فإن الإخوان المسلمين لا يرون أن هنالك فرقًا بين اليهودية والصهيونية .

وهكذا فإن موقف الإخوان من اليهود : ينبع من منظارين : **أولاً** : نظرة دينية وتاريخية . **ثانيًا** : إن الأحداث التى وقعت على أرض فلسطين وموقف اليهود منها دفعت الإخوان المسلمين إلى عدم التفريق بين اليهودية والصهيونية وعدّوهما شيئًا واحدًا .

خصوصية فلسطين عن باقى البلاد الإسلامية[١٢] :

كما أن لفلسطين مكانة خاصة فى عقيدة وفكر الإخوان المسلمين ، تميزها عن باقى البلاد ألا وهى مكانة فلسطين فى الإسلام ، فهى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ ، وهى الأرض المقدسة : ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ﴾ ، وهى أرض الأقصى الذي يشد إليه الرحال ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ .

إن المسلمين يرون أن زيارة النبى محمد ﷺ لبيت المقدس والصلاة فى المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج لها مدلول فقد كانت توجيهًا من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ الذى زارها وهى تحت الاحتلال الرومى ، أن يقوم بتحريرها وإقامة حكم الله عليها ، ولهذا سير الرسول محمد ﷺ سرية مؤتة ، وغزا بنفسه فى تبوك ، وعقد لواء أسامة ، وسير أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- بعث أسامة ، وسير أربعة جيوش لفتح الشام وتحرير الأقصى، وجاء عمر -رضى الله عنه- ليكمل المسيرة وتحررت القدس بعد ٧٠٠ سنة من الاحتلال الرومى .

وعلى المسلمين أن يفهموا معنى هذه الأحداث التى خلد ذكرها القرآن الكريم ، وأنه يجب عليهم حماية المسجد الأقصى وحراسته حتى يظل مسجدًا إلى يوم القيامة .

ولقد صور الإمام حسن البنا مكانة فلسطين فى عقيدة الإخوان بقوله : « وفلسطين تحتل فى نفوسنا موضعًا روحيًا قدسيًا فوق المعنى الوطنى المجرد ، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة ، وبركات النبيين والصديقين والمسيح عليه السلام ، وكل ذلك ما ينعش النفوس ويغذى الأرواح ؛ وبناء عليه فإن الإخوان المسلمين يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن :

« فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية وأن أرضها وقف إسلامى على جميع أجيال المسلمين فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة ، لا يجوز لأحد كائنا من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جدًا منها ، ولذلك فهى ليست ملكًا للفلسطينيين أو

---

(١٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

العرب فحسب بل هى ملك للمسلمين جميعًا ، فعلى المسلمين فى كل مكان أن يساهموا عمليا فى تقديم المال والدم للدفاع عنها » .

٢ - مفهوم الجهاد[١٣] :

ذكر الإمام حسن البنا أنه قرأ حكمًا فقهيًا أثر فيه نصه : « امرأة مسلمة سبيت بالمشرق ، وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين » ، واستخلص منه الإمام حسن البنا أمرين :

أولاً : إن الوطن الإسلامى واحد لا يتجزأ ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله .

أما الأمر الثانى فهو : إن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة فى ديارهم ، سادة فى أوطانهم .

ثم قال : « ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان الإسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عدوانها ، ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من شرها .

وبناء على ذلك ، رأى الإخوان المسلمون أن مفهومهم للأمة الإسلامية ، يفرض عليهم « فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدى وتخليصها من غصب الغاصبين ، وتحصينها من مطامع الطامعين » هذه الفريضة هى الجهاد ، الركن الرابع من أركان بيعة الإخوان المسلمين ، ولقد عرف الإمام حسن البنا الجهاد ومراحله بقوله : « الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، والمقصود بقول رسول الله : « من مات ولم يغز أو لم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » وأول مراتبه انكار القلب ، وأعلاها القتال فى سبيل الله ، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر ، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد ، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد فى سبيلها وضخامة الثمن الذى يتطلب لتأييدها وجزالة الثواب للعاملين » .

---

(١٣) المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٩ .

أما دوافع أو أغراض الجهاد فى فكر الإخوان المسلمين فهى :

أولاً : رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين .

ثانيًا : تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاولون فتنتهم عن دينهم .

ثالثًا : حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعًا ، وحتى تزول من طريقها كل عقبة تمنع ابلاغها ، ويتحدد موقفهم منها تحديداً واضحًا ، فإما مسلمون ،وإما معاهدون لهم عهدهم وأهل ذمة يوفى لهم بذمتهم ، وإما أعداء محاربون، أو من يخشى خيانتهم فينبذ إليهم ، فإن عدلوا عن خصومتهم فبها : وإلا حوربوا حتى لا تكون عقبة فى طريق الدعوة .

رابعًا: تأديب ناكثى العهود من المعاهدين أو الفئة الباغية على الأمة الإسلامية .

خامسًا: إغاثة المظلومين من ذوى الإيمان أينما كانوا ، والانتصار لهم من الظالمين .

ولما كان الجهاد والقتال فريضة على كل مسلم لتحقيق الأهداف الربانية ، فإن الاستعداد العسكرى للجهاد فريضة من فرائضه ، امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوا الله وعدوكم ﴾ .

وحسب فهم الإخوان المسلمين لمفهوم الجهاد ، فإن الجهاد يصبح فرض عين فى عدة مواضع : « إذا ديست أرض الإسلام » ، وحيث أن البلاد الإسلامية معتدى عليها ومحتلة من قبل المستعمرين فإن الإخوان المسلمين يرون أن الجهاد عليهم الآن فريضة محكمة وضرورة لازمة مهما كلفهم ذلك من دم ومال » .

وبالنسبة لفلسطين فى مفهوم الجهاد ، فينطبق عليها الأغراض الخمسة للجهاد فى فكر الإخوان المسلمين وبذلك أصبح الجهاد فى سبيل تحرير فلسطين فرض عين على كل مسلم .

وأكثر من ذلك فإن الإخوان المسلمين اعتقدوا منذ انتفاضة ١٩٣٥م ، وجهاد الشيخ القسام وإخوانه أن فلسطين أعادت مفهوم الجهاد إلى الواقع العملى ، بعد أن تركه المسلمون لفترة طويلة من الزمن نتيجة لحبهم الدنيا وكراهية الموت ، يؤكد ذلك الإمام حسن البنا بقوله :« إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى ، عندما قام الفلسطينيون يحسنون من جديد صناعة الموت وعندما سرى هذا التيار من نفس الفئة المجاهدة القليلة فى جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب ، فى بغداد ودمشق

والقاهرة وغيرها» ويخاطب الإمام حسن البنا أهل فلسطين بقوله : « أيها الفلسطينيون ، لو لم تكن من نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوة الذلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما فى صناعة الموت من لذة وجمال وروحه وريح لكنتم الفائزين » .

الجهاد فى فلسطين له صفة خاصة ، تميزه عن الجهاد فى أى بلد آخر ، ولعله تصديقًا لنبوءة محمد ﷺ لما سيحدث فى فلسطين من جهاد عندما قال : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين على من يغزوهم قاهرين لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك ، قيل يا رسول الله : وأين هم ؟ قال : بيت المقدس » رواه أحمد ، ولقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود (فيقتلهم المسلمون) حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله ، هذا يهودى خلفى تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » البخارى ومسلم .

وهكذا فإن القضية الفلسطينية جمعت حسب مفاهيم الإخوان المسلمين بين مفهوم الأمة الإسلامية ومفهوم الجهاد ، حتى قال الإمام حسن البنا بأن حل القضية الفلسطينية سيكون بالوحدة والجهاد .

ثانيًا : العوامل السياسية :(١٤)

ينظر الإخوان المسلمون : (١) إلى أن اغتصاب فلسطين وإقامة دولة يهودية عليها يشكل خطراً على مصر والبلاد العربية والعالم الإسلامى .

فبالنسبة لمصر ، اعتقد الإخوان المسلمون أن مصر أقرب خطراً من الغزو اليهودى ، وستكون مرمى سهام اليهود بعد فلسطين .

فقد حذر حسن البنا الحكومة المصرية عام ١٩٤٦ من الخطر اليهودى على سيناء ، وطالب بالإسراع بنقل الجمرك من القنطرة إلى رفح ، وأن تقيم هناك منطقة صناعية على الحدود ، بالإضافة إلى إنشاء جامعة مصرية عربية بجوار العريش .

---

(١٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وقد حذر الشيخ حسن البنا المصريين منذ عام ١٩٣٨ ، بأن عدم مساندة الثورة فى فلسطين يعني أنهم : « سيضطرون إلى أن يدفعوا عن أنفسهم فى المستقبل غائلة الخطر اليهودى بعد ترسخ قدمه على قيد خطوات من الحدود المصرية ، وحينئذ لا تنفع الجهود ويصدق علينا المثل السابق (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) » .

٢ – إن قيام دولة يهودية فى فلسطين يهدد مركز مصر الاقتصادى ، ويؤدى فى النهاية « إلى أن نفقد استقلالنا الاقتصادى ، وباختصار ، فإن اهتمام الإخوان المسلمين بالقضية الفلسطينية كان فى أحد جوانبه ينطلق من دافع مصرى تتطلبه المصلحة الوطنية العليا المصرية ، وعملا فى نفس الوقت لصالح القضية الفلسطينية .

٣ – أما على مستوى البلاد العربية ، فاعتقد الإخوان المسلمون أن فلسطين « اللبنة الأولى ، والحجر الأساسى للوحدة الإسلامية » وذلك بسبب أهميتها الاستراتيجية ، فهى خط الدفاع الأول عن البلاد العربية ونقطة الاتصال بين البلاد العربية فى آسيا وافريقيا ، ومركز عسكرى هام للدفاع عن البلاد العربية ، فقيام دولة لليهود فى فلسطين يعنى ان تكون تلك الدولة قاعدة للاستعمار الغربى ، وسلاحًا مسمومًا لطعن البلاد العربية ، كما أنها تنذر البلاد العربية بالتمزق والتفرق ، وتهدده من ناحية الوجود والكيان ، حيث أنها ستكون حاجزًا يفصل البلاد العربية فى آسيا عن البلاد العربية فى افريقيا ، وتقطع كل اتصال برى بين هاتين القارتين (وقد أثبتت الأيام حقيقة هذا التصور) .

بالإضافة إلى ذلك فإن الإخوان المسلمين اعتقدوا أن قيام تلك الدولة سيؤدى إلى خلق مشاكل وأخطار لا تنتهى تشغل العرب وتستنفذ قوتهم ، بالإضافة إلى خلق مشاكل داخلية فى كل بلد عربى من قبل الجاليات اليهودية التى تعيش فيها ، والتى تشكل طابورا صهيونيا خامسا ، وسيترتب على ذلك كما يقول الشيخ حسن البنا : « خراب اقتصادى واضطراب مالى » (الواقع عام ١٤١٢ يصدق ذلك) .

كما نظر الإخوان المسلمون إلى أن إقامة هذه الدولة سينتج عنه أيضًا خطر اجتماعى يهدد البلاد العربية بالانحلال ، وأن أطماع اليهود ليست مقتصرة على فلسطين ، لأنهم يحلمون بدولة تمتد من النيل إلى الفرات : تمتد لتشمل الأردن ، سورية ، لبنان ، العراق سيناء – فى الأراضى المصرية – مناطق خيبر وبنى قريظة وبنى النضير وغيرها من الأراضى

المجاورة للمدينة المنورة ، أى أن قيام الدولة اليهودية يشكل خطرًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا على البلاد العربية .

وبهذا يتضح أن القضية الفلسطينية بالنسبة للإخوان المسلمين قضية دين ووطن .

ويقول الأستاذ صالح عشماوى : « إن قيام دولة يهودية على حدود مصر الشرقية لتهددنا فى كياننا وفى استقلالنا وفى تجارتنا وفى أخلاقنا وفضائلنا » .

وفى ٨ سبتمبر ١٩٤٥ اجتمع الشيخ حسن البنا برؤساء المناطق ومراكز الجهاد التابعة للإخوان المسلمين وقال لهم : « نريد أن نؤمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطين .. نحول دون تغلب اليهود.. لأنه تأمين لحدودنا ومصلحة مباشرة لنا » .

تعليــق :

إذن نظرة الإخوان المسلمين إلى القضية الفلسطينية ، تنبع من عقيدة الإسلام ، ففلسطين جزء من الوطن الإسلامى ، وشعب فلسطين جزء من الأمة المسلمة الواحدة ، بل إن فلسطين لها خصوصية لأنها الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وهى الأرض المقدسة التى كتب الله على المسلمين دخولها وسكناها ، وأنه إذا غلب عليها العدو فقد وجب على الأمة إحياء فريضة الجهاد وتحريرها ممن غلب عليها ، وإقامة حكم الإسلام على أرضها : ﴿ وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ (آية ٢٤٦ سورة البقرة) .

كما أنهم يعتبرون أن اغتصاب فلسطين وإقامة الدولة اليهودية ، قد جعل مصر والأمة العربية والعالم الإسلامى فى مرمى الخطر المباشر .

لهذه الأسباب وغيرها آمن الإخوان المسلمون ، بأن بناء إنسان العقيدة وإحياء فريضة الجهاد لدفع هذا الخطر الواقع على فلسطين والذى يهدد ديار الإسلام ، فريضة فى حقهم ، لأن الأمة قصرت فى هذا الواجب ، وابتليت بأنظمة حاكمة تدور فى فلك الأعداء ، وتحول بين الأمة وبين إحياء فريضة الجهاد لتحرير المقدسات .

ولمّا كان إحياء فريضة الجهاد ، يستلزم الإعداد المعنوى والمادى ، قام الإخوان المسلمون بواجبهم قدر ما وسعهم الجهد .. فكان نظام الجوالة وكانت الكتائب .. وكان

تجميع السلاح من الصحراء الغربية ، وكان التجهيز تحت سمع وبصر بل وبتصريح من النظام الحاكم آنذاك .

أى أن الإخوان لم يكونوا يعملون فى الخفاء .. لم يكونوا يهدفون إلى تحقيق أمجاد شخصية .. لم يكونوا إرهابيين أو متطرفين إنما كانوا يعملون على الملأ وكانوا يعدون كل ذلك لتحرير الأمة من الاحتلال الآثم ، وتحرير فلسطين وكل ديار الإسلام ممن غلب عليها ، وإقامة حكم الله سبحانه وتعالى على أرضها .

وهم فى ذلك ليسوا بمبتدعين ، وإنما هم متبعون ، فهم موصولون بدعوة الأنبياء والرسل جميعًا ، موصولون بالأمة الواحدة المسلمة عبر تاريخها ، فهم بهذا يسيرون فى الطريق الذى سلكه رسول الله محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم جميعًا وهم يحررون البشرية من قبضة الطاغوت ويقيمون حكم الله ، وهم يحررون بيت المقدس وبلاد الشام ومصر وتونس وطرابلس الغرب والجزائر والمغرب من الاحتلال الرومى (الأوربى) الذى تسلط على ديارنا لمدة سبعمائة عام (٦٤ قبل ميلاد المسيح وحتى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه) .

إنهم يسيرون فى نفس الطريق الذى سلكه عماد الدين زنكى ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى ، وقطز وبيبرس ومحمد بن قلاوون وهم يتصدون للغزو الأوربى الصليبى والمغولى والتتارى لبلاد الإسلام .

إنهم قاموا ومازالوا يقومون بفريضة نام قطاع ضخم بل غالب هذه الأمة التائهة عن القيام بها ، ألا وهى فريضة الجهاد .

ومن هنا كان اهتمام الإخوان المسلمين ، بقضية فلسطين ، ليس اهتمامًا نظريًا ولكن اهتمامًا عملياً .

المبحث الثالث
الخطوات التنفيذية التى اتخذها الإخوان المسلمون لنصرة فلسطين

لما كان القيام بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبا :

(أ) فقد شكل الإخوان المسلمون قوافل الدعوة ، لتنطلق فى كل أنحاء مصر والعالم العربى والإسلامى بل والأوربى ، لتعريف الأمة بالغارة اليهودية على فلسطين والتى تستهدف العالم

العربى والإسلامى ، وواجب الأمة حيالها من بناء لإنسان العقيدة وإحياء لفريضة الجهاد ، ونصرة أهل فلسطين وتحرير أرضهم ممن غلب عليها من اليهود وأعوانهم الإنجليز ، وما يوجبه ذلك على المسلمين من تقديم الدعم المادى والمعنوى للجهاد الفلسطينى .

(ب) وسافر بعض شباب الإخوان إلى فلسطين عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ وشاركوا مشاركة فعلية فى حركة الجهاد على أرض فلسطين والتى أشعلها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله .

(ج) وتأسس فرع لجماعة الإخوان المسلمين فى فلسطين عام ١٩٤٥ ، وبهذا وضعت اللبنة فى إيقاظ الوعى الإسلامى على أرض فلسطين ، وتحقيق الترابط وأخوة الإسلام .

(د) وتوجه الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائدهم العسكرى إلى فلسطين عام ١٩٤٧ ، لتوحيد صفوف المجاهدين على أرض فلسطين ، وتكوين جيش من أهالى فلسطين للدفاع عنها ، إلا أن الإنجليز تنبهوا لهذا الأمر ، فقاموا بطرده بالقوة .

(هـ) توجه المجاهد محمود عبده مع رعيل من إخوانه إلى سورية حيث تم إقامة معسكر فى جنوبى دمشق لتدريب المتطوعين من أهل فلسطين على حمل السلاح والمشاركة فى أعباء الجهاد ، إلا أن الدول العربية قد أغلقته بناء على طلب كلايتون رئيس المخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط بل وجردت الفلسطينيين من سلاحهم .

(و) الاتصال بالنظام الحاكم فى مصر وبجامعة الدول العربية وبعض الشخصيات حتى أمكن فتح باب التطوع داخل مصر للراغبين فى الجهاد فى فلسطين ، كما أمكن فتح معسكر الهايكستب لاستقبال المتطوعين وتدريبهم على حمل السلاح ، وقد ساهم فى هذا خبرة بعض ضباط الجيش المصرى

(ز) تكوين فرق من الإخوان لجمع السلاح والذخيرة من الصحراء الغربية وتنظيفه وإعداده للاستعمال ، وكان ذلك بتصريح من النظام الحاكم فى مصر ، الذى صرح فى نفس الوقت لليهود المقيمين فى مصر بنفس الشىء ، بل سمح لهم بتجهيز فيلق يهودى شارك فى الحرب العالمية الثانية ، وكان نواة لجيش اليهود على أرض فلسطين ، والعجيب أنه بعد فترة قامت الحكومة المصرية على عهد محمود فهمى النقراشى بسحب التصريح الممنوح للإخوان المسلمين بجمع السلاح من الصحراء الغربية ، فى الوقت الذى تركت الأمر مفتوحًا لليهود على أرض مصر .

(ح) جمع التبرعات على مستوى شعب الجمهورية لدعم الجهاد الفلسطينى ، ثم كانت الخطوة الأخيرة ، وهى سفر كتائب الإخوان المسلمين المجاهدين إلى فلسطين ، لتنازل العدو اليهودى على أرض المعركة .

المبحث الرابع
الإخوان المسلمون ينازلون العدو اليهودى
على أرض فلسطين (الأحداث – النتائج – التقويم)

• الإخوان المسلمون بقيادة مرشدها حسن البنا تقود حملة التعريف بالخطر اليهودى الأوربى على فلسطين وأرض الإسلام – وضرورة دعم حركة الجهاد على أرض فلسطين ، وإحياء فريضة الجهاد ، وتدريب الشباب على الجهاد والسماح له بالسفر إلى فلسطين .

• فى ٢ نوفمبر ١٩٤٧ الشيخ حسن البنا يقود مظاهرة بدأت من الأزهر الشريف بعد أن ألقى كلمة ذكرهم فيها بواجبهم حيال بيت المقدس ، وضرورة تحريض النظام المصرى على فتح معسكرات التدريب ، وتدريب الشباب وتسليحه وتكوين الكتائب .

• الجماهير المتحمسة تتجه إلى قصر عابدين مقر حاكم مصر تطلب السلاح وتهتف الله أكبر حى على الجهاد هيًّا إلى فلسطين .. هيا إلى فلسطين .

• وهكذا نجح الإخوان فى تعبئة الجماهير المصرية والضغط على النظام المصرى ، ولم يكن ذلك خافيًا على الإنجليز وأعوانهم الذين كانوا يحتلون مصر .

• الحكومة المصرية – تحت ضغط التيار الشعبى بقيادة الإخوان تقرر ذرًّا للرماد فى العيون ، وتهدئة للجماهير الغاضبة ، السماح بفتح باب التطوع أمام الراغبين فى الجهاد .

• الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائد وحداتهم العسكرية ينجح فى إقامة معسكر للتدريب فى هايكستب ، تتولى الجامعة العربية إمداده وتنظيمه ، ويشرف على التدريب فيه جندى ممتاز هو البكباشى حسين مصطفى من رجال الجيش العامل .

• إقبال شديد من شباب مصر على التطوع ، مع أن عهد الناس بهم أنهم ينفرون من الجندية ، وذلك يعنى أن جماعة الإخوان قد نجحت فى استجاشة مشاعر الإيمان والرغبة فى الجهاد فى قلوب الجماهير .

● وأقبل شباب الإخوان بهمة عالية ونشاط على التدريب ، رغم ضيق بعض أولياء الأمور أحيانًا بتطوع أبنائهم خوفًا عليهم من الموت فى المعارك .

● ولكن هذا الموقف من بعض أولياء الأمور لم يفت فى عضدهم واندفعوا نحو التدريب ، مثال ذلك الأخ عبدالمنعم الذى حاول عمه أن يثنيه عن هذا الطريق ويخوفه من ضياع مستقبله ويزيّن له العودة فكان يقول له : « دعونى أؤدى ما على من دين للإسلام [1] » ويتدخل قائد المعسكر ناصحًا الفتى باتباع نصائح عمه فيجيب عبد المنعم : لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق .

● وهذا محمد العيسوى حبسه أهله مستخدمين النفوذ والمركز فى إبعاده عن المعسكر فكان يتحايل على أهله ويخرج كل يوم ويذهب إلى المعسكر يراقب إخوانه الذين يتدربون ، ويقلد حركاتهم ، وكان يأخذ ما يكتبه إخوانه من مذكرات فى العلوم العسكرية بعد أن يرجع إلى البيت يستذكرها .

● وحين تحركت الكتيبة الأولى إلى العريش ، ركب نفس القطار بعد أن اشترى الملابس العسكرية على حسابه وفوجىء أفراد الكتيبة بسفره معهم ، وقد حاول أهله استرجاعه لكنه رفض .

ووصلت الكتيبة الأولى للإخوان المسلمين المجاهدين بقيادة الشهيد يوسف طلعت إلى أرض فلسطين فى فبراير ١٩٤٨ ، وبعدها بفترة لحقت بها الكتيبة التى تدربت فى معسكر هايكستب بقيادة البكباش الوردانى الذى لحق به البكباش أحمد عبدالعزيز بعد ذلك ، وقد التحمت هاتان الكتيبتان مع المجاهدين الذين تدربوا فى سوريا فى معسكر البريج بغزة فى وقت لاحق .

وقد لحق بهذه الكتائب قوات الجيش المصرى بقيادة اللواء أحمد على المواوى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ومع وصول هذه القوات ، تحركت كتيبة البكباش أحمد عبدالعزيز فى اتجاه بئر سبع ، ومنها إلى الخليل ومنها إلى بيت لحم حيث عسكرت وهناك دارت معارك كبيرة أمام مستعمرة رامات راحيل .

---

(١) الإخوان المسلمون ، ص ٧٨ .

كما تحركت فصائل من كتيبة الإخوان الأولى من البريج إلى بئر سبع والعوجة وهاجموا كثيرًا من مستعمرات العدو .

كما تحركت القوات التابعة للقائد محمود عبده إلى بيت لحم .

وكان الإخوان المسلمون المجاهدون حريصين منذ اللحظة الأولى على منازلة العدو اليهودى رغم قلة العدد والعتاد ، قدموا فيها شهداء وكثيرًا من التضحيات وغنموا من العدو الكثير من العدة والعتاد والغذاء .

خاضوا المعارك منفردين ، وتارة أخرى متعاونين مع قيادة الجيش المصرى ، وقد قدّم لنا تاريخًا لهذه الأحداث الأستاذ كامل الشريف « الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين » لا غنى لأى قارىء مسلم يهتم بأمر فلسطين عن قراءته والإفادة مما فيه من دروس وعبر ، وقد اعتمدنا عليه اعتمادًا كبيرًا - بفضل الله - ونحن نقدم هذا المبحث ، بالإضافة إلى مذكرات الأخ أحمد عبدالغنى الجندي (من إخوان دمياط) .

والمبحث الحالى يلقى الضوء على سمت كتائب المجاهدين وحرصهم على طلب النصر أو الشهادة وكيف استطاعوا بفضل الله ، ورغم قلة عدتهم وعددهم أن يحققوا انتصارات عجزت الجيوش النظامية عن تحقيق مثلها ، ويلقى الضوء أيضًا على طبيعة العدو اليهودى التى تتسم بالجبن والغدر ويؤكد أنه لولا الخيانة ولولا الأنظمة الحاكمة العميلة ولولا المنظمات الدولية المجرمة ، ولولا الدعم الأوربى الإنجليزى والأمريكى والروسى لليهود ، لتحررت فلسطين وعاد الحق لأصحابه .

﴿ لا يقاتلونكم جميعًا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ﴾ آية ١٤ سورة الحشر .

معركة مستعمرة كُفّار ديروم[٢] ... دروس وعبر أول معركة يخوضها الإخوان ضد اليهود :

كفار ديروم مستعمرة يهودية بدير البلح ، تقع على طريق خان يونس / غزة .

وتتميز بأبراجها الضخمة وتحصيناتها القوية التى تسمح بمجال للرؤية والرماية على مسافات بعيدة ، وكان يحيط بالمستعمرة الأسلاك الشائكة والألغام الكثيفة ، التى تجعل مهاجمتها ضربا من المخاطرة .

---

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٢، ٨١ ؛ مذكرات خطية للأخ أحمد عبدالغنى الجندى .

وكانت كل مستعمرة وحدة دفاعية كاملة أى مجهزة تجهيزًا كاملاً بالأفراد ومعدات القتال والإعاشة التى تمكنها من الصمود لوقت طويل فى حالة الحصار ، كما أن أفرادها كانوا على درجة عالية من الكفاءة نتيجة التدريبات المكثفة التى كانوا يتلقونها بل كان فى إمكان حراس هذه المستعمرات من اليهود (الهاجاناة) مراقبة الداخل والخارج إليها ، وقطع الطريق فى أى وقت يشاءون وهم خلف أبراجهم الشاهقة المسلحة دون أن يتعرضوا لأذى .

يشكل هذا النظام نظام المستعمرات اليهودية عقبة عنيدة أمام أى هجوم لتحرير فلسطين فى المستقبل ، بل ويظل نظامها أفضل وسيلة لحماية حدود الأمة العربية المترامية الأطراف ، التى أهملت وأصبحت كلأ مباحا للعدو يأخذ منها ما يشاء فى أى وقت شاء .

وحينما وصل الفوج الأول من الإخوان إلى فلسطين ، لم يكن لديهم معلومات كافية عن هذه المستعمرات اليهودية ، فظنوا أنهم بمقدورهم مهاجمة هذه المستعمرات واحتلالها رغم ما كانوا يعانونه من نقص فى الأسلحة والمعدات ، ودفعهم إلى ذلك الرغبة الجارفة فى منازلة اليهود الذين دنسوا أرض فلسطين ، لتطهيرها ، من رجسهم ؛ واستهانتهم بالحياة ورغبتهم الحقيقية فى تحقيق النصر أو الشهادة .

« وقام الفوج الأول من متطوعى الإخوان المسلمين بقيادة الشهيد يوسف طلعت مع الأخ المقاتل كامل الشريف بهجوم عنيف على هذه المستعمرة فجر السبت ١٠ ابريل سنة ١٩٤٨ م وقد استخدموا فيها مدافع الهاون والبرن والقنابل اليدوية وبعد أن بثوا الألغام حول المستعمرة ونسفوا جميع التحصينات الخارجية تقدم الفدائيون زحفًا إلى داخل المستعمرة وقد استمرت المعركة ١٠ عشر ساعات وأوشكت أن تسقط لولا أن استنجد اليهود بالجيش البريطانى الذى كان مازال محتلاً لفلسطين فى هذا التاريخ وكانت نتيجة المعركة أربعين قتيلاً من اليهود ومئات من الجرحى واستشهد من مجاهدى الإخوان اثنا عشر مقاتلا كما جرح خمسة بجروح خفيفة وكما قال الصاغ محمود لبيب : لقد أبلى جنودنا فى هذه المعركة بلاء حسنا وذكر ما روى عن الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من الذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يوهنوا

فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ...! فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم » فأنزل الله هذه الآيات :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

آية ١٧٠ سورة آل عمران .

« وما أن وصل القاهرة خبر استشهاد الاثنى عشر حتى زادت حمية القتال وأصبح المركز العام ودور الإخوان خلية كخلية النحل يتوافد إليها المتطوعون يطلبون سرعة الالتحاق بكتائب القتال والتدريب فى معسكر الهايكستب »[٣] .

نماذج فذة للشهادة فى سبيل الله

« ورغم أن المعركة لم تحقق الهدف الذى كان يسعى إلى تحقيقه المجاهدون إلا أنها ظلت مثلاً فريدًا للبطولة والتضحية فى سبيل الله .

لقد سجل المجاهدون صورًا حية من جهاد الصدر الأول ، فهذا أحدهم وهو المجاهد « محمد سلطان » من مجاهدى الشرقية ، يزحف على بطنه حاملاً لغمًا وهدفه أحد مراكز الحراسة فى المستعمرة ، ينتبه إليه الحراس اليهود وهو على قيد خطوات من هدفه ، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه فى ذراعه ، وتعجزه عن المضى فى زحفه ، ولكنه يتحامل على نفسه ، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه ، والرصاص يتناثر من حوله ، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشعل اللغم فينفجر ، ويدمر مركز الحراسة ويقضى على البطل الفذ ، ويمضى ليلاق ربه شهيدًا »[٤] .

وهذا المجاهد « عبدالرحمن عبدالخالق » يقود إحدى جماعات الاقتحام فى المعركة ، ويستمر فى قتاله الرائع رغم أوامر الانسحاب التى صدرت إليه ، فيقول : كيف ننسحب ،

---

(٣) من مذكرات خطية لأحد مجاهدى الإخوان المسلمين الذين عاصروا هذه المعارك وشاركوا فيها ، وهو الأخ أحمد عبد الغنى الجندى من إخوان دمياط .

(٤) الإخوان المسلمون ، ص ٥٩ .

وإخواننا فى داخل المستعمرة ؟! ثم يُذكّر من معه بقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار ﴾ .

ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة فى رأسه لتضع اسمه فى عداد الشهداء الخالدين .

وهذا مجاهد آخر هو « عمر عبدالرؤوف » تصيبه رصاصة فى صدره فتبدو على وجهه ابتسامة مشرقة ، ويهتف بمن حوله « أترون ما أرى ؟ » ثم يأخذ نفسًا طويلاً ، ويقول هذه هى الجنة ، اننى أراها .. وأشم رائحتها ، ثم يلفظ أنفاسه الطاهرة ، يمضى إلى جنة ربه الموعودة(٥) .

وتعلم الإخوان درسًا لم ينسوه ، وظل يقود خططهم وخطاهم طيلة الفترة التى قضوها على أرض الجهاد ، لقد تعلموا أن مهاجمة المستعمرات اليهودية مع نقص الأسلحة والمعدات اللازمة لديهم ، هو انتحار محقق ، وأن أفضل وسيلة لإنهاك العدو هو تطبيق نظام حرب العصابات وحصار المستعمرات والطرق الموصلة إليها ، وقطع خطوط الإمداد والتموين عنها ، وإجبار العدو إلى الخروج من المستعمرة ليتمكنوا من منازلته فى الأرض المكشوفة التى تشمل صحراء النقب كلها وحرب العصابات لا يمكن أن يقوم بها إلا رجال يؤمنون إيمانًا عميقًا بالله ثم بعدالة الفكرة التى يحاربون من أجلها ، وأن يكونوا على مستوى رفيع من التدريب والذكاء ، لأنهم يتعرضون فى قتالهم ، إلى كثير من المآزق الخطيرة ، ولأن مهمتهم الأساسية هى محاربة العدو فى أرض تحتلها قواته ، ليثيروا الرعب والفوضى فى مؤخرته ، ويقوموا بهجمات خاطفة على طرق مواصلاته ويدمروا ما تقع عليه أعينهم من أسلحة ومعدات »(٦) .

ويمكن تلخيص الأهداف التى يطلب من رجال العصابات تحقيقها على الوجه التالى :

أ - إنزال خسائر بالعدو دون الاشتباك معه فى معارك مباشرة .

ب - إرغام العدو على تشتيت قواته وتخصيص جزء كبير منه لمطاردة هذه العصابات .

---

(٥) الإخوان المسلمون ، ص ٦٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

ج - إرغام العدو على حراسة منشآته وطرق مواصلاته وقواته وفى هذا ما يبعثر قوته ويجعله فى قلق دائم .

د - إثارة العناصر الوطنية ضد قواته والتعاون معها لِتَسقُّط الأنباء والتحركات الخاصة بالعدو [٧] .

وإن الباحث فى التاريخ يجد أن كثيرًا من الحروب لم تحسمها الجيوش المنظمة إلا بمعاونة العصابات ، وقد عرف التاريخ الإسلامى هذا النوع من القتال فى « السرايا » التى كان يبعثها رسول الله ﷺ لتجوب أنحاء الجزيرة لقطع تجارة العدو ، وإثارة الرعب فى قلوب القبائل الموالية له .

وباشر الإخوان تنفيذ هذه الخطة .

وشكل الإخوان عصابات صغيرة للاستكشاف والاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو ، وعن أرض المعركة ، وأخرى لمحاصرة المستعمرة ، ومراقبة الطرق الموصلة إليها ، وأخرى ترابط على طرق المواصلات وتنصب الكمائن وتبث الألغام عليها ، وأخرى تهاجم شبكات المياه التى تغذى العدو لتحرمه من المياه وأخرى لمنع أية امدادات من الوصول إلى داخل المستعمرة .

ونجحت خطة الفئة المجاهدة القليلة العدد ، البسيطة العدة ، وأخرج اليهود من مستعمراتهم لحراسة شبكات المياه وإصلاحها ، وحماية قوافل تموين المستعمرات ، وبدأت المعارك وتحول النقب الجنوبى ميدانًا لمعارك مستمرة ليلاً ونهارًا بين الإخوان المجاهدين والعدو اليهودى ، غنم أثناءها الإخوان كميات وفيرة من الأسلحة والعتاد والمواد التموينية .

نموذج تطبيقى لحرب العصابات :

تدمير شبكة مياه العدو التى تغذى المستعمرة بالمياه .. خروج العدو لقتال الإخوان .. وكان هذا الذى يريده مجاهدو الإخوان .

حدث مرة أن قامت قوة من الإخوان بقيادة المجاهد « حسن عبدالغنى » بتدمير شبكات المياه بين مستعمرتى « بيرى » و « أتكوما » وأباحت أنابيب المياه لأعراب المنطقة

---

(٧) المرجع السابق .

ينتزعونها من الأرض تحت حراستهم ، حتى نزعت من الأنابيب مساحات شاسعة ثم رابطت فى المنطقة تمنع العدو من إصلاحها ، وصبر اليهود يومين عسى أن تنصرف قوة الإخوان لشأنها ، لكن القوة المرابطة العنيدة ، ظلت تواصل تدمير الأنابيب ونزعها والتعرض للمصفحات والقوافل التى تحاول إصلاحها فلم تجد القيادة اليهودية بدًا من الدخول فى معركة مباشرة فجمعت عددًا كبيرًا من المصفحات من جميع المستعمرات وأحاطت بالقوة الصغيرة من جميع الجهات وأخذت تقترب منها على أمل أن تظفر بها ، وثبت الإخوان ثباتًا عجيبًا وأوقعوا فى اليهود عددًا من القتلى قبل أن يبعثوا فى طلب النجدات من معسكراتهم ، وجاءت مصفحات الإخوان وضربت الحصار حول مصفحات العدو الذى أسقط فى يده حين رأى نفسه محصورًا بين نارين ، فاضطر إلى طلب نجدات أخرى من المستعمرات القريبة ، وامتلأ ميدان المعركة بقوات كبيرة من الجانبين واشتد القتال بين الفريقين شدة لم يسبق لها مثيل، حتى يئس العدو من زحزحة الإخوان عن موقفهم فأخذ يطلق سحبًا من الدخان ليستر انسحابه وما كادت أطباق الدخان تنجاب عن ميدان المعركة حتى سارع الإخوان يجمعون غنائمهم من السلاح ويعودون لتدمير الأنابيب من جديد .

وأيقن اليهود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه القوات المتفانية فى حرب شريفة وحاولوا تسميم آبار الماء التى يستخدمها الإخوان فى منطقة « خزاعة » حيث كان المجاهد « نجيب جويفل » يرابط فيها بسريته ، ولكن عين الله المبصرة ، ويقظة الإخوان مكنتهم من اكتشاف الجريمة قبل وقوعها ، وذلك أنهم لمحوا رجلين يرتديان الملابس العربية ويتظاهران باستجلاب الماء وكان منظرهما يدعو إلى الريبة فاقترب منهم الجندى الحارس وأمرهما بالوقوف فلاذا بالفرار فتعقبهما الجندى الحارس وعدد من إخوانه حتى أدركوهما ولم يبق بينهما إلا خطوات وأمرهما بالتسليم وحين اقترب الإخوان منهما انبطحا على الأرض فى سرعة وقذفا على المهاجمين عددًا من القنابل اليدوية وأسرع الإخوان بملاصقة الأرض ثم أطلقوا عليهما النار فأردوهما قتيلين[٨] .

هذا هو النموذج يا أمة الإسلام يقظة .. انتباه .. رباط لا أمة ترقص وتغنى ثم تنام حتى يأتى العدو ويضرب سلاح طيرانها بالكامل فى الأرض .

---

(٨) الإخوان المسلمين ص ٦٨، ٦٩ .

وهكذا نجحت الخطة ووصل الإخوان إلى ثلاث نتائج لم يكونوا يستطيعون الوصول إليها بدون هذه الأعمال العصابية - وهذا ما لم تنجح فيه الجيوش النظامية .

النتيجة الأولى : هى خروج اليهود من مستعمراتهم وحصونهم لمقاومة عصابات حقيقية محصنة ، فى بطون الشعاب والوديان .

والنتيجة الثانية : إن الإخوان استطاعوا الحصول على كثير من الغنائم والمعدات التى لم يكونوا يملكونها كالمصفحات الضخمة والأسلحة الرشاشة البعيدة المدى ، هذا عدا أنواع كثيرة مختلفة وكميات كبيرة من الذخائر والقنابل والمواد التموينية .

النتيجة الثالثة : كسر الحصار الذى فرضه على المجاهدين النظام الحاكم فى مصر (الإخوان ص ٧٠) .

الإخوان المجاهدون يحاولون حشد كل قوى الأمة ضد العدو اليهودى وينجحون فى استقطاب بدو شبه جزيرة سيناء إلى جانبهم ، كيف ؟!!

أحاطت ببدو سيناء شائعات تصفهم بالخيانة والتعاون مع العدو اليهودى ، ولكن الإخوان تعلموا فى مدرسة الإسلام أن لا يأخذوا بالشائعة : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ لأنه لو صح ذلك فإنه يشكل عقبة كأداء ، فى تنفيذ خططهم العسكرية ، فى مواجهة العدو ، وكان الإخوان يأملون ألا تصدق هذه الشائعات عن إخوانهم ، ولهذا كان لابد من التأكد من دراسة أرض الواقع فاتضح لهم أن العدو اليهودى كان يحرص على أن تكون له علاقات مع هؤلاء البدو البسطاء من خلال التعرف على متاعبهم ومحاولة علاجها .. بحيث يجعلهم أسرى إحسانه .

ومن الأشياء التى يعانى البدو منها أشد المعاناة ، الحصول على المياه وقد أدرك اليهود فحرصوا على توصيل أنابيب المياه لمضارب خيامهم ، ليس هذا فحسب بل كانوا يتحسسون آلامهم ويحاولون تخفيفها بل ويشاركونهم أفراحهم ، ويجالسونهم ، ويؤاكلونهم(٩) .

---

(٩) الإخوان المسلمون ، ص ٧٠ .

والذى سهل على اليهود تسللهم إلى قلوب البدو ، الجهل الذى كان عليه البدوى بطبيعة اليهودى ؛ لم يكن يعلم أنهم أصحاب أطماع فى ديارهم وأنهم غدارون وسفاكو دماء وأنهم لا عهد لهم .

واتضحت الحقيقة .. أن البدوى ليس خائنًا ولكنه أسير كل من يصنع له معروفًا .

« فخيل إلينا أن هناك شبه تعاون ، فعلاً ، بين اليهود وبدو تلك المناطق ، (مخيمات البدو فى الصحراء) فهذه المصفحات اليهودية ، تنتقل بين المستعمرات بحرية وأمان ، وتمر على خطوات من مضارب البدو وخيامهم ، دون أن يتعرضوا لها بشىء من الأذى ، ولم تمض إلا أيام حتى فهمنا السبب فبطل العجب وعلمنا أن الخطأ يقع علينا لا على هؤلاء البدو».

«كان اليهود يسترضونهم بشتى السبل ويحيطونهم بكثير من صنوف الرعاية والإغراء ، فهذه أنابيب المياه تصل إلى خيام البدو،والماء عند البدو ضرورة عزيزة المنال ويسير من أجله ساعات طويلة على جَمله ليحصل عليه فإذا كان اليهود يمدونه به حتى خيمته فذلك جميل ما بعده جميل ؛ وها هى قوات المستعمرات اليهودية يضيِّفون البدو فى خيامهم ، ويسامرونهم ، ويأكلون عندهم (العيش والملح) ويشاركونهم الأعياد والأفراح . ولا أنكر أن بعض القبائل الأخرى ، كانت فى حالة حرب مع اليهود ، من اليوم الأول لهذه الحركات ، ولكن هذا لا يمنع من تصحيح هذه الأوضاع الفاسدة ، فبدوى واحد ممالىء لليهود يحدث ثغرة عميقة فى خطط الدفاع ويكون أخطر من كتيبة معادية تقاتلنا وجه لوجه » .

« لابد أن نصحح هذه الأوضاع ويعلم البدو حقيقة هؤلاء الأصدقاء الألداء ، ولقد جربت البدو بنفسى ، فوصلت إلى نتيجة آمنت بها إيمانًا عميقًا ، تلك هى أن البدوى لا ينقصه الإيمان بقضيته والتعلق بوطنه ، ولكن فى هذه الحالة مضطر لسلوك هذا المسلك فليس لديه السلاح الذى يواجه به قوى اليهود الموزعة فى كل قطعة من وطنه وهو فى حالة من الفقر لا تسمح له بشراء الأسلحة ، وقد كانت تساوى مالاً كثيرًا فى ذلك الحين ، ولا توجد على مقربة منه قوات عربية منظمة ، تستطيع أن تدفع عنه العدوان ، وتحمى أولاده وغنمه من هجمات العدو الغادرة . وإذن فليس الذنب ذنبه ، ولكن الجرم يقع على تلك الفئة التى وضعتها الظروف فى موضع القيادة من هذه الحرب ، والذنب بعد

ذلك يتركز فى الزعامة الشعبية التى لم تكن تكلف نفسها مشقة التجول بين هؤلاء الأعراب وتنظم حركة المقاومة فى مناطقهم وتلقنهم ما يجب عمله إزاء هذه الحالة .

فعلى الذين يتهمون البدو بالخيانة ، أن يتهموا أنفسهم بالتقصير والتضليل . أما الذى صنعناه نحن لتصحيح هذا الوضع ، وإثارة أعراب المنطقة فقد كان من البساطة بحيث لا يحتاج إلى كثير من التدبير والتفكير ذلك أننا أوعزنا إلى بعض شباب الإخوان أن يبثوا الألغام على الطرق اليهودية القريبة من مضارب البدو ، دون أن يفطن أحد ، وانفجرت الألغام فى إحدى القوافل اليهودية ولم يكن العدو فى حاجة إلى تفكير ليعلم أن هؤلاء البدو واضعوها أو على الأقل مشتركون فى وضعها ، فأخذوا يطلقون عليهم النار بلا حساب ، وكانت قوة الإخوان مستعدة على مقربة من هذه المنطقة ، فأغارت على مؤخرة اليهود ، وكان طبيعيًا أن ينحاز العرب إلى عرب مثلهم ، وأخذوا يشاركوننا فى قتال اليهود حتى أرغموهم على دخول المستعمرات ، وتحولت هذه القبائل من ذلك الحين إلى قوة معادية لليهود ، وجند الإخوان عددًا كبيرًا من شباب البدو على استعمال السلاح ووكلوا إليهم الأعمال الخطرة والبدوى بطبيعته مقاتل قوى البأس فوق ما يتمتع به من مزايا تجعله بارعًا فى الإخفاء والتمويه وكان لهم أبعد الأثر فى نجاح العمليات الخطرة التى اضلع بها الإخوان بعد ذلك »[١٠] .

أثبتت التجربة العملية أن بدو سيناء ممكن أن يكونوا عاملاً حاسمًا فى المعركة مع اليهود .. فقد تحولوا بفضل الله ثم بجهود رجال العقيدة إلى لبنات صالحة فى بنية المجتمع المسلم – بعد أن فهموا ماذا يتطلب منهم . آمنوا بالله .. فأخلصوا لله وتحول الفهم والإخلاص إلى عمل فى صالح أمة الإسلام .. وتحولوا إلى مصدر من مصادر الإزعاج للعدو اليهودى .

وحين تشعبت أعمال الإخوان واتسعت الجبهات التى يحاربون منها وزادت القيود التى فرضتها الحكومة المصرية لمنع دخول المجاهدين مصر ، قام الإخوان بتعويض احتياجاتهم من البدو وتشكلت منهم عدة سرايا كان يقوم بتدريبها وإعدادها الأخ (نصر الدين جاد) .

---

(١٠) المرجع السابق ص ٧١، ٧٤ .

بل وأسند الإخوان إلى إخوانهم البدو مسئولية حماية أحد الحصون التى أنشأوها وكانت تخرج منه العصابات تتعرض لقوافل الجيوش اليهودية ، وتأسر وتقتل وتغنم ، مما أغاظ اليهود ودفعهم إلى مهاجمة هذا الموقع فى يوم ٧/١٩ ، وتصدى لهم الإخوان وإخوانهم البدو ، وأوقعوا بهم خسائر فادحة ، واستشهد فى هذه المعركة التى جرت بالقرب من أبو معيلق ، المجاهد سيد حجازى ، وجُرح العديد منهم محمد القلاحجى من إخوان الدقهلية (الإخوان ، ص ٧٢ - ٧٣) .

وكان المفروض أن نواصل رعاية النبتة التى زرعها المجاهدون ونواليها بالتربية والاهتمام .. لكن العكس هو الذى تم فأهملت الحكومات شأن البدو .. وعلى الجانب الآخر اهتم العدو اليهودى بهم .. أو بمعنى أوضح اهتم بأرضهم التى يعيشون عليها .. أرضهم التى نعتبرها أنها صحراء لا خير فيها اهتموا هم بها وربوا أبناءهم على أن سيناء هى أرض الأجداد وأنها جزء من إسرائيل الكبرى[١١] .

---

(١١) ولعلنا قرأنا عن ترعة السلام لرى سيناء واستصلاح ٤٠٠ ألف فدان بتكاليف مليار ومائتى مليون جنيه .

قناة بطول ٨٦٠ كم توصل المياه لشبه جزيرة سيناء .

هذا المشروع صاحب فكرته الأساسية اليهود ، الذين درسوا سيناء ، وتكونت لجنة سنة ١٩٠٢ من ثمانية أعضاء ، انتهت إلى تقرير لصلاحية سيناء لإقامة اليهود ، واقترحت مدها بخبراء زراعيين ومد خطوط سكة حديدية إليها .. وتوطين اليهود بها وأن يجلب لها الماء من النيل ، وأن يتم ذلك تحت إشراف الحكم البريطانى ... ورفض المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر المشروع لأنه سيؤثر على كمية المياه اللازمة للزراعة فى مصر .. وقام الشيخ حسن البنا بعمل رسالة عن سيناء نبه فيها الأمة أن العدو يخطط للاستيلاء على سيناء .. واقترح أن سيناء تصلح لسكنى مثل عدد سكان مصر الحاليين .. وأن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فيها مثل المساحة المزروعة فى مصر .. وأنه يجب تعمير سيناء بالمصريين حتى لا تتعرض للاغتصابات مثلما حدث فى فلسطين وظل المشروع نائمًا حتى جاءت اتفاقية كامب ديفيد .. وإذا بنا نسمع عن ترعة السلام وعن مد سيناء بمياه النيل - فى الوقت الذى تشتكى فيه مصر من قلة المياه ؟؟

لماذا لا نعتمد على حفر الآبار وعلى رى الأراضى بالمياه الجوفية علمًا بأن العدو اليهودى يسحب من هذه المياه عن طريق مضخات فى صحراء النقب .

إنه المخطط الرهيب لإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هل نترك العدو اليهودى يحولنا إلى لاجئين ... بل ونساعد على تنفيذ مخططه ... وتوصيل المياه له ؟؟! إن هذا لشىء عجاب .

معركة كُفّار ديروم الثانية :

القائد أحمد عبدالعزيز يفكر فى مهاجمة المستعمرات اليهودية .

الشيخ محمد الفرغلى يبين له خطورة هذه الخطة مدللا على ذلك بتجربة الإخوان فى كفار ديروم .

القائد يُصر على رأيه وما كان له أن يفعل ، وشباب الإخوان يسمعون ويطيعون ، وكان الثمن فادحًا من خيرة شباب الإخوان (سبعون شهيدًا ومثلهم جرحى) .

« وكان ممن جرح فيها اليوزباشى البطل « معروف الحضرى »[١٢] فحمله الإخوان من داخل المستعمرة ، حيث رحل للعلاج فى القاهرة ، وقبل أن يتماثل للشفاء عاد ليواصل جهاده ويلعب دورًا هامًا على مسرح الحرب » .

« انتهت « معركة ديروم الثانية » ، ولم يكن أحمد عبد العزيز من شهودها ، إذ كان يتلقى أنباءها أولاً بأول من مقر قيادته فى (خان يونس) ، وحين تلقى هذا النبأ جزع جزعاً شديداً لفقد هذا العدد الضخم من خيرة رجاله دون أن يحقق أدنى نتيجة ،[١٣] فصمم على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة » .

---

(١٢) وقد رقى معروف الحضرى فيما بعد حتى وصل إلى رتبة اللواء وقُدّر له أن يوضع فى المعتقل على عهد الزعيم عبد الناصر وتعرض للتعذيب والإهانة !! لماذا ؟ هذا الضابط الشجاع حاول مرات عديدة كسر حصار الفالوجة لإنقاذ الجيش المصرى وكان من بين أفراده جمال عبد الناصر . وأصيب معروف الحضرى وتعرض للأسر فى يد اليهود ، وردّ له عبد الناصر الدّين ؟!

(١٣) نتائج هذه المعركة تؤكد أهمية الامتثال لرأى الجماعة ، وخطورة الاستبداد بالرأى ، فماذا لو استجاب القائد أحمد عبد العزيز لرأى المجاهدين من الإخوان ؟؟

أخوان شهيدان فى معركة كفار ديروم[١٤] الثانية هما محمد حسن عنانى وأخوه عبدالوكيل :

المجاهد / أحمد عبدالغنى الجندى يروى قصة هذين الشابين منذ تطوعهما حتى غنمهما الله الشهادة :

« لما نادى المنادى حى على الجهاد دب النشاط فى المركز العام فصدرت الأوامر ونظمت الكتائب ، وكُلفت باستقبال أفواج متطوعى الجهاد فى فلسطين وتسجيل أسمائهم فى كشوف ، ولا أبالغ أن أذكر أنه فى أيام قليلة تقدم أكثر من ١٠ عشرة آلاف متطوع كتبت لهم استمارات مع الالتزام بشروط أوصى بها مرشدنا منها :

١ – ألا نقبل للتطوع إلّا الشباب غير المتزوج .
٢ – ألّا يكون المتطوع مسئولاً عن أسرة يعولها .
٣ – ألا يقبل من الأسرة إلا فرد واحد .
٤ – أن تقر اللجنة الصحية التى شكلت من الإخوة الأطباءِ لياقة المتطوع صحيًا .

وقد شاهدت أمثلة حية من الإخوة المتطوعين وإقبالاً شديدًا على التطوع للجهاد فى سبيل الله ليحققوا ما نادوا به وتعلموه فى دعوتهم .

« ومن أمثلة التسابق التى شاهدتها :
أن يتقدم أخ وتكتب له استمارة تطوع ويأتى شقيقه ليسجل اسمه فأخبره بأنه قد سبقك بها أخوك فيتأثر كثيرًا ويساوم شقيقه ليتنازل له ويشتد بينهما النقاش والترجى فأتدخل بينهما وأذكرهما أن العمل هنا فى الدعوة ونشرها جهاد كذلك » .

« ومثال آخر للتحايل على شرط القبول ، أن يتقدم متطوع وتكتب له استمارة تطوع ويأتى شقيقه ويكتب اسمه مع التحريف فى لقب العائلة ، وكثيرًا من هذا اضطررت إلى عرضه على الأستاذ لحل هذا الاشتباك بين الأشقاء، فمثلاً جاءنى الأخ **محمد حسن عنانى** من إخوان مركز جهاد الترعة البولاقية، وملأ استمارة التطوع وقبل تطوعه ثم جاءنى شقيقه

---

(١٤) من مذكرات خطية لأحد مجاهدى الإخوان المسلمين الذين عاصروا هذه المعارك وشاركوا فيها وهو الأخ أحمد عبدالغنى الجندى من إخوان دمياط .

عبدالوكيل فأخبرته بالتعليمات ، ورجوته أن يؤجل تطوعه ، وناشدته الطاعة فانصرف عني باكيًا وأنا فى أشد التأثر ، وقد كنت أعرفهما حيث أنه كثيرًا ما كان محمد يؤمنا فى الصلاة وخاصة فى شهر رمضان المعظم لحسن صوته فى تلاوة القرآن وإجادته له حفظًا ومعنى » .

وبعد أيام جاءنى والدهما منفعلاً ومتسائلاً لِمَ لمْ يُقبل ابنه عبدالوكيل فى صفوف المقاتلين وهو الذى يتمنى أن يكون له شهيدان فى الجنة كما قالها للمرشد بعصبية وأمام إصرار الأب المسلم أمرنى المرشد أن يُقبل عبدالوكيل وأن يكون مع شقيقه محمد فى كتيبة واحدة علمًا بأن محمدا وعبد الوكيل كانا يعملان ويساعدان الأب فى المعيشة ـ ويشاء العلي القدير أن تُحقق رغبة وتمنى الأب باستشهاد محمد وعبدالوكيل عنانى فى معركة واحدة هى معركة كفار ديروم الثانية واللذين كانا بجوار بعضعهما أثناء الهجوم وقد شاهدت بعينى إصابة محمد تليها إصابة عبدالوكيل ، ونال الأخوان الشهادة – تطوعا سويًا ونالا الشهادة معًا – .

« وقمت مع الإخوة بعد المعركة بمواراتهما التراب مع الإخوة الذين قضوا نحبهم فى هذه المعركة ودفن الجميع فى مدافن أعدت للشهداء وقد أخبرنا الأستاذ محمد عبدالقدوس فى مجلة الدعوة أن والد محمد وعبدالوكيل لما علم من الأستاذ المرشد باستشهاد ولديه ذهب إليه وقدم له ثالث أبنائه ليجاهد كما جاهد أخواه من قبل فدمعت عينا الأستاذ وهو يقول : كفاكم جنة يا آل عنانى » .

« ومادمنا فى سيرة هذه العائلة العطرة أذكر أنه بعد خروجى من الاعتقال فى الطور ذهبت إلى القاهرة ووفاء منى قمت بزيارة عائلة آل عنانى وهناك فى منزلهم بشبرا مصر رأيت عجبًا وسمعت حديثًا من الأب والأم لا يقل عما قرأت عن شهداء بدر » .

« إذ استقبلتنى العائلة بالترحاب وطلبوا منى أن أروى لهم المزيد من قصة استشهاد ولديهما وكان الطلب فى صورة أسئلة – هل أبلى محمد وعبدالوكيل بلاء حسنًا فى القتال وهل استشهدا مقبلين أم مدبرين فلما علموا منى صدق الحديث وحسن بلاء ولديهما اطمأنوا وهللوا وكبروا وقالوا : الحمد لله أن وهبنا الله شفعاء لنا يوم القيامة » .

سبحانك ربى لا إله إلا أنت أجزلت عطاء الصبر لهؤلاء وصدق الله إذ يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ، ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ وتذكرت أم حارثة بنت سراقة أنها أتت

النبى ﷺ فقالت : يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة ــ وكان قبيل يوم بدر ــ أصابه سهم غرب – فإن كان فى الجنة صبرت وإن كان قد غير ذلك ، اجتهدت عليه فى البكاء . قال : « يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ــ مع الفاروق فى التشبيه ــ » .

« والله ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » إن المواقف المشرفة التى وقفتها الكتيبة المؤمنة من الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين دفاعًا عن حق هذه الأمة فى الوجود الكريم لجديرة بالإجلال والاحترام والتعظيم انها لم تتردد لحظة واحدة فى تقديم أرواحها رخيصة فى سبيل الله وأن معظم هؤلاء الأبطال ظلوا على طول حقبة من الزمن – أكثر من خمسين عامًا – مجاهدين مجهولين يعملون بصمت ولا ضجيج ولا تفاخر ولا مباهاة – نعم انهم بحق أسهموا فى النصيب الأوفى فى استمرار رفع راية الإسلام خفاقة عالية من الآن وإلىَ ما شاء الله » .

معركة كُفّار ديروم الثالثة(١٥) :

القائد أحمد عبد العزيز يطبق النموذج الإخوانى (حرب العصابات) ويحاصر مستعمرة كفار ديروم . العدو يحاول تحطم الحصار وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد ... المجاهدون يلقنون العدو اليهودى درساً مراً ... يعيد للمجاهدين روحهم المعنوية التى التى كادت أن تتلاشى بعد هزيمتهم فى كفار ديروم .

« ضرب المجاهدون حصارًا محكمًا حول المستعمرة ، وفى اليوم التالى للمعركة حاول العدو تحطيم هذا الحصار وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد ، وكانت هى الفرصة التى ينتظرها أحمد عبدالعزيز ويسيل لها لعابه فنظم لها (كمينًا) محكمًا ، وحشد مدافعه على سفوح التلال المشرفة على الطريق ، وحين دخلت فى الدائرة التى رسمها ، أمر اليوزباشى « حسن فهمى » قائد مدفعيته فانطلقت المدافع من أبعاد قريبة ، وحاول اليهود الدفاع عن أنفسهم بادىء الأمر ، ولكنهم وجدوا أنفسهم محصورين داخل حلقة فولاذية ،

---

(١٥) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، ص ٨٤، ٨٥ .

فاختاروا أهون الضررين وقذفوا أنفسهم من المصفحات وحاولوا النجاة بأرواحهم والفرار إلى مستعمرة (كفار ديروم) » .

« وكانت هذه خطوة محسوب حسابها فى الخطة ، إذ كان الأخ المجاهد « على صديق » يقود فصيلة من المشاة مختبئة بعناية وراء التلال القريبة ، فلم يكد اليهود ينزلون من المصفحات ويتحركون تجاه المستعمرة ، حتى انطلقت الرشاشات من كل صوب فحصدتهم حصدًا ولم ينج منهم أحد » .

« وحاول حماة المستعمرة نجدة إخوانهم ، وتركهم الإخوان يغادرون الأسلاك الشائكة ويبتعدون عنها ثم بدأوا يطلقون عليهم النار من « أوكار » معدة بعناية حتى سقط منهم عدد كبير ، وتراجع الباقون إلى المستعمرة ، وسكتت المدفعية ، وأطبقت الرشاشات أفواهها الملتهبة ، وأخذ المجاهدون يحصون ما غنموه ، فإذا هم أمام خمس عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين ؛ ولأول مرة تعلو وجوههم ابتسامات الفرح بعد هزيمة الأمس ، حين فتحوا إحدى المصفحات فوجدوها مليئة بالدجاج والطيور من مختلف الأنواع والأحجام » .

« وكان نصرًا رائعًا ردّ لهذه الكتيبة المجاهدة اعتبارها ، وعوض لها خسارتها ، وبعد هذه المعركة ، تغير الموقف واقتنع أحمد عبد العزيز بوجهة نظر الإخوان ، وهى أن مهاجمة المستعمرات دون أن يكون معه عدد من الدبابات الثقيلة ، إن هو إلا ضرب من الانتحار ، فأخذ يستخدم (تكتيكات) العصابات ويضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها ، ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها ، حتى أزعج اليهود إزعاجًا شديدًا وحرم عليهم التجول فى صحراء النقب وكان مقدراً لهذه الحركة أن تحرز نجاحاً رائعاً لولا ما جدّ على الموقف الحربى من أحداث وتطورات » .

الإخوان المجاهدون بقيادة محمود عبده يواصلون حرب العصابات ضد اليهود بنجاح كبير انطلاقًا من قاعدتهم فى مدينة بئر سبع[١٦] :

المثال الأول : « عندما حاول اليهود فى ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم المحصورة .. وكان الطريق الذى يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الوديان العميقة قرر الإخوان نسف هذا الجسر حين مرور القافلة فوقه ، وفعلاً قامت قوة من بئر سبع بقيادة

(١٦) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

المجاهد « على صديق » ، وبث الألغام تحت الجسر واختبأت داخل الشعاب والمنحنيات القريبة ، ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة العدو وهى جاهلة تمامًا ما ينتظرها .. فما إن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر فى الهواء وانقلبت مصفحات العدو فى الوادى السحيق . وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا يقتلون كل من تظهر رأسه تحت الردم وأسفرت المعركة عن قتل عدد من جنود الأعداء وأسر عدد آخر من المصفحات .. وأطلق الإخوان على أكبرها اسم قائدهم [محمود عبده] وكما أرهب محمود عبده « الضابط » اليهود بخططه وكمائنه فقد أرهبت **محمود عبده « المصفحة »** اليهود بعد ذلك حين كانت تشترك عمليًا فى جميع الدوريات الناجحة » .

« **والمثال الثانى جرى عند مستعمرة رامات راحيل**[١٧] ؛ ورامات راحيل مستعمرة على طريق بيت لحم – القدس .. تقع على ربوة عالية وتتحكم فى الطريق الرئيسى الذى يصل بيت لحم بالقدس . والمدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء حركاتها وسكناتها .

وقد فشل الجيش الأردنى الذى كان يقيم بمدينة بيت لحم ، فى اقتحام هذه المستعمرة ، التى بقيت دائمًا مصدر خطر على المجاهدين ، وحينما وصل المجاهدون من الإخوان المسلمين بقيادة أحمد عبدالعزيز فكروا جدّيًا فى إجهاض قوة اليهود فى هذه المستعمرة ، وعلى الفور أرسل أحمد عبدالعزيز فى ٢٤ مايو قوة من جنود الإخوان بقيادة « لبيب الترجمان » لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير واف عن تحصيناتها وقامت الدورية بعملها خير قيام ونجحت فى التسلل إلى مكان قريب من المستعمرة حيث أخذت تراقب تحصيناتها ومواقع الدفاع عنها ، وظلت فى موضعها يومًا كاملاً حتى فطن اليهود لوجودها وأخذوا يطلقون عليها النار من قمم الأبراج واشتبكت معها الدورية غير أن قائدها أمر بالانسحاب إذ كان هدفه هو الاستكشاف فحسب وليس الدخول فى معركة مباشرة ، ولما رجع إلى بيت لحم كتب تقريرًا ضمنه ما وصل إليه من معلومات عن المستعمرة ونقاط القوة والضعف فى الدفاع عنها ، وعلى أساس هذا التقرير وضعت الخطة ونجحت الخطة فى احتلال « رامات راحيل » .

---

(١٧) المرجع السابق ، ص ٩٢ – ٩٤ .

وفى مساء يوم ٢٦ مايو كان كل شىء هادئاً حول « رامات راحيل » وعندما دقّت ساعة الكنيسة دقتين بعد منتصف الليل ارتجت الأرض وتمزقت حجب الليل المظلم من وهج القنابل المحرقة التى انقضت كالشهب على المستعمرة الساكنة ولم تمض دقائق حتى شبت الحرائق فى أكشاكها الخشبية وتفجرت حقول الألغام التى لف بها العدو مستعمرته ثم سكنت المدافع وأصدر « لبيب الترجمان » أوامره لقوته فبدأت تزحف تحت غلاله الكثيفة من قنابل الهاون المتفجرة وقنابل الدخان وفى لمح البصر اندفع الفدائيون يفجرون ألغامهم تحت الأسلاك الشائكة ومن ورائهم فصائل الاقتحام تعبر مسرعة لتحتل الأغراض التى خصصت لها .

وبدأ الاشتباك الرهيب عند الخنادق والدشم واستماتت اليهود فى الدفاع عن مستعمرتهم ولم يضع الإخوان الوقت فتسلل نفر منهم إلى الأبراج العالية يفجرون تحتها الألغام ويحيلونها أنقاضًا وركامًا وأثرت هذه الانفجارات المفاجئة تأثيرًا سيئًا فى نفوس المدافعين عن المستعمرة وأسقط فى أيديهم فبدأوا يجلون عبر ممراتهم السرية إلى مستعمرة « تل أبيب » على مقربة من القدس الجديدة .

« وعكف المجاهدون على الخنادق يكملون تطهيرها وحين كان آخر يهودى يغادر المستعمرة هاربًا كان صوت المؤذن يتهاوى مع النسيم من أعلى قمة فوق أعلى برج .. الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمدًا رسول الله . سقطت المستعمرة أمام هذه الخطة وأخذ الإخوان يجوبون خلال أبنيتها وأبراجها فرأوا ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة إذ كانت هذه المستعمرة هى مركز التموين الذى يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة فى جنوبى القدس » .

وكان عدد القتلى من اليهود فى هذه المعركة كبيراً للغاية ، إذ وجد تحت الردم ما يزيد عن المائتين ، عدا ما نجح اليهود فى أخذه معهم عند انسحابهم أما خسائر الإخوان فلم تتجاوز تسعة من الشهداء والجرحى وشهيدًا واحدًا من قوة الإخوان الاردنيين .

لم يكن انسحاب اليهود من المستعمرة نهائيًا فصعدت طائراتهم فى اليوم التالى تستكشف الحالة فلم تجد إلا عددًا من المجاهدين ، وفى اليوم التالى تجمعت قوات يهودية كبيرة من القدس الجديدة وتل بيوت وأرنونة فطالب الإخوان بتعزيز القوة للدفاع عن المستعمرة لكن القيادة قلبت كفيها محتجة بعدم وجود قوات لديها . وفى يوم ٢٨ مايو أغار

اليهود بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف ، تؤيدها المدفعية والعربات المدرعة على المستعمرة . واستبسلت القوة الصغيرة من الإخوان فى الدفاع ، على أمل أن تنجدهم القيادة بالقوات اللازمة ، وطال بهم الانتظار ، ولمّا لم يصلهم أية نجدات لا من الجيش الأردنى المرابط فى بيت لحم ، ولا من الجيش المصرى العامل فى فلسطين بقيادة اللواء المواوى ، قرروا الانسحاب بعد أن دمروها تدميرًا تامًا ولم يتركوا فيها بقعة واحدة تصلح للإيواء .

سمات الجيل المؤهل لتحرير الأقصى وكل ديار الإسلام

فهم دقيق لطبيعة العدو اليهودى والمؤامرة الأوربية الصليبية ..
يقظة دائبة وعمل متواصل .. ومواجهة المتغيرات على الساحة بهمة لا تعرف الملل ..
بسالة وتضحية وفداء تذكرنا بالرعيل الأول رضوان الله عليهم

« حينما حاصر المجاهدون من مصر وسورية وفلسطين وشرق الأرق مائة ألف يهودى بالقدس[18]، استغاث اليهود بأبناء أوربا ، وتجاوبت معهم اليهودية العالمية وأوربا الصليبية ، واستصدروا قرارًا من مجلس الأمن بفرض هدنة مدتها أربع أسابيع بين اليهود والعرب اعتبارًا من ٢٩ مايو ١٩٤٨ يتوقف أثناءها القتال ، وكان الهدف من ورائها إنقاذ يهود القدس وغيرهم من هلاك محقق إن لم يتم التسليم ، مع تمكين اليهود من جلب مزيد من الأسلحة الثقيلة والذخائر .

وكان على الأنظمة العربية أن لا تقبل بهذه الهدنة ، وخاصة أن المجاهدين يمسكون بعنق العدو ، ولكن الخيانة كانت تلعب دورها ، وكما ذكر أحد المؤرخين ، وتحت تهديد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن [19] قبلت الأنظمة العربية قبول الهدنة ووقف إطلاق النار من جانبها دون قيد أو شرط ، وكان ذلك اعترافًا فعليًا من الأنظمة العربية بقيام الدولة اليهودية .

---

(١٨) وقد طلب اليهود التسليم بدون قيد أو شرط لأنه قد منع عنهم الطعام والماء الذى كان يصلهم من رأس العين .

(١٩) جهاد شعب فلسطين ، ص ٤٠٥ .

اليهود يغتنمون الهدنة ويحتلون العسلوج :

وفى أثناء هذه الهدنة التى كُبِّلت فيها أيدى المجاهدين الفلسطينيين ومجاهدى الإخوان وتحت ضغط الأنظمة العربية الحاكمة، وفى حماية قواتها المسلحة، احتل اليهود[٢٠] مواقع هامة بهجمات غادرة . وعندما احتجت الأنظمة العربية لدى مجلس الأمن، اعتذر بأن الذين يقومون بهذه الأعمال عصابات متطرفة ليس لأحد سلطان عليها ، وصدقت الأنظمة العربية هذا الزعم الباطل ، ووقفت تتفرج على الأرض المباركة ، واليهود يحتلونها قطعة قطعة ، لأنها أنظمة لها هيبتها ولا يمكن أن تجارى العصابات اليهودية الفوضوية فى أعمالها !! وضاعت الأرض وضاع الأقصى الحبيب .

وقد حاول اليهود اغتنام الهدنة ، وهاجموا قرية[٢١] العسلوج حيث كانت ترابط قوة صغيرة من جنود الإخوان يقودها اليوزباشى عبدالمنعم عبدالرؤوف . ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً أمام هذا الهجوم المباغت ؛ ومما يذكر أن ثلاثة من الإخوان هم المجاهدون (رشاد زكى ، ومحمد ماهر ، وعبدالله البتانونى) من إخوان القاهرة .. كان القائد قد وكل إليهم مهمة حراسة مخازن الذخيرة ، وكانت المخازن مليئة بالأسلحة والذخائر – إذ كانت هذه القرية هى مستودع الذخيرة الذى يُمَون المنطقة – وأفاق المجاهدون على أنفسهم فوجدوا العدو فى داخل الموقع وسمعوه يحاول احتلال المخازن فأخذوا يتدبرون موقفهم – إنها كارثة كبرى أن يضع العدو يده على هذا السلاح الكثير فى وقت يحتاج الإخوان فيه إلى طلقة الذخيرة الواحدة ؛ وقرروا نسف المخازن حين يدخلها العدو ، واختبأوا خلف كومة من الصناديق حتى امتلأ المخزن بالجنود اليهود ثم أشعلوا النار فى صناديق المفرقعات وفى لحظة استحال البناء الضخم إلى كومة من الأنقاض ، ومات الأبطال الثلاثة بعد أن جروا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة .

---

(٢٠) قال وكيل القنصل الأمريكى بالقدس : إن قرار مجلس الأمن الذى فرض الهدنة الأولى ٢٩ مايو ١٩٤٨ ، هو وحده الذى خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدى الجيوش العربية (جهاد شعب فلسطين) ص ٣٨٩، ٤٠٦ ؛ نجم جديد فى الشرق الأوسط ، كنيث بلبى ، ص ٢٥) .
وقال عبدالله التل : لقد وافق أعضاء اللجنة السياسية بالجامعة العربية على الهدنة بدون قيد أو شرط ، وهى أكبر خطيئة فى تاريخ الحروب بالشرق العربى ، حيث فك حصار القدس وأنقذ مائة يهودى كانوا على وشك التسليم (نفس المرجع ، ص ٣٨٩) .

(٢١) الإخوان المسلمون ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

وتحت سمع وبصر المنظمات الدولية احتل اليهود العسلوج ، لكن احتلوها ولم يغنموا من المجاهدين طلقة واحدة ممكن أن تسدد إلى صدر مسلم .. لأن هؤلاء (المجاهدين) تعلموا من الرسول ﷺ ألا يؤتى المسلمون من قبلهم ... فأحالوا مخازن الأسلحة إلى كومة رماد حتى لا يستفيد منها العدو وكان الثمن هو أرواحهم – ندعو الله أن يتقبلهم مع الصديقين والشهداء .

قيادة الجيش المصرى تستعين بالإخوان المسلمين لتحرير العسلوج :

واحتلت العسلوج – لكن هل يرضى المجاهدون عن ذلك .. لا لابد من عودة العسلوج وإليكم محاولات إعادة العسلوج على يد الإخوان المجاهدين كان احتلال العسلوج يعنى قطع مواصلات الجيش المصرى فى الجبهة الشرقية مما دعا القيادة العامة إلى تنظيم خطة لاسترداده . وفى اليوم التالى تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامى تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت فى الاقتراب من القرية لاستماتة العدو فى الدفاع عنها .

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشى أحمد عبدالعزيز الذى وكل الأمر لليوزباشى محمود عبده قائد الإخوان فى « صور باهر » ليتولى إرسال قوة من رجاله تسترد هذه الموقع . وقد تم استرداد العسلوج بالفعل .

يقول اللواء أحمد محمد على المواوى فى شهادة أدلى بها أمام القضاء فى إحدى قضايا الإخوان المسلمين(*) : « العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقى ، واستولى عليها اليهود فى أول يوم الهدنة ، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات ، وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد ، فكانت الخطة التى رسمتها لاسترجاع البلد هى الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبدالعزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين (الإخوان المسلمين) وكانت صغيرة بقيادة ملازم .

وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة ، ولكن القوة الصغيرة هى (الإخوان المسلمين) التى تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها » .

(*) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين .

ولما سُئِلَ عن السبب فى نجاح القوة الصغيرة (قوة الإخوان) وفشل القوة الكبيرة قال : « القوة العربية (الجيش) كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط ، المسألة مسألة روح ، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء ، ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئًا لابد من وجود الروح المعنوية » ، وهكذا تحررت (العسلوج) وكان تحريرها على يد قوة من الإخوان بقيادة ملازم هو الأخ المجاهد / يحيى عبدالحليم .

غدر يهودى أثناء الهدنة الأولى :

« ولا ينسى التاريخ يوم هاجم اليهود أحد مضارب البدو الآمنة وأضرموا فيها النيران بعد أن قتلوا كثيراً من رجالها وسبب المذبحة التى أوقعها اليهود بهم أنهم يتعاونون مع الإخوان (المجرمين) على حَدّ تعبيرهم !

ولقد اضطر الإخوان لمجابهة العدوان بمثله حتى يأمن البدو على أنفسهم ويظلوا على ولائهم لإخوانهم لذلك قرروا إيقاع مذبحة مشابهة باليهود ، وتسللت قوة من الإخوان فى جوف الليل إلى إحدى المناطق الداخلية المتوغلة فى أرض يعتبرها اليهود حرمهم الخاص ، وهناك على طريق السيارات بثوا حقلاً من الألغام وانفلتوا من إحدى الوديان المجاورة ينتظرون مقدم الصيد وجاءت قافلة كبيرة عند الفجر ، فلم تكد تمس الألغام حتى انفجرت وتطايرت أجزاء السيارات فى الفضاء وظل الإخوان فى مكمنهم حتى انجلى دخان الألغام وقام من نجا من اليهود فأخذوا يطلقون عليهم النار حتى مات من مات وفر من فر ، ثم جمعوا القتلى وكدسوهم كومة واحدة ، بعد أن أخذوا ما وجدوه من سلاح وعتاد ولم ينس الإخوان أن يتركوا منشورًا كتب فيه أن الحادث بمثابة رد لما ارتكبته العصابات الصهيونية ضد العرب الآمنين »[٢٢] .

---

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ . وفى هذه الحادثة الكثير من الدروس والعبر منها :

- الحقد العميق الذى يكنه اليهود للإخوان المسلمين ، وهذا يفسر المؤامرة العالمية التى حاكوها لضرب الحركة الإسلامية ، وقد جندوا لها المنظمات الدولية والأنظمة الأوربية والكثير من الأنظمة العربية .
- يقظة مخابرات العدو ، التى أدركت حسن العلاقة والتعاون بين مجاهدى الإخوان وبين بدو سيناء .
- الغدر اليهودى الجبان ، والذى نبهنا الله سبحانه وتعالى وحذرنا منهم وأمرنا : ﴿ وقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ .

مجلس الأمن مطية لتحقيق مخططات اليهود :
الإنجليز ينجحون فى استصدار قرار جديد من مجلس الأمن بفرض الهدنة الثانية فى (١٨ يوليه ١٩٤٨) لإنقاذ يهود وتمكينهم من تحقيق مخططهم

وفرضت الهدنة الثانية واستطاع اليهود أن يجلبوا أنواعًا جديدة من الأسلحة الثقيلة والطائرات الضخمة ، وحين آنسوا فى أنفسهم شيئًا من القوة والإعداد ضربوا بالهدنة عرض الحائط .. وهاجموا مناطق واحتلوها وقاموا بعمليات عسكرية واسعة النطاق .. بل وأجبروا الجيش المصرى على الانسحاب والتخلى عن [المجدل] [واسدود] والتجمع فى [رفح – غزة] تاركًا ورائه خمسة آلاف جندى محاصرين فى الفالوجا بقيادة سيد طه ، بناء على تعليمات من قيادة الجيش المصرى .

وبسبب هذه الأوامر المرتجلة غير المدروسة تعرض قرابة خمسة آلاف جندى فى الفالوجا للإفناء والأسر ، وضاعت بئر سبع .

– وتجمع اليهود فى مستعمرات النقب ، ثم انهار القطاع الجنوبى [عسلوج – العوجا] ثم اقتحم اليهود حدود مصر الشرقية وزحفوا حتى مشارف مدينة العريش وأصبح لليهود السيطرة الفعلية على أجزاء النقب الشمالية .

– وجد الإخوان المسلمون أنفسهم أمام حقيقة واقعة هى عبء المحافظة على جيش مصر وحمايته من أى عدوان يحركه اليهود من هذه المنطقة ولا يستطيع أحد أن يتكهن بفداحة الكارثة التى كانت وشيكة الوقوع لولا وجود هذه الفئة المؤمنة المجاهدة فى ذلك الحين .

– بالرغم من كل هذه الأخطاء التى ارتكبها الجيش فإن الإخوان المجاهدين لم يناقشوا أحدًا الحساب .. وإنما كان كل همهم هو إنقاذ الجيش .

خطة الإخوان لإنقاذ الجيش والاحتفاظ بما بقى من فلسطين تمهيدا لمعركة التحرير :

– وقدم الإخوان المجاهدون مشروعًا يبين خطورة الموقف وطالبوا بإعطائهم العتاد اللازم والترخيص لهم بإحضار قوات أخرى من مصر حتى يمكنهم تنفيذ المشروع الذى يقضى باحتلال مواقع « حاكمة » حول كل مستعمرة من المستعمرات الكبيرة ومحاصرتها وعدم إعطائها أية فرصة للتكتل اليهودى حتى يفرغ الجيش من تنظيم صفوفه .

وافقت القيادة العامة فى غزة على المشروع ووعد اللواء المواوى بالكتابة إلى الجامعة العربية وإلى رئاسة أركان الحرب يطالبهم بتجنيد كتيبة من الإخوان وإرسالهم فوراً إلى الميدان ليتمكن من السيطرة على الموقف .

وسافر الأستاذ محمد فرغلى رئيس الإخوان فى فلسطين إلى مصر لتجهيز تلك الكتيبة .

أما الإخوان الموجودون فى ساحة القتال فقد رحبوا بمسئولية إنقاذ الجيش وكرامته بالرغم من خطورة الموقف وفداحته بل بدءوا على الفور عملية استكشاف حول المستعمرات وعاينوا المواقع التى رأوا احتلالها . وأقيمت المواقع الجديدة حول المستعمرات ولم تكن سيارة يهودية تجرؤ على التنقل بين مستعمرة وأخرى إذ قام الإخوان بعمل كائن على الطريق وملأوا الأرض بالألغام وأخذت دورياتهم المصفحة تجوب الصحراء الواسعة وتصل فى طوافها حتى مدينة بئر سبع نفسها .

وخلال أسبوع واحد من بدء العمل دمر الإخوان للعدو خمسة عشرة مصفحة ودبابة ، عدا أنابيب المياه التى تدمر كل يوم .

ضج اليهود بالشكوى وأبلغوا مراقبى الهدنة احتجاجاتهم أكثر من مرة ، وهددت إذاعة إسرائيل باستئناف القتال ضد الجيش إن لم تكف عصابات الإخوان عن نشاطها فى هذه المنطقة .

استفاد الإخوان فى هذه العمليات الناجحة من البدو وخاصة عشائر [الترابين] و [الحناجرة] و [النصيرات] و [التياها] و [المعالقة] الذين وضعوا كل شبابهم تحت تصرف الإخوان وكل ما لديهم من سلاح وذخيرة وسيارات .

وفى ظل هذه العمليات تم انسحاب الجيش واستقراره فى المواقع الجديدة التى اختارها .

أما الإخوان المسلمون الذين كانوا خارج فلسطين عندما بلغهم خطورة الموقف العسكرى فى فلسطين فقد اتصل وكيل الإخوان « محمود لبيب » بشعب الإخوان فى القطر وأمرهم بالاستعداد لإرسال متطوعين جدد إلى فلسطين .

معركة التبَّة ٨٦ مثال للتلاحم بين الإخوان المسلمين ورجال القوات المسلحة :

« انتهز العدو اليهودى حالة التمزق الداخلى التى تعيشها بلاد العالم العربى عمومًا ومصر على وجه الخصوص وقاموا بهجمات عنيفة على المواقع المصرية دون مراعاة أو احترام للهدنة المزعومة ... ونجحوا فى احتلال مرتفـع حاكـم جنوبى دير البلح يعرف باسم التبة ٨٦ وكان احتلالهم لهذا الموقع يعنى عزل حامية غزة وتكرار مأساة الفالوجا مرة أخرى » .

« تحدث الأميرالاى محمود رأفت إلى كامل الشريف المسئول عن الإخوان فى ساعة متأخرة من ليل ٢٣ ديسمبر مبينًا له خطورة الموقف فى « دير البلح » وكيف أن العدو قد انتزع منهم المرتفع وطلب منه أن يستعد الإخوان ليكونوا آخر ورقة يقذف بها وجه العدو » .

« وسرعان ما شرح كامل الشريف الموقف للإخوان وتسارعت الفصائل كل يريد أن يكون له شرف العمل ضد العدو .. وتم اختيار ثلاث فصائل هلل أفرادها وكبروا وهتفوا من أعماق قلوبهم [هبّى ريح الجنة هبّى] وتحركت السيارة بالفصائل الثلاثة إلى أرض المعركة »(٢٣) .

وكان جنود الجيش يحاولون طرد العدو واستعادة الموقع .. لكن ارتفاع الموقع وسيطرة أسلحة العدو على الأرض المحيطة كانا يمنعان الجنود من الاقتراب وسقط كثيرون .. والعدو الماكر يربض خلف خنادقه يصوب نيرانه على لحوم بشرية متراصة وبدا جليا للعيان أن لا أمل مطلقًا فى كسب المعركة إلا فى حضور عدد من الدبابات فأرسلوا فى طلبها ودفعت إلى المعركة فتعطلت منها اثنتان على سفح التل ولم يستطع أحد الاقتراب من مواقع العدو وطلب قائد الموقع الأميرالاى محمود رأفت إحضار الإخوان على عجل وما إن سمع الجنود والضباط اسم الإخوان حتى سرت فى نفوسهم روح جديدة من الأمل والثقة .. ووصل الإخوان إلى ميدان المعركة وقسموا أنفسهم ثلاث مجموعات .. اثنتان منها هاجمت الموقع من الأمام ومن جهة الشمال .. ودارت الثالثة حول المرتفع وهاجمت مؤخرته ومنعت تدفق الإمدادات عليه .. وشغلت المدافعين عن القوتين الأخريتين، وتقدمت الدبابات متجمعة أمام قوة من الإخوان تحت ستار منّ نيران المدفعية والأسلحة الرشاشة وتحت غلاله

---

(٢٣) الإخوان المسلمون ، ص١٤٤ - ١٤٦

من قنابل الدخان . وبدأت المعركة وانطلق الإخوان إلى أهدافهم وقد علت وجوههم إشراقة الإيمان القوى وهم ينشدون :

هو الحق يحشد أجنـــاده ويعتـد للموقـــف الفــاصل
فصفــوا الكتـــائب آساده ودكـوا به دولـة الباطـل

وتقدم شباب الإخوان فى ثبات وقوة لملاقاة أعدائه».

لقد آمن الضباط والجنود أن هناك نتيجتين لا ثالث لهما : إما أن ينتصر هؤلاء الشباب أو يموتوا جميعًا لأن الانسحاب والتراجع لا يدخل فى برنامجهم إطلاقًا وخاصة فى مثل هذا الموقف الحرج الخطير .

وظلت مدافع الإخوان تقذف الموقع بقنابل الدخان فترة طويلة حتى أحالت القمة إلى سحابة قاتمة لا ترى خلالها غير ألسنة اللهب الناتج عن انفجارات القنابل .

« وسكنت المدافع وانساب المجاهدون إلى أهدافهم وبدأت معركة الخنادق وروع اليهود حين رأوا الإخوان يلقون بأنفسهم فوقهم فى الخنادق والدشم ويقاتلونهم بالحراب والأيدى ورغم كثرة الضحايا من الإخوان فإن القوة تمكنت من احتلال خنادق العدو .. وأخذت تطهرها جزءًا جزءًا ولم يجد اليهود بدًا من إخلاء الموقع ، فصمتت مدفعيتهم وأسلحتهم وشوهدت مصفحاتهم تتحرك للخلف حاملة الجرحى والهلكى ، وكان هذا حافزًا للجنود الأخرين ملهباً لحماسهم فأخذوا يتكاثرون فى الموقع ويتمون تطهيره حتى جاءت أخيراً [قاذفات اللهب] تطارد فلول العدو المنهزمة وانتهت المعركة بنصر حاسم وكانت إحدى المعارك الكبرى التى تكبد فيها العدو خسائر فادحة دون أن يحصل على نتيجة تذكر ووجد ضمن القتلى عدد من كبار الضباط الإسرائيليين وبينهم قائد المعركة وهو « كولونيل » روسى يحتل مركزًا هامًا فى الجيش الإسرائيلى ووجدت فى جيبه تفاصيل الخطة التى اتبعت فى دير البلح والخطط المقبلة التى كان يراد منها إلقاء الجيش المصرى فى أعماق البحر ، واحتل الجنود الموقع بعد فرار اليهود ، أما جنود الإخوان فقد انسحبوا فى سكوت وهدوء بعد أن غنموا كميات وفيرة من الأسلحة الألمانية والروسية وأكداسًا من القنابل والذخائر وكان الضباط يعانقونهم عند خروجهم ويهنئونهم بهذا النصر الحاسم ويشيدون بجهودهم وفضلهم » .

ولقد سقط من الإخوان فى هذه المعركة وحدها عدد كبير من الجرحى والشهداء وكان أول الشهداء قائد الفصيلة المرحوم « السيد محمد منصور » من إخوان الشرقية . ومما يروى عن هذا الرجل أنه حين أصيب بالضربة القاتلة التف حوله نفر من إخوانه وشغلوا به عن الهجوم فنهرهم بشدة وحينما حملوه إلى الخطوط الخلفية أفاق من غيبوبته وسألهم عن سير المعركة فأجابوه بما طمأن نفسه فابتسم وغمغم ، الحمد لله ولم يقف لسانه عن الدعاء لحظة : اللهم انصر دعوتنا وحقق غايتنا حتى لفظ أنفاسه الطاهرة ونحسبه قد مضى إلى جنة ربه الواسعة ليحمل البشرى إلى سكانها « إن شجرة الإسلام الخالدة قد بدأت تورق من جديد » .

أما [حسن العزازى] من إخوان العريش فقد أصيب بجرح فى كتفه وكان فى وسعه أن يعود ولكنه ظل يكافح بصعوبة حتى احتمى بنتوء بارز فى مواجهة العدو وأخذ يلهب خنادقه برصاص مدفعه الرشاش حتى أسقط منهم عدد كبير مما اضطرهم إلى تركيز نيرانهم عليه ، فأصابته عدة طلقات فى مواضع مختلفة من جسمه فسكت مدفعه وصعدت روحه إلى بارئها .. نرجو الله أن يكتبه مع الشهداء .

تعليـــق :

هذه مواقف عملية تميط اللثام عن معدن هؤلاء الرجال الذين كانوا يهتفون : « الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

شعار كان وما يزال يردده رجال الإخوان والمجاهدون فى كل زمان ومكان ، وجاء اليوم الذى يطبقون فيه هذا الشعار تطبيقًا عمليًا .

فقوات الجيش المصرى مسئولة عن دير البلح والدفاع عن « التبة ٨٦ » ولكن اليهود استطاعوا انتزاعها منه وربضوا فى خنادق يحصدون كل من يتقدم من جنود الجيش لاستعادة هذا الموقع .

وبدا جليًا للعيان أنه لا أمل مطلقًا فى استعادة الموقع وكسب المعركة ، وطلب الأميرالاى محمود رأفت أحد ضباط الجيش المصرى الاستعانة بالإخوان المجاهدين فى المعركة ، وحينما وصل الخبر إلى الإخوان سعدوا بالتكليف ، كما ارتفعت الروح المعنوية لجنود وضباط الجيش .

وانطلق الإخوان المسلمون يهاجمون الموقع الذى تمركز فيه اليهود ، وقد علت وجوههم إشراقة الإيمان ، مضوا يقتحمون العقبات ويتقدمون ورصاص العدو يتناثر حولهم .. إنهم يهجمون على الموت هجومًا ، لماذا ؟ لأنهم بايعوا الله على الجهاد وتحقيق النصر أو الشهادة .:. لقد صدقوا الله فصدقهم الله ، وتحقق النصر وقد استشهد عدد منهم ، لقد تمكن الإخوان من استعادة دير البلح وتطهيرها من العدو بعد تكبيده خسائر فادحة وبعد أن غنموا من العدو كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر .

● أحداث عام ١٩٤٨ تكشف عن دور انجلترا وفرنسا وأمريكا فى تحريك الأنظمة العربية لتحقيق المخططات الاستعمارية ، وضرب هيئة الإخوان المسلمين .

أعداء الأمة يخشون تجاوب الأمة مع دعوة الإخوان المسلمين لإحياء فريضة الجهاد ، ولهذا قرروا تصفيتها .

إن الأوامر التى صدرت من الأنظمة الحاكمة إلى الجيوش لدخول فلسطين ، إنما كانت لتخدير مشاعر الجماهير التى كانت تطالب بتحرير فلسطين .

النظام المصرى عَبْرَ حكومة النقراشى يحاول تحجيم دور المجاهدين من الإخوان المسلمين ولتحقيق ذلك طلبت القيادة العامة للجيش قيام تنسيق وتعاون بينها وبين المتطوعين ، يتحول بعد ذلك إلى محاولة احتواء وسيطرة من قيادة الجيش على متطوعى الإخوان .

الإخوان لم يجدوا غضاضة فى أن يكونوا صفًا واحدًا مع جيش مصر ، وأن تكون لهم قيادة واحدة ، وأن يكون هناك تنسيق لضمان نجاح العمليات العسكرية ضد العدو ، ولكنهم رفضوا فكرة الاندماج الكلّى فى الجيش لأسباب عديدة :

فالجيش المصرى فى عهد الاحتلال الإنجليزى قد حرم فى تربيته من البناء العقدى الذى تربى عليه الإخوان المسلمون والذى يقوم على إفراد الله وحده بالعبادة وإعداد القوة المانعة امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وتحرير الولاء الكامل له سبحانه بمعنى التلقى عنه وحده فى أمور الجهاد ، تحرير الولاء للرسول ﷺ بمعنى متابعته فى أفعاله والائتمار بأوامره والانتهاء عمّا نهى عنه ، تحرير الولاء لدين الإسلام بمعنى التلقى عنه

فيما يتصل بمنهاج الجهاد والتربية الجهادية ، تحرير الولاء للمسلمين بمعنى نصرتهم ودعمهم والوقوف إلى جانبهم ، وأيضًا تقوم على العداء لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دينه وأعداء المؤمنين ، وهم اليهود ومن عاونهم من الإنجليز ، وغيرهم من الحكام العملاء الذين اتخذوا مطية لتحقيق مخططات الأعداء .. حُرم الجيش من تبنى المنهج الإسلامى فى العسكرية الإسلامية فى التدريب ، فى السلوكيات والأخلاقيات ، بل وفى العلاقات الاجتماعية ، ففى صفوف الجيش تجد التفاوت فى التدريب ، فى الواجبات .. فى الحقوق ، فى الراتب .. فى المسكن .. فى المأكل .. فى الملبس .. بل وفى المهمات الملقاة على عاتق كل من الأفراد والقادة ، الجند والضباط ، هذا الجيش نجح الاستعمار فى غرس بذور الحقد والكراهية بين أفراده ، بل إن الجيش قد اقتحم صفوفه غالباً ، الراغبون فى الرزق ، لأنه أفضل وأميز وأضمن مكان لتحقيق رزق ، وتحصيل الكثير من الامتيازات التى ليست لغيرهم من أفراد الأمة ، قبل الخدمة وبعدها .

وعلى الجانب المقابل فإن الصف الإخوانى المجاهد ، كان يقبل أفراده على التطوع طلبًا للشهادة فى سبيل الله ، وليس طلبًا لدنيا أو لمغنم .

كان الصف الإخوانى يتميز بالإخوة ، بالفهم والإخلاص والسمع والطاعة ولو كان عليهم عبد حبشى ، صف لا تفاوت فيه بين الأفراد إلا بالتقوى ، لا تفاوت فيه بين الأفراد من ناحية المأكل أو الملبس أو المسكن ، صف يمكن أن يكون نجارٌ أو فلاحٌ قائدًا على أفراد يحملون أعلى الدرجات العالية ويسمعون له ويطيعون ، بشرط أن يكون متميزًا بالدين والعلم والشجاعة والخبرة التى تؤهله لمهمته . صف الإخوان المجاهدين كان يقوم على سلامة الصدر والإيثار والنصرة والتضحية . صف يتقدم القائد الصفوف ، فيكون هو أقرب إلى العدو من بقية أفراد الصف هذه هى الأسباب التى منعت أفراد الإخوان من قبول الذوبان فى صفوف الجيش المصرى العامل .

ورغم هذا فقد كان الإخوان المجاهدون حريصين على التعاون الوثيق والتنسيق بينهم وبين قوات الجيش المصرى فى فلسطين ، وتنفيذ أية مهمة تسندها إليهم قيادة الجيش . مثال ذلك عندما احتل اليهود بئر سبع وأصبح لهم السيطرة على النقب وأصبح وضع الجيش المصرى فى القطاع الشرقى لفلسطين حرجًا مما دفع اللواء المواوى إلى وضع خطة تهدف إلى

اختراق الحصار المضروب حول حامية الفالوجا وإنقاذها بالقوة ، وكان من المفترض أن يقوم الإخوان المسلمون بأهم أجزائها ، ورحب الإخوان بهذه المهمة مهما كانت التكاليف .

ولكى يتحقق التنفيذ ونجاح هذه الخطة ، أرسل اللواء المواوى رسالة إلى الجامعة العربية وإلى رئاسة أركان حرب الجيش يطالب فيها بتجنيد كتيبة من الإخوان المسلمين عن طريق المركز العام والشعب وإرسالهم فورًا إلى الميدان ، لمحاولة السيطرة على الموقف ، وقد كلف اللواء المواوى الشيخ محمد فرغلى رئيس المتطوعين من الإخوان المسلمين بالسفر للقاهرة لاستعجال تجهيز وتعبئة شباب الإخوان المسلمين المتطوعين .

وعلى الفور قام الرائد محمود لبيب بالاتصال بشعب وفروع الإخوان المسلمين فى جميع أنحاء مصر وطلب تجهيز أكبر عدد ممكن من المتطوعين .

وما إن تناهى النبأ إلى مسامع رئيس وزراء مصر محمود فهمى النقراشى حتى هاج وماج ورفض قبول الفكرة من أساسها[٢٤] .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد صدرت الأوامر بسحب اللواء المواوى من ميدان القتال وإحلال آخر محله ؟!

تعليـــق :

ما هى الأسباب التى دفعت رئيس وزراء مصر إلى مثل هذا الإجراء !!

إن السبب تكشف عنه الوثيقة التى تثبت أن الدول الكبرى «أمريكا[٢٥] وانجلترا وفرنسا» قد قرروا الخلاص من جماعة الإخوان المسلمين وسحب تشكيلاتها العسكرية من فلسطين وإيداعها المعتقلات ، حتى يخلو الجو أمام اليهود لتحقيق أهدافهم، لأن قيام تعاون

---

(٢٤) الإخوان المسلمون ، ص ١٢٥، ١٣٢ ؛ لعبة الأمم وعبدالناصر ، ص ٣٦، ٣٧ .

(٢٥) نص الوثيقة الموضوع : اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا فى فايد (١٠ فبراير ١٩٤٨) .
رقيد القيد : (١٨٤٣ /أى /٤٨) .
التاريخ : ١٩٨٤/١١/١٣ .
إلى رئيس المخابرات رقم (١٣) .
فيما يختص بالاجتماع الذى فى فايد فى (١٠) الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا ، أخطركم أنه ستتخذ الاجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة ، لحل جمعية الإخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاؤها .

عسكري بين قوات المجاهدين وقوات الجيش يمكن أن يقلب مخططاتهم رأسًا على عقب ، ونفذت الخطة ، وصدرت الأوامر بسحب اللواء المواوى من فلسطين وتعيين اللواء أركان حرب فؤاد صادق بدلاً منه فى ١١ نوفمبر ١٩٤٨ ؛ وصدر قرار النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين وتم اعتقال عدد كبير منهم على مستوى مصر ، وكان من بينهم الشيخ محمد فرغلى الذى سبق وأرسله اللواء المواوى لاستعجال حضور شباب الإخوان المسلمين إلى فلسطين .

وأصدر رئيس وزراء مصر أوامر مشددة إلى اللواء فؤاد صادق بسحب قوات الإخوان من مواقعهم (كانوا يحتلون المناطق المحيطة بالمستعمرات اليهودية) ، وأن يجردهم من سلاحهم ، وأن يعتقلهم ويرسلهم كأسرى حرب إلى المعتقلات فى مصر ، ولكن اللواء فؤاد صادق رفض بشدة اعتقالهم واكتفى بسحبهم من مواقعهم وأبقاهم فى معسكر بمنطقة رفح المصرية مع أسلحتهم . ويبدو أن رئاسة الحكومة كانت مصرة على تنفيذ أوامرها بالكامل ، إذ أن الإخوان المسلمين قد فوجئوا بحصار قد ضرب حول معسكرهم من قوات الجيش والبوليس الحربى بقيادة اللواء البردينى ، ليبلغهم قرار الحل ويطلب منهم تسليم الأسلحة ومعدات الحرب .

وكان الرد من الرجال الذين باعوا أنفسهم لله ، كان ردّ الحكماء .. ان مسألة حل جماعة الإخوان المسملين أمر وارد ؛ ولكن دعوة الإخوان غير قابلة للحل ، لأنها دعوة الله وستجد حتمًا من يعمل لها من المسلمين ؛.. وأمّا خشية الجيش من قيام حركة انتقامية فى الميدان ، فتلك خشية لا موضع لها على الاطلاق ، لأن إيمان الإخوان بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام يمنعهم من التفكير فى مثل هذه الأعمال ، وأن هؤلاء الشباب الذين باعوا أنفسهم لله لن يختموا جهادهم بضرب وجوه المؤمنين من إخوانهم ضباطًا وجنودًا للجيش المصرى .

« وجاء اللواء صادق إلى الموقع ، وكان الاتفاق أن يظل الإخوان فى فلسطين يقاتلون جنبًا إلى جنب مع الجيش المصرى حتى تضع الحرب أوزارها » .

شهادة اليهود للإخوان المسلمين :

اليهود يخافون من مهاجمة صور باهر التى يتواجد بها الإخوان المسلمون .

ضابط يهودى يقرر : « نحن نقاتل لتأسيس وطـن ، أما الإخوان فإنهم يقاتلون ليموتوا » .

« ان الهجوم على امثال هؤلاء مخاطرة كبيرة » .

وذكر صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر ، حوارًا جرى بين قائد يهودى وأحد الضباط المصريين الذين وقعوا فى الأسر اليهودى ، حينما سأل الضابط الضابط اليهودى عن أسباب عدم هجوم اليهود على قرية صور باهر القريبة من القدس ، فكانت الإجابة « اننا لم نهاجم صور باهر لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين المتعصبين (أى الإخوان المسلمين) فتساءل الضابط المصرى عما فى ذلك ، حيث أن اليهود قد هاجموا مواقع أخرى فيها قوات عسكرية أكثر وفى ظروف أصعب ؟!

فأجاب القائد اليهودى : إن ما تقوله صحيح . لكننا وجدنا أن هؤلاء المتطوعين من المسلمين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين يختلفون تماما . فالقتال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم بل هو هواية يندفعون إليها بحماس وشغف جنونى ... وهم فى ذلك يشبهون جنودنا الذين يقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية إسرائيل !! ثم استدرك القائد اليهودى قائلا : ولكن هناك فارقا عظيما بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين المسلمين فإن جنودنا يقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه . أما الجنود المتطوعين من المسلمين فهم يقاتلون ليموتوا ... فإنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون ويتدفقون إليه كأنهم الشياطين ... ولذلك فالهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش ونحن لا نحب مثل هذه المغامرة المخيفة . ثم إن الهجوم عليهم قد يثير علينا المناطق الأخرى فيعملون مثل عملهم فيفسدون علينا كل شيء ويتحقق لهم ما يريدونه .

ولكن الضابط المصرى عاد يسأل القائد اليهودى قائلا : ولكن قل لى رأيك الصريح فيما أصاب هؤلاء حتى أحبوا الموت وتحولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول ؟!

فأجاب القائد اليهودى على الفور : إنه الدين الإسلامى يا سيدى .. ثم تلعثم وحاول تشويه هذه الحقيقة فاستدرك قائلا : إن هؤلاء لم تسنح لهم الفرصة كما أتيحت لك لكى

يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على حقائق الحياة وتحررهم من المذلة وشعوذات المتاجرين بالدين .. إنهم لا يزالون ضحايا تعساء حيث وعدهم الإسلام بالجنة التى تنتظرهم بعد الموت ...

ثم تابع حديثه بقوله : إن هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة العقد فى طريق السلام الذى يجب أن نتعاون عليه وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لإقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم .

ثم حاول القائد الإسرائيلى أن يوعز للضابط المصرى بخطورة الإخوان المسلمين على أى نظام وطنى فقال له : تصور يا سيدى أن خطر هؤلاء ليس قاصراً علينا وحدنا بل هو خطر عليكم أنتم أيضا إذ أن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد المقدس والاستشهاد فى سبيل الله .. هذا المنطق الذى يخالف رقى القرن العشرين ، قرن العلم وهيئة الأمم المتحدة والرأى العام العالمى وحقوق الإنسان .

ثم علق صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر على هذا الحوار بقوله :

« ولا شك أن الحوار السابق يشير إلى بعض النقاط الهامة منها :

تواجد الإخوان المسلمين على ساحة النضال الوطنى عقبة كبيرة أمام السلام بين مصر وإسرائيل ولابد من إزالتهم من هذه الساحة . وهذا يفسر لنا فى فصول لاحقة كيف تخلصت الثورة من الإخوان المسلمين لنفس الأسباب السالفة الذكر »[٢٦] .

---

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

هذه هى الوطنية فى التصور الإسلامى يا دعاة الوطنية ؟
الإخوان المسلمون يتلقون ضربات النظام المصرى العميل وهم صابرون حريصون على عدم الاحتكاك بإخوانهم جنود وضباط الجيش المصرى .

« الشيخ حسن البنا يوجه رسالة لمجاهدى الإخوان فى فلسطين : لا شأن للمتطوعين بالحوادث التى تجرى فى مصر مادام فى فلسطين يهودى واحد يقاتل فإن مهمتهم لم تنته » .

كان المرشد العام الشيخ حسن البنا عليه رحمة الله ورضوانه يُعِد قوة ضخمة للدفاع عن القدس حيث كان اليهود يشنون هجمات عنيفة على مراكز الجيش الأردنى بها .. مما خشى معه أن يستولى اليهود على المدينة المقدسة ، وكان يُجهز قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين ، ويعلن الجهاد الدينى ، والتعبئة الشعبية[٢٧] بعد أن فشلت الحكومات وجامعتها فى التصدى للعدوان اليهودى على فلسطين ، وكان فضيلته يرى من وراء ذلك إثارة الشعور الدينى فى العالم الإسلامى ودفع الشعوب والحكومات الإسلامية لعمل شىء ما على أن الحركة العسكرية التى أرادها المرشد العام لم يقدر لها النجاح إذ وقف رئيس وزراء مصر خجر عثرة فى سبيلها ، تحقيقًا لرغبات الإنجليز واليهود .

ولقد سمع ضباط الجيش وجنوده بأنباء هذه الحركات الشعبية[٢٨] التى أرادها المرشد العام وارتاحوا لها ، وعلقوا عليها الآمال الكبار .

---

(٢٧) ووجهة نظر المرشد صائبة ، وواقع الجهاد الأفغانى الشعبى الإسلامى الصامد منذ أكثر من عشر سنوات شاهد على ذلك ، فقد تكسرت على صخرته هجمات الشيوعيين الروس التى تدعمها الصليبية العالمية ، بل ان الدولة الروسية الشيوعية ، قد تحطمت وحدتها ، وانهار اقتصادها تحت ضربات المجاهدين الأفغان ، والشاهد الثانى الانتفاضة الفلسطينية بقيادة حماس التى تقلق مضجع لا نقول اليهود على أرض فلسطين فحسب ، ولكنها – مع الجهاد الأفغانى ، تقلق مضجع الدول الأوربية اليهودية الصليبية ، بل وتقلق مضجع الأنظمة الحاكمة العميلة لأعداء الأمة المسلمة .

(٢٨) إن البطولات التى صنعها الإخوان على أرض فلسطين كانت هى مبعث الارتياح وسبب تلك الآمال الكبار وكان الجند والضباط يعلمون أن النصر لابد قادم على أيدى تلك الفئة المؤمنة التى دعوا الله أن ينصرها لأنها تقاتل فى سبيله عدو الله وعدوهم .. كان هذا يقين السبب بالنسبة للضباط والجنود .. وارجعوا إلى شهادات أحمد عبدالعزيز والمواوى وفؤاد صادق (الإخوان ص ١٢٩) .
ودار الزمن دورته ولُقِّن ضباط مصر وجنودها كراهية الإخوان خاصة وكل ما هو إسلامى عامة وأصبح عدد غير قليل من جنود مصر يهتمون بالراتب والسيارة وغير ذلك من متع الدنيا مع أنه متاع قليل وزائل .

لكن أعداء الإسلام من الدول الاستعمارية أحبطوا هذا العمل العظيم عن طريق تكليف عميلهم الذى كان يجلس على سدة الحكم فى مصر ، بحلِّ هيئة الإخوان المسلمين .

ولم يكن يدور فى خاطر أحد أن هذا الوقت العصيب هو الوقت الذى حدده النقراشي ليركب رأسه ويرتكب فيه أبشع حماقة عرفها تاريخ مصر ، ضد الحركة الإسلامية فى مصر ، وضد حركة الجهاد على أرض فلسطين ، وبالرغم من بشاعة الموقف نجد أن القائد الشجاع الحكيم فى قراراته الشيخ حسن البنا يرسل إلى المجاهدين على أرض فلسطين رسالة يقول فيها : [لا شأن للمتطوعين بالحوادث التى تجرى فى مصر ومادام فى فلسطين يهودى واحد يُقاتل فإن مهمتهم لم تنته] .

ثم يختتم الرسالة بوصية طويلة للإخوان بالتزام الهدوء وحفظ العلاقات الطيبة مع إخوانهم وزملائهم من ضباط الجيش وجنوده . وألا يستدرجوا لأية مواجهة مع إخوانهم من جنود وضباط الجيش المصرى ؛ لأن المستفيد من مثل هذا هم اليهود وأوربا الصليبية .

ورأى الإنجليز أن مصر كلها تقف صفاً واحدًا لمواجهة الخطر اليهودى وأن هيآتها المختلفة لم تتفق على شيء بقدر ما اتفقت على محاربة اليهود والتصدى لعدوانهم وأن هيئة الإخوان هى التى تتزعم الحرب ضد اليهود فى البلدان العربية وفلسطين وخشوا أن يتجاوب العالم الإسلامى مع صيحة الجهاد التى حمل لواءها الإخوان المسلمون وبذلك تتحول الحرب فى فلسطين إلى حركة جهادية عامة ضد الدول الاستعمارية على امتداد رقعة الوطن الإسلامى لا سيطرة فيها لقرارات الأمم المتحدة ولا لمجلس أمنها المنكود .

كل هذه الأسباب جعلت بريطانيا وزميلتيها الاستعماريتين فرنسا وأمريكا تضغطان على حكومة النقراشي وتأمره بحل الإخوان المسلمين والتضييق عليهم وسحب تشكيلهم العسكرى من فلسطين ، فإن قاوم الإخوان وتحولت الفتنة إلى حرب أهلية فهى الفرصة الذهبية لبريطانيا واليهود وإن سكت الإخوان واحتسبوا فقد نجحوا فى إخراجهم من ميدان المعارك فى فلسطين ليخلو الجو لليهود وأيضًا قد نجحوا فى احداث شرخ فى صف الأمة بين القاعدة والقيادة .

وعندما فكر بعض رجال الإخوان مقاومة تلك الحكومة العميلة ، حذرهم المرشد من هذا وبين لهم أن الإنجليز هم السبب ، وأنهم هم الذين أوحوا إلى النقراشي بحل الإخوان والتضييق عليهم على أمل أن يقاوموا ويتحول الصدام بين أبناء الأمة الواحدة إلى مذابح .

فيغتنم الإنجليز الفرصة للتدخل المباشر فى شؤون البلاد ، ثم وضح لهم الدور فى القصة المشهورة التى تروى عن سليمان الحكيم حين اختصمت إليه امرأتان على طفل وليد وادعت كل واحدة منهما بنوته ، فحكم بشطره نصفين بينهما فوافقت المرأة المدعية على قسمته ، بينما عز ذلك على الأم الحقيقية وآلمها قتل فلذة كبدها فتنازلت عن نصيبها فيه نظير أن يظل متمتعًا بحياته وقال الإمام : « إننا نمثل نفس الدور مع هؤلاء الحكام ، نحن أحرص منهم على مستقبل هذا الوطن وحرمته ، فتحملوا المحنة ومصائبها ، وأسلموا أكتافكم للسعديين ليقتلوا فيكم كيف شاؤوا واحرصوا على مستقبل وطنكم وابقوا على وحدته واستقلاله »[٢٩] .

وصدع الإخوان بالأمر وتحملوا المحنة بصبر وجلد ومضى السعديون فى خطتهم يقتلون ويشردون الإخوان المجاهدين وأسرهم ويصادرون أموالهم وأملاكهم ، لحساب الإنجليز واليهود ، وهكذا استطاع اليهود عن طريق الإنجليز والنظام الحاكم العميل فى مصر إخراج الإخوان المسلمين من ميدان المعركة فى فلسطين ، لينفردوا بأهلها يقتلون ويشردون ، وليغتصبوا ما تبقى من أرض فلسطين .

هل شاهدتم نموذجًا مثل هذا النموذج فى عالمنا المعاصر ؟! وإن كان فأين هو ؟

هل عرفتم الآن حقيقة الإخوان الشرفاء ؟ أنهم ما كونوا النظام الخاص من أجل الدنيا ؟ ما تربوا على الجهاد من أجل الكرسى الذى تدمرون كل شيء من أجله ؟ ولو أرادوا لفعلوا .. وإنما كونوه لحماية المقدسات وحماية الأعراض التى ما انتهكت إلا فى غيبة القوة الجهادية لهيئة الإخوان .

---

(٢٩) الإخوان المسلمون ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
إنه القائد الذى على يديه يتم النصر .. إنه القائد الربانى الذى يحدد الهدف ويعمل من أجله .. ولا يستطيع الأعداء زحزحته عن هذا الهدف مهما تآمروا .. ففكره الواعى أحبط مؤامراتهم .. إن المؤامرة على هولها لم تشغله عن الهدف الذى من أجله يعمل فنصح المجاهدين بالعمل على قتال عدو الله وعدوهم على أرض فلسطين ..

السفير الانجليزي يأمر .. والنقراشي يطيع .. والاخوان تحل !

قلنا للناس ـ في كل مكان ـ ان النقراشي باشا كان اضعف من ان يفكر من تلقاء نفسه في حل جماعة كبيرة فتية قوية كهيئة الاخوان المسلمين ، وقلنا ان الانجليز هم الذين اوحوا اليه هذا الاتجاه ، وبدلا من ان يرفض النقراشي اى تدخل اجنبى فى شئون مصر الداخلية سارع الى مرضاة سادته ، حرصا على البقاء .
البقاء فى الحكم .. !

قلنا الناس : ان للانجليز مع الاخوان تاريخا طويلا سافرا بمحاولات مستر هيورث دان والبريجادير كلايتون . وأن الانجليز لما يئسوا من وقوع الاخوان فى شباكهم التى نسجوا خيوطها من المال والنساء انقلبوا يبطشون بهم بأيدى مطاياهم وصنائعهم من الستوزرين .

***

واليوم نقدم للناس الدليل المادى القاطع على صدق ما قلنا لهم :

ففى يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ اجتمع ـ فى فايد ـ سفراء بريطانيا وامريكا وفرنسا ، واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدم السفير البريطانى الى الحكومة المصرية « وزارة النقراشى باشا » بطلب حل الاخوان المسلمين ،

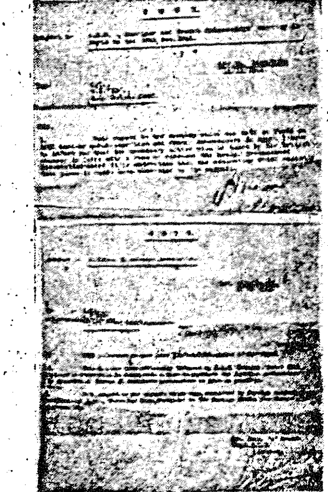
وفى يوم ١٣ نوفمبر ارسل الماجور ج. و. اوبرايان ـ السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البرية البريطانية فى الشرق الاوسط ـ ومقره فى فايد ارسل خطابا الى ادارة المخابرات التابعة للقيادة العامة للقوات البريطانية فى مصر وشرقى حوض البحر الابيض المتوسط ، يخطره فيه بما دار فى اجتماع السفراء ، والنتيجة التى انتهى اليها .. وهذه هى الترجمة الحرفية له :

الموضوع : اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وامريكا وفرنسا فى فايد فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ .
رقم القيد : ١٨٤٣ / اى / / ٤٨
التاريخ : ١٣ / ١١ / ١٩٤٨
الى رئيس ادارة المخابرات رقم (١٣)
فيما يختص بالاجتماع الذى عقد فى فايد فى ١٠ الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وامريكا وفرنسا .. اخطركم انه ستتخذ الاجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الاخوان المسلمين التى فهم ان حوادث الانفجارات الاخيرة فى القاهرة قام بها اعضاؤها ..

امضاء
ج . و . اوبرايان ماجور

وفى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ارسل رئيس ادارة المخابرات (١) فى قيادة القوات البرية البريطانية فى الشرق الاوسط الكولونيل ا. م. مالك دوموت الى ادارة المخابرات (ج. س.) ٢ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر ، كتابا هذه ترجمته الحرفية :

الموضوع : الاخوان المسلمون .
رقم القيد : ١٦٧٠ / ا ن ت /٤٨
الى ادارة ج . س . ٢
التاريخ : ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨
القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر
١ ـ الحاقا بمذكرتكم رقم ٣٢٤ / ا ن ت / ب / / ٤٨ المؤرخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٨
٢ ـ لقد اخطرت هذه القيادة رسميا من سفارة صاحب الجلالة البريطانية فى القاهرة ان خطوات دبلوماسية ستتخذ لاقناع السلطات المصرية بحل جمعية الاخوان المسلمين فى اقرب وقت مستطاع .



٣ ـ فيما يختص بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الاجانب المقيمين فى مصر ، فقد ارسلت الى وزارة الخارجية للعلم .

رئيس ادارة حرف (١)
قيادة القوات البرية البريطانية فى الشرق الاوسط
امضاء
كولونيل ا . م . مالك دوموت

السفراء يجتمعون فى فايد على اثر المذكرة التى تقدم بها بعض الاجانب الى السفارة البريطانية ، وينتهى الاجتماع بتكليف السفير الانجليزى بالتدخل لدى حكومة النقراشى باشا لحل الاخوان المسلمين ، فيذعن النقراشى ويصدر امر الحل ، وتطبل صحافة ذلك العهد ولا تستحى من أن تصف النقراشى بالشجاعة والاقدام والوطنية ، وهو الرجل الذى صدع بامر السفير البريطانى ونفذ مشيئة بريطانيا التى ابحث فى تنفيذها منذ سنة ١٩٤٠ ، وهكذا تنقلب الاوضاع ويدفن الحق فى سابع ارض حتى لا يراه الشعب .. !!

١٠ نوفمبر يجتمع السفراء فى فايد

١٣ نوفمبر يقول اوبرايان :

« انه ستتخذ الاجراءات اللازمة بوساطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الاخوان المسلمين » .

٢٠ نوفمبر يقول مالك دوموت :

« ان القيادة اخطرت رسميا من السفارة بان خطوات دبلوماسية ستتخذ لاقناع السلطات المصرية بحل جمعية الاخوان المسلمين فى اقرب وقت مستطاع .. » .

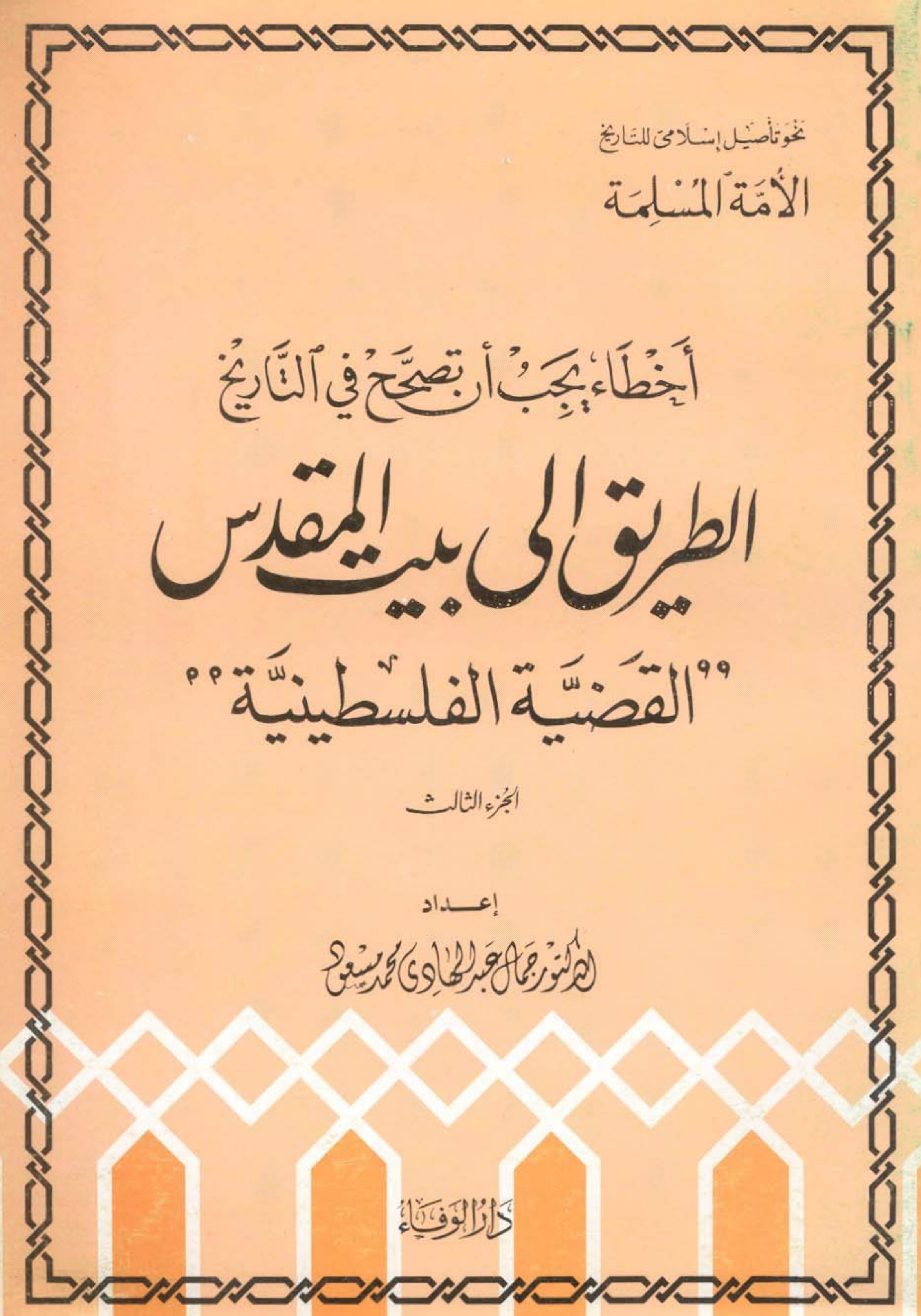
٤ ديسمبر تصدر جريدة الاساس « مانشت » على ثمانية اعمدة بحل جمعية الاخوان المسلمين .

٨ ديسمبر تعلن محطة الاذاعة المصرية فى نشرتها الاخبارية الاخيرة الامر العسكرى بحل الاخوان ومصادرة املاكهم واموالهم وشركاتهم ومعاهدهم ومستشفياتهم ومصانعهم !

هذا التسلسل التاريخى المدعم بالوثائق يفتح عين الاعمى على موضع الخيانة . ويقرع اذن الاصم ليسمع صوت الجريمة ويطلق لسان الابكم ليصف ـ بما يشاء ـ هذه السقطة الوطنية الكبرى . وكم من الخيانات والجرائم والسقطات ترتكب فى هذا البلد ، ولا يعرف الشعب عن مرتكبيها الا صفات الوطنية والنزاهة والبطولة التى تضفيها الصحف المضللة ..

لقد اكتوى الاخوان بنار النـ[illegible] والمجرمين . واطفئت النيران به[illegible] الوقود الذى يملئ اللهب ، و[illegible] الا [illegible] المجرمين . وبقى الاخوان النظام الذى [illegible] « وقلنا يا نار كونى [illegible] على ابراهيم » [illegible] نريد الحرية . [illegible]ساواة .. ونريد [illegible]د السلام .

عن مجلة الدعوة ، العدد الأول ، ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣٧٠ هـ = ٣٠ / ١ / ١٩٥١م


نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
الأمة المسلمة
أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ
الطريق الى بيت المقدس
"القضية الفلسطينية"
الجزء الثالث
إعداد
الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
دار الوفاء

الطريق الى بيت المقدس

"القضية الفلسطينية"

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

الطريق الى بيت المقدس

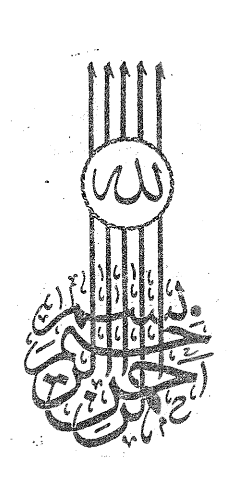
"القضية الفلسطينية"

الجزء الثالث

إعداد

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين :

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ (آيات ٤ — ٧ سورة الإسراء) .

﴿ وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الأخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ (آية ١٠٤ سورة الإسراء) .

« ستقوم إسرائيل وستظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام كما ابطل ما قبلها »
(حسن البنا)

« إن العالم الإسلامى يحترق ، وعلى كل منا أن يصب ولو قليلا من الماء ليطفىء ما يستطيع أن يطفىء دون أن ينتظر غيره » (أمجد الزهاوى) .

الفصـــل السابع

فصول من العدوان اليهودى الأمريكى على العالم العربى والإسلامى لم تنته بعد

سقوط فلسطين المسجد الأقصى فى يد اليهود عام ١٩٤٨
فتح الطريق أمام الغارة الأمريكية اليهودية على مصر وبقية بلاد العالم العربى والإسلامى
اليهود وأمريكا بدعم من أوربا وروسيا يواصلون تنفيذ مؤامرتهم بمعاونة أشخاص ينتسبون إلى الأمة العربية
الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٧٩

الهدف من إعداد هذا الفصل والذى يليه :

- محاولة تشخيص الداء الذى كاد يفتك بالأمة ، تمهيدا لبيان الدواء .
- إن المسئولين عن النكبة التى نزلت بالأمة ، ومكنت العدو اليهودى من التوسع على حساب أرض العالم العربى ، هم الانقلابيون الذين يتسمون باسم الثوار أو الضباط الأحرار .
- إن الأمة تتحمل المسئولية الكبرى ، حينما سلمت زمامها إلى هؤلاء .
- إن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم إلا بقيام دولة الخلافة الإسلامية ، ووحدة العمل الإسلامى ، وبناء إنسان العقيدة ، وإحياء فريضة الجهاد .

تمهيد ...

لقد اغتصب اليهود فلسطين المسجد الأقصى وهى جزء من أرض الإسلام ولم ولن يقنعوا لأنهم يريدون إقامة دولة يهودية تمتد حدودها من النيل إلى الفرات كخطوة نحو دولة يهودية عالمية[1] تمسك بزمام البشرية كلها .

ولكن .. كان وما يزال دون ذلك عقبات ، حاول ويحاول العدو اليهودى بمعاونة أوروبا وأمريكا إزالتها ، مستخدما وسائل عديدة .

هذه العقبات ...

(أ) رفض شعوب العالم الإسلامى التسليم للعدو باغتصاب فلسطين ، وقد تجلى ذلك الرفض فى تصميمها على إحياء فريضة الجهاد لتحريرها وإنهاء العدوان اليهودى الأوروبى الواقع عليها .

(ب) حركات البعث الإسلامى وخاصة جماعة الإخوان المسلمين ، الذين نازلوا العدو اليهودى على أرض فلسطين ، وعجز اليهود عن تحقيق أية انتصارات فى مواجهتهم .

(جـ) الانتفاضة الفلسطينية على أرض فلسطين التى لا تزال تقف وحدها فى مواجهة مخطط التهويد .

وكانت الوسائل ...

أولا :

الغزو الفكرى لتدمير بنية الأمة الإسلامية العقدية ، والسلوكية وحرمانها من استعادة هويتها الإسلامية ، وحرمانها من أى عمل يؤدى إلى إحياء الخلافه الإسلامية ، وتوحيد العالم الإسلامى فى مواجهة أعدائها وحرمانها من أى عمل يؤدى إلى الحياة فى ظل تطبيق شريعة الإسلام كنظام سياسى واقتصادى واجتماعى وتعليمى وثقافى وجهادى .

واقترن ذلك بتزوير التاريخ ، وتجهيل الأمة بالتاريخ الحقيقى لفلسطين ، لخدمة مخطط اليهود .

واقترن تنفيذ ذلك ، بتوجيه الأمة ، عبر قيادة اختيرت وأعدت وجهزت بإتقان ، لتتبنى نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية وتعليمية تتعارض وعقيدة الأمة الإسلامية ، كالماركسية والاشتراكية والديمقراطية .. وغيرها .

واقترن ذلك بتكبيل الأمة بالأغلال ، وإبقائها على حالة من التخلف والجهل ، أدى بها إلى أن تعيش عصرا من القهر والاستبداد السياسى الذى لم تعرف له مثيلا من قبل إلا فى ظل الاحتلال الرومى « سبعمائة عام تقريبا » والشيوعى .

---

(١) إن طموحات اليهود ليست من الفرات إلى النيل بل إلى أسبانيا (الأندلس) يبدو ذلك من كلمة شامير فى مؤتمر مدريد حينما ذكر الحضور بكلمة الشاعر اليهودى يهوداهاليفى « إن قلبى فى الشرق بينما أنا فى أقصى الغرب » قضايا دولية ، العدد (٩٧) السنة الثانية الاثنين ٥ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ .

واقترن ذلك بضرب الحركة الإسلامية المتنامية وخاصة الحركة الأم « الإخوان المسلمين » التى تشكل العقبة الكؤود فى وجه تحقيق المخطط اليهودى الأوروبى ، وكذلك ضرب البنية الاقتصادية[1] ، والبنية العسكرية والبشرية للأمة ، لإجهاض قوتها ،فتستسلم لمخططات الأعداء .

واقترن كذلك بفتح الطريق أمام اليهود للتغلغل داخل الوطن الإسلامى ، متسترين بستار الجنسيات الأوروبية والأمريكية ، عبر المراكز الثقافية ، وعبر العلاقات الاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية وعبر السفارات والقنصليات وعبر الرحلات السياحية ، وكذلك إشاعة الفاحشة داخل المجتمعات لإفساد شباب وفتيات الأمة .

ثانيـا :

وهنا قد يثور سؤال .. لماذا لم تلجأ أوروبا وأمريكا واليهود إلى أسلوب الحسم العسكرى ، مع العالم الإسلامى ، لاستكمال بقية المخطط ؟ بدلا من هذه الأساليب التى ذكرناها ، وتحتاج إلى وقت طويل ... ؟ والإجابة أن أوروبا قد درست التاريخ ، وتعلمت عبر معاركها مع العالم الإسلامى ، أن إعلان الحرب السافرة على العالم الإسلامى ، يستثير حمية الجهاد فى قلوب المسلمين ، ويدفعهم إلى نسيان خلافاتهم وتوحيد صفوفهم فى مواجهة عدوهم ، فضلا عن أن هذه الحرب السافرة ، سوف تنهى التواجد اليهودى والاوروبى والأمريكى فى العالم الإسلامى بضرب مصالحه ومؤسساته ، وغلق أسواقه فى وجه إنتاجه العسكرى والمدنى ، وبالتالى غلق مصانع الانتاج ، كما أنه سيؤدى أيضا إلى حظر بترولى يؤدى إلى إصابة الحياة اليهودية والأوروبية والأمريكية بالشلل ؛ وكذلك حرمان بيوتات المال الغربية من مدخرات دول العالم الإسلامى ، التى يمكن أن يؤدى سحبها إلى انهيار اقتصادى .

لهذه الأسباب وغيرها آثرت أمريكا واليهود أن تلجأ إلى الأساليب التى قدمنا جانبا منها ، مقترنة كما قلنا بمعارك تعتمد على عنصر المفاجأة ، والمباغته لتحقيق مخططاتها خطوة خطوة للوصول بالأمة المسلمة إلى الاستسلام الكامل فى مواجهة عدوها .

والسؤال الذى بات يطرح نفسه الآن .. كيف تمكن اليهود ومن يعاونهم من أبناء أوروبا وأمريكا من تحقيق أهدافهم ؟ .. وأين كانت شعوب العالم العربى ؟ وهل هذا النجاح الذى حققوه يرجع إلى قوة فيهم أم إلى ضعف فى الأمة التى تنتسب إلى الإسلام ؟؟؟

وإجابة هذا السؤال يحسمه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم** ﴾ (آية ١٦٥ سورة آل عمران) .

المبحث الأول

المتآمرون يرصدون حركة الشعوب العربية والإسلامية ويقررون تبنِّ أسلوب الانقلابات العسكرية فى العالم العربى

تقارير (١) مخابرات ودبلوماسيى المتآمرين تؤكد : « إن مصر حبلى بثورة ضد المصالح الغربية ... ثورة شاملة .. ثورة حقيقية .. ولابد من إجراء ما يحول دون هذه الثورة » .

« إن الوفد والإخوان وحدهما يمتلكان تنظيمات قوية ... » .

« الطلبة المعبئون بالكراهية والسخط على استعداد لاتباع أى ناعق مضلل يعدهم بالخلاص »(٢)

« وخشى الغرب الانتظار حتى تقع الاحداث ، فيفلت زمام البلاد من أيديهم ... ومن هنا كان قرار الأمريكان الإطاحة بالقيادات العاجزة(٣) والإتيان بقيادة لا تتعفف عن التعامل مع الأمريكان ، ولا تتردد فى ضرب وسحق القوى الوطنية المعارضة وترويض الأمة للاستسلام أمام المخطط اليهودى باسم السلام وكان الأسلوب الذى أتقن الأمريكيون استخدامه « الانقلاب » المزعوم الذى يركب موجة ثورية موجودة فعلا لتصفية الثورة الحقيقية ، يتبنى شعارات الجماهير ليستأصل المنادين المخلصين بها ، ويسبّ أمريكا كلما سنحت مناسبة ، بينما يُصفّى كل الاتجاهات والتشكيلات والمؤسسات التى تشكل خطرًا حقيقيًا على المصالح الأمريكية والاستراتيجية الأمريكية »(*) .

« وهذا النموذج الثورى ، لابد أن يحكم مستندًا إلى قوة قمع لها شعبية وبالتالى فهو يحتاج إلى تقديم وجبة يومية للجماهير ، ليست مادية فحسب وهو ما تتكفل به المعونات الاقتصادية ، وهذه المساعدات تبرر للجماهير على أنها الجزية تدفعها أمريكا عن يد وهى صاغرة « خوفا من غضب الزعيم » وإنَّما يحتاج أيضا إلى وجبة روحية معنوية ، إلى استمرار تغذية الالتهاب الثورى الديماجوجى للجماهير ، واستمرار اقتناع الجماهير بأنه المكافح الثورى الوحيد ضد الأعداء، حتى يقطع الطريق على ظهور قائد حقيقى ، أو متعاون آخر منافس ، وتنحصر الوكالة فيه .. ولأن من

---

(١) ثورة يوليو الأمريكية صفحة ١١٤ .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٢) نفس المرجع ، صفحة ١١٥ .

(٣) مثال نظام الملك فاروق فى مصر ، ونظام شكرى القوتلى فى سورية .

شروط قيامه واستمراره تجنب مقاتلة العدو الحقيقى ، فلابد أن تركب أو يصنع هو طواحين الهواء التى ينتصر عليها باستمرار وسط تهليل الجماهير ، ويتساءل السذج المخلصون ، لماذا يبعثر الجهد فى المعارك الجانبية ؟ لماذا لا تركز الجهود على العدو الواضح المعروف ؟ ولا يدرون أن هذا هو عين المطلوب »(*) .

« ونظرة إلى تاريخ النظم الثورية فى العالم العربى تجدها جميعها قد اتفقت على حقيقة واحدة إن الطريق إلى القدس لا يمكن أن يكون عند ثوار مايلز كوبلاند(1) عبر حدود إسرائيل -أى الصدام المباشر مع إسرائيل - هم باستمرار يحضرون للمعركة ولا يسمحون لاسرائيل بجرهم إليها!!! »

فالشعار(2) لا يتغير ، .. وهو إزالة إسرائيل ، ولكن الدليل الماكر المتآمر يطوف بالجماهير فى مجاهل الصحراء حتى يموتوا جوعا وعطشا ومللا ويأسا وجنونا ، فيندفعون لأول « كامب » .

« المهم أن الزعيم بحاجة إلى البقاء على أكتاف الجماهير ، ومن ثم لابد أن يستمر فى الصراخ ضد العدو ، وهذا يدخل علاقته مع العدو - الصديق فى دوامة ، سرعان ما تفقد الأطراف اللاعبة السيطرة عليها .. وعندها يتحتم التخلص منه « أى الزعيم » .

(*) « لما كانت الأنظمة العربية فى مصر وسورية وشرق الأردن والعراق ولبنان قد استهلكت فى تحقيق الجزء الأول من المخطط اليهودى الأوروبى - وانتبهت شعوب العالم الإسلامى إلى الدور الخائن والعميل الذى مارسته هذه الأنظمة ومكّن العدو اليهودى من اغتصاب فلسطين ، فقد شعرت أوربا وأمريكا واليهود ، عبر أجهزة مخابراتها (CIA) الأمريكية والجواسيس اليهود أن هنالك مظاهر انفجار ثورة شعبية تهدف إلى التخلص من الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى والاتيان إلى سُدَّة الحكم بقيادات ترفض العدوان الواقع على فلسطين ، وتعمل على إنهائه ، وإنهاء الهيمنة الأوروبية والأمريكية على العالم العربى والإسلامى ، ولهذا فإن أمريكا واليهود خططوا لسرقة هذه الثورة وتوجيهها بهدف خدمة مخططاتهم وأطماعهم فى العالم العربى ، وكان يتعذر تحقيق ذلك الهدف بدون زعامات تنتسب إلى العالم العربى .

« وكان أمام المتآمرين ، تجربة لم تنس ، وهى تمزيق العالم الإسلامى ووقوعه فريسة فى يد الاحتلال الأجنبى بمعاونة الشريف حسين وكمال أتاتورك وأعوانهم .

(1) مسئول المخابرات الأمريكية المحلى فى مصر وصاحب كتاب لعبة الأمم الذى ترجمه إلى العربية مروان خير .

(2) مثلما حدث فى نكبة يونية ١٩٦٧ ، حينما كان يقول زعيم مصر لا صوت يعلو فوق صوت المعركة يد تبنى ويد تمسك بالسلاح ويطلب من الأمة شد الأحزمة على البطون والتبرع لدعم قواتها المسلحة ، واستمرت الأمة تضحى وتنتظر معركة التحرير .. وهلك الزعيم وديار الأمة محتلة بقوات اليهود ، وازدادت المحنة فى عهد الزعيم اللاحق . وبمضى الوقت ضاق الناس ذرعًا ، فسلموا للعدو اليهودى بأنه صاحب الأرض المغتصبة . وهكذا ضاعت مقدسات الأمة .

فالزعيم على المسرح ليحصل على المساعدات ، وهو ينفق لكي يبقى على المسرح حتى يصل إلى نقطة ترى الدول الكبرى المعنية أن نفقاته أكبر من عائده .. فتعطيه « علقة » كما قال الرئيس جونسون للسفراء العرب وهو يخاطب « كلبه »[1] بعد هزيمة ١٩٦٧ .

« وعرض محمد جلال كشك[2] لقصة مايز كوبلاند « مدير العمليات السرية » وإخوانه من رجالات المخابرات الأمريكية ، وهم يبحثون عن بلد ينفذون فيه انقلابهم وكيف انهم وقعوا على سوريا فى عهد رئيسها القوتلى ، وكان انقلاب حسنى الزعيم فى ٣٠ مارس ١٩٤٩ أى أن أول انقلاب عسكرى فى العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية كان من تدبير وإعداد وتنفيذ المخابرات الأمريكية ، أو مجموعة العمل الأمريكية فى دمشق » .

وكانت أهم نقطة عند رجال المخابرات فى عقد استخدام زعيم الانقلاب هى وعده باتخاذ موقف إيجابى من وجهة النظر الأمريكية - فى الصراع العربى الإسرائيلى ، بمعنى ضمان تهدئة أكثر الجبهات خطورة مع إسرائيل بحكم قربها وتحكمها فى الأماكن الآهلة من إسرائيل (قبل وقوع الجولان فى يد اليهود) وأيضا السعى نحو تعايش سلمى مع إسرائيل فى أقرب وقت - بينما الحقيقة - أن إسرائيل كانت غير جادة فى مسألة الصلح لأن لها أهدافا فى صميم الأرض السورية (الجولان) ، وعقد صلح وقيام سلام عام ١٩٤٩ يعطل تحقيق هذه الأهداف .

« ولم يصمد الزعيم طويلا ، إذ أن الجيش السورى قد أصدر أمرًا بإعدامه فى ١٤ أغسطس ١٩٤٩ فيكون قد قضى فى السلطة مائة وخمسة أيام ، أنجز فيها للامريكان اتفاقية التابلاين وقبول توطين اللاجئين الفلسطينيين ، الأمل فى فرض تسوية سلمية إذا ما توفر حاكم مطيع مثله ، شرط أن يكون فى بلد أقوى تأثيرا وأن يستمر فى الحكم فترة أطول ، وتعلم فيه الأمريكيون فى قلب النظم العربية « وقرروا اختيار مصر لتطبيق مسلسل الانقلابات العسكرية » .

« واستفاد الأمريكان من تجربة سورية » كما يقول صاحب كتاب « ثورة يوليو الأمريكية » :

---

(١) حينما وقعت نكبة ٥ يونيو ١٩٦٧ بالعالم العربى ، ونجح اليهود بمعاونة أمريكا وروسيا فى اغتصاب الجولان والقدس والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء ، أصيب سفراء العرب فى أمريكا بالغم . فدعاهم الرئيس الأمريكى جونسون ، إلى البيت الأبيض فظنوا خيرًا ، فإذا به يدخل عليهم ومعه كلبه ويجلس وقدميه فى وجه السفراء العرب والتفت إلى الكلب - لا إلى ضيوفه السفراء - يحدثه بصوت تمثيلى جمهورى يقص عليه ما ملخصه : كان هناك بضعة أشرار (يقصد العرب المجاورة للأرض المحتلة) يهددون جارًا لهم (يقصد اليهود المغتصبين لفلسطين) . فقام هذا الجار ولطم كبير الأشرار لطمة قوية (يقصد عدوان يونيو ١٩٦٧) أفقدته الوعى .. فهل يستحق هؤلاء الأشرار بعد ذلك أى عطف أم نصفق للجار الضعيف الذى أدبهم وأسكتهم عند حدهم ، ثم قام وانصرف (المختار الإسلامى ، العدد ١٠٦ ١٢-١٥ ربيع الثانى ١٤١٢ هـ، ص ٣٥) .

(٢) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٢١٤ ، ٢١٥-٢٢١، وأيضا ١٩٧، ١٩٨ .

١ - المشكلة ليست تغيير الحكومة بل فى ضمان استمرار هذا التغيير إلى نهاية الطريق أى أصبح المطلوب سلطة قادرة على الاستمرار .

٢ - الوضع الأمثل هو الارتباط بتنظيم انقلابى موجود(١) فعلا، له تشكيلاته وله عناصره المخلصة وله قوة دفعه ، وتصميمه على الاستيلاء على السلطة لأن الصفقة مع قائد جيش بمفرده « حسنى الزعيم » انتهت بمقتله وحيدا .

٣ - عدم التسرع فى فرض التسوية للقضية الفلسطينية .. فقد عرفت الأجهزة الأمريكية حقيقتين :

الأولى : هى أن حكومتها غير راغبة وغير قادرة على الضغط على إسرائيل .

الثانية : هى أن إسرائيل لا تريد تسوية سليمة ، ... ومن ثم فلا داعى لحرق القيادة الصالحة بالاصرار على دفعها فى طريق الاستسلام لإسرائيل أو الصلح مع إسرائيل ، يكفى منع الحرب مع إسرائيل وإزالة القضية الفلسطينية من برنامج العمل .. إلى برنامج الشعارات .. ومع التبريد وحديث عن السلام ينفتح الطريق للتسوية » (ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٢٢٣،٢٢٤).

هذا ، والكلام لازال لصاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية :

« للأسباب التى ذكرناها - تخلى الأمريكيون عن محاولة فرض الصلح العربى الإسرائيلى وهذا يعنى استمرار القضية ، ولذا قرروا استثمار ذلك ، فلكى تستمر زعامة القائد الذى سيمنع المعركة مع إسرائيل ، لابأس ، بل من الضرورى أن يتحدث ليل نهار عن المعركة .. ويسحق أية معارضة تحت شعار « **لا صوت يعلو على صوت المعركة** » وبهذا يتجنب المعركة ويبقى شعبه صابرا متحملا فى سبيل المعركة .. وحسابات الأمريكان لم تخطىء مطلقا فخلال المدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ « حكم عبد الناصر » لم تتطور الأمور أبدا على نحو يخرجها من أيديهم ، فلم تقم مصر بأى هجوم على إسرائيل وإنما كانت الحروب كلها من ناحية إسرائيل »(*) .

---

(١) ونشطت المخابرات الأمريكية فى العالم العربى فى الفترة من ١٩٥١ - ١٩٥٢ بحثا عن لاعب حقيقى « أى قائد » للمنطقة ، ولهذا الغرض شكلت لجنة بقيادة كيرميت روزفلت رئيس مكتب المخابرات الأمريكية فى مصر ، وبناء على التقرير استقر الرأى على تجربة الانقلاب فى مصر .. وكانت مهمة روزفلت البحث عن الزعيم المنشود (ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٢٢٤) .

وبدأت الاتصالات بين رجال شبكة المخابرات الأمريكية فى مصر ومنهم جيفرسون كافرى الذى كان سفيرًا لأمريكا فى مصر ، وبين جمال عبد الناصر وأعوانه . ووقع الانقلاب العسكرى ، فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكانت شعارات الانقلاب : محاربة الفساد وبناء حكومة أكثر كفاءة ، إصلاح الأحزاب السياسية ؛ ولا شىء عن اليهود ، وسارت الخطة كما أرادها رجال المخابرات وكان الهدف كما يقول كوبلاند - والكلام لمحمد جلال كشك - « أن يصبح لنا فى السلطة فى واحدة من أهم الدول العربية ، القائد الذى تتوافر له السلطة الكافية لفرض قرار غير محبوب مثل توقيع السلام مع إسرائيل .. لذا فإن أول خطوة فى برنامجنا وبرنامج ناصر هى فرض سلطته هذه ولو بالقوة وقد اقترن ذلك بإعطاء الفرصة للأمريكان » (ثورة يوليو الأمريكية ص ٢٢٣،٢٢٤،٢٣٣،٢٣٧) .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٢٢٤ .

المبحث الثانى

متى وكيف تعرف اليهود والأمريكان على قادة انقلاب يوليو ١٩٥٢ فى مصر وخاصة عبد الناصر

والصفات والمؤهلات التى رشحت عبد الناصر وبعض قادة الانقلاب لمهمتهم :

- **عداء للدعوة الإسلامية ورجالها المجاهدين وخاصة الإخوان المسلمين ، ورغبة فى سحقها تحقيقا لرغبة اليهود والأمريكان .**
- **التسليم بوجود اليهود واحتلالهم لأرض فلسطين ، وعدم معاداتهم ، وحرص على تحقيق السلام معهم ، وتعهد على عدم مهاجمتهم ، وترويض الأمة على القبول بدولة يهودية تقوم على أرض فلسطين .**
- **تحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم العربى .**
- **كل ذلك فى سبيل تحقيق زعامة الزعيم وبقائه دوما على أكتاف الجماهير .**

(أ) بداية نشأة جمال عبد الناصر وعلاقته باليهود :

ذكر بعض المتتبعين لتاريخ جمال عبد الناصر : « بأنه تربى وهو ابن ثمان سنوات فى حى اليهود بالقاهرة حتى وصل إلى رتبة ملازم أول بالجيش المصرى وفى ضوء هذه الفترة حاولوا تفسير علاقته بايجال آلون ، وإيجال يادين أثناء حرب ١٩٤٨ فى فلسطين من خلال هذه المعلومة » .

« وحينما كان الصاغ جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة فى بلدة عراق المنشية قطاع الفالوجا ، كان يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجا ، وأنه كان يتلقى هدايا البرتقال والشيكولاته من إيجال يادين الذى كان رئيسا لأركان حرب جنوب فلسطين ، وقد اعترف بذلك إيجال يادين حينما كان نائبا لرئيس وزراء اليهود على مائدة المفاوضات أثناء زيارة الرئيس السادات القدس عام ١٩٧٧ » .

ويواصل صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر[(١)] حديثه :

« وأثناء احتدام المعارك فى حرب ١٩٤٨ وقبل الاتفاق على الهدنة ، تمت لقاءات أولية بين إيجال آلون وضابط إسرائيلى آخر هو بروحام كوهين وبين الصاغ جمال عبد الناصر الذى كان حينذاك

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر ، صفحة ٤٤-٤٨ تحت عنوان فى الفالوجا .. أول خيط فى سلسلة السلام مع إسرائيل ؟! ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٦٠١-٦٤١ .

ضابطا للعمليات فى الكتيبة السادسة التابعة لسلاح المشاة المصرى والتى كانت محاصرة فى الفالوجا وكان عبد الناصر يتزعم فى ذلك الوقت حركة الضباط الأحرار السرية ، وكان آلون قائدا للجبهة الجنوبية ، وتعددت لقاءات بروحام كوهين بجمال عبد الناصر حتى وصلت خمسة عشر لقاءا ، وكان اللقاء الخامس عشر حينما جاء عبد الناصر إلى منطقة الفالوجا لتحديد موقع جثث القتلى اليهود فى معارك ١٩٤٨ ، وكان يرافقه فى هذه المهمة حسن صبرى الخولى الذى عينه فيما بعد ممثلا شخصيا له ، وكان هذا اللقاء يجرى تحت مظلة جماعة « الكويكرز الأمريكية » ويردف الكاتب .. إن الطريقة التى عرضت بها مبادرة السلام المصرية فى القدس يرجع الفضل فيها لاتصالات جمال عبد الناصر عام ١٩٤٩ هذه ، والتى قد أجراها تحت ظل الأعمال الإنسانية والبحث عن جثث القتلى اليهود فى حرب ١٩٤٨[1] ، أى أن البعض يرجع مبادرة السلام للسادات لخط سياسى فى حياة عبد الناصر ، قد بدأه وسعى فيه للسلام مع إسرائيل عام ١٩٤٩ » .

(ب) بعض صفات قائد الانقلاب المصرى :

قائد انقلاب يوليو لا يهتم بالإسلام ويستهين بالله ولا يؤمن بالآخرة ويطارد الدعوة الإسلامية ورجالاتها .

ذكر كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر حوارًا جرى بين عبد الناصر وحسن التهامى يكشف عن شخصية قائد انقلاب يوليو ١٩٥٢ فى مصر :

لقد طلب حسن التهامى من عبد الناصر .. « لعلنا نفعل شيئا للإسلام والمسلمين .. » **فقال (عبد الناصر) بالنص : « إسلام لا .. لكن المسلمين الفقراء نعم » . ومرة أخرى هاجم عبد الناصر الله سبحانه وتعالى بقوله لحسن التهامى .. أنت عامل نفسك زى اللى بتقوللى عليه معرفش إيه من لا ينسى .. يقول التهامى : فلم أصدق ما سمعت ، وقلت : أستغفر الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. أنت تقصد الحق جل جلاله ، جل من لا يسهو » .. فأعاد قوله : « أنا عارف بتاعكم اللى بتقولوا عليه معرفش إيه من لا يسهو ، ومن لا يخطىء ، وأنت عامل نفسك زيه » . فقلت – الكلام للتهامى – : أستغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، جل جلال الله ، جل من لا يسهو . لا حول ولا قوة إلا بالله ، جل جلال الله ، جل من لا يسهو . لا حول ولا قوة إلا بالله وقلت فى نفسى ولا تكاد عيناى تطيقان النظر إليه أو تراه : « ياالله أهذا الذى يحكم مصر ، أهذا الذى وليته علينا ..؟ أهذا الذى كنا نأمل فيه خيرًا »[2].**

---

(١) نفس المرجع صفحة ٤٦،٤٧ وقد ذكر كتاب ثورة يوليو الأمريكية ، صفحة ٢٣ ، أن المخابرات اليهودية كان لها وجود فى بعض المراكز الحساسة فى النظام الناصرى ، بديل بعض ما حدث سنة ١٩٦٧ ، وذكر الكتاب أيضا .. « أن القرارات الناصرية كانت تصب فى قناة واحدة هى مصلحة إسرائيل » .

(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٣٧١،٣٧٢ .

وثمة أمر أخر يلقى ضوءًا على هذا الموضوع يتضح من .. التساؤل الذى طرحه مؤلف كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر :

لماذا رفع أنور السادات ، عقب توليه السلطة ، شعار العلم والإيمان فهل كان ذلك الشعار يعكس فلسفة جديدة أو تصحيح لشعارات أو فلسفة عهد سبق ومضى ؟ .. وهل يعنى هذا الشعار أنه لم تكن هناك مبادىء إيمان تظل الدولة (على عهد جمال عبد الناصر) فى حكمها وسياستها ؟ ؟ » .

وذكر المؤلف أيضا أنه قد « اطّلع على جميع خطب عبد الناصر حيث لم يبدأها باسم الله كما كان يبدأها السادات » وذكر الكتاب : « من الذى كان يكتب خطب عبد الناصر ؟ إنَّه محمد حسنين هيكل والذى كان قد ذكر فى كتابه الطريق إلى رمضان والذى نشر باللغة الإنجليزية .. ففى هذه الطبعة ان عبد الناصر لا يؤمن باليوم الآخر » .. وماذا عن هيكل نفسه ؟ .. وقد ذكر فيه أنور السادات إنَّه إنسان مادى وملحد وهو لا ينكر ذلك ويعتقد أن هذه ثقافة .. فماذا يعنى قول السادات هذا فى الرجل الذى كتب جميع خطب عبد الناصر ؟؟

ومعرفة هذا الأخير به الوثيقة بكاتب خطبه وميثاقه وفلسفة الثورة بل إذا تصفحنا الميثاق الذى أصدره عبد الناصر للشعب المصرى عام ١٩٦٢ وبحثنا موضوع الإسلام فيه .. فلا نجده إلا فى موضع واحد فقط على سبيل السرد التاريخى « حيث أنه كان سدا منيعا لغزوات التتار والصليبيين فى الماضى عندما توحدت جهود مصر وسوريا فى ظله » .. بل وثمة تساؤل أخر .. « وهو لماذا لم ينص فى أى دستور أصدره عبد الناصر لمصر على أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » .

ثم يختم الكاتب بحثه لابد من تخصيص دراسة شاملة لهذا الموضوع الهام لمعرفة موقف النظام الجديد المنبثق من حركة الضباط الأحرار « ثورة يوليو » من الإسلام وأحكامه والإجابة على هذه التساؤلات ستؤدى بنا إلى فهم أعمق لبعض مواقف عبد الناصر وسياسته تجاه مصر والعالم الإسلامى وقوى الإخوان المسلمين وتوجهه الاستراتيجى نحوها » . انتهى كلام الكاتب .

تعليق .. مسكينة ياأمتى التائهة ، وإلا لو لم تكونى تائهة ما قادك أمثال هؤلاء إلى حتفك فى ظلهم ظلت شريعة الله وحدوده معطلة ، وظلت دعوة الله مطاردة وشكلت محاكم عسكرية كان يطلب فيها من رجالات الدعوة الإسلامية أن يقرأوا الفاتحة بالعكس ، ويسخرون فيها من آيات الله ، وعلق رجالات الدعوة الإسلامية سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ، ومحمد فرغلى وإبراهيم الطيب وعبد القادر عودة ويوسف طلعت الذين كانوا يجاهدون اليهود على أرض فلسطين والاحتلال على أرض مصر فى أعواد المشانق قربانا لليهودية العالمية والصليبية العالمية قربانا لأمريكا وانجلترا لتصعد أرواحهم الطاهر إلى السماء تشكوا ظلم العسكر ، وتشكو الشياطين الخرس الذين وقفوا يهتفون للجلاد.. « اقتل اقتل ياجمال » .

وفى ظل حكم العسكر جرت مذابح ليمان طرة ، وفى ظل حكمهم ادخلت نساء حرائر « حميدة قطب وزينب الغزالى » وشباب من خيرة شباب مصر إلى السجون والمعتقلات .

وفى ظل حكم العسكر كبلت الأمة بالأحكام العسكرية بدلا من أن تحكم بنظام الإسلام ومنهاجه ، وفى ظل حكم العسكر نُحىَّ الإسلام ، وتسولت امتنا الماركسية والاشتراكية والديقراطية .

هؤلاء هم حكامنا الذين يصرون على فرض الاستسلام على الأمة أمام مخططات الأعداء ، فإذا كانت هذه هى مواقفهم ، فماذا ننتظر منهم غير النكبات التى نزلت بالأمة فى عهدهم .

وفى جميع الأحوال .. الخطأ ، خطأ الأمة التى تركت الجرذان تعبث بالمركب دون أن تأخذ على أيديهم فأشرفت على الغرق وهى معهم .

(ج) المتآمرون يجهزون الزعيم للمعاونة فى تحقيق إهدافهم :

تصفية القوى الوطنية وخاصة الإخوان المسلمين .. استسلام الأمة فى وجه المخطط اليهودى .. تحقيق الهيمنة الأمريكية على الأمة .

كيف يتم صناعة الزعماء والقادة لتوجيه الأمة لخدمة مخططات الأعداء ؟؟

حادث المنشية مخطط أمريكى .. والهدف ..

ماذا عن تولى عبد الناصر السلطة وارتباط ذلك الوثيق بالمخابرات الأمريكية وخاصة بالنسبة لحادث المنشية الشهير الذى قام بتنفيذ خطته عبد الناصر وكان ذلك تأكيدا من جانب الولايات المتحدة على تثبيت رَجُلها الأول فى منطقة الشرق[1] .

ذكر كتاب « لعبة الأمم وعبد الناصر » أن عبد الناصر كان يخطط للخلاص ممن اعتبرهم خصومه وأعداء له .. وبدأت خططه فى هذا الطريق تمهيدا لاتفاقة مع الأمريكان على تولية السلطة فى مصر وابعاد محمد نجيب .

وقد عرض الكتاب لرسالة موجهة من كيم روزفلت إلى مايلز كوبلاند ، يتضح منها أن كيم رزوفلت «سبق والتقى بعبد الناصر واتفق معه على اعداده لدور كبير نحو قيادة الشرق الأوسط ومصر خاصة نحو مخطط أو هدف أمريكى استراتيجى وأيضا نحو إسرائيل »[2] .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٨٥ .

(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٨٨-٨٩ .

ويتضح منها – كما أشار كيم رزوفلت في رسالته – أن أعضاء مجلس قيادة الثورة ليس لديهم علم أو خبرة كبيرة أو كافية لإدارة شئون البلاد وأنهم يجهلون الحقائق ، وأن دور مايلز كوبلاند « فى القاهرة » هام وحيوى حيث يقوم بالتوجيه والإرشاد « لهؤلاء الضباط » دون أن يكابروا ويدعوا العلم والخبرة حتى تتحقق الأهداف الهامة « أهداف أمريكا » .

وقد سبق هذه الاجراءات[1] حملة من الدعاية المكثفة فى ربيع عام ١٩٥٤ لتقوية تأثير عبد الناصر تمهيدا لرئاسة الجمهورية ، بل إن جيفرسون كافرى السفير الأمريكى وخبير الانقلابات العسكرية فى المخابرات الأمريكية قد بعث فى إحضار أعظم المختصين فى الدعاية السوداء والرمادية وهو باول لينبارجر .. فالخطة الإعلامية بالإضافة إلى الاتصالات السرية الناصرية الأمريكية وخطة القضاء على الخصوم الوطنيين واتصالاته السرية مع إسرائيل حول السلام كلها تدور فى طريق واحد يدفع بها عبد الناصر من امامه كل عائق لتحقيق تسلطه على حكم مصر بديكتاتوريته المعروفة ، فعقب اجتماعه مع نجيب ومايلز كوبلاند وكيم روزفلت فى ٣٠ يناير ١٩٥٤ ، قد تم نهائيا استبعاد محمد نجيب من مثل هذه الاتصالات السرية، وفى ضوء هذ الحقيقة، وهذا الاعداد الأمريكى المخطط لزعامة عبد الناصر .. بدأ عبد الناصر باعتقال السياسيين القدامى ورجال الحكم السابق ، والإخوان المسلمين وصادر أملاكهم وثرواتهم التى لم تذهب إلى خزانة الدولة ، وإنما سرقت وذهب بعضها إلى جيوب وخزائن الخاصة التى عاونته فى مخططه « والكلام كما قلنا هنا لصاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر »[2].

«وعلى ضوء الطريق إلى حكم مصر .. كان لابد من نهر الدماء .. يعبر بها عبد الناصر بشراعه الإعلامى المخطط ليتسلط على حكم مصر » .

فعقب توقيع اتفاقية الجلاء فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، تم اجتماع ضم بول لينبارجر – مسئول الدعاية السوداء والذى قام من قبل بتخطيط اعلامى – لتصعيد نجومية عبد الناصر ، وكذلك عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وحسن التهامى وعبد القادر حاتم[3].

« وكان اقتراح بول لينبارجر « مسئول الدعاية الأمريكى » فى هذا الاجتماع افتعال محاولة الاعتداء على حياة عبد الناصر تكون سليمة التدبير ، وتقوم بها عناصر مختاره فى هذا الصدد فتكون عملية اطلاق الرصاص على عبد الناصر عملية تمثيلية صورية محكمة وذات تأمين كاف لتنفيذها ، وهذا الحدث فى حد ذاته يجذب مشاعر الشعب المصرى نحوه لما يراه فيه من مظاهر الشجاعة أثناء

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٨٤-٨٩ .

(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٨٩ .

(٣) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٩٤-٩٦.

ثباته فى هذا الموقف . وعدم خوفه أو اهتزازه وأنّه قد نجا منه بأعجوبة تثير المشاعر كما ستقوم أجهزة الإعلام والرأى العام بصياغة الحدث بصورة مؤثرة فى مشاعر الشعب لجذب عواطفه وتعاطفه نحو عبد الناصر ، وفى ذات الوقت ينزاح محمد نجيب من مركز الصدارة حيث تتاح الفرصة المواتية لعبد الناصر أن يفعل ما يريد فى أثناء هذه النشوة الشعبية » .

« وبعد ثلاثة شهور من هذا اللقاء .. وذلك الحدث – تمت عملية المنشية فى ٢٦ يوليو تماما كما وضع خطتها بول لينبارجر بإحكام وتم فيها تنحية محمد نجيب .. وتم فيها أيضا القبض ظلما وعدوانا على الإخوان المسلمين وإدانتهم وتم تصفيتهم فى أكبر حدث لتصفية دموية ونفسية رهيبة تقشعر لها أبدان الذين عايشوها !... أو يعرفونها أو عايشوها كحقائق » .

« وعلى أثر ذلك تسلق – بل قفز عبد الناصر على صهوة الحدث إلى حكم مصر » .

« وفى تقرير أمريكى سرى مؤرخ فى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٤ أى بعد هذا الحدث بشهر ... وعما كان يحويه من خطوط للتعاون والتحالف الأمريكى – المصرى فقد جاء به ... حتى يمكن انفراد عبد الناصر بالقرار فكانت كل تقديراته هى تقوية مجلس قيادة الثورة والقضاء على الإخوان المسلمين والشيوعيين والمجموعات القديمة إلى آخره .. وإن هذا سوف يستغرق شهرين تقريباً » .

« ولكن عبد الناصر خيب ظنهم وتوقعهم حيث حقق كل هذا فى أقل من شهرين ، وعاود الاتصال بإسرائيل فى ديسمبر من نفس العام » .

تعليق : هذا هو تاريخ بعض أفراد العصابة التى سميت بالأحرار وهؤلاء هم أمل الأمة ، هؤلاء هم الذين سرقوا السلطة من أصحابها الحقيقيين ، ولاؤهم لأعداء الله وأعداء رسوله واعداء المؤمنين ، من أجل الزعامة يفعلون أى شيء !!!

من أجل الكرسى تراق الدماء .. ويحاكم الأبرياء.. وترمل النساء .. وتيتم الأطفال !!!

وبعد تصفية رجالات الدعوة الإسلامية – الإخوان المسلمين – فى مصر عام ١٩٥٤ أصبح الطريق ممهدا أمام اليهود لاغتصاب المزيد من أرض مصر فى عام ١٩٥٦ وهذا ما كانت تحلم به يهود .. ولم تكن تستطيعه لولا ضباط مصر الأحرار .

(د) تحرير فلسطين لم يكن من بين أهداف قادة الانقلاب العسكرى المصرى :

حينما وقع الانقلاب العسكرى فى « ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » أعلن الانقلابيون فى بيانهم الأول أن سبب انقلابهم والامساك بزمام السلطة هو . الرشوة ، والفساد ، وعدم استقرار الحكم التى أدت إلى هزيمة الأمة فى حرب فلسطين ، وكانت شعارات الإنقلاب العسكرى الستة هى :

القضاء على الاستعمار وأعوانه ، القضاء على الإقطاع وأعوانه والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وإقامة جيش وطنى وعدالة اجتماعية وحياة ديمقراطية سليمة .

أى أن قادة الانقلاب قد تجاهلوا منذ اللحظة الأولى ، قضية فلسطين فهى ليست داخلة فى برنامجهم ، وبالتالى فإقامة جيش وطنى كان الهدف منه حماية النظام الحاكم وليس تحرير فلسطين .

وفى ضوء هذا يمكن أن نفهم أن التصريحات العلنية التى كان يطلقها قادة الانقلاب أحيانا علنا أمام الجماهير ، إنما كانت تهدف إلى تخدير مشاعر الجماهير ريثما يتم تمرير المخطط وتهيئة الأمة للاستسلام « وليس السلام » أمام العدو ، وكان يواكب التصريحات العلنية اتصالات سرية بين بعض قادة الانقلاب « جمال عبد الناصر » وبين اليهود أى أن تحقيق السلام بين العالم العربى واليهود خط ثابت فى تصور قادة الانقلاب العسكرى « محمد نجيب وعبد الناصر عام ١٩٥٢ » منذ اللحظة الأولى .

« كما أن السادات التقى مع عبد الناصر فى سعيه نحو السلام تحت مبرر مشترك ردده كل منهما فى مناسبات مختلفة ، فحينما كان عبد الناصر يواجه المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٤ يوليو ١٩٧٠ ليجيب على الأسئلة التى دارت حول موافقته على مبادرة روجرز فقال : « فى الحقيقة إحنا باستمرار من الأول ، من أول النكسة رفعنا شعار إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض العربية المحتلة ، والله إذا كان يمكن أن نصل إلى هذا بدون حرب فنصل إلى هذا بدون حرب ».

(هـ) فى ظل الانقلابيين المخابرات اليهودية تكثّف نشاطها على أرض مصر .
عمليات تخريب يهودية وسَعْى إلى إلصاقها بالإخوان المسلمين .

(و) فى ظل حكم الانقلابيين قام اليهود بعدوان على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وقتلوا ٣٨ جنديا من الجيش المصرى وجرحوا ٣٧ .. وهم آمنون على أنفسهم من أية ردّة فعل من قبل مصر .

(ز) مخطط العدو يدفع القيادة المصرية إلى الوقوع فى براثن الأخطبوط الروسى وتعقد « صفقة الأسلحة التى دفع شعب مصر ثمنها قطنا وأرزًا » ليُمنى بهزيمة لم تحدث مطلقا من قبل فى تاريخ هذه الأمة .

ذكر صاحب كتاب لعبة الأمم : « وفى ظل حكم العسكر نشطت المخابرات اليهودية فى مصر ، فقد كانت هناك شبكة تجسس يهودية من عشرة يهود وعملاء ، وقد قامت بإحدى المهمات فى ٢ يولية عام ١٩٥٤ ، حيث نسفت المراكز الثقافية والإعلامية البريطانية والأمريكية ودور السينما

التى يملكها الإنجليز والمؤسسات المصرية العامة كمراكز البريد فى كل من القاهرة والاسكندرية ، وألقى القبض عليهم فى ٢٧ يوليو[١] ١٩٥٤ » .

« وكان الكولونيل بنجامين جفيلى مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية قد بعث بتعليمات مع ضابط ذاهب إلى مصر للحاق بهذه الشبكة ومنها : علينا القيام بعمليات تؤدى إلى اعتقالات وتظاهرات تعقبها أعمال انتقامية للتعبير عن الغضب والاحتجاج . ولنكن حذرين وحريصين بحيث لا تشير الأحداث بالاتهام إلى اليد الإسرائيلية خلف تلك الأعمال فى ذات الوقت علينا تحويل الأنظار نحو أية جهة يمكن اتهامها وتحميلها المسئولية » .

ونفذت تعليمات اليهود على أرض مصر ، فى ظل حكم الانقلابيين ، وتوجهت أصابع الاتهام إلى الإخوان المسلمين وهم منها برءاء .

« وكانت رسالة من موسى شاريت بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٤ إلى الرئيس عبد الناصر يثنى فيها عليه ورغبته فى السلام بين مصر وإسرائيل ويطالبه بدليل محسوس بأنه وأصدقاءه قادة الانقلاب على إستعداد لتسوية حقيقية مع إسرائيل وتوجيه الرأى العام فى مصر نحو الأهمية الحيوية للسلام وحدد موسى شاريت أمرين لهما أثر محدد فى تطوير العلاقات بين مصر وإسرائيل » :

أولا : حرية المرور للسفن الإسرائيلية من وإلى إسرائيل فى قناة السويس .

ثانيا : رغبة اليهود فى عدم صدور حكم الإعدام على اليهود الذين قبض عليهم فى أحداث الانفجارات التى وقعت فى القاهرة .

وقد أجاب عبد الناصر على الرسالة شفاهة فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٤ كما ذكر كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر[٢] .

وبعدها تم تصعيد الأحداث ... صدور حكم بالإعدام على اثنين من اليهود وحكم على الآخرين بالسجن **وبعدها صعدت المؤسسة العسكرية اليهودية الموقف ، إذ أنها قامت بغارة هجومية على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥** .

وكان من الطبيعى أن يرد قادة الانقلاب العسكرى فى مصر على هذا العدوان بالمثل ولكنهم لم يفعلوا ، بل يقال إنه قد استؤنفت الاتصالات السرية بين عبد الناصر وإسرائيل » .

وكان من الطبيعى أن تغضب العناصر الوطنية فى الجيش لهذا الموقف من حكومة الانقلاب العسكرى وتثير التساؤلات عن أسباب تأخير تسليح الجيش المصرى وتحديث معداته للتصدى لأى

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ١٤٣ ، ١٤٤ .

عدوان يقع من اليهود ، وبالطبع فإنها لم تعلم فى ذلك الحين حجم السلاح الذى طالب به عبد الناصر من الولايات المتحدة ، وأن دلالته ليست من أجل الدفاع عن مصر وتقوية جيشها إنما كان من أجل نظام حكمه الجديد وسلطانه فى البلاد » (أى أنه لم يكن من أجل تحرير فلسطين أو ردع العدو اليهودى) .

وفى ٢١ مايو عام ١٩٥٥ استدعى عبد الناصر السفير الروسى بالقاهرة وأبلغه برغبته الحصول على السلاح من روسيا »[١].

أى أن القيادة المصرية قد التقطت الطعم ...

«إن أمريكا كانت تسوف فى الرد على طلب مصر تسليح الجيش ، لأنها تخشى وصول أى سلاح للجيش المصرى ، وتخشى لسبب أو لآخر أن يخرج الأمر إلى أيدى من ليسوا فى اللعبة ، وتتعرض دولة اليهود للخطر أو النظام نفسه للخطر ، ومن هنا كان الضغط ليقع الضباط قليلى الخبرة فى يد الدب الروسى[٢].

وقبل الدب الروسى تصدير السلاح السوفيتى من تشيكوسلوفاكيا إلى مصر مقابل الأرز والقطن المصرى .

وحصل النظام الناصرى على السلاح الروسى ، وكان من المفترض أن يبدأ التدريب على هذه المعدات والأسلحة الجديدة تأهبًا لصد أى عدوان يهودى على الحدود من جانب اليهود ، وتحرير فلسطين المسجد الأقصى . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث !!!

(حـ) الانقلابيون يُجمدون دور الجامعة العربية فى مواجهة الغارة اليهودية الأمريكية على العالم العربى :

وجاء حكم العسكر ، وعزلوا عبد الرحمن عزام[٣]، أمين عام جامعة الدول العربية تحقيقا لرغبة اليهود والاستعمار الأمريكى الأوربى . لماذا؟... لأنه وقف وقفة الرجال ضد الاستعمار الأوربى وضد الهجمة اليهودية على فلسطين ووقف فى وجه الانجليز فى قضية البوريمى ولأنه هو الذى نظم وقاد دخول الجامعة العربية حرب فلسطين ، وهو الذى نظم وقنن المقاطعة العربية ضد اليهود ، وهو الذى رفض الصلح أو الاعتراف باليهود .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ١٤٥،١٤٧،١٥٦،١٥٧

(٢) المرجع السابق ، صفحة ١٦٠-١٨٠ .

(٣) ثورة يوليو الأمريكية ص ٥٢-٥٤ .

كان عبد الرحمن[*] عزام عقبة فى طريق المخطط اليهودى الأمريكى على فلسطين ذ أنه فتح معسكرا لتدريب لمتطوعين إلى فلسطين (الهايكستب) استجابة لنداء شعب فلسطين وشعوب العالم العربى والإسلامى وعلى يديه تم تهيئة المناخ المناسب لتدريب المجاهدين لنصرة فلسطين .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ص ٢٥٣ :
لقد قامت جامعة الدول العربية فى الثانى والعشرين من آذار سنة ١٩٤٥ وكان ايدن رئيس وزراء بريطانيا صاحب فكرتها . وكان للجامعة حسناتها وسلبياتها ، ومن سلبياتها إخراج القضية الفلسطينية من أيدى أصحابها .
ومن حسناتها أن أمينها العام عبد الرحمن عزام تجاوب مع الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين وشكلا هيئة وادى النيل لإنقاذ فلسطين ورئيسها محمد على علوية باشا وكان الحاج أمين الحسينى أحد أعضائها .
وجهت الجامعة العربية نداء إلى الدول العربية أن تفتح معسكرات تدريب المتطوعين فسلمت مصر معسكر الهاكستب للجامعة وفى سورية فتح معسكر قطنة (حماس ، حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين ، د. عبد الله عزّام ، مكتب خدمات المجاهدين .

المبحث الثالث

قادة الانقلاب يتبنون سياسات عاونت فى تحقيق أهداف الغزو اليهودى لمصر والعالم العربى عام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

الظروف والملابسات التى وقع فيها العدوان الثلاثى على مصر « ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ » ، « ٥ يونيه ١٩٦٧ » .

تأميم قناة السويس ؟ هل دُفع إليه قائد الانقلاب العسكرى « عبد الناصر » ، هل عرف نتائجه هل درس عواقبه ؟؟ هل دَفْع القيادة السياسية لتأميم القناة ، كان مقصودًا ؟؟ .

لماذا تراخت القيادة السياسية والعسكرية فى إعداد العدة لمواجهة العدوان اليهودى المحتمل حتى وقع فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وحقق العدو أهدافه . هل هذا جهل من القيادة بحقيقة الأمر أم غفلة ؟؟ أم خيانة ؟؟ .

ذكر صاحبا كتابى ثورة يوليو الأمريكية ، ولعبة الأمم وعبد الناصر :

حول ملابسات العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦) ثبت أن عبد الناصر وقد أمم قناة السويس ، لم يدرس نتائج هذا القرار إلا على سبيل الجدل السياسى والحملات الإعلامية الدعائية فقط فالدراسات تثبت أن القائد المصرى لم يكن فى زوايا تفكيره أن هناك نتائج عسكرية عدوانية ؟؟ يمكن أن تترتب على قرار التأميم ؟؟ ومن الواجب إعداد العدة اللازمة لمواجهة الموقف .

رغم أن كل المقدمات التى سبقت العدوان وكذلك مصادر المعلومات والمخابرات والمصادر الدبلوماسية من لندن وقبرص وباريس ، كلها كانت تؤكد على أن هناك اتفاقا خفيا بين لندن وباريس للمشاركة فى عمل مشترك ضد مصر وإعادة السيطرة الأجنبية على قناة السويس .. أى أن هناك عدوانا عسكريا يحضر ضد مصر[1] !!

بل إن رئيس حكومة إستراليا منزيس مر بالقاهرة أثناء عودته من مؤتمر دول الكومنولث الذى عقد بلندن ، ونقل إلى الرئيس عبد الناصر بأن هناك احتمال وقوع عمل عسكرى ضد مصر وقناة السويس من جانب بريطانيا وفى هذه الحالة سيكون هذا العمل العسكرى مؤيدا أو مدعوما من قبل دول الكومنولث البريطانى .. فسخر منه عبد الناصر وقال له .. « اللى تقدروا تعملوه اعملوه »[2].

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر ، ص ٢٨٥ .
(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر ، ص ٢٨٦ .

وفى ختام اللقاء خرج عبد الناصر وهو يضحك ملء شدقيه ويقهقه ساخرا من رئيس الحكومة الاسترالية .

وحينما وصلت معلومات إلى البكباشى عبد الناصر تشير إلى تعاون فرنسا وإنجلترا لعمل مشترك ضد مصر ، وتحركت قطع من البحرية الفرنسية ، ورفعت درجة استعداد القوات البريطانية فى قبرص .. بل وأصبح أمر العدوان على مصر بحتما من خلال التقارير التى وصلت إلى عبد الناصر قبل العدوان بأسبوعين .. ماذا فعل عبد الناصر ؟؟ لا شىء !!

لماذ ؟ هل لأن هذا هو المطلوب تحقيقه ؟

بل إن خطة العدوان الثلاثى ؟ « سيفر » قد وصلت عبد الناصر فى مجلس الوزراء بيل العدوان بخمس ساعات حيث أحضرها إليه عبد الرحمن صادق الملحق الصحفى بالسفارة المصرية بباريس والذى سرب هذه الخطة هى المخابرات المركزية الأمريكية لتصل إلى عبد الناصر[1]، بل إن الحكومة الأمريكية فى عهد رئيسها أيزنهاور طلبت من السفير المصرى لديها أحمد حسين إبلاغ عبد الناصر بأن هجوما محتملا وشيك الحدوث من قبل إنجلترا وفرنسا على مصر .

وكان العدوان اليهودى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ! كيف وصلت أنباؤه إلى الرئيس عبد الناصر ؟؟ عبر وكالات الأنباء الأجنبية وهو يحتفل بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد ومعه القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر .

العدو اليهودى يحرك لواءً ميكانيكيا مدرعا فى اتجاه منطقة الكونتيلا (فى سيناء) ويسقط كتيبة مظلات فى منطقة سدر الحيطان فى ممر متلا .. كل هذا على أرض مصر . أين القوات المسلحة التى تحرس الحدود ؟؟ إنزال فى أرض مصر ، لا يدرى به رئيس الدولة إلا عبر وكالات الأنباء « يونايتد برس » أى أنه « لو لم تصدر إسرائيل بيانا رسميا ، فذلك يعنى أنه كان يمكن أن يكون العدوان اليهودى فى طى الكتمان » حتى تفاجأ الأمة به فى غرف نومها .. وذلك يعنى أنه لا اتصال بين القيادة والجبهة .. فالقيادة العسكرية لم يكن لديها أى خبر من الوحدات المصرية فى الميدان .. حتى بعد إذاعة وكالات الأنباء للخبر . أين أجهزة المخابرات ؟ أين أجهزة المباحث العامة ؟ أين وزارة الحربية والداخلية ؟ لا نشاط لها فى مواجهة الهيمنة اليهودية على ديارنا، لا مخابرات ولا أجهزة إلا إذا كان الأمر يتعلق بالقوى الوطنية وخاصة الإخوان المسلمين أو ضابط غير متجاوب فى الجيش ، عندها يكون عند القيادة الخبر اليقين !! .

ويواصل صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية ، صفحة ٥٠ .. « ورغم تكرار الهزيمة فى ١٩٦٧ فقد ظل الجهاز الحاكم غارقا فى الغفلة وفى الغياب عن الوجود الحضارى ، وسيسمع الرئيس

---

(١) نعبة الأمم وعبد الناصر ، صفحة ٢٩٧،٢٩٦ هزيمة فى المعارك ونصر فى الإذاعات ثورة يوليو الأمريكية ، علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ص ٥٤٧-٦٠٠ .

بعد ١٢ سنة أن المظليين الإسرائيليين ذاتهم نزلوا فى إحدى الجزر المصرية وفكوا محطة الردار وحملوها وانصرفوا ووصلوا إلى إسرائيل وأذاعوا النبأ من إذاعتهم ، واتصل الزعيم بقائد جيشه ... « صحيح ما يذيعه راديو إسرائيل ؟ فيرد قائد الجيش : دقيقة واحدة أسأل باريس وأخبرك »[١]

ماذا فعلت القيادة اليقظة ؟ لقد استبعد القائد الملهم عبد الناصر .. احتمالات التواطؤ بين اليهود والإنجليز والفرنسين ، بل ما حدث لم ينقل إليه الاحساس بأنه أمام شىء خطير »

« غزو برى ، وإنزال كتيبة كاملة فى عمق سيناء ؟؟ ليس خطيرا » .. ما يعنى ذلك . كما يقول صاحب كتاب يوليو :

« خطأ فادح فى التقدير .. وإهمال جسيم فى الاستفادة من المعلومات بل التصرف على عكس ما تطلبه تماما . مما أدى إلى إضعاف المقاومة المصرية ، وتسهيل مهمة العدو فى احتلال سيناء وتدمير جميع المنشآت (المصرية طبعا) وتدمير جميع السلاح السوفيتى وسلاح الطيران المصرى » الذى لم تكن الأمة قد سددت ثمنه وستستمر فى سداده سنوات طويلة قطنا وأرزاً .

أين الأمة وحقها فى المحاسبة ؟ أين حق الأمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ أين الأمة وحقها فى عزل المقصرين ؟ ولا أقول الخائنين للأمانة ؟ إن غياب الأمة أدى إلى تكرار نفس النكبة والهزيمة عام ١٩٦٧ .. بل أدى فى النهاية إلى تسليم الأمة لليهود بأنهم أصحاب فلسطين .

ماذا فعلت القيادة بعد ما تأكدت من أن الغزو حقيقى ؟

«اضطراب وتخبط وانقسام وزعل[٢].. وأوامر متعارضة متضاربة .. كلها لصالح العدو « المهم كانت سيناء بلا مقاومة جدية .. » مفتوحة للعدو ، واجتمعت القيادة .. وتأكد لديها سوء نية العدو ، ولهذا فقد رأت القيادة استخدام القوات الجوية المصرية فى نفس الليلة لقذف قوات العدو عند الممر وأن تقوم أيضا فى الصباح المبكر بتركيز ضرباتها على مطارات العدو وطائراته ، وأن تعمل قدر طاقتها للحصول على السيطرة الجوية حتى تتمكن بعد ذلك من العمل ضد قوات العدو الأرضية بمرونة وحرية » .

« وصدرت الأوامر إلى محمد صدقى محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية بتنفيذ المهمة التى أوكلوها للطيران .. ولكن ظهر عليه الارتباك واعتذر عن تنفيذ الأمر بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها بمطار غرب القاهرة ، القاعدة الخاصة بقاذفات القنابل !!![٣]

ماذا فعلت القيادة المصرية بقائد سلاح الطيران ؟ أقالوه : شكلوا له مجلسا عسكريا وأعدموه ؟؟ لا أمثال أسيادنا العسكرين لا يحق أن يحاكموا .. الذين يحاكمون الإخوان المسلمون ، وغيرهم » .

---

(١) ثورة يوليو الأمريكية صفحة ٥٥٠، ٥٥١ .

(٢) ثورة يوليو الأمريكية صفحة ٥٥١ . (٣) ثورة يوليو الأمريكية ص ٥٥٢ .

« هل حاسبت الأمة القائد الملهم وزعيم عصره جمال عبد الناصر ؟؟ لا .. لقد أبقته إحدى عشر عاماً حتى فعلها (نفس الفعلة) فينا مرة أخرى بالتمام والكمال وتوفر البنزين فى هذه المرة[1] (عام ١٩٦٧) » .

« وهكذا تم شل حركة الطيران المصرى خلال الـ ٢٤ ساعة الفاصلة فى مصير الشرق الأوسط ما بين الهجوم اليهودى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر والإنذار البريطانى فى الرابعة من بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر » .

« كان الطيران المصرى فى ذلك الوقت (عام ١٩٥٦) أقوى من الطيران اليهودى ، والطيارون أفضل من زملائهم فى عام ١٩٦٧ ، ولم تكن قد تمت عملية الإفساد التى بدأت بحفلات محرم فؤاد وانتهت بالحفل الراقص ليلة الهجوم (٥ يونية ١٩٦٧) » .

« وكانت إسرائيل التى تستعد للحرب ضد مصر من يناير ١٩٥٥ ، لا تخشى شيئا أكثر من هجمة الطيران المصرى على مدن اليهود فى أرض فلسطين المحتلة (١٥٠ طائرة ميج ، ٤٠ قاذفة اليوشن)[2] » .

« ولهذا فقد طلب بن جوريون من سلوين لويد[*] .. تعهدا بتصفية السلاح الجوى المصرى قبل أن تتقدم قوات اليهود فى سيناء وإلا فإن مدن إسرائيل مثل تل أبيب ستمحى من الوجود » .

كما أن خطة العدو اليهودى كانت تقوم على عدم القيام بأى عمل لاستفزاز القوات الجوية المصرية للعمل ، لأنه كان يخشى أن ترد بالإغارة على تل أبيب وغيرها من المدن الإسرائيلية » .

وهنا طرح المؤلف طرحا جيدا .. « وإذا كان هذا يفسر بنقص النشاط الجوى الإسرائيلى ، فما تفسير نقص النشاط أو انعدام النشاط الجوى المصرى ؟ والحق أنها نقطة مهمة فصحيح أن الأمور قد جرت وكأن هناك تنسيقا بين القاهرة وتل أبيب ، أو تعهدا مصريا بشل الطيران ومنعه من ضرب مدن إسرائيل إلا أن الدول التى يحكمها أبناؤها ، لا تترك مجالا لمفاجأة أو خطأ مهما يكن نظريا ، إذ يحتمل أن يكون فى سلاح الطيران المصرى أو فى قيادة الجيش من ليس فى اللعبة ، ومن ثم يرى إخراج الطيران المصرى ، لمواجهة الطيران الإسرائيلى إذا شن هجوما واسعا ويرد الضربة فى مدن إسرائيل .. وإذا كان الزعيم (عبد الناصر) قد احتاط تماما فقص أجنحة الطائرات

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٥٥٢ .

(*) وقد ورد على لسان بن جوريون .. « أنا غير مستعد أن نكون وحدنا فى المعركة أكثر من ساعات محدودة وقبل أن تنتهى هذه الساعات أريد تعهدا مكتوبا من الحكومة البريطانية بأن سلاح الطيران المصرى سوف يتم تدميره فور انتهاء هذه الساعات الأولى .. ويعلق على هذه الكلمات الأستاذ جلال كشك .. ياللعجب ! ألا يحق لنا أن نصف قرار عبد الناصر بالتحطيم الشامل للطيران المصرى (بمنعه من الطيران) ومنذ الدقيقة الأولى للمعركة مساهمة مباشرة فى المجهود الحربى الإسرائيلى ، ودعما لا يقدر لجيشها أو على الأقل تنفيذ للتعهد الذى طلبه بن جوريون ؟؟ » .

(٢) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٥٥٣ .

وسحب البنزين منها ، ومنع طيرانها .. وسجل هيكل له هذه المفخرة .. « إن واحدا من أبرز القرارات التى اتخذها ناصر فور سقوط القنابل على القاهرة هو عدم الاشتراك فى أية معارك جوية لأنه عرف أن الطيارين أهم لمصر من الطائرات » .

ويعلق المؤلف على هذه المقولة بقوله : « وكما نرى لا يزال مصرا على التضليل والتزوير وعدم الإجابة على السؤال الذى طرحناه من سنوات .. وهو .. لماذا لم يأمر بمعارك جوية قبل سقوط القنابل ، فى الفترة من الهجوم الإسرائيلى (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) إلى رفض الإنذار البريطانى (٣٠ أكتوبر ١٩٥٦) ؟ » .

لماذا لم يقم طيارونا بغارة على تل أبيب ومدن إسرائيل ؟ .. من الذى شل يد طيارينا عن تحقيق أمنية العرب العادلة ؟! .. لا يجيب .. على أية حال .. الطيارات ماكانش فيها بنزين !! .

وهكذا ضاعت ٢٤ ساعة فاصلة فى تاريخ الشرق الأوسط (الإسلامى) ، ووصل الإنذار البريطانى ولكن لم يأخذه جمال عبد الناصر مأخذ الجد ، وكان يعتقد أن الغرض منه هو أن يعمل على الاحتفاظ بالجزء الأكبر من قواتنا دون تحريكها إلى أرض المعركة من سيناء .

الأنكى من ذلك رغم أن القيادة اليقظة كانت لابد وأن تضع فى الاعتبار أن تأميم القناة ، قد يؤدى إلى هجوم من أصحاب الأسهم (بريطانيا وفرنسا) .. وبالتالى لابد وأن يعد العدة لهذا الاحتمال ، ولكن قيادة مصر فى ذلك الوقت لم تفعل ذلك ، بل فعلت عكسه ، إذ أن الرئيس عبد الناصر قد اتخذ قراراً بسحب القوات المصرية من سيناء فى أغسطس ١٩٥٦ ، وبذلك أصبحت سيناء مكشوفة ... وكان ذلك أكبر مما تحلم به إسرائيل إذ جعل من الممكن أن تهبط مظلاتها فى قلب سيناء وأن تنخفض خسائرها بنسبة كبيرة جداً ، وما أبدته الوحدات المصرية القليلة المتناثرة من مقاومة مذهلة ، يمكن أن يوحى بما كان يمكن أن ينزل بالجيش اليهودى من ضربات قاصمة لو أن القوات المصرية لم تسحب من هناك .. بل إن هيكل – كما يقول المؤلف – يورد شبهة عجيبة على مسلك عبد الناصر فيصوره وكأنه يتعمد إخلاء سيناء لإسرائيل .. إذ يقول .. « وكانت المواقع المصرية شبه خالية لدرجة دفعت كبير مراقبى الهدنة إلى أن يكتب تقريراً « لداج همرشلد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه : « إن تقليص حجم القوات إلى الخطوط المصرية يمثل إغراء شديدًا لإسرائيل » ولكن جمال عبد الناصر استبعد أن تقترب إسرائيل من هذا الإغراء فى هذه المرحلة .

«ممثل الأمم المتحدة يصرخ .. « نامت نواطير مصر عن ثعالبها » .. أو « المال السايب يعلم الأولاد الحرام » .. وحاكم مصر لا يبالى ويصر على أن إسرائيل لا يمكن تعملها »[1] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٦،٥٥٥ .

ويواصل المؤلف تعليقه[1] :

« أعترف أن مثل هذه النصوص التي يقدمها هيكل تجعل التفسير القائل بيهودية عبد الناصر يلح إلحاحا لا يمكن مقاومته ، ومع ذلك أعترف أيضا أنني لا أملك أدلة مقنعة عليه ، ومن ثم لا أحيد عن تفسيري وهو ارتباطه بالمؤامرة والمخابرات الأمريكية جعله يتخذ قرارات فاضحة فى خدمتها لإسرائيل ، مثل إخلاء سيناء ومنع الطيران المصرى من ضرب مدن إسرائيل ثم قرار الانسحاب الثانى » .

وفور التأكد من الهجوم الإسرائيلى أصدر عبد الناصر الأمر للجيش بعبور القناة شرقا والتوجه إلى سيناء ، وتحركت القوات باندفاع شديد لمهاجمة اليهود على أرض سيناء ، وكانت فى مساء ٢٩ أكتوبر إمّا ما زالت تعبر وعبور القناة وقتها لم يكن بالعملية السهلة فلم يكن هناك إلا الكوبرى وعبارة شبه يدوية وصلت إلى سيناء وبدأت تأخذ مواقعها وتوزع مهماتها وتحاول تحديد مكان العدو » .

« وفجأة – كما يقول صاحب كتاب ثورة يوليو – انقلب كل شيء رأسا على عقب .. قرر الرئيس الملهم إصدار الأوامر للجيش المصرى فى سيناء بالانسحاب على خلاف رأى المشير عامر الذى رفض هو وضباطه الانسحاب ، كان يرى أنه من المصلحة التحام الجيش المصرى مع الجيش اليهودى فى سيناء وتكبيده أكبر خسارة ممكنة ، فهذا من ناحية يفيد الاستراتيجية المصرية على المدى البعيد لأن اليهود هم العدو الدائم والجار المقيم ، ولأن القتال كان سيطعم الجنود بالدم فيتعودون الصمود والاشتباك مع اليهود .. والسلاح كان متوافرا أكثر من أى وقت منذ ١٩٤٨ ، وهذه فرصة التعميد بالنار كما يقولون » .

« وكان العسكريون – كما يقول صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية – وفى مقدمتهم عبد الحكيم عامر ، يرون أن الإنسحاب سيدمر الروح المعنوية للعسكريين والشعب (وهذا ماكان يرغب اليهود وأوروبا فيه) بل والشعوب العربية وسيخلق سابقة سيئة فى أول حرب تخوضها الثورة ضد العدو الدائم كما أنه سيضاعف الخسائر ، إذ لا تغطية جوية ومن ثم فالإحتمال الأرجح هو فقدان كل العتاد العسكرى ونسبة هائلة من الجنود فلا يبقى ما يدافع به عن قناتنا وحريتنا ... » .

ولكن الرئيس الملهم عبد الناصر « كان يرى الإنسحاب من سيناء فى ظرف ست وثلاثين ساعة مهما كان الثمن وما هو الثمن هنا ؟ إلا العتاد وعدم المبالاة بالخسائر فى الأرواح ! وهو ما حدث فعلا !.. أو كما يقول هيكل .. « وتم لعبد الناصر ما أراد » .. وكأنه فتح تل أبيب » .

ماذا فعل القائد الملهم عبد الناصر ، لقد أصدر أوامره إلى القوات المسلحة فى شبه جزيرة سيناء بالانسحاب لغرب القناة ، وقد تحقق الانسحاب على نحو غير متوقع ، يقول أحد المحللين

(١) ثورة يوليو الأمريكية صفحة ٥٥٧-٥٦١ .

العسكريين : لقد كانت مهزلة عسكرية ، فلا يمكن لأى عقلية عسكرية أن تقوم ما حدث على الجبهة من إخلاء سيناء بأمر انسحاب كامل وبدون عودة أو ارتداد لقواعد محددة ، فقد أخليت ضفتى القناة بل والطريق حتى مداخل القاهرة و لم يكن هناك جندى واحد أو مصفحة أو مدفع : « مهزلة عسكرية صنعها عبد الناصر - يأمر بالانسحاب الكامل دون إعداد أو تخطيط مسبق - رغم أنه كان مدرسا فى المشاة - ومن هنا أيضا كان مسئولا بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ... وأما عبد الحكيم عامر وطاقم القادة العسكريين ماهم إلى منفذى لقرار عبد الناصر ، بل كانوا بمثابة أذلاء له .. » .

« وبهذه المهزلة فقد أذاقوا الجيش المصرى الذل وأوقعوا به فى شباك الجبن والفرار من المعركة وهو مالم يكن من طبائع هذا الجيش الوطنى لا قبل التسليح الروسى أو أثناء حرب ١٩٤٨ أو ما بعد ذلك »[١] .

« ومع هذا فقليل من الضباط والجنود احتفظوا بمواقعهم وأخذوا يدافعون عنها ببسالة » .

هذا هو القائد الملهم والزعيم الأوحد !! وفى المقابل كان العمل ، « تحسبا لانتفاضة شعبية تحاسب الخونة وتعزلهم .. ولهذا كان الأمر لجميع الأجهزة الخاصة بالإعداد والتجهيز للعودة إلى النزول تحت الأرض لحماية عبد الناصر ومن معه فى أماكن خفية بالريف ذات تأمين مناسب .. وأيضا اعتقال معظم رجالات الدولة السياسيين خشية تسلم أحدهم مقاليد السلطة فى البلد .

« ومع قرار الانسحاب الذى أصدر أمره عبد الناصر ، كان الطيران اليهودى يتتبع مصفحاتنا فى سيناء وهى تعبر القناة وحتى طريق الإسماعيلية القاهرة واستمر فى نسفها وضربها حتى وهى على مشارف مداخل القاهرة ولم يسمح الطيران اليهودى لأى وحدة عسكرية مصرية بالانسحاب للقاهرة وهى سالمة أو أن تتمركز فى أى منطقة بين خط انسحابها من سيناء ومشارف القاهرة بل افنتها جميعا .. وهذا أبلغ دليل على أن سلاح الطيران اليهودى كان يسبح فى سماء خالية من أى دفاعات » .

أين سلاح الطيران المصرى فى تلك الأثناء ؟؟ لقد صدر أمر من عبد الناصر « على الطيران المصرى ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية وإنما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين وعددهم محدود (١٢٠ طيارا) وإذا تمكن العدو من اصطيادهم فى الجو وإسقاط طائراتهم وهم فيها وقتلهم فسوف تمر عشر سنوات قبل أن يكون لمصر طيارون قادرون على العمل ، ولسوف ينتهى الغزو الفرنسى البريطانى يوما وتبقى إسرائيل أمامنا ولا نستطيع أن نواجهها بغير طيارين »[٢] .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر ص ٢٨٩ .
(٢) لعبة الأمم وعبد الناصر ص ٢٩٠-٢٩٣ .

انتظر أيها القارىء لتقرأ وتعمل فكرك ...

وبعد أحد عشر عاما من عدوان ٥٦ وبعد عام واحد من عدوان ١٩٦٧ ، وعلى وجه التحديد فى ٥ فبراير ١٩٦٨ فى كلمة عبد الناصر لضيفه تيتو .. « أما بخصوص قواتنا المسلحة فقد أصبحنا الآن فى حالة تمكننا من الدفاع عن مصر ولكننا لسنا مستعدين للهجوم لتحرير الأرض وذلك بسبب النقص فى الطيارين » .

ويتساءل أحدالكتاب :لماذا لم يزدد عدد الطيارين فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ ؟؟ وما هى الغاية من الإصرار وتعمد ترك سماء مصر بدون طيارين مصريين مدربين ووطنيين لحمايتها وحماية مصر ومنشآتها وشعبها؟! ولماذا كانت هذه السياسة الناصرية العسكرية التى أدت إلى فقدان مصر لطيرانها فى عام ١٩٦٧ بل واستمرار هذه السياسة منذ عام ١٩٥٦ ؟ » .

هل هناك ارتباط بين هذه السياسة وخشية موشى دايان من الطيران المصرى وتأثيره الإيجابى لصالح مصر ؟! وللمواجهة المصرية الإسرائيلية ؟! فهل كانت سياسة عبد الناصر التى أوقعت النكبة بالأمة جزءا من استراتيجيته الكبرى حول عدم مواجهة إسرائيل إطلاقا عسكريا ؟ هل كان ذلك تعبيرا عن خوف من إسرائيل أم أن ذلك تعبير عن تنفيذ استراتيجية خاصة به أو خاصة برؤية عالمية هو أحد أطرافها ؟ أم[1] ماذا ؟!

« والعجيب أن هذا الطيران الذى منع من مقاتلة العدو اليهودى ١٩٥٦ قد كلف بضرب الحدود السعودية والمعارضة اليمنية » .

إن هذه الأسئلة كانت مثار اهتمام قطاع ضخم من أبناء هذه الأمة الذين تأكد لديهم ، أن الإجراءات العسكرية التى اتخذها عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ هى نفس الإجراءات التى اتخذها عام ١٩٥٦ ...

« فهو لم يسمح للطيران المصرى بأداء دوره فى مواجهة العدوان الثلاثى حتى ولو فى مواجهة إسرائيل فى سيناء لوحدها يوم ٢٩ أكتوبر فى سيناء أو داخل قواعدها » .

« وكذلك أصر على شل حركة الطيران المصرى عام ١٩٦٧ لتلقى الضربة الأولى والقاضية من جانب الطيران الإسرائيلى ، رغم تباعد المدتين بعشر سنوات ورغم أن هناك فرصة مواتية للطيران المصرى لتحقيق أهداف عسكرية » .

أما الاجراء الثانى فهو أمر الانسحاب الفوضوى بلا تخطيط أو إعداد خطة لذلك وما نجم فى الحالتين وأثناء الحدثين من خطر داهم .. وعلى أثرها احتلت سيناء مرتين .. فماذا يمكن أن يفسر ذلك.. والنتيجة واحدة ؟! .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٢٩٢،٢٩٣ .

وقد علق على هذه التصرفات أحد ضباط الانقلاب ماذا يعنى ذلك ؟؟

« تحركات عشوائية ، وأمر فورى للانسحاب بلا خطة أو غطاء جوى من الطيران المصرى »
.. ووصل المعلق فى نتيجة عرضه : ولذلك فإن الإجراء الذى اتخذه عبد الناصر فى ذلك الحين كان هدفه هو الزج على وجه السرعة بأحجام كبيرة من القوات المصرية المدرعة والمصفحات والمشاة أثناء الانسحاب لتلقى مصير الفناء وإبادتها من جانب الطيران الإسرائيلى » .

وتساءل المعلق : ولماذا كان أيضا أمرى الانسحاب فى المرتين ؟ إلى غربى قناة السويس ؟ وفى المرة الأولى توقفت إسرائيل قبيل الضفة الشرقية للقناة بسبع كيلو مترات .. وفى المرة الثانية احتلت إسرائيل الضفة الشرقية .. والقاسم المشترك فى الحدثين هو الانسحاب إلى غربى القناة .. فلماذا كان ذلك ؟! .

ووصل المعلق : « أن ذلك يُشعر بشىء من دخان الخيانة أو التآمر أو التقاعس ، وقد أسفرت هذه السياسة الحمقاء ، وهذه الهزيمة عن هجرة أهل مدن القناة » .

تعليق : إن المطلع على أحداث نكبة أكتوبر ١٩٥٦ وآثارها المدمرة على العالم العربى وخاصة مصر ، يدرك جملة من الأمور ، وهى .. إن أمريكا بتوجيه من اليهود قد نجحت فى الإتيان إلى سدة الحكم فى بعض بلاد العالم بقادة أحسنوا القيام بكل ما طلب منهم خدمة للمخطط اليهودى الأمريكى وأطماعهم فى المنطقة العربية .. « وهذا الذى تم لا يمكن وصفه بأقل من كلمة خيانة » خيانة لله ولرسوله ولأمة الإسلام .

وهذه بعض القرائن والأدلة :

من الطبيعى أن تكون القيادة السياسية والعسكرية لأية أمة على علم بطبيعة أعدائها وأهدافهم الاستراتيجية على المدى القريب والبعيد ، والوسائل التى يمكن أن يستخدموها فى تحقيقها ، لتقابل ذلك بخطة مضادة تفسد عليهم تدبيرهم .

فاليهود الذين احتلوا فلسطين ، يحلمون بإقامة دولة تمتد حدودها من النيل إلى الفرات ، أى أن القاعدة اليهودية فى أرض فلسطين المحتلة تقوم تصورات قادتها على التوسع واستخدام القوة لتحقيق ذلك ، وضرب أية محاولة لزحزحتهم عن غاياتهم .

وبالتالى فإن استراتيجية العدو اليهودى تقوم على محاولة تحجيم قدرات الدول المحيطة بها (فى مصر والجزيرة العربية والعراق والأردن وسوريا ولبنان)، بل وإنهاك مواردها الاقتصادية والبشرية وقدراتها العسكرية إلى آخر ما بينا آنفا ، وشل فعالية الأمة العربية فى مواجهة أية حركة من قبل العدو اليهودى لتحقيق مخططاته ، بل ومحاولة تسخير الأمة العربية عبر قادتها فى تسهيل مهمتهم .

والمطلع على أحوال بعض قادة العالم العربى وخاصة البكباشى جمال عبد الناصر وتصرفاتهم حيال هذا العدو اليهودى وخططه يدرك ، « إما جهلا فاضحا ، وإمّا عمالة تزكم رائحتها الأنوف[*] من أجل زعامة زائفة ، تحقق ما يطلبه الأعداء .. مثال ذلك .. حرب أكتوبر ١٩٥٦ .. نأسف لقوله « حرب » فإنها لم تكن كذلك ، إنما كانت هجوم من جانب واحد (هو الجانب اليهودى) وأوامر بالانسحاب على الجهة المقابلة (الجانب المصرى) بناء على أمر الزعيم جمال عبد الناصر .

هل هذه الحرب كانت مفاجئة ؟ بل كانت متوقعة لأسباب عديدة فالعدو تقوم استراتيجيته على التوسع والعدوان .. وهو محاصر من الناحية البحرية ، فلا تستطيع مراكبه المرور رسميا عبر قناة السويس من حيفا إلى ميناء إيلات الذى يطل على خليج العقبة ، ولا تستطيع مراكبه أن تخرج من ميناء إيلات عبر مضايق تيران إلى البحر الأحمر إلى آسيا أو أفريقيا أو إلى البحر الأبيض عبر قناة السويس ، ومن هنا كان استراتيجية العدو تقوم على ضرورة فك هذا الحصار .

وقد أثار العدو هذه المسائل عبر الاتصالات السرية التى كانت تجرى بينه وبين بعض قيادات الانقلاب العسكرى المصرى (جمال عبد الناصر وبعض اخوانه) ، وقد ثبت أن التعليمات قد صدرت من قائد الثورة (جمال عبد الناصر) للسفن التى تحمل شحنات إلى إسرائيل أو إلى خارجها بالمرور فى قناة السويس ، المهم ألا ترفع علم الدولة اليهودية ؛ ولكن هذا لا يكفى العدو اليهودى !!

وكان من واجب القيادة السياسية على خط المواجهة على سبيل المثال تحصين الحدود مع العدو فى منطقة العقبة ومنطقة شبه جزيرة سيناء من خلال تغطيتها بالمستعمرات وحشدها بالمقاتلة ، مع رفع درجة استعداداتهم القتالية ، وذلك بالإضافة إلى تعميرها واستزراعها وحض الناس على الحياة فيها وتسليحهم لصد أى عدوان متوقع عليهم ...

ولكن القيادة لم تفعل ذلك ، بل إنها سحبت الجيش المصرى الذى كان مسمركزا فيها منذ عام ١٩٤٨ ، فى أغسطس ١٩٥٦ أى قبل العدوان اليهودى الإنجليزى الفرنسى بشهرين .. لماذا ؟؟

كان من المفروض أن تقوم القيادة السياسية بالحصول على السلاح بأى شكل ، وأن تعتمد على نفسها فى تصنيعه ، وأن تضع خطة لحرب تستدرج فيها العدو لمعارك ، تغنم فيها السلاح الذى تحتاجه ، كما كان يفعل الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، وكما كان يفعل المجاهدون الأفغان منذ ثلاثة عشرة عاما ، ولكنها لم تفعل !!

كان من المفروض على القيادة السياسية التى زعمت أن من أسباب الانقلاب الذى قامت به ، الهزيمة التى منى بها الجيش على أرض فلسطين ، أن تأخذ زمام المبادرة لتحرير فلسطين ، وتفتح المعسكرات وتربى الأمة على مفهوم الإسلام الشامل ، وتربى الشباب تربية جهادية ، وتعلن إحياء فريضة الجهاد لتحرير فلسطين .. لكن القيادة لم تفعل .. وقصرت فى هذه الوجبات وغيرها ..

(*) لعبة الأمم وعبد الناصر ، ص ٢٩٤ .

بل وارتكبت أخطاء قاتلة عرضت الأمة للدمار .. إنها تركت العدو يشن العدوان عام ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧(*) ولا ترد عليه !!!

مثال ذلك هجوم اليهود على أرض مصر عام ١٩٥٦ وما سبقه وما تلاه من أحداث ..

لقد هجمت إسرائيل على غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ .. وقتلت عددا من أبناء الجيش المصرى ولم يحرك النظام المصرى بقيادة البكباشى جمال عبد الناصر ساكنا ، ولم يرد ، ولم يعمل القائد أية حسابات أو استعدادات لأية مواجهة عسكرية محتملة .. لماذا ؟ الدليل حجم التسليح الذى كان

(*) ففى الثامنة صباحا ٥ يونيه ١٩٦٧ كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم جميع المطارات المدنية والعسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة لقد استطاعت أن تغير عليها جميعًا فى وقت واحد وبأسراب متلاحقة .

« استطاعت الطائرات أن تخرج من مطاراتها فى الساعة المحددة وأن تطير متجهة غربًا فوق البحر بارتفاع منخفض حتى إذا تجاوزت الاسكندرية اتجهت متوزعة فى طيرانها المنخفض إلى جميع المطارات تحطم ما أمكن تحطيمه وتعطب الممرات الجوية وتلقى من صواريخها وقنابلها قنابل زمنية توالى العمل فى الدقائق القليلة التى تغيب فيها الأسراب المغيرة ، حتى لا يوجد وقت لتلافى الكارثة أو اللحاق بالعدو » .

« كانت هذه المفاجأة اليهودية خطيرة بالنسبة للإعداد العربى ، وقد استطاعت قاعدة العدوان اليهودى أن تختار لها الطريقة التى تضمن نجاحها وأن تستعمل فيها كل سلاحها الجوى حتى لم تبق فى مطاراتها إلا ثمانى طائرات كما صرح بذلك الجنرال مردخاى قائد السلاح الجوى اليهودى » .

« وقد قبلت إسرائيل أن تقوم بهذه المغامرة الخطيرة التى كان من الممكن أن تنقلب شرًا ودمارًا عليها - لو لم تنجح فى تنفيذ خطتها بإتقان - فى سبيل التخلص من سلاح جوى قوى هو سلاح الجمهورية العربية المتحدة والذى كان مخيفا لليهود ، وكان ملتزمًا أيضًا بالدفاع عن الجبهتين الأردنية والسورية ، وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه الغزو الجوى اليهودى لمطارات مصر جميعها ، بدأ الهجوم البرى آمنًا مطمئنًا ، جانب عربى (الجيش المصرى) يقبع فى الصحراء منذ أكثر من أسبوعين تخلو سماؤه من أية حماية جوية ، وجانب (اليهود) قصيرة خطوط تموينه ، قريب من مناطقه العامرة والمحصنة ، معزز بسلاح جوى حطم سلاح عدوه ، وتفرغ لأن يكون فى عون الدبابات والمشاة والمظليين » .

« ولقد وضح بعد أيام أن القيادة المصرية أصيبت بشلل فكرى نتيجة المفاجأة اليهودية ، فلم تستمر فى توجيه الجيش المصرى والقوات المهمة المرابطة فى سيناء توجيهًا مدروسًا ومفيدًا ، فانفرط بذلك عقد النظام ، وسرى الخلل فى صفوف الضباط والجنود الشجعان المرابطين وسط الصحراء ، وحين وصلت بعض الأوامر كانت مربكة ، فبينما يطلب من البعض الدفاع يطلب إليه الهجوم ، وبينما يطلب من البعض الانسحاب يطلب إليه الدفاع ، وكما حدث للقيادة فى القاهرة هذا الاضطراب الخطير حدث أيضًا لبعض من كانت اختارتهم قوادا فى الجبهة ، وقد أوضحت محكمة الثورة بالقاهرة خلال شهر أبريل ١٩٦٨ أن قائدًا برتبة لواء كان يقود فرقته (الرابعة المدرعة) التى كان عددها أكثر من قوة العدو المواجهة ، ومدرعاتها أكبر وأقوى مما لدى العدو ، ولم يشترك طيران العدو ساعتئذ فى المعركة ، ومع هذا فقد أصدر الأمر بالانسحاب للمرة الأولى ثم للمرة الثانية ، ثم ادّعى أنه مطلوب فى مكان بعيد وتخلى عن فرقته ، الأمر الذى سبب خسائر جسيمة لتلك الفرقة الشجاعة التى قاتلت وهى تنفذ أمر القائد بالانسحاب حتى استطاع العدو أن يتغلب على دفاعها المجيد فى أحد الممرات الضيقة بالصحراء » (جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن) .

يطالب به ، لا يكفى لمواجهة عسكرية مع العدو ، إنما يكفى فقط لحفظ نظام حكمه ولعمل الاستعراضات العسكرية للتغرير بالجماهير ، كما أن الاتصالات بينه وبين اليهود كانت تطمئنه (تنومه هى الكلمة المناسبة) بأنه إذا كان هناك تحركات على الحدود فهى لن تصل إلى مواجهة عسكرية كبيرة بين مصر وإسرائيل ، كما أن الاتصالات بينه وبين أمريكا أيضا كانت تزيد فى اطمئنانه (وهى مخادعة غادرة) .

كل الذى حرك القيادة المصرية ، حادثة الهجوم على غزة ، التى دفعتها دفعا إلى استعجال صفقة الأسلحة التشيكية للدفاع ، وليس للهجوم أو المبادرة بالهجوم أو المواجهة مع إسرائيل .. وقد أعلن ذلك عبد الناصر فى إحدى خطبه : « إننا حينما نبنى هذا الجيش إنما نبنيه من أجل السلام » .

اتخذ الرئيس المصرى عبد الناصر قرارًا بزيادة وتوسيع غلق مضايق تيران أمام إسرائيل فى بداية سبتمبر ١٩٥٥ ، رغم استمرار الاتصالات السرية بينه وبينها ، وكان ذلك على سبيل الردع وليس على سبيل المواجهة .. هذا القرار كان لابد وأن يسبقه إعداد واستعداد ، ويعقبه يقظة على حركة العدو .. ولكن القائد الملهم لم يفعل .

إن عبد الناصر بهذا القرار أعطى اليهود أمام المجتمع الدولى مبررا لتصعيد عدوانه .

وتساءل الكاتب هل هذا الذى حدث كان بغير قصد ؟ أم أنها مقامرة بمصير الأمم ؟؟ هكذا كانت قيادة مصر !!!

الشىء الأخير أن نذر حرب ١٩٥٦ قد أعلن بها بن جوريون فى الكنيست اليهودى فى نوفمبر ١٩٥٥ ، وقد وصلت هذه الرسالة إلى عبد الناصر .. فماذا فعل لمواجهة العدوان أو لإجهاض خططه وأهدافه ؟؟ لا شىء .. استمر منوما أو مخدرا وكذلك فعل بالأمة ريثما هجم اليهود واعوانهم وحققوا أهدافهم !!(١)

لقد كان أمام الجيش المصرى حوالى عشرة أشهر ما بين حصوله لصفقة الأسلحة التشيكية وهجوم اليهود فى أكتوبر ١٩٥٦ .. لماذا لم تستثمر هذه الفترة فى الإعداد والاستعداد ؟؟

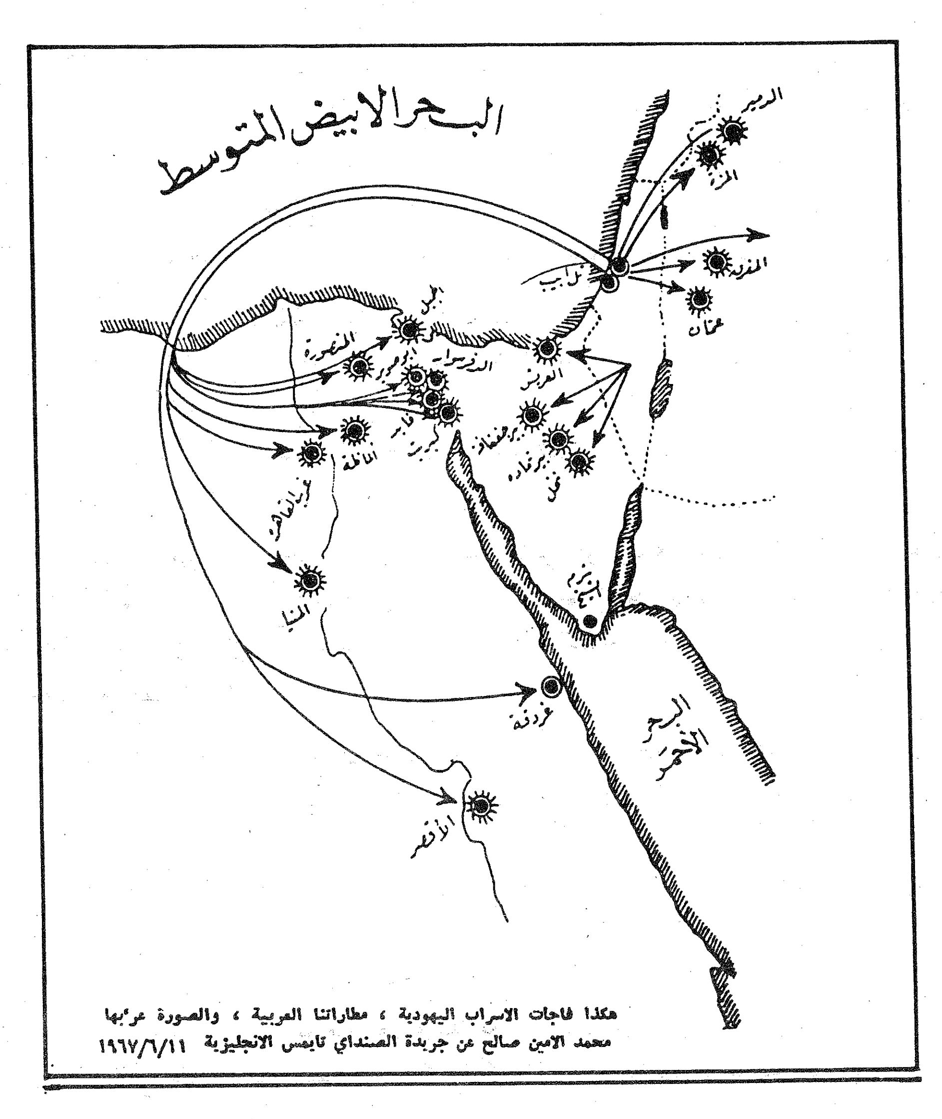
ثمة مسائل كثيرة أخرى .. ألم يكن من الواجب على زعيم القومية العربية بعد أن سمع التهديد الصادر من اليهود على لسان بن جوريون ، أن يقوم بجمع شمل الدول العربية وحشد قواها لأية مواجهة مرتقبة مع اليهود والعمل لتحرير فلسطين ؟؟

نعم .. لقد قام رائد القومية العربية بهذا فعلا ، ولكن بهدف تجميد قوة هذه الدول العربية فى حالة وقوع العدوان على مصر .. لماذا؟؟ لتمكين اليهود من تحقيق أطماعهم ؟ .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر ، ص ٢٧٩-٢٨٤ .

فقد عقدت مصر اتفاقية دفاع مشترك بينها وبين السعودية واليمن فى ٢١ أبريل ١٩٥٦ كما عقدت ، اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا والأردن حيث تولى عبد الحكيم عامر القيادة العامة للجيوش الثلاث من أجل التصرف واتخاذ القرار والإجراء المناسب ضد اليهود .



هكذا فاجأت الاسراب اليهودية ، مطاراتنا العربية ، والصورة عربها محمد الامين صالح عن جريدة الصنداي تايمس الانجليزية ١٩٦٧/٦/١١

(عن جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن)

وحينما وقع العدوان على مصر عام ١٩٥٦ كان من المفروض وضع الاتفاقيات ومعاهدات الدفاع المشترك مع الدول العربية المواجهة للدولة اليهودية بالإضافة إلى ميثاق الدفاع العربى المشترك واتفاقاته الموقعة مع الدول العربية موضع التنفيذ .. ولكن جمال عبد الناصر رفض .. ورفض باصرار .

رفض دخول الأردن رغم أنّه يقع على خط المواجهة مع إسرائيل بطول ٦٥٠ كيلو متر وكان لديها تسليح جيد ...

ورفض عبد الناصر دخول سوريا رغم أنه كان لديها فى مرتفعات الجولان سلاح كاف وخطة عسكرية جاهزة لمواجهة قاعدة العدوان اليهودية ، رفض عبد الناصر رغم علمه بالتواطؤ الانجليزى الفرنسى مع اليهود .

« بل الأنكى من ذلك أن عبد الناصر كانت تعليماته أن هجوم اليهود عام ١٩٥٦ هى معركة الاستعمار مصر وليست معركة العروبة إسرائيل وعدم إجراء أى عمليات ضد إسرائيل »[(١)] .

وهكذا شل عبد الناصر القوى العربية المواجهة لإسرائيل والتى كانت فى تلك الآونة فى قمة حماسها لمعاونة جيش مصر .

ماذا يعنى ذلك ؟ ولمصلحة من ؟

علق على ذلك كاتب بقوله : لم يكن هناك أمل لدى بن جوريون وموشى ديان فى تحقيق أهدافهم التكتيكية والاستراتيجية أروع من منع القائد الأعلى وهو عبد الناصر للقوات العسكرية العربية من التدخل فى المعركة .

إذن لماذا كانت الاتفاقيات أو المعاهدات للدفاع المشترك بين مصر وبقية الدولة العربية ؟ الهدف من تكوين وإقامة هذه التحالفات العربية لكى يمكن السيطرة على الدول العربية والتحكم فى حركتها فى المنطقة وخاصة ضد اليهود وهذا هو الذى فعله عبد الناصر فى مواجهة العدوان اليهودى لقد قيد حركة رد الفعل المضاد للدول العربية فى تلك الآونة ... من هنا كان تقييد عبد الناصر لحركة الدولة العربية فى حرب ١٩٥٦ وإطلاقها وتوسيعها فى عام ١٩٦٧ ؟

وهكذا قدمت قرارات القيادة المصرية خدمة ما بعدها خدمة لليهود :

سحب جيش (الجيش المصرى) مازال مندفعا فى طريقه إلى أرض المعركة .. والأمر بالانسحاب مهما كان الثمن .

سحب الطيران المصرى نهائيا من المعركة ولا حتى من تغطية الانسحاب « على الطيران المصرى ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة وليس مهما تدمير الطائرات المصرية » .

---

(١) لعبة الأمم وعبد الناصر ، ص ٢٨٠-٢٨٤ .

« إرباك الجيش بجملة انشائية سخيفة .. « الالتحام مع الشعب » التى لا مكان لها فى التوجيهات العسكرية ، فالالتحام يكون مع العدو .. فى معركة طاحنة .. وكان أن فهمها العسكريون بأنها تعنى الاختفاء داخل الحدائق وبين المنازل .. والتحول إلى المقاومة الشعبية » .

« إن أمر الجيش « بالالتحام مع الشعب » تعبير معروف يقصد به حَلّ الجيش أو الاعتراف بانحلال الجيش » .

« ثم الانسحاب من سيناء كلها لتحتلها إسرائيل بالكامل كما احتلت مضايق تيران ، وأعلنت حرية الملاحة الاسرائيلية فيه » .

- « تحول الجيش المصرى بنص عبارة عبد الناصر إلى بقايا جيش محطم » .

- « دخول القوات اليهودية إلى شرم الشيخ وهى الهدف النهائى للهجوم اليهودى (بعد وقف إطلاق النار) وبعد أن أتمت القيادة المصرية انسحاب قواتها بالكامل من شبه الجزيرة ، وقد وصل الجنرال دايان إلى شرم الشيخ فى طائرة صغيرة قبل أن تصلها القوات الإسرائيلية ، وكان مطمئنا لأنه يعرف أنه لم تعد هناك قوات مصرية » .

ويعلق صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية[*] :

تسليم وتسلم .. هذه بلاد بيعت أوخينت وسلمت قصدا .. وأخذت بلا قتال ، لماذا تنسحب القوات المصرية من شرم الشيخ قبل أن يصل إليها الإسرائيليون وبعد وقف إطلاق النار ؟؟؟

إن الانسحاب بالصيغة التى صدر بها كان يعنى وقف إطلاق الناروتسليم سيناء بلا قيد ولا شرط .

لقد خسرت مصر جميع الأسلحة البرية والجوية ، إذ ضرب الإنجليز الطيران وهو على الأرض فى يوم واحد ، وانفرط عقد الجيش تماما ، وصدر الأمر - كما يقول هيكل ، والكلام هنا لصاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية - للكتائب الثمانية فى سيناء أن تنسحب .. « كل رجل على مسئوليته » .. أى تفرقوا .

« انسحب الضباط ومن نجا من الجنود بالملابس المدنية بعد أن هجروا أسلحتهم الثقيلة وباعوا الخفيفة للبدو مقابل الحصول على جلباب وحذاء غير عسكرى وجرعة ماء .. وكانت إسرائيل تعتقل الضباط وتترك الجنود وتجبرهم على عبور سيناء جياعا شبه عراة .. ومطاردتهم بالطائرات فيما يشبه صيد الآدميين ، وقد خلا لها الجو » .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٥٨٠ .

وقالت جولدا مائير : « إنهم انتقوا خمسة ألاف فقط كأسرى من بين ثلاثين ألف جندى مصرى كانوا هائمين فى سيناء بلا ضابط ولا رابط » فريسة مكشوفة للطيران الإسرائيلى الجبان ، الذى لا يظهر إلا بعد تدمير الطيران المصرى !

هل هذه الخطة كانت أبرع من استشهاد ضباطنا فى ثيابهم الرسمية فوق دباباتهم وعلى رأس جنودهم ؟؟

دمر اليهود طرق الموصلات والسكك الحديدية فى سيناء وكذلك تم وضع ألغام على هذه الطرق !!

المذابح مستمرة ، والتخريب قائم على نطاق واسع فى جميع المنشآت الموجودة فى سيناء ، وكان اليهود يسرقون البترول الخام من سدر وبلاعيم فى مراكب تتجه إلى إيلات .

هذه هى قصة أكمل وأشمل انتصار حققه العرب فى العصر الحديث بالمعنى الحقيقى للنصر فى هذا العصر كما يقول هيكل !!!

«إن عبد الناصر – كما يقول محمد جلال كشك – يحمل المسئولية الكاملة فيما نزل بجيشنا» .

« إن قرار الانسحاب هو الذى أوقف المقاومة المصرية للقوات الإسرائيلية ، ولقد كانت مقاومة باسلة ، وعلى أعلى مستوى ، وكان يمكن أن تغير الصورة لولا الأمر بالانسحاب !!!

وكأن القيادة المصرية كانت تعمل مع القوات الإسرائيلية ، وإلا فكيف تفسر موقفها من هذه القوات ، التى وصفها بأنها « صامدة » ومستمرة فى القتال ولا سبيل لتأمين سلامتها ، بل ولا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة – فإذا بالقيادة تنفض يدها منهم ، بل وياليت تركتهم يقاتلون إلى آخر جندى أو إلى آخر طلقة ثم يؤسرون كما يحدث فى كل الحروب ، بعد أن يعطلوا تقدم العدو ويكبدوه خسارة ممكنة .. لا .. يأمرهم بالانسحاب ! كل رجل على مسئوليته وهو أمر لا يعنى إلا التمزق والتحلل من الانضباط العسكرى والروح الجماعية ، كل منهم يحاول النجاة بجلده ؟!

وكان الانسحاب شاقا وعسيرا .. خاصة وأن القوات المنسحبة فقدت أى غطاء جوى – بعد قرار وقف النشاط الجوى المصرى وأصبحت هدفا للطائرات النفاثة المغيرة التى تستخدم ضدها المدافع الرشاشة والصواريخ والقنابل وقذائف النابالم المحرقة . (ثورة يوليو ، ص ٥٦٥) .

ولم يكن هناك أى أمل فى النجاة أو الرد على الطائرات المغيرة ، ولم يكن ثمة مكان تختفى فيه هذه القوات ، فالأرض صحراوية مكشوفة وتعلوها الرمال .

هذا مافعله عبد الناصر بآبائكم وإخوانكم وأبطال جيشكم ؟ وبمقدساتكم !!!

وفى حرب ١٩٦٧[*] لم تترك القيادة المصرية ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها النصر العربى إلا سدتها ، ولا غلطة يمكن أن يستفيد منها العدو إلا ارتكبتها ...

- رفضوا البدء بالهجوم .
- قرروا تلقى الضربة الأولى ونشروا ذلك علنا فى الأهرام لإخطار العدو (إسرائيل) رسميا .
- تركوا طائراتنا فى العراء بعد ما ألغوا بند تغطية الطائرات فى ميزانية ١٩٦٦/١٩٦٧ .
- أصدروا أمرا إلى قوات الدفاع الجوى بعدم إطلاق النار على أية طائرة لأن طائرة المشير فى الجو لحظة الهجوم الإسرائيلى .
- غيروا الشفرة صباح يوم الهجوم لكى لا يتلقوا إخطار محطة الإنذار المبكر التى أقيمت فى الأردن لمهمة واحدة هى الاخطار عما يحدث للطيران الاسرائيلى فلما أبلغت المحطة عجزت مصر عن تلقى الاشارات لأن الشفرة تغيرت.. وبعدها بالصدفة قتل عبد المنعم رياض لكى لا يحكى عما شاهده فى الأردن .. وسمعه فى تلك اللحظات . (ثورة يوليو ، ص ١٦) .

وكل هذا حدث فى أثناء المعركة .. ومن قبل كانوا قد دمروا الجيش فى حرب اليمن ... وأفقدوه قدرته القتالية بالجاسوسية والإرهاب والفساد ، إنهم ساقوا مصر عن سبق ويقين إلى حرب يعرفون أنها محتومة الخسارة .

« ومات عبد الناصر ومصر تفقد سيناء ، والعدو يقف على الضفة الشرقية لقناة السويس ، مات والعدو اليهودى قد اغتصب الجولان .. والقدس والضفة الغربية لنهر الأردن .. مات ومصر وزنها صفر من الناحية العسكرية وكرامة كل مصرى جريحة ، والسخرية بقدراتنا العسكرية ، وكفاءة جنودنا موضع تندر الصحافة » .

(*) هل كانت القيادة السياسية والعسكرية لديها علم عن خطة اليهود بضرب الطيران المصرى فى ٥ يونيو من الثامنة إلى التاسعة صباحا .. وما هو موقفها ؟

« نعم كان لديها علم ، من خلال ضابط فرنسى خبير دولى فى الطيران كان يعمل مع قائد سلاح الطيران اليهودى عزرا وايزمان فى عام ١٩٦٧ وقد حضر هذا الخبير اجتماعات الاعداد والتخطيط لضرب مصر جويا ، وألغى عقده فى إسرائيل فى مايو ١٩٦٧ ، فذهب بعد خروجه إلى عز الدين شرف سفير مصر المفوض فى باريس وقدم له معلومات عن خطة إسرائيل فى ضرب الطيران المصرى ، ووصلت المعلومات بدورها إلى الرئيس جمال عبد الناصر » .

« وذلك يعنى أيضا أن الخطة اليهودية لضرب مصر فى يونيو ١٩٦٧ كانت معدة قبل اتخاذ عبد الناصر قراره بسحب قوات الطوارىء الدولية وغلقه خليج العقبة » .

فماذا يعنى ذلك ؟ هل يعنى أن القيادة السياسية قد قامت بعمل استفزازى يتيح للعدو أمام المجتمع الدولى ، المسوغ لتدمير أمتنا فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وفى نفس الوقت قيدت القوات المسلحة ، ومنعتها من الحركة حتى تتلقى الضربة القاضية (لعبة الأمم ، ص ٣١٤ ، ٣١٥) =

مات ومصر قد دخلت فى زمام الهيمنة اليهودية والنفوذ الأمريكى .

وهكذا عاونت الاستراتيجية السياسية والعسكرية لضباط الثورة المصرية (الانقلاب العسكرى) العدو اليهودى فى تحقيق أهدافه .

يقول صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر :

وفرضت الدول الكبرى عبر المنظمة الدولية على القوات اليهودية .. مغادرة غزة وشرم الشيخ مقابل تعهد بأن الأمم المتحدة ستضمن حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية فى مضيق تيران ، وإنه لن يسمح بعودة الجيش المصرى إلى غزة .. ويعلق على ذلك صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية(*) صفحة ٥٨٣ :

= فرغم علم القيادة المصرية أن اليهود سيضربون مصر ٥ يونيه ١٩٦٧ فقد صدرت أوامر القيادة العامة للطيران مساء ٤ يونيه ١٩٦٧ بتخفيض تحميل الطائرات من الذخيرة بنسبة ٢٥٪ والسماح بأجازات للطيارين بنسبة ١٥٪ من قوة الطيران المصرى وهو المعدل العادى على أن ينفذ اعتبار من صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ (وهو اليوم الذى كانت تعلم القيادة المصرية أن اليهود سيضربون فيه ضربتهم الأولى والقاضية) .

بل فى ذات مساء ٤ يونيو صدرت أوامر للدفاع الجوى فى الساعة الخامسة فجر يوم ٥ يونيه أى قبيل الهجوم بأربع ساعات . بمنع الضرب على أى هدف طائر على مستوى الجمهورية اعتبارا من الساعة السابعة والنصف صباحا تحت ذريعة تحليق طائرة المشير عامر بالطيران فوق الجبهة .

وعلى ذلك فقد توقفت بطاريات الصواريخ التى كانت فى حالة تأهب كامل وساخنة للاقاة أو التصدى لهجوم الطيران الاسرائيلى بالإضافة إلى نصف قوة رجال الدفاع الجوى قاموا بممارسة الطوابير العادية والرياضة فى صباح يوم ٥ يونيه وقبيل الهجوم بساعتين .

وهناك شيء آخر أكثر غرابة ، إذ أن الاحتياطى سُرّح قبل بدء العمليات وقبل ميعاده .

وبهذه الإجراءات التى لا تتفق مع الاستعداد الحقيقى والجاد لمواجهة عدوان إسرائيل ، تلقت مصر الضربة الأولى القاضية (لعبة الأمم وعبد الناصر ، صفحة ٣١٧-٣٢٥) .

بل الأنكي من ذلك قد علم القائد العام بخروج الطائرات الإسرائيلية من قواعدها فى إسرائيل لضرب مصر ، وكان ذلك البلاغ قد وصل إلى غرفة العمليات بالاسماعيلية عن اتصال مباشر من قيادة الدفاع المشترك فى الأردن والذى كان قائدها فى ذلك الحين الفريق عبد المنعم رياض ، وكانت تلك الإشارة وصلت على النحو التالى .. « ان الرادار قد إلتقط طلعات من مطارات اسرائيل بأعداد ضخمة وذلك قبل وصول الطيران الإسرائيلى إلى الحدود بعشرين دقيقة (٥ يونية ١٩٦٧) .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، صفحة ٥٨٣ « وقد أبدى مندوب الاتحاد السوفيتى فى الأمم المتحدة دهشته علنا من قبول مصر لهذه الشروط ،وقال :إنها لا تحتاج لقبول البوليس الدولى ولكن إذا كانت هذه رغبتها فهو لا يمانع .. وعرفنا بعد ثلاثين عاما أن فكرة البوليس الدولى كانت فكرة مصطفى أمين وهيكل والعضو الأمريكى فى محطة المخابرات الأمريكية فى مصر » (نفس المرجع ، ٥٩٢-٥٩٣) .

ومع ذلك قبل عبد الناصر هذه التنازلات لإسرائيل مع أن العالم كله كان معه :

١ – فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية وإزالة الوجود العسكرى المصرى فى تيران وشرم الشيخ ، بل وإزالة السيادة المصرية الفعلية هناك ، وإن بقيت اسما وسلمت المنظمة لقوات البوليس الدولى .

٢ – تجميد الحدود المصرية – الإسرائيلية – بالبوليس الدولى الذى قبل أن يوضع على جانب واحد من خط الحدود وهو الجانب المصرى فأصبحت مصر عمليا فى نفس وضعها بعد كامب ديفيد ، أى خارج إمكانية المواجهة .. وقد علم بعد ذلك أنه إلى جانب القوات الدولية فقد كانت هناك اتفاقية سرية بين مصر وأمريكا بتجميد الوضع عشر سنوات وهو ما حدث .

وبهذا أصبحت إسرائيل الدولة الثانية التى تطل على البحرين الأبيض والأحمر وكانت الخطوة التالية هى بناء ميناء وخط أنابيب ينقل النفط من إيلات على البحر الأحمر إلى اسدود على البحر الأبيض منافسين لقناة السويس وخط التابلاين الذى ينقل النفط السعودى .

كما يربط الميناء الجديد إسرائيل بإفريقيا ودول أسيا .

وقد نقل صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية تعليق د. عبد العظيم رمضان .. « ومرور الملاحة الإسرائيلية فى مضيق تيران يعتبر أضخم مكسب حصلت عليه إسرائيل » منذ أن احتلت ميناء أم الرشراش .

إذ تحول ميناء إيلات إلى ميناء عالمى ، استعاضت به إسرائيل عن قناة السويس لنقل البضائع والبترول بين آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وكانت هناك ثلاث شركات ملاحية تعمل بواخرها بانتظام بين إيلات والساحل الشرقى لإفريقيا ، وقامت الخطوط الملاحية بربط إسرائيل باليابان وبورما وسيلان وشرق إفريقيا وغربها واستراليا .

كما قامت إسرائيل بمد خط أنابيب البترول من إيلات إلى معامل التكرير بحيفا .. كما أنشأت مطارا عسكريا شمال إيلات وهو المطار الثانى بعد مطار اللد .

تسرب النفوذ الإسرائيلى فى افريقيا تدعمه الاستثمارات الاسرائيلية والامبريالية وتنوع النشاط الإسرائيلى فى الميادين الثقافية والعسكرية والاقتصادية .

نزع سلاح غزة ، ومنع الجيش المصرى من دخولها ، وكان هناك منذ عهد من سماهم الثوار « الرجعية التى خانت قضية فلسطين » .

وحرمت مصر من الإمكانية الممتازة للقطاع فى دعم أى هجوم مصرى ، بل أوقفت العمليات الفدائية التى كانت تتم فى القطاع .

قالت جولدا مائير : زال رعب الفدائيين ، تقررت الملاحة فى مضيق تيران وقوات الطوارىء تحركت إلى قطاع غزة وشرم الشيخ ، وكسبنا نصرا .

وانتهت معركة صفقة السلاح وتحطيم احتكار السلاح وهدير الطائرات والدبابات فى شوارع القاهرة ، والاستعراضات السمينة لا الهزيلة .. انتهى ذلك كله بحاجز يمنع تكرار الاشتباكات .

إلا أن صفقة الصلاح الروسى لم تفد مصر أثناء العدوان الثلاثى على مصر بل وان رئيس مصر فى ذلك الوقت وهو جمال عبد الناصر ، قد عطل قدرات هذه الأسلحة عن العمل ، بل قد سلم الكثير من السلاح للعدو فى صناديقه (فقدت مصر فى سيناء سلاحا بمائة وثلاثة ملايين جنيه مصرى (بجنيه ما قبل الاشتراكية)[*] .

(*) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٥٨٠-٥٩٠ .

المبحث الرابع

حصيلة المكاسب التى حققها اليهود والأمريكان فى ظل حكم العسكر للعالم العربى

استدرجت مصر لحرب حدد العدو اليهودى زمانها ومكانها وكان حكم العسكر قد هيأ الأمة لتهزم أمام اليهود وأعوانهم ، وقد أسفرت هذه الغزوة اليهودية الأوربية عن تحقيق المزيد من المكاسب والتوسع لبنى يهود وأبناء أوروبا على حساب الأرض الإسلامية .

فقد أصبح الطريق مفتوحا أمام اليهود عبر ميناء إيلات إلى البحر الأحمر وإلى آسيا وافريقيا والشرق الأقصى تحت حماية المنظمات الدولية ، وبهذا كسر الحصار الذى كان مفروضا على اليهود فى منطقة البحر الأحمر .

قوات دولية « أعداء الأمة » ترابط فى أرض مصر بين مصر وقاعدة العدوان اليهودى ، فى جزيرة تيران وعلى مشارف خليج العقبة[*] ، وذلك يعنى حماية دولية للقاعدة العدوانية فى قلب الوطن العربى ، وحرمان حركة الجهاد الإسلامى لتحرير فلسطين من الانطلاق من الدول المجاورة لتحرير فلسطين المغتصبة ، ويعنى أيضا فقدان الأمة أيضا لسيادتها على جزء من أرضها .

ومن العجب أن ذلك يحدث فى ظل قادة الانقلاب العسكرى الذين زعموا أن هزيمتهم فى حرب فلسطين ١٩٤٨ كانت الدافع وراء انقلابهم .

وقد سبق هذه الهزيمة لأمتنا ، تصفية بعض رجالات الحركة الإسلامية .. حركة الإخوان المسلمين فى مصر ، عام ١٩٥٤ ، على أيدى قادة الانقلاب العسكرى ، خوفا من تداعيهم لإحياء فريضة الجهاد وتصديهم للعدوان اليهودى عند وقوعه .

(*) إيلات أو أم الرشراش ميناء صغير يطل على خليج العقبة ، كان جزءا من الحدود السعودية فانتزعه الانجليز عام ١٩٢٥ وضموها للأردن وفى مارس ١٩٤٩ أمر جلوب نائبه بالانسحاب منه ليحتله فى ١٠ مارس ١٩٤٩ دون طلقة واحدة .

وخليج العقبة الذى تقع إيلات على رأسه طوله مائة ميل ، وأوسع مناطقه ١٧٠ ميلا ومدخله ٩ أميال .. تسده جزيرتان يتران وصنافير وهما سعوديتان وتقعان داخل الثلاثة أميال وجزيرة تيران تقسمه إلى فتحة سعودية مليئة بالصخور وفتحة مصرية عرضها ٤ أميال بها ممران والممر الوحيد الصالح للملاحة هو الممر المصرى بالقرب من شرم الشيخ ورأس نصرانى .

وقد تكرر ذلك عام ١٩٦٥ حينما قام حكم العسكر بالتصفية الثالثة لرجالات الدعوة الإسلامية ، وعلق سيد قطب وإخوانه على اعواد المشانق ، وزج بالشباب المسلم والرجال والنساء فى السجون والمعتقلات ، لتهيئة الأمة لعدم المقاومة فى حالة وقوع عدوان يهودى يستهدف المزيد من أرض العالم العربى .

وفى عام ١٩٦٧ ، استدرج العدو اليهودى الأمة العربية كلها إلى معركة ، حدد أهدافها وزمانها ومكانها ، وكانت النكبة الكبرى ، انسحب الجيش السورى من هضبة الجولان ، ليحتلها اليهود .. وانسحب الجيش المصرى من سيناء لتطأها أقدام اليهود وتصل حتى الشاطىء الشرقى لقناة السويس ، وأصبح الطريق مفتوحا أمامهم إلى القاهرة ، لو رغبوا وأخذ اليهود القدس ، والضفة الغربية لنهر الأردن .

وأثناء وبعد ذلك كان يجرى تنفيذ المخطط اليهودى الأمريكى للخلاص من المنظمات الفلسطينية المجاهدة وإنهاك موارد الأمة حتى تركع تحت أقدام العدو .. وكانت حروب الاستنزاف التى استنفذت طاقات الأمة ، وكانت مبادرة روجرز ، وقبلها الزعيم الخالد ...

وكانت حرب ١٩٧٣، وكانت الثغرة ، ومفاوضات الكيلو ١٠١، ومبادرات الاستسلام ، عبر قنوات محجوبة عن العيان ، وآخرها ما كان ظاهرا للعيان ، وكانت كامب ديفيد ، وفيها جرت أكبر جريمة فى حق الأمة المسلمة وتاريخها ، إذ سلم النظام المصرى بأن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين ، هم أصحابها ، وجرى التطبيع ، وفتحت السدود والحدود أمام المخططات اليهودية وتنفيذها عبر ديارنا وبأيدى بعض أبنائنا ...

وبعد أحد عشر عاما من كامب ديفيد وقعت أحداث الخليج ، لتساهم فى جملة أمور تخدم فى النهاية هدف العدو اليهودى الأوروبى الأمريكى :

- اجهاض الانتفاضة الفلسطينية .. واليقظة الإسلامية المتنامية فى كافة ديار الإسلام والجهاد الأفغانى ...
- وضع اليد على ثروات العالم الإسلامى وخاصة البترول ، لينعم به أعداء الأمة ، وتظل الأمة تتسول رغيف خبزها وجدولة ديونها .
- استهلاك مدخرات العالم العربى فى بنوك الغرب ، وبهذا تحولت دول البترول من دول دائنة إلى دول مدينة .
- أن تظل ديار الإسلام سوقا لتصريف منتجات العدو وأوروبا من السلاح وغيرها .
- إشاعة الحروب والفتن داخل ديار العالم العربى ، وتمزيق وحدة الأمة ، لتكوين الدويلات الطائفية ، وذلك كله تمهيدا وتمكينا لليهود من تحقيق حلمهم بدولة من النيل إلى الفرات .

وهكذا أصبحت الأمة فى موقع الخطر المباشر فاليهود المتسترين بالجنسيات الأمريكية والانجليزية والفرنسية يحتلون قواعد لهم فى منطقة الخليج العربى وفى العراق وفى جزيرة العرب وفى المدن والثغور والبلاد التى تطل على البحرين الأبيض والأحمر .

وقد تم كما قلنا عبر مرحلة ليست بالطويلة أو القصيرة ، تحت سمع وبصر المنظمات الدولية ، وتحت سمع وبصر الأمة وبمعاونة خفية وظاهرة من بعض الأنظمة العسكرية التى تحكم العالم العربى .

ولما كانت الأحداث تتابع بسرعة مذهلة ، وأصبحت أمتنا فى موقع الخطر المباشر ولا يسمح الوقت لنا بحجب ماتم إعداده من دراسات حتى ننتهى من إعداد بقية الفصول التى تكشف المؤامرة الضخمة التى تمتطى ظهر المنظمات الدولية والمحلية ، والتى تتخذ الأنظمة الحاكمة فى كثير من بلاد العرب والمسلمين مطية أيضا لتحقيق أهداف مخططاتها فإننى أحيل القارىء إلى مجموعة من المؤلفات التى يمكن أن تساهم فى كشف النقاب عن المؤامرة التى قادها زعماء وثقت فيهم الأمة وسلمت نفسها لهم ، سلمت ثقتها ، سلمت شبابها ، سلمت أموالهما ، سلمت مقدساتها .. وكانت النتيجة ...

ضياع الأمة .. مصرع الكثير من شبابها .. ضياع ثرواتها ومقدساتها .. وحسبنا هنا أن ننقل بعض ما نشر عن أحداث ووقائع عن نكبة الأمة العربية ، مع تعليقات بسيطة ، لعلها تدفع الأمة إلى المزيد من البحث والاطلاع ، لتدرك حجم المؤامرة ، ولتدرك كم كان تقصيرها .. حينما تركت الضوابط الشرعية فى اختيار زعمائها وقادتها .. كم كان تقصيرها حينما نسيت إسلامها كنظام سياسى واقتصادى وجهادى .

- كم كان تقصيرها حينما رأت الإسلام معطلا فى ديار الإسلام وهى لا تحرك ساكنا .
- كم كان تقصيرها حينما قبلت أن تستبدل الماركسية والاشتراكية والديمقراطية بالإسلام .
- كم كان تقصيرها وهى ترى رجالات الدعوة الإسلامية يذبحون وهى تقول .. اذبح ياجمال (عبد الناصر) .
- كم كان تقصيرها حينما بدا الجهل والغدر والخيانة واضحا من بعض القادة ، ورغم ذلك واصلت اعطاءهم صفقة يدها .
- كم كان تقصيرها حينما قبلت بأن تساق لتوقيع صلح مع العدو الذى اغتصب ديارها ونساءها ، وقتل أخواتها وإخوانها ، ورمل النساء وأيمهم ، ويتم الأطفال وشردهم .
- كم كان تقصيرها حينما قبلت أن تستدرج ، وما زالت ، إلى الخطو على .. طريق الاستسلام الذى سيؤدى حتما إلى أن تلقى حتفها إن لم تتدارك أمرها .

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد »

المبحث الخامس
أسباب النكبة

ماهى أسباب هذه النكبة .. تساءل كاتب « لعبة الأمم وعبد الناصر » ص ٣٢٣ .

هل كان هناك خيانة عام ١٩٦٧ ؟؟ فالهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ لم تقتحم مصر من الخارج بقدر ما اقتحمت مصر من الداخل ، فما هى عوامل الهزيمة من الداخل والتى فجرها اقتحام إسرائيل لمصر ؟؟ وعرض الكاتب لتقرير الفريق أول محمد فوزى أمام مجلس الوزراء برئاسة عبد الناصر فى فبراير ١٩٦٨ :

« كنا نتوقع هذه الحرب (يونيو ١٩٦٧) غير أن القوات المسلحة لم تكن مستعدة لها لأسباب منها :

١ - أن المجهود الرئيسى للقوات المسلحة كان موجها لليمن .
٢ - أن القوات المسلحة قد تركت فى الفترة السابقة للحرب اختصاصها العسكرى وهو القتال والدفاع وتفرغت لاختصاصات أخرى خارج مجالها العسكرى .

وذكر الفريق فوزى وضع الجيش المصرى يوم ٥ يونيو حيث قال .. « إن القدرة القتالية للجيش المصرى لم تكن تتعدى ٣٠٪ ، ولم يكن هناك نظام للاحتياط .. ومن سوء حظنا أننا خسرنا فى حرب يونيو نحو ١٣ ألف عربة عادية ونصف جنزير». (صفحة ٣٢٥) .

ومن الأسباب كما أورد صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر :

«فإن القوات المسلحة لم تنجو من أسلوب القهر والإجراءات العنيفة ، فكان الطرد والمحاكمات السرية والإحالة إلى المعاش عن غير الطريق التأديبى (من نصيب عدد كبير من ضباط القوات المسلحة) وقد أثر ذلك تأثيرًا سلبيا إذ ضعفت القدرة القتالية للأفراد .. وتفشى الخوف بين أفراد الجيش المصرى ، وكذلك السلبية وعدم المبادرة والتظاهر بالولاء الشخصى للمشير عامر ومجموعته وطغت المظهرية على الفاعلية الحقيقية فشلت السلبية معظم الضباط» .

ومن الأسباب ماذكره الرئيس عبد الناصر فى ٥ يونيو ١٩٦٨ .. « نقص الطيارين .. وهو نفس السبب الذى ذكره الرئيس عقب هزيمة ١٩٥٦ .. بعد مرور أحد عشر عاما يبقى نفس السبب قائما - فما تفسير ذلك ؟ فهل تدريب وإعداد طيارين فى حجم مناسب لعدد الطائرات لدينا فى حاجة إلى إحدى عشر عاما ؟ أو كما سبق وذكر الفريق فوزى أن الطائرات كانت تخزن دون التدريب أو تجهيزها للقتال ؟ وهل هذا يعد إهمالا أو تقاعسا عن أداء واجب وطنى وماهى

التهم أو الوصف الذى يمكن أن نصف به عدم الأداء الوطنى وهو الإعداد للدفاع وحماية الوطن . (صفحة ٣٢٦) .

ويصل الكاتب فى ختام طرحه...

« وقد دفع الشعب المصرى ثمن هزيمته ودفع ثمن زعامة قائد لم يتحرى الصدق والحقيقة فى مواجهة عدو .. تجاهله عمليا سنوات طويلة .. وحاربه بالشعارات والخطب والتصريحات .. لقد دفع الشعب المصرى آلاف الشهداء وآلاف الجرحى بل وتسببت الهزيمة فى خسائر لاقتصاده القومى والقوات المسلحة ومدن القناة وقناة السويس والبترول .. عسى أن تبدو – والكلام للمؤلف – حقيقة القيادة السياسية والعسكرية التى كانت تقود مصر إلى منحدر كان لا يمكن تقع فيه لولا وجود هؤلاء على قمة الحكم والسلطة فى مصر .. » (صفحة ٣٢٧) .

وعرض صاحب كتاب ثورة يوليو الأمريكية للسياسة التى كان ينطلق منها النظام المصرى فى مواجهة بنى يهود ، وآثار هذه السياسة على الجيش المصرى فى اضعاف قدرته القتالية .

وتساءل المؤلف هل حقا كانت هذه المواجهة فى تصوره – هى قضية الأمن القومى لمصر ومستقبل القومية العربية ، ومن ثم تحتل قائمة الأولويات فى استراتيجيته ، وما يستلزمه ذلك من إعداد للجيش الذى يحمى الوطن ويحرر المقدسات ؟؟

سؤال طرحه صاحب كتاب ثورة يوليو ص ٦٠٣ وصَدّره بتصريح لوزير خارجية عبد الناصر « ما من حكومة مصرية سيصل بها الجنون حد مهاجمة إسرائيل » .

وأجاب عليه بقوله : « لا .. بل ونضيف إن العكس تماما هو الذى حكم سلوك عبد الناصر فى الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ .

واستشهد الكاتب بأقوال لكتاب آخرين :

الزعيم « لا يشغل نفسه بإسرائيل » وإنما يركز على التنمية الداخلية فى مصر وأنه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين عن السنة الماضية (ص ٦٠٣) .

مما يظهر أن عبد الناصر لم يكن ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها (ص ٦٠٤) .

ثم يورد الكتاب الأدلة بقوله :

١٥ سنة وسياسة الحكم المصرى تدور حول تجنب المواجهة مع إسرائيل وذكر أنه فى عهد الناصرية (من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠) زحف خطر الدولة المعادية (إسرائيل) من رفح حتى وصل إلى القنطرة ، والناصريون الذين تسلموا الحكم ومصر تدافع عن أمنها القومى فى قلب فلسطين (غزة) ، تركوا الحكم والإسرائيليون أقوى دولة فى المنطقة ، بل أقوى من دول المنطقة مجتمعة ، ممتدة من البحر إلى

النهر ومن الجولان إلى القنطرة ، ومدافعها دكت أجمل ثلاث مدن مصرية وسيناء بأكملها أو ثمن الوطن بمواطنيها هناك تحت الاحتلال اليهودى ، والقطاع الذى تسلمه ثوار يوليو أمانة سلموه لليهود هزيمة » ص ٦٠٥ .

إنه لا يوجد دليل على أن الثوار الأشاوس كانوا ينظرون إلى أن أمن مصر القومى ، يتحقق من خلال سلامة فلسطين ومنع قيام دولة معادية فيها (ص ٦٠٥) .

بل إن هؤلاء القادة الذين ابتليت بهم الأمة كانوا يرون منع دخول البدر إلى اليمن أهم عندهم من دخول إسرائيل سيناء أهم من تهديد إسرائيل القاهرة أو دمشق أو عمان ، والدليل حينما طلب من الرئيس عبد الناصر سحب الجيش المصرى من اليمن للدفاع عن القاهرة فيرد « وأخلى البدر يدخل اليمن » (ص ٦٠٦) .

لقد ثبت أن حركة ٢٣ يوليو لم تكن مهتمة بأمن مصر الوطنى ، ولا كانت إسرائيل على قائمة الأولويات ، والدليل موقف الثوار من الجيش عندما وصلوا إلى السلطة ، إذ كان اهتمام القادة الأول هو تأمين سيطرتهم على الجيش حتى ولو كان ذلك على حساب قدرته القتالية .

فى عهد الثوار انطلقت تجارة إسرائيل عبر قناتنا ، وإذا عرفنا أن الخليج وقتها كان ممنوعا على إسرائيل ولم تكن إيلات قد أصبحت بعد ميناء اقتصاديا ، ومن ثم كان غلق القناة ، يخنق الاقتصاد الإسرائيلى فى المهد ، وفتح القناة هو الذى مكن هذا الاقتصاد من الحياة والانتعاش (ص ٦٢٢ - ٦٢٣) .

وقدم الكاتب دليلا آخر على أن مجلس الثورة المصرى قد أجرى اتصالا فى الأيام الأولى (سبتمر ١٩٥٢) يؤكد أن النظام الحاضر ليس له نوايا عدوانية ضد إسرائيل (ص ٦٢٤) .

وعلق الكاتب على ذلك : « الله فى دم الإخوان وسائر الوطنيين الذين بدأت اعتقالتهم ومحنتهم ومصارعهم فى نفس التاريخ الذى فتح فيه الثوار القتلة قناة السويس لسفن إسرائيل .

ولهذا فقد كانت الثورة حريصة على حماية ظهور اليهود ، وقد أكد ذلك (محمود رياض فى ١٠ أبريل ١٩٥٤) « أن حوادث الحدود فى غزة من فعل الفلسطينيين وأن السلطات المصرية سحبت السلاح من المدنيين فى القطاع (ص ٦٢٥) .

ونقل الكاتب نقلا عن برقية لسفير أمريكا فى مصر كافرى (١٩٥٤/١٢/١١) أن مصر قد تعبر الحدود فى محاولة عقد صلح شامل مقبول للعرب ، ولكنها لن تحاول ذلك فى وجه معارضة عربية ، وعلى أية حال إنهم مشغولون الآن تماما فى تصفية الإخوان المسلمين (ص ٦٢٦) .

بل إن سجلات النظام العسكرى ليست فيها غارة واحدة شنت على إسرائيل فى عهد عبدالناصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ : بل إنه لم يرد على الغارة اليهودية على غزة (خان يونس) ومواقع أخرى فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حيث قتل اليهود ٣٥ جنديا داخل معسكر الجيش المصرى وخمسة عشر جريحا (ص ٦٢٦) وكذلك احتلال القوات اليهودية لمنطقة العوجة المنزوعة السلاح فى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٥ ، والمتحكمة فى عدة طرق ، وكلها تؤدى إلى داخل الأراضى المصرية .

« ويسجل محمد نجيب » فى مذكراته فخوراً . أن ديفيد بن جوريون أدلى بتصريحات يتمنى فيها النجاح لثورتنا وأعلن سياسة جديدة للانفتاح على مصر الجديدة . وتحدثت هاآرتس عن فرص الحل السلمى مستندة على امكانيات وضحت فى اتصال على ماهر بزعماء الوكالة اليهودية خلال الفترة بين ١٩٣٦ و ١٩٤٢ وإلى بعض تصريحات الدكتور محمود فوزى سفيرنا فى لندن ، والذى أكد على امكانية التعايش السلمى بين العرب وإسرائيل » .

« بل ووصل التعاون أو التفاهم فى تلك الفترة على أن أصدقاء الثورة فى المخابرات الأمريكية فى مصر طلبوا من أمريكا أن تطلب من إسرائيل مدح الإخوان المسلمين فى اذاعتها العربية لتشويه سمعتهم وقد حدث ذلك بالفعل » . ثم أورد صاحب كتاب ثورة يوليو فقرة من رسالة السفير الأمريكى فى الأردن ١٩٥٤/١٢/٢٣ : « من المتفق أن المبادرة (فى الصلح مع إسرائيل) يجب أن تبدأ من مصر ، وأنا أعتقد أن مصر قد أظهرت عزما وتصميما فى التعامل مع الإخوان المسلمين فى وجه معارضة وشجب من العالم العربى وربما يؤدى هذا إلى تدعيم القيادة المصرية وزيادة تصميمها ، بينما يقول البعض إنها بعد المدى الذى وصلت إليه فى موضوع الإخوان المسلمين قد تتحاشى اغضاب العرب مرة أخرى ، إلا أن خبرتى مع النظم الديكتاتورية تجعلنى اتوقع العكس (ص ٦١٩) .

كما أن تنظيم هيئة التحرير الذى أنشأته الثورة فى ١٥ يناير ١٩٥٣ تنظيم سياسى ، جاء برنامجها خاليا من أى اشارة إلى فلسطين . والثورة التى جاءت إلى الحكم بحجة الهزيمة فى حرب فلسطين لا يمكن أن يسقط من برنامجها سهوا قضية فلسطين .

بل إن المادة التاسعة من برنامج هيئة التحرير كان يطالب بالسلام مع إسرائيل : « سلام إقليمى بهدف زيادة فاعلية الجامعة العربية فكان أول برنامج سياسى غير شيوعى يطالب بسلام أقليمى (ص ٦١٩-٦٢٠) .

ثم يسأل الكاتب: «ألم يكن هذا كافيا لكى تنحاز إسرائيل إلى جانب الثورة فى صراعها ضد القوى الوطنية (ص ٦٢١) » ثم عرض الكاتب لوثيقة : « أبلغ كافرى أن السلم مع اسرائيل هو هدف نظام الجنرال نجيب ولكن خطوة متسرعة فى هذا الاتجاه يمكن أن تدمر ما نحاول القيام به » (ص ٦٢١) .

«ومن هنا كانت مصلحة إسرائيل الواضحة فى توفير أعمال العسكر لتصفية النظام القديم ، وخاصة التنظيمات العقائدية شبه العسكرية ، التى كانت قضية فلسطين تحتل مكانا بارزا فى تفكيرها وبرامجها مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة » .

«وقد انتهت هذه المرحلة بسحق التنظيمات السياسية فى مصر وتدمير جمعية الإخوان واستقرار الحكم العسكرى ونجاحه فى فرض اتفاقية الجلاء رغم كل قوى المعارضة» (ص ٦٢٢) .

«لقد تبين أن هؤلاء القادة الذين زعموا ان الثورة ولدت فى نفوسهم خلال حرب فلسطين ، هم أقل فئة من المصريين اهتماما بفلسطين أو عداوة لإسرائيل .. فهم الغوا قرار حكومة الوفد بمنع مرور البضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس » .

ونحدد ملامح هذه السياسة تجاه بنى يهود أيضا ما كشفه صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر .

«كان عبد الناصر عضوا فى التنظيم الشيوعى المصرى والذى أسسه ومـوله هنرى كوريل اليهودى ، والذى تسمى باسم الحركة الوطنية من أجل السلام وكان اسم عبد الناصر موريس ، وكان يزامله فى الحزب خالد محيى الدين وأحمد حمروش » .

« هذه الحركة الشيوعية فى مصر قد حملت بصمات اليهودية أو الصهيونية عند ما طرح قرار تقسيم فلسطين وأيده الاتحاد السوفيتى بحماسة بالغة وأيدته الأحزاب الشيوعية العربية بما فيها الحزب الشيوعى الفلسطينى . وعندما قامت حرب فلسطين قامت حدتو فى مصر بتوزيع منشورات تدعو إلى السلام مع إسرائيل تحت دعوى أن حكومتى مصر وإسرائيل تسعى إلى اضعاف وكسر قوة العمال العرب والاسرائيلين .. هذه هى ملامح شخصية القائد الذى أسلمته جماهير مصر زمامها ، ليوردها موارد التهلكة .. ليس له مبدأ واضح ، فهو عضو فى التنظيم الشيوعى الذى يعادى الإسلام ويكفر برب العالمين وبل وبكل دين .. وهو عضو جماعة الإخوان المسلمين ، ومصر الفتاه فى وقت واحد .

«وقد أثمرت هذه السياسة تسريح كل من هو فوق رتبة بكباشي وهي رتبة جمال عبد الناصر وهكذا خسر الجيش في قرار واحد كل قياداته الفعلية وإذا كان .. يبرر منع الطيارين من الدفاع عن وطنهم في حرب ١٩٥٦ إنهم لو ماتوا سنحتاج إلى عشر سنوات حتى نخرج طيارًا وهو تهجيص فكم نحتاج في تخريج اللواء أو الفريق أو حتى العميد ؟؟ (ص ٦٠٧) .

«ولكن المذبحة لم تتوقف بل فُصل خلال الثلاثة شهور الأولى من الانقلاب أكثر من خمسمائة ضابط .. ثم تتابع اجراءات تكسيحه وتحطيم معنوياته ، وتمزيق ترابطه .. فصل بدون محاكمة ولا حتى مجالس عسكرية ... »

«كيف كانت معنويات الضباط .. رعب .. الباقون كان كل واحد يتوقع أن تكون رأسه هي التالية على القائمة السوداء ، فينشغل بحماية هذه الرأس ولو بالوشاية أو التزلف أو الافتراء .. ثم كان الاذلال المهين والوحشي والأول من نوعه في تاريخ مصر للضابط المصري وهو في الزي الرسمي .. وجاءت الثورة بأول تعذيب وحشي للضباط العاملين عندما ضرب البكباشي حسن الدمنهوري ورآه زملاؤه أثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه ، ثم نقل إلى السجن الحربي مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابسه الرسمية وكانت أول حالة في الاعدام كانت تصدر على ضابط بالجيش المصري بتهمة أخرى غير الخيانة العظمى» (ص ٦٠٩) .

«في مذكرات محمد نجيب : ضرب صلاح سلام بحذائه ضابط مخابرات في رأسه شاب اسمه محمد وصفي أثناء التحقيق معه حتى نزف الدم منه ومات» (ص ٦٠٨) .

المهم أن ما بين ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ كانت القيادة في الجيش من نصيب دلايل أعضاء مجلس القيادة ، أو الذين لا رأى لهم ولا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة .. هذه هي القيادات التي استبقيت في الجيش فهل كان يمكنها قيادة جيش في مواجهة اليهود (ص ٦٠٩) .

وذكر الكاتب :

« ان عبد الحكيم عامر كان غير مؤهل لمنصب القائد العام ، وعبد الناصر اختاره لعلاقته الشخصية وسكناه معه في شقة واحدة قبل الزواج ولكي يضمن سيطرته على الجيش من خلاله . هل هذه هي المؤهلات التي تعين بها الثورات قادة الجيوش ؟؟ هل هكذا تحمى الأوطان ؟!

حرمان الجيش من القيادات الوطنية :

وروى الكاتب قصة اللواء حسن محمود قائد سلاح الطيران ، فهو الوحيد الذي اعترض على تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش ، واتخذ موقفا يثبت جدية اعتراضه ومبدئيته .. فقد رفض أن يكون مرؤسا لصاغ ! وقال كلمته المشهورة العامرة بالوعي والتجرد ! عينوه بقوة الثورة رئيسا

للجمهورية أو وزيرا للحربية أو حتى ملكا ونسمع .. ولكن الجيش لا يقوم إلا على الضبط والربط يقوم على الخبرة والأقدمية والرتبة ومحال أن يوجد جيش يخضع فيه اللواء للصاغ . وخرج من الجيش مرفوع الرأس .. وعينوا من مكانه ؟! محمد صدقى محمود !! ما غيره ودفعت مصر الفرق بين أهل الرأى والخبرة والشجاعة وبين أهل الثقة والخضوع والمسايرة : دمار سلاحها الجوى مرتين (ص ٦١٢) .

«قائد الجيش غير كفء، وتصرف تصرفات لا تليق أثناء المعركة، وقائد الطيران ترك الطائرات تضرب على الأرض ، فهل من المعقول أن نجد نفس القائد العام ونفس قائد الطيران فى مواقعهما بعد عشر سنوات ليكررا نفس الخطأ ولكن بحجم أكبر ورتب أعلى ؟ هل هذا معقول (ص ٦١٢) .

هذا هو أكمل نصر لمصر ولأمة العرب ؟؟ كما زعم هيكل (ص ٦١٣) والطيران لم يضرب ، بل انبطح أرضا عن خطة موضوعة حتى ضربوه وماتوا بغيظهم»، كما يعلق الكاتب محمد جلال كشك حفظه الله (ص ٦١٣) .

«وهكذا اهتزت الأمور وتغيرت طبيعة العلاقات داخل القيادة العسكرية فهبط ميزان الكفاءة ليحل محله ميزان الولاء وأصبح التأمين الذاتى وليس الأمن القومى هو محل الرعاية والاهتمام » (ص ٦١٣) .

ثم تساءل صاحب كتاب ثورة يوليو « أى خيانة أكبر من ألا يهتم ولا يرعى الحاكم الأمن القومى لوطننا » (ص ٦١٣) .

وتساءل أيضا : متى كانت زعامة سياسية تضحى بالوطن والأمن القومى وتضحى بالجيش فى سبيل صداقة مع قائد الجيش ؟ أليست هذه التفسيرات العقيمة هى التى أعطت المجال لتفسيرات هستيرية تدعى أن قيادة النظام الناصرى لها جذور يهودية ومن ثم كان يعنيها أن يحدث ما حدث لمصلحة إسرائيل ، وهذا ما جعل فتى مصريا .. دارت به الدنيا بعد النصر الإسرائيلى فى ١٩٦٧ يقترح على توفيق الحكيم إقامة تمثال لعبد الناصر فى إسرائيل (ص ٦١٤) .

كان دمار الجيش على يد عامر هو الثمن الذى دفعه عبد الناصر أو بالأحرى دفعته مصر واضطر عبد الناصر لقبوله مقابل ضمان عامر وبالتالى الجيش إلى صفه ، من أجل الانفراد بالسلطة وتصفية رفاق الانقلاب ، ثم لمنع أى انقلاب أو ثورة شعبية وهكذا ضحى بالأمن القومى (ص ٦١٦) .

ومن أسباب هذه النكبة فى ضوء الأخذ بالأسباب المادية البحتة، عدم الرباط بإزاء العدو وتحصين الثغور بالعدة المانعة يقول ربنا رب العالمين: ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ .

لقد علمنا رسولنا محمد ﷺ أن كلا منا على ثغرة من ثغور المسلمين فلا يؤتين أحد من قبله ، ولكن قطاع من هذه الأمة لم يفقه هذه التعليمات الإسلامية ، وتربى على الغفلة وعدم اليقظة ، واغتنم العدو اليهودى هذه الغفلة ووجه ضربته إلى سلاح الطيران العربى .

لقد استعمل اليهود سلاح المباغتة فنجحوا فيه ، والمباغته نوع من الأسلحة المعروفة لا تقل أهمية عن الأسلحة الجوية والبرية والبحرية ، ولكنها أكثر فعالية لأنها إذا نجحت عطلت الفكر الذى يدير الأسلحة الأخرى ، وهذا تماما ما حدث مع الأمة العربية فى ذلك الصباح الكئيب ، حيث نجحت أسراب العدو فى التسلل إلى جميع مطارات السلاح العربى فحطمته وحطمت جميع ممراته ، وبذلك أصبحت تلك الجيوش العربية التى ترابط فى الصحراء البعيدة ، أو فى مناطق الأردن وتحت مرتفعات سوريا معرضة لطيران العدو اليهودى وفاقدة القدرة الكاملة على التحرك الصحيح .

«وهنا ترد تساؤلات كثيرة ، فحواها أن الطيران لم يكن ضروريا فى حماية مرتفعات جولان المحصنة والمتحكمة فيما تحتها من مستعمرات يهودية ، وأنه أيضا كان يمكن ألا يكون اختفاؤه كبير الضرر لو أن جيوشنا فى سيناء التحمت مع العدو واستطاعت أن تنقل المعركة إلى أراضيه المزروعة والعامرة ، وأنه تبعا لهذين الوضعين كانت المعركة فى الأردن ستكون أقل ثقلا حيث تشغل قوات إسرائيل بزحفين فى داخل أراضيها يمكنان للجبهة الأردنية من عمل مجيد فعال»

وعلى ما فى هذا القول من قوة تعبير تأخذ بتفكير الكثيرين، فإن الأمر الذى يجب ألا يغرب عن كل مهتم ومشغول بأحداثنا انشغالا صادقا نظيفا ، هو أن المفاجأة بضرب السلاح الأهم وتحطيمه لا تحصر أثرها فى التحطيم المادى للسلاح ، بل هى تتعداه إلى التحطيم الفكرى للقادة ، ولا تكون المفاجأة ناجحة وقديرة إلا بقدر ما ينتج عنها من ربكة العدو وسبقه إلى اتخاذ إجراء مقابل وإصلاح أحداث المباغتة ، حتى تضيع أمامه معالم المعركة ويغرق فى بحر من التوهم والارتباك ، ولهذا كانت دراسة العدو لمهاجمتنا وأخذنا على غرة والغدر بنا دراسة قدرت كل الاحتمالات ، حتى ان الأوامر التى صدرت إلى طياريه كانت واضحة ان تعود مسرعة دون التحام مع الطيران العربى فى حالة ان يكتشف أمرها قبل تنفيذ المخطط الغادر» .

«على انه من الواضح لو أن القيادة لم ترتبك كما هو متوقع ككل قيادة فى مثل هذه الحالة ، فإن الوضع لا ينتظر أن يقود إلى النصر ، بل ينحصر فى أن تقل الخسائر ويتم الثبات المؤقت والانسحاب فى ظل دفاع متين ولكن تلك الأوامر المربكة جعلت الجيش الأكبر يتلقى فى انسحابه خسائر كبيرة جدا لا تقارن بخسائره أثناء الالتحام» .

وقد عاون على حدوث النكبة الأخطاء التى وقعت فيها قيادة الجيش والتى تتلخص فى حشد الجيش كله فى سيناء أياما طويلة ثقيلة ، وعدم ترك احتياطى خلف الجبهة والزج بجنود ليسوا على مستوى عال من التدريب إلى الخطوط الأمامية فى بعض الجبهات وفشل مخابراتنا فى الإحاطة بقوة العدو وعدم امتثال القيادة لنصائح بعض المخلصين من الأفراد والدول الصديقة ، كلها عوامل هامة ولكن كارثة الطيران كانت حاسمة» (جهاد شعب فلسطين ، ص ٥٤٥) .

ومن أسباب النكبة فى ضوء السنن الربانية أيضا ، السطحية فى تقويم أسباب النكبة .

كيف كانت ردة فعل الأمة العربية المنكوبة ؟ قطاع ضخم من أبناء هذه الأمة ، لم يكن يعرف حجم النكبة ، لم يكن يدرك أن العدو لم يحطم فقط سلاح الطيران العربى ، بل لقد دمّر وغنم معدات ثقيلة وأسلحة لم تكن الأمة قد سددت ثمنها بعد ، وفتك بالآلاف من أبناء الأمة فى خطوط القتال ، قطاع ضخم من أبناء هذه الأمة لم يكن على مستوى الفهم الذى يؤهله لاتخاذ الخطوات الضرورية لمعرفة الأسباب التى أدت إلى هذه النكبة ، وأيضا محاسبة المسئولين عنها ، مع اتخاذ الأسباب المعنوية والمادية للتصدى للغارة اليهودية الأوربية على العالم العربى ، وإزالة آثار عدوانه التى بدأت مع الاحتلال الإنجليزى لفلسطين عام ١٩١٨ .

وعلى الجانب الآخر ، كانت هنالك فئة قليلة من أبناء الأمة ، كانت تتوقع حجم هذه النكبة ، وكانت تدرك الأسباب الحقيقية وراءها ، وتدرك أيضًا الأسلوب الأمثل لمواجهة أعدائها ، وكانت تتصور ، أن الأمة يمكن أن تستيقظ على هول هذه النكبة ، فتعرف أن السبب الذى أوقعها فى هذا ، هو خذلانها لربها ولدينها ولإسلامها ولإخوانها .

ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث ، وتوالت النكبات بعد ذلك كما سنرى ، وكانت أشد هولًا مما وقع عام ١٩٦٧ .

وقطاع ثالث من أبناء هذه الأمة لم يكن أمامه إلا البكاء أو المظاهرات والهتافات التى تندد بالأعداء وتطلب الموت لهم ، وتطالب حكامها بأن يكون لهم موقف يتناسب وخطورة الأحداث واستجاب بعض الحكام ، وتفاوتت الاستجابة ولكنها لم تكن هى الأمل المرتجى .

مثال ذلك موقف النظام المصرى الحاكم . لقد وقف رائد القومية العربية ، والزعيم الملهم وصاحب القرار الذى لا يخطىء فى التاسع من يونيه (أى بعد النكبة بأربعة أيام) ليعلن تنحيه عن مناصبه التى كان يباشرها . وفى أعقاب هذا الاعلان خرجت الجماهير (رجل الشارع) فى مظاهرات قد أعدوا لها قبل الإعلان ، ليطالبوا المسئول الأول عن النكبة بالبقاء فى منصبه ، لحاجة الأمة إليه ، ومثله لا يجوز أن يترك موقعه ، لأنه لا بديل له أو عنه ، وواكب ذلك أجهزة إعلام مضللة وأقلام مأجورة ، صرفت الناس عن البحث عن أسباب النكبة ومحاسبة أصحابها وبعدت بالأمة عن الطريق الصحيح الذى يجب أن تسلكه لإنهاء العدوان اليهودى الأمريكى الواقع على العالم العربى .

وقبل زعيم زمانه البقاء .. وكان لابد من كبش الفداء ، واستقال المشير عبد الحكيم عامر القائد العام من منصبه ، وبعدها قيل إنه انتحر (أواخر اغسطس « آب » ١٩٦٧) وشكلت لجان للتحقيق فى أسباب الكارثة ، وحوكم عدد من القادة العسكريين وصدرت عليهم أحكام ، لا تتعدى

السجن بضع سنوات .. رغم أن الكارثة كانت أكبر مما تعيها عقول المشاهدين ، وكانت قرارات ومنها ما يدعو إلى ضرورة إعادة بناء القوات المسلحة ، وإزالة آثار العدوان ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة !!!

وهكذا تم فحص آثار هذه النكبة التى لم تصب الأمة بمثلها ، بسطحية وعفوية منقطعة النظير !!

لهذه الأسباب نرى أنه من الواجب علينا أن نعرض لبقية الأسباب الحقيقية لهذه النكبة فى ضوء سنن الله الجارية فى حياة الأمم والشعوب :

لله فى حياة الأمم ، سنن جارية لا تتغير ولا تتبدل ، منها :

التمكين فى الأرض للمؤمنين الموحدين: يشرط أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئًا ﴾ .

وحينما يمكن الله فى الأرض ، إنما يمكن بشروط : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

فإذا خالف الممكن لهم عن شرط الله فى التمكين :

(أ) أهلكهم الله بذنوبهم ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم، إن الله قوى شديد العقاب، ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ [آيات ٥٢-٥٤ سورة الأنفال] .

(ب) وسلط عليهم عدوًا من غيرهم :

« ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلط الله عليه عدوًا من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم » فقرة من حديث رواه ابن ماجة فى باب العقوبات .

(جـ) وسلطَ الله عليهم الظلمة :

﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ [آية ١٢٩ سورة الأنعام] .

(د) وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [آية ١١٢ سورة النحل] .

والذى يتفحص أحوال العالم العربى ، يدرك أسباب هذه النكبة ويدرك أن الأمة كانت مؤهلة **للهزيمة وللنكبة التى نزلت به بسبب نقض العهود مع الله هذه العهود :**

أن تعبده ولا تشرك به شيئا وأن تخضع حياتها لمناهجه وشريعته : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾ .

وأن تحيا على الإسلام وأن تموت على الإسلام ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ وأن تؤمن بمحمد ﷺ وتنصر دين محمد ﷺ ﴿ لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ .

ومن أجل هذا باع الإنسان نفسه وماله لله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ .

ومقتضيات الوفاء بالعهود أن يعمل المسلمون ، لإقامة دولة الخلافة الإسلامية ووحدة العالم الإسلامى والأمة مقصرة فى ذلك .

ومقتضيات الوفاء بهذه العهود أن تعمل الأمة لإقامة دين الله (الإسلام) فى الأرض كلها عقيدة وشريعة ونظامًا ، سياسيا واقتصاديًا واجتماعيًا وسلوكيًا وأخلاقيًا وجهاديًا والأمة مقصرة فى ذلك .

مقتضيات الوفاء بهذه العهود إحياء الفرائض ومنها فريضة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفريضة الجهاد فى سبيل الله وتحرير المقدسات ومنها القدس والمسجد الأقصى وديار الإسلام الواقعة تحت سيطرة الكافرين والأمة مقصرة فى ذلك .

مقتضيات الوفاء بهذه العهود الأخذ على يد الظلمة وتحرير الإنسان كل الإنسان ، وتربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل ، والأمة مقصرة فى ذلك .

مقتضيات الوفاء بهذه العهود تحرير الولاء والبراء ، أن يكون ولاء المسلم لله ولرسوله وللمؤمنين ولدين الإسلام ، وأن يعادى أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دينه وأعداء المؤمنين ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (٢٢ المجادلة) .

وقطاع من الأمة اعطى ولاءه لأعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دينه وأعداء المؤمنين الأمة كانت مؤهلة لهذه النكبة لأنها تصر على تضييع الفرائض ، ومجاوزة حدود الله ، وانتهاك الحرمات ، مخالفين بذلك أمر النبى محمد ﷺ : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودًا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها » جزء من حديث رواه الدارقطنى .

فالأنظمة عطلت فريضة الجهاد فى سبيل الله وضيقت على فريضة الدعوة إلى الله ، وطاردت أصحابها ، وأحلت ما حرم الله ، أحلت الربا فتعرضت لحرب من الله ورسوله ،﴿ فأذنوا بحرب

من الله ورسوله ﴾ وأحلت الميسر ، وأحلت الخمر ، وأقامت المدن السياحية التى ترتكب فيها المعاصى ، وعطلت الحدود ، حد الردة ، وحد القتل ، وحد الزنا ، وحد الخمر .

الأمة كانت مؤهلة لهذه النكبة لأنها تصر على خذلان إخواننا وأخواتنا وأبنائها على أرض فلسطين ، وعدم نصرتهم متجاهلين لأوامر الله ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ، وتوجيهات رسول الله ﷺ « مامن امرىء مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته » .

ولما كانت قطاعات من الشعوب العربية قد خذلت إخواننا فى فلسطين وغيرها من ديار الإسلام خذلهم الله فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ٧٩ . وعقوبة الخذلان مستمرة .

● حب الدنيا وكراهية الموت ترتب عليه أن أصبحت الأمة لا قيمة لها فى المجتمع الدولى ، والدليل قول النبى محمد ﷺ : « كيف بك ياثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه » قال ثوبان: بأبى أنت وأمى يارسول الله: أمن قلة بنا؟ قال «لا . أنتم يومئذ كثير ولكن يلقى فى قلوبكن الوهن » قالوا: وما الوهن يارسول الله قال: «حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال»

● الظلم وعدم إقامة العدل ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾.

« إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

● اتباع الأمم غير المسلمة ودخول جُحر الضب وراءهم، وحياة الدعة والرفاهية والبذخ والمجون، كان لابد أن يؤدى إلى أن يعاقبهم الله إمضاء لسنته ﴿ إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ .

● وطغيان المادية الغربية ، وتدفق الثروة الهائلة على العالم العربى ، أثرت فيه وقلبت حياته ، رأسًا على عقب ، فتفشى فيه روح التنعم والرقة والترف والإخلاد إلى الراحة ، وفقدان روح الفروسية والفتوة العربية والنخوة ، وأدت إلى نشأة أجيال لا تصبر على المكاره ولا تحتمل المصائب ، أجيال لا تعرف الثبات ، وأجيال استهانت بأحكام الله وفرائضه ، وتجرأت على المحارم والوقوع فى حمى الله ، وأخل العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

حتى أصبح من يعرف قانون المجازاة الإلهى ، ويعرف تاريخ الأمم السابقة ، يرفع بصره إلى السماء خشية أن تنزل عقوبة أو يحل بلاء ويتلو قوله .. ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبـــون أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .

● تبلبل أفكار الأمة بعد أن خلطت نبعها الصافى بالفلسفات الجاهلية والهرطقة البشرية .

● دخلت هذه الأمة فى طاعة الكافرين واطمأنت إليهم ، وطلبت صلاح دنياها بذهاب دينها

فخسرت الدنيا والآخرة مع أن الله علمها ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ أى أنها لم تحرر الولاء والبراء ، وبرزت صورة موالاة الكافرين فى أمور شتى منها :

● محبة الكفار وتعظيمهم ونصرتهم على حرب أولياء الله ، وتنحيه شريعة الله عن الحكم فى الأرض ورميها بالقصور والجمود وعدم مسايرة العصر ومواكبة التقدم الحضارى .

● ومنها استيراد القوانين الكافرة - شرقية كانت أم غربية - وإحلالها محل شريعة الله الغراء ، وغمز كل مسلم يطالب بشرع الله بالتعصب والرجعية والتخلف ، ومطاردة الدعوة الإسلامية ورجالها وتصفيتهم وخاصة جماعة الإخوان المسلمين .

● ومنها التشكيك فى سنة رسول الله ﷺ والطعن فى دواوينها الكريمة والحطّ من قدر أولئك الرجال الاعلام الذين خدموا هذه السنة حتى وصلت إلينا .

● قيام دعوات جاهلية جديدة تعتبر ردة جديدة فى حياة المسلمين مثل دعوة القومية الطورانية والقومية العربية والارتماء فى أحضان المبادىء الهدامة الاشتراكية والديمقراطية والماركسية .. وكل ذلك يثير غضب الله وسخطه ، ويقطع عن أصحابها نصرته وتأييده وقد ذخر القرآن الكريم بالوعيد والوبال على من يجحد نعمة الإسلام .

● الحكومات العسكرية فى كل قطر عربى تقريباً ، وظهور انقلاب عسكرى على أثر انقلاب عسكرى فى البلاد ترتب عليه :

إصابة البلاد بفقر الرجال ، وأزمة القادة ، و لم يبق إلا عصابات معدودة ، كانت أكبر مهمة هذه الحكومات الدكتاتورية ، المقلدة للحكومات الشيوعية المتطرفة ، القضاء على كل عرق ينبض وعين تطرف ، فتتعقبها تعقب محاكم التفتيش فى القرون الوسطى ، وفرعون مصر لأطفال بنى إسرائيل ، فأصبحت البلاد كلها شبه معسكر ، لا يوجد فيها إلا زى واحد ونظام واحد ، أو كسجن كبير لا حرية فيه ولا تنوع ، وأصبحت أجهزة الإعلام آلة لترديد الصوت الرسمى وتضخيمه .

وعدمت البلاد قائلاً يقول لضابط صغير ، ولحاكم عادى ، « اتق الله فى أمتك » ، ولذلك كان لابد وأن تهتز السماء والأرض ويغضب الله لعباده وينتقم لهم « من آذى لى وليا فقد آذنته الحرب » . ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ﴾ .

وعنيت هذه الحكومات بتجفيف منابع الإيمان والحماسة الإسلامية أكثر مما عنيت بسد أبواب الفساد والإلحاد ومعاقبة الخونة والمجرمين والدعارين .

وكان أكثر شغف هذه الحكومات الشخصية الدكتاتورية بالثرثرة الفارغة ، والخطب الرنانة والوعود الخلابة والتهديدات المجلجلة ، وكان اعتمادها على كثرة الكلام ، بدلاً من العمل الجاد المثمر .

وبرعت هذه الحكومات ، مسخرة وسائل الأعلام – فى الهجوم على الحكومات العربية(*) الأخرى ونهش أعراضهم وكرامتهم ، والله يقول : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

ومن ذلك هجوم عبد الناصر على الملك فيصل رحمه الله والتعريض بلحيته والسخرية منه ومثال ذلك أيضا هجوم عبد الناصر على الملك حسين فى الثانى من مايو ١٩٦٧ وقبل هزيمة يونيو بشهر واحد حيث جاء فى خطاب عبد الناصر قوله : ان الملك حسين ينظر لنا كأعدائه وينظر لإسرائيل كأصدقائه . وإسرائيل بتقول إنها لا توافق على تغيير النظام الموجود فى الأردن أى نظام الملك حسين فهو قلبا وقالبا يكون موجودا مع إسرائيل . وإذا كان الملك حسين نفسه – بيشتغل فى سى أى إيه (المخابرات المركزية الأمريكية) تبقى الاذاعة بتاعته بتشتغل فى سى أى إيه . وهاجم رئيس مصر رئيس وزراء الأردن بقوله : « وصفى التل جاسوس » بل إنه كان يدعو الملك حسين باسم أمه على الهواء مباشرة » .

وقد أدى ذلك التنازع والتناحر إلى أن يصبح المجتمع عرضة للهزيمة أمام العدو الخارجى المتربص . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ .

ثم يأتى فى النهاية ، السبب الأساسى والرئيسى لسقوط الأمم فى قبضة الأعداء وانهيارها وتدميرها ، ونزول النكبات بها . إنّه الخلل الذى يصيب الإيمان في القلوب أى الشرك بالله . يقول سبحانه : ﴿ وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ .

(*) بعض فقرات من هذا المبحث مأخوذة عن كتاب – فاتنى إثباته – للشيخ أبى الحسن الندوى بارك الله فى عمره ؛ وكتاب الولاء والبراء فى الإسلام للشيخ محمد بن سعيد القحطانى (نفع الله به) ، ص ١١ ، ١٢ .

المبحث السادس

هل هناك علاقة بين هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، والانحدار نحو السلام « معنى الاستسلام » بين مصر وإسرائيل ؟ .. هل نبعت فكرة تحقيق السلام بصورة جادة من واقع الهزيمة ؟ أم أن الهزيمة كانت دافعا للسلام ؟ أم أنه كان لابد من هذه الهزيمة .. لتحقيق ذلك السلام « بمعنى الاستسلام » أم ماذا ؟؟

وقد عرض كاتب لعبة الأمم لخطب وتصريحات الرئيس عبد الناصر واتصالاته ليصل منه .. « أن عبد الناصر كان يرى السلام مع اليهود هو أمر أصيل .. ولكنه لا يرى سلاما منفردًا أو خاصا بمصر أو دولة بعينها إنما يراه سلام الأمة العربية كلها أو حربها » .

« فهو يرى تحقيق الهدف الاستراتيجى لإسرائيل ، مِنْ خلال سلام مع العرب وليس مصر فقط » (صفحة ٣٣٤) وأنه أى الرئيس « قد حاول أن يسير فى طريق السلام ويدفع العرب إليه دون أن يلمح ذلك مسئول أو قائد .. أو حتى الجماهير .. ولتحقيق هذا الهدف فقد اختار الرئيس العمل السياسى كحل أساسى وكمخرج من هزيمة يونيو وآثارها .. » .

« ويبدو من عرض الكاتب أن إنهاك موارد الأمة وإجهاض قوتها العسكرية والاقتصادية كان الهدف الذى ترتب على الغزو اليهودى لمصر عام ١٩٦٧ ، وكان المقصود أن تركع الأمة أمام اليهود وتطلب الحل السلمى ولكنها لم تفعل .. وقد وضح ذلك فى تصريح الرئيس عبد الناصر للملك حسين فى ٨ أبريل ١٩٦٨ ... « الناس عندنا فى مصر يريدون الحرب ويرفضون السلام بهذا الشكل ، مع إنى كنت أتصور أن الناس زهقت وضاقت نفوسهم من كثرة الحروب وشدة الأعباء الملقاة عليهم » صفحة ٣٣٩ .

« وتبدو استراتيجية الحل السلمى فى قبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز الأمريكية للسلام مع إسرائيل ، هذه المبادرة لم تأت من الولايات المتحدة الأمريكية إنما جاءت بناء على طلب الرئيس » كما يقول صحاب كتاب لعبة الأمم .. « فقد أعلن عبد الناصر فى أول مايو عام ١٩٧٠ بداية هذا الخيط حيث وجه نداء للرئيس الأمريكى نيكسون قال فيه « رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بلدينا فإن لا شيء يمنعنى من توجيه نداء آخر وأخير من أجل السلام » (صفحة ٣٤١) وبعدها بشهر ونصف كانت مبادرة روجرز » (صفحة ٣٤٢) .
وذكر صاحب كتاب لعبة الأمم :

«إن نداء عبد الناصر للرئيس نيكسون كان نتيجة ولادة خفية، أوتجهيز غير معروف أو تحضير غير معلن نتيجة الاتصال بين عبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧

والتى أورد الكاتب فيها تعليق مدير المخابرات المصرية السابق أمين هويدى : كانت مبادرة روجرز عبارة عن رسالة شفهية قرأها - كما صرح على صبرى بذلك - برجس مسئول المخابرات المركزية الأمريكية بالقاهرة - من أوراق مكتوبة فى حوزته .. وكان الهدف المشترك فتح قناة بين مصر والمخابرات المركزية الأمريكية من أجل إيجاد حل للأزمة العربية الإسرائيلية بدون حرب ، وكذا إيجاد طريق للولايات المتحدة الأمريكية لتسهم فى تنمية مصر » . (صفحة ٣٤٢) .

وواصل الكاتب « وفى ضوء هذا فإن مبادرة روجرز قد أرسلت إلى عبد الناصر فى شهر يوليو ١٩٧٠ أى استغرقت هذه القناة التى كان يجرى اتصال عبرها بين مصر وأمريكا - فى عملها مدة عام حتى تصل إلى النتيجة التى أعلنت بدءا من خيطها الأول وهو نداء عبد الناصر إلى نيكسون إلى إعلان مبادرة روجرز » .

ثم تساءل المؤلف : « هل كانت هذه القناة الوحيدة التى أدت إلى مبادرة روجرز ؟؟» .

وأجاب الكاتب بالنفى القطعى ، وذكر أن عبد الناصر قد أعاد اتصالاته السرية مع إسرائيل نحو السعى للسلام عبر أشخاص ثقات لديه .. وذكر الكاتب .. أن اتصالاته بالإسرائيليين سرًا قد بدأت فى مايو ١٩٦٩ وقبيل فتح القناة مع المخابرات الأمريكية المركزية بشهر .. وبالطبع فإن المخابرات الأمريكية كانت على علم بذلك وقام أحمد حمروش (**) بهذا الدور - والكلام لصاحب لعبة الأمم - الذى استمر فى أدائه منذ هذا الشهر مايو ١٩٦٩ حتى بدايات عام ١٩٧١ بتكليف أيضا من أنور السادات » .. (صحفة ٣٤٤) . وعلق الكاتب على هذه الاتصالات بقوله .. لو أن إسرائيل قامت باتصالات مع معارضى عبد الناصر من أجل السلام .. لاتهموا بأنهم خونة !! (صفحة ٣٤٦) .

وفى معرض الحديث عن هذه المسألة ذكر الكاتب حرب الاستنزاف وذكر الكاتب « أنها لم تكن فى صالح مصر بل إنها حققت خسائر بالغة فى الفنيين والعمال والمهندسين القائمين على عمليات إنشاء قواعد الصواريخ فبلغت أكثر من أربعة آلاف شهيد » . (صفحة ٣٤٧) .

وهى كما يجمع كل المؤرخين اليوم كانت لأهداف سياسية ، وأدت إلى استنزاف مصر ، فالمعركة كانت تدور فوق أرض مصر وليس فى أرض إسرائيل معركة بين مدن مصر ومصانعها

(**) ذكر صاحب كتاب لعبة الأمم وعبد الناصر صفحة ٣٤٦ عن أحمد حمروش « كان ضابطا بالجيش المصرى من قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وكان عضوًا بالتنظيم الشيوعى الذى يرأسه هنرى كوريل اليهودى الصهيونى .. وكان ضمن المصريين الذين تقبلوا بدون تحفظ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية وعند إندلاع حرب ١٩٤٨ كان موجودا بحيفا ، طلب نقله من وحدته إلى وحدة خدمات .. وفهم من ذلك انه عدم استعداد للحرب ضد إسرائيل وأن هذا ألقى ظلال الشك فى ولائه وفهمه » . (صفحة ٣٤٦) .

ومدارسها وبين المدفعية والطيران الإسرائيلى خسرنا فيها ثلاث مدن مصرية وعشرات المصانع وخزانا وعددًا غير معروف من القتلى والجرحى **المصريين**. ولهذا تم بناء حائط الصواريخ الروسى حتى يتوقف الطيران اليهودى عن اختراق المجال الجوى المصرى ... وبعدها قبل عبد الناصر وقف إطلاق النار وقبول مبادرة روجرز أى القبول بالدخول فى سرداب المفاوضات من موقع المهزوم .. ومات ووقف إطلاق النار سارى المفعول (ثورة يوليو ، ص ٦٣٣) .

ودلل الكاتب على أن تحقيق السلام كان استراتيجية ثابتة فى سياسة عبد الناصر بأن « هناك مشروع آخر للسلام بين مصر وإسرائيل سابق لمبادرة روجرز ، كان قد وضع مسودته عام ١٩٦٩ وليم بولك أحد كبار الخبراء الأمريكيين فى شئون الشرق الأوسط ، وأن الرئيس عبد الناصر قد وافق عليها (صفحة ٣٤٨) . وقد جاءت مبادرة وليم بولك نتيجة اتصاله بهنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى ، وبناء عليه سافر وليم بولك إلى مصر فى يناير ١٩٦٩ والتقى بالدكتور حسن صبرى الخولى أحد مستشارى عبد الناصر واشتركا فى إعداد المسودة » .

ويصل الكاتب فى النهاية :

« وبهذا فقد أعلنت مبادرة روجرز بشكل معلن .. تتويجا شرعيا (فى نظر الكاتب) وسياسيا لما سبق ذلك من اتصالات سرية وقنوات خفية ، وما هذا الإعلان إلا سيناريو على مسرح السياسة الدولية والعربية والإقليمية ساهم كل طرف بنصيبه ودوره فى ادائها » .. (صفحة ٣٥٢) .

ودلل الكاتب على ذلك بقوله ...

« كما ان استراتيجية السلام كانت قائمة لدى عبد الناصر فى الميثاق الوطنى الذى تقدم به إلى شعب مصر فى عام ١٩٦٢ والذى نص فيه على إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط» .. (صفحة ٣٥٢) . ولم تكن الجماهير تدرك فحوى هذه الشعارات والمقصود منها .. وإن كان قد التزم بها عبد الناصر بالفعل فى الفترة من ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٧ .. أى أن هذه الشعارات كانت نصوصا لازمة لعبد الناصر التزم بها أمام إسرائيل والقوى العظمى .. وفى الفترة المذكورة كانت حركة عبد الناصر تتجه نحو إضعاف القوى العربية ، وتوجيه الجيش إلى اليمن لتحقيق الهدف الاستراتيجى الأمريكى – الروسى بخصوص تصفية الاستعمار التقليدى وحلول أحدهما محل الأخر !! » (صفحة ٣٥٣) .

ويصل الكاتب إلى خاتمة الفصل بقوله :

« وهكذا كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. اقرب الطرق وأسرعها نحو سلام مع إسرائيل .. سلام على الطريقة الناصرية .. سلام المغلوب على أمره من جراء قوى أعظم كما ادعى ذلك .. وليس سلام المغلوب من جراء التقصير والإهمال والتقاعس وتفتيت قوى الشعب فى مواجهة إسرائيل » .

« وقد التقى السادات فى سعيه مع عبد الناصر نحو السلام مع إسرائيل ولكن كيف التقى كل منهما مع الآخر على هذا ؟؟ إنها من مصدر واحد .. وهو حركة الضباط الأحرار التى قامت بثورة يوليو ١٩٥٢ وإن الهدف الرئيسى غير المعلن لسياسة هذه الثورة كما تبين من خلال الدراسة هو اتفاق صلح مع إسرائيل .. وإن تحقيق هذا الهدف اقتضى سياسات ومواقف وأحداث عديدة ولكن الموقف القاطع فى ذلك .. كان هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. وإن كان السلام قد أرجئ اتفاقه الوثائقى والعملى بعد ذلك بسنوات فكان لابد من هذا احتراما وخشية المشاعر الوطنية التى تتوهج من أجل الكرامة والشرف الوطنى فكان السلام بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ » .. انتهى كلام الكاتب . (صفحة ٣٥٦) .

لهذه الأسباب يمكن أن نفسر إغداق الولايات المتحدة على الثوار :

« فقد خصصت الإدارة الأمريكية ثلاثة ملايين دولار لتأمين الحكم فى مصر وكان محمد نجيب رئيسا للجمهورية وعبد الناصر رئيساً للحكومة ووزير الخارجية ، وزكريا محيى الدين رئيسا للمخابرات .

«والهدف تأمين رئيس الدولة وتأمين سلامته وتحركاته وقيادته وكان فى نظرهم رئيس الدولة الذى يعولون عليه عبد الناصر وليس محمد نجيب » .

ولهذا الهدف أيضا أرسلوا لتأمين تنقلات عبد الناصر ، سيارة مصفحة هدية ، تلتها أخرى ثم سيارتين كاديلاك» .

« ولهذا الهدف أيضا أرسلت الإدارة الأمريكية بعض قطع التسليح الخفيفة لحرس عبد الناصر » .

بقيت كلمة فى نهاية الفصل السابع :

معظم المعلومات فى هذا الفصل مأخوذة نصًا عن المراجع الآتية :

١ - ثورة يوليو الأمريكية ، علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، محمد جلال كشك ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ط/١٤٠٨ .
٢ - جانب من قصة العمر ، الأيام الحاسمة وحصادها ، حسن العشماوى ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٥ .
٣ - حبال من رمل ، ولبر كرين ايفلاند ، نقله إلى العربية سهيل ذكار ، دمشق .
٤ - لعبة الأمم وعبد الناصر ، محمد الطويل ، المكتب المصرى الحديث .
٥ - لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، نقله إلى العربية مروان خير ، بيروت ١٩٧٠ .
٦ - لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة .

الفصل الثامن

الموقف العالمي من العدوان اليهودى

المبحث الأول

موقف المنظمات الدولية من العدوان الواقع على العالم العربى لا يتعدى دائرة القلق

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، يُكرس العدوان اليهودى على أرض فلسطين ويفتح الطريق أمام إنهاء الحصار العربى والمقاطعة العربية لليهود ويعتبر أهل فلسطين لاجئين ويمهد لتحقيق حلم اليهود .

نص القرار : « إن مجلس الأمن إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر فى الشرق الأوسط ، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أراضى بواسطة الحرب والحاجة إلى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة فى المنطقة أن تعيش فيه بأمن .

وإذ يؤكد أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقًا للمادة الثانية من الميثاق .

أولاً : يؤكد أن تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق المبدأين التاليين وهما :

(أ) سحب القوات الإسرائيلية من أراض محتلة فى القتال الأخير .

(ب) إنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة أراضى كل دولة فى المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسى وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود مأمونة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة .

ثانيا : يؤكد أيضًا الحاجة إلى :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح» .

ورفضت الشعوب المصرية والعربية والإسلامية هذا القرار ، إلا أن الأنظمة العربية الحاكمة امتثلت له وحاولت إقناع الأمة بأهمية هذا القرار لمرحلة الصمود والاستعداد لإزالة آثار العدوان (وليس لتحرير فلسطين) وربح اليهود هذه الجولة أيضًا بمساعدة المنظمة الدولية التى كانت تحركها الدولة الكبرى .

وبدأت أوروبا واليهود يروضون الأمة للقبول بالأمر الواقع ، وكانت الأحداث التى تتابعت بعد ذلك عام ١٩٧٣ ، وكامب ديفيد والتطبيع سنة ١٩٧٩ وغير ذلك مما سنفصله فيما بعد إن كان فى العمر بقية إن شاء الله .

وكان من الواجب على الأنظمة العربية ألا تمتثل للقرار الذى كرّس العدوان ، وأقر أصحابهم على جريمتهم ، بل إن أعضاء مجلس الأمن ومنهم أمريكا وروسيا هم الذين كبلوا الأمة بالأغلال وخدّروها حتى جاء العدو واغتصب ديارها وضرب قواتها وإن كانت الأمة مسئولة بالدرجة الأولى عما حدث نتيجة غفلتها .

كان من الواجب على الأمة بعد التوبة والاستسلام لله رب العالمين ولمنهاجه وشريعته ، إحياء فريضة الجهاد وبناء إنسان العقيدة ومواصلة منازلة العدو قبل أن تكون له أقدام راسخة فى ديارنا مع دعم الانتفاضة الفلسطينية والمنظمات الفلسطينية الجهادية ، ولكن الأنظمة الحاكمة فى دول المواجهة مع العدو حالت بين شعوبها وبين القيام بالفرائض .

ولهذا فإن الفلسطينيين رفضوا قرار مجلس الأمن ورفضوا وقف إطلاق النار واستأنفوا جهادهم للعدو .. وهذا الحدث هو أحد الآثار الإيجابية لنكبة الخامس من يونيه .

المبحث الثانى

موقف الشعوب والأنظمة العربية والإسلامية من نكبة ٥ يونيه - حزيران - ١٩٦٧

لا صلح مع إسرائيل ولا اعتراف بها ولا تفاوض معها مع التمسك بحقوق شعب فلسطين فى وطنه

- الشعوب العربية تتنادى إلى ضرورة اتخاذ موقف عربى موحد تجاه الهزيمة .
- مؤتمر قمة عربى بالخرطوم فى التاسع والعشرين من أغسطس - آب - ١٩٦٧ .
- سوريا تعتذر عن حضور المؤتمر ، والمغرب وتونس توفدان مندوبين .
- الجزائر توفد مندوبًا احتجاجًا على قبول وقف إطلاق النار مع العدو ، وعدم مواصلة حرب العصابات ضده .
- التقاء الملك فيصل مع الرئيس المصرى جمال عبد الناصر (ورغم أن الأخير كان يسخر فى خطاباته من فيصل رحمه الله ويعرض بلحيته ، ولكن فيصل تناسى ذلك من أجل أمته ، أى إنه لم يكن عميلا وهذا من فضل الله عليه أحسبه كذلك) .

وجاءت قرارات المؤتمر:

أولاً : أكد المؤتمر وحدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى .

ثانيًا : قرر أن الأراضى المحتلة يجب استردادها وهى مسئولية الدول العربية جميعها .

ثالثًا : اتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم على الصعيد الدولى لإزالة آثار العدوان وذلك على أساس **عدم الصلح مع إسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحقوق شعب فلسطين فى وطنه** .

رابعًا : عدم الأخذ برأى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول الداعى لعدم ضخ البترول ، ذلك لأن ضخ البترول يمكن أن يستخدم كسلاح إيجابى باعتبار البترول طاقة عربية يصلح لدعم الدول العربية التى تأثرت بالعدوان مباشرة .

خامسًا : اقر المؤتمر مشروع الكويت لإنشاء صندوق الاستثمار الاقتصادى والاجتماعى العربى .

سادسًا : قرر المؤتمر ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الإمداد العسكرى لمواجهة كافة احتمالات الموقف .

سابعًا : قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الأجنبية فى الدول العربية .

وقررت كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والمملكة الليبية أن يلتزم كل منها بدفع المبالغ الآتى بيانها سنويًا ، ومقدمًا عن كل ثلاثة أشهر ابتداء من منتصف أكتوبر إلى حين إزالة آثار العدوان :

المملكة العربية السعودية: ٥٠ مليون جنيه استرليني .
دولة الكويت : ٥٥ مليون جنيه استرليني .
المملكة الليبية : ٣٠ مليون استرليني .

وقد بدأت فعلاً الدول الثلاث المذكورة تنفيذ هذا الالتزام المالى تجاه الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الأردنية بحيث يدفع للأولى خمسة وتسعون مليونًا ويدفع للثانية أربعون مليونًا من الجنيهات .

تقويم القرارات :

كانت القرارات دون الهدف المقصود ، فقد كان المتوقع أن تجرى دراسات جادة حول أسباب هذه النكبة التى نزلت بالأمة ، لأن تشخيص الداء شرط أساسى لتحديد الدواء ، وقد كان ذلك يستلزم اشتراك العلماء أهل الحل والعقد والقادة الثقات مع قادة الدول على اعتبار أن الشورى مبدأ أساسى يجب أن يقوم نظام الحكم عليه ولكن أنّى لبعض القادة الذين دخلوا بالأمة إلى عصر من عصور الاستبداد السياسى الذى لم تعرفه الأمة من قبل أن يشاوروا العلماء ؟؟ ولهذا جاءت القرارات سطحية ، بعيدة عن علاج آثار النكبة ، بل إنها كانت فى صالح الدول التى عاونت فى تمرير مخطط العدو اليهودى ضد أمتنا ، وإلا فكيف تسمح أمتنا باستمرار ضخ البترول لأوروبا ومنها أمريكا وروسيا ، وقد فعلوا ما فعلوا .

وهذا مبحث قد أعده كاتب مسلم ، يُقَوِّمُ فيه إحدى نتائج مؤتمر قمة الخرطوم ، ولكن الأمة لا تقرأ ولا تنتبه .. وكانت نتيجة الغفلة حرب الخليج ١٩٩١/٩٠ التى مكنت أوروبا من احتلال منابع النفط خشية أن يمنع عنها فى يوم من الأيام إذا قُدّر للعالم العربى أن يتحرر ويمسك بزمام نفسه .

المبحث الثالث

البترول بين المنع والضخ

« وكان قرار ضخ البترول وهو من قرارات مؤتمر قمة الخرطوم مفاجئًا للجميع ، فقد عاشت الأمة العربية عشرين عامًا وهى تقرأ لكتابها وأدبائها مئات المؤلفات التى كانت تسجل الحزن والألم لأن البترول لم يمنع عن المستثمرين الأجانب عام ١٩٤٨ ، وأنه لو تم ذلك لركعت أوروبا على ركبتيها وأيقنت أن بترول العرب أهم من مجاملة ومناصرة إسرائيل ، وحين انعقد مؤتمر الخرطوم كانت الدول المنتجة توقف ضخ البترول منذ أيام الحرب الستة ، بعضها يوقفه عن الدول التى أيدت العدوان ، وعمدت ليبيا إلى إيقاف الضخ عن الجميع ، وقد بدا واضحًا أن ذلك الإيقاف كان مهمًا وثقيلًا على أوروبا التى ارتفع لديها سعر البترول يومًا بعد يوم ، وأمريكا التى اضطرت إلى تموين أوروبا من احتياطيها الذى ادخرته لغير تلك الأيام ، وزاد فى أهمية ذلك الإجراء العربى غلق قناة السويس مما زاد فى أسعار البترول المنقول عبر رأس الرجاء الصالح من حقول إيران ، وكان الوقت صيفا ولم تكن استهلاكات البترول المنقول بأوروبا بالقدر الكبير الذى سوف يكون حين تبدأ أيام الشتاء القارص فى أرجائها ولم تكن تلك الأيام لتبعد عن مؤتمر القمة إلا شهرين اثنين » .

« وهكذا فى جلسة واحدة لذلك المؤتمر المنتظر تغيرت نظرة عشرين عامًا عاشها العرب وأسفوا على عدم استعمالها ، وترقبوا الوقت المناسب لها ، ثم سرعان ما انتصرت نظرية جديدة نادت بها بعض دول البترول وقدمت لها المعاذير . سوف تتوقف المشروعات الإنتاجية ، سوف تعجز الميزانيات عن دفع مرتبات الموظفين ، سوف يضطر بعضها إلى الاستغناء عن الموظفين الذين يمثلون هكيل جهازه وأغلبهم من الفلسطينيين ، وسوف يكون ذلك إعلانًا للعداء الصريح مع دول الغرب الذى يخشى ما تعمد إليه من تصرف بعد ذلك . والواقع أن كل هذه الحجج كان يمكن التغلب عليها ، فقد كان المنع يقلق تمامًا دول الغرب ويثقل كاهلها ويتعبها ، وكان وزراء الخارجية العرب بل ووزراء البترول أنفسهم قد قرروا منع البترول عن الدول التى ساعدت أو أيدت العدوان ، وكان هذا القرار قد نفذ فعلاً منذ بدأ العدوان وخسرت الدول المنتجة واردات نقدية ولكنها كسبت بترولها بقى فى آبارها » .

« أما دول أوروبا فإن منع البترول عنها يعنى منع أهم وسيلة من وسائل حياتها وحضارتها ومكاسبها . ولو استمر العرب فى موقفهم الصلب حتى جاءت شهور الشتاء فى أوروبا وتوقفت وسائل النقل والإنتاج والتدفئة ومصانع الكيماويات البترولية لخرج سكان أوروبا يطالبون بضرورة التفاهم مع العرب ، وضرورة حل المشلكة الفلسطينية حلاً يتلاءم مع العدل والإنصاف ،

ولأدركت تلك الشعوب تحت وطأة الضغط العربى أن العرب الذين عزفوا عن المال ورضوا بشهور من التقشف لا يمكن أن يفعلوا هذا إلا وهم يدفعون به ظلمًا جائرًا ، ونيرًا قاتلاً يستحق أن يدرس وأن يعالج » .

« بل لقد كان من الممكن أن يكون العرب أكثر هيمنة على إرادتهم وأموالهم وذلك بإباحة البترول للدول التى تقف إلى جانب حقهم ، وكان مثل هذا الرأى يقضى بضخ البترول إلى فرنسا وتركيا واليونان وأسبانيا واليابان وغيرها من الدول التى لا ريب سوف تتسابق إلى تأييد حقنا والشعور بخطورة الأمر ، ولقد قيل: إن مثل هذا الضخ قد يؤدى إلى تسرب البترول لدول لا يفيد تمويلها ولا يجوز ، وسوف تقفل أسواق أمام بعض الدول المنتجة وتفتح أمام أخرى ، ولكن علاج هذا لن يكون مستحيلاً حين يكون العرب فى مستوى مسئولياتهم ، وأكثر إدراكًا للأخطار حيث لا يصعب عليهم تأليف لجنة للإحصاء والاستفادة بالعائدات لكل الدول المنتجة فى نظام حسابى لا يحابى فريقًا ولا يضر غيره وسوف لا يكون صعبا عليهم أيضا خلق لجان مراقبة تتولى الإشراف عليه عند الضخ والشحن تقابلها لجان فى البلدان المستوردة للتأكد أن المشحون لها وحدها ، ثم إن الكشوف الحسابية قبل العدوان كانت كافية لإدراك كم كان احتياج كل بلدة مستوردة للبترول حتى لا يتسرب منه إلى من يقرر العرب حرمانهم » .

أما الآثار الاقتصادية على منتجى البترول ، وعلى الدول التى أصيبت بالعدوان ، فلنكن تجاهها صريحين مع أنفسنا ، صادقين للتاريخ وللأجيال ، موضحين الحقائق دون تردد ، أن شيئًا من التقشف يجب أن يعود له عالم العرب كله اليوم ، لأنه عالم مهدد بالفناء ، مهدد بالإبادة ، مهدد بتقويض حضارته ، ودياناته ، ومثله . وما أيسر أن يتخلى هؤلاء العرب عن كماليات الحياة ، فى سبيل الإبقاء على الحياة ذاتها ، وما أيسر أن تتوقف بعض المشاريع فى مختلف الأوطان فى سبيل الابقاء على الأوطان ذاتها ، وما أيسر أن يحرم شعبنا مؤقتا من بعض مجددات الرقى ، أو منجزات المدنية ، فى سبيل أن يبقى شعبنا ذاته ، إن الشعب العربى مهدد فى وجوده من الخليج إلى المحيط ولا معنى لميزانيات ضخمة تستهدف الحضارة دون ميزانيات أكبر للدفاع ، إن تلك المنشآت العظمى والإنجازات الهائلة فى كل بلد عربى تحتاج إلى حماة وسلاح وإيمان ، وإلا فإننا نبنى للأعداء ونعد للخصوم . إن شعبنا يحيا اليوم وكأن الحرب التى أذلته كانت حلمًا لا حقيقة ، وكان أولى بنا أن نحيا ظروف الحرب كاملة كما عاش غيرنا من الشعوب : تحديد للتموين ، وتقنين لكل شيء يتعلق بالمجتمع . إن شعبنا لا ريب مهدد ، ومهدد بأخطار لم يعرفها تاريخه لا أمام جحافل التتار ، ولا تجاه تجمعات الصليبية ، إنه خطر الإبادة والإفناء . ولنراجع أنفسنا الآن وقد مضى شهران بعد عام من الهزيمة ، ومضى ما يقرب من عام على مؤتمر القمة الذى أباح ضخ البترول ؛ **هل توقف تيار الإسراف فى عديد من الدول العربية ؟ هل أدركت الأمة العربية أنها على شفا جرف ؟ وأنها توشك أن تقع فى هاوية سحيقة لن ينجيها منها إلا العمل المنظم السريع ؟** أقسم لو أدرك كل فرد وكل دولة أخطار ما

نحن فيه ، وما نحن مقبلون عليه ، لما تمسكوا بأموال ولا ثروات ، ولما تأخروا لحظة فى السير إلى التقشف بنفوس راضية)( ) .

ولن يكون النصر شاملاً للأمة العربية مالم تدرك حقيقتها ويسرع أفرادها مع حكوماتها للتصدى لعدوها ، ومالم نرغم العالم على معرفتنا ، وأننا نستطيع أن نستغنى عن أموال البترول وأننا فى حالات الخطر يستطيع كل فرد منا أن يدفع بقوته للمعركة وأن يعيش كغيره متقشفًا فى حياته ، مترفعًا فى أهدافه ، باذلاً من ماله ، فى سبيل أن يبقى جزءًا من أمته ، وفى سبيل أن تبقى أمته ، وفى سبيل أن تبقى الأوطان لأجيالنا القادمة مع تطورها الحضارى العريق » .

« إن الوطن العربى يمثل وطنا واحدًا أمام عدو واحد ، وهو الآن محتل بخطر مدمر ، خطر لا ينوى الجلاء ، ولا يملك وطنا يعود إليه ، فإذا لم نفق مع هذه الكارثة ترى هل نحتاج لكارثة أكبر لكى نفق ، وهل يمكن أن يكون هناك شىء أكبر ؟؟ » .

« ونحن نقابل عدوا يمتاز بالفكر والدراسة والإعداد ، فمن الواجب أن يقابل بالفكر الرصين ، والدراسة الثاقبة والإعداد القوى ، وأمتنا لا قاحلة ولا ممحلة وفيها جهابذة يجب الاستفادة بهم ومنهم ، وأمتنا ليست فقيرة ولكن تسخير المال كله للمعركة فرض لا يقبل الجدل ، وإذا كنا نعتقد أن أموال اليهود فى العالم على كثرتها وكثرة المساعدات الأجنبية جعلت من إسرائيل جنة لأبنائها ، فإننا مخطئون ، لأن هؤلاء الأعداء يدركون حقيقة وجودهم المصنوع ، وبذلك فكل ثرواتهم تذهب إلى حيث يقوون عسكريًا ، ويحاربون بها أمة العرب وشعب الإسلام . « إن إخواننا فى الضفة الغربية الذين زاروا يافا وحيفا وتل أبيب يقررون أن الشعب اليهودى عاش طيلة هذه السنين ، حياة تقشف وعرى وفاقة وحاجة ، فى حياة بسيطة ووسائل نقل قديمة ، لأن إسرائيل تؤمن بالتقشف وشد الأحزمة ، بالعمل الجدى الحازم ، تؤمن بالعقل والإيمان لتستطيع أن تثبت وسط هذا البحر المتلاطم من الأمة العربية » .

« وإذا كان اليهود يتقشفون رغم ملايينهم وملياراتهم ، فإنهم يعدون أنفسهم للبقاء أولاً ولالتهامنا ثانيًا ، وما أجدرنا نحن المغزية بلادهم ، المحتلة أرضهم ، المهددة حضارتهم والمهزوز بقاؤهم ، ما أجدرنا بذلك وبأكثر منه ، وهو وحده الذى يقصر الطريق إلى النجاح » .

« لقد ارتفعت دون جدوى أصوات خبيرة تنادى بوجوب الاستمرار فى استعمال سلاح البترول ؛ قال عبد الله الطريقى الخبير العربى المعروف : إن الشىء الذى يجب أن ندركه ونتأكد منه ، هو أن أوروبا تستهلك الآن من الاحتياطى وربما استهلكت من المخزون ما يعادل حصيلة شهر تقريبًا وكل الكلام الذى يقال من أن أوروبا تستطيع الاستغناء عن البترول العربى قصد به التأثير

( ) جهاد شعب فلسطين فى نصف قرن ، صالح مسعود أبو يصير ، دار الفتح للطباعة والنشر ط ١٣٨٩/٢ هـ ، ص ٥٥٠ ، ٥٥٤ .

على سياسة الحكومات العربية التى لا تتابع الأحداث كما يجب ، وتشعر بأن قطع البترول عن الغرب معناه هى التى تخسر وحدها ، وأن الغرب يستطيع أن يأتى بالبترول من مصادر أخرى » .

« إن المعركة بيننا وبين المستعمرين والمعتدين هى معركة ينتصر فيها صاحب النفس الطويل ، وإن مقاطعتنا لأوروبا الغربية ستصيبها بأضرار اقتصادية جسيمة وستخلق بطالة فى صناعتها المختلفة خصوصًا وأن الشتاء قد أقبل وهى قلقة على إمداداتها البترولية ولهذا فهم ينشرون الأراجيف والإشاعات ليمنعوا العرب من الإصرار على قطع البترول عن المعتدين . إن العملية اقتصادية بحتة ولن يدمروا اقتصادياتهم خدمة لإسرائيل » .

تعليق :

وهكذا يتبين لنا من هذا المبحث العلمى الجاد ، أن حرمان العالم الغربى المحارب لأمة الإسلام من البترول العربى ، سلاح فعال يمكن أن يساهم مع غيره من الأسلحة فى إنهاء الهيمنة اليهودية الأمريكية على العالم العربى والإسلامى ، ويمكن أن يساهم فى إنهاء الاحتلال اليهودى لفلسطين وتحرير إرادة العالم العربى والإسلامى كما يتبين لنا أيضا - بيقين - أن رفض الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى استخدام سلاح البترول فى معركة الأمة الإسلامية ضد عدوها ، يساهم مساهمة فعالة فى استمرار الاحتلال اليهودى لأرض فلسطين ، والهيمنة اليهودية الأمريكية على العالم العربى والإسلامى .

ونحن نقدم هذا البحث لا يفوتنا أن نذكر أن مؤتمر قمة الخرطوم قد جانبه التوفيق حينما رفض وقف ضخ البترول إلى الأعداء .. وقد جانبه التوفيق حينما رفض اقتراح الجزائر بضرورة رفض قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، ومواصلة حرب العصابات والجهاد ضد العدو اليهودى وضد مصالح الدول التى عاونته فى عدوانه .

وتذكرة أخيرة فى هذا المقام :

إن الأنظمة التى حضرت مؤتمر الخرطوم لم تكن وفية لقراراتها ، رغم أنها كانت دون المستوى المطلوب ، إن الأنظمة قررت :

لا صلح مع اليهود لا مفاوضات مع اليهود لا اعتراف بقاعدة العدوان اليهودى على أرض فلسطين والتمسك بحقوق شعب فلسطين ، ومضى وقت ليس بالطويل وإذا بنا الآن وقد بادر النظام المصرى إلى مفاوضة العدو اليهودى الذى اغتصب الأرض والديار وشرد وأباد أبناء الأمة ، بل وعقد معه معاهدة سلام سلّم له فيها أنه صاحب الأرض وصاحب الحق فى العيش فى حماية أبناء هذه الأمة .. بل وأصبح الشعب الفلسطينى فى ظل هذه المعاهدة لاجئين .. وتبع النظام المصرى الأنظمة العربية بل والعالم الإسلامى حينما قرروا فى مؤتمر قمة الرباط القبول بتطبيق قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

إذن يمكن القول بأن مؤتمرات القمة كانت حلا بارعا لتنفيس الموقف **لا تفجيره ولا حتى مواجهته** واستطاعت هذه الضربة البارعة إعطاء العرب ثلاث سنوات يلهون فيها بمؤتمرات القمة .

إن الدعوة للقمة والدعوى ضد القمة لم تكن إلا تكيتكات استراتيجية دائمة هى تفادى المواجهة مع إسرائيل ولكن يخرج من المشاركة فى هذه المأساة رجال منهم الملك فيصل رحمه الله وبعض رجال الدولة العربية التى كانت تقدم الدعم المادى لدول المواجهة .

مثال لهذه المؤتمرات التى بدأت قبل عام ١٩٦٧ :

ولما كانت الدولة اليهودية على أرض فلسطين ، تعانى من نقص المياه ، فقد أعلنت عام ١٩٦٣ أنها ستحول مجرى نهرى الأردن لتستفيد من مياهه فى تعمير صحراء النقب ، وتداعت الأنظمة العربية إلى الاجتماع بناء على اقتراح الرئيس جمال عبد الناصر ، واجتمع الملوك والرؤساء فى أول مؤتمر لهم ١٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٤ وأصدر قراراته يوم ١٧ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٤ تتحدث عن العدوان اليهودى الخطير الجديد على المياه العربية والذى يضر بالغ الضرر بالأمة والذى يهدف إلى جلب مزيد من « قوى العدوان وإقامة مراكز تهديد أخرى لأمن البلاد العربية وتقدمها وسلام العالم » ، وعن القيام بواجب الدفاع الشرعى ، والإيمان بحق الشعب العربى الفلسطينى المقدس بتقرير مصيره والحد من الاستعمار الصهيونى لوطنه وبأنّ التضامن العربى هو السبيل لدرء المطامع الاستعمارية ، وكانت القرارات اتخاذ القرارات العملية اللازمة للقضاء على الخطر الصهيونى الماثل سواء فى ميدان الدفاع أو الميدان الفنى أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

واجتمع المؤتمر للمرة **الثانية بالاسكندرية** خلال صيف ١٩٦٤ واجتمع للمرة الثالثة فى الدار **البيضاء (أكتوبر ١٩٦٥)**.. كل هذه المؤتمرات لم **تتمخض**عن شيء .. وذهبت آمال الشعوب فى هذه المؤتمرات أدراج الرياح .

وحولت إسرائيل **مجرى** نهر الأردن ، وذهب كل مظهر كان نابعًا من اجتماعات القمة أدراج الرياح إذ لم يفكر العرب فى مهاجمة الدولة اليهودية ، ولم يحاولوا منع استفادتها من النهر بوسائل عملية حاسمة مأمونة ، وصدق رئيس أركان حرب العدو اليهودى وهو كذوب الذى قال : احنا حنحول الميه غصب عن العرب ، والعرب يعملوا اللى يعملوه » .

ومثال آخر للمؤتمرات التى عقدت بعد حرب رمضان ١٣٩٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

- مقررات مؤتمر القمة الذى انعقد بالجزائر بعد حرب أكتوبر حيث قرر الإبقاء على حظْر النفط حتى تتحرر جميع الأراضى العربية ويعود القدس للسيادة الإسلامية ويسترجع الشعب الفلسطينى حقه المسلوب».

- إن أى دولة عربية لا يحق لها التصرف فى الشئون البترولية بمفردها .
- أهمية الإبقاء على حظر النفط حتى تتحقق الاهداف التى قطع من أجلها .
- ان رفع الحظر عن النفط يؤدى إلى تمزيق الوحدة العربية وإلى تجريد العرب من سلاح فعال يجعل العدو أن يبطل مفعوله لينطلق فى المنطقة يساوم بدون ضغوط أو عقاب .
- ولذلك يعتبر الإقدام على رفع الحظر عن النفط إلى أمريكا .. تفريطا مباشرًا بالقضية واستهانة بالشعوب (المجتمع الكويتية ، العدد ١٩١) [١] .

ولكن أنى لبعض القادة العرب الذين كانوا يحاربون الله ورسوله أن يفهموا ذلك أو يفعلوه؟؟[٢]

بقى تساؤل يفرض نفسه ؟؟ أين المجاهدون المسلمون ؟ أين القوى الوطنية . والإجابة كانوا فى سجون ومعتقلات الضباط الأحرار والبعض الآخر قضى شهيداً بأمر محاكم الضباط الأحرار .

---

(١) لقد تعلمنا فى مدرسة الإسلام ان من الأسباب التى التى يجب الأخذ بها فى قتال العدو :
(أ) حرمانه من الثروة التى تمكنه من إعداد العدة والعتاد لقتال الأمة المسلمة وهذا هو أحد الأسباب التى من أجلها انتدب الرسول محمد ﷺ أصحابه للخروج للتصدى لتجارة المشركين من أهل مكة فى بدر ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين** ﴾ .
(ب) حرمان العدو من مصادر المياه حتى يموت عطشا إن رفض الانسحاب أمام المسلمين وقد حدث ذلك فى بدر حينما أمر رسول الله أصحابه بناء على مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح أن ينزلوا أدنى ماء من القوم، ويغورون ما وراءه من القليب، ثم يبنون عليه حوضا فيملئونه ماء، ثم يقاتلون القوم فيشرب المسلمون ولا يشرب الكفار (السيرة النبوية لابن كثير بتحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة لبنان، (ج٢، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣). ولكن أنى لبعض القادة العرب الذين كانوا يحاربون الله ورسوله أن يفهموا ذلك أو يفعلوه ؟؟ .

(٢) إن انسان العقيدة هو النموذج المؤهل لانهاء العدوان الواقع على أمة الإسلام ومن سمات رجل العقيدة الزهد ، وقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة ومازال . ينام على الحصيرة حتى تتأثر منها جنبه ، يخصف نعله ، يرقع ثوبه ، ماأكل الخبز المرقق قط ، وما شبع بيته من خبز البر ثلاثة أيام متتالية ، وما كان يجد من ردىء التمر ما يملأ بطنه ، ويمضى الشهر . والشهران لا يطبخون .. وفى غزوة الأحزاب كان النبى ﷺ يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ، وعلى هذا الطريق سار الصحابة بتربية النفس على الجوع والعطش واحتمال الشدائد لأداء واجب الجهاد فى سبيل الله لقد تعلموا أهمية التقشف والزهد فى الحروب وأن الأمة المترفة لا يمكن أن تكون أمة مجاهدة ..
بهذا النموذج إنسان العقيدة الذى تربى على مقاومة الترف دانت الدنيا لأمة الإسلام على مدار ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ودار الزمان دورته ، وفتحت أبواب الدنيا على الأمة ، فغرقوا فى النعيم والترف وأخلدوا إلى الأرض ، وعطلوا فريضة الجهاد ، فضربهم الله بالذل وسلط عليهم عدوًا لا يرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة .

الفصل التاسع

الرئيسان أنور السادات وحافظ الأسد يواصلان العمل

على طريق جمال عبد الناصر لتصفية القضية الفلسطينية والتسليم لليهود بأرض فلسطين وتطبيع العلاقات بين اليهود والعالم العربى

المبحث الأول

عبد الناصر يختار السادات نائبا له

ضمانا لاستمرار النظام السياسى الذى قام على أرض مصر بعد يوليو ١٩٥٢ ، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارًا فى ديسمبر ١٩٦٤ باختيار السادات نائبا أولا له . وقد علق على ذلك صاحب كتاب لعبة الأمم والسادات بقوله : « أن تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية ليس من قبيل الصدفة .. إن هذا الأمر ذو حسابات وأبعاد متعددة وزوايا عديدة إن لعبة الأمم لا تعرف المصادفات .. اطرافها المدبرة القوى العظمى وأحد لاعبيها عناصر الدول النامية أو الصغيرة .

بعد وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، قفز السادات إلى موقع السلطة فى مصر . وكان أول بيان له بمجلس الأمة لقد جئت إليكم على طريق عبد الناصر ... ولو كان جمال عبد الناصر بيننا فى هذه اللحظات لقال : لا تحزنوا ولكن تحركوا ، لا تقفوا ولكن تقدموا ... لا لا ترددوا ولكن اكملوا الطريق (لعبة الأمم والسادات ، ص ٨١) .

وكان ذلك من جانب السادات يعنى التزاما بخط عبد الناصر فى سياسته الداخلية والخارجية بمعنى تصفية القوى الوطنية وخاصة الحركة الإسلامية ، وتحقيق الهيمنة الأمريكية واليهودية ، وتصفية القضية الفلسطينية ، والتسليم لليهود بأنهم أصحاب فلسطين ،**وتهيئته** للاستسلام - تحت مسمى السلام - امام الغارة اليهودية على العالم العربى والإسلامي ، وتطبيع العلاقات مع العدو اليهودى والعالم العربى .

أى أن لم يكن فى تفكير النظام الساداتى تحرير فلسطين أو إنهاء العدوان اليهودى الواقع على العالم العربى ، أو تحرير الأمة من قبضة الهيمنة الأمريكية .

وقد قدم كتاب لعبة الأمم والسادات أدلة على ذلك منها : (صفحة ٧٩ وما بعدها) :

أولاً : تجديد مهمة أحمد حمروش فى اتصالاته السرية مع اليهود، ومن هذه الاتصالات ما وقع فى باريس مع بداية عام ١٩٧١ حيث التقى أحمد حمروش - كما يقول صاحب كتاب لعبة الأمم

بعضو الكنيست اليهودى يدعى نتان يلين مور وطرح عليه السؤال الثانى : « هل المسئولون اليهود على استعداد للتفاوض والمحادثات من أجل السلام[1] » .

ثانيا : مواصلة الاتصال بالأمريكان رغم أنهم ضليعون فى المؤامرة اليهودية لاغتصاب فلسطين والتخطيط للعدوان اليهودى على العالم العربى فى يونيه ١٩٦٧ . وقد خطى الرئيس السادات خطوات عملية بهذا الاتجاه إذ أنه قد أوفد حافظ إسماعيل[2] مستشاره للأمن القومى إلى واشنطون لمقابلة الرئيس نيكسون يوم الجمعة ٢٣ فبراير ١٩٧٣ الساعة ١١,٢٠ ظهراً ينبهه إلى خطورة استمرار حالة اللاحرب واللاسلام فى المنطقة العربية نتيجة الاحتلال اليهودى وأن المنطقة مهدده بالانفجار ، وقد نقل سعادة المستشار رسالة شفهية مؤداها كما يقول صاحب لعبة الأمم :

« إن وقف اطلاق النار مضى عليه ثلاثون شهرًا ؛ وإن ذلك ليس هدفًا إن لم يقترن بتقدم نحو الصلح وإن واجب عليهم إيجاد حل لقضيتى الاحتلال اليهودى للأراضى المصرية ، والقضية الفلسطينية ، وأنه إذا وافق اليهود على الانسحاب من الأراضى المصرية ، فان لدى القاهرة استعدادا لبحث موضوع الضمانات الأمنية وإنهاء حالة الحرب القائمة . كما أن الصلح النهائى بين مصر و[illegible] يتطلب حلًا يرضى به الفلسطين» . وقد رد الرئيس نيكسون بمناصرته للحل النهائى وإن لم يعطى وعودًا بهذا» .

وبعد المقابلة اتجه حافظ إسماعيل إلى إحدى ضواحى نيويورك لمقابلة هنرى كيسنجر اليهودى يبحث معه كما يقول صاحب كتاب لعبة الأمم والسادات ، إطارًا لتسوية مؤقته وتسوية دائمة وشاملة .

تعليق :

إن النظام المصرى الساداتى حريص على تحريك الموقف بأى شكل من الأشكال لأنه يخشى أن تؤدى حالة اللاسلام واللاحرب واحتلال اليهود لأرض مصر إلى انفجار الموقف داخل مصر والعالم العربى وعدم إمكان السيطرة عليه ، وأن النظام على استعداد بالتسليم لليهود بمطالبهم فى مقابل انسحابهم من الأراضى المصرية ، وأيضا إنهاء حالة الحرب ، وتوقيع صلح منفرد معهم .

وهنا يبدو تساؤل آخر ، ماذا دار بين هنرى كيسنجر وحافظ إسماعيل ، هل تم الاتفاق فى هذا اللقاء على ضرورة تحريك الموقف عبر معركة حربية محدودة المكان والزمان ؟ والوثائق لا تسعفنا ولكن أحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣ ونتائجها تشير إلى أن هذه الحرب كانت لتحريك الموقف صوب كامب ديفيد والتطبيع .

---

(١) لعبة الأمم والسادات ، ص ٨٩

وهنا يبدو تساؤل آخر ، من الذى فوض السادات وحافظ إسماعيل ، فى هذه التصرفات ؟ أين جموع الأمة ، أهكذا تمرر المخططات والأمة مستسلمة ؟ ما سبب هذا الاستسلام السبب أن الأمة تائهة ؛ ولا تدرى من توالى ، ومن تعادى !!!

وهكذا فى غيبة الأمة عن الوعى يتم تمرير المخططات !!!

شىء آخر ، لماذا يحرص اليهود والأمريكان على عقد لقاءاتهم واجتماعاتهم مع المسئولين المصريين والعرب فى يوم الجمعة وفى وقت الصلاة ؟ إنها رغبة الأعداء ﴿ **ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ ولماذا يقبل أبناء الأمة المحسوبون على الإسلام بذلك ؟ إنها الهزيمة الداخلية ، إنها الاستهانة بفرائض الإسلام وشعائره ، إنها الاستسلام لأوامر الأعداء .

وحينما حاولت مراكز القوى فى عهد عبد الناصر ، الاطاحة بأنور السادات خوفا على مكاسبها الشخصية ، وإن كان من بينهم بعض العناصر الوطنية رفعت بعض الشعارات تندد فيها بالخط السياسى الذى ينتهجه السادات ضد العدو اليهودى .

«فالآن يفرض علينا الاستسلام باسم السلام ؛ « باسم السلام تباع مصر للأمريكان والصهاينة تحت شعار توفير الدم » ... الآن يعود الخائن عبد الله وجلوب من جديد لتباع القنيطرة والقناة وسيناء ... لا روجرز ولا سادات إسرائيل لازم تباد » .

وقد ردّ الرئيس السادات على ذلك بقوله :

« اللى بيقول ان أنا ما أكلمش الأمريكان يبقى زى النعامة بيحط رأسه فى الرمل علشان مين اللى بيدى لإسرائيل الفانتوم ورغيف العيش .. أمريكا ، طيب ماهى اللى فى المعركة عاوزة تتكلم معايا أهلا وسهلا ومرحبتين »(نفس المرجع ، ص ٩٠) .

بعدها قام الرئيس السادات بضرب بعض القوى التى بدأت تكشف مواقفه - ليس حُبًا فى فلسطين لأنهم كانوا أعواناً للنظام الناصرى الذى ضيع فلسطين والعالم العربى - وذلك فيما يسمى بثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١؛ وقد كانت هذه الحركة كفيلة بتجميع مشاعر الشعب المصرى حوله ، لأنه ضرب رموز النظام الناصرى الذى كان سبب فى نكبة الأمة من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٠ ، والذى مات وسيناء محتلة والضفة الغربية والقدس والجولان فى يد اليهود .
وقد اقترنت هذه الحركة بفتح المعتقلات **ليخرج الإخوان المسلمون الذين** أمضى البعض منهم حوالى **خمسة وعشرين عاما فيها، مع إعادة البعض منهم إلى وظائفهم، وهدم معتقل القلعة ورفع شعار سيادة** القانون وشعار العلم والإيمان ، ومنع التصنت على المكالمات الهاتفية وقامت أجهزة الإعلام بالإشادة بالزعيم وعصر الحريات والتقت قطاعات ضخمة من الأمة حوله على اعتبار أنه رب العائلة ، ليغدر بالأمة فى أعز مالديها ! « **فلسطين المسجد الأقصى** » .

ثالثا : تجديد مهمة جونار يارنج مبعوث الأمم لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ والمطلع على نص القرار (صفحة) يدرك أن مجلس الأمن قلق! وأمة تغتصب فى وضح النهار ويباد ويشرد شعبها، **مجلس الأمن قلق .. مجرد قلق .. وصدق المثل « يقتلون القتيل ويسيرون فى جنازته » . فهذا المجلس هو الذى رمى الأمة العربية بهذا البلاء، وهو الذى غرس هذا الخنجر المسموم فى جسد الأمة !!**

- وهكذا روضت الأمة لتنسلخ عنها صفة الشرق الإسلامى وهى راضية بذلك .
- كيف تقبل أمة الإسلام أن تحكم بميثاق وضعه القراصنة الكفار وهى تشهد بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- وهكذا أصبحت الممرات المائية داخل الوطن العربى ، ممرات تحت الوصاية الدولية ، لا سلطان للأمة العربية عليها . وللعدو أن ينتهك حرمتها بل ويستخدمها لتمرير قوات العدوان .. مثلما حدث فى حرب الخليج.. بل إن البحر الأحمر والأبيض.. أصبحا يموجان بالقوات الأجنبية الغازية لديار العالم العربى .
- **وهكذا حول مجلس الأمن الشعب الفلسطينى إلى لاجئين ...**

والمطلع على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ يدرك **أنه تجسيد فعلى لوعد بالفور** ، وهو الأساس لمبادرة روجرز ، بل إن **مهمة جونار يارنج مبعوث هيئة الأمم كانت تقوم أساسا على** اساس استكمال تنفيذ وعد بالفور ، بمعنى دفع الدول العربية إلى انهاء حالة العداء بينها وبين العدو اليهودى الذى اغتصب فلسطين ، والاعتراف لهذا العدو بأنه صاحب فلسطين وأن له الحق فى حياة آمنة داخل الوطن المغتصب ، والسماح له بحرية الحركة داخل الوطن العربى ، وانهاء الحصار العربى والإسلامى المفروض عليه ، **مع توقيع معاهدة سلام وتطبيع العلاقات معه .**

يؤكد هذه الحقائق ردّ الحكومة المصرية على عهد الرئيس السادات على مقترحات يارنج الذى سلمه مندوب مصر فى هيئة الأمم فى ١٥ فبراير ١٩٧١ ، ومما جاء فى الرد بالاشارة إلى مذكرتكم المؤرخة فى ٨ فبراير ١٩٧١ . فإن مصر تلتزم بما يأتى :

١ – « إنهاء كافة دعاوى الحرب ضد دولة إسرائيل » .
٢ – « أن يحترم كل طرف ويعترف بسيادة الآخر ووحدة أراضيه واستقلاله السياسى » .
٣ – أن يحترم كل طرف ويعترف بحق الطرف الآخر أن يعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .
٤ – أن يتعهد الطرفان ببذل قصارى جهدهما لضمان عدم نشوب الحرب أو ارتكاب أعمال عدائية من داخل حدود كل منها ضد السكان أو المواطنين أو ممتلكات الطرف الآخر .
٥ – **ألاّ يتدخل أى طرف فى الشئون الداخلية للطرف الآخر كما تلتزم مصر :**
أ – ضمان حرية الملاحة بقناة السويس .

ب - وتضمن حرية الملاحة بمضائق تيران وفقا لمبادئ القانون الدولى .
جـ - وتوافق على مرابطة قوات السلام التابعة للأمم المتحدة بشرم الشيخ .
٦ - بغية ضمان التسوية السلمية وحرية أراضى كل دولة فى المنطقة توافق مصر على :
أ - اقامة منطقة منزوعة السلاح على طريق الحدود لمسافات متساوية فى الجانبين» (*) .

تعليق :

وهذا عين ما كان يريده العدو اليهودى الأمريكى .

إذن لقد جاء السادات ليكمل ما بدأه عبد الناصر ، أى تحقيق استسلام الأمة فى مواجهة المخطط اليهودى تحت مسمى السلام . أى أن الاستسلام فى مواجهة المخطط اليهودى الأمريكى ، خط استراتيجى ثابت فى فكر قادة الانقلاب العسكرى المصرى ، والأمة تائهة لا تدرك ما يجرى حولها ، ولا تميز بين الصديق والعدو .

ولا يفوتنى هنا أن ذكر القارىء أهمية الاطلاع على كتاب لعبة الأمم والسادات . لكى يدرك أن سبب نكبة هذه الأمة تكمن فى بعض قاداتها الذين سلموا زمام أمتهم إلى عدوهم يوجههم الوجهه التى تخدم غاياته وأهدافه .

(*) هذا المبحث تم اعداده اعتمادًا لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ، الزهراء للإعلام العربى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٠٧/ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

المبحث الثانى

ضباط الانقلاب السورى البعثى على الطريق

لتصفية القوى الإسلامية والوطنية .. لتصفية جانب من المقاومة الفلسطينية وتمكين اليهود من أرض فلسطين .. تمزيق الوطن العربى وإقامة الدويلات الطائفية .. ولتحقيق التبعية لأعداء الأمة المسلمة .

البعثيون ينتسبون إلى النصيرية ، ويصلون إلى سدة الحكم فى سورية عبر عديد من الانقلابات العسكرية .

من أبرز الزعماء النصيريين حافظ ورفعت الأسد .

وحينما كان حافظ الأسد وزيراً للدفاع فى يونيه ١٩٦٧ ، أبلغ القيادة المصرية العسكرية إن هناك حشودا عسكرية يهودية على الحدود السورية (وكان البلاغ كاذبا) .

أجهزة المعلومات فى مصر تنفى وجود هذه الحشود ، وذلك يعنى أن النظام السورى قد ألقى بهذا الخبر الكاذب لجر العالم العربى لمعركة حدّد اليهود أهدافها وزمانها ومكانها .

القيادة السياسية المصرية تلتقم الطعم تتخذ إجراءات كلّها كانت فى خدمة أهداف العدو قبل أن تتأكد من صحة الخبر الذى أشاعة النظام السورى . وكانت نكبة يونيو ١٩٦٧ .

والعجيب أن حافظ الأسد قد أذاع بلاغ سقوط المدينة السورية القنيطرة[١] عام ١٩٦٧ . فى يد اليهود قبل أن تسقط ، والجنود السوريون كانوا على مشارف طبرية ، وحينما اتصل وزير الصحة السورى عبد الرحمن الأكتع - وكان بالقرب من فيق بحافظ الأسد وقال له : أنا قرب فيق ، والقنيطرة لم تسقط فى يد اليهود ، فردّ عليه وزير الدفاع السورى بالشتائم الهابطة . عرف الناس أن بيان سقوط القنيطرة مُدبّر ومخطط له[٢] .

وقد نشرت مقالة وثائقية بعنوان : **« من القنيطرة إلى دمشق »**

---

(١) المجتمع الكويتية عدد ٣٠٦ لسنة ١٣٩٦ م/ ١٩٧٦ .

(٢) كما نشرت مجلة المجتمع الكويتية (العدد ٣٠٤ لسنة ١٣٩٦ هـ) « أنه قد صدرت أوامر من وزير الدفاع السورى (حافظ الأسد آنذاك) إلى قوات الجيش السورى بالانسحاب من الجولان قبل الهجوم اليهودى عليها ، بل إنها أخلتها من سكانها يوم ٥ يونيه ١٩٦٧ ولكن بعض العسكريين رفض وقاتل اليهود حتى قتل فى موقعه . والأنكى من ذلك أن مندوب سورية فى الأمم المتحدة أُمِرَ بإعلان سقوط القنيطرة فى يد اليهود قبل أن تسقط ولكن المندوب اليهودى كذب ذلك وقال : إن شيئا من ذلك لم يحصل ، وقد نشرت مجلة الاعتصام بعددها الثامن من ربيع الآخر ١٤١٠ / نوفمبر ١٩٨٩ ، ص ١١ أن القوات المسلحة المغربية التى شاركت فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ قد استردت الجولان ولكن الزعيم الملهم حافظ الأسد سلمها مرة أخرى لليهود .

تكشف جريمة تسليم القنيطرة لليهود على أيدى النظام السورى البعثى :

القنيطرة درة الجولان الحصين !!! كيف سقطت عام ١٩٦٧ ؟ ولماذا سقطت ؟ ومن الذى أسقطها ؟ وكيف سقط الجولان وهو من الناحية الجغرافية مؤلف من تسعة خطوط (ماجينو) مصغرة ؟

قد يقول قائل : ألم يمض على سقوط الجولان أربعة عشر عاما ؟ فلم هذه الأسئلة الآن ! ويجيء الجواب على لسان رأس النظام الحالى فى سورية ، والذى أعطى وعدا لبعض الزعامات الفلسطينية بأنه قرر حماية الوجود الفلسطينى فى لبنان ولو أدى انشغاله بهذا الواجب إلى سقوط دمشق نفسها !!

وهنا طرحت الأسئلة السابقة نفسها .. ترى هل سيمتد سيناريو سقوط الجولان والقنيطرة إلى .. دمشق ؟

وإذا كان العزم الحكومى فى دمشق - كما هو معلن - متوجه لحماية أبناء فلسطين فى لبنان .. فإن الشعب العربى كله يسأل : من الذى قتل ما يزيد على (٥٠) ألف فلسطينى فى تل الزعتر وغيره من مخيمات ومجمعات الفلسطينيين ؟؟ لعل هذا إذا أضيف إلى سيناريو السقوط فى القنيطرة والجولان يكشف عن مهمة نظام دمشق فى المنطقة .. وإلا فإنه من الحماقة أن يرى الشعب العربى مسلسل السقوط .. ويسمع ما يوحى بالاستعداد للتخلى عن دمشق أمام مبررات واهية .. ثم يسكت دون أن يقول إن هناك مهمة جديدة أوكلت لسفاح تل الزعتر وبائع الجولان !!

كيف سقطت القنيطرة[٣] ؟

« بالرجوع إلى وثائق وزارة الدفاع السورية قبل حرب (يونيو) عام ١٩٦٧ يقف المراقب على أمور أساسية هى عبارة عن استراتيجية السقوط التى رسمها النظام الطائفى آنذاك منها :

١ - تسريح الضباط المسلمين الأكفاء من الجيش السورى .

٢ - تعيين العسكريين من صبيان الطائفية فى مراكز القوى العسكرية وقيادات الجبهة المواجهة للعدو اليهودى مثل الدرزى سليم حاطوم والنصيرى عزت جديد ورفعت الأسد .

٣ - تسليم وزارة الدفاع ومؤسساتها لغير المسلمين من أبناء الأقليات الطائفية .

---

(٣) المجتمع الكويتية ، العدد ٤٩٧ لسنة ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ، ص٤ .

٤ - إسناد منصب وزارة الدفاع إلى ضابط نصيرى .

كان حاكم سوريا الفعلى اذ ذاك الطائفى صلاح جديد ، أما الشعب فكان يعانى من قهر سياسى وحرب طائفية اجتماعية تعمل وفق سياسة تكميم الأفواه ورجم الرؤوس المتحركة بالحجارة وأما أرض الجولان فقد نقل صاحب كتاب سقوط الجولان قول كبير المراقبين لهيئة الأمم المتحدة : « أن كل شبر من أرض الجولان يساوى منجماً من الذهب لكثرة ما يغل من حبوب » وأما المراقبون العسكريون فهم يرون فى جبهة الجولان المنيعة « تسعة خطوط (ماجينو) » ومع ذلك فقد سقطت لكن من الذى أسقطها ؟ ومن الذى طلب من أفراد الجيش السورى أن يتخلوا عن القنيطرة ؟

لقد أجاب الأستاذ (خليل مصطفى) عن هذه الأسئلة فى كتابه (سقوط الجولان) الذى طبع فى عمان عام ١٩٦٩ - وكان المؤلف قبل استلام الطائفية زمام الأمر فى سورية ضابط استخبارات فى الجيش ، وهو يعانى حالياً فى أقبية النظام ألوان التعذيب منذ أحد عشر عاماً بعد أن تم خطفه من بيروت بأسلوب حضارى فريد .

ويتحدى الكاتب مستشهداً برأى رجال الجغرافيا وضباط الاستراتيجية العسكرية أن تسقط هضبة الجولان المنيعة بالحرب ! لكنه يشير فى القسم الثانى من الكتاب إلى أمور منها :

١ - هروب قائد الجبهة (أحمد المير) إلى دمشق يوم المعركة متنكراً على حمار ، متحاشيا الركوب فى سيارته العسكرية لئلا يعرفه الجنود .

٢ - رفض رفعت الأسد وعزت جديد القيام بالهجوم المعاكس لصد العدو ، بينما ارتد إلى القصور الآمنة فى مدينة دمشق .

٣ - وفى القسم نفسه يشير الكاتب إلى البيانات والتصريحات التى اطلقت قبل الحرب وخلالها مبرزاً سيناريو السقوط ، فيمر بتصريح وزير الدفاع حافظ أسد وهو يعلن قبل الحرب بأسبوعين :

« إن الوقت قد حان لخوض معركة فلسطين ، وأن القوات السورية أصبحت جاهزة ومستعدة **ليس فقط لرد العدوان الاسرائيلى ، وإنما للمبادرة لعملية تحرير الذات ونسف الوجود الصهيونى من الوطن العربى » - جريدة الثورة السورية - يوم ١٩٦٧/٥/٢٠ وهو نفس المعنى الذى أطلقه عبد الناصر قبل ٥ يونيه ١٩٦٧ .**

وفى نفس الوقت الذى كان وزير الدفاع يدلى فيه بهذا التصريح الخطير .. كان قد أصدر أوامره إلى محافظ القنيطرة (عبد الحليم خدام) بترحيل أسر النصيريين جميعا مع أمتعتهم إلى دمشق » .

ثم يشير الكاتب فى مكان آخر من الكتاب إلى بعض الأمور الأساسية ليثبت من ثم بالبراهين القطعية الدقيقة أن المؤامرة كانت معدة ومتفقا عليها مسبقا ، ويسوق الدليل تلو الدليل .. بدءاً بسحب طعام الطوارىء .. وانتهاء باصدار البلاغ رقم (٦٦) الذى أعلن فيه وزير الدفاع آنذاك سقوط القنيطرة قبل سقوطها ودخول اليهود إليها دون قتال بعشرين ساعة !! وفى الوقت نفسه طلب وزير الدفاع من الجيش الانسحاب الكيفى من الجولان ، ومن ثم لاذ الضباط وأفراد من الجيش بالفرار ، ليعلن النظام – وعلى رأسه صلاح جديد – انتصاره على اليهود طالما أن اليهود أخفقوا فى إسقاط النظام ، ولا قيمة لسقوط الجبهة فى نظر رجال النظام إذا استمروا على رأس الحكم .. وسخر الشعب يومها ، ولعن الفاعل فى الشوارع ، وعبر عن استيائه من قصة الغدر هذه .. ثم ماذا ؟ لقد كوفىء وزير الدفاع ليصبح رئيساً للجمهورية بعد أن جسدت آمال أعداء العرب (اليهود) فى الجولان وفلسطين بوجود النظام المذكور !! » .

عندما قال الأسد سنضرب :

فى مجلة الوطن العربى الصادرة فى باريس يوم ١٩٨٠/٨/٢٩ كتب الأستاذ أحمد الطيب مقالا : « فى صيف سنة ١٩٦٨ : كنت بين المستقبلين الرسميين بصفتى (عميداً للسفراء العرب فى مطار طرابلس الغرب) لوزير الدفاع – آنذاك – اللواء حافظ أسد ووزير الخارجية إبراهيم ماخوس ..

وفى مطار طرابلس .. دار حديث متشعب عن مختلف شؤون الساعة .. وكان من الطبيعى أن يتطرق الحديث إلى الوضع على الجبهات العربية التى تحدق بإسرائيل من كل جانب .. حتى وصل الحديث إلى تناول موضوع الطائرات السورية التى اخترقت حاجز الصوت فى سماء الأرض المحتلة وحلقت فوق تل أبيب .. ولست أدرى وقتها كيف سمحت لى نفسى – فى كثير من الطيبة أو الجهل أو الغباوة – بتوجيه هذا السؤال إلى اللواء حافظ أسد (وزير الدفاع) : « ما دمتم قد وصلتم إلى أجواء العدو واخترقتم جدار الصوت فى سمائه .. فلماذا لم تضربوا ؟ » .

وما راعنى إلا وبعض زملائى العريقين فى الديبلوماسية يغمزوننى وتكلمنى عيونهم بلغة لم أفهمها ..

إلا أن بلبلتى لم تدم طويلا .. فقد توجه إلى اللواء الأسد وهو يجيبنى بعينيه ولسانه معاً ويقول : نعم .. سنضرب إن شاء الله ..

ومرت بعدها الأيام والشهور والسنوات ، وصرنا لا نسمع حتى اختراق حاجز الصوت من طرف طائراتنا النفاثة أو ذات الاندفاع النافورى .. اللهم إلا فوق أجوائنا العربية التى لم تسلم جدران بيوتها من التشقق ، ولا زجاج نوافذها من التهشم .

ومع ذلك كله فقد بقينا أو بقيت أنتظر وعد اللواء الأسد الذى قال لى على رؤوس الملأ فى قاعة الشرف بمطار طرابلس ، سنضرب إن شاء الله ... إلى أن جاءت ضربة حلب ثم ضربة حماة .. ولا داعى لذكر ضربات « تل الزعتر » فهى قديمة .. فتذكرت عندها الضربات الموعودة ... وغمزات زملائى الديبلوماسيين الذين سبقونى فى (الحرفة) وفى التجارب أيضاً !! » .

إنّ شهادة هذا الديلوماسى تكشف شيئين أساسيين :

الأول : أن نظام دمشق لن يوجه أى ضربة أبدا باتجاه اليهود وتحرير الأراضى المحتلة وانما هو مكرس وقته لضرب القواعد الشعبية فى المدن السورية بغية إزاحة العائق الشعبى الذى يعمل على منع إكمال النظام لمسلسل السلام والتسليم (**والعائق الشعبى هو الإسلام**) .

الثانى : افتضاح أمر القيادة السورية وتكتيكها المراوغ أمام الهيئات الديبلوماسية العربية . وهذا التكتيك .. وهذه المراوغة تتضمن :

١ - الجعجعة بلسان وطنى - لا يعرف قول الصدق - فى كل مناسبة تدعو إلى ظهور هذا اللسان .

٢ - وضع العوائق أمام نوازع الشعب العربى الراغب بتحرير الأراضى المحتلة فى سوريا وفلسطين ، وأى عائق للتحرير يضاهى ضرب الأجنحة الفلسطينية المسلحة فى تل الزعتر وغيره .. وضرب الشعب الثائر على الصهيونية وعملائها فى مختلف المدن السورية ؟ !!

٣ - مهادنة اليهود واتخاذ إجراءات السلام معهم تمهيدا لاكمال مسلسل السقوط الذى يبدو أنه سيتضمن مدينة دمشق هذه المرة كما صرح رأس النظام فى وعده لبعض القيادات الفلسطينية ، حيث أن حميته المستجدة فى حماية الفلسطينيين الموجودين فى لبنان (فقط) تدعوه وتدفع به إلى حمايتهم (بعد أن قتلهـم) ولو أدى ذلك إلى سقوط دمشق نفسها !! أليس هذا شبيهاً بالحلقة السابقة التى خرج فيها نظام دمشق بعد تسليم الجولان عام (١٩٦٧) وهو « يعلن انتصاره على اليهود طالما أخفقوا فى إسقاط النظام » ؟؟ وإلا .. ماذا تعنى هذه التصريحات ؟ بل ماذا فعل نظام دمشق مع اليهود بعد تسليم الجولان وافتعال حرب عام ١٩٧٣ . إليك أخى القارىء ما يلى :

وفى يوم ٤ فبراير من عام ١٩٧٤ - أعلن وزير الخارجية فى الحكومة السورية (عبد الحليم خدام - وكان محافظا للقنيطرة يوم التسليم - أعلن عن قبول سورية بالفصل بين القوات على جبهة الجولان .

وفى يوم ٣٠ مايو من عام ١٩٧٤ - أقر المؤتمر القطرى الخامس **الاستثنائى** لحزب البعث مشروع اتفاقية الفصل بين القوات على جبهة الجولان .

وفى يوم ٣ يونيو من عام ١٩٧٤ - وافقت الجبهة الوطنية الحاكمة بالإجماع على اتفاقية الفصل بين القوات ، وقد جاء فى بيان أصدرته :

« إن **الاتفاق** يحقق لسورية **ظروفا** عسكرية وسياسية أفضل لمتابعة النضال » .

لقد علق رجال المعارضة السورية على هذه **الفعلة** الاستسلامية الواضحة للعيان فيما بعد فى واحد من منشوراتهم هازئين :

« كيسنجر أمر .. وخدام أطاع سيده .. والحزب وافق .. والجبهة التقدمية أيدت .. فمن هو مع كامب ديفيد يا ترى ؟؟ »

فلقد دأب نظام دمشق على اتهام المعارضة الشعبية الثائرة فى مدن سوريا أجمع بالارتباط بالصهيونية والامبريالية وكامب ديفيد وسائر تلك المحفوظات العقائدية الداعية **للإضحاك** والسخرية من مروجيها ونسى ما سطره التاريخ وحفظته الأجيال مما ذكرناه أعلاه !! ولعله - إذا استمر فى إخراج مسلسله من أجل سقوط دمشق - سيقول فيما بعد : الشعب فى هذه المرة هو الذى سلم دمشق لليهود ... وأنا مع **الشعب !! »**

تعليق :

هذا الوزير السورى النصيرى (حافظ الأسد) الذى شارك فى جر الأمة إلى **نكبة يونيه** ١٩٦٧ ، يغدر برئيس الجمهورية السورية (نور الدين الأتاسى) ويصل إلى سدة الحكم (رئاسة **الجمهورية) فالنصيرون ومنهم هذا الوزير يغدرون بشركائهم من الناصرين والدليل أنهم نصبوا لهم المشانق فى ١٨/٧/١٩٦٣ ، وغدروا بشركائهم البعثيين فقتلوا ، واعتقلوا وشردوا جناح ميشيل عفلق** والبيطار ، ثم أمين الحافظ ثم الرزاز ونور الدين الأتاسى ، وغدروا بالسادات **وغدروا بجنبلاط** وأبى عمار ويعملون من أجل **إقامة** دولة مجوسية باطنية تضم البلاد العربية **كلها**. هذا الزعيم السورى هو الذى طارد الدعوة الإسلامية (**الإخوان** المسلمين وغيرهم) **ورجالاتها** ونساءها وأطفالها وشردهم وقتلهم ومثل ببعضهم .. هو الذى قتل مروان حديد وإخوانه...وهو الذى فتح السجون للنساء والرجال . وفى سجن **تدمر** انتهكت أعراض النساء المسلمات **وحملن** سفاحا من جند حافظ الأسد .. وهو الذى أصدر الأوامر بتسوية مدينة حماه بالأرض بعد تدميرها وقتل كل من **فيها من المسلمين ، بل إنه أمر بمطاردة وتصفية الإخوان المسلمين خارج سورية فهو المسئول** عن مقتل الأخت بنان طنطاوى زوجة الشيخ عصام العطار بارك الله فى عمره فى ألمانيا .

وهو الذى أرسل وفداً عسكريا إلى جنيف ليوقع **الاتفاقية** الأولى للفصل بين القوات السورية **واليهودية** ، وهو الذى فتح ذراعية هنرى كيسنجر اليهودى الأمريكى لتوقيع وثيقة الفصل الثانية[1].

وهو الذى كان حريصا على الاتصال باليهود عبر سفير سورية فى باريس د . سامى **الجندى** عن طريق وزير الخارجية السورى إبراهيم **ماخوس** .

النظام السورى يحرك قواته إلى لبنان ، ويحتل مواقع عديدة منه تمهيدا لتصفية المقاومة الفلسطينية وضرب طموح مسلمى لبنان لماذا لم يفعل **ذلك** لسحق المارون الذين ظلموا المسلمين عشرات السنين ولم يفعل **ذلك** من أجل حماية الوجود الفلسطينى من العدو اليهودى وحلفائه الكتائبيين والشمعونيين إنه اقتحم لبنان لكى **يبقى على** امتيازات المارون الاستعمارية ، ويبقى فى نفس الوقت على المظالم التى حرمت مسلمى لبنان من حقوقهم المشروعة فى قمة السلطة وفى مناصب الجيش والتمثيل النيابى وغير **ذلك ؟!!!**

اقتحم البعث السورى لبنان لكى يضرب الوجود الفلسطينى أى لكى يؤدى المهمة التى عجز عنها فرنجية والجميل وشمعون وشربل قسيس **واليهود** .

وبعد تدخل النظام السورى فى **لبنان بساعات** أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية تأييدها هذا التدخل ووصفته بانه خطوة عملية بناءة .

بعد التدخل بساعات أعلن رئيس وزراء العدو **اليهودى إسحاق رابين** عن ارتياحه العميق لخطوة النظام السورى . وقال : « إن إسرائيل لا تجد سببا **يدعوها** لمنع البعث السورى من التوغل **فى لبنان . فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهى تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحقة** بالنسبة لنا .

وأعلن الاتحاد السوفيتى، وفرنسا ترحيبهما بالتدخل السورى فى لبنان، والأنظمة العربية الخانقة أيدت للتدخل السورى بسكوتها عن النظام السورى وهو يضرب مسلمى لبنان والمقاومة الفلسطينية[2].

وحقق نظام حافظ الأسد أمل الأعداء فيه ، ذكر كريم أدونى سكرتير حزب الكتائب : **أعتقد** بعد سنين سيظهر بأن حرب لبنان لم تكن بالفعل إلا **أعمالا تمهيدية لمؤتمر جنيف** » .

---

(١) المجتمع الكويتية العدد ٣٠٦ لسنة ١٣٩٦ ص ٣٩ .

(٢) نفس المجلة العدد ٣٠٤ لسنة ١٣٩٦/١٩٧٦ .

وهذا نموذج لتقرير نشر عن أحداث لبنان :

تحت عنوان «أحداث لبنان» نشرت جريدة المجتمع الكويتية مقالاً تكشف حجم المؤامرة التى شارك فيها النظام السورى النصيرى بقيادة حافظ الأسد مع الكتائبيين والموارنة فى لبنان للقضاء على الحركة الوطنية فى لبنان وعلى فصائل المقاومة الفلسطينية . تحت سمع وبصر المنظمات الدولية والدول الأوربية ، وحكام وشعوب العالم العربى وجامعة الدول العربية وهذه بعض الفظائع التى ارتكبها أشخاص ينتسبون إلى الإسلام والعروبة فى الظاهر بالتعاون مع الصليبيين :

قام الكتائبيون وحلفاؤهم بخطف مائة طفل وامرأة من تل الزعتر ، وأعدموهم بطريقة بربرية إذ أطلقت عليهم نيران الرشاشات عشوائيا بعد تجميعهم قرب مناطق تل الزعتر .

وفى جسر الباشا هتك علوج الروم أعراض المسلمات ، وفعلوا أشنع من ذلك فى مجزرة الكرنتينا . حيث هدموا البيوت ، وأبادو الأطفال ، وسلبوا الأموال واعتدوا على الحرائر المسلمات . ومما نقله القادمون من بيروت أن الأوغاد كانوا إذا اعتدوا على كرامة الأبكار من الفتيات تركوهن يعدن إلى أهلهن عاريات كيوم ولدتهن أمهاتهن .

تعليق :

هذا مثال نقلته الأخبار يادعاة القومية العربية ، يادعاة التقدمية ، هل أدركتم أنها حرب صليبية يهودية مجوسية رافضية ضد الإسلام ، وكل هذا يحدث تحت سمع وبصر شعوب وحكام الأمة العربية وبمساعدة النظام السورى الحاكم لا حول ولا قوة إلا الله .

وتواصل مجلة المجتمع نقل الأخبار :

« أذاعت القوات المشتركة أن وحدات سرايا الدفاع السورية قد اشتركت فى القتال الضارى الذى يدور . وسرايا الدفاع تعتبر الحرس الخاص للرئيس السورى حافظ الأسد والدعامة الأساسية لنظام الحكم فى دمشق ، وقائدها كما هو معروف الحاكم بأمره الدكتور رفعت الأسد ، وفى ٩ تموز (يوليو) بعث ياسر عرفات برسالتين عاجلتين إلى الرئيس المصرى حول تطورات الموقف ومما قاله فيها أن القوات السورية قد صعدت عملياتها العسكرية ، وأنها تنفذ مع القوات الانعزالية خطة عسكرية محكمة لضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية . وقال: إن هذه القوة استأنفت قصفها العشوائى لمدينة صيدا ومخيمى المية ومية وعين الحلوة ، ومصفاة الزهرانى . كما تقوم بقصف مدفعى وصاروخى كثيف فى الشمال ، وذكر أن طابورًا سوريا مدرعا يتقدم نحو طرابلس بينما بدأت هذه القوات شن هجوم جديد بعد ظهر أمس على مخيم تل الزعتر وقال ياسر عرفات فى

رسالته للسادات : وليلة أمس قامت القوات السورية بقطع طريق إمداداتنا لمنطقة رأس المين حيث دمرت جسرا رئيسياً فى الطريق وناشده التدخل الفورى ، وإيقاف التدهور قبل فوات الأوان».

ولكن أنّى للرئيس أن يتجاوب ويتدخل !! أليس فى ذلك دليل أن رئيس سورية قد أذن له فى الدخول إلى لبنان إذا ما عجز المارون والكتائب عن تحقيق الهدف وهو تصفية المقاومة الفلسطينية .

ثم ذكر التقرير – اقرئى ياأمتنا، ياأمة الغثاء – « قالت مصادر مطلعة فى لبنان: إن عدد القتلى منذ بدء الحرب حتى يوليو ١٩٧٦ على خمسين ألف قتيل وحصيلة ثلاثة أيام ١٥٠٠ قتيل ، ١٨٠٠ جريح ، ويتوقع المراقبون هجومًا يشنه النصيريون (القوات السورية) والنصارى اللبنانيون من بيروت وطرابلس » .

ألم تدركى ياأمتنا بعد أنها حرب باطنية يهودية صليبية تمتطى ظهر الأنظمة العربية .

ثم عرضت المجلة ؟

« أذاع راديو الكتائب فى ١٩٧٦/٧/٨ تعليقا بعد عودة وزير خارجية سورية من الاتحاد السوفيتى(*) قال فيه :

إن سورية ستستمر فى مهمتها بمباركة الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية المدركتين لخطورة الموقف فى لبنان .

اذن لقد كان النظام السورى النصيرى بالتعاون مع صليبى لبنان يهيئون الجو لمبادرة السلام ، أنهم يقومون بتصفية فصائل المقاومة التى يمكن أن تقف فى وجه مخطط الأعداء .

ماذا فعلت جامعة الدول العربية لا شىء سوى إطلاق العنان للنظام السورى يفعل ما يشاء ومنع كل مساعدة على مسلمى لبنان تحقيقا لرغبة الرئيس الأمريكى وهنرى كيسنجر اليهودى ماذا دهى الأمة ! جزء من أبنائها يستخدم لقتل المسلمين أطفالا ونساء وشيوخا فى جسر الباشا وتل الزعتر وطرابلس ؟ ومن قبل استخدموهم ، فى إبادة المسلمين فى حماه وحمص ودمشق .

وبعد :

الله رب العالمين يقول : ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ﴾ يقول سبحانه وتعالي : ﴿ من قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ والرسول صلى الله عليه

(*) المجتمع الكويتية ، العدد ٣٠٨ ، ١٦ رجب ١٣٩٦ هـ / ١٣ يوليو ، ص ٤٤ وما بعدها تحت عنوان : أحداث لبنان .

وسلم يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » .

هذه هى توجيهات الإسلام التى ضرب بها النظام السورى النصيرى عرض الحائط ؟ فماذا يعنى ذلك ، يكشف لنا شيخ الإسلام ابن تيمية عن السبب !! .

النظام الحاكم فى سورية والذى جاء عبر العديد من الانقلابات العسكرية نظام نصيرى[*] وسياسة تنبع من عقيدته فما هى ؟ وما حكم الإسلام فيها ؟

شيخ الإسلام ابن تيمية يكشف عن السبب ، ويبين حكم الإسلام فى عقائد النصيرية :

يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى الدمشقى :

« النصرية أكفر من اليهود والنصارى والمشركين وضررهم على أمة محمد عليه الصلاة والسلام أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنجة - فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهى ولا بثواب ولا بعقاب ولا جنة ولا نار ...

والنصيرية ملاحدة لا دين لهم . ولهم فى معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة ، وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مُكْنَة سفكوا دماء المسلمين (مثلما فعلوا فى لبنان وحماة وحمص) كما قتلوا مرة الحجاج ، والقوهم فى بئر زمزم ، وأخذوا الحجر الأسود وبقى عندهم مدة ، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وصغيرهم مالا يحصى عدده إلا الله .

وهم السبب فى احتلال النصارى والتتر لبلاد الشام (مثلما مكنوا اليهود من الجولان) . وهم دائما مع كل عدو للمسلمين وهم مع النصارى على المسلمين . . . وهم السبب فى سقوط القدس فى أيدى الصليبيين ، وهم السبب فى سقوط الخلافة العباسية (فمنهم الذين أعلنوا سقوط القنيطرة فى يد اليهود قبل سقوطها) وبمعاونة النصيرية دخل التتر إلى بغداد وقتلوا خليفة المسلمين ، وغيره من ملوك المسملين ، وذلك عبر مرجعهم ووزيرهم النصيرى الطوسى، النصيرية لهم ألقاب معروفة عند المسلمين تاره يسمون الملاحدة وتارة يسمون القرامطة وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الإسماعيلية وظاهر مذهب النصيرية الرفض وباطنهم الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبى ولا رسول .. ولا بشىء من كتب الله المنزلة .. وهم يستهزئون بالله وبأسمائه الحسنى .

---

[*] المجتمع الكويتية ، العدد ٤٩٧ لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٩ وما بعدها تحت عنوان : الطاغوت أو الضياع لسوريا .

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء « لا تجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يصلى على موتاهم ولا يدفنون فى مقابر المسلمين » واستخدام المسلمين لهم فى الجيش والوظائف العامة والخاصة من الكبائر .

وهم خونة متآمرون يسلمون البلاد والعباد للعدو متى استطاعوا وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداء المسلمين .

وحكم الإسلام ألا يتركوا مجتمعين لا يمكنون من حمل السلاح .. وجهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين . والصديق وسائر الصحابة رضوان الله عليهم ، بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب . فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين .

.. ويجب على كل مسلم أن يفشى أخبارهم ، ولا يحل لأحد أن يكتم ما يعرف من أخبارهم بل يفشيها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ... ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله فإن هذا من أعظم أبواب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين ﴾(1).

تعليق :

الآن حيث عرفنا السبب الأساسى بطل العجب فما هو موقف الأمة مما حدث ، إلى الله المشتكى وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقد تبين لنا أن السبب الأساسى الذى مكن العدو اليهودى من تحقيق مخططاته هو الأنظمة الحاكمة التى تنتسب إلى الإسلام فى الظاهر ، وهى حرب على الله ورسوله والمؤمنين . وهى الأنظمة هى التى تكبل الأمة بالأغلال فى مواجهة عدوها ، وهى التى فتحت الطريق أمامه لاغتصاب ديار المسلمين بعد تصفيتها للقوى الوطنية المقاتلة .

---

(1) (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم ، ط مكتبة المعارف الرباط ، المجلد ٣٥ ، ص ١٤٩ بتصرف ، المجتمع الكويتية ، العدد ٣٠٦ ، ص ٢٠ - ٢٤ .

المبحث الثالث

حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية

● حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ من خطط لها ؟ وما هى النتائج التى اسفرت عنها ؟
● الجيش المصرى يغسل العار الذى ألحق به ويعبر القناة ويحطم خط بارليف .
● نصر جزئى يتناسب مع الإيمان فى قلوب القلة المؤمنة من الجنود ، ولو ترك الجند يطورون قتالهم لحققوا مالم يكن متوقعاً !
● **الوزير الأمريكى يقول : « لقد انطلق المارد من القمقم » .**

الوزير اليهودى يقول : « إننا لسنا أقوى من المصريين » .

● **لماذا أمرت القوات المصرية بعدم تطوير قتالها يومى الرابع والخامس من بدء القتال ؟**
● **الإجماع العربى والحظر النفطى لو استمر لركع العدو وتحررت المقدسات .**
● **جسر أمريكى جوى وبحرى لإمداد اليهود بالمعدات والرجال .**
● **الثغرة .. من وراءها ؟ وهل كانت تهديدا لمصر ؟ أم أنها عرضت العدو اليهودى لورطة ؟؟ إن الرئيس نسب النصر فى البداية لنفسه ونسى أن النصر من عند الله العزيز الحكيم ، فكانت الثغرة .**
● **مؤتمر جنيف والعبط السياسى !! اتفاقية فصل القوات !! رحلة السادات إلى القدس !! .**
● **اتفاقية كامب ديفيد !!**

موضوعات تحتاج إلى مباحث عميقة . وفى غيبة الوثائق فإن الأحداث تكشف عن حقيقتها .

وكان لابد من تحريك الموقف وكانت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هجرية الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا (والتى يُصرالذين ينتسبون إلى أمة الإسلام على تسميتها بحرب أكتوبر (٦ أكتوبر١٩٧٣) ، لأنهم لا يريدون أن يربطوها فى ذهن الشباب بتاريخ الإسلام وبشهر رمضان الذى وقعت فيه معارك مثل بدر التى انتصر فيها المسلمون ، وعين جالوت التى انتصر فيها المسلمون على المغول والتتار والصليبيين .

وقعت هذه الحرب ، وأسبابها الظاهرة تحرير أرض مصر المحتلة (شبه جزيرة سيناء ومشارف خليج العقبة) أى أن تحرير فلسطين ، من اليهود والذى غلبوا عليها لم يكن ضمن تفكير مخططى هذا الحرب . ولا حتى تحريرالقدس ولا الضفة الغربية لنهر الأردن ولا الجولان .

وأسبابها الباطنه كما يقول المحللون والكتاب : تحريك الأمة باتجاه ما يسمى السلام مع اليهود بمعنى الاعتراف بالعدو اليهودى الذى اغتصب فلسطين أنه صاحبها وأنه صاحب الحق فى أن يحيا حياة آمنة مطمئنة فى ظل حماية قوات العالم العربى المسلحة ، مع فتح الحدود والسدود أمامه ليتحرك بملء حريته عبرها ، ولتطبيع العلاقات معه أيضاً - إلى هذا كان يهدف الأمريكان واليهود ، ومن أجل هذا حاول المخططون لها أن تكون محدودة ، وفى نطاق معين ، وفى ضوء هذا يمكن أن نفهم لماذا صدرت الأوامر للجيش المصرى بعدم القتال والتقدم اليوم الرابع والخامس من بدء القتال ؟

ولكن جيش مصر الذى لم يتح له فرصة مواجهة العدو فى معركة حقيقية منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ، كان ينتظر اليوم الذى يغسل العار الذى لم يكن له فيه يد وحدث نتيجة الخيانات التى تعرضت لها الأمة ، ولذلك انطلق فى عملية عبور لم يعرف لها التاريخ مثيلاً إلا فى الصدر الأول (حينما عبر المسلمون إلى المدائن بقيادة سعد بن أبى وقاص و لم يكونوا يملكون مركبا واحدا) انطلقوا يهتفون الله أكبر ولله الحمد وكان نصراً جزئيا يتناسب مع إيمان هذه الفئة المؤمنة ، وتهاوى خط بارليف ، وانزعج الأمريكان لدرجة أن هنرى كيسنجر قد صرح: «لقد انطلق المارد من القمقم» ولقد وصلت الأمور إلى درجة يصبح فيها كل تحرك انتحاراً أو كل تردد كارثة ولا جدوى بعد من استدراج الفرقاء لوضع حد للحرب » ؛ وقال دايان يوم ٩ أكتوبر أمام الصحفيين : إن هالة التفوق الإسرائيلى قد أسقطتها وأثبتت بطلانها المعارك الدائرة الآن على الجبهة ، التى كشفت للعالم أننا لسنا أقوى من المصريين (*) ، (لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل الزهراء للأعلام ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

---

* وقال موشى دايان لحسن التهامى : « إننى سأقول لك بصراحة لو تقدمتم بسرعة و لم تتوقفوا لكان يمكنكم احتلال تل أبيب بدون مقاومة حيث إنه لم يكن هناك جندى أو فرد إسرائيلى واحد على استعداد للتصدى أو المقاومة للهجوم المصرى أو لمقاتليكم ، بل إن بعضهم كان يرفض الصعود إلى الدبابات وجميعهم رفض التوجه إلى سيناء فى بداية الحرب وكان يمكن تدفق الهجوم نحو الممرات ، ولا سيما أنه لم تكن هناك قوات إسرائيلية تقاوم الهجوم . (لعبة الأمم والسادات، ص ٢٤٩).

ومن المشاهد التى لا تنسى وبرزت على الساحة المحلية والعالمية أثناء هذه الحرب التضامن العربى والإسلامى وموقف الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله من حرب رمضان ١٣٩٣ هـ / أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى تمثل فى أمرين :

الأول : حظر النفط عن الدول الغربية التى وقفت « مع الدولة اليهودية فى حرب صليبية سافرة » لاغتصاب أرض فلسطين والزحف على بقية ديار العالم العربى .

الثانى : إثبات أن أمر المنطقة بيد أهلها وأن التحدى للغرب ممكن ولو جزئيا ، (حقائق حول أزمة الخليج ص ١٣،١٤) .

وانزعج اليهود والأمريكان لما وقع ، إن الأمر يكاد يخرج من أيدى المخططين ، وأن المارد قد خرج من القمقم ، ومن هنا كان الجسر الجوى والبحرى من الأمدادات الأمريكية ، والأوربية من السلاح ، واستطاع اليهود أن يحدثوا لأنفسهم موضع قدم على الضفة الغربية لقناة السويس عبر منطقة البحيرات المرة بين الجيشين الثانى والثالث المصرى (وهذه مسألة تحتاج إلى تمحيص وبحث وتدقيق لمعرفة المتسبب والغاية والهدف ؟ وهل كانت هناك خيانة أو سوء تخطيط ؟ أو سوء تنفيذ ، ويسبق ذلك خذلان من الله لمن نسيه ونسب النصر الجزئى فى أول المعركة لنفسه) وألقت الولايات المتحدة بثقلها تطلب من النظام المصرى وقف إطلاق النار ، وقبلت مصر وتظاهر اليهود بالقبول وأثناءها طوروا هجومهم حتى وصلوا إلى ميناء الأدبية والزيتية بالسويس ، وواصلوا تقدمهم حتى وصلوا إلى الكيلو ١٠١ طريق السويس مصر (لعبة الأمم والسادات ص ٢٥٦) وبعدها قبلت مصر بالذهاب إلى مؤتمر جنيف ، وبعدها قبلت مصر مفاوضة مع العدو اليهودى على أرض مصر عند الكيلو ١٠١ لتوقيع ما يسمى باتفاقية فصل القوات ، وتم الفصل ، وكانت مكسبا ضخما للعدو وخسارة عظيمة للأمة العربية والإسلامية .

أن العدو اليهودى قد وافق على فك الارتباط فى قناة السويس لإنقاذ قواته المعزولة غرب القناة ..من الهلاك؛ وللعودة لحالة اللاسلم واللا حرب .. والدخول فى مساومات جديدة .

واتضح أن أمريكا لم تسهر الليالى ، وتتنقل بين القارات ، فى شخص وزير خارجيتها ، وتعمل على فك إرتباط القوات .. لم تفعل ذلك أساسا . إلا من أجل رفع الحظر عن النفط .

وتصريحات هنرى كسينجر العلنية لم تترك مجالا للاستنتاج . فى يوم ١٩٧٤/٢/٦ أدلى كسينجر بالتصريح التالى : إن التقدم الذى تم تحقيقة فى الشرق الأوسط منذ حرب أكتوبر مبعثه جهود الولايات المتحدة الدبلوماسية وحدها .. وأن الإبقاء على حظر النفط يجب أن يفسر بأنه شكل من أشكال الابتزاز كنت أعتقد أن التقدم فى المفاوضات سيؤدى إلى رفع الحظر .. هذا هو تصور هنرى كيسنجر فى هذه النقطة .

فك الارتباط .. وبعده يرفع الحظر عن النفط ..

ورفع العرب الحظر عن النفط .. وبهذا فقدوا أمضى سلاحا استراتيجيا ووقعوا فريسة لخداع أمريكا واليهود (المجتمع العدد ١٨٧ لسنة ١٩٧٤/١٣٩٤ صفحة ٤ ، ٥) .

إذن يمكن القول بأن الفصل بين القوات المصرية واليهودية تم خدمة لليهود والامريكان وأوربا فقد تحقق لهم من ورائه الكثير :

أ – فصل القوات أنقذ فرق جيش العدو فى الضفة الغربية من قناة السويس من ورطة استراتيجية قاتلة إذ أن القوات اليهودية التى تسللت من الدفرسوار إلى غرب القناة كانت فى ورطة حقيقية وكان انقاذها عسكريا شيئا غير ممكن لقد قال شارون قائد قوات العدو فى تلك المنطقة بأن قواته كانت فى وضع حرج جدًا فى هذه الحال لم يكن أمام العدو للخروج من المأزق الساحق سوى

جهد دبلوماسي متواصل يقوم به كيسنجر حسب مقتضى توزيع الأدوار . وفعلا أنقذت قوات العدو بالجهد الدبلوماسي فضاعت ورقة أخرى بعد ورقة الأسرى من اليهود التى أحدثت أزمة طاحنة داخل الأرض المحتلة ، وجاء هنرى كيسنجر لينقذ أبناء عمه وإخوانه فى العقيدة اليهودية وأجرى محادثات امتدت أياما وأسابيع حتى ظفر بالأسرى اليهود وأعادهم إلى الأرض المحتلة (المجتمع عدد ٢١٩ سنة ١٩٧٤ مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى) .

ب- وجود قوات الطوارىء الدولية أقام حاجزا دوليا بين الجيش المصرى ، وجيش العدو .

وهذه فرصة جيدة ليستعيد فيها العدو أنفاسه ، ويرتب أموره ويتفرغ لضرب الجبهات الأخرى . سواء بتعزيز مواقعه فى الجولان . أو بتحقيق حلم هرتزل فى الاستيلاء على جنوب لبنان صحيح أن العرب حققوا مكسبا من فصل القوات على قناة السويس وهو جلاء العدو من موقع جديد احتله لكنه مكسب ضئيل بالنسبة لمكاسب العدو . (المجتمع عدد ٢١٩ سنة ١٩٧٤/١٣٩٤)

ج- كما أدى ذلك إلى رفع الحصار عن العدو فى باب المندب وهى من أخطر المكاسب التى حققها كيسنجر لبنى قومه . إذ أنه عن طريق هذا الباب يُزود العدو بالنفط وليس هناك أى طريق آخر فعال يوصل النفط إلى فلسطين المحتلة .

إن الكيان الصهيونى يشكل معْبراً لشحنات من النفط قادمة إلى ميناء إيلات ومتجهة إلى البحر الأبيض . من هنا فإن ساحل فلسطين المحتلة يُعد منطقة تصدير بترول أو خروج بترولى .

إن إغلاق المضيق فى وجه العدو عملية خنق استراتيجية تكتم الأنفاس وتشل الحركة وتقوض كافة الاستعدادت . فالعدو يتلقى عبر الممر شحنات من النفط تنقل بحراً وتبلغ الشحنة الواحدة من ٨٠ إلى ١٢٠ الف طن يمر هذا النفط من خلال فلسطين المحتلة بواسطة طريق بحرى يمتد من إيران إلى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، ثم يتجة شمالا إلى خليج العقبة ليتم تفريغة فى إيلات . وعن هذا الطريق يتلقى العدو أربعين مليون طن من النفط سنويا . بمجرد فرض الحصار على باب المندب دعت جولدا مائير مجلس أمنها العسكرى والاستراتيجى وقالت للأعضاء: إن حصار باب المندب اخطر بكثير من شن الحرب علينا . إننا نختنق استراتيجيا الان . ولابد من فك الحصار بأى وسيلة .

وقد أجرت الفاينانشل تيميز الأمريكية تحقيقا عن حصار باب المندب قالت فيه : « إن كل إجراء لوقف إطلاق النار يعتبر لاغيا وعديم الجدوى فى نظر إسرائيل ما لم يرفع العرب الحصار عن باب المندب » .

والواقع إن إغلاق المضايق المؤدية إلى البحر الأحمر أحدث تأثيراً خطيراً مباشراً على الاقتصاد الإسرائيلى باعتبار أن هذه المضايق هى المنفذ الوحيد لإسرائيل إلى إفريقيا وآسيا والشرق الأقصى . وليس اقتصاد العدو هو الذى تأثر فحسب إذ أن تحركها العسكرى يعتمد على النفط وكان كل يوم يمر من الحصار يمثل شللاً جديداً فى هذا التحرك . وبرفع الحصار عن العدو فى باب المندب يكون كيسنجر قد أعاد الحياة للعدو

بشرياً ردّ الأسرى إلى إسرائيل وعسكريا أنقذ قوات العدو غرب القناة . إستراتيجيا رفع الحصار عن باب المندب .

وذلك يعنى أن حرب أكتوبر كانت أعمالها تمهيدية للصلح مع العدو اليهودى والتفاوض المباشر معه . (المجتمع الكويتية ، العدد ٢١٩ لسنة ١٣٩٤/١٩٧٤) .

كما كانت حرب لبنان أعمالا تمهيدية لتقنين نتائج حرب أكتوبر فى جنيف ؛ وبين الحربين قام الإعلام الخائن بحملات نفسية وفكرية وسياسية متتابعة هدفها تهيئة ضمير الأمة وتحضير نفسيتها لتقبل هذا الوضع وهضم هذه الصفقة ثم جاء وقت الحصاد ولهذه المهمة جاء سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى إلى المنطقة المصرية فى فبراير ١٩٧٧ يسعى إلى :

- رفع المقاطعة العربية عن الكيان اليهودى(*) .
- إقامة جسور اجتماعية واقتصادية بين الوطن العربى والكيان اليهودى فى الأرض المحتلة.
- تشكيل لجان مشتركة بإشراف أمريكا لرفع المقاطعة وفتح الجسور بالتدريج . (المجتمع الكويتية ، العدد ١٣/٣٣٥ صفر ١٣٩٧/فبراير ١٩٧٧ ، تحت عنوان ، المهمة المزدوجة لسايروس فانس وحصاد حربى : أكتوبر ولبنان)(*) .

(*) وقد قدم أحد المفكرين الإسلاميين قرائن على أن حرب أكتوبر كانت حرباً لتحريك القضية ، لا تحرير فلسطين ، (كما اعترف الرئيس السادات) كما أنّ الغرب استجاب للتحدى بأقوى ما يمكن ولم ينس وزير الخارجية الأمريكى اليهودى (هنرى كيسنجر) إهانة فيصل له وتحديه للغرب حين قال : « نحن نستطيع أن نعيش على اللبن والتمر كما كان أجدادنا منذ قرون » . وأعقب تلك الحرب بروز منطقة الأوبك كقوة عالمية ، وارتفاع أسعار النفط بشكل لم يسبق له نظير (مع إنه سعر عادى للغاية) وهو ما كان له أثر فى الاستراتيجية الغربية ، كما أعقبها اغتيال الملك فيصل رحمه الله ، واختفت تماما فكرة حظر النفط ، ودخلت المنطقة ، فى دوامة فك الاشتباك ثم الحلول والمبادرات السلمية » حقائق حول أزمة الخليج ، د . سفر بن عبد الرحمن الحوالى ، دار مكة المكرمة ، ص ١٣ ، ١٤ . لعبة الأمم والسادات ، ص ٢٥٩ .

المبحث الرابع

من نتائج حرب رمضان ١٣٩٣

توقيع اتفاقية كامب دافيد بين مصر واليهود

بحضور الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٩

فيما يلي نص الوثيقة الأولى التى وقعها السادات وبيغن والتى أطلق عليها اسم « إطار السلام فى الشرق الأوسط » كما نقلتها وكالة أنباء الشرق الأوسط :

«اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل مع جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى كامب دافيد من ٥ إلى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ واتفقوا على الإطار التالى للسلام فى الشرق الأوسط وهم يدعون أطراف النزاع العربى – الأسرائيلى الأخرى إلى الانضمام إليه .

مقدمة :

إن البحث عن السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بالاتى.إن القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين إسرائيل وجيرانها هو قرار مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ بجميع أجزائه سيرفق القراران رقم ٢٤٢ ورقم ٢٣٨ بهذه الوثيقة .

بعد أربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الإنسانية المكثفة فإن الشرق الأوسط مهد الحضارة ومهبط الأديان العظيمة الثلاث لم يستمتع بعد بنعم السلام، إن شعوب الشرق الأوسط تتشوق إلى السلام حتى يمكن تحويل موارد الإقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام ، وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .

إن المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذى لقيه من برلمان إسرائيل ، وحكومتها وشعبها وزيارة رئيس الوزراء بيغن للإسماعيلية ردا على زيارة الرئيس السادات ومقترحات السلام التى تقدم بها كلا الزعيمين .. وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبى البلدين كل ذلك خلق فرصة للسلام لم يسبق لها مثيل وهى فرصة لا يجب إهدارها إن كان يراد إنقاذ هذا الجيل والأجيال المقبلة من ماسى الحرب .

وإن مواد ميثاق الأمم المتحدة ، والقواعد الأخرى المقبولة للقانون الدولى والشرعية توفر الآن مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول .

وأن تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٣ من ميثاق الأمم المتحدة وإجراء مفاوضات فى المستقبل بين إسرائيل وأى دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام الآمن معها هما أمر ضرورى لتنفيذ جميع البنود والمبادىء فى قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٢٣٨ .

أن السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة ، وحقها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها غير متعرضة لتهديدات أو أعمال عنف .. وإن التقدم جاء تجاه هذا الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادى وفى الحفاظ على الاستقرار وتأكيد الأمن .

وأن السلام يتعزز بعلاقات السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طيبة ، وبالإضافة إلى ذلك فى ظل معاهدات السلام يمكن للأطراف – على أساس التبادل – الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق محدودة التسلح ومحطات إنذار مبكر ووجود قوات دولية وضباط ارتباط وترتيبات مراقبة يجرى الاتفاق عليها وترتيبات أخرى يتفقون على كونها مفيدة .

إن الأطراف إذ تضع هذه العوامل فى الاعتبار مصممة على التوصل إلى تسوية عادلة شاملة ومستمرة لصراع الشرق الأوسط عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل فقراتهما .

وهدفهم من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار وهم يدركون أن السلام لكى يصبح معمرا يجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير .

لذا فإنهم يتفقون على أن هذا الأطار مناسب فى رأيهم ليشكل اساسا للسلام لا بين مصر وإسرائيل فحسب بل وكذلك بين إسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يبدون استعداداً للتفاوض على السلام مع إسرائيل على هذا الأساس .

إن الأطراف إذ تضع هذا الهدف فى الاعتبار قد اتفقت على المضى قدما على النحو التالى :

أ – **الضفة الغربية وغزة :**

١ – ينبغى أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغى أن تتم على ثلاث مراحل .

أ – تتفق مصر وإسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمى للسلطة مع الأخذ فى الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف – يجب أن تكون هناك ترتيبات إنتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تجاوز خمس سنوات . ولتوفير حكم ذاتى كامل لسكان الضفة الغربية وغزة فإن الحكومة الإسرائيلية العسكرية وإدارتها المدنية ستنسحبان بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتى من قبل السكان فى هذه المناطق عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية . ولمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فإن حكومة الأردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الإطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الاراضى ولاهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التى يشملها النزاع .

ب – أن تتفق مصر وإسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وقد يضم وفد مصر والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين آخرين وفقا لما يتفق عليه وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسؤوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب للقوات المسلحة الإسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التى ستبقى فى مواقع امن معينة وستضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام . وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين اردنيين بالاضافة إلى ذلك ستشترك القوات الإسرائيلية والأردنية فى دوريات مشتركة وفى تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

ج – وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتى – مجلس ادارى – فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتها مع جيرانها ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية وستدور هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة . وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان إحدى هاتين اللجنتين تتكون من ممثلى الأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها وتتكون اللجنة الثانية من ممثلى إسرائيل وممثلى الأردن والتى سيشترك فيها ممثلو السكان فى الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن واضعة فى تقديرها الاتفاق الذى تم التوصل إليه بشأن الضفة الغربية وغزة .

وسترتكز المفاوضات على اساس جميع النصوص والمبادىء بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن .. ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباتهم العادلة وبهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم من خلال :

١ – أن يتم الاتفاق فى المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية .

٢ – أن يعرضوا اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ – إتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان فى الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفسهم تمشيا مع نصوص الاتفاق .

٤ – المشاركة كما ذكر أعلاه فى عمل اللجنة التى تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن .

د – سيتم اتخاذ كل الإجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن إسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها .. وللمساعدة على توفير مثل هذا الامن ستقوم سلطة الحكم الذاتى بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية . وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة .. وستكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعينين لبحث الأمور المتعلقة بالأمن الداخلى .

هـ – خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الأطراف صلاحيات عودة الافراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة فى عام ١٩٦٧ بينما تأخذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطرابات وتستطيع هذه اللجنة أيضا أن تعالج أمورا أخرى ذات الاهتمام المشترك .

« هنا ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط أنها لم تستطع استقبال الإضافة رقم ١٠ من هذه الوثيقة ، ولكن الاسوشيتدبرس نقلت البند ف . من هذه الوثيقة ، هذا نصه :

« ف – وستعمل مصر وإسرائيل معا ومع الأطراف الأخرى المعنية لاتخاذ إجراءات يتفق عليها من أجل الإسراع بتسوية سريعة وعادلة ودائمة لتسوية مشكلة اللاجئين » .

ب – مصر وإسرائيل :

١ – تتعهد مصر وإسرائيل بعدم اللجوء إلى التهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية الصراعات وأن أية صراعات ستسوى بالوسائل السلمية طبقا للمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

٢ – يوافق الطرفان على التفاوض باخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع هذه الاتفاقية بينما ستوجه الدعوات للاطراف الأخرى فى النزاع للتقدم من أجل التفاوض والتوصل إلى اتفاقيات مماثلة بهدف تحقيق السلام الكامل فى المنطقة وأن إطار الاتفاق بين مصر وإسرائيل سيكون المرشد لمفاوضات السلام بينهم وان الأطراف ستوافق على الأساليب والجداول الزمنية لتطبيق الاتفاقيات فى ضوء المعاهدة » .

وهنا أكملت وكالة أنباء الشرق الأوسط النص :

١ – تعلن مصر وإسرائيل أن المبادىء والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن تطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وبين كل من جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٢ – على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التى هى فى حالة سلام كل منها مع الأخرى . وعند هذا الحد ينبغى أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ويجب أن تشمل الخطوات التى تتخذ فى هذا الشأن على :

أ – اعتراف كامل .

ب – إلغاء المقاطعات الاقتصادية .

ج – الضمان فى ان يتمتع المواطنون فى ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية فى اللجوء إلى القضاء.

٣ – يجب على الموقعين استكشاف إمكانيات التطور الاقتصادى فى إطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة فى صنع جو السلام والتعاون والصداقة التى تعتبر هدفا مشتركا لهم .

٤ – يجب إقامة لجان قضائية لجميع الدعاوى القضائية المالية .

٥ – يجرى دعوة الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات بشأن موضوعات متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات وإعداد جدول زمنى لتنفيذ تعهدات الأطراف .

٦ – سيطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام وضمان عدم انتهاك نصوصها وسيطلب من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن التوقيع على معاهدات السلام وضمان

احترام نصوصها كما سيطلب منهم مطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التى يحتويها هذا الأطار .

هذا وقد ورد مع الاتفاقية نص قرارى مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

الوثيقة الثانية :

وفيما يلى نص معاهدة السلام الموقعة بين مصر وإسرائيل .

توافق إسرائيل ومصر من أجل تحقيق السلام بينهما على التفاوض بحسن ية بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة شهور من توقيع هذا الإطار .

وقد تم الاتفاق على .. أن تتم المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة فى موقع أو مواقع يتفق عليها الجانبان .

تطبق كافة مبادىء قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل .

ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك يتم تنفيذ معاهدة السلام فى فترة تتراوح ما بين عامين إلى ثلاثة أعوام من توقيع معاهدة السلام . وقد وافق الطرفان على المسائل التالية ..

أ - الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الأنتداب .

ب - انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من سيناء .

ج - استخدام المطارات التى يتركها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط بما فيها الاستخدام التجارى من قبل كافة الدول .

د - حق المرور الحر للسفن الإسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على جميع الدول وتعتبر مضايق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على أن تفتح أمام كافة الدول للملاحة أو الطيران دون إعاقة أو تعطيل .

ه - إنشاء طريق بين سيناء والأردن بالقرب من إيلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والأردن .

تمركز القوات العسكرية كما يلى :

أ - ألا تتمركز أكثر من فرقة واحدة ميكانيكية أو مشاة من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كيلو مترا شرق خليج السويس وقناة السويس .

ب - تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التى تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة فى مساحة تتراوح عرضها بين ٢٠-، ٤٠ كيلو مترا .

ج - أن تتواجد فى المنطقة فى حدود ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية قوات إسرائيلية عسكرية محدودة لا تتعدى أربع كتائب مشاه ومراقبون من الأمم المتحدة .

أن يكون التخطيط الدقيق لحدود المناطق سالفة الذكر وفقا لما يتقرر خلال مفاوضات السلام .

يجوز أن تقام محطات للانذار المبكر لضمان الامتثال لبنود الاتفاق تتمركز قوات الأمم المتحدة فى المناطق التالية :

فى جزء من المنطقة التى تقع فى سيناء إلى الداخل لمسافة ٣٠ كيلو متر تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران ولا يتم إبعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين .

وبعد توقيع اتفاقية سلام وبعد إتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر(*) وإسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما فى ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، وإنهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز أمام حرية السلع والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين وفقا للقانون .

الانسحاب المؤقت :

تنسحب جميع القوات الإسرائيلية خلال فترة تتراوح من ثلاثة إلى تسعة شهور بعد توقيع اتفاقية السلام شرقى خط يمتد من نقطة تقع شرق العريش إلى رأس محمد ويتم تحديد الموقع الدقيق لهذا الخط بالاتفاق بين الطرفين .

تعليق :

وهكذا يتضح لنا أن من أهداف حرب رمضان ١٣٩٣ (أكتوبر ١٩٧٣) تحقيق هذه الإنجازات:

١ - تجميل وجه الحكم العسكرى وتمديد عمره ، فقد زعمت أنظمة الحكم العسكرى القهرية أنها ما قامت وما صادرت الحريات وضيقت على الناس فى معايشهم وما أنفقت الأموال الهائلة

(*) لعبة الأمم والسادات .

على التسليح ، إلا لكى تتمكن من تحرير فلسطين وإزالة عار ١٩٤٨ من وجه الأمة ، وانتظر الناس وصبروا ، وإذا بالأنظمة العسكرية تضيف إلى هزيمة ١٩٤٨ هزائم جديدة، إذا باليهود يتوسعون باسراف فى الأراضى العربية فى ظل هذه الأنظمة وجاءت هزيمة ١٩٦٧ لتبطل آخر دعاوى الأنظمة العسكرية فى التحرير والنصر؛ ومنذ ذلك الحين سقطت هيبة الأنظمة العسكرية ، وظهر أن سبب وجودها يقتضى تمديد عمرها فالمهمة لم تنته بعد صحيح إن دين راسك وزير خارجية أمريكا قد صرح فى جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ فقال: «ويمكن القول أن حكومات الشرق الأوسط لا تستطيع أن تصنع السلام وتبقى فى الحكم » .

٢ - الهدف الثانى أو الإنجاز الثانى هو الصلح مع العدو فى بريق البطولات، بمعنى أن الذين يتولون كبر توقيع وثائق الاعتراف بالعدو والصلح معه ، تفترض عليهم قواعد اللعبة أن يكونوا أبطالا ، ومن يناقش البطل ؟؟ ومن يعترض على البطل ؟ من يرفض شيئاً من تصرفات البطل ؟؟ وليس المهم وضع شروط حقيقية للبطولة ، المهم أن يصنع بكل ما يستطيع فى بريق البطولة إنجاز الصلح مع العدو .

٣ - والإنجاز الثالث لحرب أكتوبر إنعاش حركة التغريب ، والأمر كله تحت المظلة الأمريكية، وذلك بهدف ضرب الإسلام وتطويق انتعاشته الحديثة ، فإنجاز تجميل الوجه العسكرى معناه الإبقاء على الأوضاع القهرية التى تخنق حرية الإسلام فى الفكر والعمل وتجميع الناس حول رايته ، (المجتمع عدد ٢٤٠ سنة ١٩٧٥/١٣٩٥) .

وقد حدث الذى توقعه المفكرون ، وكانت زيارة السادات(*) للقدس عام ١٩٧٧ ، وبعدها تم ترويض الأمة لتوقيع معاهدة الصلح مع اليهود ،مخالفة بذلك أوامر الله سبحانه وتعالى التى بينها علماء المسلمون فى فتاواهم .

(*) فى ٩ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ / ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ . وقد ألقى الرئيس السادات خطابا فى الكنيست اليهودى ، ورد عليه سفاح دير ياسين . نص الخطابين فى المجتمع الكويتية ،العدد ٣٧٦ السنة الثامنة ، ٢٩ ذو الحجة ١٣٩٧ / ٢٩ نوفمبر ١٩٧٧ .

المبحث الخامس

موقف الأمة من الصلح مع اليهود (كامب ديفيد)

أولا : موقف بعض ضباط ما تسمى ثورة يوليو :

عرض كتاب لعبة الأمم والسادات ، مذكرة مرفوعة إلى الرئيس أنور السادات ، من بعض ضباط ما تسمى بثورة يوليو ١٩٥٢ ، ننقل غالب ما جاء فيها :

«فالأمر يعنينا كما يعنى كل مواطن غيور مخلص. وإن كان العدو فى باطله وعدوانه قد تشاورت كل أطرافه من مؤيدين ومعارضين ، فأولى بنا نحن أصحاب الحقوق المسلوبة والمنهوبة أن تتسع صدورنا لرأى بناء يحاول أن يحذر من نتائج اتفاقات كامب ديفد» .

« وابتداء فلتعلم ياسيادة الرئيس وليعلم المواطنون جميعا أننا كبقية شعبنا طلاب سلام وأن أعز أمانينا هو تحرير أرضنا من دنس الاحتلال الإسرائيلى ، ولكننا نعلم أيضا أن هناك فرقا بين سلام صحيح فيه عدل وأمن ومحافظة على السيادة الوطنية يرجع الحق إلى أصحابه ويوفر الأمن لهم ، وسلام خادع لا الحق فيه عاد ولا الأمن استقر ، ولكن يضيع فيه كفاح الماضى وأمل المستقبل » .

«وحتى لا نتجنى على أنفسنا ولا على أحد فإننا نذكر أنفسنا ونذكرك بأقوالك وتصريحاتك وبتعهداتك فى كل مناسبة داخلية أو خارجية للمواطنين هنا فى الاجتماعات العامة أو فى مجلس الشعب .. أو فى اللجنةالمركزية أو مع قادة الأمة العربية فى مؤتمرات القمة أو فى رسائلك إليهم أو فى مباحثاتك معهم أو فى المنظمات الدولية الإفريقية والأوربية أو فى منظمة دول عدم الانحياز أو فى الأمم المتحدة .. أو فى مجلس الأمن حيث اقتنع الجميع بصدق حقنا وعدالة قضيتنا» .

وتتخلص أقوالك وتعهداتك فى الآتى :

١- عدم التفريط فى أى شبر من الأرض العربية التى احتلت فى يونيو (١٩٦٧) . وجوب الانسحاب الإسرائيلى من كافة هذه الأراضى ، وهى : القدس ، والضفة الغربية وغزة ، والجولان ، وسيناء .

٢ - إنه لبلوغ السلام الدائم يجب أن تحل المشكلة الفلسطينية على أساس الحقوق الشرعية لعرب فلسطين ومنها حقهم فى تقرير مصيرهم ، وحل مشكلة اللاجئين حلا عادلا ، وإن هذا هو المدخل الطبيعى لحل مشكلة الشرق الأوسط لأنه هو أساس المشكلة .

٣ – أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى .
« ولقد أكدت ذلك قبل ذهابك إلى القدس بأيام وحضور ياسر عرفات فى مجلس الشعب المصرى » .

٤ – أنه لا يمكن توقيع اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل لما يجره من ويلات على الأمة العربية .

٥ – أن الأساس الأول لمواجهة عدونا واستعادة حقوقنا الآن وفى المستقبل كله هو وحدة الصف العربى ، وأن الثغرة الرئيسية التى يمكن أن ينفذ منها العدو هى تمزيق هذه الوحدة .

وقد أصابتنا اتفاقات كامب ديفيد بمفاجأة شديدة لأنها تتناقض مع كل ما سبق حيث أعلن توقيع اتفاقيتين :

أما بالنسبة للاتفاقية الأولى وهى (إطار للسلام فى الشرق الأوسط) فإننا فوجئنا بأنها تتوافق مع أهداف بيجين فى حل المشكلة الفلسطينية .

أولا : لأنه ليس بها أى ذكر أو ضمان لانسحاب الجيش الإسرائيلى من الضفة الغربية أو غزة أو القدس، وبالعكس أكد بيجين أن الجيش الإسرائيلى باقى إلى مالا نهاية فى تلك الأماكن ، وكل ما فى الأمر أنه سيعاد توزيع قوات إسرائيل فى المنطقة وأنه بعد فترة انتقال لا تزيد على ثلاث سنوات سوف ينتهى الحكم العسكرى والإدارى الإسرائيلى فيها.

ثانيا : لأنه لا يوجد أى اعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربى الفلسطينى ، ولكن الذى ذكر هو الوصول إلى مرحلة الحكم الذاتى فى ظل الاحتلال العسكرى الإسرائيلى، ومجرد أخذ رأى سكان الضفة الغربية وغزة فى صورة المستقبل.

ثالثا : لم يأت ذكر لوقف عملية إنشاء المستعمرات الإسرائيلية (وكلها غير مشروعة) ويؤكد بيجين أنه تم الاتفاق على وقفها لمدة ثلاثة أشهر فقط ريثما يتم توقيع مصر على معاهدة السلام (أما نحن والأمريكيون فنقول: إنها خمس سنوات» وبذلك يمكن أن تستمر عملية تغيير الأوضاع السكانية فى هذه المناطق لمصلحة إسرائيل (*).

رابعا : أن ممثلى النضال الفلسطينى فى منظمة التحرير الفلسطينية (والتى أعلنتم أنها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى) لم يأت ذكر لهم فى الإطار . والذين جاء ذكرهم مجرد ممثلين للضفة الغربية وقطاع غزة ويعلم الله كيف سيتم انتخابهم تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى .

(*) البلاغ الكويتية ، العدد ٤٦٦ الأحد ٢٢ شوال ٢٤/١٣٩٨ سبتمبر ١٩٧٨ م ، لعبة الأمم والسادات ، ص ٥٢٣ وما بعدها .

خامسا : أنه لم يأت أى بيان فى الاتفاق عن بيت المقدس العربية ، ولكن ذكر أنها ستكون موضوع رسائل متبادلة ، ويؤكد بيجين فى تصريحاته المتكررة أن القدس ستبقى للأبد مدينة موحدة وعاصمة لإسرائيل .

سادسا : لقد جاء فى الاتفاقية الأولى النص الآتى صراحة :

« لذا فإنهم يتفقون (مصر وإسرائيل) على أن هذا الإطار مناسب فى رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر وإسرائيل فحسب . بل وكذلك بين إسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يبدون استعدادا للتفاوض على السلام مع إسرائيل على هذه الأسس » . وهذا يتفق مع خطة إسرائيل فى تجزئة القضية والنظر فيها مع كل طرف على حدة كى تتمكن من ممارسة ضغطها المستمد من واقع الاحتلال وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، لكى تملى شروطها على كل جانب ضعيف بمفرده ، بدلا من أن تواجه كتلة عربية متحدة قوية كما كان مقررا أن يتم فى مؤتمر جنيف .

وبتوقيع إسرائيل ومصر على اتفاقيتى كامب دافيد تكون إسرائيل قد حققت هدفها وفرضت أساسا معينا وطريقة معينة يلتزم بها كل من يريد التفاوض معها مما يعطى مفهوما جديدا لقرارى (٢٤٢ ، ٣٣٨) ، يتلاءم مع أهداف إسرائيل وتفسيراتها لهذين القرارين والمخالفة للمفهوم العربى ومفهوم كل المحافل الدولية الأمر الذى يضعف حجة الجانب العربى .

سابعا : بذلك كله يكون توقيع اتفاقيتى كامب دافيد قد أضفى شرعية على أوضاع غير شرعية مما يؤدى إلى استمرار احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة واستمرار تهديدها .

بالنسبة للاتفاقية الثانية :

فكانت المفاجأة بموافقة شبه كاملة أيضا على أهداف مشروع بيجين ، وبيان ذلك كالآتى

أولا : أنها تمثل اتفاقا منفردا بين مصر وإسرائيل ، وأن مصر سوف تباشر التفاوض بشأنه فورا ، وأنه سيتم التوقيع عليه فى ظرف ثلاثة أشهر ثم يتم التمثيل السياسى والتعاون الثقافى والاقتصادى .. إلخ قبل الانسحاب الكامل من سيناء وقبل حل المشكلة الفلسطينية والقدس والجولان . ومحاذير هذا الاتفاق خطيرة للغاية وهى معلومة للجميع ، ومع ذلك نوجزها فى الآتى :

١ ــ أنه تخل من مصر عن مسئولياتها التاريخية قبل الأمة العربية فى موقفها المصيرى رغم أن مصر بحكم الواقع والدستور جزء من الأمة العربية ورغم أنه لا غنى لمصر عن الأمة العربية ولا غنى للأمة العربية عن مصر .

٢ ــ أن خروج مصر المفاجىء قد أحرج الأمة العربية وأضعف شوكة دول المواجهة ضعفا خطيراً يعجل باحتمال سقوطها فريسة للضغط الإسرائيلى الأمريكى .

٣ ــ أن خروج مصر من المعركة قد أضعف مصر نفسها فى مواجهة القوة الإسرائيلية المدعمة بلا حدود من الولايات الأمريكية

٤ – أنه لا يمكننا أن نتصور مستقبلا مشرفا لمصر منفصلة من الأمة العربية التى تتكامل فيها كل مقومات البشر والأرض والثروة والمصير .

٥ – لقد كان عزل مصر عن الأمة العربية هدفا يحاول أن يحققه الاستعمار الأوربى الذى كان ، ونخشى أن يكون قد حققه الاستعمار الصهيونى الذى هو قادم ليتمكن فى النهاية من فرض سيطرته العسكرية والاقتصادية والسياسية على المنطقة تحت مظلة القوة الأمريكية العاتية المتحالف معها .

ثانيا : لقد ذكر فى أول بند من بنود هذا الاتفاق أن السيادة المصرية ستعود كاملة على سيناء بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها إلا أن البنود التالية فى هذه الاتفاقية تتنكر لهذه السيادة بندا بعد الآخر ، بدليل :

أ ــ أن سيناء التى يبلغ عمقها من الشرق إلى الغرب حوالى مائتى كيلو متر ستكون منطقة منزوعة السلاح إلا المنطقة الغربية منها وعمقها خمسون كيلو مترا شرق قناة السويس ولن يوجد فيها إلا فرقة عسكرية واحدة من القوات المصرية. ولا يمكن لهذه الفرقة أن توفر الأمن والحماية لنفسها فضلا عن توفر الأمن والحماية لمصر بما فيها سيناء، وهذا يعنى أيضا أن الحدود المصرية الشرقية التى يمكن الدفاع عنها ذلك الهزيل قد ارتدت (١٥٠) كيلوا مترا غرب الحدود الدولية، بينما إسرائيل لا يوجد فيها أى منطقة منزوعة السلاح ، وأن المنطقة المحدودة التسليح الواردة فى الاتفاق لا تتجاوز ثلاثة كيلو مترات علي جانب الحدود بها أربع كتائب عسكرية يليها كل ما شاءت إسرائيل أن تضعه من قوات مسلحة.

ب – تدويل بعض مناطق سيناء فى شرم الشيخ وقرب رفح .

ج – حرمان الجزء الأكبر من سيناء بما فيه من مواطنين وثروة من أى وسيلة من وسائل الحماية أو الدفاع ، وبقاؤها مفتوحة تهددها إلى الأبد مطامع إسرائيل التى لا ينتهى غدرها الذى اشتهرت به . كل ذلك يتم عكس منطق الحوادث والتاريخ ، فلقد أعطينا إسرائيل المتعجرفة والمعتدية دائما كل الأمان . ولم نضمن لأنفسنا أى حق من الأمان لا فى الحاضر ولا فى المستقبل . الموضوع إذن ليس أمن إسرائيل لكنه موضوع تمهيد الطريق لإعادة غزو سيناء فى المستقبل بدون أى خسارة تذكر . إن الأمان الذى تنعم به مصر فى ظل هذه الاتفاقية كالأمان الذى يشعر به الحمل وسط قطيع من الذئاب .

د – إن اشتراط إسرائيل عودة العلاقات الطبيعية بما فى ذلك العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء الحواجز أمام حرية حركة السلع والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين

قبل إتمام عملية الانسحاب الكامل من سيناء مصر ذاتها ، لأنها إرغام لها على قبول ما يجوز ألا تقبله أية دولة مستقلة ذات سيادة مالم تجبر عليه بالقوة .

هـ ـ تحريم استخدام مطارات سيناء على الطائرات العسكرية المصرية مع عدم وجود أية قواعد جوية مصرية فى سيناء شرق قناة السويس مع وجود قواعد عسكرية إسرائيلية ضخمة ستقوم الولايات المتحدة بإنشائها متاخمة لحدود سيناء .

ثالثا : من المعلوم أن هدف إسرائيل البعيد هو السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية تمهيدا لسيطرتها السياسية . وأن ما جاء فى الفقرة (د) السابقة يحقق لها هذا الهدف علاوة على أنه تسميم لثقافة مصر العربية وتحطيم لاقتصادها الضعيف أمام الغزو الاقتصادى الإسرائيلى القادم الذى تسانده أموال الصهيونية العالمية وأمريكا .

رابعا : إن ما جاء فى هذه الاتفاقية يتناقض مع ميثاق جامعة الدول العربية وما يتضمنه من اتفاقات دفاع مشترك واتفاقات ثقافية ومعاهدات اقتصادية ومشروعات تكامل اقتصادى بين هذه الدول .. ويدعو ذلك إلى كثير من التساؤلات التى نجد من الصعب الإجابة عنها مثل :

أ – ما موقف مصر من الأمة العربية إذا اعتدت إسرائيل على إحدى دولها ؟

ب – أى فكر يمكن أن نتبادله مصر مع الأمة العربية وقد تعاونت وتصادقت مع الفكر الصهيونى الذى أصبح يروج له حتى فى ظل الاحتلال الإسرائيلى لأرضنا ؟

وما مدى البلبلة التى ستحدث لفكر شباب مصر عند محاولة تفسير طبيعة علاقات الصداقة الجديدة مع إسرائيل وكيف يمكن أن يوائم بينها وبين علاقتنا مع باقى الأمة العربية ؟

ج – وأى تعاون أو تكامل اقتصادى يمكن أن نتمه أو نبنيه مع الأمة العربية وقد تداخل الاقتصاد المصرى والاقتصاد الإسرائيلى مثل هذا التدخل الذى تنص عليه الاتفاقية . وما مصير المقاطعة العربية لإسرائيل ، وهل ستطبق هذه الدول هذه المقاطعة على مصر أيضا ؟!

د – وما مصير الدعم العربى الذى توفرها الدول العربية الآن لمصر ؟

هـ – وما موقف الأكثر من مليون مصرى الذين يعملون الآن فى الدول العربية ، موقفهم المعنوى أمام إخوانهم العرب الذين يتهمونهم بالتخلى عنهم علاوة عن موقفهم وموقف مصر الاقتصادى لو تحددت فرص عملهم فى هذه الدول .

وهذا قليل من كثير من أنواع القطيعة والخسائر والمشاكل والتمزق التى ستنشأ بعد انفصال مصر عن الكيان العربى وعزلها عنه .

ياسيادة الرئيس هذا ما نشعر به من خطورة بعد تحليلنا للاتفاقات ، ولابد أن يكون هذا نفسه هو الذى حدا بالدول العربية جميعا أن ترفض الوقوف بجانبها أو ترضى عنها كما حدا بوزير الخارجية المصرى أن يستقيل احتجاجا عليها .

وخلاصة هذا الاتفاق فى نظرنا هى :

١ — تمزق عربى يحرم الأمة العربية من أهم أسلحتها .

٢ — عزل مصر عن الأمة العربية لإضعاف مصر والأمة العربية معا لتقع كلها بين براثن الاستعمار الإسرائيلى للمنطقة .

٣ — إضفاء صفة الشرعية على كل الأوضاع غير المشروعة لإسرائيل ولمخططاتها فى المنطقة ، وخاصة بعد عزل القضية العربية عن المؤسسات الدولية والرأى العام العالمى .

٤ — بقاء مصر وباقى الأمة العربية فاقدة الأمان ناقصة السيادة أمام قوة إسرائيل العسكرية المتزايدة بمساعدة الولايات المتحدة .

٥ — تصفية القضية الفلسطينية والشعب العربى الفلسطينى لصالح إسرائيل .

كل ذلك رغما عما يدور الآن من توجيه للرأى العام المصرى ليكفر بعروبته وليؤمن بأن صلاته العربية هى سبب بلائه ولينتظر السراب الخادع للتقدم والانتعاش بعد إتمام هذا الاتفاق ، وبعد ما يصور له من أنه سيفيق من عبء الإنفاق العسكرى بعد معاهدة السلام ، والواقع أن هذا الانفاق لم ينخفض كثيرا ؛ لأن إسرائيل تحاول من الآن وفى صبيحة كامب ديفيد عقد صفقات لأحدث الأسلحة ومعدات الحرب من أمريكا تقدر قيمتها بثلاثة عشر ألفا وسبعمائة مليون دولار ، هذا علاوة على ما فى ترسانتهم من أسلحة منحت إليهم بعد فك الاشتباك الثانى .

ومن البديهى أنه لا يمكننا أن نقف مجردين من السلاح والاستعداد مهما كان اتفاقيات السلام .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن اقتصادنا لن ينصلح حاله إلا إذا أصلحنا حال أنفسنا . فإن المال فى مصر بكافة صور الإهدار أكثر بكثير مما يمكن توفيره من نفقات التسليح .

واليوم يا سيادة الرئيس نحن نعتقد أنه مازالت هناك فرصة لتحقيق المصلحة القومية العليا للأمة العربية ، وذلك بجمع الصف العربى ليتفق قادة العرب على موقف موحد لمواجهة الأخطار التى

تهدد مصير الأمة العربية ، وذلك قبل إتخاذ أية خطوات أخرى لتنفيذ هذا الاتفاق »(٥) .

والسؤال الذى كان مطروحا :

هل استجاب السادات لهذه النصيحة ، وهى تعبر عن بعض ما يجيش فى صدور الأمة ؟ ؟ لم يستجب ، إنه كان يدفع إلى كامب ديفيد دفعا ، تحقيقا لغايات وأهداف ، ظهرت آثارها فيما بعد .

ثانيا : موقف الدول العربية :

التزم بعضها الصمت حيال هذه الأحداث الجسام ، وقام البعض الآخر بتشكيل جبهة أطلقوا عليها الصمود والتصدى .. وهى سورية وليبيا والجزائر والعراق وشرق الأردن .. وكانت قرارات منها :

إنشاء جبهة قومية للصمود والتصدى واعتبار قضية فلسطين قضية العرب الإسلامية واسترداد الحقوق الوطنية لشعبها فى العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير ، وقطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع مصر ، وتطوير العلاقات مع الاتحاد السوفيتى (ونسى الصامدون ان الاتحاد السوفيتى ضلع فى هذه المؤامرة) . ومن القرارات أيضا نقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس ، مع تجميد عضوية مصر ، وهذا هو الذى كان يريده الأعداء مرحليا .

وهكذا عزلت مصر عام ١٩٧٩ بعد توقيع النظام المصرى اتفاقيات كامب ديفيد عن بقية بلاد العالم العربى والإسلامى بعد أن أعلنها النظام المصرى سافرة أنه يقف فى صف العدو اليهودى ، عدو الله وعدو رسوله وعدو الإسلام والمسلمين يحمى ظهره من أية محاولة للعبور عبر الأرض المصرية إلى أرض فلسطين المحتلة لتحريرها .

وبعد تجميد الجبهة المصرية العسكرية مع العدو اليهودى ، انطلق العدو اليهودى ، بدعم أمريكى أوروبى يعد العدة ، وينفذ مخططاته لتصفية القوى العربية والإسلامية ، وخاصة الفلسطينية المعارضة لمخططاته ، وترويض بقية الأنظمة والشعوب لتنضم لكامب ديفيد ، بمعنى التسليم للعدو اليهودى المغتصب بأنه صاحب فلسطين وفتح الحدود أمامه لتطبيع العلاقات مع طبقات الامة وتحقيق الهيمنة الأمريكية اليهودية على المنطقة والقضاء على القوى الوطنية المعارضة للكامب (وقد تحقق ما كان يرجوه العدو فى مؤتمر مدريد عام ١٩٩١) .

---

(٥) هذا المبحث مأخوذ بكامله من كتاب لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ، الزهراء للإعلام ، ص ٥٢٣-٥٣٠ ، والمذكرة مرفوعة من كل من عبد اللطيف البغدادى ، زكريا محيى الدين ، حسين الشافعى ، كمال الدين حسين . فى ١٩٧٨/١٠/١ . كما ذكر المؤلف ؛ البلاغ عدد ٤٦٩ ، الأحد ١٤ ذو القعدة ١٣٩٨ ص ٥٥ - ٥٩

ثالثا : موقف المنظمات الإسلامية والوطنية :

اما موقف المنظمات الإسلامية وموقف الاتحادات الطلابية فى المدارس والجامعات والمنظمات والنقابات المهنية وخاصة نقابات المهندسين والأطباء فهو موقف الرافض لكل ما يحدث على الساحة ، رفض موقف الأنظمة التى رفعت شعار السلام وزعمت أن السلام اختيار مصيرى وبث الرعب فى قلوب أبناء الأمة من العدو اليهودى وأعوانه امريكا وأوروبا .. موقف المنكر لزيارة رئيس مصر أنور السادات لقاعدة العدوان اليهودى الأمريكى فى فلسطين المحتلة ، ليصافح الأيدى التى تقطر من دماء المسلمين ، ويعانق المتآمرين على أمة الإسلام والمسلمين أهذا هو رئيس مصر !! مصر الإسلامية التى ظلت تقاتل أوربا قرنين من الزمان ٤٩٢هـ/٦٩٠هـ مصر الإسلامية التى هزمت المغول والتتار فى عين جالوت (٦٥٨هـ) بعد أن اجتاحوا العالم الإسلامى من الصين إلى دمشق .

مصر الإسلامية التى وقفت فى وجه الاحتلال الفرنسى ووجه الاحتلال الإنجليزى .

لقد استنكروا مباحثات الاستسلام. لقد استنكروا كامب ديفيد وقالوا : كيف تسمح الأمة ... وتساءلوا : هل هذه الأنظمة عاجزة عن تحرير المقدسات فلماذا لا تترك مواقعها لمن يستطيعون ذلك ؟ والأمة حين تطرح هذا الطرح تنسى أن هذه الأنظمة ما جىء بها إلا لتحقيق أهداف بنى يهود سواء علموا أو لم يعلموا ؟

بيان جمعية الإصلاح الاجتماعى حول زيارة الرئيس المصرى لفلسطين المحتلة :

أيها الشعب المصرى :

ينفر الحجيج من عرفات مغفورا لهم بعد أن باهى رب العزة ملائكته بهذه الجموع وفى هذه اللحظات المباركة تصل طائرة الرئيس المصرى مطار (بن غوريون) فى فلسطين المحتلة تلبية لدعوة من رئيس وزراء العدو - بيغن - ليخاطب أعضاء الكنيست اليهودى بعد أن يصلى صلاة العيد فى الأقصى تحت حراب اليهود .

وجمعية الإصلاح الاجتماعى إذ تستنكر وتشجب هذه الخطوة لا تجد فيها شيئا جديدا فإن مسلسل الخيانة والتآمر بدأ منذ أوائل العقد الثالث من هذا القرن مرورا بأحداث عام ١٩٤٨ وهزيمة حزيران ومشروع - روجرز - وقبول قرارات الأمم المتحدة الجائرة وحرب رمضان ومشاريع كيسنجر وكارتر وجنيف وما رافق كل ذلك من مصادرات للحريات وملاحقة للإسلاميين وللقوى الوطنية بالاعتقال والتشريد والإرهاب والقتل وإبعاد الأمة بمختلف شئون حياتها عن شرع الله وإلهائها بالمزيد من المفاسد عن قضاياها المصيرية وإنعاش للنعرات الطائفية .

أيها الشعب المسلم :

إن التهالك على أعتاب العدو والتعجل فى حسم القضية الفلسطينية بالسلام الذليل خطوة ستترك بصمات سوداء كالحة فى تاريخ أمتنا ، إننا مع اعترافنا بالضعف بسبب أنظمة الحكم المتسلطة على الشعوب وانحرافها عن سبيل الحق إلا أن قدرتنا على الصمود مع الإعداد السليم وتوفير الحريات للشعوب لابد وأن تحقق النصر بإذن الله .

إن خطوة السلام الذليل من شأنها تكريس ثقة العدو ببقائه واستمراره ولا أدل على ذلك من الارتياح العام الذى عبرت عنه مختلف الأوساط اليهودية العالمية وترحيبها الحار بزيارة الرئيس المصري وإن كنا قد خسرنا جميع الجولات الماضية مع العدو فجثم على الأرض ومكن لنفسه فيها إلا أننا لن نعترف بشرعية وجوده وقانونية كيانه لأننا لن نساوم على أرضنا ولا شرفنا اعتقادا منا أن فى الذود شرف هو شرف الشهادة فى سبيل الله ، ومن قتل دون أرضه فهو شهيد .

إن حق النطق باسم القضية هو ليس من حق الفلسطينيين والعرب وحدهم فقضية فلسطين هى قضية كل مسلم والأرض هى أرض المسلمين ، فمن الخطأ التصور أن هذه القضية تتوقف على فئة معينة تتحمل مسئوليتها وتساوم العدو عليها وهنا يطرح سؤال هام ومنطقى .. متى يقوم المسلمون لاسترداد أرضهم واستعادة كيانهم ؟

نقول : إن الحرب سجال ولئن سرت فى كيان المسلمين عوامل الضعف والتفكك بابتعادهم عن شرع الله ومنهجه فلابد يوما أن ينجلى الليل وتنطلق الأمة من رقادها وغفلتها مستعينة بربها آخذة بأسباب القوة والنصر القائمة على قوة العقيدة والسلاح .

أيها الشعب المسلم :

إن العدو اليهودى الذى اغتصب الأرض واستباح الحرمات وقتل وشرد مئات الآلاف من أبناء هذه الأمة لن يرضى إلا المزيد من التنازلات والمزيد من التوسع والمزيد من الإفساد فى الأرض فإن خطوات الاستسلام للعدو اليهودى لن تدفعه إلا لمواصلة اغتصابه وتوسعه وطغيانة فإن الصراع القائم إنما هو صراع عقائدى وحضارى بين حق وباطل وله جذوره التاريخية ولن ينهى بزيارات أو قرارات أو اتفاقيات فى محافل دولية .

أيها الشعب المسلم :

إن السلام على أرض فلسطين المحتلة لن يأتى بالاستسلام والخنوع بل بالجهاد فى سبيل الله حتى التحرير الكامل .

وإن الصلف اليهودى لا يخفى على أحد فالأوساط الدولية بدأت بتفهم القضية الفلسطينية وبالتأكد من سياسة اليهود التوسعية الإجرامية .

وإن الحفاظ على حقوق الشعب المسلم فى أرضه لا يتأتى عن طريق الاعتراف بالعدو الغاصب إذ أنه لا يحق لأى فرد كان التفريط ولو بشبر من الأرض الإسلامية تحت أى ظرف من الظروف وإن أعضاء الكنيست والحكومات اليهودية وعموم اليهود ليسوا بغافلين عن جوانب قضيتنا وليسوا بحاجة إلى من يعرفهم بها .

لذا فإن جمعية الإصلاح الاجتماعى لا تجد أى مبرر لهذه الخطوة الاستسلامية مهما حاولت الجهات المعنية ذلك .

أيها الشعب المسلم :

إن جمعية الإصلاح الاجتماعى لا تستنكر وتشجب هذه الخطوة الاستسلامية فحسب بل تستهجن الصمت الرسمى والشعبى المواكب لها فإن هذا الصمت مشاركة مباشرة فى هذه الخطوة .

هذا وتناشد الجمعية الأنظمة والشعوب بالعمل بحزم على إيقاف هذه الخطوة ومقاطعة كل من يعترف بالعدو .

وتدعو الحكومات الممولة لما يسمى بدول المواجهة بتوجيه دعهما لمن يستعد بحزم وصدق لحرب العدو .

كما تدعو حكومات الأمة الإسلامية وشعوبها إلى تحكيم الشريعة الإسلامية لتحفظها من الضلال والانحراف والتبعية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » انتهى بيان الجمعية.

تعليق :

إن توقيع هذه المعاهدة أكبر نكبة نزلت بالأمة العربية والإسلامية ومن قبل بالقضية الفلسطينية ، نكبة لم تصب الأمة بمثلها عبر تاريخها وهى توقيع النظام المصرى اتفاقية مع العدو اليهودى ، يُسلم له بأنه صاحب الدار التى اغتصبها بعد أن أباد وشرد معظم أهلها ، يسلم للعدو اليهودى وقفا إسلاميًا هو فلسطين المسجد الأقصى التى حرّم الله على أمة الإسلام التنازل عن أى جزء منها ، وفرض على أمة الإسلام تحريرها وإقامة حكم الإسلام على أرضها ، وتحقيق الأمن لأهلها .

هذه الاتفاقية كانت أكبر نكبة نزلت بالعالم العربى والإسلامى[١] لأنها اعترفت لليهود بحق احتلال فلسطين المسجد الأقصى ، ووافق النظام المصرى فيها على العمل لتطبيع العلاقات مع العدو اليهودى وإنهاء حالة العداء بينه وبين العالم العربى والإسلامى بداية بمصر وتوفر الأمن له وتبنى الدعوة للانفتاح الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى والتعليمى على العدو اليهودى والعمل لتحقيق ذلك ، مع تجميد موقف الأمة العربية والإسلامية حيال القدس التى اعتبرها رئيس حكومة العدو اليهودى ، عاصمة أبدية للدولة اليهودية المزعومة .

كانت هذه أكبر نكبة نزلت بالأمة لأنها اقترنت بعمليات كثيرة وأحداث كانت تهدف إلى تصفية الشعب الفلسطينى وتصفية قضيته ، بل العمل على إجباره لإنهاء كافة سبل المقاومة ضد العدو اليهودى لتحرير أرضه ، بل وإجبار المنظمة على الاعتراف للعدو اليهودى المغتصب بأنه صاحب فلسطين ، وأن تتعهد المنظمة بنبذ كافة وسائل ما يسمونه الإرهاب ضد العدو اليهودى[٢] ، واقترنت أيضا بالعمل المنظمة ثم لتصفية اليقظة الإسلامية وتجفيف منابع الإسلام فى قلوب أبناء الأمة لأن الإسلام هو الذى يشكل العقبة الكؤود فى وجه تنفيذ المخطط اليهودى الأمريكى الذى يمتطى ظهر المنظمات الدولية وظهور الذين ينتسبون إلى أمة العرب والمسلمين .

إن هذه الاتفاقية فتحت بابا من أبواب الشر على العالم العربى والإسلامى سبحان من يغلقه ؟!

---

(١) رفع بيجن مذكرة إلى كارتر رئيس أمريكا ، أرفقت بنصوص معاهد كامب ديفيد ، يذكر فيها أن الكنيست اليهودى قد اتخذ قراراً باعتبار القدس عاصمة أبدية للدولة اليهودية من النهر إلى البحر . ولقد وافق الكونجرس الأمريكى عام ١٩٩٠ على هذا القرار ونقلت السفارة الأمريكية وغيرها إلى القدس الإسلامية . ولم يحتج نظام عربى واحد الذين أدركوا وانتبهوا هم الشباب المسلم الذين بذلوا جهدهم لإحياء القضية والتصدى للمتآمرين .

(٢) وهكذا انقلبت المعايير والأمور ، الذى يسعى إلى تحرير أرضه ومقدساته وإنهاء العدوان الواقع على نسائه وأطفاله =

المبحث السادس

التطبيع

من الثمار المُرَة التى فرضت على الأمة عبر الأنظمة العربية الحاكمة أن تلوكها ، ثمار التطبيع .

ما معنى التطبيع ؟ وما أهدافه ؟ وما وسائله ؟ وما النتائج التى أسفر عنها ؟ وما موقف الأمة حكاما ومحكومين على مستوى العالم العربى ؟

تطبيع العلاقات أى جعلها طبيعية بين شعب مصر أولا وبقية الشعوب العرية والإسلامية فى مرحلة لاحقة من جانب ، وبين اليهود وأمريكا وأوروبا من جانب آخر الذين اغتصبوا فلسطين بعد أن أبادوا وشردوا شعبها هو أحد الأهداف التى حددتها الفقرة الثالثة من معاهدة كامب ديفيد التى وقعها النظام المصرى بقيادة أنور السادات مع العدو اليهودى بقيادة بيجن (منفذ مذبحة دير ياسين وغيرها) فى عام ١٩٧٩ .

وللتطبيع أهداف :

وهو إزالة الحاجز النفسى الذى يمنع الأمة العربية والإسلامية من التعايش والانفتاح والتعامل مع العدو اليهودى (ومن عاونه من الأمريكان والأوربيين) الذى اغتصب فلسطين بعد أن انتهك أعراضها وأباد وشرد معظم أهلها ، وهو يعد العدة للزحف على بقية ديار الإسلام ...

التطبيع يهدف إلى ترويض العالم العربى والإسلامى للتسليم للعدو اليهودى ومن عاونه بحق الحياة الآمنة على الأرض المقدسة التى اغتصبها تحت سمع وبصر وبمعاونة من اغتصب دورهم ، وقتل نسائهم وأطفالهم وشبابهم .

= ورجاله يسمى إرهابيا ، والذين يغتصبون الديار وييتمون الأطفال ويقتلونهم ، ويؤيمون النساء ، ويجهضون الحوامل منهن ، ويقتلون الرجال ويطاردونهم ، ويهدمون الدور ويغتصبونها ، هم دعاة سلام !! القراصنة دعاة سلام ! وأعضاء فى المنظمات الدولية ؟ القراصنة لهم الحق فى أن يعيشوا فى حماية أبناء الأمة .

التطبيع يهدف إلى إجبار الأمة على نسيان فلسطين المسجد الأقصى ، وأنها أرض الإسلام التى فرض الله على المسلمين دخولها وسكناها وإقامة حكم الله عليها ﴿ **ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم** ﴾ سورة المائدة ، ونسيان أن تحريرها فريضة شرعية ، وأنه لا يجوز التفريط فى شبر من أرضها[1]

يهدف العدو اليهودى من وراء التطبيع إلى ترويض العالم العربى والإسلامى وتطويعه ليسلم زمامه لليهود وأعوانهم من الأمريكان وغيرهم لتوجيهه لخدمة مخططاتهم ، وحتى لا يقف (العالم العربى والإسلامى) حجر عثرة فى سبيل تنفيذ هذه المخططات ، والتى تهدف إلى إقامة دولة يهودية من النيل إلى الفرات تمهيدا لدولة يهودية عالمية تمسك بزمام العالم .

يهدف التطبيع إلى إبقاء العالم العربى والإسلامى على حالة من التخلف والجهل والتفكك والعبودية فى ظل أنظمة حكم استبدادية تستخدم الحديد والنار لتكميم الأفواه ووأد الحريات ، لكى يظل العالم العربى والإسلامى سوقا لتصريف منتجات العالم اليهودى الصليبى ، ويظل اليهود هم المستثمرون الوحيدون فى ديار العالم العربى والإسلامى ، وحتى تظل ثروات العالم العربى والإسلامى ومدخراته تصب فى بنوك ومؤسسات اليهود وغيرهم من أبناء أوربا .

يهدف التطبيع إلى تربية أمة بلا هوية عبر المقررات الدراسية ، وعبر أجهزة الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة ، يهدف التطبيع إلى وأد اليقظة الإسلامية المتنامية فى بلاد العالم العربى والإسلامى اعتماداً على القمع والإرهاب الذى يجب أن يأخذ به الأنظمة الحاكمة اعتماداً على القوانين والأنظمة[*] وقوى الأمن الداخلى وأجهزة المخابرات والمباحث ووسائل الدعاية وقوة عسكرية (الجيش) . وحرمان الأمة من العمل لاستعادة هويتها على اعتبار أنها الأمة الشاهدة التى حملها الله مسئولية إقامة دين الله حتى لا تكون فتنة ، وتحرير الإنسان وتحرير المقدسات وهو يهدف إلى حرمان الأمة من الأخذ بالأسباب لبناء إنسان العقيدة وإحياء فريضة الجهاد لإنهاء الغزوة اليهودية والأمريكية ، لإنهاء العدوان الواقع على فلسطين .. على العالم الإسلامى وعلى الإنسان ، والعمل على إقامة دولة الخلافة الإسلامية .

---

(١) فتاوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أرض فلسطين . ومن هذه فتوى الأزهر التى أصدرتها لجنة الإفتاء برئاسة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقاً رحمه الله فى ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٧٥ هـ / ١ يناير ١٩٥٦ .

(*) لعبة الأمم وعبد الناصر ، مايلز كوبلاند ترجمة مروان خير بيروت ١٩٧٠ ، ص ٢٦ السياسة الدولية وفلسطين الدسوقى .

يهدف التطبيع إلى تقطيع الأواصر والروابط بين أبناء الأمة الإسلامية ، بل وأبناء الوطن الواحد (إثارة الفتن الطائفية) لتجميد حركة ومشاعر أبناء الأمة عند القيام بتصفية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وغيره من شعوب العالم الإسلامي التي تتداعى إلى تحرير ديارها وإنهاء العدوان الواقع عليها مثل أفغانستان ، بل وتحييد مواقف الأمة حيال شبابها الذي يضرب(**)، ويعتقل ويشرد لأنه يتداعى لنصرة إخوانه المجاهدين في فلسطين وتحريرها ممن غلب عليها طبقا لتوجيهات وأوامر الله رب العالمين .

يهدف العدو من وراء التطبيع إلى تهيئة الأمة التي تتعرض للخطر بعد اغتصاب فلسطين لقبول التعايش والتعامل مع سارق مقدساتها ، قاتلي أبنائها ، والتعامل معهم ، وتهيئة الاقامة والمأكل والمشرب لهم وإتاحة الفرص لهم لتحرك بملء حريتهم داخل الديار ، لنشر العادات والتقاليد غير الإسلامية، (لتغريب المجتمع أو صبغه بالصبغة غير الإسلامية) مثل السفور والعرى والاختلاط ونشر الإباحة والاتصال غير المشروع بين الشباب والفتيات ونشر اللواط ، وذلك لنشر الأمراض كالأيدز وغيره من الأمراض لتدمير الشباب ، ويهدف العدو من وراء هذا التطبيع إغراق الأمة بالمخدرات لتربية أمة مدمنة والمدمن الفقير إن لم يجد ما يشترى به المخدر فرط في عرضه ومقدساته .

ويهدف العدو من وراء التطبيع إلى تمكينه من التحرك بجدية داخل العالم العربي والإسلامي وفي حماية رجال أمن تحت ستار الجنسية الأمريكية والأوربية عبر مؤسسات الثقافة والتعليم والبحث العلمي والمراكز الإعلامية بهدف المشاركة في صياغة عقلية الأمة الإسلامية لتصبح أمة بلا هوية تنهار مقاومتها أمام العدوان الواقع عليها وعلى مقدساتها وديارها .

ويهدف العدو اليهودي من وراء التطبيع إلى السيطرة على المؤسسات الاقتصادية ، وشرائها إن أمكن بهدف تملك وسائل الإنتاج لخدمة الاستثمار اليهودي في ديار العالم العربي والإسلامي. وقد عبر عن هذا شيمون بيريز : إن اتفاقية السلام الدائم مع مصر يجب أن تتضمن مشروعات اقتصادية ومشروعات مواصلات ومشروعات سياحة . وزعم أن العقبة في وجه اليهود تكمن في أن الإسلام لا يزال شاهراً سيفه ».

(**) مثلما حدث في لبنان للحركة الإسلامية والمقاومة الفلسطينية على يد حافظ الأسد وقواته ، والكتائب والمارون . وقتل فيها حوالي ألف من بداية الأحداث ، وانتهكت فيها الاعراض ، أعراض المسلمات طبعا على يد أبناء الأمة العربية الكتائب والمارون ... ومثلما حدث في صبرا وشاتيلا في لبنان أيضا.. ومثلما حدث في سورية من اعتداء جنود حافظ الأسد على النساء المسلمات الحرائر في سجن تدمر كل هذا وهو جزء من كل يجرى تحت سمع وبصر العالم العربي والإسلامي .. تحت سمع وبصر المجتمع الدولي والمنظمات الدولية وجامعة الدول العربية والمجتمع لا يحرك ساكنا ، لأن الذي ينتهك هو العرض الإسلامي والذي يراق هو الدم الإسلامي .

يهدف العدو اليهودى وأمريكا من وراء التطبيع إلى فرض الهيمنة اليهودية والأمريكية على المنطقة العربية بمؤسستها ، وأن تتاح الفرصة لتدمير بنية الأمة البشرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية وغيرها .

يهدف العدو اليهودى من وراء التطبيع إلى إتاحة الفرصة له للتحرك داخل ديار الإسلام وإشاعة الفتن بين أبناء الأمة لتفتيت وحدة الأمة ، وإقامة دويلات طائفية تعمل فى خدمة المخطط اليهودى الأمريكى .

الظروف التى فرض فيها التطبيع وتوقيع معاهد كامب ديفيد :

لقد تبين لنا أن الأمة ، أمة الغثاء قد فرض عليها توقيع معاهدة الصلح مع العدو اليهودى (كامب ديفيد والسير فى طريق التطبيع)، فى ظروف غاية فى الصعوبة أثمرتها أحداث ومواقع دفعت إليها الأمة دفعا لتصبح مؤهلة للسقوط والاستسلام بين يدى العدو اليهودى الأمريكى .

فالأمة العربية قد استدرجت إلى معارك عام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ حدد العدو اليهودى زمانها ومكانها والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ، كما بينا ، وأدت فى النهاية إلى إنهاك موارد الأمة الاقتصادية وقدراتها العسكرية ، وصمودها النفسى ، وركوع فريق من أبناء الأمة بين يدى العدو يطلبون الاستسلام .. باسم السلام ، واقترن ذلك بحملة دعائية ضخمة عبر أجهزة الإعلام الموجهة تثير حفيظة الأمة على شعب فلسطين وتحضه على الاستسلام وتزعم أن سبب سوء الأحوال الاقتصادية وما نزل بالأمة من بلاء إنما جاء نتيجة الحروب التى خاضتها الأمة من أجل القضية الفلسطينية فى الوقت الذى لا يأبه الشعب الفلسطينى لقضيته (وقد نسى المضللون أن تحرير فلسطين هى مسئولية العالم الإسلامى وليست مسئولية الفلسطينيين وحدهم ، ونسوا أيضا أن الذى ضيع فلسطين هى الأنظمة الحاكمة وليس الشعب الفلسطينى أو الشعوب العربية أو الإسلامية) . وإن حل مشاكل الأمة أن تنفض يدها من شىء اسمه فلسطين واقترن تصالح اليهود بالحملة الإعلامية التى تزعم أن حرب رمضان (هم يقولون أكتوبر) هى آخر حرب وإن السلام اختيار مصيرى (بينما العدو لا يريد السلام) وإن السلام سيجلب رؤوس الأموال الأمريكية ، والعقلية العلمية اليهودية وستتسع الأرزاق وتنتهى مشاكل المجارى والتليفونات والمساكن وغير ذلك .

جذور التطبيع :

معاهدة كامب ديفيد ليست بداية التطبيع ، إنما البداية وقوع بلاد المسلمين فى قبضة الاحتلال الانجليزى الفرنسى إنما التطبيع بمعنى إزالة الحاجز النفسى الذى يمنع الأمة من التعامل مع العدو الذى اغتصب ديارها ومقدساتها ويسلب مواردها وثرواتها بعد أن أباد وشرد جزءاً من أهلها ، ويهدف أن تلقى الأمة بزمامها إلى عدوها لتحقيق أطماعه بدأ مع وقوع بلاد العالم العربى فى قبضة الاحتلال الأوربى (الانجليزى والفرنسى والايطالى و ... غير ذلك) ، ولتحقيق هذا الهدف كانت الوسائل : غزو عسكرى انجليزى فرنسى إيطالى لديار العالم العربى والإسلامى يقترن بغزوة فكرية

تقوم على (أ) التغريب (ب) والتبشير (التنصير) (جـ) والاستشراق (د) فرض سياسة تعليمية لتربية أجيال لا ولاء لها ولا لرسوله ولا للمؤمنين ولا للوطن (هـ) وتجهز وسائل الإعلام لتعاون وتساند فى تحقيق مخططات الأعداء وفى بعض الوسائل التى أخذ بها المسئولون عن تنفيذ مقررات التطبيع مع بعض الإضافات .

والتغريب هو صبغ حياة الأمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والاعلامية بالصبغة الغربية غير الإسلامية ، بمعنى تربية أمة ترفض المنهج الإسلامى فى السياسة وتتبنى مناهج الغرب (بمعنى رفض نظام الخلافة الإسلامية وتبنى المبدأ الاشتراكى أو الديمقراطى) .

التغريب بمعنى تربية أمة ترفض المنهج الإسلامى فى الاقتصاد وتتبنى مناهج الغرب التى تقوم على التعامل بالربا ، وإباحة تصنيع الخمر وبيعها وشرائها ، وإباحة لعب الميسر وتيسير سبل ارتكاب الفاحشة داخل المدن السياحية ، طالما تُدر دخلا على الأمة ، والتى تقوم على فرض الضرائب المجحفة على الناس والتى تقوم على التأميم وسلب الناس أموالهم إلى غير ذلك ، والتى تقوم على أن تكون السيطرة الاقتصادية للغرب فى ديار الإسلام أى حرمان الأمة المسلمة من أن يكون لها اقتصاد إسلامى متين بمعنى تربية أمة ترفض المنهج الإسلامى الاجتماعى وتتبنى مناهج الغرب التى تقوم على السماح للمرأة مثلا بالخروج سافرة عارية ترفض الحجاب .. التى تسمح بالاختلاط بين الرجال والنساء المحرمات عليهم ، والتى تقوم على تكريس الطبقية وتكريس الأنانية والفردية .

والتغريب بمعنى تربية أمة ترفض المنهج الإسلامى فى التربية والتعليم والثقافة ، وتتبنى المنهج الغربى الذى يقوم على تربية أجيال بلا هوية ، بل دين بلا عقيدة ، تربية أجيال لا تغار على الأرض أو العرض أو المقدسات يستوى عندها حكم الله مع حكم البشر ، تربية أجيال تدين بولائها لأنماط الحياة غير الإسلامية ، بمعنى تربية أجيال لا ترى حرجا فى الزنى أو شرب الخمر أو لعب الميسر أو الاختلاط .

التغريب بمعنى تربية أجيال لا تدرى أهمية الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأجيال لا تعرف أن أرض الإسلام هى كل أرض افتتحها المسلمون ، وإنه إذا غلب عليها العدو فقد أصبح الجهاد فريضة فى رقابهم لتحرير تلك المقدسات .. تربية أجيال لا تدرك أن الدعوة إلى الله واجب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وأن العمل لإقامة دولة الخلافة الإسلاميه واجب ، وأن العمل لإقامة حكم الله وهو الإسلام فى الأرض واجب ، وأن تحرير فلسطين واجب ، وأن دعم المجاهدين المسلمين فى كل مكان واجب ، وأن العمل لتطبيق شريعة الله وإقامة الحدود واجب .

تربية أجيال لا ترى إحصان نفسها بالزواج طالما سبل المتعة الحرام مفتوح أمامها .. تربية أجيال لا تهتم إلا بلقمة خبزها وتنسى قول الله تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ آية ...

ومن وسائل الغزو الفكرى فرض سياسة تعليمية تربية أجيال لا تعرف لها ربًا ولا ترتضى لها دينا ، وقد اقترن ذلك بإهمال دراسة وتدريس اللغة العربية بصورة تمكن الدارس من الإقبال عليها ، حتى لا يصبح فى مقدوره قراءة كتاب الله وفهمه ، وكتب السنة وبقية العلوم الشرعية .

عرض التاريخ الإسلامى فى خضم عرض تواريخ الجاهلية الأوربية والساسانية والفرعونية وغيرها ، بصورة تشوه معالمه ورجالاته ، وتزور أحداثه ؛ وتحرم الدارس من معرفته ومعرفة رجالاته ، ومن معرفة دول الإسلام ، وتحرم الدارس من التعرف على القدوة والأسوة وعلى التمييز بين العدو والصديق إلى غير ذلك مما يعود بالفائدة على أمة الإسلام .

وتقديم مناهج الدين بصورة لا تعين على بناء إنسان العقيدة ولا تمكن الفرد من التعرف على فرائض الإسلام ، ولا تحضه على جهاد المنافقين والكافرين ، مع محاولة إفساد عقائد المسلمين وتربيتهم على أن الإسلام نظام تعبدى فى المسجد لا شأن له ببقية أنشطة الحياة السياسية والاقتصادية ، مع محاولة إثارة الاختلافات بين أبناء المسلمين فى توافه المسائل حتى يسهل تفتيت وحدتهم .

صرف المرأة المسلمة عن مهمتها الأساسية والتى من أجلها خلقها الله والتى يعبر عنها قول الله تعالى : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ... واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ ، ولهذا فرضوا عليها التعليم المختلط ، والعلوم التى لا تناسبه طبيعتها ، وحرموها من العلوم الشرعية .

عقبات فى طريق التطبيع :

أولاً : الإسلام الذى يحض أمة الإسلام على قتال المشركين وخاصة اليهود الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون المسلمين ويتآمرون عليهم بالاتفاق مع أعداء الأمة المسلمة . ولقد نبه القرآن الكريم إلى خطورة هذا الجنس على بنى الإنسان وخاصة أمة الإسلام ولهذا فإن تاريخ اليهود .. من ملحقات العقائد الإسلامية يقول الله سبحانه وتعالى عن اليهود : ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكان يعتدون ﴾ [آل عمران : آية ١١٢] فكيف نُعِزّهم ونحمى ظهورهم نضرب ظهور أبناء الأمة وندخلهم السجون والمعتقلات من أجلهم ، وقد أذلهم الله .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ [[سورة المائدة اية ٥١] الله يأمرنا بألا نتخذ منهم أصدقاء أو مستشارين أو خبراء ، قطاع من أبناء الأمة رفض تنفيذ أمر الله .. الذى علّمنا ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ إذن عقيدة الأمة المسلمة ترفض التطبيع وترفض كامب ديفيد ومن هنا ولأسباب أخرى كانت العقيدة الإسلامية .. الدين الإسلامى

يعتبرها الأعداء عقبة فى هذا الطريق أى أن عداء الأمة لليهود وأعوانهم عداء عقدى ينبع من عقيدة الإسلام لأن اليهود حرب على الله ورسوله .

والأمة التائهة لو تربت على الإسلام فى حياتها وأخذت نظمه ومناهجه وشرائعه وقامت بفرائضه وأقامت حدوده وحرمت حرامه . وأحلت حلاله – ستقوم أمة الإسلام التى تنهى العدوان الواقع عليها وتخلص الأمة من الخطر اليهودى ولهذا السبب اعتبر اليهود والأمريكان وأعوانهم الإسلام عقبة فى طريق التطبيع .

ثانيا : اليقظة الإسلامية المتنامية التى تتداعى إلى استعادة الأمة المسلمة لهويتها المضيعة ، سلوك طريق أصحاب الدعوات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبناء إنسان العقيدة ، وإحياء الفرائض المضيعة وخاصة فريضة الجهاد فى سبيل الله لتحرير ديار الإسلام وهى كل دار افتتحها المسلمون وإن عدا عليها الأعداء ، هذه اليقظة التى تعبر عنها حركات البعث الإسلامى فى كافة أنحاء الوطن العربى وسيلتها الكلمة المقروءة والمسموعة ، من خلال المحاضرة والندوة فى المساجد ودور العلم والمؤسسات الاقتصادية ومراكز البحث العلمى وغيرها . هذه اليقظة كفرت بالمبادىء الأرضية الماركسية والاشتراكية والديمقراطية ولا ترى سوى الإسلام دينا وحلاً لمشاكلها ، وأثمرت فتياناً وشبابا ينادى بأن الإسلام هو الحل لمشاكل الأمة .

ثالثا : حركة الجهاد الإسلامية على أرض فلسطين (الانتفاضة الفلسطينية بقيادة حماس الجناح العسكرى لحركة الإخوان المسلمين على أرض فلسطين) ، وأيضا حركة الجهاد الأفغانى وجهاد المسلمين فى كشمير التى أحيت الأمل فى قلوب أبناء العالم الإسلامى فى قيام الدولة الإسلامية والتصدى للأعداء ، وتحرير المقدسات وإنهاء العدوان اليهودى الأمريكى الأوربى الواقع على ديار الإسلام .

رابعاً : امتداد رقعة الوطن الإسلامى من المحيط إلى المحيط ، وخصوبة النسل عند المسلمين ، وكثرة الثروات الكامنة (وخاصة البترول واليورانيوم وغيرها) فى الوطن الإسلامى ، وقوة الإيمان فى قلوب المسلمين ، ورغبة الأمة فى التحرر بما يهدد اليهودية الأمريكية .

وحدة مشاعر أبناء الأمة المسلمة ، والترابط الأسرى بين أفرادها ، وما ينجم عنه من وحدة الصف العربى والإسلامى قد أدى إلى تداعى المسلمين إلى نصرة فلسطين ، وأفغانستان وغيرها من ديار الإسلام وهذا يشكل عقبة فى طريق التطبيع كما يرى الأعداء .

خامسا : المعارضة الإسلامية والوطنية التى وقفت فى وجه الدنيا كلها ، تقول : لا لكل ما يجرى حولها لا لكامب دافيد لا للتطبيع لا للصلح مع اليهود التى وقفت فى وجه الدنيا كلها تقول لا يحل لنا ان نفرط فى شبر واحد من أرض فلسطين المسجد الأقصى ، لابد من إحياء فريضة الجهاد لتحرير المقدسات .

ولإزاحة هذه العقبات وتحقيق الأهداف كانت مؤتمرات وقرارات وأحداث وخطوات من أخطرها ما يسمى تطوير التعليم(**) .

(**) التطوير بين الحقيقة والتضليل ، أ. على لبن ، جمال عبد الهادى ، التاريخ بين الحقيقة والتضليل ، والزور والبهتان فيما كتبه طه حسين فى الشيخان ، لنفس المؤلفين .

المبحث السابع

وسائل التطبيع ومساراته والنتائج التى أسفرت عنه

- **ماهى الوسائل التى تبنتها الأنظمة لتنفيذ مخطط التطبيع ؟؟**
- **وما هى الدول والأجهزة التى تعاون فى تنفيذها .**
- **وما هى المعابر التى تعبر عليها تلك الوسائل ؟**
- **وما هى النتائج التى اسفرت عن تنفيذ التطبيع ؟**
- **وكيف يمكن للأمة أن تجهض مخطط التطبيع ؟**

ونمهد للإجابة بكلمة ...

إن محاولة تطبيع العلاقات بين شعوب العالم العربى والإسلامى من جانب وبين أورو بـا (وأمريكا وروسيا امتداد لها) سواء كانوا يهودا أو نصارى أو مشركين من جانب آخر، لم تبدأ بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ أو قرارات مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م ، وإنما بدأت قبيل انهيار الدولة العثمانية ووصول قوات الاحتلال الأجنبى .

الفارق الوحيد هو أن شعوب العالم الأسلامى والعربى بالأمس لم يكن يخطر على بالها أن تسلم الأنظمة العربية الحاكمة وهى جزء من العالم الأسلامى ، للعدو الذى اغتصب بيت المقدس أنه صاحب فلسطين ، لم يكن يخطر على بالها أن تجند الأنظمة العربية كافة الأجهزة السياسية والعسكرية والثقافية والتعليمية لتطبيع العلاقات وإزالة العقبات التى تقف حجر عثرة فى سبيلها مع أعداء رسوله وأعداء دينه وأعداء المؤمنين رغم أن الله علمها وحذرها : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ .

لم يكن يخطر على بالها ، أن تقوم الأنظمة بضرب ظهور أبنائها وإيداعهم السجون والمعتقلات لتحقيق التطبيع .

ومن الوسائل التى تبنتها الأنظمة لتنفيذ مخطط التطبيع :

إزالة العقبات التى يمكن أن تعترض عملية تطبيع العلاقات بين اليهود وأمة الاسلام وأخطر هذه العقبات .. العقيدة الاسلامية والفرد المسلم ووحدة العالم الاسلامى .. لماذا ؟؟ لأن الإسلام

كشف طبيعة اليهود المتمردة على الله وعلى شرعه ، طبيعة اليهود التى تضمر الكراهية للانسان كل الانسان .. بل ان اليهودى يكره أحيانا نفسه التى بين جنبيه . وتدفعه إلى الحقد الذى يقترن بالتدمير للانسان ، الإسلام كشف أن طبيعة اليهود الغدر وعدم احترام العهود والمواثيق وحب سفك الدماء واغتصاب ديار الآخرين .. هذه واحدة .

أما الأخرى فهى أن الأمة الوحيدة التى قدر لها أن تكبح جماح اليهود وتؤدبهم وتلزمهم حدودهم هى الأمة المسلمة .. أمة محمد ﷺ التى انتقل إليها قيادة البشرية على اعتبار أنها الأمة الشاهدة .

وذلك بالإضافة إلى ان الله عز وجل قد أنعم على أمة الإسلام بالثروات والتمكين فى الدنيا دون غيرهم من الناس ، مما آثار حسد وحقد اليهود على الأمة المسلمة ، ومن هنا كانت جهود النظام اليهودى والأمريكى والأوربى بالتعاون مع النظام المصرى وغيره من الأنظمة التى تتبنى الوسائل المتعددة لتطبيع العلاقات بين أمة الأسلام واليهود الذين اغتصبوا مقدساتها وديارها وسلبوا ثرواتها بعد أن أبادوا وشردوا الكثير من أبنائها .

وتنفيذ مخطط التطبيع يتم بالتنسيق والتعاون الكامل بين الأنظمة المصرية والإسرائيلية والأمريكية الحاكمة .. عاون فى ذلك أجهزة إعلام مضللة وعميلة قامت ومازالت تقوم بعملية غسيل مخ منظم لهذه الأمة حتى تنسى دينها ومقدساتها (ومنها فلسطين) وتسليم مقدساتها وديارها وثرواتها ومن قبل زمامها لعدوها .

وفتحت الحدود أمام أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين، أعداء الأمس والغد ليعيثوا فى ديار الإسلام فسادا ، وليدمروا الأخلاق والقيم ، ولتنهار مقاومة الأمة فى مواجهة المخطط اليهودى الأمريكى .

تشكيك الأمة فى إسلامها وكونه المخرج لها من أزماتها وكونه العامل الفعال فى مواجهة عدوها وذلك من خلال :

تشويه صورة شمولية الإسلام وكونه نظاما حياتيا (سياسيا وجهاديا إلى غير ذلك) صالح لكل زمان ومكان ، مع طمس معالمه فى المقررات الدراسية وبرامج الأجهزة الإعلامية ، ومنعه من ممارسة دوره فى توجيه حياة الأمة ،وتشكيك الأمة المسلمة فى كون الإسلام يشكل الحل الوحيد لمشاكل الأمة ، بل وتعويد الأمة الاستهانة بأحكام الإسلام ورميه بالقصور بل والسخرية منه أحيانا وتصويره بمظهر العاجز عن حل مشاكل الأمة وإن المبادىء الأرضية أفضل منه ، وقد اقترنت هذه الحملة بالحيلولة بين الأمة والإسلام لتسيير دفة الحياة .

وقد تبنت أجهزة الإعلام هذه الغاية ، فجندت لها عددا من المتعلمين الذين ينتسبون للاسلام فى الظاهر ، ليقوموا بمهمة تشكيك الأمة فى إسلامها ، بل إن المناهج التعليمية – باسم التطوير – قد

حذفت منها كل ما يعلم النشء أن تطبيق شريعة الله فريضة ، وأن إقامة الحدود واجب ، وأن إقامة الدولة الإسلامية التى تطبق الشريعة وتقيم الحدود واجب .

واقترن ذلك بحرمان الأمة من الاستفادة بالمواسم والأعياد الإسلامية حتى لا تتربى الأمة على الاسلام (مثل شهر رمضان الذى تحاول أجهزة الإعلام بما تبثه من برامج حرمان الناس من الطاعات انتى تساهم فى تكوين وتربية الفرد المسلم) .

واقترن ذلك أيضا بالحيلولة بين الناس وأية محاولة لإقامة دولة الخلافة الأسلامية وتطبيق شريعة الاسلام ومنهاجه ، والعجيب أن جميع الأنظمة إلا ما رحم ربى تتعاون على ذلك .

وهكذا نجح التطبيع فى تجميد حركة الأمة الإسلامية ضد مخططاته ، نتيجة تجهيلها بإسلامها وفرائضة .

واقترن ذلك على الجانب الأخر بتصوير المبادىء مثل الماركسية والاشتراكية والديمقراطية بأنها النظام الأمثل لبنى آدم وقد ترتب على ذلك أن تنكرت الأمة لأسلامها وتبنت تلك المبادىء ونسى هؤلاء المساكين أنهم سلموا زمامهم لأعدائهم وتخلو عن الحل الوحيد لمشاكلهم والذى يمكنهم من التصدى لعدوهم وتحرير ارادتهم .

تجهيل الأمة بحقيقة القضية الكبرى التى من أجلها خلقت ، والتى من أجلها خلقت السموات والأرض واستخلف الإنسان فى هذا الكون ، ومن أجلها كانت الحياة والموت ويكون البعث ، والتى من أجلها أرسل الله الرسل ، والتى من أجلها يقوم سوق الجنة وسوق النار ، ألا وهى قضية ..﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ ..إن هذه القضية نُحيت من حياة الأمة وحلت محلها الغايات المادية وغايات الحيوان من طعام وشراب ولباس وغير ذلك من متع الدنيا .

تجهيل الأمة بأعدائها ومنهم اليهود والأنظمة الحاكمة فى أوروبا وأمريكا وروسيا الذين يجب أن تعاديهم(١) وتجاهدهم وتجهيل الأمة بإخوانها (٢) الذين يجب أن تواليهم وتنصرهم ، مع طمس معالم القدوة والأسوة فى تاريخ محمد وصحبه ، والخلفاء الراشدين وبنى أمية وبنى العباس آل زنكى وآل أيوب وآل عثمان والمماليك الذين كان لهم دور عظيم فى التصدى للعدوان الذى وقع على العالم العربى والإسلامى من الروم وأوروبا الصليبية (٤٩٢هـ- ٦٩٠هـ) ، ومن المغول والتتار وغيرهم ، حتى لا تتعرف الأمة على النموذج والقدرة التى يجب عليها نهجه ، لإنهاء المؤامرة اليهودية والعدوان الواقع على أمتنا فى فلسطين ، وأفغانستان وفى سائر ديار الاسلام(٣) .

---

(١) من أعداء الأمة عباد البقر (الهندوس) ، والشيوعيون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن الأعداء الصلبيون من أبناء أوروبا ، والملحدون والقوميون والمنافقون .

(٢) ومن هؤلاء اخواننا فى أفغانستان وفلسطين وغيرها من ديار الاسلام .

(٣) تركستان الشرقية الواقعة تحت الاحتلال الصينى ، وتركستان الغربية الواقعة تحت السيطرة الروسية وأوربا الشرقية .

حرمان الأمة من معرفة تاريخها الحقيقى ، خاصة تاريخ الأنبياء والرسل عليهم السلام وتاريخ الخلافة الإسلامية وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وتاريخ التابعين وتابعيهم وتاريخ الخلفاء والعلماء والصالحين وتاريخ المجاهدين من المسلمين على امتداد التاريخ ودورهم فى تحرير البشرية واخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار ... بل وحرمانها من رصيد تجاربها المعطاءة عبر ملايين السنين فى مجال السياسية والاجتماع والاقتصاد بل فى مجالات الحياة كلها ، وتفريغ المعروض منها من المضمون التربوى .

العمل على إضعاف الإيمان بالله رب العالمين فى قلوب الأمة وبمعنى آخر الحرص على طمس العقيدة الإسلامية فى القلوب ، وتدمير السلوك والأخلاق ، عبر مناهج التعليم وعبر أجهزة الإعلام وعبر المدارس والجامعات الأجنبية[1] وعبر المراكز الثقافية وما تقدمة من برامج .

العمل على صبغ حياة الامة كلها بالصبغة الغربية غير الإسلامية ، فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والعسكرية وفى المجال الفكرى والعقدى والتعليم المهنى .

إشاعة الفتن بين أبناء الأمة الواحدة داخل الوطن الواحد ، لتنشغل الأمة بخلافاتها عن عدوها .

تزوير التاريخ وتشويه أحداثه خدمة للمخطط اليهودى والامريكى وإخفاء جريمتهم فى اغتصاب فلسطين وغيرها من ديار الإسلام . مثال ذلك ما زعمه المؤرخون أن إبراهيم كان يهوديا وأن الله قد وعده بدولة من النيل إلى الفرات (أرض الميعاد) له ولأبنائه من بعده ، وهذا كذب فإبراهيم عليه السلام كان إماما مسلما واليهود كفار فكيف للكافر أن يرث مسلما .. يقول رب العالمين .. ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلماً** ﴾ .. ويقول سبحانه ﴿ **إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا** ﴾ .. مثال آخر ما زعمه مزورو التاريخ من أن داود وسليمان كانا يهوديين وأن بيت المقدس كانت عاصمة للدولة على عهديهما هذا كذب ، فداوود وسليمان كانا مسلمين ، وبيت المقدس كان عاصمة للدولة الإسلامية على عهديهما ﴿ **إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين** ﴾ .. واليهود لم يكن لهم كيان سياسى إلا منذ ١٤ مايو ١٩٤٨ بعد ما نجحوا فى اغتصاب فلسطين .. ومثال ذلك ما زعمته كتب التاريخ من أن لليهود هيكلا أسفل المسجد الأقصى بناه

---

(١) التطوير بين الحقيقة والتضليل ، دار الطباعة والنشر الإسلامية .

(٢) حذف اسم فلسطين من جميع الخرائط الجغرافية والتاريخية فى الوقت الذى يتضمن أحد كتب الدراسات الاجتماعية خريطة الجزيرة العربية مكتوب تحت يثرب المدينة المنورة يهودية (مصر والوطن العربى ، ص) فى الوقت الذى تتضمن الكتب عرضا لصفحات من التوراة المزورة وحديثا عن المملكة يهوذا (مملكة إسرائيل) .

سليمان عليه السلام ، وهذا كذب لأن سليمان بنى بيت المقدس وبنى مسجدا لله كما أخبر بذلك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه النسائى باب فضل مسجد مكة والمدينة ، ومن ذلك زعم كتاب التاريخ أن يثرب (المدينة المنورة) يهودية .

تشويه تاريخ الأنبياء والرسل عليهم السلام واتهامهم بالزنى والسكر وسفك الدماء .

تجهيل البشرية على وجه العموم والأمة المسلمة على وجه الخصوص بتاريخ اليهود وطبيعتهم الإجرامية المتآمرية وحذف كل ما يسىء إليهم ، ومحاولة إبرازهم فى صورة غير صورتهم الحقيقية ، وذلك حتى لا تنتبه الأمة إلى طبيعة اليهود وعداوتهم للجنس البشرى فتتصدى لمؤامراتهم أى تظل كما أمرها الرصافى « ناموا ولا تسيقظوا فما فاز إلا النُّوَّم ، ودعوا التفهُّم جانبا فمن الخير ألّا تفهموا ».

تجهيل الأمة المسلمة بتاريخها .. بخلافتها وكونها السياج الحامى لأمة الإسلام ضد أعدائها وأن إعادة دولة المسلمين فريضة .

تجهيل الأمة بإسلامها .. بنبيها .. بقرآنها .. بسنة نبيها .. تجهيلها بفرائض الدعوة إلى الله .. والأمر بالمعروف .. والنهى عن المنكر .. بفريضة الجهاد فى سبيل الله لتحرير الإنسان وتحرير المقدسات والأخذ على الطغاة .. تجهيلها بأهمية العمل المخلص للتصدى لمخططات الأعداء .. تجهيلها بالحلال والحرام .. فالإنسان يُعَلَّم أن التعامل بالربا حلال ، وأن الخمر من المكروهات، وأن الزنى لا يشكل جريمة طالما يتم برضاء الطرفين، وأن الميسر لا شىء فيه، بل ويحض الإنسان على ارتكاب هذا الذى يغضب الله ، حتى لا يكون إنساناً معقداً !! والهدف النهائى هو تربية أجيال لا هوية لها .. لا مناعة لديها .. لا تعرف لها ربا ولا ترتضى لها دينا حتى تصبح الأمة مؤهلة للسقوط بين يدى الأعداء .

ولما كان الشباب المسلم يشكل عقبة فى طريق التطبيع فقد اقترنت هذه المؤامرة .. مؤامرة التطبيع بتبنى وسائل تؤدى فى النهاية إلى تدمير شباب الأمة وفتياتها من خلال تدمير سلوكياتهم وأخلاقياتهم بل وبنيتهم الصحية .

من هذه الوسائل فرض الاختلاط فى مدارس التعليم الأساسى ومد فترة الاختلاط بمد فترة التعليم الإلزامى إلى ما بعد سن البلوغ أى مع نهاية مرحلة التعليم الإعدادى ، وقد اقترن ذلك بزفة إعلامية : إن الهدف تعليم الفتيان والفتيات الحرف التى تمكنهم من مواجهة الحياة العملية ، وذلك حتى ينسى أولياء الأمور جريمة الاختلاط فى هذه السن الحرجة ، وفتحت الورش وطبعت الكتب وعين المدرسون وبعد فترة أغلقت وتوقف تدريس مادة المجالات !! ماذا بقى ؟ الاختلاط ؟ واقترن ذلك بتعيين مدرسين ذكور فى مدارس البنات ، ومدرسات فى مدارس البنين ، والهدف تكريس الاختلاط فى التعليم الأساسى والثانوى (عبر المدارس الشاملة) والجامعات ، وقد ترتب على ذلك الاستهانة بالعرض وتفشى الانحلال والميوعة والإدمان بين عدد غير قليل من أبناء الأمة .

ولمّا كانت الأمة التى تنتج رغيف خبزها ولا تمد يدها لعدوها ، والتى تعتمد على مواردها ولا تتسول قرضا يقيد حريتها ، أمة حرة الإرادة لا تسلم مقدساتها لعدوها ، لهذا فإن العدو وأعوانه من الأمريكان وغيرهم كانوا حريصين على حرمات الأمة من زراعة المحاصيل الغذائية (ن الوقت الذى يدعوها إلى زراعة الكانتالوب والفراولة) وذلك حتى تظل الأمة تعتمد عليه فى تسول رغيف خبزها ، وتظل فى قبضته وتحت سطوته .

واقترن ذلك أيضا بإغراق الأمة بالقروض الربوية المشروطة ، مثل قروض الصرف الصحى التى اشترطت أن يكون الصرف الصحى فى بحيرة المنزلة والبحر الأبيض ورغم الاعتراض الذى قدمه بعض أساتذة جامعة الاسكندرية والجهات المحلية على ذلك واقترحوا أن يتم تحويل مياه الصرف إلى الصحراء لتعاون فى استصلاح الأراضى وعمل الأسمدة ، ولأن الصرف فى البحر سوف يؤدى إلى تلوث الشواطىء وموت وهروب الثروة السمكية ، ولكن « ما أنت بمسمع من فى القبور » .

ومثال ذلك أيضا رغيف الخبز المشروط بتنظيم الأسرة وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية .

ذكر مدحت أبو بكر فى « محاولات تهويد الإنسان المصرى » ص ١١٨ أن إسرائيل بذلت كل الجهود لتوجيه الفكر المصرى نحو تنظيم الأسرة .. وقد دون التاريخ ذلك تحت عنوان « نوايا التطبيع » فى البرلمان المصرى يرفضون قوانين السماء ، وكان ذلك فى أعقاب تقرير وضعته باحثتان أمريكيتان أمام القيادة السياسية ١٩٨٥ بأن تطبيق الشريعة الإسلامية سيعود على شعب مصر بشكل مأساوى (مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ٧١٦ ، السنة ١٦) .

وكذلك القروض والمعونات المشروطة التى تقدمها أمريكا إلى المراكز البحثية التابعة لوزارة التعليم وكذلك المدارس والجامعات ، بهدف جمع المعلومات (احتواء العقل المصرى ، أ.د. حامد ربيع) وأيضا المشاركة فى تطوير مناهج التعليم وتضخيم الجانب النظرى على الجانب العملى ، وأيضا لضرب أى توجه دينى أو إسلامى فى قلب المناهج الدراسية .

وأيضا فى تكريس الاختلاط فى المدارس الثانوية ، والولايات المتحدة قدمت قروضا لإنشاء مدارس ثانوية تسمى التجريبية الشاملة وجهزتها بالمعونة المشروطة بأن تكون تلك المدارس مختلطة (التطوير بين الحقيقة والتضليل ، صفحة ٤١ — ٤٥) .

العجيب أن تتعاون أجهزة تابعة للمنظمات الدولية فى إزالة العقبات التى تقف فى طريق التطبيع ، وبمعنى أدق ضرب المناعة العقدية والفكرية للأمة فى مواجهة مخططات الأعداء ، هذه المنظمات الدولية اليونسكو والأليسكو ومنظمة الاسلام والغرب (التطوير بين الحقيقة والتضليل ، الكتاب الثانى ، صفحة ٢٧ — ٣٣) .

* .تدمير البنية الاقتصادية للأمة :

ففى مجال الزراعة فتح الطريق أمام البذور الفاسدة ، والمبيدات غير الصالحة والهرمونات الزراعية الضارة ، بل والأمراض الزراعية الفتاكة .

وضربت زراعة الطماطم والقطن والقمح ودمرت خلايا عسل النحل لأول مرة فى تاريخ مصر .

واقترن ذلك بحرمان الأمة من الاستفادة من طاقاتها البشرية وثرواتها ومواردها الطبيعية ... فمصر على سبيل المثال مساحة أرضها مليون كيلو متر مربع ، بها ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة ، والله سبحانه وتعالى وهبها المياه اللازمة ، هذه الأمة تعيش على رقعة تبلغ مساحتها ٤٠,٠٠٠ كيلو متر مربع (تزرع جزءا منها والباقى للسكن والمنافع العامة) والباقى وقدره ٩٦٠,٠٠٠ (منها ٣٥,٠٠٠ كيلو متر مساحة سيناء) يحال بين الأمة وبين زراعتها – لماذا ؟ لأن الفلاح الأمريكى لا يسمح لنا بزراعة المحاصيل والدليل .. طلب بنك فيصل للمعاملات الإسلامية ، وبعض شركات توظيف الأموال قبل تصفيتها من النظام المصرى الحاكم شراء أراض صحراوية ، يقومون بالصرف عليها ، لشق الطرق وإقامة القرى وتهيئة الإقامة للعاملين بها ، لزراعتها بالقمح والمحاصيل الغذائية ، فرفض النظام المصرى هذا الطلب (الأهرام القاهرية ، جريدة الشعب) .

والمرء يستغرب هذا التصرف فى الوقت الذى تباع فيه أراضى مصر وخاصة فى سيناء وغيرها للأجانب (اليهود والنصارى) رغم ما فى ذلك من خطر على استقلال الأمة – لا ليزرعوها إنمّا لإقامة مشروعات سياحية يعصى فيها الله ورسوله ، تباشر فيها جرائم الزنى والشذوذ وشرب الخمر ولعب الميسر ..

بل إن مجلس شعب النظام المصرى حينما لاحظ تزايد الاستجواب والمناقشات حول تطبيق الشريعة الإسلامية عام ١٩٨٥ ، بذل جهدا لاتخاذ قرار بقفل باب مناقشة تطبيق الشريعة الإسلامية ، واتخذ المجلس هذا القرار – ونسى المساكين أنهم بهذا حرموا أنفسهم رحمة الله رب العالمين المتمثلة فى تطبيق شريعة الإسلام ، وبعد اتخاذ القرار استدعى رئيس المجلس فى ذلك الوقت أ.د. رفعت المحجوب بعض أعضاء مجلس الشعب وأفهمهم أن سبب اتخاذ هذا القرار أن الولايات المتحدة الأمريكية اشترطت لتزويد مصر بالقمح عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتحمس بعض الطيبين من أعضاء المجلس واقترح الذهاب إلى دول الخليج وغيرها لجمع الأموال من أجل توفير القمح ، حتى تستقل إرادة الأمة وتطبق شريعة الإسلام ، ونسى هؤلاء الطيبون(*) أن الأمة لا تملك قرارها ، ولا حريتها وأنها واقعة تحت الهيمنة الأجنبية لدرجة لا يسمح لها بإنتاج رغيف خبزها حتى تظل متسولة له من على موائده واقعة فى قبضته ، وإذا أرادت التحرر قبض يده لتموت جوعا أو ترجع إليه ذليلة تائبة .

(*) (المجتمع الكويتية ، العدد ١٤ – ١٨ ابريل ١٩٨٥) .

كما أن شعب مصر يملك ثروات معدنية منها البترول ، فمصر داخل الحزام البترولى ، ولكن لا يسمح باستخدامه إلا بقدر يجعل أمتنا تحت رحمة الدائنين ، وحتى لا تتحرر من قبضة العدو ، بل إن الشركات الوطنية قد تحرم من التنقيب عن البترول وييسر الطريق امام الشركات الأجنبية ، حتى نظل دواما فقراء زمامنا بيد عدونا لتحقيق أهدفه .

أى أن الأعداء يحرصون على حرمان الأمة من استغلال مواردها (نشرت جريدة الأهرام ان دخل مصر من البترول عام ١٩٩١م ٢ مليار دولار أى حوالى سبعة مليارات جنيه) وهذا يشكل ٤٩٪ تقريبا من حصة من البترول الذى تنقب عنه الشركات صاحبة الامتياز وغالبها أجنبية ، وذلك فى نطاق عدد الآبار القليلة المفتوحة ، فما بالنا لو فتحت آبار البترول فى مصر بعدد الآبار التى تفتح فى الكويت أو السعودية (٥٠٠ بئر مثلا) لأصبحنا من أغنى الدول ، ولكن لا يسمح لنا بذلك ، حتى تظل الأمة مستدينة واقعة فى قبضة الأعداء ، لكى يظلوا ممسكين برقابنا لتحقيق مخططاتهم .

الإنسان ثروة بشرية لو أحسن الاستفادة منها ، وأمامنا اليابان عدد سكانها ١٢٠ مليون نسمة ومساحتها ثلث مساحة مصر - ٣٣٧ ألف كم مربع تقريبا ، ليس لديها موارد طبيعية ، ولكنها نافست الولايات المتحدة الأمريكيه فى العلوم والتقنية والإنتاج ، لماذا ؟ لأنها تملك حريتها .. لأن لها انتماء وولاء لبلدها ولشعوبها .. أما أمة الإسلام فقد أهدرت هذه الثروه البشرية دون الاستفادة منها .

واستمر مخطط تدمير الأمة اقتصادياً :

لقد أدرك أعداء الإسلام أن قيام اقتصاد إسلامى سيؤدى حتما إلى انهيار النظام الاقتصادى العالمى الذى يقوم على التعامل بالربا ، سيؤدى إلى سحب مدخرات المسلمين وغيرهم من بنوك ومصارف وشركات أوروبا وتوظيفها فى بلاد المسلمين حيث المواد الخام بوفرة واليد العاملة الرخيصة وحيث يستعيد الدولار المستثمر نفسه فى خلال عامين (بينما لا يستعيد نفسه فى أوروبا الغربية إلا بعد اثنتى عشرة سنة) وسيؤدى ذلك بالتالى إلى انهيار بيوتات المال وشركات الاستثمار الغربية ، وتمكين المسلمين من الصناعات الثقيلة وصناعة السلاح بما يؤدى إلى انتقال لواء القيادة مرة أخرى إلى الأمة التى ظلت تقود العالم لمدة ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وبالتالى يمكن أن يؤدى إلى قطع المواد الخام وخاصة البترول عن أوروبا وامريكا (أعداء الأمة المسلمة) فنصف المواد الخام التى تحتاجها مصانع أمريكا فقط تأتى إليها من خارج الولايات المتحدة الأمريكية (أى من دول العالم الثالث) .

ومن هنا كان لابد لتطبيع العلاقات مع هذا العالم الثالث المتخلف ، من تدمير بنيته الاقتصادية ولتحقيق ذلك كانت .. مذبحة شركات توظيف الأموال ...

حينما فتح الله على المسلمين زهرة الحياة الدنيا ، وكسبوا الأموال الطائلة ، نسى قطاع منهم مهمته الأصيلة وهى الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والسعى إلى إقامة حكم الله (الإسلام) حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. ويأمن الناس على دينهم وأعراضهم

وأنفسهم وأموالهم ، ونسوا أن تقصيرهم فى هذه الفريضة وغيرها من الفرائض ، سوف يؤدى بهم إلى أن يكونوا دواما فى قبضة بنى البشر التى لا ترقب فى مؤمن إلا ولا ذمة ، وسوف يجعلهم دواما وأموالهم وأولادهم وأعراضهم فى خطر ، نسوا هذه الحقيقة واندفعوا فى تنمية الأموال ليست حراما ، وإنما يجب أن يسير هذا العمل جنبا إلى جنب الاعداد للآخرة ، يقول رب العالمين .. ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

نسوا هذه القاعدة ، ونسوا طبيعة الطاغوت الذى لا يرعى حرمة للمال أو النفس أو العرض (وكان أمامهم تجربة التأمم التى تعرضت لها أموال الناس فى الستينات) وصدقوا شعارات السيادة القانون وحرية الاستثمار وغير ذلك من الشعارات .. مجرد شعارات .. وكونوا شركات توظيف الأموال - وتركت الأنظمة هذه الشركات تجمع الأموال ، والتقم الناس الطعم ، وقدموا أموالهم بثقل كبير ، (وقد أدى ذلك بالتالى إلى سحب المدخرات من البنوك الربوية ، وتوقف غالب أعمالها) .. وتداعى أعداء الأمة عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها ، وكانت مذابح شركات توظيف الأموال .. وكان أيضا مذبحة بنك الاعتماد والتجارة رغم أنه بنك ربوى لأن به أكبر مدخرات العالم العربى مليارات ومليارات .

ورغم ذلك فإن الناس لم يتعلموا .. لم يدركوا أن ما حدث لم يكن ليحدث لو كان حكم الإسلام قائما وكانت خسارة البعض خسارة دنيوية وخسارة أخروية .. والعجيب أن هذه المذبحة اقترنت بشعارات كاذبة .. حماية أموال المودعين .. توفيق الأوضاع .. رد حقوق المودعين .. لقد صدق الناس الشعارات .. وقالوا : لا بأس من توفيق الأوضاع . وكانت هذه المرحلة ضرورية للتصفية النهائية لهذه الشركات بناء على توصيات صندوق الدين .. وتوصيات البنك الدولى كما نقلت الصحف .

إصدار قوانين الاستثمار ... تبيح للأجنبى حق تملك الأرض والدار والمؤسسات الاقتصادية سواء كانت تجارية أو صناعية ، كما أعطت له حق الاستثمار لأمواله ، وحرية خروجها ودخولها ، دون ضوابط لا غنى عنها لأمن هذا البلد ...

تصفية القطاع العام (*) :

والهدف الظاهرى أنه يشكل عبئا على الأمة ، لأن خسائره استفحلت وأنه لابد من تحويله إلى قطاع خاص (ألم يكن القطاع العام فى الأصل قطاعا خاصا ، وأممه الثوار والأحرار ؟؟؟) وعرضه للبيع للتخلص من عبئه وخسارته...ماذا ترتب على ذلك .

(*) والخبر نقلا عن الشعب (٧ إبريل ١٩٩٢) (مؤسسات القطاع العام التى تُساوى من خمسمائة إلى سبعمائة مليار جنيه ، معروضة للبيع بخمس وثلاثين مليارا من الجنيهات بعد ضرب صناعتنا العسكرية ، ويتجهون الآن لتصفية الصناعة الوطنية المدنية . القطاع العام خربوه ويريدون الان بيعه بأبخس الأسعار ، مقالة بقلم الدكتور المهندس محمد عبد الله الشامى) .

ضربت البنية الاقتصادية للمواطنين عبر ضرب شركات توظيف الأموال واصبح القطاع العام معروضا للبيع وأحجم رأس المال الإسلامى خارج ديار الإسلام عن المخاطرة لأنه وعى الدرس جيدا ، فماذا يعنى ذلك ... يعنى أن الذين سيتقدمون لشراء القطاع العام ، واصول شركات توظيف الأموال هم أجانب سواء كانوا يهودا يتجنسون بجنسية الأرض المحتلة أو الجنسية الأمريكية ، تحت شعار الشركات المتعددة الجنسية وذلك يعنى ببساطة وقوع الاقتصاد القومى والوطنى والعربى والاسلامى فى قبضة أعداء الأمة واعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين ، وبهذا يتحقق هدف رئيسى من أهداف التطبيع .

لقد عرفنا المخططين للتطبيع ... ومن الذين نفذوا .. ؟؟ إنهم قطاع ينتسبون لأمة الإسلام .. فهل يعقل أنهم يفعلون ذلك خدمة للأعداء ؟؟ هل يعلمون ؟؟ أم لا يعلمون ؟؟ وهل هناك رؤوس وأيدى خفية (طابور خامس) يعمل لتنفيذ هذه المخططات.؟

تدمير المحاصيل الرئيسية :

حينما احتل الأعداء ديار الإسلام ، وضعوا سياسية زراعية تقوم على حرمان الأمة من إنتاج المحاصيل الغذائية وإنتاج محاصيل نقدية مثل القطن تمد مصانعه بالمواد الخام على أن يقوم هو بتسويق هذه المحاصيل وتحديد السعر الذى يراه ، وذلك يعنى أيضا أنه كان بإمكان ضرب المزارعين فى مقتل حينما يحجم عن شرائها أو يقوم بتخفيض أسعارها ، كانت هذه السياسة منفذه حتى السبعينات ، وبعد توقيع كامب ديفيد وبعد حدوث التطبيع بدأت مرحلة جديدة وهى تدمير زراعة وإنتاج القطن وقفل الأبواب أمام تصديره .

وجاءت الأوبئة ، وكانت المبيدات المشئومة التى يرش بها القطن فلوثت التربة وأدت إلى نفوق الحيوان والطير الذى اعتاد أن يعيش بالمزارع ، بل إنها أدت إلى تقطيع أشجار النخيل تمكين الطائرات من رش المبيدات

وأدت فى النهاية إلى انهيار محصول القطن كمًّا وكَيْفاً – فقد قل الأقبال عليه – بعد أن كانت تتهافت الدول عليه . وانهار بالتالى مصدرا من مصادر الدخل القومى – أذكر أن ثمن صفقات السلاح التشيكية التى غنم اليهود أغلبها أو ضربوها عام ١٩٥٦ كانت مصر تسددها أرزا وقطنا لسنوات طويلة – بل إن مصانعنا للغزل والنسيج أصبحت تحتاج إلى استيراد القطن من الخارج لتغطية احتياجاتها .

وانهار إنتاج الغلال ، وأصبحت مصر تستورد كل شىء حتى الذرة الصفراء ، والتى منها يصنع علف الكتاكيت ، مما جعل صناعة الدواجن تتعرض للخطر والتصفية نتيجة نقص هذه المادة الضرورية وبالتالى تُحرم الأمة من مصدر من مصادر إنتاج اللحوم ، مما يؤدى إلى فتح باب الاستيراد للدجاج واللحوم الأجنبية ، وهكذا تضرب المشروعات الوطنية وتصبح بلادنا سوقا لتصريف

منتجات الأعداء من اللحوم سواء كانت دجاجا أو غيره ، وتحقق هدف من أهداف العدو من وراء التطبيع .

من وسائل التطبيع :

١ – محاولة تربية جميع طبقات الأمة على مفاهيم م بنة تخدم خطة التطبيع منها : أن الإسلام مجرد شهادتين وصلاة وصيام وكفى ، لا يصلح لكى يكون نظاما حياتيا شاملا سواء فى مجال السياسة أو الاقتصاد وغيرها .

٢ – إن كل من يدعو للعمل بشريعة الله ومنهاجه ، وإقامة النظام السياسى والاقتصادى والتعليمى والاعلامى على أساس دين الإسلام (متطرف وارهابى) وهذا التعريف الأخير من وضع الأمريكان واليهود الذين يعتبرون هذا اللفظ ينطوى تحته كل من يعمل على الوقوف فى وجه المخطط والهيمنة اليهودية والأمريكية على العالم العربى والإسلام ، أن كل من يسعى ويعمل على تحرير أمة المسلمين (والعرب منهم) من التبعية لليهود والأمريكان والغرب ، فهو إرهابى متطرف !!

٣ – إن النظريات الاشتراكية والماركسية والديمقراطية هى النظريات المثالية، وهى أفضل من النظام الإسلامى ولهذا فعلى فصائل الأمة حماية هذه النظريات والوقوف فى وجه الذين يحاولون ويطالبون بتطبيق النظام الإسلامى .

٤ – إن أمن النظام (أو أمن الدولة) هو الذى من أجله يجب أن تعد الجيوش وقوات الأمن .

٥ – إن الروس والأمريكان والأوروبيين سواء كانوا يهودا أو صليبيين أو ملحدين ، هم أصدقاء الأمة لأنهم يقدمون لنا رغيف الخبز والقروض رغم أن الله يقول : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ وأن أعداءهم هم المسلمون الراغبون فى عودة الإسلام إلى تسيير حياة الشعوب (السياسية والاقتصادية وغيرها) المسلمون الذين يكرهون اليهود والأمريكان أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين ، المسلمون الذين يسعون إلى تحرير فلسطين ويرفضون التسليم بها لليهود . وبهذا وظفت الأجهزة التى تقوم على أكتاف أبناء الأمة والتى يجب أن تحمى عقيدة الأمة وديارها ومقدساتها وتسعى إلى تحرير ما اغتصب منها ، فى حماية ظهور الأعداء الذين يقول الله عنهم : ﴿ **لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة** ﴾ .

٦ – إن أمة الإسلام لم تشب عن الطوق بعد .. ولهذا يجب أن لا تمنح حريتها ، وأن تحكم حياتها بأحكام القوانين الاستثنائية (كما كان الأمر على عهد الاحتلال الأجنبى) ولهذا تم تشكيل قوات الأمن المركزى وأصبح أولادنا الذين يمضون الخدمة الإلزامية ليتعلموا كيف يحمون أوطانهم ، إذا بهم يوظفون لخدمة والحفاظ على أنظمة تحكم أمتهم بالحديد والنار (مثال الجزائر وتونس وغيرها ...) .

وهكذا تهدر الطاقة البشرية فى تحقيق أهداف شخصية وتصرف عن مهمتها الأساسية ، هكذا يغسل مخ جزء من أبناء الأمة ويحشى بمفاهيم خاطئة يتقبلها قطاع منهم عن رضى وطواعية من أجل كفالة لقمة خبزه ومستوى معيشته فحسب ، ولا يبحث عن موقع هذا العمل من كتاب الله أو سنة النبي محمد ﷺ .

وكان لابد وأن تتبنى مؤسسات الدولة هذه الوسائل (وسائل التطبيع) ، وبدأت مراجعة السياسة التعليمية والخطط الدراسية والمقررات والكتب والمناهج تحت مسمى التطوير لتحقيق أهداف العدو وخدمة مخططاته بل إن السياسة الإعلامية قد طورت أيضا ، لتساند ما يجرى عبر قنوات التعليم ، والقيام بعملية غسيل مخ للأمة من كل ما هو إسلامى أو سلوك منضبط ، مع حشو الأدمغة بكل ما يدمر السلوكيات والأخلاقيات وتهييج مشاعر الشباب فى ظروف تحول بينه وبين إحصان نفسه ، وتفتح الطريق أمام المتعة الحرام .

بل إن مفاهيم الأمة قد طورت ، وتربى قطاع منها على حب الأجانب الأمريكان واليهود والصليبيين وحماية ظهورهم ، وكراهية الإسلام ورميه بكل نقيصة ومطاردة حملة دعوته (وإن كان هناك قطاع من الشرفاء يرفضون ذلك) .

ويمكن الرجوع إلى كتابنا التطوير بين الحقيقة والتضليل ، لندرك حجم الجريمة التى يرتكب مثلها فى حق الأمة المسلمة .

وتم إغراق الأمة بدور العلم الأجنبية التى تتبنى أبناء مصر منذ مرحلة الطفولة حتى نهاية مراحل التعليم العالى مثل الجامعة الأمريكية ، وجامعة سنجور التنصيرية ، وغيرها من المدارس التى تتستر بتعليم اللغات مثل ال .ب.ب.س وغيرها (التبشير والاستعمار . تأليف . عمر فروخ وآخرين ، التطوير بين الحقيقة والتضليل ، صفحة ٤٧) .

وهذه المدارس تقوم بتشكيل عقائد أبناء الأمة وصياغة عقولهم لتربية اجيال بلا هوية وليس لها انتماء ، لتسلم نفسها وأمتها على اعتبار أنهم رجال المستقبل – لعدوها !!!

إن أمتنا وهى تسمح للأعداء بفتح مدارس وجامعات على النمط الغربى – الأمريكى – واليهودى – الأوربى داخل بلاد المسلمين ، دون رقابة على مناهجه أو مقرراته الدراسية أو فلسفته التعليمية تعرض أبناء الأمة وأمنها واستقلالها للخطر ، وتؤدى إلى نشأة أجيال متنازعة الولاء كل يوالى الثقافة التى أشربها سواء كانت فرنسية أو أمريكية أو إنجليزية ، وليس لها ولاء لوطنها

كيف تسمح أمتنا بهذا ؟ فى الوقت الذى يضرب فيه التعليم الدينى ، ويضيق السبيل أمام المسلمين الذين يريدون إقامة مدارس خاصة اسلامية ، وما هو مصرح به من المدارس يتعرض للمضايقات ، بل إن الأساتذة أصحاب التوجيه الإسلامي يُحوَّلون إلى وظائف ادارية ، هذه هى بعض لمحات من آثار كامب ديفيد .

ولما كانت الأنظمة تخشى ثورة الأمة وعدم رضائها بما يجرى ، فقد لجأت إلى فرض الأحكام العرفية أو الاستثنائية التى كان يفرضها الإنجليز أيام الاحتلال .. والهدف تكبيل الأمة بالأغلال وتصفيتها جسديا أو تلقى فى أعماق السجون ، لحرمانها من ابداء رأيها أو اصلاح شئون وطنها .

واقترن ذلك بتنحية أهل الخبرة والاستعانة بأهل الثقة ، ويقول صلى الله عليه وسلم .. « إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة ، إذا وسد الأمر لغير أهلة فانتظروا الساعة » وقد كان .

واقترن ذلك أيضا بتصفية العقول العلمية الفذة التى نبهت الأمة إلى خطر اتفاقيات كامب ديفيد ومخططات العدو مثلما حدث - كما اشيع - لحامد ربيع رئيس العلوم السياسية بجامعة القاهرة وتصفية العقول التى كان يمكن أن تعاون الأمة فى البرامج النووية مثل الدكتور يحيى المشد ، وأيضا العقل الذى كان بفضل الله يستطيع فك الشفرات (شفرة) وهو سعيد بدير .

واقترن ذلك أيضا بفرض الوصاية على دور العلم وخاصة الجامعات ، فالمدراء والعمداء إلا ما رحم ربى . أصبحوا لا يستطيعون السماح بمحاضرة داخل الجامعة إلا بعد الرجوع إلى الأجهزة الأمنيه ، بل أن جهاز أمن النظام هو الذى يوجه أمور غالب الجامعات والكليات إلا ما رحم ربى .

واقترن ذلك بحرمان طلاب الاتجاه الاسلامى من الوصول إلى مقاعد الاتحاد ، حتى لا يحركو جماهير الطلاب فى الاتجاه الصحيح للوقوف فى وجه التطبيع .

وإعادة صياغة العقل المصرى ليتقبل ما يسمى (أرض الميعاد ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف وضعت بنود ملحقة باتفاقيات كامب ديفيد ، ندور حول عدة محاور :

- ضرورة فتح الحدود أمام إسرائيل وتبادل المعلومات والثقافة والعلوم معها .
- ضرورة مراجعة البرامج الدراسية فى كلا الجانبين - مراجعه شاملة وفحص ما يدرس فى مصر عن إسرائيل وما يدرس عن مصر والعرب فى إسرائيل ، وتحديد ما يجب حذفه من برامج التعليم الحالية وإضافة المواد الجديدة المرغوب فى دراستها (وقد تم ذلك مثلا بالنسبة لمصر تحت اسم التطوير) .
- ضرورة ازالة المفاهيم السلبية تجاه إسرائيل فى الإسلام .. إلى غير ذلك وقد قامت مصر بالوفاء بالتزامها ، (انظر التطوير بين الحقيقة والتضليل ، والتاريخ بين الحقيقة والتضليل) .

وقد صرح إسحاق نافون أمام قادة الحزب الوطنى بمصر فى ١٩٨٠/١٠/٢٨ بأن أى صياغة أدبية أو دينية تخالف التصورات اليهودية تعد مساسا بالسلام مع اليهود .

وفى جامعة تل أبيب عقدت ندوة يوم ١٩٨٠/٢/١٩ حول دعم علاقة السلام بين مصر وإسرائيل ، أثار فيها اليهود موضوع ما ورد فى القرآن الكريم من اتهامات ضد اليهود ، وتناقل هذا فى مطبوعات أخرى بمصر ، فقام د . مصطفى خليل ليطمئن اليهود بقوله . « إننا فى مصر نفرق بين الدين والقومية » .

ولما كانت القوى الوطنية وخاصة الإخوان المسلمين ، يرفضون من منطلق عقيدة الإسلام التى تعلمهم ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ تطبيع العلاقات مع الأعداء ، فقد كان لزاما – طبقا للمخطط – تصفية هذه القوى عبر تلفيق القضايا لها ، مثلما حدث للإخوان المسلمين، فى عام ١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٨١ ، ومثل قضايا التكفير والهجرة والفنية العسكرية وغيرها .. وكذلك تصفية هذه القوى بالسجن والاعتقال والقتل فى ظل القوانين الاستثنائية .

ومثلما حدث فى أثناء مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م من مطاردة للندوات والمحاضرات والملصقات واعتقال وارهاب للمواطنين ، ولا يزال مسلسل اجهاض القوى الاسلامية مستمرا ويقوم على ضرب بنيتها الاقتصادية وحرمانها من ممارسة أى نشاط تعليمى أو ثقافى أو اقتصادى أو سياسى ومطاردتها بالسجن والاعتقال والتشريد ، والعجيب أن كل ذلك يتم تحت شعار « سيادة القانون » طبعا قانون الغاب الذى يمسك فيه الذئاب برقاب الغنم .

بل ووصل الأمر إلى حد التصفية الجسدية لبعض عناصر الحركة الإسلامية ..

مصادرة فتاوى العلماء المسلمين التى تؤكد أن فلسطين وقف إسلامى ولا يجوز التسليم للعدو اليهودى بأنه صاحب فلسطين فريضة شرعية فى رقاب المسلمين ، ويترتب على هذه الفتوى ايضا أن الصلح الذى وقعه النظام المصرى فى كامب ديفيد والأنظمة العربية فى مدريد باطل من الناحية الشرعية ، وأن الأمة غير ملزمة به (وقد صودر فى هذا الشأن آلاف النسخ من كتاب فتاوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن فلسطين ، وقد اعتقل وحقق مع بعض الذين كانوا يحوزونها ويوزعونها) .

النتائج :

نجح التطبيع فى تغيب الأمة عن الوعى ، وتجميد مشاعرها ، وتقييدها ومنعها عن الحركة لنجدة إخوانها وأخواتها وأطفالها الذين يتعرضون للتصفية الجسدية الدائمة على أرض فلسطين ، بل والأفظع من ذلك أن هذه الإبادة والتشريد المنظم يجرى فى حماية رجال الجيش والشرطة من أبناء أمتنا وفى ظل أنظمة حاكمة تملك قوة مادية لا بأس بها .

التسلل إلى أجهزة الدولة تحت شعار التعاون الأمنى ، تطوير القوات المسلحة ، البحث العلمى المشترك بين الجامعات ، ومراكز البحث العلمى ، تطوير الزراعة ، تطوير التعليم ، تطوير الاعلام .

وهكذا أتيح للعدو أن يقود الأمة لتحقيق مخططاته ...

نجح التطبيع فى تجهيل الأمة بمقدساتها فى فلسطين وواجبها فى إحياء روح الجهاد لاستعادتها وإنهاء الاحتلال اليهودى ، والأمة لاتأبه ولا تشجب ولا تستنكر ، والأنظمة الحاكمة مستمرة فى إعطاء ولائها لأعداء الله ولأعداء دينه وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين

والأنكى من ذلك أن الوثائق التى ألحقت باتفاقية كامب ديفيد تحوى خطابا من سفاح دير ياسين الصديق بيجن يعلم فيه الولايات المتحدة الأمريكية ويعلم فيه النظام المصرى بأن القدس جزء من أرض إسرائيل الكبرى[1] . وأنه قد صدر مرسوم باعتبارها عاصمة لدولة اليهود ، وأنها مدينة غير قابلة للتقسيم ورغم ذلك أمضى النظام المصرى المعاهدة مع العدو .

نجح التطبيع فى تعويد الأمة عدم الغيرة على العرض ، وعدم الثأر للعرض المنتهك فى مقابل لقمة الخبز وليس أدل على ذلك من الوغد الأمريكى الشاذ الذى كان يمارس شذوذه مع أطفالنا منذ سنوات ، وسمح له النظام الحاكم بالخروج سالما مكرما إلى بلاده ، والوغد الإنجليزى الذى وقف إلى جواره محاميان تبرأ منهما مصر ليهونا من أمر الجريمة ويقولا : إن المتهم كان معتادا على ممارسة هذا الشذوذ فى بلده ولا حرج فى ذلك[2] .

نجح التطبيع فى تحويل قطاع من أبناء وبنات أمتنا إلى مرتع خصب للفساد عبر المدن السياحية التى تقوم على تقديم ما يحرمه الله ورسوله إلى النزلاء ، من خمر ، إلى الجنس ، إلى لعب ميسر ، إلى شذوذ وغيره .

ترويض الأنظمة العربية الحاكمة - إلا ما رحم ربى - لتنفيذ المخطط ، ومن منع الدعم العربى والإسلامى الشعبى من الوصول إلى حركة المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، بل إنها ـ كما نشر ـ تعتقل الفلسطينيين الذين يحاولون تقديم الدعم إلى إخوانهم فى فلسطين، ثم ترحيلهم إلى قاعدة الاحتلال اليهودى لتحاكمهم وتقتلهم .

تجريد شبه جزيرة سيناء من السلاح الثقيل والمطارات العسكرية . إن قبول النظام العربى بالشروط المجحفة التى فرضتها كامب ديفيد تمنع مصر من إنشاء المطارات العسكرية فى سيناء كلها ، كما أنها لا تسمح بدخول أي فرد من أفراد الجيش بالزى العسكرى ، وتحدد التواجد العسكرى المصرى فى حدود ٥٠ كيلو مترا شرق القناة ، بل إن هذا الشرط قد اقترن بشرط آخر أكثر إجحافا وهو عدم السماح بتواجد اكثر من فرقة عسكرية فى هذه المنطقة وأعطت النصوص الحق للقوات الدولية بالتواجد فى سيناء، والتفتيش على قوات الأمن المركزى وإحصاء ذخيرتهم من ان إلى لاخر (أى تدويل سيناء) مع العلم بأن غالب القوات الدولية يهود يتسرون بجنسيات مختلفة (حوالى ٩٠٠٠) .

وهكذا بدلا من أن تصبح سيناء قاعدة عسكرية مغروسة بالقلاع العسكرية ومحشودة بالمقاتلة فى مواجهة العدو ، تطاله بيديها وتحمى عمق مصر ، إذا بها وقد نزع سلاحها وأخلى الطريق أمام

(١) نصوص ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، صفحة ٩٤ .

(٢) جريدة الشعب .

العدو ليعبرها بسهولة وفى أى وقت دون عوائق إلى بقية ديار العالم العربى (وهو فى مخططه لابد فاعل إلا أن يشاء الله شيئا آخر .

تخدير مشاعر الأمة وتجميد حركتها فى مواجهة العدو بحجة أن حرب أكتوبر آخر الحروب، وأن السلام اختيار مصيرى ونسى النظام المصرى أن العدو قد فتح باب الهجرة على مصراعية لليهود وأن الأرض المحتلة لن تستطيع استيعاب العشرين مليون يهوديا المخطط هجرتهم . وأنه لا طريق أمام العدو حينذاك إلا التوسع الذى يعتمد على الضربة المباغتة والمفاجئة ، كما أن العدو يطور أسلحته وقدراته القتالية ، فقد طور سلاح الصواريخ (اريحا ٢) وأصبح فى مقدوره أن ينال من أى بلد من البلاد العربية ، بل إنة يطور اسلحته الكيمائية والجرثومية ، بل والنووية ، فعنده الآن حوالى ٢٠٠ رأس نووية ، كما أنه خطط لحرب قادمة عام ١٩٩٥ وحدد ميادينها والسلاح الذى سيستخدم فيها ، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا تقدم له الدعم المادى والبشرى ، وهنا يبدو تساؤل فى موضعه ، هل حددت اتفاقيات كامب ديفيد أعدادا وعُدة معينة لجيش مصر ، وتحويل الصناعات العسكرية إلى صناعات مدنية ؟ شغل الجيش بمهمات بعيدة عن مهمته القتالية .

بل والعجيب فى الوقت الذى يُطور العدو اليهودى عُدته ، وعتاده ، ويزيد من أعداده ، ويربى أفراده ، على عقيدة أرض الميعاد (من الفرات إلى النيل) وعلى عداوة المسلمين ، ويحدد أرض المعارك القادمة ، وزمانها والأسلحة التى ستستخدم فيها ، نجد أمتنا تربى أبناءها على التاريخ المزور الذى يزعم بدولة لاسرائيل منذ زمن طويل على أرض فلسطين ، بل إنها تدرس لأبناء المسلمين صفحات من التوراة المزورة فى الوقت الذى خلا فيه كتاب التاريخ من نص قرآنى واحد (تاريخ مصر والعالم القديم) طبعة نجد أمتنا تمنع من بناء إنسان العقيدة ، وتجبر على تنكيس راية الجهاد ، وتوجه اهتماماتها إلى سفاسف الأمور .

تخدير مشاعر الأمة ، برفع شعار حرب أكتوبر آخر الحروب ، والسلام أختيار مصيرى ، يواكب ذلك بث إعلامى فاجر يدمر بنية الأمة العقيدية وقدراتها البشرية والمادية . يهدر أوقات الأمة فى مباريات كرة القدم والمسرح والغناء والموسيقى ونوادى الليل والمقاهى .

يواكب ذلك حملة شرسة من العدو اليهودى لاغراق شباب هذه الأمة بالخمر وبأنواع من المخدرات لم تعرف الأمة مثيلا لها من قبل تطبيع العلاقات مع العدو اليهودى ويواكب ذلك تعطيل قدرات الشباب عن العمل الجاد المثمر المفيد ، نتيجة سياسات اقتصادية تكبل العمل الحر والقيود المُعَجِّزة.

بعض نتائج التطبيع :

فتح التطبيع الطريق أمام العدو اليهودى ليدخل إلى أرض مصر بأعداد كبيرة كثيفة يمسح البلاد بطولها وعرضها – فى حماية أبناء هذه الأمة – ويجمع المعلومات لتصب فى مراكز جمع

المعلومات فى تل أبيب وأمريكا (مركز الأمن القومى) التى ترسم سياسة هذه الدول فى المنطقة العربية ، وتمهيدا لتمزيق مصر – لا مكنهم الله من ذلك – إلى دويلات طائفية ؟

شل حركة مصر الأقليمية والعالمية :

« خسرت مصر دورها الطبيعى ، وتضاءل حجمها اقليميا ودوليا ، وخسر العرب قوتهم المركزية الدافقة ، فازدادت خلافاتهم واستفرد بهم أعداؤهم فى ظل هذا التمزق . وأصبح للاتفاقية بين النظام المصرى واليهود الأولوية فى التطبيق على أية اتفاقية عربية أخرى .

اصرار النظام المصرى على مواصلة التطبيع وتنفيذ اتفاقية كامب ديفيد ، رغم أن العدو اليهودى شامير صرح بأن دولة إسرائيل الكبرى من البحر إلى النهر (الأهرام–العدد ٣٧٩٦٨/١١٥) وقراره بجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية ، وتصريحات مدير وزارة الدفاع اليهودية بأن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ليست مرضية وهى أقرب إلى هدنة، وأن خطر نشوب الحرب بين مصر وإسرائيل مازال قائما (الأهرام القاهرية ١٩٩٢/٤/٦)

بل إن العدو – طبقا للدراسات التى نشرت – يُعد العدة لمعارك قادمة يلتهم فيها ما تبقى من ديار العالم العربى ، وطور لذلك أسلحته النووية والكميائية والجرثومية – بل إنه – كما نشر – بدأ حصار مع أمريكا للعالم العربى لمنع وصول أى نوع من أنواع السلاح إليها .

تراجع الدول الأفريقية عن مقاطعتها للكيان اليهودى على أرض فلسطين المحتلة ، وكان مؤتمر القمة الإفريقى قد اتخذ قرارا فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ بقطع العلاقات مع العدو اليهودى ، وحينما وقعت مصر معه اتفاقيات كامب ديفيد ، وقررت تطبيع علاقاتها معه ، اضطرت الدول الأفريقية إلى إعادة علاقاتها السياسية والأقتصادية مع اليهود وإنهاء مقاطعتها له ، وقد أفاد ذلك العدو فائدة كبيرة فأنهى الحصار المضروب عليه فى إفريقيا ، وفتحت أمامه الطريق لحياكة المؤامرات ضد أمتنا فى إفريقيا وخاصة فيما يتصل بمياه النيل ، ولهذا السبب تتنامى علاقة اليهود بأثيوبيا ، وحركة المتمردين الذين يبغون تمزيق السودان (الخائن العميل قرنق وزملاؤه) .

الفصل العاشر

الانتفاضة الفلسطينية تبدد ظلمات اليأس !!
وتقدم البيان العملى لتحرير فلسطين .. بل وتحرير أرض الله كلها
وتحرير الإنسان كل الإنسان

المبحث الأول

الانتفاضة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٤ - ١٩٦٨

تابعنا بإيجاز شديد فى فصول سابقة ، جذور المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين ، ودورها فى مواجهة المخطط اليهودى الأوربى ، ولعلنا أدركنا من خلال المتابعة جملة حقائق :

أولا : أن المقاومة الفلسطينية لو تركت وشأنها مع تقديم الدعم المادى والمعنوى لها لأمكنها بفضل الله إنهاء العدوان الإنجليزى اليهودى الواقع على فلسطين .

ثانيا : أن الخائن جلوب الذى كان قائداً للجيش الأردنى ، كان حريصا على تحجيم المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين بل وأمر بسحب السلاح من أفرادها بحجة أن الجيوش النظامية ستقوم بالواجب .

ثالثا : أن المقاومة الفلسطينية قد نجحت منذ عهد الاحتلال الإنجليزى عام ١٩١٨ وحتى عام ١٩٤٨ فى الدفاع عن غالب الأرض الفلسطينية ، وأن اليهود قد اغتصبوا الجزء الأكبر منها بعد دخول الجيوش العربية فرض الهدنة الأول والثانية ، وفى ظل الجيوش العربية تم تحجيم المقاومة الفلسطينية وحرمانها من الدعم المادى (وخاصة السلاح) .

وحينما فرضت الهدنة الثانية واجهت المقاومة الفلسطينية مشكلة خطيرة ، وهى وجود الجيوش العربية على جميع الجبهات مع العدو اليهودى ، والتزامها بعدم مهاجمته أو مقاتلته ؛ وأيضا تواجد مراقبين من قبل ما تسمى هيئة الأمم لوقف إطلاق النار ، وهكذا استطاع المجتمع الدولى أن يؤمن المقاتل اليهودى سفاك الدماء مغتصب الديار ، وأن تُحجّم حركة الذين قُتل آباؤهم وأمهاتهم وأطفالهم واغتصبت ديارهم ، ضد عدوهم الذى يقف أمامهم وتحت سمع وبصر العالم العربى والإسلامى .

وجاء حكم العسكر ، وخُدرت الجماهير بشعارات التحرير والإعداد والانتظار ، ولقد تبين لنا أنه لم يكن هناك إعداد .. ولا توجه لخوض معركة ضد العدو المغتصب . وقد أكد ذلك العدوان اليهودى فى فبراير ١٩٥٤ على قطاع غزة ، والعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، والعمل لتحويل مجرى نهر الأردن ، كل هذا يحدث والحكومات العربية لا ترى .. ولا تسمع .. أذن من طين وأخرى من عجين .

تشكيل جيش التحرير الفلسطيني :

ولسبب أو لآخر تعرضت المقاومة الفلسطينية لاختبار شديد ، اقترن بقرارات مؤتمر القمة العربي الذى عقد فى عام ١٩٦٤ بالقاهرة . لقد اتخذ الرؤساء والأمراء والملوك قراراً بتشكيل جيش من ابناء فلسطين انتظارًا ليوم التحرير ، وكان هذا القرار ايذانا بميلاد منظمة التحرير الفلسطينية .

وولدت المنظمة ، شيعا وأحزابا على أرض مصر،وسورية ولبنان وشرق الأردن .. بعضها يدين بالماركسية ، وبعضها يدين بالاشتراكية .. بعضها يدين للنظام السورى وبعضها يدين للنظام المصرى .

« ومن أبرز فصائل المقاومة الفلسطينية فتح التى بدأت تمارس جهاداً فعليا لتحرير فلسطين ، وكان أول بلاغ رسمى يحمل اسم حركة التحرير الفلسطينية « فتح » (يناير كانون الثانى ١٩٦٥) :

اتكالاً منا على الله .. وإيماناً منا بحق شعبنا فى الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وإيماناً منا بواجب الجهاد المقدس ، وإيماناً منا بموقف العربى الثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيماناً بمؤازرة الشرفاء فى العالم لذلك ، فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة فى ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٦٥ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة فى الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة وإنّنا لنحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة .. كما أننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأى شكل كان لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار أينما كانت .

كان هذا البلاغ دليلاً على أن الشعب الفلسطينى مازال يدب على الأرض وأنه لم ينس فلسطين ، وأن الجهاد هو السبيل إلى تحريرها ، وواصل المجاهدون الفلسطينيون أعمالهم ضد اليهود وانزعج اليهود وبدأت عمليات عسكرية ضد المدنيين من أبناء الشعب الفلسطينى والعربى مثلما فعل اليهود بقرية السموع الأردنية .

وارتفع صوت اليهود تدعمهم أوربا تهدد الدول العربية المجاورة (مصر وسورية وشرق الأردن ولبنان) إذا لم تعمل هذه الدول على وقف العمل الفدائى ، وكان الردّ من غير الممكن وقف شعب ثائر احتلت أرضه وشرد أهله ، وصمم على استمرار الجهاد ضد أعدائه ، وأوضحت تلك الدول أنها غير مسئولة عن تلك الأعمال وغيرها وغير ملزمة بالبحث والتحرى عمن يقوم بها .

فاجأت « فتح » العالم ببلاغها الرسمى الأول ، وكانت النظرة إليها تحمل كثيراً من الاستغراب وعدداً من التساؤلات ، فالأنظمة العربية العسكرية ترى أن تحديد وقت المعركة يجب أن يصدر عن القيادات السياسية والعسكرية لتلك الحكومات ، ويجارى الحكومات العربية فى هذا المعنى بعض الحزبيين ومن بينهم حركة القوميين العرب . ولكن « فتح » كانت تنادى بأن « الجهاد المسلح

هو الذى سيؤدى إلى تفاعل جماهير الأمة العربية فى حركة التحرير ، وأنه إذا كانت ستة عشر عاماً منذ ١٩٤٨ وإلى ١٩٦٥ غير كافية للبدء فى حركة جدية لتحرير فلسطين فإن انتظار أعوام أخرى لن يؤدى إلا إلى إماتة القضية » ، وتبين أن « فتح » كانت مصيبة . فحرب حزيران كانت بحجة العمل الفدائى ، وكان يمكن أن تقوم بأية حجة أخرى ، ولكنها حرب أظهرت أن الدول العربية لم تكن قادرة عسكرياً » .

«وليس معنى هذا إلا السير فى خط طويل من الانتظار حتى تجد إسرائيل أن الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها التوسعى وتبدأ المعركة كما تشاء ومتى تشاء ، ولا سبيل إلى تغيير التفكير اليهودى إلا القيام بانتفاضة شعبية جهادية ، يشعلها أبناء فلسطين ، ويساندهم إخوتهم فى الأمة العربية والعالم الإسلامى والبلدان الحرة . وبذلك تعود قضية فلسطين إلى الأذهان صحيحة غير مشوهة ويشعر الأعداء أن للقضية أصحاباً لا يبالون الموت فى سبيلها وأن تغيير الخرائط ومسح اسم فلسطين منها كما فعلت إسرائيل ودول الاستعمار وعاونتها بعض الدول العربية لا يمنع أصحاب الحق من أن يعيدوا الحقائق إلى مكانها» .

وهكذا بدأت « فتح » حركتها وهى تفرض الشخصية الفلسطينية فى دور الجهاد والفدائية ، « وتنظر إلى نفسها كونها المولود الذى خرج من صلب الشعب الفلسطينى نتيجة المعاناة ليجسد العمل المسلح بشكل واع » .

وهذا المعنى الذى نشرته « فتح » قبل عام من الآن هو نفسه الذى أعلنه موشى دايان فى أواخر يونيو ١٩٦٨ حيث قال : « إن (فتح) تعنى استمرار الفلسطينيين فى الثورة وأنها تكبد إسرائيل كثيراً من الخسائر فى الأموال والأرواح » .

«وبالعودة إلى أعمال « فتح » حين بدأت مسيرتها الجهادية يثبت أن حركتها أتعبت فعلاً دولة الصهاينة وفاجأتها حين اعتقدت أنه لم يبق للفلسطينيين أثر فى حياة وطنهم السليب . حتى قال التقرير الخارجى لجريدة الإيكونوميست البريطانية فى أوائل مارس (آذار) ١٩٦٥ : « إن أعمال الفدائيين تمثل أول غزو حقيقى لإسرائيل منذ حملة سيناء » . ومنذ بدء نشاط « فتح » وجناحها العسكرى العاصفة إلى الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ غطى جهازها الإعلامى كل المناطق العربية بالثورة الجديدة ، كما غطت أعمالها الفدائية معظم أرض فلسطين المحتلة (إسرائيل) حتى إنها استطاعت أن تقوم بأكثر من ٣٥٥ هجوماً على محطات المياه فى المدن والمستعمرات الإسرائيلية وعلى منشآت تحويل نهر الأردن وعلى محطات الكهرباء ومعسكرات الجنود ، بل استطاعت أن توجه إنذاراً بواسطة الصليب الأحمر الدولى إلى سلطات إسرائيل ، أن تكف عن تعذيب أسيرها الأول « محمود حجازى » ، وأنها سوف تنتقم إذا لم يسمع نداؤها هذا . وحين ثبت أن التعذيب مازال فى عنفوانه أعلنت أنها ستقتل ليفى مدير بوليس حيفا ونفذت وعيدها الذى أعلنته . وكان لنشاط « فتح » المستمر قبل هزيمة يونيو (حزيران) وبعدها تأثير على مصانع العدو ومشاريعه وحدث

الدمار فى القطارات والجسور والكبارى ومستودعات الذخيرة وتضاءلت السياحة وهى مورد هام لإسرائيل وأصبح العالم يتكلم عن شعب فقد أرضه وتحرك لضرب أعدائه وربكهم» .

بل أصبحت شعوب الأمة العربية تتحدث عن هذا الجهاد الجديد ، وتقلص على أفواهها ذلك السؤال الدائم : أين شعب فلسطين ؟ ولما لم يثر ؟ وما هى العقبات فى طريق تحركه وفدائيته كما كان آباؤه الأولون ؟ .

«وكانت « فتح » فاتحة الطريق لعديد من الهيئات الفلسطينية التى أعلنت بدءها العمل الفدائى ولكن « فتح » ظلت التنظيم السرى الفدائى الوحيد المعروف طوال عامين فى محور القضية الفلسطينية ، عملت فى ظروف قاسية وشديدة لأنها كانت تعمل فيما يشبه الفراغ ، خلاف المنظمات الفدائية الأخرى التى أعقبتها ، وعملت فى ظروف خلقتها « فتح » بجهاد استغرق عامين من الزمن والتضحيات الكبرى» .

وفى الرابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٦٨ دعت « فتح » **إلى مؤتمر عقد بالقاهرة « لضمان استمرار الثورة وتصعيدها وشمولها »** .

على أن ذلك المؤتمر الذى دعت إليه « فتح » (ورغم تخلف الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية) قد أنتج توحيد الأجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين ولحركة الشباب الثورى الفلسطينى وللهيئة العاملة لدعم الثورة ولحركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » على أن تصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » .

كما توحدت الأجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية والجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . أما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم أن تكون باسم فرقة خالد بن الوليد » .

وهذا التجمع الذى خلقت « فتح » ركيزته وقوته ، لا ريب أنه يفيد الحركة الفدائية ، على الرغم من أن بعض تلك الهيئات لا تمثل جماعة متكاملة فى فدائييها وتنظيمها ومعداتها ، ولكنها بأى نوع من أنواع العمل الفدائى أو دعمه سيكون توحيد عملها مفيداً ومثمراً .

وبعد مضى عام وشهران على هزيمة الخامس من يونيو (حزيران) وتصاعد العمل الفدائى الفلسطينى تصاعداً مشرفاً أقر به الصديق والعدو ، فقد بدأت بوادر توحيد هذا العمل للعيان وأصبحنا نقرأ بلاغات عن عمليات مشتركة بين العاصفة الجناح العسكرى لفتح وبين الجناح العسكرى لمنظمة التحرير . علماً بأن هذا الاشتراك لا يمثل إلا جزءًا صغيراً قليلاً من العمليات التى تحدث كل يوم من قوات « فتح » و « فتح » وحدها .

والعمل الفدائى الذى بدأته « فتح » وقادته وقدمت فى تياره كثيراً من الشهداء تتلخص أهدافه كما سجلتها « فتح » لمؤتمر القمة العربى الثالث فى سبعة بنود هى :

١ – التحرك فى محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطينى مرتبط بتربة الوطن .
٢ – الإيمان بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .
٣ – مادام الزمن فى مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غدًا .
٤ – ثبوت إفلاس العمل السياسى والانشغال بالكلام فى وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومى .
٥ – العمل الفدائى تمهيد لحرب شعبية .
٦ – المعركة لكل الشعب العربى ، والشعب الفلسطينى طليعة ذلك العمل .
٧ – القيادة للشعب الفلسطينى وتلاقى المنظمات يجب أن يكون فى أرض المعركة .

وبهذه البنود المحددة المدروسة تهدف « فتح » إلى غايات محددة هى :

١ – تعزيز الثقة لدى الفلسطينيين ومحاربة عوامل اليأس .
٢ – إقناع العالم العربى بإمكان زلزلة الوجود الصهيونى وكشف أكذوبة قوة ومناعة إسرائيل .
٣ – إظهار الخطر الصهيونى حتى يشعر العرب بواجب الحذر والاستعداد .
٤ – خلق إدراك الخطر والقتال لدى ساكنى الحدود فى البلدان المجاورة ولو نتيجة للعمليات الانتقامية التى تقوم بها إسرائيل .

ولا تشك « فتح » ويشاركها الكثير من أبناء الأمة العربية المهتمين بالأمور ، أن عملها سوف يقضى على الاستقرار فى داخل إسرائيل والأرض المحتلة ، ويتبع ذلك إضعاف الاقتصاد الإسرائيلى والهجرة اليهودية ، وإفهام اليهود الواردين والمولودين بإسرائيل أنهم ليسوا أصحاب هذا الوطن .

ولا يرى أحد أن اليهود سوف يجلون بين يوم وليلة ، أو أنهم سوف يضجون من ضربات أوائل الحركة الفدائية ، فهم قوم اغتصبوا بلداً ودعموا فيه قواعد الاغتصاب ، وهم يدركون أن عملهم لم يكن سهلاً وأنهم وصلوا إليه بمساعدات قوى عالمية كبرى استغرقت عشرات السنين فى سبيل إقرارهم وتمكينهم ، ولهذا فهم سوف يتحملون الضربات ويدافعون وسوف ينزلون بالسكان العرب الواقعين تحت سلطانهم أشد أنواع الأذى والإذلال ، ولسوف يكررون تحرشاتهم بالحدود المجاورة ، يعتدون يوماً على الأردن وآخر على لبنان ، وهكذا يهدفون إلى إشاعة الرعب ، وتقويض العمل فى الأراضى الزراعية وإنزال الانتقام بالمدنيين والآمنين حتى أولئك الذين لا شأن لهم بالعمل الفدائى ، ولكن هذا العمل اليهودى يحتاج إلى احتمال عربى أيضاً ، احتمال فى تلقى الضربات وتقديم التضحيات ، ومواصلة للاستعداد والإعداد ، وينزلون بها الرعب ويرغمونها على حياة الحذر الدائم

القلق ، فلقد أثبتت الأحداث أن جيش إسرائيل الذى لا يهزم هو أطوعها للهزيمة حين يجد إيماناً ودفاعاً واستعداداً ، وما يوم الكرامة عنا ببعيد .

وتتابعت الأحداث وكانت نكبة يونية ١٩٦٧ ، ورغم عظم المصيبة فقد وقعت أحداث تؤكد ان الجهاد فى حدود الإمكانات المتاحة يمكن أن يؤدى إلى تحرير أرض الإسلام فى فلسطين وعداها من ديار الإسلام .

يوم الكرامة :

«شملت حركة « فتح » كل أجزاء الأرض المحتلة حتى غطت المناطق المختلفة فى شرقيها وغربيها ، وفى قلب إسرائيل ، وكان لذلك أثره الواضح فى زعزعة الثقة التى أحاط بها جيش إسرائيل نفسه من أنه قوة رادعة حطم جيوش ثلاث دول عربية ، وتربع على كرامة العرب ، وأنه مستطيع أن يواصل هذا السحق فلا تقف أمامه قوة ، ولا يجالده أحد ، وأدركت إسرائيل أن العرب لم يموتوا وأن روح القتال فى سبيل الواجب هى فيهم من القوة بقدر كبير ، فقررت أن تتخذ لذلك عملاً».

«وتتابعت هذه التصريحات من أشكول رئيس وزرائها ، وديان وزير دفاعها ، ومناحم بيجين وزير دولتها ورئيس العصابة الإرهابية المعروف ، وأصبح واضحاً لدى الرأى العام العالمى أن إسرائيل تعد لغزو كبير شامل ربما استهدفت فيه احتلال الأردن بكامله، وتحت حجة كبح جماح الفدائيين » .

وفى ١٩ مارس (آذار) ١٩٦٨ أصدرت قيادة « فتح » تصريحاً هاماً لفتت فيه الأنظار إلى أن العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن ، وأنه يدعى أن « فتح » تنبع من خارج أرض فلسطين ، « فتح » التى سبق أن ادعى أشكول أنه قضى على ٩٥ بالمئة من رجالها ، وختمت التصريح بالعبارة التالية :

« ليفهم الرأى العام العالمى أن شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعى فى النضال من أجل تحرير وطنه ، بعد أن عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عاماً ، وهو ماض فى طريقه يحقق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير » .

«وكان السؤال هو ، بما أن إسرائيل تنوى ضرب مدينة الكرامة وغزوها غزواً شاملاً ضمن مخططها لغزو الأردن ، هل يصمد الفدائيون أم ينسحبون ؟ يقول بيان حركة التحرير الفلسطينى : « وكان الاختيار صعباً وكان القرار خطيراً » وكان لابد من الصمود لأن الشعب العربى فى حاجة إلى معنويات جديدة بعد نكسة يونيو (حزيران) ولأن قوات العدو لابد أن تحطم بانزال أكبر الخسائر بها ، ولأن قوات الفدائيين لابد أن تتعاون مع أفراد الجيش الأردنى الباسل» .

«وهكذا تواجد معظم أفراد « فتح » فى ساحة المعركة المنتظرة وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨ بدأ العدو يهاجم الأردن بمئات الدبابات والطائرات

وجنود المظلات ، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الأمة العربية ، معركة أثبتت أن الانسحاب ليس دائماً شرط السلامة وأن أبناء العرب والإسلام يستطيعون أن يوقفوا العدوان بصمود شريف ، يقول مراسل صحيفة دى تسيت الألمانية :

« فى الساعة الخامسة وأربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الإسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الأردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الأردنية .

وفى نفس الوقت تقريباً نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الإسرائيلية للعمل وشرعت تلقى قنابلها فى كل مكان ، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الهيلوكوبتر) تنزل المظليين فى منطقة الكرامة وسارت الأمور فى البداية حسب المخطط الذى قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل أبيب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الإسرائيليين ، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالأيدى ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالأسنان ، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الأسرى الإسرائيليين دليلاً ظاهراً على مدى حقد العرب على العدو الذى دخل ديارهم » .

وليس أبلغ من هذا الوصف الأجنبى لذلك اليوم المشهود الذى اختلط فيه دوى المدافع بطلقات الرصاص ، بصكيك الأسنان تنطبق على أعناق جنود إسرائيل وفى وجناتهم ، إنها حرب الشوارع والمواجهة ، إنها حرب الفداء ، إنها حرب الإيمان الذى يقرر ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ .

«لقد ظهر جلياً أن إسرائيل كانت تستهدف احتلال الأردن وإذا تعسر ذلك فسوف تكتفى بالمشارف العليا التى تقع شرقى النهر ، ولكن الوقفة البطولية التى وقفها أبطال « فتح » ورجال جيش الأردن الباسل كانت فاجعة لإسرائيل ، فلم تستطع أن تحتل الأردن ولم تستطع أن تبقى فى مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تجر قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات» .

«يقول تقرير مستقى من الصحفيين الأجانب ذوى العلاقة بإسرائيل أمكن الحصول عليه بعد نحو أسبوعين من المعركة مايلى : « اتصل مسئول إسرائيلى بعدد من الصحفيين الأجانب معظمهم من الأمريكيين والأوربيين واليابانيين مساء يوم الأربعاء ٢٠ آذار (مارس) وطلب منهم التجمع فى ساعة مبكرة من صباح الخميس فى القدس المحتلة استعداداً لاطلاعهم على ما وصفه بأنه (مفاجأة كبيرة) . وفى الموعد أخذوا إلى أريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب : ستنتقلون إلى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا فى إنهاء حرب جيوب المخربين وقد نتناول القهوة معاً فى عمان هذا المساء » .

«ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلاً عن عمان ، فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعد العاشرة صباحاً وأبلغهم أن الرحلة ستكون لتل أبيب حيث حضروا مؤتمراً صحفياً لا قيمة له» .

«لقد كانت خسائر إسرائيل فى هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرته فى حرب يونيو (حزيران) . فقد قدرت الأوساط والصحف الغربية بأن إسرائيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطبت» .

«ولقد سمعت (المؤلف صالح أبو يصير رحمه الله) بأذنى من شيخ يسكن القدس وسمح له بزيارة أقاربه فى عمان وقابلته شخصياً فى مكان آخر : « أن سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم فى قلق بالغ خوفاً من نتائج الهجوم الإسرائيلى على الضفة الشرقية ، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر ، وأنهم بدأوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحاً حين أخذت طائرات الهليوكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا ، يرونها وهى تنزل القتلى والجرحى ، وحين أخذت طوابير سيارات الإسعاف فى رتل طويل تقطع الطريق ذهاباً وإياباً إلى منطقة القتال مما أفهم العرب فى القدس أن غزو إسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وأن خسائرهم كبيرة وكبيرة جداً » قال هذا الشيخ وعدنا إلى بيوتنا نعانق أطفالنا ونحدثهم أن اطمئنوا فإن أمتكم مازالت بخير ، إن أمتكم لم تمت كما يقول لكم أطفال اليهود منذ الخامس من يونيو» .

«ويصف متحدث رسمى لمنظمة « فتح » ساعات من ذلك اليوم فى تصريحه أثناء المعركة فيقول :

« استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو فى تحقيق أى من أهدافه ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منتظمة أمام الضربات المذهلة التى سددتها له قواتنا ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره إلى طلب وقف إطلاق النار عندما أدرك أن تفوقه الجوى والآلى لا يحميه من رجال صمموا على النصر » .

ويصف مراسل مجلة « الثورة الفلسطينية » العسكرى الذى عاش فى قلب المعركة مشاهداته فيقول :

« بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من مسائه ، استطاع أبطال العاصفة فى الأغوار أن يعيدوا إلى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص ، وعكرمة وجعفر وكل أبطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين أسماء أبو أمية ورؤوف وربعى وأبو العبد أبو شريف ، أسماء ابتدأت بالشهيد أحمد موسى عام ١٩٦٥ ولن تنتهى إلا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن إن الباطل كان زهوقا » .

«لقد أثبتت الإصابات فى الشهداء أنها كلها كانت فى الصدر والوجه وثبت أن طيران العدو ليس إلا وهماً وأن براعته القتالية لا تخيف الأبطال والمجاهدين ، وأن جيش الدفاع الإسرائيلى ليس إلا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا .

وهكذا مضى يوم الكرامة يوما خالداً دفعت فيه « فتح » مجموعة كريمة من أبنائها شهداء ، ولكنهم كانوا ثمن النصر ولإزالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران) ولإثبات أن المقاتل العربى يستطيع أن يصمد وأن يصد وأن يدحر عدوه دون انسحاب ، وأن كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود أبداً ظروفها المربكة بعون الله» .

«وكان يوم الكرامة ميداناً لبطولة الجيش الأردنى أيضاً . فقد دافع الأبطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح وإلى أن تم جلاء الأعداء ودفع هذا الجيش أيضاً كثيراً من رجاله شهداء فى ميدان الشرف والتضحية» .

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية فى جميع أرجاء فلسطين سطروا بدمائهم حروف التضحية ، وقووا العزم لدى جماهير أمتنا العربية كلها ، لقد بلغ عدد شهداء « فتح » حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيداً ولا نشك أن قرابة مائتى شهيد لحقوا بإخوانهم بعد ذلك حتى اليوم ، ولكن خسائر إسرائيل فى جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها دايان وزير حربية الأعداء نفسه وليس بإمكاننا فى هذه العجالة أن نعدد معارك « فتح » والفدائيين ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نعيد للأذهان هجوم فتح على مطار أريحا والهجوم على مخازن البترول فى ميناء إيلات حيث بقى الحريق ثلاثة أيام بلياليها ، والهجوم على معسكرات الأعداء فى ضواحى نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث ، والهجوم على قرى مجاورة لتل أبيب ، ونسف مستودع الذخيرة الكبير فى تلك القرى والكمين المهم الذى أعد لموشى دايان فأبقاه شهراً تحت علاج خطير ، ومعركة عين عروس التى فقدت فيها إسرائيل أكثر من سبعين جندياً بين قتيل وجريح وكانت ثأراً للعرض العسكرى بالقدس وفقدت العاصفة فيها اثنى عشر من شباب فتح المهمين ، ويعلن بلاغ لفتح أنه فى إحدى عشر عملية فدائية خسرت إسرائيل أكثر من ١٥ جنديا وبعض السيارات العسكرية ، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التى هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو حتى أربكها طوال شهر مايو (أيار) ١٩٦٨».

تعليــــق :

هذه صفحات من جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن تأليف صالح مسعود أبو يصير ، وهى تؤكد حقيقة لا مراء فيها ، أنه لو خُلى بين المجاهدين وبين اليهود لتحررت بإذن الله فلسطين . ويؤكد أيضا أن الأنظمة الحاكمة هى التى أضاعت فلسطين ، ومكنت اليهود منها ، وهى تقوم الآن بحماية ظهورهم وتهيئة الأمة لاستكمال ما تبقى من مخططاتهم .

المبحث الثانى

اليهود والأمريكان وأعوانهم يعملون على تصفية قواعد الانتفاضة الفلسطينية

(الفترة من عام ١٩٧٠ - ١٩٨٢)

وهكذا يتضح لنا أن قرار تشكيل جيش التحرير الفلسطينى كان له آثار سلبية وأخرى إيجابية ، من الآثار الإيجابية : أنّه أحيا حركة الجهاد لتحرير فلسطين ، وكان لذلك أثر واضح فى إرباك العدو اليهودى المغتصب ، وتشتيت جهده ، وجعله فى حالة استنفار دائم داخل الأرض المحتلة وعلى جميع الجبهات السورية والأردنية واللبنانية والمصرية ، ولو استمر ذلك لفترة طويلة ، كان يمكن أن يؤدى إلى إنهاك موارد العدو وقدرته المادية والبشرية وتوقف الهجرة(*) (بل كان يمكن أن يؤدى إلى هجرة عكسية) ، وذلك يعنى أن هذه الأحداث وضعت الأمة على الطريق الصحيح لتحرير المقدسات .

وأدركت شعوب العالم الإسلامى أن إنهاء العدوان اليهودى وغيره على ديار الإسلام ، سهل ميسور لو تحررت الأمة وأحسنت الاستفادة من طاقاتها العقدية والبشرية والمادية ، لو أحسنت تفجير هذه الطاقات بالإسلام ، وأن تحرير فلسطين ما كان يحتاج أكثر من تدريب الشباب الراغب فى الجهاد سواء من أبناء فلسطين أو من أبناء العالم الإسلامى وتزويدهم بالسلاح ، وفتح الجبهات العربية أمامهم إلى الأرض المحتلة ، ولو اقترن ذلك بحماية من الجيوش العربية والإسلامية لظهور المجاهدين ، مع استخدام الأسلحة المتيسرة فى يد الأمة العربية مثل منع البترول على كل من يدعم العدو اليهودى وخاصة أمريكا وأوروبا ، وقفل الأسواق العربية والإسلامية فى وجه منتجاتها المدنية والعسكرية ، وضرب المصالح الأمريكية والأوروبية فى العالم العربى والإسلامى ، وقفل سفارات وقنصليات الدول التى غرست الكيان اليهودى على أرض فلسطين وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها ، لعجلت الأمة بتحرير فلسطين بل وغيرها من ديار الإسلام ولركعت أوروبا وأمريكا بين يدى أمة الإسلام ، ولكن أنّى لأمة لا تملك حريتها ولا تملك زمام نفسها أن تفعل ذلك ؟؟

(*) هذا فيما يتصل بفصائل المنظمة ذات التوجُّه الإسلامى ، أما الفصائل ذات التوجه غير الإسلامى فقد كانت سوط عذاب على العمل لتحرير فلسطين ، أولاً بسبب العقائد الفاسدة التى تبنتها ، وحقدها على الإسلام والمسلمين والتى بسبب انتقادها حوكم المجاهد الشهيد عبدالله عزام لأنه انتقد جيفارا . بل وإحدى هذه الفصائل كانت كلمة السر فى أثناء الحراسة شتم الله أو النبى أو الدين تعالى الله سبحانه وتعالى والنبى - ﷺ - عما يقولون علوا كبيرًا .. وكان بعضهم يكرر « أنا ماركسى ، أنا لينينى أممى » .. وذلك بالإضافة إلى العمليات والتصرفات الحمقاء الطائشة التى أدت إلى إعطاء الآخرين الذريعة لضرب المقاومة الفلسطينية (حماس ، صفحة ٧٦، ٧٧) .

ومنها أيضا ؛ أنها أظهرت القاعد من المجاهد ، والخبيث من الطيب ، والمخلص من العميل ؛ وأظهرت للأمة أن هذا الطريق طريق الجهاد هو الطريق الذى خطه بدمائه الشهداء أمثال محمد جمجوم وعز الدين القسَّام وعبد القادر الحسينى ويوسف طلعت ومحمد فرغلى وغيرهم ، هو الطريق لتحرير بيت المقدس وغيرها من ديار الإسلام ، بل إنه هو الطريق لتحرير الإنسان كل الإنسان .

ومن الآثار السلبية ، أنها مهدت أمام العدو اليهودى الذى تدعمه الدول الاستعمارية (الاستخرابية) وكل قوى الشر والعدوان ، مهدت له الظروف لمعرفة عناصر المقاومة الفلسطينية ، وقدراتها ، ومراكز تجمعها ومنابع تمويلها وتسليحها ، وفى ضوء هذا قاموا بإعداد الخطط اللازمة لتفتيت وحدتها وتصفية أفرادها وقادتها وإشاعة الفتن والصدام بين بعض فصائلها ، وتأليب الأنظمة والشعوب العربية عليها ، تمهيدًا لمهاجمتها والقضاء عليها ، وكانت هذه من أخطر سلبيات تشكيل جيش التحرير الفلسطينى وظهوره على الأرض وعدم الأخذ بالاحتياطات الأمنية الكافية فى مثل هذه الظروف .

لهذا السبب وغيره ، انطلقت أجهزة الإعلام الغربية ، تضخم من العمل على أرض فلسطين ، وتحذر من إحياء روح الجهاد فى المنطقة كلها ، وتحريرها من نفوذ الاستعمار الأجنبى وضرب مصالحه وحرمانه من ثروات وخيرات العالم العربى .

وهكذا .. نجح اليهود عبر أجهزة الإعلام التى يسيطرون عليها ، فى تأليب الرأى العام الأوروبى والأمريكى الاستعمارى على ضرورة العمل لتصفية الحركة الجهادية الفلسطينية .

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ خاصة وغالب شعوب العالم العربى والإسلامى تعتبر أن الاهتمام بالقدس جزء من عقيدة الإسلام ؟ وأن تحرير القدس فريضة فى رقاب المسلمين ؟ وأى تفكير فى هجمة يهودية أمريكية أوروبية على قواعد الفلسطينيين سوف تستثير حمية وحماسة شعوب العالم الإسلامى ، وقد ظهر ذلك جليا فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ؛ ونكبة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ومن هنا كانت خطة العدو لتصفية فصائل الجهاد الفلسطينى .. تقوم على :

(أ) أهمية تفجير العمل الجهادى من داخله من خلال بث الأيديولوجيات الفكرية المتنافرة بين فصائل المقاومة ، فهذا شيوعى روسى ، وهذا شيوعى صينى ، وهذا بعثى قومى ، وقد لعبت روسيا الشيوعية دورًا كبيرًا فى هذا الشأن .

(ب) استعداء الأنظمة العربية الحاكمة على فصائل الجهاد الفلسطينى ؛ وتحذيرها من إزدياد قوتها العسكرية ، وأن دعم هذا العمل الفدائى الفلسطينى ، يمكن أن يؤدى إلى زعزعة مراكز الأنظمة الحاكمة فى المنطقة العربية ، بل وجرها إلى الصدام المباشر مع المنظمات الفلسطينية كما سنرى .

(ج) تصفية كل القوى الفلسطينية (وخاصة ذات التوجه الإسلامى) التى تقف فى وجه العاملين من أجل الاستسلام بين يدى العدو اليهودى الأمريكى تحت شعار السلام .

وقد شارك فيها كل الجهات التى تكره الإسلام والمسلمين ، شارك فيها اليهود والأمريكان والروس وأبناء أوروبا وبعض الذين ينتسبون إلى أمة العرب ، والأنظمة الباطنية (النصيرية والدروز) والصليبيون (المارون والكتائب) .

وذلك تحت سمع وبصر المنظمات الدولية بل وفى حماية جامعة الدول العربية .

(أ) تصفية المقاومة الفلسطينية فى شرق الأردن :

وقد تم تصفية فصائل المقاتلين الفلسطينيين على أرض الأردن على يد الجيش الأردنى ، وقد عرفت هذه التصفية باسم مذابح أيلول (سبتمبر) الأسود عام ١٩٧٠ وقد عايش عبد الله عزام - رحمه الله - هذه الأحداث ، وقد حوصرت فصائل المقاتلين الفلسطينيين فى مدن الأردن ، ولوحقت من بيت إلى بيت ومن جبل إلى جبل ، فى عمان وغيرها من المدن (عام ١٩٧٠ - ١٩٧١) ، وقد حدث فيها ما يشيب لهوله نواصى الولدان ومن ذلك أنّه قد تم تجميع الفلسطينيين فى أحراش « جرش » بناء على معاهدات بين وصفى التل رئيس وزراء الأردن وبين زعماء المنظمات ، ليتم فى النهاية سحق القوات الفلسطينية نهائيا فى هذه الأحراش تحت جنازير دبابات الجيش الأردنى .

وهرب من هرب إلى سورية ولكنه هروب من جحيم إلى جحيم ، فقد أجبر المقاتلون الفلسطينيون على ترك سورية ليتجمع من بقى منهم فى لبنان .

وعلى نفس الطريق قام النظام السورى النصيرى بتصفية الحركة الإسلامية المعارضة لأطماع العدو اليهودى فى فلسطين ، فدخل المجرمون مدينة حماة فى نوفمبر ١٩٨٢ وعاثوا فيها فسادًا وهلاكا وتشريدًا أو حرقا وقتلوا ثلاثين ألفا ما بين طفل وشيخ وامرأة وشاب .

وقال : سيكتب التاريخ بأنه كانت هنا مدينة حماة (المجتمع الكويتية عدد ٧١٤ شعبان ١٤٠٥ هـ / أبريل ١٩٨٥) .

(ب) تصفية المقاومة الفلسطينية فى لبنان :

وقد ساهم فى هذه التصفية القوات اليهودية وقوات النظام السورى النصيرى (على عهد حافظ الأسد) والصليبى (الكتائب والمارونى) والباطنية اللبنانية (الدروز وأمل الشيعية) .

وقد تعالت الأصوات تُمهّد لتصفية قواعد المقاومة الإسلامية سواء كانت فلسطينية أو لبنانية على أرض لبنان ، وتزعم بأن سبب المأساة التى يعانى منها لبنان ، هو التواجد الفلسطينى المسلح .

القوات اليهودية بموافقة أمريكية أوروبية تجتاح لبنان ، وتتجاوز أبعد التوقعات التى كانت تقول: إن الغزو سيلحق الجنوب فقط ، فإذا به يمتد إلى الشوف ويحمدون بعد أن يمر بصور وصيدا وتجتاح الدبابات اليهودية بعبدا حيث مقر رئاسة الجمهورية ، ويحكم الحصار على وحول بيروت العاصمة ذاتها ، سادا منافذها .

قوات العدو تباشر أعنف القصف وأقصى التدمير عن طريق البر والبحر والجو للقواعد الفلسطينية ومخيماتها ، لا تفرق بين مدنيين وعسكريين .. وذلك بهدف إنهاء الوجود الفلسطينى البشرى المسلح وغير المسلح على أرض لبنان ، لأنه يشكل حجر العثرة أمام مشاريع التسوية السلمية الإسلامية ، كما أن وجوده على الساحة اللبنانية ذات الصبغة المسيحية يعطل ويعوق الهيمنة المارونية الصليبية الظاهرة على لبنان ، كما ترغب أمريكا وأوروبا وخاصة فرنسا .

ويهدف الغزو أيضا إلى إجبار لبنان على الاعتراف بالدولة اليهودية ، وتكوين دويلات طائفية (كانتونات) تكون حِزاما أمنيًا لقاعدة العدوان اليهودى .

وقاومت المنظمة فى البداية ثم قرر بعض قادتها استعدادهم لتصفية وجودهم المسلح فى لبنان مقابل فك الحصار عن بيروت ، وقد كان وخرجت فصائل المقاتلين ولم يبق إلا النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين (الإصلاح ، السنة الخامسة ، العدد ٥٣ شوال ١٤٠٢ هـ) .

ماذا فعلت جامعة الدول العربية ؟ لا شئ ..

ماذا فعلت الأنظمة العربية ؟ لقد تدخلت على استحياء بعدما استفحل الأمر ، لا لتؤدب الغاصب أو لتردع النصيرى المتآمر أو الصليبى الخائن ، إنما لإقناع المقاتلين الفلسطينيين بالخروج من لبنان .. لماذا ؟ أليسوا عربا مثلكم ؟ فإن كانوا كذلك ، فأين حقوق العروبة والقومية ؟؟

وقبلت فصائل المقاتلين أن تلقى سلاحها وتخرج عزلاء من لبنان ، يوزعون – كما يقول عبد الله عزام رحمه الله – « كما توزع السبايا .. سبايا الحروب » تاركين وراءهم النساء والأطفال أين ؟ فى مخيمى صبرا وشاتيلا .. أمانة .. أمانة فى يد من ؟ فى يد من لا يرعى الأمانة .. فى يد أمريكا ؟ وفرنسا ؟ ويد اليهود ؟ ويد الباطنية (الدروز والنصيرية) ويد الصليبيين (المارون والكتائب) ؟

وكان الوفاء بشعا ، مذابح صبرا وشاتيلا !! وإلا فماذا ننتظر حينما يؤتمن الذئب على الغنم !! حينما يصبح الذئب راعيا للغنم ؟

واستمرت مذابح النساء والأطفال وشباب وشيوخ الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا (بيروت الغربية) (١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢) ستة وثلاثون ساعة .

هذه المذابح خطط لها بيغن (منفذ مذبحة دير ياسين) منذ حصار بيروت فى يونيو ١٩٨٢ وشامير واربل شارون وزير الدفاع اليهودى وروفائيل ايتان رئيس الأركان ، وأغلقت الدبابات اليهودية الطرق المؤدية إلى المخيمات الفلسطينية صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة . وجرت واحدة من أفجر المذابح فى التاريخ ، تبقر بطون الحوامل ، وتنتهك الأعراض ، وتقتل الشيوخ والأطفال .. آلاف الضحايا .. لا غسل .. ولا دفن إلا بالبلدوزرات .. وقد شارك فى تنفيذها اليهود والصليبيون .

أين التعهد الخطى الذى قدمه المبعوث الأمريكى فيليب حبيب عبر شفيق الوزان رئيس الحكومة اللبنانية بأن المدنيين الفلسطينيين لن يمسوا بسوء ، ولن يتعرضوا لأذى ؟ لا احترام له !! والذنب ذنب المقاومة التى فضلت أن تلقى بسلاحها وتترك أعراضها وراء ظهرها .. لقد تجاهلوا قول الله تعالى : ﴿ **قاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾ .. ألم يكن الأولى بهم أن يموتوا وهم يدافعون عن أرضهم فهى أرض الإسلام ؟ وعن نسائهم وأطفالهم ويموتوا بينهم ؟؟ فلا نامت أعين الجبناء (المجلة العدد ١٣٨ السبت ٢-٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٢ تحت عنوان المجزرة ، صفحة ٤-٦) .

وكانت طرابلس وصيدا على درب صبرا وشاتيلا وحماة ، وكان الهجوم على طرابلس مكملا لمعركة بيروت الغربية للتخلص من أكبر مركزين للتجمع الإسلامى السنى فى لبنان ، على نفس الطريق الذى سارت عليه حماة .. طريق الاستشهاد .. لا لذنب ارتكبته أو لجرم اقترفته .. بل كل ذنبها وجرمها أنها قالت : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .. وكل جريرة أهلها أنَّهم من أهل السنة الذين تريد قاعدة العدوان اليهودى أن تضعف وزنهم فى التركيبة السُكّانية اللبنانية لأنها ترى أنهم الظهير المساند للوجود الفلسطينى فى لبنان الذى تبذل إسرائيل جهودها للقضاء عليه بأيدى عربية ولبنانية تؤمن حدودها الشمالية .

من الذى قبل بأداء هذا الدور ؟ إخوان القومية العربية ، النظام السورى النصيرى بدعم من بنى يهود وخلفائهم فى دوائر الأطلنطى وأوروبا الغربية الذين لا هم لهم ولا حديث عندهم سوى التطرف الإسلامى وأساليب محاصرته » .

« وهاجمت القوات السورية طرابلس ممتطية ظهور حزب البعث العربى الديموقراطى (حزب النصيريين) ؛ والحزب الشيوعى اللبنانى وأغلب أعضائه من النصارى الأرثوذكس المقيمين بطرابلس ؛ ومنظمة حزب البعث التابع لسورية بزعامة عاصم قانصوه وهو شيعى من بعلبك ، والحزب القومى السورى الذى أسسه النصرانى (انطوان سعادة) وهو حزب له تاريخ طويل من الارتباط بدوائر المخابرات الغربية والبريطانية على وجه الخصوص .. أمّا حزب الدروز بزعامة وليد جنبلاط وأذناب نبيه برى فقد كانوا يقومون بنفس الدور فى بيروت الغربية لإذلال أهل السنة وفرض الهيمنة الطائفية »[1] .

وحدث لصيدا ما حدث لبقية مدن لبنان الإسلامية .. فقد شارك الدروز وحركة أمل الشيعية بدورهم فى تصفية المقاومة الفلسطينية فى أبريل ١٩٨٥ - ففى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يهاجمون صيدا كانت القوى الباطنية (الدروز وأمل) تهاجم بيروت الغربية لتصفية المسلمين من أهل السنة .

---

(١) مجلة الإصلاح السنة الثامنة العدد ٩٣ صفر ١٤٠٦ هـ اكتوبر ١٩٨٥ « مأخوذة نصا صفحة ٤/٥ ؛ المجتمع العدد ٧٣٤ السنة ١٦ الثلاثاء ٩ محرم ١٤٠٦ هـ ، « طرابلس المسلمة فى مواجهة المؤامرة الباطنية » ، عبدالرحمن الناصر .

« وأمعن الكتائبيون النصارى (المتدينون) فى وقاحتهم وبذائتهم وأعلنوها حربا صليبية على المكشوف وأخذوا يطردون المسلمين الفلسطينيين من صيدا وما حولها من القرى النصرانية خاصة ، ويُكدسون فى مخيم عين الحلوة حيث كانت تنتظرهم مذبحة جديدة ، كصبرا وشاتيلا بإشراف يهودى أمريكى وصمت وتخاذل بل رضا عربى ضمنى » .

لقد غادرها اليهود بعد أن دمروها ، وجاء بعدهم الصليبيون ليكملوا مسيرة التدمير والقتل ، وكانوا يطلقون فى اليوم الواحد على رؤوس السكان حوالى ٥٠٠ قذيفة ، بل إن الطيران الحكومى اللبنانى قد شارك بشن الغارات (المجتمع ، العدد ٧١٤ لسنة ١٤٠٥ تحت عنوان دماء على طريق التسوية ، المجتمع ، العدد ٧١٥ ١٠ شعبان ١٤٠٥ صفحة ٢٢ .

(ج) تصفية فصائل المقاومة الفلسطينية فى تونس :

غارة يهودية بدعم أمريكى على تونس .. فى العاشرة من صباح الثلاثاء السادس عشر من محرم ١٤٠٦ هـ وبتوقيت تونس قامت طائرات بنى يهود بالإغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية على بعد ٣٥ كيلو مترًا من العاصمة تونس (٢١٠٠ كيلو متر من قاعدة العدوان اليهودى بفلسطين) وأسفرت الغارة عن ١٩٥ بين قتيل وجريح .

ما هو موقف تونس الدولة المعتدى عليها ؟؟ طلبت اجتماع مجلس الأمن لبحث العدوان واتخاذ إجراءات لمنع تكرر هذا الاعتداء .

ما هو موقف العالم ؟؟

- مسئول مصرى يصرح : « إن مصر ستستمر فى مساعى السلام رغم الصدمة المأساوية !!! » .
- مسئول أمريكى يعلن : « الرد على الهجمات الإرهابية ردا مشروعا والغارة اليهودية تدخل تحت هذا المبدأ !! » .
- الأردن يعلن تعهده بالاستمرار فى بذل الجهود لإجراء مفاوضات التسوية فى الشرق الأوسط ووصف الغارة بأنها محاولة لضرب الداعين للتسوية السلمية .
- سكرتير الأمم المتحدة دى كويار يكتفى بإدانة الإرهاب من كل الأطراف » .

مدلول الغارة .. أن اليهود ماضون فى تنفيذ مخططهم ولا يوجد أى هدف بعيد عن متناول طائراتهم وأيديهم .

وهنا سؤال يطرح نفسه .. ما هو دور الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض فى هذه الغارة ؟؟ وهل الطائرات يهودية ؟؟ أم أمريكية أعيد طلاؤها ورسم العلامات اليهودية عليها لأداء المهمة ؟

أخطر نتائجها .. صرفت الغارة اليهودية الأنظار والأذهان عن مجازر طرابلس لقد توارت أخبار ألوف الجرحى والقتلى وألوف المساكن التى تم تدميرها وتوارت أخبار « التتار » الذين حاصروا طرابلس وأصلوها بوابل من الجحيم زاد على ربع مليون قذيفة فى يوم واحد .

كما أنها كانت مصدر ضغط على الجهات العربية التى أعلنت قبولها لخطط السلام الأمريكية اليهودية من أجل دفعها للإسراع فى اتباع الأقوال والتصريحات باللقاءات والدخول فى المفاوضات .

تقويم الأحداث

وهكذا تم إجهاض كل القوى التى تستطيع أن تقاوم الهجمة اليهودية العالمية على فلسطين والعالم العربى والإسلامى ، وتم تأمين وحماية ظهر العدو اليهودى على أرض فلسطين عبر الجبهة السورية واللبنانية والأردنية والمصرية .

أين شعوب العالم العربى الإسلامى ؟

إذا استثنينا المنظمات الإسلامية وخاصة جمعيات الإصلاح الاجتماعى ، وجماعة الإخوان المسلمين والاتحادات الطلابية فى المدارس والجامعات ، نلمح على مستوى الأنظمة استسلامًا للأحداث ، كأن الأمر لا يعنيهم ونسوا حقوق الأخوة ، وحقوق الجيران وحقوق الإنسان ، وصدق رسول الله – ﷺ – : « **غثاء كغثاء السيل** » .. والأخطر من هذا أن فريقا من هؤلاء قد اتخذ مطية لتحقيق أهداف ومخططات الأعداء[1] ..

بقيت ملاحظة كيف يقاتل أبناء الأمة العربية بعضهم البعض ؟

حينما رفع أبناء الأمة العربية راية غير راية الإسلام ، يقاتل بعضهم بعضا يسفك بعضهم دماء البعض لا حرمة لأطفال ولا لشيوخ ولا لنساء .. لا حرمة للدم الإنسانى ..

من المستفيد ؟؟ من المؤكد أنهم أمة اليهود وكل أعداء الأمة المسلمة !! من وراء هذه الفتنة ؟؟ نشر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان وراء هذه الأحداث حينما شكّك الملك حسين فى نوايا المقاتلين الفلسطينيين ، وأغراه بهم ، وحينما شكك الفلسطينيين فى نوايا الملك حسين وأغراهم به . وقد اتضح ذلك فى مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مصر ، وهذا هو الذى دفع الملك فيصل رحمه الله أن يترك المؤتمر ويعود إلى بلده ..

أين الإسلام الذى يحرم إفساد ذات البين ويعتبرها الحالقة التى تحلق الدين ؟؟ غائب عن حياة الأمة فى ظل حكم الثوار الذين ضيعوا البلاد والعباد !!

أين توجيهات رسول الإسلام محمد – ﷺ – : « **لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض** » لا وجود له فى حياة كثير من الأنظمة .

الغريب ، أن كل ذلك يحدث فى ظل المنظمات الدولية .. وفى وجود جامعة الدول العربية .. وأنظمة تملك الجيوش وتعتلى العروش !!

ماذا يعنى ذلك ؟؟ يعنى أنها مؤامرة عالمية على أمتنا ..

---

(1) الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٣ صفر ١٤٠٦ اكتوبر ١٩٨٥ صفحة ١٨ – ١٩ .

قادة منظمة التحرير الفلسطينية على طريق الاستسلام :

الولايات المتحدة الأمريكية تستدرج منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاعتراف بالدولة اليهودية العدوانية ، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية يعترف فى مؤتمر صحفى عقد فى جنيف (سويسرا) بحق إسرائيل فى الوجود كدولة ، ويوافق على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ونبذ الإرهاب بكل أشكاله (أى وقف الانتفاضة ضد اليهود) ، والهدف أن تبدأ الولايات المتحدة بالتحاور مع المنظمة ! مجرد التحاور !! . هذا الاعتراف أصاب القضية الفلسطينية إصابة بالغة ، لأنه اعتراف من أهل الدار بأحقية المغتصب فيما اغتصب .

شيمون بيريز يعلن : « يجب وضع تصريحات عرفات تحت الاختبار ، ويجب أن تتوقف الانتفاضة حتى يمكن إجراء محادثات سلام » .

وزير خارجية أمريكا (شولتز) يعلن بعد هذا الاعتراف : « أنه ليس هناك ما يمكن تفسيره على أنه قبول أو اعتراف من قبل الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية المستقلة ، وأن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل لايزال ثابتا لا يتزعزع » .

رئيس أمريكا (ريجان) يصرح : « أن أحد الأسباب الرئيسية لإجرائنا هذا الحوار مع المنظمة هو مساعدة إسرائيل على تحقيق الاعتراف والأمن الذى تستحقهما » .

وهكذا ربح اليهود وأعوانهم ورقة من أخطر الأوراق وخسر الفلسطينيون كل شيء ، وتحقق ما كان يطالب به بعض أبناء فلسطين الذين تنكروا لإسلامهم ، واعتنقوا المذهب الشيوعى وخرجوا يطالبون باقامة دولة يهودية لليهود فى فلسطين ، ويرون أن قتال اليهود الشرفاء رجعية دينية متعاونة مع الإمبريالية !! . (مع العلم بأن اليهود قد نجحوا فى تأسيس حزب شيوعى « راكاح » من أبناء فلسطين فى وقت مبكر عام ١٩٢٠ بجهود روز شتاين وجابو تينسكى أستاذا بيجن) . (حماس ٧٩ - ٨٠) .

حركة المقاومة الإسلامية « حماس » ترفض كل هذه التوجهات (التصرفات) عبر تصعيد المواجهة اليومية مع سلطات الاحتلال اليهودى إشارة إلى أن الجهاد والصمود فى وجه الاحتلال هما اللذان يجبران العدو على الانسحاب ، وليس التنازلات والمفاوضات . (المجتمع الكويتية ، ١٨/٨٩٧ جمادى الأولى ١٤٠٩ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ملامح القضية الفلسطينية فى المرحلة القادمة ، عبد العزيز العمرى) .

المبحث الثالث

الانتفاضة الفلسطينية (عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨) تبدد ظلمات اليأس حركة المقاومة الإسلامية حماس ، ترشد الأمة إلى طريق التحرير

- **غالب الأنظمة العربية لم تحسن الاستفادة من أحداث الانتفاضة ولم تعمل على دعمها .**
- **حركة المقاومة الإسلامية حماس تعلن عن هويتها : (إنها فرع من حركة الإخوان المسلمين) .**
- **مؤامرة عالمية أمريكية يهودية عربية لحصار الانتفاضة واجهاضها .**
- **منظمة التحرير تعلن قيام دولة فلسطينية ...أين مكان الدولة ؟؟ فى الهواء!!! .**
- **الدول تسارع إلى الاعتراف بالدولة الوهمية ؟؟؟ .**
- **قادة الدولة الفلسطينية يعترفون بالعدو اليهودى (إسرائيل) صاحبًا لفلسطين .. فماذا بعد ذلك ؟؟؟**

لقد واصل الاعداء تنفيذ مخططاتهم ، ومنها تصفية الكوادر الرئيسية للانتفاضة الجهادية سواء كانت فلسطينية أو غير فلسطينية فى الفترة من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٨٢ ، وتصوّر الأعداء أن الحركة الجهادية لتحرير فلسطين قد انتهت ولن تقوم لها قائمة وهذا التصور فاسد ، لأن الحركة الجهادية ليست من صنع البشر ، لأن الذى يوجهها ويعينها هو رب العالمين ، وان كان البشر هم ستار القدرة يقول الله سبحانه :﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** ﴾ .

وقد كان، ففى عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، انطلقت الانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الجهاد) واشتركت فيها جميع الفئات الشعبية من حماس (حركة المقاومة الإسلامية) وتنظيم الجهاد والمقاومة الفلسطينية المنظمة .

وهذه الانتفاضة وثيقة الصلة بحركات الجهاد التى قامت على الأرض التى بارك الله فيها للعالمين عبر التاريخ ، فهى وثيقة الصلة بموسى عليه السلام الذى خرج باتجاه بيت المقدس لتحريرها من قوم

جبارين غلبوا عليها ، ويوشع بن نون الذى قاد جموع المسلمين وحرر بهم بيت المقدس ، وطالوت وداود وسليمان عليهما السلام اللذين حرروا بيت المقدس من جالوت وجنوده .. وبمحمد ﷺ وأصحابه الذين حرروا بيت المقدس من الاحتلال الرومى .. وبآل زنكى نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى وقطز وبيبرس والأشرف خليل ومحمد بن قلاوون الذي دحروا الهجمة الصليبية التتارية على ديار الإسلام .

الانتفاضة وثيقة الصلة بالحركة الجهادية التى قامت على أرض فلسطين منذ عام ١٩١٩ ميلادية وحتى الآن وثيقة الصلة بمحمد جمجوم وعطا الزبير والشيخ عز الدين القسام وعبد القادر الحسينى .

هذه الانتفاضة هى نتاج غرس حسن البنا ، ويوسف طلعت ، ومحمد فرغلى وسيد قطب وعبد القادر عودة . يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله : إذن لقد تحرك المسلمون وأبناء فلسطين قاطبة وقام أحمد ياسين رمز صمود الحركة الإسلامية وبدأ يحرك أبناء الحركة الإسلامية وبدأ الشارع الفلسطينى يرجع إلى الله على أصداء نغم الله أكبر ، « خيبر خيبر يا يهود ، دين محمد سوف يعود ... » واشترك فى هذا الجهاد جميع الطبقات والفئات من أبناء فلسطين .

وبدأت المنظمة تدخل الأموال لدعم الانتفاضة ولكن (حركة المقاومة الإسلامية .. حماس) قد برزت بشكل منظم واضح وأخذت تشتد يوما بعد يوم ويصلب عودها ويقوى تيارها وبدأت **تستحوذ على اهتمام الجماهير واعجابهم بسبب التزامها ونظامها ، ونحن نرقب ذلك اليوم الذى يتحول فيه الحجر بأيدى حماس ويتبدل الحجر وتحل القنبلة والبندقية ــ وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدى أعدائهم ويقاتلونهم به ــ ونرقب اليوم الذى تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود وتزيغ فيه أبصارهم ونبتهل إلى الله أن يفتح لنا ثغرة إلى فلسطين نزاول فيها عبادة القتال وفريضة الجهاد وما ذلك على الله بعزيز .. ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ﴾ .**

وعندما أعلنت حماس عن هويتها وأنّها فرع من حركة الإخوان المسلمين انتفضت الدنيا كلها هلعا وتداعت دول الشرك من كل ناحية وبسرعة كالبرق الخاطف اجتمع المجلس الفلسطينى بإيحاء من هذه الدول ؟؟؟ وأعلن قيام الدولة الفلسطينية التى ليس لها شبر أرض تقف عليه ، فهى معلقة فى الهواء ، ليس بيدها أية ورقة ضاغطة على اليهود ، فلا المواقف العسكرية القوية التى تحسم القضايا ، ولا الأرض الصلبة التى تستوى قائمة عليها .

وخلال أسبوع – وهذا يدعو للعجب – تعترف بالدولة الفلسطينية خمسون دولة تقريبا ثم فطنت أمريكا بأنها تسرعت بالاعتراف ، فأخرجت بسرعة تأشيرة أبى عمار لدخول أمريكا ، واعترفت المنظمة بدولة إسرائيل على مرأى من العالم كله ، وقال أبو عمار : هل يرضيكم هذا ؟

وهكذا سلمت قيادة المنظمة للعدو الذى اغتصب فلسطين أنه صاحبها ، وكان ذلك بمثابة طعنة فى ظهر الانتفاضة ، ولكن العدو يضغط لمزيد من التنازلات فقالت أمريكا : لا بل لابد من أن تقرأ الكلمات التى نكتبها لك وكتبت له الكلمات وأعاد قراءتها على شاشة التلفاز على مرأى ومسمع من الدنيا كلها .. (وكانت هذه هى قمة الهزيمة أن يعترف صاحب الدار للمغتصب بأنه هو صاحبها) ومع هذا كله لا زالت إسرائيل رافضة أن تجتمع بالمنظمة ، واعترف بالمنظمة حتى الآن أكثر من مائة دولة .

وعقد عبد الله عزام مقارنة بين موقف قادة الجهاد الأفغانى وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وموقفها المتخاذل :

« وصورة أخرى مشرقة تقابلها من فوق ذرى الهندروكس (أفغانستان) من أولئك الأبطال الذى دوخوا روسيا فولت على أعقابها خاسرة ، وقد مزق شملها وشتت جمعها فخرجت خاسئة ذليلة فقد طلب ريجان نفسه مقابلة حكمتيار فرفض فأرسل له رسالة من ابنته مورين ريجان فرفض مقابلته ودعى من الكونجرس فرفض مقابلته ، وقابل يونس خالص ريجان وعرض عليه الإسلام ، ورفض خالص مقابلة كود كوردفيز مندوب الأمم المتحدة أكثر من مرة ، وأعلن مجددى أننا لن نقابل روسيا ، وعندما طلب فورنتسوف وكيل الخارجية الروسية مقابلة ربانى اشترط عليه شروطا :

١ – أن تكون المقابلة فى أرض إسلامية كالسعودية وباكستان .
٢ – أن لا تتضمن المباحثات شكل الحكومة القادمة .
٣ – أن يدخل الوفد الروسى إلى القاعة قبل الوفد الجهادى حتى يقوم الروس للمجهادين .
٤ – ألا يصافح المجاهدون الروس .

وقبل فورنتسوف الشروط كلها وطلب من ربانى أثناء المباحثات أن يدخلوا ثلاثة وزراء مسلمين من حكومة نجيب فى دولتهم ريثما يتم خروج القوات الروسية حتى يحفظوا ماء وجوههم أمام العالم فقال المجاهدون : (إنّ الإسلام لا يعطى حق الحياة للشيوعى « من بدل دينه فاقتلوه » فكيف يعطى حق الحكم للشيوعيين) .

وهربت روسيا من أفغانستان لا تحمل ورقة واحدة موقعة من المجاهدين ، ولا أظن أن المجاهدين حتى الآن قدموا ورقة التماس واحدة لأية دولة من دول العالم الكبرى ، غربية أو شرقية ، ومع هذا كله فدولة المجاهدين قائمة فوق ٩٠٪ من أرض أفغانستان وسيوفهم لا زالت تقطر دما من أعدائهم ومعاركهم التى يخوضونها الآن لتصفية شراذم الشيوعيين الذين يشهقون شهقات الموت لم يشهد لها نظير فى شراستها وعنفوانها .

ومع هذا كله لم تعترف بهم إلا السعودية والبحرين والسودان وماليزيا ، جزاهم الله خيرا » .

فهل يعنى ذلك أن الدولة الفلسطينية قد أنيط بها مهمة إخماد نار جهاد الإنتفاضة وإطفاء نورها ، وعبثا يحاولون .. ﴿ **ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنَّا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنَّ فى ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ النمل ٥٠-٥٣ . (حماس حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين ، الجذور التاريخية والميثاق) إعداد أ.د. عبد الله عزام . مكتب خدمات المجاهدين ص.ب ٩٧٧ ، باكستان ، صفحة ٨٤ – ٨٩ .

تعليق :

واستشهد عبد الله عزام ، والانتفاضة مستمرة ، وراية الجهاد مرفوعة ، ولكن الساحة شهدت مأساة أخرى .. شهدت غالب الأنظمة العربية كلها تهرول إلى مؤتمر مدريد لتعترف للعدو اليهودى بأنه صاحب فلسطين ، وأنها على استعداد لفتح الحدود وتطبيع العلاقات معه .. وبحث مطالبه الأخرى . وأنّها على استعداد لتصفية كل القوى الوطنية والإسلامية التى تحاول أن تنال من الصديق اليهودى (فى تصورهم) وتقف فى وجه تطبيع العلاقات معه ... وهكذا استدرجت غالب الدول العربية إلى دخول كامب ديفيد « وكانت هذه أكبر طعنة توجه إلى حركة الجهاد الإسلامى ، ورغم هذا – بفضل الله – فالانتفاضة مستمرة (دخلت عامها الخامس) وتطور أساليبها كما تحدث بذلك عبد الله عزام رحمه الله .

وشاء الله أن تتحقق توقعات شهيد الإسلام فى أفغانستان عبد الله عزام ، وانتصر المجاهدون الأفغان ، وانهارت الشيوعية العالمية وتفتت الاتحاد السوفيتى ، ودخل المجاهدون كابول يذكروننا بدخول رسول الله محمد ﷺ مكة فاتحا مرددا قول الله تعالى :
﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** ﴾ (سورة الفتح)

الفصل الحادى عشر

مخططات اليهود والأمريكان وأعوانهم للمرحلة الحالية والمرحلة المقبلة في العالم العربى

المبحث الأول

اليهود وأمريكا يُعدّون العدة لتمزيق مصر والمنطقة العربية

- المخطط العام الذى يسيطر على القيادات اليهودية هو تجزئة المنطقة العربية وتحويلها إلى كيانات صغيرة طائفية !! لماذا ؟؟
- ويهدف إلى تمزيق مصر إلى أربع دويلات، يمتد عبر إحداها النفوذ اليهودى ليستوعب سيناء وشرق الدلتا ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات !!
- سياسة الدول الكبرى تتفق فى مصالحها مع سياسة إسرائيل لمنع مصر من أداء دورها الإقليمي والدولى !!
- لماذا اهتمت الأبحاث الميدانية التى أجرتها الهيئات الأمريكية على وجه الخصوص بمحافظة الفيوم وكذلك بمدينة أسوان ؟؟
- لماذا يتجسس اليهود والأمريكان وغيرهم على مصر ويجمعون عنها المعلومات ؟؟
- المعلومات تصب فى أجهزة الأمن القومى الأمريكى !! الذى يرسمَ سياسة أمريكا .
- التحالف الوثيق بين اليهود والأمريكان وحلف الأطلنطى !!
- السياسة الأمريكية الخارجية التى تقوم على :

حصر القوى والقيادات القادرة الصالحة لأن تكون ثورة رفض على قسط معين من الفاعلية (ضد المصالح الأمريكية والصهيونية) ، وتصفيتها بالسجن أو القتل .

- هذه السياسة تقوم على عدم الانتظار حتى تنفجر الثورة ، أو حركات الرفض ، بل يجب اقتطاعها مسبقًا .

ما الذى تخطط له إسرائيل بالنسبة لمصر ومنطقة وادى النيل الآن وفى المدى البعيد ؟

« إن المخطط العام الذى يسيطر على القيادات الصهيونية هو تجزئة المنطقة وتحويلها إلى كيانات صغيرة يسيطر عليها مفهوم الدولة الطائفية » .

« الخيال الصهيونى يتصور هذه التجزئة فى أربعة محاور أساسية :

أولاً : محور الدولة النصرانية الممتدة من جنوب بنى سويف حتى جنوب أسيوط ، وقد اتسعت غربًا لتضم الفيوم التى بدورها تمتد فى خط صحراوى يربط هذه المنطقة بالاسكندرية التى تصير عاصمة للدولة النصرانية ، وهكذا تفصل مصر عن الإسلام الإفريقى الأبيض (فى طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب) وعن باقى أجزاء وادى النيل .

ثانيـاً : ولمزيد من تعميق هذه التجزئة ، تربط الجزء الجنوبى الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى حيث أسوان تصير العاصمة لدولة جديدة تحمل اسم دولة البربر .

ثالثـاً : الجزء المتبقى من مصر سوف يخصص لمصر الإسلامية .

رابعًا : وعندئذ يصير طبيعيًا أن يمتد النفوذ الصهيونى عبر سيناء ليتوعب شرق الدلتا بحيث تصير حدود مصر الشرقية من جانب فرع دمياط (١) ومن جانب آخر ترعة الاسماعيلية ، وهكذا يتحقق الحلم التاريخى من النيل إلى الفرات » (٢) .

وذكر الكاتب رحمه الله (هذا الكلام نشر عام ١٩٨٣) أن التطور الذى تعيشه المنطقة جعل سياسة الدول الكبرى تتفق فى مصالحها مع سياسة إسرائيل ، لا فقط بمعنى عزل مصر بل وبمعنى تجزئة مصر ، ثم تساءل :

أولاً : لماذا اهتمت الأبحاث الميدانية التى أجرتها الهيئات الأمريكية على وجه الخصوص بمحافظة الفيوم وكذلك بمدينة أسوان ؟؟

ثانيًا : « وهل الاهتمام بمحافظة الفيوم ينبع من التصور الإسرائيلى بخصوص الدولة النصرانية الذى أساسه ضم الفيوم إلى المحافظات الأخرى السابق ذكرها ، وشق طريق صحراوى يربط هذه المنطقة عبر وادى النطرون بالاسكندرية التى سوف تصير عاصمة الدولة الجديدة وقد اتسعت لتضم أيضا جزءًا من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح » .

ثالثًا : « هل هناك علاقة بين الاهتمام بأسوان والحديث المتردد عن دولة البربر التى سوف تمتد حينئذ لتشمل الصحراء الكبرى من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر ؟؟ التفكير فى دولة البربر قديم أثارته بعض الاتجاهات الاستعمارية الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية ، وعندما بدأت تتكشف أهمية البترول المنتشر فى صحراء الجزائر وحولها ؛ فالسياسة الأمريكية تريد خلق حائط يمنع المسلمين العرب من الالتقاء بالمسلمين الأفارقة ، وهى تريد أن تحمى

---

(١) مقال بعنوان « احتواء العقل المصرى » للأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة (رحمه الله) الأهرام الاقتصادى، العدد ٧٣٣ فى ١٩٨٣/١/٣١ .

(٢) ذكر الكاتب فى مقاله « رشيد » بينما المقصود دمياط ، وقد ذكر الكاتب : « سوف نسمع الصيحات » « خيال مريض » ولكن ألم نصف ما حدث فى لبنان منذ عشرة أعوام بأنه خيال وها هو اليوم يتحقق أمام أعيننا ، وقد ذكر الكاتب رحمه الله أنه قد نبه إلى ذلك فى كتابه عن الحرب النفسية ، قبل حرب أكتوبر واتهم بالمبالغة » ، « وجاء اليوم الذى تحقق ما كان قد تنبأ به » .

مراكز الثروة الطبيعية فى وسط إفريقيا ، وهى تعلم جيدًا حاجتها إلى تلك المصادر التى توصف بأنها مصادر للمعادن الاستراتيجية ، ولنتذكر على سبيل المثال النيكل والبلاتين والقصدير دون الحديث عن اليورانيوم »[1] .

وهكذا تلتقى أهداف التجزئة لمصر مع أهداف الإحاطة والتحزيم التى تسعى إليها السياسة الامبريالية ؛ فهل سوف تحل مدينة أسوان هذه المشكلة لتصير عاصمة للدولة البربرية ؟

رابعًا : هل صحيح أن هناك دراسة ممولة من الجانب الأمريكى حول هذا الطريق الصحراوى الذى سوف يربط الفيوم بالاسكندرية ؟ هل بدأت هذه الدراسة فعلاً أم أنها لا تزال فى حيز الإعداد ؟»(هذا الكلام نشر عام ١٩٨٣) ويقال أنه قد بدأ تنفيذ هذا الطريق فعلاً .

لماذا يحرص الأعداء على تجزئة مصر ؟

« إن القوى الطامعة فى مصر ، تهدف إلى تجزئة مصر خوفا من ازدياد قوتها ، ففى نهاية هذا القرن سوف تصير مصر بإذن الله ثمانين مليونا ، ولأن موقعها الاستراتيجى أضحى أكثر خطورة على مصالح القوى الكبرى ، ولأن حقيقة الصراع الدولى تغيرت معالمه وخصائصه(*) ولو استطاعت مصر أن تهيىء لنفسها قيادة حقيقية فهى مؤهلة لأن تجمع تحت رايتها جميع دول المنطقة العربية (وأيضا العالم الإسلامى) وهذا يعنى نتيجتين » :

أولاً : انتهاء إسرائيل سواء باستئصالها واقتطاع وجودها أو بذوبانها وابتلاعها .

ثانيًا : وضع حد لعملية النهب التى تمارسها القوى الدولية والشركات الكبرى المتعددة الجنسية فى جميع أجزاء المنطقة العربية .

ومن يرد أن يعرف كيف تفكر القيادة الإسرائيلية فليقرأ كتاب بن جوريون – تاريخ شخصى A Personal History .

تعليق :

ولعل هذا هو أحد الأسباب الرئيسية التى عجلت بالغزو الأمريكى الأوروبى للعالم العربى فى عام ١٩٩١ واحتلاله لقواعد فى جزيرة العرب والبلاد المحيطة ، والبحرين الأحمر والأبيض وضرب العدة العسكرية والمنشآت المدنية لشعبى العراق والكويت ، والأخطر من هذا تمزيق الصف العربى ، وتحجيم دور مصر فى المنطقة العربية ، وضمان السيطرة على منابع النفط ، ولضرب أيّة محاولة محلية تحاول التحرر من قبضة الأعداء » .

(*) نفس المرجع ، وهكذا يتبين لنا أيها القارىء الكريم ، حجم المؤامرة اليهودية الأمريكية على أمتنا وذلك يعنى أن اغتصاب فلسطين هو بداية الضياع لبقية ديار المسلمين ، وأن أمتنا فى خطر !!! شىء آخر أن بلادنا عامرة بالثروات ولكننا محرومون من الاستفادة منها ، ونحن نحرسها ونقدمها إلى أعدائنا ليحولوها إلى رصاص وقنابل يوجهونها إلى صدورنا .

ومع الغزو العسكرى ، هناك محاولات مستميتة لمنع زيادة نسل الشعب المصرى بل العالم الإسلامى عبر أجهزة تنظيم النسل التى تنفق عليها أمريكا والدول الأوروبية بسخاء كبير[1].

أمريكا وإسرائيل يتجسسون على مصر ويجمعون عنها المعلومات
دور المعلومات فى الاستراتيجية الأمريكية[2] واليهودية
هدف العدو من جمع المعلومات :

معرفة مصر والبلاد التى يرغبون فى الاستيلاء عليها خيراتها من الداخل ، وتحليل خصائص منطقها وأسلوب التعامل مع عقليتها وعقلية قياداتها السياسية والفكرية ، وهذا أسلوب ينتهجه الاستعماريون (المخربون) مع الأمة منذ زمن بعيد » .

« إن جمع هذه المعلومات ليست بقصد علمى منزه ، وهى اليوم فى المجتمعات المتخلفة تتولاها أجهزة ظاهرها مدنية ولكنها تنتهى بأن تصب فى أجهزة الأمن القومى الأمريكى الصانعة للسياسة الخارجية لتلك الدول » .

« لقد بدأت الولايات المتحدة تنفيذ هذه السياسة منذ عهد عبد الناصر ، من خلال منظمة فورد . إن عملية جمع هذه المعلومات تستند إلى تحالف وثيق بين الأجهزة الأمريكية من جانب والأجهزة الإسرائيلية من جانب آخر وأجهزة حلف الأطلنطى من جانب ثالث ، والمخابرات الأمريكية بصفة خاصة تعمل بتوافق تام مع أجهزة الأمن الإسرائيلى » .

وقد ذكر الكاتب رحمه الله مجموعة من النقاط الجديرة بالتسجيل والتى لا يمكن أن تغنى عن قراءة كل كلمة فى المقا :

« دقة وخطورة التعامل مع المعلومات ، ولجمع المعلومات فإن الأمريكان يعهدون إلى أشخاص معينين لعمل بحـ ث ميدانية ، وهم لا يملكون أى معرفة حقيقية بالبحوث الميدانية ، وهم إلى جانب ذلك يمتازون سطحية من جانب والغرور من جانب آخر ، وهذا سلاح ذو حدين ، فهو من جانب يجعل ا. يطمئن إلى عدم قدرة هؤلاء على البحث الحقيقى واكتشاف الحقائق المستترة خلف هذه المعلـ ت ، ولكن من جانب آخر يصيرون أداة واعية فى يد المخطط الأجنبى الذى يجلس إلى جوار د ·ء ويستخدمهم كما يستخدم الدمى على مسرح العرائس » .

وذكر الكاتب ـمه الله : « إن استخدام المعلومات اليوم أضحى عملية مرعبة من حيث القدرة والفاعلية ، لقد ذكر البعض أنه فى عهد الرئيس عبد الناصر استطاعت المخابرات الإسرائيلية من متابعة عدد علب السردين المنقولة إلى منطقة الإسماعيلية تقدير تطور عدد القوات المصرية المقاتلة فى تلك المنطقة » .

---

(1) الأهرام الاقتصـ ـى العدد ٧٣٣ فى ١٩٨٣/١/٣١ .

(2) مقال فى الأهرام الاقتصادى عدد ٧٣٤ فى ١٩٨٣/٢/٧ للأستاذ الدكتور حامد ربيع رحمه الله .

وعن نوعية المعلومات التى يسعى الأعداء إلى الحصول عليها .. يقول الكاتب : « الواقع أن المعلومات التى تسعى إليها هذه الأجهزة (الأجنبية) هى تلك التى تسمى بالمعلومات الخاصة بالمبررات ، أو بعبارة أخرى المتغيرات الدولية التى تستتر خلف السلوك وخلف الوقائع » . ثم قال الكاتب : « على الدولة أن تستيقظ وعلى الحاكم أن يفتح عينيه جيدًا ليعرف أن كيان أمة قد أضحى موضع التهديد » .

« **خصوصية العلماء العرب الذين يأتون من الولايات المتحدة الأمريكية** » .. وقد ذكر الكاتب رحمه الله :

أن المهاجرين العرب من العلماء والمهندسين بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧٧ قد بلغ عددهم فقط من الذين يحملون درجة الدكتوراه أكثر من ستة آلاف عالم ، نصيب مصر وحدها يزيد عن ثلاثة آلاف (وهم على وجه التحديد ٣٣١٠ يوزعون بالشكل التالى .. مهندسون ٢١١٣ علماء طبيعة ١٠٣٩ علماء الاجتماع ١٥٨ وذلك دون الأطباء وسائر العلوم الأخرى » .

وتساءل الكاتب : « هل يصلح هؤلاء العلماء ؟ وبالتحديد العلماء المقيمون فى الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة فى أبحاثنا الميدانية وتحمل مسئولية تلك الأبحاث » وخاصة تلك الأبحاث المتعلقة بالمعلومات التى ترتبط بالأمن القومى ؟ وأجاب الكاتب بالنفى (كلا) والسبب (كما ذكر) :

« إن أغلبهم إن لم يكونوا جميعهم أدوات متقدمة للمخابرات الأمريكية يخضعون لتوجيهها بطريق أو بآخر ، بل إن الكثير ممن درسوا فى تلك الجامعات وعادوا إلى مصر قد خضعوا لذلك التوجيه » . واستدرك الكاتب كلامه .. « ولا يعنى ذلك عدم الاستعانة بهؤلاء العلماء ولكن يجب أن نضعهم موضع الاختبار بالنسبة لمشاكلنا الأمنية »(١).

طبيعة التطور العام فى المنطقة وأهميته للاستراتيجية الأمريكية الجديدة وموضع جمع المعلومات من هذه الاستراتيجية :

وقد ذكر الكاتب جملة أهداف من وراء جمع هذه المعلومات منها :

« مواجهة أى حركة ترمى إلى تغيير الوضع القائم فى دول العالم الثالث بالعنف والاستئصال فأى حركة فى تلك الدول ترمى إلى تغيير الوضع القائم يجب أن تواجه بالعنف ، إنها نوع من الإرهاب الدولى . يقول هيج عندما كان مسئولاً عن وزارة الخارجية بهذا الخصوص : « إن مفهوم مقاومة الإرهاب الدولى ، وهو الاصطلاح الذى استخدم للتعبير عن حركات التغيير فى العالم الثالث ، يجب أن يحل فى اهتماماتنا موقع مفهوم الدفاع عن حقوق الإنسان !! كذلك فإن مواجهة هذا الإرهاب الدولى يجب أن تتم من خلال استخدام القوة العسكرية ، من العبث الحديث عن الإصلاح أو التقدم أو التجديد » ، الذى يعنى القيادات الأمريكية هو القدرة على الاستئصال

---

(١) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٤ فى ١٩٨٣/٢/٧ .

الجسدى والعنصرى للقوى الثورية والقيادات الرافضة » ؛ وهكذا فإن النظرية الأمريكية الجديدة واقعية وعنيفة فى واقعيتها ، إنّها لا تؤمن بفكرة الإصلاح ولا بكل ما يتصل بغزو القلوب ، هى تكتفى بغزو القوى الثورية[1] واستئصالها بالأدوات العسكرية وما فى حكمها ، أمّا ما عدا ذلك فلا يعنيها لأنه مضيعة للوقت والمال » .

ثم تساءل الكاتب : « ما هى أدوات تنفيذ تلك السياسات فى دول العالم الثالث ؟ وما هى المنطلقات التى تنطلق منها ؟

وقد أجل الكاتب الإجابة عن السؤال الأول وأجاب عن الثانى بقوله : إنّها تنطلق (تنبع) من مفهومين أساسيين ؛ الوقاية أولاً خير من العلاج ، ومن ثم يجب ألا ننتظر حتى تنفجر الثورة أو حركات الرفض بل يجب اقتطاعها مسبقا » .

والثانى : « عندما يحدث التدخل فلندع جانبًا مفهوم التدرج فى التدخل وإنّما يجب أن يكون هذا التدخل كثيفا صاعقا ، وبعبارة أخرى .. إنّ أول ما يجب أن تهتم به الإدارة الأمريكية هو عملية حصر حقيقية للقوى والقيادات القادرة أو الصالحة لأن تكون ثورة رفض على قسط معين من الفاعلية ، وعندما تكتشف الإدارة ذلك عليها أن تلجأ إلى جميع الوسائل لاستئصال تلك القوى والقيادات . الترغيب والتطويع خطوة أولى وإن لم تفلح فالقبض والسجن خطوة ثانية وإلا فالقتل والاستئصال الجسدى » .

« هذا ما كتبه صراحة متشيل كلار الخبير فى معهد التحليل السياسى بجامعة واشنطن ، وهو ما يسمح لنا بأن نفهم الوظيفة التى تؤديها مراكز البحوث المنتشرة خلف مزاعم الأهداف والاعتبارات الأكاديمية ، وهو أيضا يوضح النوايا الحقيقية من عمليات جمع المعلومات الميدانية ، يقول الكاتب المذكور بكلمات صريحة ليست فى حاجة إلى تعليق :

« ولتستطيع هذه السياسة أن تكون مجدية فإن السياسة الأمريكية تفحص الملاحظة المستمرة لسلوك المواطنين من خلال ناقلى المعلومات للإدارة الأمريكية ، وكذلك من خلال وضع نظام حديث للتصنت والمراقبة فضلاً عن معالجة المعلومات » .

ثم تساءل الكاتب رحمه الله : « ترى هل قرأ علماؤنا تقرير هذا العالم ؟ وهو أحد من ساهموا فى وضع هذه الاستراتيجية ؟ هذا التقرير قد نشرته جريدة لموند الدبلوماسى فأقام الدنيا وأقعدها فى جميع أجزاء أوروبا ؟ ولكن علماؤنا الأجلاء لا يزالون يغطون فى النوم .. فهل من مستمع ؟!! »

---

(١) « وإن هذه الاستراتيجية يرجع أصولها إلى فترة حكم كيندى عندما قُدّر كنمارا أن يتولى وزارة الدفاع وأن يجمع حوله طائفة من أكثر العقول الاستراتيجية حنكة لوضع أصول التحرك الدولى من منطلق المصالح الأمريكية ؛ « دور المعلومات فى الاستراتيجية الأمريكية ، مقال للأستاذ الدكتور حامد ربيع .الأهرام الاقتصادى ، ٧٣٤ـ فى ١٩٨٣/٢/٧ .

وقد اعتمد الكاتب فى عرضه على : (أ) ما نشر فى عدد لموند الدبلوماسى – عدد إبريل ١٩٨١ – التى « نشرت تقرير ميشيل كلار الخبير فى التحليل السياسى وواحد ممن ساهموا فى وضع الاستراتيجية الأمريكية الجديدة التى بدأت من أول كارتر وهو يعمل باحثًا فى معهد دراسات التخطيط السياسى بواشنطن – صاحب المؤلف المشهور بعنوان « حرب بدون نهاية » – الذى يؤكد فيه ضرورة أن تدخل الإدارة الأمريكية فى قناعتها استمرار التدخل فى العالم الثالث دون توقف » .

« فى هذا التقرير تحدث عن التخطيط الأمريكى لمواجهة حركات الرفض فى دول العالم الثالث ، على أساس تغيير الاستراتيجية ، التى كان يتبعها كينيدى ، واتباع استراتيجية ، مفادها ليس خلق القناعة بالتعاون مع الإدارة الأمريكية ، وإنّما استئصال مفاصل القوة فى المجتمعات موضع الغزو فى دول العالم الثالث[*] » .

(ب) وكذلك كتاب « غزو الأرواح » الذى أصدره الناشر اليسارى الفرنسى ماسبرو سنة ١٩٨٢ ، وهو يحدد مصادر التصور الأمريكى لغزو العقول فى العالم المعاصر بما فى ذلك أوروبا وكيف أن التفكير بدأ أثناء الحرب العالمية الثانية .

وهذه الوثيقة – كما يقول الكاتب – خطورتها فى أنّها تحدد مصادر غير معروفة وغير متداولة عن كيفية دراسة وإعداد هذا المخطط منذ الحرب الثانية نفسها» ويقال: إن سبب مقتل فلترينلى الناشر الإيطالى اليسارى المشهور يرتبط بهذه الوثيقة[١].

تعليق :

هكذا يتضح أمامك أيها القارىء الكريم أن القرصان اليهودى الأمريكى وأعوانه ينطلقون من سياسة أمنية تقوم على ضرورة الإجهاض المبكر لأية محاولة قد تبذلها الأمم والشعوب للتحرر من قبضتهم . ولهذا فإن شعوب العالم الإسلامى بقيادة حركات البعث الإسلامى مطالبة بدراسة هذه الخطط والسياسات ووضع خطط مقابلة تقوم على الإجهاض المبكر لمخططات القراصنة وتنفذ حديث النبى ﷺ « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا** » .

---

(١) المرجع السابق .

(*) مثال : إذا قامت مظاهرة فى أى بقعة من بقاع الأرض تندد بالإمبريالية الأمريكية أو المؤامرة الصهيونية تتحرك على الفور قوات الشرطة – وإن استدعى الأمر قوات الجيش – لسحقها .

المبحث الثانى

لماذا يحرص اليهود والأمريكان على تمزيق المنطقة العربية وخاصة مصر وما هى وسائلهم فى تحقيق هذا الهدف ؟ وما هى الخطوات التى يخطوها العدو باتجاه الهدف ؟ أين الأجهزة المسئولة عن الأمن ؟؟

دوافع الأعداء لتمزيق المنطقة العربية ...وإقامة الكيانات الطائفية :

- طرح قادة اليهود سؤالاً :

كيف تستطيع القيادة اليهودية المحافظة على بناء إسرائيل ، وتجنب ما حدث لأوروبا فى الحروب الصليبية ؟

« قدم إيجال آلون وشيمون بيريز اقتراحات بهذا الشأن وهى ليست الوحيدة ...

- المحور الفكرى هو أن إسرائيل مهما فعلت وحتى لو نجحت بأقصى فاعلية فإن تجميع اليهود فى دولة إسرائيل لن يسمح بإقامة دولة تتجاوز العشرين مليون فى نهاية القرن ، وحتى ذلك التاريخ فإن أصغر دولة عربية سوف تكون قد تجاوزت ذلك العدد أو اقتربت منه ، وذلك دون الحديث عن مصر التى سوف تصل إلى ثمانين مليونا ، إزاء ذلك فإن إسرائيل سوف يتعين عليها أن تظل قلقة محاصرة ، فهل تضمن الدفاع المستمر بما يمثل من نفقات من جانب الولايات المتحدة ؛ على إسرائيل إذن عليها أن تخلق إطار دفاعها الذاتى، وهى لذلك يجب أن تعمل جاهدة على أن تحيل المنطقة إلى دويلات صغيرة أو كيانات هشة محدودة الفاعلية ، ومن ثم تلهى تلك الدويلات بصراعات حول الحدود أو بخلافات عشائرية خلال خمسين عاما على الأقل .. مثل هذا التصور يحقق لإسرائيل ثلاثة أهداف فى آن واحد :

أولاً : أن تصبغ المنطقة بصبغة طائفية .

ثانيًا : أن تصير إسرائيل وهى الدولة القوية باقتصادها وتقدمها التكنولوجى هى الدولة السائدة أو المسيطرة على المنطقة حيث حولها لا يوجد سوى دول أقزام .

ثالثًا : أن تتوسع وتغزو اقتصاديا ، لأن أى دولة من تلك الكيانات الهشة لا تملك القدرة الاقتصادية على الاكتفاء الذاتى .

إذن اليهود يعتبرون التجزئة للمنطقة أحد عناصر الأمن الإسرائيلى ، بل إنه يصير عنصرًا أساسيًا لا بديل له .

---

(١) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٨ فى ١٩٨٣/٣/٧ ملف إسرائيل ، جارودى .

ولتحقيق ذلك لابد من خطوات :

أولاً : الهزيمة العسكرية الساحقة تصير الخطوة الأولى ، إن هذا يعنى فُقدان الثقة فى الذات والقناعة فى عدم القدرة على المواجهة ، ولذلك فإن الهزيمة العسكرية يجب أن تصاحبها أمور ثلاث .. تدمير مكثف من جانب وتشتيت للأهالى على صورة واسعة من جانب آخر ثم الحرب النفسية من جانب ثالث .

ثانيًا : خلق مسالك الاتصال المباشر مع القوى الفكرية والقيادية فى المجتمعات المحلية وتدعيم مفهوم التعاون والحوار الذى يضع حدا للعداوة الفعلية ويخلق طبقات منتفعة ، والدليل أن مئات الآلاف التى تنفقها إسرائيل فى مصر ثم فى لبنان على الأبحاث الميدانية والبحوث المشتركة مع بعض أساتذتها تخفى تحركا خبيثا محوره خلق بذور الصداقة والمصلحة فى الجسد العربى .

ثالثًا : تخريب المرافق القومية ، لأنه يؤدى إلى فقد الهيمنة والشعور بعدم فاعلية الدولة المركزية ويرتبط ذلك بالإكثار من الفضائح وتلويث القيادات .

ومصدر هذه التصورات الإسرائيلية ، هو الفكر النازى !!

ولكن أين مصالح السياسة الأمريكية فى تنفيذ مثل هذا المخطط ؟؟

«عام ١٩٦٧ أضحت إسرائيل هى حاملة الطائرات الثانية فى المنطقة لجماعة المصالح الأمريكية وبصفة أدق لتأديب القيادات العربية ، منذ عام ١٩٧٥ ازدادت الصلة والترابط حيث أصبحت إسرائيل رأس حربة للتواجد الأمريكى الممتد فى المحيط الهندى وحتى داخل الخليج العربى من جانب ومدخل البحر الأحمر من جانب آخر ، ولكنها فى عام ١٩٨٢ تصير أداة لوظيفة أخرى أكثر خطورة فقد أصبح هناك تعاون استراتيجى بين تل أبيب وواشنطن ، والمرتبط أيضا بما يسمى قوة الانتشار السريع أساسه أن إسرائيل تعد بحيث تستطيع أن توجه ضربة أولى لأيَّة محاولة تهدد المصالح الأمريكية (خاصة البترولية) فى المنطقة » .

سياسة جمع المعلومات والبحوث المشتركة كأداة لتحقيق أهداف السياسة الأمريكية اليهودية:

« هدفها ضبط القوى المحلية الساعية والقادرة على التغيير ؛ والعمل على تجزئة مصر وعزلها وتفريغها من قواها الحقيقية وإعدادها للدور الذى قد أعده لها الاستراتيجيون الأمريكيون بالتوافق التام مع الاستراتيجية الإسرائيلية » (٢) .

---

(٢) الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٨ فى ١٩٨٣/٣/٧ .

وهنا لابد وأن نطرح التساؤل الخطر ؟؟ أين مسئولية علمائنا وأين مسئولو أجهزة الأمن لدينا وهل القيادة واعية بهذه المخاطر ؟ وماذا أعدت لمواجهتها ؟ (التوافق الإسرائيلى الأمريكى ، أ.د حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى العدد ٧٣٨ فى ١٩٨٣/٣/٧) .

وقد حاول الكاتب رحمه الله فى مقال تالٍ أن ينبِّه أمتـه إلى « الأمن المطلوب فى سياسة[٣] جمع المغلومات » وقد قدم بكلمة جاء فيها :

« وعلى الحاكم أن يخرج عن صمته ليؤدى واجبه ، إن أراد أن يخلى مسئوليته أمام الأجيال القادمة وأن يعلن أمام الضمير القومى بأنه واع بحقيقة واجبه .. ليعلم أن هذا وحده هو أساس شرعيته ، كما ذكر أن مصير أمتنا فى الميزان .. وطالب بمحاكمة حقيقية لأولئك الذين خانوا أمّتهم وخانوا أمانة العالم التى وضعت فى أعناقهم عندما قبلوا أن يكونوا فى بلادنا جيشا من العملاء .

(٣) أ.د. حامد عبد الله ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، عدد ٨٣٩ فى ١٩٨٣/٣/١٤ ، نظرًا لضيق الزمان والمكان لم نتمكن من عرض هذا المقال رغم أهميته ، وعلى القارىء أن يرجع إليه .

المبحث الثالث

الأدوات الداخلية التى تتبناها السياسة الأمريكية

- **تشجيع الشعوبية .**
- **تدعيم مفهوم الولاء الطائفى .**
- **مساندة الزعامات المهلهلة ودفعها إلى مواقع السلطة .**
- **خلق طبقات منتفعة طفيلية .**
- **استخدام جميع أساليب التسمم السياسى .**
- **الأبحاث الميدانية الأمريكية ودورها فى خدمة هذه السياسات .**

مجموعة هذه العناصر تقود إلى نتيجتين متكاملتين :

أولاً : الفوز بالتبعية للإرادة الغازية .

ثانيًا : الابتعاد عن التكامل بالنسبة للإرادة القومية .

والنماذج التى تعيشها المنطقة العربية بهذا المعنى عديدة لا حصر لها ، بل ويمكن أن نقول إن جميع أجزاء المنطقة وبدرجات متفاوتة قد وقعت فى هذا الفخ[1] .

وتأتى بعد ذلك الأدوات الدولية تكمل هذا الإطار العام من الصراع ضد تكامل الإرادة العربية وهى تقوم على :

١ – نشر الكراهية ضد العالم العربى .

٢ – تدعيم الترابط الدولى ضد المصالح العربية .

٣ – تفجير منظمة الأوبك .

إن تدعيم الترابط الدولى ضد المصالح العربية ظهر واضحًا فى جولات الحوار العربى الأوروبى .

« وهنا **تأتى سياسة جمع المعلومات** التى تخدم هذه السياسات وسياسة جمع المعلومات تأتى عبر الأبحاث الميدانية التى انتشرت فى مصر خلال الأعوام الأخيرة وتغلغلت فى كل مكان ، بحيث وجدنا ممثليها يجلسون فى أدق أجزاء الجسد المصرى حساسية ، وبحيث أضحى كل مصرى يتهالك على إرضاء هؤلاء السادة الجدد .

« أين مسئولية علمائنا الذين اندفعوا بلا وعى فى هذه العملية وأين مسئولية أجهزة الأمن المصرية »[2] ؟؟

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ملخص لمقال الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع رحمه الله « تحركات السياسة الأمريكية على أرض مصر » الأهرام الاقتصادى العدد ٧٣٥ فى ١٩٨٣/٢/١٤ .

« تفصح الوثائق التى نشرها العالم الفرنسى « جوليان » على أن تعليمات الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية إلى الشركات البترولية واضحة وهى عدم توظيف عوائدها النفطية فى المنطقة ، وذلك رغم أن احتمالات الكسب فى ذلك الميدان لا حدود لها . كل دولار يوظف فى المنطقة العربية يستعيد نفسه خلال فترة لا تتجاوز العامين بينما هو فى حاجة إلى خمسة عشر عاما فى غرب أوروبا ، ومع ذلك فتعليمات وزارة الخارجية كانت صريحة ، على الشركات البترولية أن توجه عائداتها البترولية لتوظف فى اقتصاد غرب أوروبا ولا أن توظف محليا فى المنطقة العربية »[١] .

سياسة المعلومات هى أحد الأدوات المساندة والضرورية لعملية التغلغل فى القوى الأجنبية ، لقد أضحت المعرفة الدقيقة أو الواضحة بمقومات الجسد الذى يراد تطويقه عنصرًا أساسيًا من عناصر التعامل مع الواقع السياسى .

وتساءل المؤلف « ما هى أهداف أمريكا من سياسة جمع المعلومات فى مصر »[٢]؟ وطالب بتذكر عدة أمور :

أولاً : **« أن ما ينفق من ملايين فى مصر حول هذه البحوث المشتركة (لجمع المعلومات) ليس مرده حب مصر والتغنى بجمالها ، ومن يحدثنى عن الإهتمامات الأكاديمية فلا أستطيع أن أصفه إلا بالبلاهة لو أردت أن أفترض حسن النية وهو أمر بدوره موضع احتمال .**

« هناك أهداف خفية تجعل الإدارة الأمريكية تهلث وراء معرفة خفايا الوجود المصرى سواء على مستوى الفرد أو الجماعة ، وليس فقط من حيث الخصائص السلوكية القائمة بل وتطور تلك الخصائص السلوكية واحتمالاتها المستقبلية . هذه العملية تنبع من مخطط معين يسيطر عليه السعى نحو أهداف معينة ، فما هى ؟؟ ورغم أن السلطات المصرية ظلت حتى الآن تغمض عينها عن الذى يدور حولها فهل آن الأوان لأن نتساءل وبصراحة .. ما هى حقيقة هذه الأهداف ؟

إن الخطأ القاتل لسياسة مصر الخارجية هى أنها ظنت أن الولايات المتحدة ، وهى دولة عظمى تنبع من سياسة تنطلق من مبادىء ومفاهيم وتقاليد السياسات العظمى ، ونسيت أن الولايات المتحدة لم تعد تملك تقاليداً أو قيادة .

ثانيًا : **إن قوة السياسة الأمريكية جاءت نتيجة ضعف الإرادة المصرية فى مواجهة هذا الغزو الفكرى الذى تخضع له مصر دون حياء . إن مصر أكثر ضعفا واستسلاما إزاء الفاتح الجديد »**

---

(١) ولم يتعلم الأمريكيون من أخطائهم ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٦ ١٩٨٣/٢/٢١ .

(٢) سياسة جمع المعلومات فى منطقة الشرق الأوسط ، أ.د حامد عبد الله ربيع ، الأهرام الاقتصادى العدد ٧٣٧ فى ١٩٨٣/٢/٢٨ .

« وهدف السياسة الأمريكية منع مصر أولاً من أن تصبح قوة ضاربة فى المنطقة ، طالما أنها تريد أن تسيطر على المنطقة فلن يتأتى لها ذلك إلا إذا عزلت مصر عن المنطقة ، وعملية العزل أبعادها متعددة ، تحطيم إرادة التكامل ليس سوى أحد أبعادها ، هناك أيضا الترابط الثقافى والحضارى ، وهي من جانب آخر تقوم بعملية تطويع كلي وشامل للإرادة المصرية بحيث تجعل الجسد المصرى كيانا لا مفاصل له ، وهى من ثم بأساليب متعددة ترحب وتشجع عملية خلق التسيب بحيث يصير الجسد مترهلاً غير قادر على أى نوع من أنواع التماسك(١) .

ثالثًا : ولنتذكر أخيرًا أن السياسة الأمريكية تقف أسيرة للإدراك الصهيونى فى كل ما يتعلق بالتعامل مع المنطقة ، إنها تعيش أسيرة أهداف القيادة الإسرائيلية ، هدف السياسة الإسرائيلية هو تجزئة المنطقة إلى دويلات وتحويلها إلى نماذج أخرى لما أصاب البلقان فى بداية هذا القرن ».

« إن أهداف إسرائيل من هذه العملية هو تحويل المنطقة إلى كيانات صغيرة طائفية بحيث يسهل التحكم فيها من جانب إلى صراعات إقليمية بحيث تشغل قوى المنطقة لنصف قرن على الأقل من الزمان حول مشاكل حدود مصطنعة من جانب آخر ومن ثم يمكن النفوذ الإسرائيلى والاقتصاد الصهيونى الذى تتستر خلفه الشركات المتعددة الجنسية من التوسع واستيعاب المنطقة من جانب آخر .. هذا التصور تتبناه السياسة الأمريكية والدليل :

١ ـ تصريحات ريمون إده رجل لبنان الذى غادر بيروت واستقر بباريس ليعلن عن ذلك المخطط ليس فقط بصدد لبنان بل وكذلك بصدد جميع أجزاء منطقة الشرق الأوسط ، وهو مخطط اتجه إلى قبرص وأحداثها معروفة ، بل والبعض يتحدث عن محاولات لتطبيقه فى تركيا حيث حدث الصدام العنيف بين الشيعة والسنة فى عام ١٩٨٠ .

٢ ـ تصريحات سليمان فرنجية الرئيس اللبنانى السابق عن محاولات أمريكا بناء دولة مارونية فى لبنان ابتداء من عام ١٩٧٨ صادرة من شخص مسئول ينتمى إلى تلك الطائفة ، الأمر الذى يضفى عليها مصداقية معينة .

٣ ـ على أن أخطر ما يؤكد ذلك أقوال كيسينجر نفسه فى حديثه المشهور لمجلة الأكونوميست اللندنية فى نوفمبر الماضى (عدد ١٣ نوفمبر ١٩٨٢) عندما أعلن .. « إن الاعتراف بالدولة الإسرائيلية من جانب منظمة التحرير والدول العربية لن يكون إلا بداية عملية تعديل وتنظيم للأوضاع الإقليمية تبعا للإرادة الإسرائيلية » ، « بل ولا يتردد أن يضيف بصفاقة منقطعة النظير أن الخطر الحقيقى فى هذه المنطقة سوف يتمركز حول عدم القبول بالإرادات الإسرائيلية » (٢) .

---

(١) سياسة جمع المعلومات فى الشرق الأوسط ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الأقتصادى ، ٧٣٧ فى ١٩٨٣/٢/٢٨ .
(٢) المرجع السابق ؛ ملف سرائيل ، جارودى .

ما هى أهداف السياسة الأمريكية من جمع المعلومات عن مصر تحت شعار الأبحاث المشتركة ؟؟

من بين الأهداف المتعددة الأهداف التالية بصفة خاصة :

أولاً : تطويع القوى الراديكالية (صاحب الميول اليسارية أو الشيوعى) وقد استطاعت الإرادة الأمريكية من خلال تعاملها مع تلك القوى تحقيق أربعة أهداف :

١ - اعتقاد تلك القيادات الفكرية التعاطف مع الرأى العام القومى أو ما يعبر عنه بكلمة إحراق العميل .

٢ - وهى تربط هؤلاء اليسارين بالمصالح الأمريكية ، وأنّه من المعروف فى خلق العملاء لا تتجه إلّا إلى المعقدين نفسيا .. العلماء الذين يشعرون بأن حقوقهم مهضومة ، ذوى الأصل الفقير الذين يتطلعون إلى الرفاهية واليسر ، المفكرون الذين ترسبت لديهم القناعة بأنهم غير مفهومين وغير قادرين على الاتصال مع المجتمع الذى ينتمون إليه ، يمثلون خير العناصر الصالحة (للعمالة) ، القيادية الغازية أثناء الحرب العالمية الثانية كانت تتصيد العاهرات لتجعل منهن مصدرًا للمعلومات لسببين :أولهما :لأنها كانت تعلم بأن تلك العاهرات أكثر عناصر المجتمع تعقيدًا بسبب المهنة التى يمارسنها ، ثانيهما : أن العقد تؤدى إلى ضعف الشعور بالانتماء القومى ، صاحب العقد النفسية على استعداد دائما لأن يفسر خيانته بأن يجد لها مبررًا وجيها أمام نفسه وضميره

٣ - ثم هى فى ذاتها مصدر للمعلومات .

٤ - الهدف الرابع وهو أن هذه القوى خير العناصر لجمع المعلومات المسطحة[1] .

ثانيًا : أكتشاف مواقع وقوى الرفض الممكنة أو المحتملة وخصائصها ، وهذا ما يعنيه صراحة ميتشيل كلار : أن تولى الاهتمام أكثر وأكثر لحركات الرفض فى المدن ، وينبهنا العالم الأمريكى « لوسيان باى » الأستاذ بمعهد ماساشوسيت للتكنولوجيا - وهو الذى يتعاون مع جامعة القاهرة - بأن مستوى المدن التى تتزايد وتتضخم باستمرار ، والتى تم تسييسها - ويعتقد - أضحت بمثابة مسدسات مصوبة إلى الحكومة المسئولة .

ويضيف ميشيل كلار فيحدد .. « للاحتفاظ بالنظام فى مواجهة هذه المسدسات فإن الاستراتيجيين الأمريكيين يتصورون بناء قوة بوليسية شبه عسكرية (مثل الأمن المركزى والجيش) قد سلحت بأدوات متقدمة ضد المظاهرات وضد الإرهاب ، بل والواقع المصرى يثير عدة مشاكل بخصوص هذه المدركات ، وهى أن التطور الصناعى أدّى إلى تضخم تجمع المدينة ، وقد أدّى بدوره إلى نتائج خطيرة ، فالطبقة الرافضة لم تعد طبقة الأجراء كما تعودنا من منطلق الخبرة الماضية ، كذلك فإن الطبقة المثقفة بالمعنى التقليدى أضحت تسيطر على

---

(١) فى أجهزة الأمن القومى الأمريكية ، جهاز وظيفته ما يسمى بعملية « تسطيح المعلومات » أى إفقادها عنصر العاطفة « سياسة جمع المعلومات فى الشرق الأوسط » ، الأهرام الاقتصادى ، ٧٣٧ ، فى ١٩٨٣/٢/٢٨ .

الطبقة السفلى ، وهذا يعنى أن الطبقة الرافضة يغلب عليها عنصر المثقف ، ونحن نعلم أن الطبقة الرافضة هى المقدمة الطبيعية للحركات الثورية أو ما فى حكمها .

أضف إلى ذلك غلبة عنصر الشباب . إنَّ أكثر من نصف المجتمع المصرى المعاصر أقّل من سن العشرين وهذا يضفى على المجتمع ديناميتية معينة يعبر عنها علماء التحليل السياسى بقولهم : إنَّه صالح لسرعة الاشتعال .

هذه الخصائص الجديدة تفرض أسلوبا جديداً فى التعامل ، وهو ما يعلن عنه صراحة الخبير الأمريكى السابق ذكره ، ولكن لابد لذلك من اكتشاف دقيق لهذه الخصائص وتحديدها كما وكيفا ، وهنا تبدأ أهداف الأبحاث الميدانية تبرز ظاهرة للعيان ، وهنا يقول الأستاذ الدكتور حامد ربيع رحمه الله : « كم كنا نتمنى أن ننقل للقارىء كل ما تسرب من تقارير ميتشيل كلار بهذا الخصوص الذى يصل به الأمر إلى تصور استخدام الأسلحة المزودة بالطاقة النووية فى تلك اللحظة والتى يسميها خبراء الاستراتيجية « السلاح النووى للمسرح » armes nucléaire de théâtrë .

ثالثًا : الإعداد والمساهمة فى عملية تجزئة مصر ..

إن هذا بدوره فى حاجة إلى المعلومات ، إن هذا الهدف كما يشرح تفاصيله العالم الإسرائيلى (أوديد بنون) والذى كان أحد كبار موظفى السياسة فى وزارة الخارجية الإسرائيلية فيقول : تجزئة مصر ، تحويل كيانها إلى وحدات جغرافية مستقلة ، هذا هو الهدف السياسى الإسرائيلى خلال الثمانينات .. إذا تمت تجزئة مصر فإن دولاً كليبيا والسودان بل ودولاً أخرى أكثر بعدًا لا يمكن أن تظل فى صورتها الحالية .. وعندئذ سوف تكون لدينا دولة نصرانية فى مصر العليا. ثم عدد معين من الدول الضعيفة لا تملك سوى قدرة محدودة عوضا عن الدولة المركزية الحالية .. إن هذا هو التطور التاريخى المنطقى الذى نعرفه فى الأمد البعيد والذى أخّره فقط اتفاقية السلام عام ١٩٧٩[١].

ثم تساءل الكاتب رحمه الله : **كيف استطاعت القيادات الإسرائيلية أن تجعل هذا المنطق يسيطر على الإدراك الأمريكى ؟ وكيف أحالت هذا المنطق إلى قناعة بأن يتفق مع ذلك الذى سمى بالإجماع الاستراتيجى ؟ وأين دور سياسة جمع المعلومات هنا ؟**

انتهى عرض الكاتب رحمه الله ..

هل عرفنا أنّ نكبة فلسطين هى بداية النكبات التى تتتابع الآن على العالم الإسلامى ؟

هل عرفنا لماذا لا يكتفى اليهود وأمريكا باقمار التجسس فى جمع المعلومات وتسعى لبث شبكات التجسس البشرى فى حنايا البلاد مثل شبكة آل مصراطى التى قبض عليها عام ١٩٩٢ .

---

(١) المرجع السابق .

المبحث الرابع
مصر والحرب القادمة

- هل يمكن أن يتحول شعب صلب إلى طبقة من الجبناء ؟؟
- مصر فى الطريق إلى كامب ديفيد
- خصائص السياسة اليهودية (الإسرائيلية) فى المنطقة بعد حرب رمضان أكتوبر
- تخريب مصر من الداخل
- عزل مصر عن محيطها العربى
- خلق شلل فى وظيفة مصر الإقليمية
- توريط بقية الدول العربية فى كامب ديفيد والحرص على تجزئتها وحصارها
- البدء الجدى فى إنشاء إسرائيل الكبرى
- مبادىء السياسة الكبرى فى التعامل مع مصر وتدور حول عناصر أساسية منها : سياسة مفهوم التوتر والاضطراب فى مصر
- إسرائيل تستعد لحرب قادمة حول عام ١٩٩٥م !!
- الحرب القادمة سوف تذكرنا بالانفجار النازى فى أوربا
- تحالف بين إسرائيل والدول غير العربية لتمزيق المنطقة العربية (وقد حدث ذلك عام ١٩٩١ م أثناء وبعد حرب الخليج)
- هل هناك خطة معينة بدأ الأعداء فى تنفيذها للاعداد لميدان المعركة ؟
- ماذا نستطيع أن نفعل ؟؟

مصر والحرب القادمة(١) :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الدكتور حامد عبدالله ربيع مجموعة من المقالات .. يبدأ أولاها :

– فى تاريخ كل أمة لحظة معينة فإذا بها تصاب بنوع من الغشاوة الحقيقية ، تضطرب مفاهيمها ويصيب مدركاتها عدم الوضوح ويسيطر على عقلها عدم الصلاحية .

– أما قياداتها بجميع مستوياتها فهى مهلهلة لا تدرى أين الطريق الصحيح .

---

(١) الوفد ، ٢٩ يونيو ١٩٨٩ ، تأليف الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع ، أستاذ النظرية السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة .

— قيادات سياسية فقدت الحياء — وقيادات عسكرية يصيبها الترهل — أما عن القيادات الثقافية فهى لا تعدو مجرد أبواق تهلل وترقص وتطبل » .

إن إطار القيم الذى يبلوره الأمن القومى هو وحده الذى يحدد العدو ويفصله عن الصديق وتنظيم مراتب العداوة وكذلك مراتب الصداقة ، وهذه القيادات المثقفة تتحول سواء بدعوى السلام العادل أو نتيجة لعدم الوعى الحقيقى إلى صفاقة يزينون كل زفة وظيفتهم لم تعد قيادة العقل القومى ، وإنّما هز الأرداف والدق على الطبول ، والقيادات العسكرية التى من طبيعتها التقشف والصلابة تحولت إلى مجموعة من الموظفين يلهثون وراء المكاتب المكيفة ، البعض يصل به الأمر إلى نعت هذه الطبقة بالخيانة ، ولكن هل من الممكن تصور أمة كاملة تعيش الخيانة دون صوت واحد يرتفع مرددا حقيقة التقاليد » .

«الأمر الجدير بالتساؤل : كيف يحدث هذا التطور ، فإذا بشعب قوى صلب يتحول إلى طبقة من الجبناء الذين لا هم لهم إلا تشويه الحقيقة ، قد توصل العلماء إلى تحليل ما أسموه علم الجهل ، آن لنا أن نوجه اهتمامنا لما نستطيع أن نُسمِّيه علم الجبن » .

« وقد قدم الكاتب نموذجين للتدليل على تشخيصه للداء الذى قد تعانى منه أى دولة من الدول ، وهو تشخيص ينطبق على غالب بلاد العالم العربى .

ثم تساءل الكاتب: هل سوف يقدر لنا أن نعاصر نموذجا آخر فى الأعوام القادمة يأتى هذه المرة من الشرق الأوسط ؟

والنموذج الذى ذكره الكاتب هو نموذج فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يعد أحد يتحدث إلا عن السلام ، بينما ألمانيا المهزومة تستعد للانتقام فى اللحظة التى أجبرت فيها على توقيع معاهدة فرساى .. ودفعت الأمة الفرنسية ثمن ذلك خمسة أعوام من الاحتلال وعدة بالملايين من القتلى دون الحديث عن التخريب والتخلف .

وتساءل الكاتب : لماذا حدث ذلك ؟؟ وقدم الكاتب أسبابا ثلاثة وراء ما حدث لفرنسا :

الأول : « الترهل فى القيادة السياسية والفساد الذى تسلل إلى جميع عناصرها » .

الثانى : اختفاء أى ضغط من الشعب الفرنسى على القيادة لتستيقظ وتواجه الخطر الذى يقع على حدودها .

وختم الكاتب عرضه بقولة أحد المعاصرين الذى وصف الشعب الفرنسى بقوله : إنَّ فرنسا تموت فلا تقلقوا نزعها الأخير » ..

مصر فى الطريق إلى كامب ديفيد :

ثم تحدث الكاتب عن النداء الذى جاء القاهرة عبر الحدود بضرورة إنهاء الحرب بين مصر وأعدائها فى المنطقة (يقصد اليهود) ووضع إطار شامل للسلام بين جميع عناصر هذه المنطقة (أى

بين اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وبين بقية الدول العربية) ، وبناء نظام جديد أكثر تحضرًا ، لأن العالم لم يعد فى حاجة إلى قتال .. « واستجابت أصوات من القاهرة لهذا النداء .. ووقعت كامب ديفيد وكان التطبيع بين مصر واليهود بمباركة أمريكية أوروبية » .

وبعد خمسة عشر عاما من استجابة النظام المصرى لمبادرة السلام اليهودية الأمريكية ، حاول الكاتب تقويم الأحداث التى وقعت أثناء هذه الفترة بهدوء وعقلانية .

وتساءل الكاتب عن « **خصائص السياسة الإسرائيلية فى المنطقة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣** ، هل هى تعبير عن قناعة بهذا الحديث عن السلام وبناء إطار جديد للتعامل أساسه حسن الجوار ؟

وعرض الكاتب للمبادىء التى سيطرت على سياسة تل أبيب منذ بدء هذه الفترة حتى اليوم (منذ عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٨٩) ، هذه المبادىء – كما يقول الكاتب – معلنة وواضحة وليست فى حاجة إلى مناقشة .

فى سبيل تحديد هذه المبادىء طالب الكاتب القارىء أن يميز بين دوائر ثلاث :

– دائرة العلاقات المصرية الإسرائيلية .
– دائرة التعامل الإسرائيلى مع منطقة الشرق الأوسط (العالم العربى)
– دائرة العلاقات المصرية الأمريكية .

وقدم الكاتب عدة ملاحظات :

– فى خلال هذه الفترة تغير الطاقم الحاكم فى إسرائيل على عكس الموقف فى مصر حيث إن هذا الطاقم فى جوهره لم يتغير .

النظرة إلى إسرائيل على أنها دولة تنتمى إلى الشرق الأوسط ليس فقط بحكم الوجود المكانى والعضوى بل إنّها تاريخيا وحضاريا جزء لا يتجزأ من تلك المنطقة ، وهذه أهم عناصر هذا الخلاف (وهكذا وصلت الانتكاسة بالإنسان ، السرطان يصبح جزءًا من الجسد) .

العلاقات المصرية الإسرائيلية :

المبادىء التى سادت تلك العلاقات من الجانب الإسرائيلى :

أولاً : تخريب مصر من الداخل .
ثانيًا : عزل مصر عن محيطها العربى .
ثالثًا : خلق شلل فى وظيفة مصر الإقليمية .

ثم عرض الكاتب لهذه العناصر بشىء من التفصيل :

أولاً : تخريب مصر من الداخل :

ذكر الكاتب أن مبدأ التعامل مع الخصم من الداخل لتقييد فاعليته الدولية ليس جديدًا فى نظرية العلاقات الدولية .. أول من وضع هذا المبدأ النظام النازى من خلال خلق ما أسماه بالطابور

الخامس ، ولكن كيسنجر ، عاد ليوظف هذا المبدأ من منطلق آخر ، أساسه العلاقة العضوية بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ، حيث نظر إلى السياسة الخارجية على أنّها أداة تنفيذ السياسة الداخلية .

السياسة الإسرائيلية تلقفت هذه التقاليد وأحالتها إلى خطة كاملة للحركة :

(أ) فهى تبحث عن جميع عناصر الضعف فى الجسد الداخلى (مصر) وتضخم منها ، والضعف فى الجسد المصرى مرده عنصران أساسيان :

– الأزمة الاقتصادية من جانب وأزمة السياسة من جانب آخر ، فمصر تعيش حالة من الانهيار الاقتصادى الذى بدأ مع حرب ١٩٦٧ وهو يسير فى خطوات متتابعة .. وأزمة القيم تعود إلى ذلك التحول المفاجىء فى ترتيب عناصر الأمن القومى ، وهى تتعامل مع هذين العنصرين بطرق غير مباشرة وبتخطيط واضح أساسه إضعاف الجسد إضعافا حقيقيا .

(ب) كذلك فهى تتعامل مع عناصر التغيير .. إنّ أى مجتمع قوى لا يتوقف عن التطور والمتابعة الجادة والمستمرة فى التعامل مع المتغيرات المتجددة ، عناصر التغير فى أى مجتمع لا تعدو ثلاثة (فى وجهة نظر الكاتب) الشباب والعقول والقيادات (ونسى الكاتب الدين الإسلامى) ولعله أراد أن يقوم الأمر من وجهة عقلية بحتة .

الشباب بطبيعته متحفز ، والعقول وظيفتها الحقيقية هى التجديد والإبداع والقيادات لا تصير كذلك إن لم تكن مستعدة لأن تقود فئات المجتمع فى مسالك جديدة تسمح بحل مشاكلها .. دون أن تفقد تقاليدها. إسرائيل عملت بطرق مباشرة ، وغير مباشرة على شل العناصر الثلاثة (أى الشباب والعقول والقيادات) .

ثانيا : عزل مصر عن المحيط العربى :

فى البداية لعب الرئيس السادات على هذا العنصر لتحقيق هدفين :

الأول : اقناع الولايات المتحدة بجديته فى تلك السياسة .

الثانى : إكراه القيادات العربية على محاسبة النفس ومعاودة التفكير (للموافقة على سياسته والسير فيها) .

الكاتب هنا يعتبر أن هذه الخطوة كانت تكتيكية من الرئيس السادات ثم أحالها إلى خطة استراتيجية والذى يقرأ ما تكشف من الحقائق يدرك أنّها منذ البداية كانت خطوة استراتيجية من السادات لجذب كل البلاد العربية للتوقيع على معاهدة سلام (استسلام) مع العدو اليهودى وفتح الحدود أمامه وتطبيع العلاقات معه .

ولكن الأنظمة العربية ما كانت لتجرؤ على هذا الأمر فى الظروف التى كانت واقعة حينذاك ، فالشعوب لا تقبل بهذا ، فكان لابد من مرحلة أخرى لترويض الأنظمة والشعوب لقبول الانضمام إلى كامب ديفيد ... فكانت أحداث وأحداث .

وانتفع اليهود بهذا التباعد الذى حدث بين مصر وجاراتها العربيات ووسعوا شقة الخلاف بجميع وسائلها .. تارة باسم حماية الوضع القائم ، وتارة باسم مفاهيم الأمن القومى الإسرائيلى وتارة باسم روح اتفاقية كامب ديفيد ، عملت إسرائيل بطريق مباشر فى وضع مصر فى كفة الدول المعادية للمحيط العربى (لكى تكفر الأمة بالعروبة) .

وحدث أن أصدر الصديق العزيز للرئيس السادات مناحيم بيجن أوامره ، لتدمير المفاعل النووى العراق وهو يشكل رصيد استراتيجى وعسكرى للأمة العربية ، وهو على أرض مصر (الإسماعيلية) ليحتفل بالصداقة والتعاون بين اليهود ومصر الجديدة فى عهد السادات (ومصر واقفة لا تبدى حراكا ولا تراجع موقفا ولا تتخذ خطوة) .

واستفاد اليهود من تجميد السياسة والقدرة العربية فى تصفية المقاومة الإسلامية اللبنانية والفلسطينية التى تشكل عقبة كؤودا فى وجه تنفيذ المخطط الإسرائيلى .

بل ووصل الأمر أن تعلن إسرائيل أن معنى اتفاقية كامب ديفيد التخلى عن ميثاق التعاون العسكرى والدفاع المشترك بين مصر والدول العربية .

ثالثا : بث الشلل فى وظيفة مصر الإقليمية :

« كان المفهوم السائد فى القيادة الإسرائيلية هو تطبيق مبدأ شد الأطراف ومن ثم فقد اعتقدت تلك القيادة أن خير سياسة يجب أن تنبع من خلق روابط وثيقة متجانسة أساسها التحالف العدائى الضمنى (ضد مصر) مع العواصم الثلاث: طهران ، أنقرة، ثم أديس أبابا (الحبشة).. أى خلق تكتل ثلاثى ضد المنطقة العربية وخاصة ضد الوظيفة الإقليمية لمصر ، تل أبيب واشنطن طهران أولاً ثم تل أبيب واشنطن أنقرة ثانيا ، وأخيرًا تل أبيب واشنطن أديس بابا ، الذى يحرك هذه التحالفات هو إسرائيل ولكن باستقلال تام فى كل تطبيق عن الآخر مع المشاركة التامة للولايات المتحدة » .

« ما هو دور مصر الإقليمى من الهند حتى المحيط الأطلسى ومن البحر الأسود حتى جنوب إفريقيا ؟؟ لا توجد سوى مصر تستطيع أن تؤدى دورًا إقليميا معينا ، فهى بكثافتها السكانية وقدرتها التكنولوجية وموقعها الاستراتيجى حيث تتوسط المنطقة وحيث قناة السويس وقدرتها على أن تتحكم فى باب المندب فهى قادرة (بفضل الله) على أن تتحكم فى جميع التعاملات بين أجزاء هذه المنطقة .

إسرائيل عملت على تجميد مصر وشل حركتها حتى لا يكون لها دور ، حتى تستطيع أن تقوم بهذا الدور وتدعم وجودها فى تلك البقاع من خلالها .

ومن ثم فإلى جانب تفريغ مصر من جميع عناصر القوى وعزلها عن محيطها العربى يصير حصارها فى كل موضع تعودت أن تمارس فيه وظيفة قيادية منطلقا طبيعيا لإكمال عملية التخريب ، ليس ضد مصر وحدها ولكن ضد بقية بلاد العالم العربى والإسلامى ، وليس أدل على ذلك من جهود اليهود فى أثيوبيا ضد السودان ودعمهم لحركة التمرد .

ولكن هل نجح اليهود فى تحقيق أهدافهم ؟

إذا كانت سياسة مناحيم بيجن (صاحب مذبحة دير ياسين) لم تسطع تطويع الإرادة الشعبية المصرية من الداخل وتطبيع علاقاته مع دولة وادى النيل، فإن سياسة من جاؤوا بعده والتى أساسها العمل على شل القدرة والفاعلية المصرية بأى معنى من معانيها هو منطلق آخر لتحقيق نفس الهدف .. ويجب أن نعترف بهذا الخصوص أنها ـ أى السياسة الإسرائيلية ـ فعلاً نجحت واستطاعت أن تغسل عقول الطبقة المثقفة واستطاعت أن تخلق أدواتها فى داخل مصر وخارجها تارة بوعى حقيقى وتارة بلا وعى .. وأضحينا عملية دق الطبول وزف القيادات والرقص على الحبال وتلميع التفاهات فى مصر وخارج مصر » .

سياسة الدولة اليهودية فى منطقة العالم العربى :

يحرص الكيان اليهودى المغتصب لفلسطين على :

أولاً : توريط دول المنطقة القوية ، فقد ورطت مصر فى اتفاقيات كامب ديفيد – هذا الكلام عام ١٩٨٩ – وقد تورطت بقية الدول العربية فى كامب ديفيد فى مؤتمر مدريد يناير ١٩٩٢ ، ثم أوقعت الأسد فى مستنقع لبنان وأكملت الطوق بدفع العراق للصدام مع إيران (وأوقعت الدول العربية كلها فى الصدام على أرض الكويت والعراق فى عام ١٩٩١) .

ثانيًا : تدعيم تجزئة جميع دول العالم العربى بلا استثناء ، ذاك الذى حدث فى لبنان نموذج لما سوف يحدث خلال الأعوام القادمة فى جميع الدول العربية .

ثالثًا : ويكمل ذلك البدء الجدى فى إنشاء إسرائيل الكبرى ، غزو لبنان وضم جنوبه ليس سوى خطوة سوف تعقبها خطوات أخرى ، إسرائيل تسير فى سياسة توسع واضحة أفقيا ورأسيا ، التوسع الأفقى بالضم استعدادًا لمرحلة الضم الرأسى حيث يحدث من جانب هضم ذلك الذى تم الاستيلاء عليه ومن جانب آخر لعملية تهويد كلية وشاملة .

حدث ذلك نسبيا فى منطقة الضفة والقطاع وسوف يحدث فى جنوب لبنان والبقية آتية ، مع العلم أن الانسحاب من سيناء لا يعنى عدم إمكانية العودة .

دائرة العلاقات الأمريكية المصرية :

مبادىء السياسة الأمريكية فى التعامل الحالى مع مصر (١٩٨٩) تدور حول عناصر أساسية :

١ – سيادة مفهوم التوتر والاضطراب فى مصر .

٢ – استخدام إسرائيل كأداة أساسية فى السياسة الأمريكية فى المنطقة بما فى ذلك علاقة واشنطن بمصر .

٣ – معاملة مصر على أنها حظيرة لكلاب الحراسة وليس أكثر من ذلك .

٤ – إخضاع التعامل الاقتصادى مع مصر لنفس فلسفة التعامل مع الدول المحيطة بجنوب إفريقيا .

المفهوم الأول : يعكس مفهوما خطيرًا فى السياسة الأمريكية ، كشف عنه رجل المخابرات « كونساليز » القادة الحقيقيون للعالم ، لقد كانت الفكرة السائدة ضرورة السعى نحو تحقيق نوع من الاستقرار فى المنطقة أن هذا لصالح عملية الاستثمار واستنفاذ ثروات المنطقة ..

النظرة الجديدة والتى مبعثها الإدراك الإسرائيلى مختلفة ..

خلق درجة معينة من عدم الاستقرار والاضطراب الذى لا يصل إلى حد الثورة أى عدم الاستقرار والاضطراب المنضبط هو خير وسيلة استراتيجية يجب أن تتبع أنها تسمح بضبط الحركة والإكراه على الاهتمام بالمنزل الداخلى .

المفهوم الثانى : والذى هو محور السياسة الأمريكية أن العلاقة بين إسرائيل وواشنطن ، أضْحَت علاقة عضوية حيث تصير إسرائيل مقدمة الحربة للسياسة الأمريكية .

إسرائيل لن تصير مجرد دولة فى المنطقة ، ولكنها تصير أداة واشنطن للتحكم فى دول المنطقة بل سوف تصير أداة الامبراطورية الأمريكية فى منطقة شرق البحر المتوسط .

« السياسة الإسرائيلية من خلال الأعوام القادمة » :

هل تؤمن إسرائيل بسياسة مستقبلية تتفق مع مفهوم السلام ؟؟

وقد أجاب الكاتب رحمه الله :

أولاً : إسرائيل تستعد لحرب قادمة والتقارير الصادرة عن مراكز الدراسات الاستراتيجية فى تل أبيب وغيرها تحدد ميعاد تلك الحرب ، حول عام ١٩٩٥ لماذا ؟ لأسباب معينة قال المؤلف انه سوف يعرض لها بالتفصيل(*) .

ثانيًا : إن الحرب القادمة سوف تذكرنا بالانفجار النازى الذى لم يترك دولة فى أوروبا دون أن ينالها من تلك الحروب الرذاذ ، كذلك فإن هذه الحرب لن تترك دولة واحدة من دول الشرق الأوسط دون أن تتعامل معها ، بل إنها قد تقود إلى مفاجآت محورها تحالف بين إسرائيل والدول غير العربية فى تمزيق خريطة المنطقة العربية .

ثالثًا : إنه فى انتظار هذه الحرب هناك خطة معينة قد بدأ فى تنفيذها للإعداد لميدان المعركة .

رابعًا : القيادة الإسرائيلية التى سوف تتحكم فى هذا التطور ليست القيادة السياسية الحزبية ولكنها القيادة العسكرية المهنية .

فهل تستطيع مصر أن تقف إزاء ذلك التطور .. موقف السلبية ؟ وماذا تستطيع أن تفعـــل ؟؟(**)

(*) مصر والحرب القادمة ، أ.د. حامد عبد الله ربيع ، أستاذ النظرية السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، جريدة الوفد ١٩٨٩/٦/٢٩ .

وقد تناولها المؤلف رحمه الله فى مجموعة مقالات على صفحات جريدة الوفد اعتباراً من شهر يونيو ١٩٨٩ .

(**) وقد أجاب المؤلف رحمه الله على هذه الأسئلة فى مقالات متتابعة .

وبعـد :

فقد قدمنا مباحث هذا الفصل اعتمادًا على الله ثم على المقالات التى كتبها الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة ، ورئيس قسم الدراسات القومية بمعهد الدراسات العربية ، وأستاذ خارجى بجامعات الخرطوم وبغداد وروما وباريس (رحمه الله) ، بالأهرام الاقتصادى ، وجريدة الوفد ، ويمكن القول بأنّ هذا الفصل وهو تلخيص لهذه المقالات لا يمكن أن تغنى عن قراءة الأصول ، فهى كلمات عالم مفرد فى تخصصه ، عاش وقضى ولم يحس به أحد ، وحسبه أنه خلف فكرًاسياسيا ما أحوجنا إليه الآن فى صراعنا ضد أعداء - لا أقول الأمة المسلمة - بل أعداء الإنسانية جمعاء .

وللكاتب عدة كتب عن : (١) « اتفاقية كامب ديفيد » (٢) الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى ، دار الموقف العربى للصحافة والنشر والتوزيع ؛ (٣) الإسلام والقوى الدولية (سلسلة نحو ثورة القرن الواحد والعشرين) دار الموقف العربى ، القاهرة ؛ (٤) مقدمة فى العلوم السلوكية طبعة دمشق ١٩٨١ .

ومجموعة مقالات :
مصر والحرب القادمة الحلقة الثانية ، الوفد ٦ يولية ١٩٨٩ ، الحلقة الثالثة فى ١٣ يوليو ١٩٨٩ ، الحلقة الرابعة ، الحلقة الخامسة فى ٢٧ يولية ١٩٨٩ والحلقة السادسة فى ٣ أغسطس ١٩٨٩ ، الحلقة السابعة فى ٧ أغسطس ١٩٨٩ ، الحلقة الثامنة ١٧ أغسطس ١٩٨٩ ، الحلقة التاسعة ٢٤ أغسطس ١٩٨٩ ، الحلقة العاشرة ٣١ أغسطس ١٩٨٩ .

ومجموعة أخرى :

كيف تفكر إسرائيل : والحرب المقبلة فى الشرق الأوسط .

كيف تفكر إسرائيل : الجسد العربى وعناصر قوته .

كيف تفكر إسرائيل : حرب لبنان وتطور الفكر العسكرى اليهودى .

كيف تفكر إسرائيل : « مفاهيم الليكود _ جابوتنسكى للسيطرة على المنطقة : الأصول ، الفكرة وعملية بناء الدولة اليهودية العظمى (حلقتان) ، عملية المساندة الإقليمية واستقلال المتغيرات الدولية ، ميدان المعركة حول بناء نموذج عربى للتعامل : أسلوب المواجهة العنيفةبالاستئصال ، السلاح الصاورخى واحتمال اختلال موازين القوى .

التطوير الإسرائيلى للسلاح الصاروخى وتحويله إلى سلاح دفاعى استراتيجية السلاح الكيميائى والجرثومى فى العقيدة القتالية الإسرائيلية وغير ذلك من المؤلفات التى أدعو الرعاة والرعية وخاصة الشباب فى بلاد العالم العربى والإسلامى إلى دراستها دراسة واعية ، لعل الله ينفعنا بها .

لقد كان بودى أن أقدم للقارىء ملخصا لبقية مؤلفات هذا الكاتب الكريم الذى أدعو الله أن يجعلها له فى ميزان حسناته - وخشية أن يتأخر هذا الجزء ، آثرت أن يتم ذلك فى وقت لاحق ، إن كان فى العمر بقية إن شاء الله _ ونسأل الله أن يتقبل أعمالنا ويرزقنا الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنا الشهادة فى سبيله .

المبحث الخامس

أسباب نجاح مخططات أمريكا
فى العالم العربى (الإسلامى)

- ضعف الإرداة الذاتية فى المنطقة .
- وجود أداة لا مثيل لها فى أى منطقة أخرى وهى القاعدة العدوانية التى سمّوها إسرائيل .
- **السياسات التى تتبعها أمريكا فى المنطقة العربية بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة .**
- **سياسة الأمن القومى : وهى تعنى أن حدوث أمر معين على حدودها المباشرة يعنى القتال بلا مقدمات .**
- **وجود إسرائيل وبقاؤها أحد عناصر أمن أمريكا القومى .**
- **المساندة الإقليمية أو الإجماع الاستراتيجى .**
- **تحجيم مصر الإقليمية أو الإجماع الاستراتيجى .**
- **السيطرة الكاملة على العالم .**

أساليب التعامل الدولى مع المنطقة العربية وأهدافها .

ما هى أسباب نجاح مخططات أمريكا فى العالم العربى (الشرق الأوسط) ؟؟

« إذا كانت قد نجحت حتى الآن فى منطقة الشرق الأوسط ، فليس ذلك سوى نتيجة لضعف الإرادة الذاتية فى المنطقة من جانب ، ولوجود أداة أخرى لا مثيل لها فى أى منطقة أخرى وهى إسرائيل[1] ؟؟

ما هى السياسات التى تتبعها الولايات المتحدة فى المنطقة بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة ؟؟

أولاً : سياسة الأمن القومى : وهى تعنى أن حدوث أمر معين على حدودها المباشرة يعنى ضرورة القتال بلا مقدمات ، وقد وسعت الولايات المتحدة هذا المفهوم لتجعل من وجود إسرائيل وبقائها أحد عناصر أمنها القومى ؛ ولكنها منذ حرب ١٩٦٧ طورت المفهوم

---

(١) تحركات السياسة الأمريكية على أرض مصر ، أ.د. حامد ربيع رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة ، الأهرام الاقتصادى العدد ٧٣٥ فى ١٩٨٣/٢/١٤ .

فجعلت أساسه التفوق العسكرى الساحق للأداة العسكرية الإسرائيلية على جميع القوى المقاتلة العربية ، وذلك يعنى إلغاء لأى معنى من معانى الأمن القومى لأى دولة عربية .

ثانيًا : سياسة « المساندة الإقليمية والتى تتردد على ألسنة المسئولين باسم الإجماع الإستراتيجى » واتفاقية كامب ديفيد وهى امتداد لهذه السياسة ؛ خلاصة هذه السياسة تحويل المنطقة الممتدة من الخليج العربى حتى البحر الأحمر بجميع شواطئه بما فى ذلك حوض البحر المتوسط كتلة متراصة ، وذلك بهدف تحويل المنطقة إلى نوع من الغطاء العسكرى للقوى الأمريكية التى توصف عامة بقوات الانتشار السريع ، إلى تحويل المنطقة إلى قاعدة متماسكة تتميز بخصائصها الآتية :

(أ) القناعة القيادية بالتعاون مع الإدارة الأمريكية (هذا الكلام كتب عام ١٩٨٣ ، وفى عام ١٩٩١ حدث ما توقعه المؤلف) .

(ب) القدرة والفاعلية على التحكم فى المنطقة إزاء أى محاولات لخلق القلاقل أو الاضطرابات المحلية .

(ج) خلق المرافق المشتركة والمتماسكة والمتفاعلة التى تسمح بتطوير التعامل وقت الضرورة فى إطار موحد إقليمى من حيث السيولة فى التنقل والاستمرارية فى التدفق .

ثالثاً : تحجيم مصر وتفريغ المنطقة من قيادتها التاريخية (*) وذلك يحقق أهداف السياسة الإسرائيلية ومن ثم سياسة الأمن الأمريكى ، فليس من صالح سياسة المساندة أن توجد مصر القوية القادرة على أن تكتل خلفها دول المنطقة .

رابعًا : سياسة الاستعمار الجديد ، فأمريكا من عهد ريجان وهى تسير فى سياسة صريحة أساسها السعى نحو تحقيق السيطرة الكاملة على العالم ، هذه السياسة تعنى خلق التبعية وفرض الهيمنة المعنوية على الشعوب (هذه السياسة تتبعها جميع القوى الكبرى بأساليب ووسائل متباينة ، تبعًا لقوة وأهداف كل من القوى العظمى .

أساليب التعامل الدولى مع المنطقة العربية :

وهى تهدف إلى تحطيم الإرادة الذاتية ومنع المنطقة من التماسك ، ولتحقيق هذا قامت هذه القوة الدولية (منها أمريكا وإنجلترا) :

١ – اغتصاب فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية (إسرائيل) وتدعيم وتوسيع دائرة نفوذها .

٢ – اتباع سياسة شد الأطراف .

(*) ولهذا السبب اغتال الأعداء حسن البنا ، وقتلوا سيد قطب ، وعبدالقادر عودة وإخوانهم من قادة الحركة الإسلامية التى كانت مؤهلة للخروج بأمتها من أزمتها الراهنة ، كما تم تصفية بعض الشخصيات التى تتسم بالنبوغ العلمى مثل عالم الذرة د. المشد ، وعالم الشفرة سعيد بدير ويقال نفس الشىء على كاتب هذه المقالات أ.د. حامد ربيع رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة .

٣ – خلق شلل فى وظيفة مصر الإقليمية .
٤ – إذابة القومية العربية فى المفهوم الإسلامى .
٥ – خلق دولة البربر الكبرى .

فإسرائيل أداة لتهديد أى قوة عربية فى منطقة القلب ، وهى قد جزأت بل وفصمت الجسد العربى وهى تستطيع – فى تصورهم – على أن تحدث المزيد من الاضطرابات ليس فقط فى المنطقة المحيطة بها بل وفى جميع أجزاء الوطن العربى .

إن المتتبع لمفهوم الأمن اليهودى وبصفة خاصة كما يتصوره المنظرون الصهيونيون لوظيفة إسرائيل خلال الأعوام القادمة لابد وأن يصيبه الذهول من كيفية تصور قياداتها لأن يمتد هذا المفهوم ويتسع بحيث يخفض من جانب القسم العربى من المحيط الهندى ومن جانب آخر جميع أجزاء شمال إفريقيا وحتى المحيط الأطلسى ، يجب أن ننظر إلى الوجود الصهيونى على أنه مرحلة من مراحل التدخل الأجنبى فى المنطقة (بدءًا بفلسطين) .

ثم تأتى سياسة شد الأطراف .. التى بدأت مع الحروب الصليبية ، لتكمل وظيفة إسرائيل ، فإذا كانت تشل القلب فإن القوى الجاذبة تشل القوى المتواجدة خارج الدائرة القلب .

وهكذا تمنع المساندة (للقلب) ولعل الحرب العراقية الإيرانية فى أقصى الشرق وحرب الصحراء فى أقصى الغرب واحتمالات الصدام فى جنوب السودان نماذج واضحة لتأكيد هذا المفهوم . وأزمة الخليج وغزو العراق للكويت ، وأثرها السلبى على الانتفاضة الفلسطينية وقضية فلسطين وعلى حركات الجهاد الأفغانى .

الفصل الثانى عشر

النظام العالمى الجديد فى ضوء عقيدة الإسلام
والحقائق التاريخية وموقف المسلمين منه
وكيف يمكن للمسلمين أن يتصدوا له ويحرروا بيت المقدس ويحرروا أمتهم وديارهم ومقدساتهم ...

ما النظام العالمى الجديد ؟ وما هى مكوناته ؟ ما ركائزه وما دعائمه ؟ وما منطلقاته الفكرية ؟

ما يسمى بالنظام العالمى الجديد هو تحالف بين الدول الاستعمارية (الاستخرابية) ، بقيادة أمريكا فى الظاهر وتوجيه اليهود فى الخفاء وهو يعتمد على الأقليات غير الإسلامية والأنظمة التى وصل بها إلى سدة الحكم فى تلك البلاد ، ويعتمد أيضا على المنظمات الدولية التى أنشأها وكونها فى الأصل لمعاونته فى تحقيق أهدافه .

هذا الذى يسمى نفسه بالنظام (وكلمة نظام فيها تجاوز) العالمى الجديد يرفع شعار الشرعية الدولية وهو فى الحقيقة شعار كاذب لا مدلول له فى واقعه أو واقع الإنسانية كما سنرى .

هذا النظام العالمى الجديد ينظر إلى العالم الإسلامى (وخاصة العربى) نظرة عداء وحقد دفين يميط اللثام عنها رب العالمين ويظهرها بوضوح تقليب صفحات التاريخ القديم.
يقول رب العالمين ﴿ **لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون** ﴾ آية : ١٠ سورة التوبة .

﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ آية ٨٢ سورة المائدة .

﴿ **لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا** ﴾ آية ١٨٦ سورة آل عمران .

﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ . آية ١٢٠ سورة البقرة .

﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ آية ٢ الممتحنة .

﴿ **ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر** ﴾ آية ١١٨ سورة آل عمران .

﴿ هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ آية ١١٩ آل عمران .

﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ آية ٤٥ سورة النساء .

والذى يتابع ما ينشر على ألسنة قادة النظام العالمى الجديد وعن المؤتمرات وأجهزة المخابرات الغربية اليهودية والصليبية وعبر أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، يسمع ويلمح حملة إعلامية شديدة وحقدا شديداً على الإسلام وأهله .

فقد كتب نيكسون كتابا « انتهزوا هذه اللحظة » يقول فيه: إن العالم الإسلامى يشكل التحدى الوحيد للولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين ، وإن العالم العربى والإسلامى يشكل قنابل موقوتة يمكن أن تتفجر فى أى وقت من الأوقات ، وأنّه لابد من حماية الأنظمة العربية الحاكمة التى تقبع على كراسى تحتها ثلثى بترول العالم (الأهرام) .

بل وكلمة ميتران رئيس فرنسا: لو وصل الأصوليون (يقصد المسلمون) إلى حكم الجزائر فسوف تتدخل فرنسا عسكريا كما تدخلت أمريكا فى بنما .

بل وعقد مؤتمر فى أثينا (اليونان) تحت عنوان أوربا والمتوسط والبحر الأسود فى ظل أوضاع عالمية جديدة أثار فيه المؤتمرون موضوع المدّ الإسلامى واعتبروه أحد عوامل عدم الاستقرار فى المنطقة (جريدة الأهرام ١٩٩٢/٤/٢٠) . نظم معهد دراسات الشرق الأوسط الأمريكى ندوة حول هذا الموضوع تحت عنوان : أمريكا والإسلام وتحديات التسعينات . وجاءت الندوة استكمالا لتوصيات لجنة العمل الأمريكية اليهودية « الإيباك » التى حذرت فيها مما يسمى بالخطر الإسلامى وتهديده للحضارة الغربية (جريدة الأهرام) .

جذور هذا النظام :

إذن فالنظام العالمى الجديد الذى يحقد على المسلمين ويطمع فى ديارهم وثرواتهم ، يرتبط ارتباطا وثيقا بحركة الاستعمار (الاستخراب) منذ أقدم العصور ... فهو يرتبط بالغزو والاحتلال اليونانى ويرتبط بالغزو والاحتلال الرومى للعالم العربى والذى استمر حوالى سبعمائة عام منذ عام ٦٤ ق.م وحتى عام ٦٤٠/١٦هـ ويرتبط بالحروب الصليبية التى اقترنت باحتلال بيت المقدس (عام ٤٩٢هـ/١٠٩١) وغيرها من بقاع العالم الإسلامى والتى استمرت لمدة مائتى سنة والتى اقترنت بالغزوة المغولية التتارية لبلاد المسلمين (فى عام ٦٥٠هـ/١٢٥٠م) ويرتبط بالغزو الأسبانى البرتغالى للعالم الإسلامى ، حينما خرج الأسبان والبرتغال فى القرن التاسع الهجرى مأذونا لهم من البابا فى تطويق العالم الإسلامى ،(طبقا لمعاهدة توردسيلاس)وتحت شعار الاكتشافات الجغرافية ، وكان شعارهم الصليب أو المدفع[1]

(١) وقد اغتصب الاستخرابيون كل شىء فى إفريقية حتى الإنسان فقد نقلت أوروبا مالا يقل عن خمسين مليونا من أبنائها إلى أوروبا والعالم الجديد تحت مسمى تجارة العبيد وقد هلك نصف العدد فى الطريق (إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا) ، د. جمال عبد الهادى ، دار الوفاء المنصورة) .

يرتبط ما يسمى بالنظام العالمى الجديد بالحروب الصليبية التى شنتها أوربا ضد الدولة العثمانية (والتى استمرت حوالى ستة قرون منذ القرن السادس وحتى القرن الثانى عشر الهجرى) .

ويرتبط بالحروب الصليبية التى شنتها أوربا ضد المسلمين فى الأندلس ، وبالغزو الأوربى للعالم الإسلامى والعربى قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م – ١٩١٨) والغزو الأوربى فى الحرب العالمية الثانية ، ويرتبط بالانقلاب الشيوعى منذ عام ١٩١٧ ، وبالاحتلال الأمريكى الأوربى للعالم العربى فى عام ١٩٩١ وحتى الآن .

الغايات والأهداف والمنطلقات الفكرية .

والنظام العالمى الجديد له غايات وأهداف وأطماع فى العالم الإسلامى وخاصة العربى تتمثل فى تصفية الوجود الإسلامى على الأرض كعقيدة وكنظام سياسى واقتصادى وسلوكى وأخلاق وتصفية الأمة المسلمة مع سلب ديارها وثرواتها ، ... لماذا ؟

لأن الأمة المسلمة هى الأمة الشاهدة ﴿ **وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ وهى الأمة التى حملها الله مسئولية العمل لتحرير الإنسان وإقامة حكم الله على الأرض حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وهى القوة الوحيدة المؤهلة لقيادة البشرية بعد انهيار غالب القوى الكبرى (والبقية فى الطريق بما فيها أمريكا إن شاء الله) .

فهى تملك التنزيل الربانى المتمثل فى أيديولوجية الإسلام التى تنطلق من كتابها القرآن الخالد الذى لم يعتريه تحريف ولا تزوير وهو العلاج الوحيد للإنسانية بعد أن شقيت فى ظل المبادىء الأرضية (الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية) .

« والأمة المسلمة تحيا على رقعة من الأرض تمتد من المحيط إلى المحيط ، وتملك ثروات ضخمة تتمثل فى ثلثى مخزون العالم من البترول وذلك غير الذهب الأبيض والأصفر ، واليورانيوم والمعادن المختلفة ، وتمتاز أيضا بخصوبة النسل البشرى[1] (تعدادها يفوق الألف مليون نسمة) ، كما أنّها تملك مواقع استراتيجية تمكنها من التحكم فى مداخل ومخارج البحار والمحيطات ، كما أنّها تملك رصيدا من التطبيق العملى للنظام الإسلامى يبلغ من العمر آلاف السنين » .

والنظام العالمى ينطلق فى تحقيق أهدافه من عقائد اليهود (رغم أنه تحالف بين اليهود والنصارى) التى تمتطى ظهور النصارى لتحقيق أهدافهم بصفة مرحلية ، فاليهود – طبقا لتلمودهم – يعتبرون المسلمين والنصارى كفارا ، وأن أرواحهم أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، وأنهم أشرار (بلغة العصر إرهابيون) ولابد من القضاء عليهم ، ودماؤهم وأموالهم وأعراضهم حلال

---

(١) نشر بول شميت كتابا ترجمة البهى الخولى .. تحت عنوان « الإسلام قوة الغد »

لليهود ، وأنه لا يجوز ليهودى أن يرحمهم أو يشفق عليهم لأنهم أعداؤه، وأن اليهود مكلفون بتملك الأرض كلها ومنع جميع الأمم من ذلك ، فهم الحمير الذين يجب أن يركبهم بنو اليهود(٣) .

ورغم أن هذه نظرة اليهود إلى النصارى ، فالمستغرب أنهم استطاعوا أن يروضوا قطاعا ضخما من النصارى (الانجيليين) ليتبنوا المبدأ اليهودى(*) ويتعاونوا معهم على تنفيذه ، رغم أن ذلك يشكل خطرا عليهم وعلى أمتهم .

ومن أهداف وغايات هذا النظام إبقاء العالم الإسلامى على حالة من التخلف والجهل حتى تظل يده دائما هى السفلى ، وحتى لا يصل إلى تقدم تقنى سيدفعه حتما إلى تحرير إرادته والعبور إلى مجالات التقدم والعلم ، ومن أهدافه أن يظل العالم الإسلامى مصدرا للمواد الخام بشتى أنواعها وعلى رأسها البترول واليورانيوم والذهب .

وأن يظل كذلك سوقا للاستثمار الربوى غير المنتج (مثل قروض المجارى والتليفونات وغيرها) ، وأن يظل كذلك سوقا لتصريف منتجاته الزراعية والصناعية وخاصة السلاح ، وكذلك موضعا لدفن النفايات السامة .

وكذلك حرمان الأمة من الاستفادة بإمكاناتها البشرية والمادية .

ولكن كيف يتسنى لهذا النظام تحقيق هذه الأهداف علانية مع ضمان عدم غضبة الأمم والشعوب المستهدفة ومن هنا فإن هذا النظام قد تفتق ذهنه عن رفع شعار كاذب هو شعار الشرعية الدولية ، ليتمكن من خلاله من تكبيل البشرية بالقيود عبر المنظمات الدولية (هيئة الأمم ومجلس الأمن) لضمان عدم حدوث ردة فعل على المستوى الدولى ، وأيضا ليتمكن من خلال عملائه من الأنظمة الحاكمة من تكبيل الشعوب بالأغلال واعتقالها وذبحها وإن احتاج الأمر بيد إخوانها وأبنائها لضمام عدم حدوث ردة فعل على مستوى الشعوب تهدد مصالحه بالدمار داخل تلك البلاد .

والحقيقة أن هذا الشعار يعنى بالنسبة لهذا النظام أن كل ما يفعله هو من غصب للديار ، أو قتل للإنسان أو اغتصاب للثروات فهو مشروع ، وإن أى محاولة للوقوف فى وجه مخططاته وتسلطه على الأمم والشعوب عمل غير مشروع ، وعلى سبيل المثال ، مؤامراته على الأمة العربية المسلمة وأزمة الخليج لا شىء فيه ، تقتيله للمدنيين (حوالى مليون) وتدميره للأهداف المدنية فى منطقة العراق أمر مشروع .. احتلاله لقواعد عسكرية فى العالم العربى والبحر الأبيض والأحمر عمل مشروع ، معاونة القاعدة اليهودية العدوانية للتوسع على حساب المسلمين وإبادة وتشريد الشعب الفلسطينى عمل

---

(٣) إسرائيل والتلمود ، تأليف إبراهيم خليل أحمد (سابقًا إبراهيم خليل فليبس ، دار المنار للنشر والتوزيع ، صفحة ٥٦ وما بعدها) .

(*) نجح اليهود فى تأليف عقيدة يهودية نصرانية تقول بأن تحالف النصارى مع اليهود ضرورى لإقامة الدولة اليهودية لأن ذلك يعجل بنزول السيد المسيح إلى الأرض (قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى ، تأليف رفيق حبيب ، منبر الشرق العدد ١ رمضان ١٤١٢ ، صفحة ١٩٦ .

مشروع ، استحلال أموال الأمم والشعوب أمر مشروع ، قتل المسلمين وانتهاك أعراض النساء فى البوسنة والهرسك على يد الصرب الأورثوذكس عمل مشروع (٥٠ ألف قتيل وجريح ومليون ونصف مشرد) ، انتهاك أعراض النساء فى أراكان (بورما) وصلب الرجال وهم أحياء ، لا يستحق حركة قوات أمريكية أو غير أمريكية .. ذلك لأنهم مسلمون ، والدين الإسلامى ، والعرض الإسلامى والمال الإسلامى والعقل الإسلامى والنفس كلها مستباحة للنظام العالمى الجديد .

الأساليب والوسائل .. الاستراتيجية القريبة والبعيدة :

أساليب ووسائل هذا النظام لتحقيق غاياته وأهدافه (أو استراتيجيته) القريبة والبعيدة .. ومنها ..

(أ) الغزو العسكرى واحتلال ديار الإسلام وخاصة المنطقة العربية .

(ب) الغزو الفكرى (أو التسميم الفكرى) والثقافى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى يعتمد على التغريب والاستشراق وفساد مناهج التعليم وبرامج الإعلام ، ويعاونه فى تحقيق مخططاته الطابور الخامس فى بلاد المسلمين ، ودور العلم الخاصة والمدارس التبشيرية(بعض مدارس اللغات وجامعة سنجور والجامعة الأمريكية والمراكز الثقافية اليهودية والأوربية والأمريكية تقوم بدور خطير فى هذا الشأن (الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى ، أ.د حامد ربيع ؛ التبشير والاستعمار ، عمر فروخ وآخرون) .

(جـ) ضرب البنية البشرية للأمة المسلمة لأنها فى نظر النظام العالمى الجديد تشكل خطرا عليه ، ومن هنا نبعت فكرة تنظيم نسل المسلمين وهى جريمة فى الوقت الذى يسعى العدو إلى تنمية نسله .

(د) محاولة إجهاض حركات البعث والجهاد الإسلامى ، والتضييق عليها وحرمانها من مباشرة نشاطاتها ، ولو استدعى الأمر اعتقال وتصفية رجالاتها .. ويدخل فى ذلك محاولة إجهاض حركة الجهاد الأفغانى والانتفاضة الفلسطينية .

(هـ) تصفية الوجود الإسلامى فى كرواتيا والبوسنة والهرسك وأذربيجان وكشمير وعلى أرض فلسطين المحتلة ، والفلبين وأندونيسيا والهند وغيرها من ديار الإسلام .

(و) إشعال الفتن داخل بلاد المسلمين وبين المسلمين والأقليات غير المسلمة ، بين المدنيين والعسكريين ، بين الحاكم والمحكوم ...

(ز) الانقلابات العسكرية للإتيان بأنظمة تدور فى فلك هذا النظام وتعتبر أن مصالحه لها الأولوية على مصالح الشعوب الإسلامية وتقوم بتجميد الجبهات أمام العدو اليهودى والأمريكى بحجة أن السلام اختيار مصيرى وتقوم بتصفية القوى الوطنية المعارضة وخاصة الإسلامية ، وتمكين

الأقليات غير الإسلامية من الإمساك بزمام الأمور داخل الوطن الإسلامى وخاصة العربى ، وكذلك تحقيق الهيمنة الأمريكية اليهودية على العالم الإسلامى . (ثورة يوليو الأمريكية ، محمد جلال كشك؛ لعبة الأمم ، مايلزكوبلاند) .

وسنكتفى باستعراض استرتيجية العدو بالنسبة للغزو العسكرى ، لأن بقية الوسائل قد تم التعرض لها تفصيلا فى أماكن متفرقة من هذا الكتاب .

الغزو العسكرى اليهودى الصليبى لديار المسلمين والنتائج التى تمخضت عنه :

ولتحقيق ذلك كان لابد من افتعال الأزمات بين دول المنطقة العربية لاشعال نيران الحرب بينها بصورة تؤدى إلى تحقيق الأهداف ...

مثال ذلك : افتعال أزمة الخليج ... فقد خططت الولايات المتحدة لها منذ السبعينات فى أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣ والتى وقف فيها الملك فيصل رحمه الله وقفة - جعلها الله فى ميزان حسناته - حينما أوقف ضخ البترول إلى أمريكا وأوروبا ، حينذاك أحست أمريكا وأوروبا أنهم فى خطر ، وأن الحظْر البترولى يمكن أن يخنقهم ويصيب مصانعهم بالشلل ، ومن هنا كان التخطيط لضرورة تواجد أمريكى أوربى عسكرى فى العالم العربى لضمان تدفق البترول إلى أوربا وأمريكا بالقدر وبالسعر الذى يريدون .

ولحماية الأنظمة الحاكمة من أى تصرف شعبى إسلامى قد يطيح بها ، ويؤدى إلى انهيار مخطط النظام العالمى ، وكان هذا التخطيط يعتمد على القاعدة اليهودية فى أرض فلسطين المحتلة والتى تم إعدادها منذ ١٤ مايو ١٩٤٨ ، ومن هنا كان إعداد وتجهيز قوة الانتشار السريع(*) وتدريبها فى صحراء كاليفورنيا وكان أيضا استدراج العراق لاحتلال الكويت واستنجاد الكويت وبعض الأنظمة العربية الحاكمة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أعطت الأنظمة العربية بموقفها هذا دعما للنظام العالمى الجديد لتحقيق أهدافه رغم أن غالب شعوب العالم الإسلامى والعربى كان لها موقف الرافض للوجود الأجنبى والاستعانة به ، وقد استطاع النظام العالمى استصدار قرارات من المنظمات الدولية ، تخوله استخدام القوة العسكرية ضد العراق وكانت نكبة من النكبات التى لم تصب الأمة بمثلها أسفرت عن :

(*) صرح وزير دفاع أمريكا تشينى أن على أمريكا أن تنشر قواتها حول العالم لحماية مصالحها ، وأن قوات أمريكا ستبقى فى الدول البترولية (العالم العربى) حتى القرن القادم ، لأن المنطقة العربية بها نصف إمدادات العالم من البترول (الأهرام ، ٢٥ مارس ١٩٩٢) ؛ حقائق حول أزمة الخليج ، سفر بن عبد الرحمن الحوالى ؛ مجلة العربى ، العدد ٣٥٣ ، إبريل ١٩٨٨ ؛ أزمة الخليج أبعاد الواقع وآفاق المستقبل ، شارك فى إعداده مجموعة من أساتذة العلوم السياسية والاستراتيجية العسكرية والاقتصادية وغيرها ، نادى أعضاء هيئة التدريس - جامعة القاهرة .

- قوات عسكرية أمريكية (بها يهود يحملون جنسية أمريكية) تحتل قواعد لها فى العراق والجزيرة العربية (السعودية ودول الخليج العربى) وأسطول أمريكى أوربى فى البحرين الأحمر والأبيض يحاصر المنطقة العربية ويتحكم فى مداخل ومخارج قناة السويس وبوغاز باب المندب .

- تدمير البنية العسكرية العراقية ، ومراكز أبحاثها النووية (وكان ضرب مفاعلها الذرى على يد اليهود عام ١٩٨١) البالغ عددها حوالى مائة ستة وثلاثون مركزًا ، ودمرت أسلحتها الكيمياوية والجرثومية حتى تظل القاعدة اليهودية هى المالك الوحيد لهذا السلاح الخطير تهدد به المنطقة العربية بل وستستعمله فى الحرب القادمة .

- تدمير البنية الاقتصادية (بما فى ذلك الأهداف المدنية .. الكبارى ومحطات المياه والكهرباء) ..

- مصرع مالا يقل عن مليون من أبناء الأمة فى العراق ، ومع هذا التدمير تم تدمير أمل الكثيرين من أبناء الأمة فى تفوق عسكرى يمكن الأمة من التصدى لأعدائها .

- استهلاك مدخرات الدول العربية البترولية فى أمريكا وأوروبا ، فالدول العربية البترولية هى التى دفعت تكاليف نقل القوات الأجنبية إلى منطقة الخليج ، وثمن الأسلحة المستخدمة ، وأجور المرتزقة ، كما هيأت لهم المسكن والمطعم والملبس ، كما أنها تعاقدت مع الشركات الأجنبية لتعمير ما تهدم من بنيتها أى أن الهدم والتخريب على حساب الأمة والبناء على حساب الأمة ، والمستفيد هو الشركات المتعددة الجنسية أو النظام العالمى الجديد ، وبهذا تحولت الدول البترولية إلى دول مدينة بعد أن كانت دائنة .

- تنشيط الاقتصاد الأمريكى من خلال بيع مخزون السلاح إلى دول البترول العربية ، وتشغيل المصانع التى توقفت فعلاً مثل تلك التى كانت تنتج أقنعة الغازات السامة، وصواريخ باتريوت(*).

- ضمان تدفق البترول إلى أوروبا وأمريكا وحلفائهم بالقدر والسعر الذى يريدون (وقد اقترن ذلك بفرض ثلاث دولارات لكل برميل بترول يدخل إلى دول أوربا على الدول المصدرة العربية والإسلامية) .

- أصبحت أمريكا فى نظر القاصى - ماعدا غالب شعوب العالم الإسلامى - شرطى العالم الوحيد ، الذى يجب حينما يتكلم أن يسمع الجميع ويطيعون .

(*) مع العلم بأن سيناريو الحرب والتدخل قد أعدته المخابرات الأمريكية منذ زمن طويل ، بل إنه قد عمل فيلم سينمائى عن غزو العراق للكويت واستنجاد الأخيرة بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٨٤ أى قبل حرب الخليج بسبع سنوات (انظر مجلة العربى العدد ٣٥٣ أبريل ١٩٨٨ تحت عنوان كيف تنظر هوليود إلى العرب) .

- حينما سئل شوارتسكوف ، أن المعركة قد حسمت فى العراق فى الثلاث أيام الأولى ، لماذا استمر ضرب الأهداف المدنية بالعراق لمدة ثلاثة وأربعين يوما ، أجاب : لابد من إعادة النظر فى تعريف من هو المدنى (الأهرام عدد صفحة مقالات الأستاذ هيكل) .

=

- إصابة المجتمع الإسلامى بشروخ نتيجة تمزق الأمة إلى فريقين .. فريق غاب عنه تبين محركى الأحداث على المسرح ، فاندفع يساند تواجد القوات الأجنبية على أرض العالم العربى والإسلامى ، ونسى المساكين أنهم يستبدلون احتلالاً باحتلال ، وفريق آخر وهم صفوة القوم أدركوا المخرجين وأهدافهم ، نظرًا لمعرفتهم بالرواية والسيناريو من قبل ، وحاولوا تنبيه الأمة ، ولكن : « وما أنت بمسمع من فى القبور » ..

- استسلام بقية الدول العربية للمخطط اليهودى الأمريكى ، فتوجهوا إلى مؤتمر مدريد ، ليوقعوا معاهدة الاستسلام والذل والهوان ، يعترفون فيها للعدو اليهودى بأنه صاحب فلسطين وأنه صاحب الحق فى أن يحيا حياة آمنة مطمئنة فى حماية أبناء الأمة من رجال الشرطة والجيش ، وأنهم على استعداد لتطبيع العلاقات معه وفتح الحدود والسدود أمامه ، وأنهم على استعداد لبحث مطالبه فى المياه وغيرها .

- تمزيق المنطقة العربية وتجميد دور مصر القيادى فى المنطقة وإقامة الدويلات الطائفية ، مع تهيئة الظروف والأوضاع تمكين اليهود من تحقيق حلمهم وأطماعهم ، وقد تكلمنا عن مخططات المرحلة القادمة فى الفصل الحادى عشر .

بقيت كلمة مهمة ، لعلنا لا ندرك أن شعار الإنزال البرى فى حرب الخليج كما أراده بوش والدول الأوروبية « المجد للعذراء » وقد صرحت جريدة عربية وهى تروى الخبر أن ذلك يذكر بوقوف الجنرال غورو على قبر صلاح الدين بعد احتلال الفرنسيين لدمشق قائلاً : « ها نحن قد عدنا مرة ثانية ياصلاح الدين » ، وذكر أيضًا بكلمة الجنرال اللنبى وهو داخل القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية .. إذن كانت حرب الخليج حربًا صليبية يهودية .. إذن التحالف العالمى الجديد هو تحالف بين اليهود والصليبيين ضد العالم الإسلامى .

= التى أوهموا حكام العرب أنها تستطيع اصطياد صواريخ سكود فى الجو وتدميرها ، واتضح أن هذه أكذوبة إذ أن الخسائر البشرية والمادية مع استعمال صواريخ باتريوت كانت أكبر من الخسائر الناجمة عن انفجار الصاروخ سكود (الأهرام ، ٩ أبريل ١٩٩٢) .

- وتصورت الأنظمة العربية الحاكمة أنها بذلك قد ارضت السيد اليهودى والأمريكى ، ونسوا أنه لا يرضى حتى يستأصل شأفتهم ويرد من بقى عن دينهم ، ويسلب شرفهم وعزهم ، ويقيم دولة من النيل إلى الفرات بما فى ذلك جزيرة العرب ، وأنه قد خطط لمعارك قادمة اقترب موعدها وهو يعتمد على الضربة الأولى المباغتة والمفاجئة (ملف إسرائيل جارودى) .

- وقد حدد اليهود موعدًا عام ١٩٩٧ لتحقيق حلمهم من النيل إلى الفرات وان كان يبدو أنهم متعجلون فى تحقيق ذلك الحلم ، ولهذا فهناك دراسات تفيد أنهم قرروا شن حرب فى عام ١٩٩٥ وأنهم يهدفون من ورائها إلى تمزيق مصر إلى دويلات طائفية متناحرة . =

تقويم النتائج التى حققتها استراتيجية النظام العالمى الجديد :

إذا قدر لنا تقويم النتائج التى حققها ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ، أدركنا أنه يقود حرب صليبية يهودية تستهدف العالم الإسلامى (وخاصة العربى) ، وأنه قد نجح فى تحقيق الجزء الأكبر من مخططاته ، **ولا يعنى ذلك انه قد نجح لقوة فيه ، ولكن ذلك يرجع إلى ضعف فى الأمة التى تنتسب إلى الإسلام** .. يقول الله تعالى : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** .. ﴾ آية ٣٠ سورة الشورى ، وحينما يضعف الإيمان بالله فى قلوب المسلمين ، ويحبون الدنيا ويكرهون الموت ويعطلون الفرائض ، حينذاك ينجح فيهم كيد الأعداء ، هذه واحدة ، هذا هو السبب الحقيقى ، لأن الله سبحانه وتعالى قد كتب على أعداء الله وأعداء رسوله : ﴿ **إنّ الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلّين** ﴾ .. فمهما ملكوا من مقومات القوة المادية ، ومهما فتح أمامهم من أبواب التقدم التقنى فإنهّم أذلة ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينَما ثُقفوا إلّا بحبل من الله وحبل من الناس** ﴾ .. أى أن الذلة والهوان مكتوبة على الكافرين وعلى المنافقين .. على أمريكا .. على اليهود .. على الصليبيين وعلى من يواليهم من أبناء العرب والمسلمين ، إلا إذا اعتصموا بذمة الله وذمة المسلمين .. والذين ينتسبون إلى الإسلام اليوم هم الذين يدعمون أعداءهم ، يدعمون أمريكا وأوروبا ، يدعمون اليهودية العالمية والصليبية العالمية .. يدعمونهم بالبترول وبالأموال الموظفة فى بنوكهم وشركاتهم .. يدعمونهم بفتح الأسواق أمام منتجاتهم .. هذا هو سبب بقاء أهل الكفر مستعلين فى الأرض .

إن السبب فى المسلمين الذين يقدمون البترول والمال ليعود إلى صدورهم قذائف ورصاص وخراب ودمار . إذن النظام العالمى الجديد قد نجح مرحليًا ووقتيًا فى تحقيق بعض أهدافه والسبب الأنظمة العربية التى تدعمه .. السبب الأمة التى تتكالب على بيوتات الموضة والزينة تنفق فيها الأموال الطائلة .. السبب الأمة التى تقترض بالربا المركب فتدعم عدوها .. السبب فى نجاح العدو هو ضعف هذه الأمة المترفة .

ولكن هل توقف النظام العالمى عن مواصلة تحقيق مخططاته .. لا إنه مستمر وليس أدل على ذلك من تهديد ليبيا وسوريا والسودان بل ومصر ..

ما هو الأثر الذى تركه تنفيذ النظام العالمى الجديد لاستراتيجيته وعدوانه على العالم الإسلامى ؟

لقد ترك ندوبًا غائرة فى جسد الأمة المسلمة ، بل وترك جراحًا مازالت تنزف – سبحان من يوقف نزيفها .. **فى فلسطين .. فى بلاد العالم العربى كله .. فى البوسنة والهرسك ..** فى أراكان

= تصريحات ديفيد عبرى مدير وزارة الدفاع اليهودية الذى أعلن أن المعاهدة بين مصر وإسرائيل هى مجرد هدنة وأن خطر الحرب مازال قائمًا وتصريحات باركوخيا فى شهر ٦ سنة ١٩٩١ أن اليهود سيعبرون قناة السويس ولن يقفوا عند حدود ١٩٦٧ .

(بورما)... فى الصومال.. فى السودان.. فى أفغانستان.. فى ناجورناكاراباخ فى كل أجزاء الجسد الإسلامى .. بل وأنه مازال يعمل للإجهاز على الجسد .. ونسى أن الموت والحياة بيد الله .. ﴿ **ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً** ﴾ .. نسى أن الأمة هى الأمة الشاهدة وأن الذى يرعاها ويحميها هو الله وهو سبحانه الذى يؤدبها ليقيمها على الجادة ، وأن لها دورًا لابد وأن تؤديه .

وعلى الجانب الآخر أن كثرة الجراح أيقظت العملاق من إغفاءته ، وهو يتململ من رقدته .. وينفض التراب من على جسده - إنّه يتأهب للقيام .. يبدو ذلك واضحًا فى حركات البعث الإسلامى فى كل مكان فى تونس .. فى الجزائر .. فى المغرب .. فى مصر .. فى تركستان الشرقية (تحت الاحتلال الصينى) فى تركستان الغربية التى تحرر بعضها من الاحتلال الشيوعى .. فى أوروبا الشرقية والغربية .. يبدو ذلك واضحًا فى الانتفاضة الفلسطينية .. يبدو ذلك فى حركة الجهاد الأفغانى التى كلل الله مسعاها بالنصر .

إنّ العملاق خرج من القمقم .. ولن يعود إن شاء الله .. سوف يعيد صُنع الحياة بإذن الله .. ولكن لابد من الجهاد ولابد من شهداء .. ولابد من تضحيات .. ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ بدا ذلك واضحًا فى الشباب المسلم الرافض للنظام العالمى الجديد المنادى بعودة الإسلام نظامًا حياتيًا شاملاً .. الذى يتصدى لرصاص الطغاة فى كافة أرض العالم العربى .. الشباب الرافض لكامب ديفيد .. لمؤتمر مدريد وواشنطن وموسكو .. الرافض للتطبيع .

إنّ الإسلام العملاق قد استيقظ .. وهو يتأهب لقفزة يعيد فيها حكم الله على الأرض .. « قل متى هو قل عسى أن يكون قريبًا » .

إنّ يقظة العملاق وقيامه وانطلاقه للعمل هو الأمل الوحيد بعد الله عز وجل لإجهاض الغزوة اليهودية الصليبية وإسقاط النظام العالمى الجديد ..(١)

إنّ النظام العالمى الجديد مثقل بالأمراض .. فمثلاً فى أمريكا (١٠٪ مصابون بالإيدز ، ١٠٪ مصابات بسرطان الثدى(٥) - نسأل الله العافية ، الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به الكثيرين من

(١) سئل مدير عام ايروسباسيال فى باريس عن القوة المؤهلة للوقوف فى وجه أمريكا فأجاب إن العالم الإسلامى هو القوة الوحيدة المؤهلة للوقوف فى وجه الولايات المتحدة الأمريكية لأنه يملك أيديولوجية تستطيع أن تقف فى وجه الفكر الغربى الأمريكى ، ويملك كل مقومات القوة المادية (الأهرام) .

(٥) ٢٥ مليون أمريكى معرضون للإفلاس وبيع بيوتهم وممتلكاتهم إذا تطلب الأمر عملية جراحية .
٢٠ مليون من الأمريكيات الحاليات تم اغتصابهن ، ٣٠٪ ممن اغتصبن دون الثانية عشرة .
١٥٪ من أطفال البيض غير شرعيين ويتعاظم الرقم إلى ٤٦٪ بين السود .
٤٥٪ من أطفال السود يعيشون فى دائرة الفقر ، مقابل ١٦٪ للبيض .
نصف طلبة الجامعات يتعاطون حاليا المخدرات (الفقر والغوغائية فى أمريكا ، الأهرام ١٩/٥/١٩٩٢) يرجع إلى المقالة التى كتبها محمد المهدى تحت عنوان : « انهارت الامبراطورية السوفيتية .. متى تنهار الامبراطورية الأمريكية ؟ » ، رسالة الجهاد ، العدد ١٠٧ السنة العاشرة ، رجب ١٤٠١ من وفاة الرسول محمد - ﷺ - فبراير ١٩٩٢ .

عباده – مثقل بالديون .. بالتضخم .. انحرافات اجتماعية .. تفرقة عنصرية .. وصدق الله القائل : ﴿ **إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين** ﴾ .. كل ذلك سيؤدى فى النهاية إلى انهياره .

فقد كتب الأستاذ الدكتور حامد ربيع رحمه الله تحت عنوان : « ولم يتعلم الأمريكيون من أخطائهم » يقول : « إن السياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط سوف تنتهى بالفشل الذريع .. إنَّها تسير فى طريق محفوف بالأخطار .. لا يجوز أن يغرينا بريق القوة ورونق الرفاهية ، جوهر السلوك الأمريكى هو عدم الفاعلية ومنطق التحـرك هو عدم القدرة (الأهرام الاقتصادى .. العدد ٧٣٦ .. بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٨٣) .

فما الموقف الذى يجب أن يتخذه العالم الإسلامى والعربى خاصة فى مواجهة ما يسمى النظام الجديد ، فى مواجهة أهدافه واستراتيجيته ومخططاته ؟ وما حكم هذا الموقف فى ضوء عقيدة الإسلام ، وما مدى قدرة وإمكانات العالم الإسلامى (وخاصة العربى) فى التصدى لهذا النظام العالمى الجديد ؟؟ وما العقبات (الأرصاد) التى تعوق هذا العالم الإسلامى فى التصدى لهذا النظام العالمى ؟ وكيف يمكن التصدى لها ؟ وما مدى احتمال نجاحها ؟ والدليل على ذلك ..؟

لقد أدركنا أهداف ما يسمى بالنظام العالمى الجديد وخطورة مخططاته على العالم الإسلامى وخاصة العربى وأنه قد اقترب من تحقيق هدفه النهائى – لولا قدر الله الغالب الذى لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً – وعرضنا للحقائق المجردة ، وهذا تعبير عن الانتقال من موقف الإدراك إلى موقف التعامل ، وهذا لا يكفى لأنه تعامل سلبى .

إذن لابد أن يتحول هذا التعامل إلى حركة لا تقتصر على الكلمة وإنما يتعدى ذلك إلى الفعل إلى السعى .. إلى تغيير الوضع القائم إلى القيام بالدور الذى من أجله خلق الله الأمة المسلمة .

والمسلمون ليسوا مخيرين فى هذا ، فهى فريضة شرعية فى رقابهم وضرورة حياتية ، كما أنها تملك الإمكانيات والقوة .

الخطوة الأولى : التوبة والعودة إلى الله وإفراده وحده بالعبادة والاستسلام له سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة** ﴾ أى الإسلام كله والقيام بالفرائض والوفاء بالعهود ، ومنها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبناء إنسان العقيدة وإعداد ما فى الطوق .

أما الخطوة الثانية والملازمة للخطوة الأولى فهى .. تحرير الولاء والبراء .

تحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ولدين الإسلام .. ﴿ إنمّا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ بمعنى حبهم ودعمهم ونصرتهم ..

وتحرير البراء بمعنى عدم موالاة النظام العالمى الجديد .. وهذا هو الدليل الشرعى .

حينما خلق الله الإنسان ، واستخلفه فى الأرض لعبادته ، وتعميرها بمقتضى المنهج الربانى وضع سبحانه وتعالى له منهجًا وشريعة تضبط علاقاته بأسرته .. وبالمجتمع المحلى والدولى ، وتحدد له أصدقاءه وحقوقهم عليه وحقه عليهم ، وتبين له من هم أعداء البشرية وأحابيلهم ، وطبيعتهم التآمرية على بنى الإنسان .. المتمردة على الخالق سبحانه وتعالى ، وتحذر المسلمين على وجه الخصوص من خطر هذه الفئة من بنى آدم ، وتحدد لهم الحدود التى يجب التعامل فى إطارها . وفى إطار هذا المنهج يتساءل الإنسان ؟؟

من هم أعداء الإنسانية على وجه العموم ، وأعداء الأمة الإسلامية على وجه الخصوص ؟ وما هى الحدود التى يجب على المسلم أن لا يتخطاها فى التعامل معهم ، وما هى النتائج التى يمكن أن تترتب على كسر المسلم لهذه الحدود وتجاهلها ؟

الأعداء (أعداء البشرية وأعداء الأمة الإسلامية) هم أهل الكتاب المحاربون والمشركون والمنافقون أو بعبارة أخرى ، أهل الكتاب والمشركون الأوروبيون المحاربون (الأمريكان والروس والإنجليز والفرنسيون .. الخ) سواء كانوا يهودًا أو نصارى . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ آية ٨٢ سورة المائدة ؛ وأيضًا المنافقون الذين ينتسبون إلى أمة الإسلام فى الظاهر وهم يتآمرون عليها فى الباطن ، ولهذا كان أمر الله .. ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا** ﴾ آية ١١٨ سورة آل عمران ، ولقد نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين اتخاذهم أولياء .. أصدقاء .. أو مستشارين أو نصحاء ..

ويقول الله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادًا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾ آية ١ سورة الممتحنة .

والسبب كما بينه رب العالمين :
﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ آية ٢ سورة الممتحنة .

وبين الله سبحانه وتعالى أعداء الأمة بالاسم فى موضع آخر من القرآن الكريم .. قال تعالى :
﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ آية ٥١ سورة المائدة ، والنص القرآنى هنا واضح وصريح ، ليس شرطا أن يكون المتآمر مع اليهود والنصارى والمحاربين على أمة الإسلام من صلبهم أى يرتبط معهم برابطة النسب ، أو يكون من سلالتهم ، إنما يكفى أن يتخذ من اليهود

والنصارى المحاربين ، أولياء .. أصدقاء .. مستشارين .. نصحاء .. وينفذ مخططاتهم التآمرية على بنى الإنسان وعلى أمة الإسلام ، كى يكون منهم أى من اليهود والنصارى – مرة أخرى – ولو لم يكن من صلبهم وبمعنى أوضح ليس بالضرورة أن يكون بعض الذين أمسكوا بزمام الأمور فى العالم الإسلامى ينتسبون انتسابا فعليا إلى بنى يهود ، إنمّا يكفى أنّهم عاونوا فى تحقيق أهداف بنى يهود – سواء علموا أو لم يعلموا – وأنزلوا بأمتهم الخراب والدمار فى سبيل أمجادهم ومصالحهم الشخصية وزعامتهم .

وفى موضع آخر من القرآن الكريم .. يوجه الله سبحانه وتعالى نظر الأمة المسلمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور ، إن تصبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط** ﴾ سورة آل عمران آيات ١١٨ – ١٢٠ .

وفى هذه الآيات نهى صريح عن اتخاذ المنافقين من أبناء المسلمين ﴿ **الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر** ﴾ بطانة .. أصدقاء .. نصحاء .. مستشارين .. كتبة .. أولياء أمور ... لأنهم يعملون كل ما يوقع الأمة فى المشقة والعنت .. بل ويتآمرون عليها ويسعدون لما ينزل بها من بلاء ، ويحزنون لما يصيبها من نعم الله ..

وفى هذه الآيات بيان أن كيد هؤلاء المنافقين المتآمرين ، يمكن ألا ينجح إذا صبر المسلمون واتقوا والتقوى هنا بمعنى الاستسلام لله رب العالمين ، وإخضاع الحياة لمنهج الله وشريعته .

ونصل من خلال هذا العرض ، إلى أن أعداء الأمة ، أيضا المنافقون الذين استخدمهم الأعداء الأمريكان واليهود ، والإنجليز فى تنفيذ مخططاتهم داخل ديار الإسلام التى تقوم على :

وضع اليد على ديار الإسلام وغصب ثرواتها ومدخراتها ، مع تفتيت وحدتها ، وتدمير بنيتها العقدية والاقتصادية ، والثقافية والتعليمية وحرمانها من العودة إلى إسلامها وخيراتها .

هذا هو هدف اليهود والصليبيين والملحدين أبناء أوروبا ، وهم يستعينون فى تحقيق ذلك بالمنافقين من أبناء المسلمين فى مقابل ضمان الزعامة والشهرة والثراء والمتعة على شريطة أن يكبلوا أمتهم بالأغلال ويحولون بينها وبين التحرر والتصدى للأعداء ، ولو أدى الأمر إلى سفك دمائهم – دماء أبناء الأمة الإسلامية – وإدخالهم السجون والمعتقلات .

ولخطورة هذا الأمر جاء النهى لأمة الإسلام عن طاعة أهل الكتاب المحاربين (ومنهم الأمريكان والإنجليز والفرنسيين والعرب سواء كانوا يهودًا أو نصارى أو ملحدين) .. ﴿ **يا أيها**

الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ آية ١٤٩ سورة آل عمران .

ويعاقب الله الأمة ويوبخها ، ويبين لها أن المخرج من دائرة كيد الأعداء يكمن فى الاعتصام بالله ﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم** ﴾ آية ١٠١ سورة آل عمران .

وتحرير الولاء للمؤمنين : يعنى دعم ومحبة ونصرة كل مسلم على كل شبر من أرض الله ، وذلك يعنى دعم ومحبة ونصرة إخواننا المسلمين على أرض فلسطين المحتلة ، وعلى أرض تركستان الشرقية والغربية وعلى أرض أراكان (بورما) وعلى أرض الهرسك والبوسنة (يوغوسلافيا) وعلى أرض بلغاريا وألبانيا ، وعلى أرض الجزائر وتونس ومصر وعلى أرض ليبيا والعراق ؛ يقول ربنا سبحانه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ ويقول رسول الله محمد – ﷺ – : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » وفى حديث آخر : « **كالبنيان يشد بعضه بعضا** » فإذا تعرض أخ لنا أو أخت لنا فى الإسلام أو تعرض جزء من أرض الإسلام – وحادث الآن – إذا تعرض شبر من ديار الإسلام لعدوان أجنبى – وهو حادث الآن – فالعالم العربى محاصر بالأعداء ، بل ويدوسه الأعداء ؛ فقد أصبح الجهاد متعينا فى رقاب الأمة الأقرب فالأقرب ، وبعبارة صريحة أنَّ الأُمَّة الآن – شرعًا – مطالبة بإحياء فريضة الجهاد والتصدى لعدوان ما يسمى بالنظام العالمى الجديد وأعوانه وضرب مصالحه فى كل مكان ، **ولا يحل لأمة الإسلام أن تقول : إنها مرتبطة بعهود ومواثيق ، نقضها العدو** بتصرفاته ولذا فهى باطلة شرعًا . كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل ، كما علمنا الله سبحانه أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ولا يجوز لأمة الإسلام أن تعطى لكافر عهدًا لأكثر من عشر سنوات لأن ذلك يؤدى إلى إبطال فريضة الجهاد وتعطيلها . يقول الله تعالى : ﴿ **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله** ﴾ التوبة . ولا يعنى ذلك أننّا نغدر بل نتبع قول الله : ﴿ **فإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾ بل إن الخيانة والغدر من جانب النظام العالمى الجديد وأعوانه تعيشها أمتنا منذ نهاية القرن الماضى ومازالت حتى الآن . فما هو **عذرنا** . بل إن **العدو اليهودى وهو أحد أركان هذا النظام قد صرح : لا معاهدات معنا ، وأن خطر الحرب** مازال قائمًا ، وأنهم سيعبرون قناة السويس ولن يقفوا عند حدود ١٩٦٧ .

الإعداد ومع تحرير الولاء والبراء لابد من الإعداد ، الإعداد الروحى ويقوم على تربية الأمة كل الأمة على مفهوم الإسلام الشامل ، بناء إنسان العقيدة ، وإحياء فريضة الجهاد وإعداد العدة المانعة وتحصين الحدود والثغور ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ .

ولنضع فى الاعتبار أن **الصلح مع الله هو الطريق** لأن الله لا ينصر أمة .. تعطل شريعته وحدوده ، لا ينصر أمة تعطل الفرائض ، لا ينصر أمة تحل ما حرم الله ، لا ينصر أمة تنشر المظالم

وتنتهك حرمة الدين وحرمة العرض وحرمة المال وحرمة الإنسان وحرمة العقل ، إن الله لا ينصر أمة تعطى ولاءها للكافرين وتحارب الإسلام والمسلمين ، أو تقف سلبية حيال دين الله المعطل ، ودعوة الإسلام المطاردة ، **إن الله لا ينصر أمة أعرضت عن المعالى وتربى شبابها على الرقص والفجور** ، إن الله لا ينصر أمة زمامها الثقافى والتعليمى والإعلامى والعسكرى والاقتصادى بيد أعدائها إن الله لا ينصر أمة تحب الحياة على الشهادة ولو كانت ذليلة ، لا تفرق فيها بين الحلال والحرام . تستحل الربا وتستحل الزنا وتستحل السرقة وتستحل القتل ومن هنا تأتى أهمية الصلح مع الله .

ثم يأتى الهجوم والمباغتة للعدو يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون** ﴾ أى ضرب العدو الضربة الأولى ، لقد تبين لنا عبر السنوات الماضية أنّ انتظار الضربة الأولى قد أدى إلى هزيمتنا وضياع ديارنا ومقدساتنا . ولابد أيضًا من حشد طاقات الأمة وإمكاناتها على جميع الجهات مع العدو سواء داخل الأرض المحتلة وخارجها بل وداخل ديار الإسلام لأن العدو الآن فى مواقع حساسة من جسد الأمة المسلمة .

ونحذر الفرقة ، ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا** ﴾ . ولابد من ضرب العدو فى مقتل ، ومقتل العدو مصالحه فى بلادنا ، بمعنى وقف ضخ البترول وبقية المواد الخام التى يحتاجها ما يسمى النظام العالمى الجديد ويكون الضخ للذين يقفون مع أمتنا فى معركتها المصيرية .

تصفية القواعد العسكرية الأجنبية أو القوات الدولية الموجودة فى جزيرة العرب أو منطقة الخليج أو فى مصر أو فى أى بلد من بلاد المسلمين ، ومنع المياه والطعام عن الأساطيل الأجنبية فى البحرين الأبيض والأحمر وتصفيتها (من خلال الضفادع البشرية مثلاً) غلق المضايق البحرية لحصار وخنق العدو ، **فإغلاق قناة السويس ومضيق باب المندب يمكن أن يخنق قوات العدو ويصيبه** بالشلل بل وينهى كون القناة معبرًا مائيًا يصعب على قواتنا عبوره ، لأن المعركة معركة مصيرية . ولابد وأن يقترن ذلك أيضًا بضرب مؤسسات العدو الدبلوماسية والثقافية والاقتصادية فى بلاد المسلمين وما أكثرها مع تطهير مؤسسات الدولة التعليمية والثقافية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية من الوجود الأجنبى الذى يخدم العدو . ولابد أن يقترن ذلك أيضًا بإطلاق حرية المواطن فى إحياء الأرض الموات وزراعة المحاصيل الغذائية لنستغنى عن عدونا وهذا متحقق بإذن الله لأن الأرض صالحة والماء متوافر واليد العاملة كثيرة مع الحذر من الطابور الخامس الذى يتواجد فى مواقع كثيرة من جسد الأمة (الطابور الخامس ، إسلام أبو عبد الله ، وكذلك الأصابع الخفية لنفس المؤلف) لأنه يمكن أن يفجّر ما يسمى بالفتن الطائفية . مع تحذير الأقليات غير الإسلامية من التجاوب مع مخططات العدو لأن ذلك يشكل خطرًا على مصالحهم ولهم فيما حدث فى لبنان نذير ، وللثلاث عشر قرنًا من الزمان التى عاشوها فى ظل دولة الإسلام آمنين على دينهم وأعراضهم وأموالهم تذكرة ومانع من الاندفاع وراء سراب العدو الخادع ، كما أن الأمر يستلزم التنسيق مع كافّة **الجهات العربية والإسلامية ودعم الانتفاضة الفلسطينية وفتح كافة الجبهات مع أعداء الله فى الأرض لتشتيت قواته وتفتيتها .**

ما الذى يعاون العدو فى نجاح مخططاته ، وهل نجاحه يرجع لقوة وإحكام فى تخطيطه أم لضعف أهل الحق وهل سيستمر نجاحه على هذا النحو ؟ أم أنّه لابد لذلك من نهاية ؟ يقول الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ آية ٣٠ سورة الشورى . ويقول سبحانه : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ أى أن هؤلاء المحاربين لله ورسوله ولدينه والمؤمنين معاقبون بالذلة والهوان ولا يقوون ولا يمكنون إلا بسبب ما يقدمه المؤمنون المسلمون لهم من أسباب القوة فأعداؤنا يتقوون ببترولنا ، بثرواتنا ، بأموالنا الموضوعة فى بنوكهم ، بأموالنا التى تذهب إلى بيوتات الموضة اليهودية . إن العدو يعز بأيدى الذين ينتسبون إلى الإسلام حينما يستعينون به ويسمحون له أن يستثمر أمواله داخل ديار الإسلام حينما يعهدون إليه بتطوير اقتصادهم وجيوشهم وتعليمهم .. ماذا يفعل العدو حينما يمكن من جسد الأمة وأرواحها وثرواتها إنّه يدمر ويستفيد هو ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون ﴾ ويوم يقطع هذا الحبل سيذل العدو ، حينما تستيقظ الأمة وتوقف دعمها لعدوها ، حينذاك سينهار العدو ، يقول رب العالمين : ﴿ وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ التوبة ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ إن الله لم يجعل للباطل إحكامًا فى تدبيره ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ ﴿ ذلك وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾

كلمة أخيرة فى هذه المسألة يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ودولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة . إن نجاح العدو موقوت وهو من سنن الله لأن فترة نجاح العدو وتسلطه على الأمة هى فترة ابتلاء وتربية للأمة وإعداد لها لتولى مسئوليتها على مستوى العالم لأنها الأمة الوسط ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ . وهى فترة موقوتة كما أن العدو فى حياته وعقيدته وسلوكه وتصرفاته وحماقاته يسعى إلى تدمير نفسه ، فهو ظالم لنفسه لأنه يشرك بالله وهو ظالم للإنسانية ، والظلم يؤدّى إلى دمار الأمم ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾ وهو محارب لله ورسوله والمؤمنين ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ ولكن متى « عسى أن يكون قريباً » ، « إن الله لا يعجل لعجلة أحدكم » ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ ويقول رسول الله – ﷺ – : « إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إنّ أخذه أليم شديد ﴾ .

بقيت كلمة ، الله سبحانه وتعالى قادر على أن يدمر الباطل ولكن يريد أن يتم ذلك بأيدى المؤمنين ﴿ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾ ويقول الله سبحانه: ﴿بل نقذف

بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ إذن العمل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ولكن دون ذلك عقبات : ضعف الإيمان فى القلوب المسلمة ؛ حب الدنيا وكراهية الموت ، الخلل الذى أصاب دولاب الحياة التعليمية والتربوية والاقتصادية والسياسية ؛ تغلل العدو وطابوره الخامس والمنافقون فى حنايا الأمة ؛ تعطيل الفرائض وخاصة الشريعة والحدود والجهاد فى سبيل الله ؛ عدم وحدة العمل الإسلامى (بل إن بعض فصائله متناحرة إلى حد التقاتل) ، وعدم وحدة الأمة الإسلامية (وخاصة العربية) .

والحل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول عليكم شهيدًا وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ .

وحدة العمل الإسلامى والأمة الإسلامية والحذر من الفرقة ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد ذروة سنام الإسلام ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ثم يأتى بيان ربانى ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾ لله وليس لأمريكا ولا لليهود ولا للمنافقين ؛ وإن المصير فى النهاية إليه فأمّا من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

وأخيراً لقد تعلمنا فى مدرسة الإسلام : اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن تؤجروا بعلمكم حتى تعملوا ، والعلم يهتف بالعمل وإلا ارتحل ؛ والعمل لابد وأن يتوفر فيه شرطان : النية والإخلاص وأن يكون صوابًا حتى يقبله رب العالمين ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فإن لم تفعل ؛ يقول رب العالمين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتَّد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ إن لم نفعل يقول رب العالمين : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينا . إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ النساء ، ويقول سبحانه : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا ﴾ النساء .



الفصل الثالث عشر

فتاوى علماء الإسلام
منذ عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٨٩
بشأن فلسطين

* **لا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أى وجه يمكن لليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة .**
* **الجهاد هو السبيل لتحرير فلسطين .**
* **لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين .**
* **إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التى وكل إلى المسلمين المحافظة عليها .**

أولا :

نداء علماء الأزهر سنة ١٩٤٧ إلى أبناء العروبة والإسلام
بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى :

بعد قرار تقسيم فلسطين الذى وافقت عليه الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ والذى يقضى بإقامة دولة يهودية وأخرى فلسطينية على أرض فلسطين ، قام علماء الأزهر الشريف بتوجيه ندائهم إلى أبناء العروبة والإسلام بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين وحماية المسجد الأقصى وفيما يلى نص النداء :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين .. قضى الأمر ، وتألبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين ، وفيها المسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه .

قضى الأمر ، وتبين لكم أن الباطل مازال فى غلوائه ، وأن الهوى ما فتىء على العقول مسيطرًا ، وأن الميثاق الذى زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف ، ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التى يريدون أن يرهقونا بها فى بلادنا ، وأن يجثموا بها على صدورنا ، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها فى الدين واللغة والشعور .

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه ، وهو قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة ، ففلسطين ملك العرب والمسلمين ، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية ، وستبقى إن شاء الله ملك العرب والمسلمين رغم تحالف المبطلين ، وليس لأحد كائنا من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها .

وإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى ، وردوا البغى على أعقابه مقلم الأظافر محطم الأسنة ، فإن فى السويداء اليوم رجالاً وفى الشرى أسادًا ، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ .

يا أبناء العروبة والإسلام :

لقد أعذرتم من قبل ، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا حتى تبين للناس وجه الحق سافرًا ، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها ، فعميت عنه العيون ، وصمت الآذان والتوت الأعناق ، فإذا بكم تقفون فى هيئة الأمم وحدكم ، ومدعو نصرة العدالة يتسللون عنكم لواذا بين مستهين بكم ، وممالئ لأعدائكم ومتستر بالصمت متصنع للحياد ، فإذا كنتم قد استنفدتم بذلك جهاد الحجة والبيان ، فإن وراء هذا الجهاد الإنقاذ لحق وحمايته جهادًا سبيله مشرزعة ، وكلمته مسموعة ، تدفعون به عن كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم ، فذودوا عن الحمى ، وادفعوا الذئاب عن العرين ، وجاهدوا فى الله حق جهاده .

﴿ **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ .

﴿ **الذين ءامنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا** ﴾ .

يا أبناء العروبة والإسلام :

خذوا حذركم فانفروا ثباتًا أو انفروا جميعا ، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين ، أو قبلوا الذل صاغرين .

إن الخطب جلل ، وإن هذا اليوم الفصل وما هو بالهزل ، فليبذل كل عربى وكل مسلم فى أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يرد عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين .

سدوا عليهم السبل ، واقعدوا لهم كل مرصد ، وقاطعوهم فى تجارتهم ومعاملاتهم ، وأعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد ، وقوموا بفرض الله عليكم ، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله ، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم .

﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم**

الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ .

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم . فها هو ذا وقت البذل والتسليم ، وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم ، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة ، وذودكم عن الحق ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم ، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم إن الله لا يحب المعتدين ولتتجاوب الأصداء فى كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين :

الجهاد ، الجهاد ، الجهاد ، والله معكم .

وقد وقع على الفتوى كل من فضيلة :

الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية ، الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل شيخ الأزهر ، الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية السابق ، الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، الشيخ الحسينى سلطان شيخ كلية أصول الدين ، الشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة ، الشيخ محمد الجهنى شيخ معهد القاهرة ، الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ القسم العام ، الشيخ محمد الغمراوى المفتش بالأزهر ، الشيخ إبراهيم حمروش ، الشيخ محمود شلتوت ، الشيخ إبراهيم الجبالى ، الشيخ محمد الشربينى ، الشيخ محمد العتريس ، الشيخ محمد عرابة ، الشيخ حامد محيسن ، الشيخ عبد الفتاح العنانى ، الشيخ محمد عرفة ، الشيخ فرغلى الريدى ، الشيخ أحمد حميدة ، الشيخ محمد أبو شوشة ، الشيخ على المعداوى ، الشيخ عبد الرحمن عليش ، أعضاء جماعة كبار العلماء وكثير غير هؤلاء من العلماء والمدرسين فى الكليات والمعاهد الأزهرية فى القاهرة والأقاليم المصرية .

ثانيا : فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتحريم الصلح مع الكيان الإسرائيلى ووجوب الجهاد:

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦ م) برئاسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقًا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقًا (الشافعى المذهب) والشيخ محمد **شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) والشيخ محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكى المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلى المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى .**

ونظرت فى الاستفتاء الآتى وأصدرت فتواها التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية فى إبرام الصلح مع إسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها وأخرجتهم من ديارهم وشردتهم نساء وأطفالاً وشيبا وشبانا فى آفاق الأرض واستلبت أموالهم واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم وأمدتها بالعون السياسى والمادى لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامى بين دول الإسلام ، وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار والتى فى مراميها تمكين إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها وفى ذلك تركيز لكيانها وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ويزيد فى تهديدها لهم ويهيىء للقضاء عليهم .

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل – كما يريده الداعون إليه – لا يجوز شرعًا لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه . وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : « **من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد** » وفى حديث آخر : « **على اليد ما أخذت حتى ترد** » . **فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدى هؤلاء الغاصبين وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين** . قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ **ومن قصر فى ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القطر العربى الإسلامى فهو – فى حكم الإسلام – مفارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعلم الناس جميعًا أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن ، وأنهم يعتزمون أن لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وإنما تمت خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهر النيل والفرات . وإذا كان المسلمون**

جميعًا – فى الوضع الإسلامى – وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام فإن الواجب شرعًا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين . قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ الذين ءامنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفًا ﴾ .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية وتمدها بالمال والعتاد وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار فهو غير جائز شرعًا ، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره قال تعالى : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

وقد جمع الله ـ سبحانه ـ فى آية واحدة جميع ما تخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها إمدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوة – سرًا وعلانية – مباشرة وغير مباشرة . وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات . ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التى تدعو إليها الدول الاستعمارية وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ابتغاء الفتنة وتفريق الكلمة والتمكين لها فى البلاد الإسلامية والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها لا يجوز لأى دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية فى الإسلام وأهله وسعيا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالا المنهى عنها شرعا والتى قال الله تعالى فيها : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : ﴿ فترى الذين فى

قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التى يراد بها ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الأرض حتى تعيش كدولة تناوىء العرب والإسلام فى أعز دياره . وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين فى أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ويقفوا صفا واحدًا فى الدفاع عن حوزة الإسلام وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها فقد ارتكب إثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول - ﷺ - ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليه من ديارهم وحالوا بينه وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدى المعتدين وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون ، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحى القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يده مكة ، وقد كانت معقل المشركين فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لابد من رعايته وهو أن مكة كان بلدًا مشتركًا بين المؤمنين والمشركين ، ووطنًا لهم أجمعين بخلاف أرض فلسطين فإنها ملك للمسلمين وليس لليهود فيها حكم ولا دولة . ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين فأمر سبحانه وتعالى نبيه - ﷺ - بقتال المعتدين قال تعالى : ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾ .

والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ ومن مبادىء الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد . وإذا كانت إزالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب وألزم . فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الشرائع السماوية كلها وهى احترام المساجد وأماكن العبادة وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** ﴾ .

أما بعد فهذا هو حكم الإسلام فى قضية فلسطين وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها . وفى واجب

المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف . وتهيب المسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين . وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة وأن يقدموا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين وتدبير الكائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة فى ذلك ، إعزازًا لدينهم القويم .

ثالثا : فتوى علماء المؤتمر الدولى الإسلامى فى باكستان عام ١٣٨٨هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أما بعد ، فقد اطلعنا على الاستفتاء المقدم إلينا عن حكم الشريعة الإسلامية فى إبرام الصلح مع هؤلاء الذين اغتصبوا فلسطين وبعض الأراضى المصرية والسورية وشردوا أهلها المسلمين واستلبوا أملاكهم واقترفوا أفظع الآثام من قتل وسلب وتعذيب للمسلمين واحتلوا مدينة القدس وما فيها من أماكن مقدسة إسلامية وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك ، القبلة الأولى ومكان الإسراء والمعراج للرسول الأعظم – ﷺ – ، وهدموا بعض الأماكن الإسلامية بما فيها من مساجد ومدارس وبيوت وكلها أوقاف إسلامية ، وصرحوا بمطامعهم الخطيرة فى المسجد الأقصى وشرعوا بالحفر تحته تمهيدًا للاستيلاء عليه ، كما صرحوا بمطامعهم فى الأماكن المقدسة الأخرى .

فجوابا على ذلك نقرر : **أن الصلح مع هؤلاء المحاربين لا يجوز شرعًا ، لما فيه من إقرار الغاصب على غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود المعتدين ، لأن ذلك يمكنهم من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب على المسلمين جميعًا أن يبذلوا قصارى جهودهم لتحرير هذه البلاد وإنقاذ المسجد الأقصى وسائر المقدسات الإسلامية من أيدى الغاصبين ، ونهيب بالمسلمين كافة أن يعتصموا بحبل الله المتين وأن يقدموا بما يحقق العزة والكرامة للإسلام والمسلمين .**

رابعا : فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين (عام ١٤٠٦هـ) :

وفى عام ١٤٠٦هـ أصدرت مجموعة من صفوة علماء العالم الإسلامى فتوى بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين وفيما يلى نص الفتوى :

الحمد لله الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والصلاة والسلام على من أسرى به إلى الأرض المبارك فيها للعالمين ، قبلة المسلمين الأولى وأرض الأنبياء ومهبط الرسالات وأرض الجهاد والرباط إلى يوم الدين ، وعلى آله الأخيار وصحبه الذين عطروا بدمائهم الزكية تلك الأرض الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام ، ورفعوا فيها رايته خفاقة عالية ، وطردوا منها أعداءه الذين دنسوا قدسه بالشرك والكفر وعلى الذين ورثوا هذه الديار فحافظوا على ميراث المسلمين ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم وبعد :

فإن مهمة علماء المسلمين وأهل الرأى فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين ، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل وادلهمت عليهم الخطوب .

ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين فى هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اغتصبوا فلسطين ، واعتدوا على حرمات المسلمين فيها وشردوا أهلها ، ودنسوا مقدساتها ، ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين ، وينهوا وجودهم ويتسلطوا عليهم فى كل مكان .

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق فى بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين ، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين ، وليس لشخص أو جهة أن تقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أى جزء منها أو تعترف لهم بأى حق فيها .

إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التى وكل إلى المسلمين المحافظة عليها ، والله يقول : ﴿ يأأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ ، وأى خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين ، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين .

إننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية وستبقى إسلامية وسيحررها أبطال الإسلام من دنس اليهود كما حررها الفاتح صلاح الدين من دنس الصليبيين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقد وقع على الفتوى ٦٣ عالمًا من ثمانى عشرة دولة .

الفصل الرابع عشر

الأدلة على أن الطريق
لتحرير بيت المقدس بل وأرض الإسلام كلها ، هو :
بناء إنسان العقيدة وإحياء فريضة الجهاد
وهو الطريق الذى تسير فيه
حركة المقاومة الإسلامية بقيادة حماس
وحركة الجهاد الأفغانى

الدليل الأول :

الوثائق : آيات ٢٠ – ٢٩ سورة المائدة ، آيــة ٥٨ سورة البقرة ، حديث النبى محمد – ﷺ – **« قوم جبارون يغتصبون بيت المقدس »** .

المسلمون يحيون فريضة الجهاد لتحريرها وإقامة حكم الإسلام على أرضها :

تعرضت بيت المقدس لغزوة من قبل قوم سماهم القرآن الكريم ، قومًا جبارين – لعلهم الحيثيون – وكان ذلك فى وقت يعتلى فيه عرش مصر أعتى ملوك الأرض فى زمانه – لعله رمسيس الثانى – وكان معاصرًا لميلاد وبعثة موسى عليه السلام فى أهل مصر ، وفزع شعب مصر لوقوع بيت المقدس – وهى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين – فى يد الأعداء ، ولأن سقوط بيت المقدس كان نذيرًا بسقوط مصر وغيرها من البلاد فى قبضة الأعداء ؛ وفزع أيضًا ، فرعون مصر ، لأن أمر زعامته للمنطقة بات فى خطر .

ولهذا فقد أعلن فرعون مصر النفير العام ، وخرج هو وقواته حمية وشجاعة ، ليلاقوا قوات الاحتلال الحيثى فى موقعة قادش ؛ وهزم فرعون مصر فى مواجهة الحيثيين ، وما كان له أن ينتصر ، لأنه أشرك بالله وادَّعى الألوهية ﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾ ، وادعى الربوبية .. ﴿ **فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ (آيات ٢٣، ٢٤ سورة النازعات) وادعى ملكية رقاب العباد والبلاد .. ﴿ **أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى** ﴾ (آية ٥١ سورة الزخرف) ونشر الرعب والفزع فى أرجاء البلاد ، ووكل بالنساء الحوامل قوابل يحصين عليهن حملهن ، وجعل أهل البلاد شيعا فى تحقيق مآربه ، يتجسس كل منهم على الآخر ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم**﴾ (سورة القصص آية ٤ . وطارد الدعوة إلى الله ، وأغلق المساجد(١) .

إذن كان من الطبيعى أن ينهزم فرعون مصر ويهزم جيشه فى قادش ، ورجع فرعون مصر ، وبدلاً من أن يراجع نفسه وأمته ويعترف بذنبه وهزيمته ويتوب إلى ربه ، ويعلن إسلامه لله رب العالمين ، ويرفع راية الجهاد لتحرير بيت المقدس وأرض الشام كلها ، إذا به يكذب على أمته ويزعم أنه انتصر على الحيثيين(٢) . ورزق الفرعون أجهزة إعلام مضللة ، دونت النصر المزعوم على جدران معبد رمسيس الثانى ، ولكن يشاء الله أن يفتضح كذبه نتيجة نشر المعاهدة التى وقعها مع ملك الحيثيين .

---

(١) موسى عليه السلام رسولاً من أولى العزم ، كان مسلما وإلى الإسلام يدعو ، « وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » أى أنه لم يكن يهوديا ولم يدع إلى يهودية .

(٢) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، تاريخ الأمة المسلمة الواحدة ، د. جمال عبد الهادى محمد ، د. وفاء محمد رفعت ط ١ ، القاهرة ١٤١١/١٩٩١م ٣٤٦ ، هامش ٢ ، حضارة مصر الفرعونية أ.د. أحمد فخرى ، صفحة ٣٠٣ .

وما حدث فى الماضى البعيد ، حدث فى الماضى القريب ، فحينما زحف اليهود على سيناء وعلى خليج العقبة وكسروا الحصار المضروب عليهم ، وفتحوا لأنفسهم طريقا عبر مضايق ثيران ، وانسحبت القوات المصرية ،=

وفى المقابل كان المسلمون من شعب مصر مع موسى عليه السلام يضحون لاغتصاب بيت المقدس ، الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، ويدركون أنه واجب فى رقابهم تحريرها وإقامة حكم الله عليها ، ولكن أنّى لهم ذلك ، وقد تعهد فرعون مصر بحفظ ظهر الحيثيين (لأنّه وقع معهم معاهدة سلام يقرهم على ما تحت أيديهم من الديار) .. وضرب ظهر أبناء مصر المسلمة لمصلحة العدو ومطاردة الدعوة الإسلامية وأصحابها وإغلاق المساجد (ولهذا أمر موسى عليه السلام أصحابه أن يتخذوا بيوتهم مساجد : ﴿ **اجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ (آية ٨٧ سورة يونس) .

وكانت الجماعة المسلمة بقيادة موسى عليه السلام ، تشكو إليه ، ظلم الفرعون الذى عطل فرائض الإسلام ، وشريعته . فكان يقول لهم : ﴿ **استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ (آية ١٢٨ سورة الأعراف) ﴿**عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم**﴾ (آية ١٢٩ سورة الأعراف) وجاء وعد الله ليغرق فرعون وجنده ، فينتهى بذلك حكم أهل الشرك لمصر .. ﴿ **فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾ (آية ١٣٦ سورة الأعراف) ويمكن سبحانه وتعالى للحق وأهله .. ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها** ﴾ (آية ١٣٧ سورة الأعراف) .

وللتمكين تبعات .. ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ ولهذا فقد قام موسى عليه السلام بحض إخوانه على الجهاد لتحرير بيت المقدس ، وقاد الجماعة المسلمة التى لم تكتمل تربيتها الإيمانية بعد ، باتجاه المسجد الأقصى ؛ ووقف فيهم خطيبا – وقد حفظ لنا هذا المشهد رب العالمين سبحانه فى سورة المائدة – يذكرهم بنعم الله عليهم وأن مقتضيات شكر النعمة ، معرفة حق المنعم سبحانه وتعالى ، والقيام بالفرائض فإذا غلب عدو على أرض الإسلام ، فقد أصبح لزامًا على الأمة إحياء فريضة الجهاد لتحرير الأرض المغتصبة ودحر قوى العدو وتحرير الأمة من قبضته ، وإقامة حكم الإسلام مرة أخرى .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ ثم طالبهم قائدهم عليه السلام بدخول الأرض المقدسة .. (فلسطين المسجد الأقصى .. بيت المقدس) لتحريرها ممن غلب عليها ، وحذّرهم من النكوص عن القيام بهذا الواجب وإلا تعرضوا للخسران فى الدنيا والآخرة .. ﴿ **ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم**

= وحلت قوات دولية محلها ، وضرب سلاح الطيران المصرى ، كان زعيم مصر جمال عبد الناصر يزعم أننا انتصرنا ، بل إن الأمة كانت تحتفل بهذا النصر المزعوم !! أحلام اليقظة !!

والتحذير من تعطيل فريضة الجهاد نلمحه فى قول الله تعالى : ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ آية ٤١ التوبة .. ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم** ﴾ آية ٣٩ سورة التوبة .

ويقول محمد – ﷺ – : « **إذا تبايعتم بالعينة وتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم جهادكم سلّط الله عليكم ذُلّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم** » .

ولا ترتدُّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ .. أى يا مسلمين ادخلوا أرض بيت المقدس التى كتب الله عليكم دخولها وسكناها وإقامة حكم الله عليها واحذروا تعطيل فريضة الجهاد فيعاقبكم الله بالخسارة فى الدنيا والآخرة » .

ولكن الجيل الجبان الذى ينتسب إلى الإسلام ولم تكتمل تربيته الإيمانية بعد ، وعاش فى عهود الطغيان الفرعونى مستباح الحمى ، وقد عطلت الفرائض ، تأصل فيه طبع الجبن ولهذا كان الرد مُحزنا : **﴿ قالوا يا موسى إنّ فيها قوما جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون ﴾** وهذه هى كلمة الجيل الجبان المعاصر (ويخرج من هذه الدائرة الشباب المسلم فى أرجاء العالم الإسلامى والذى يتوق إلى الجهاد) : لن نستطيع أن نحرر بيت المقدس لأن فيها اليهود والأمريكان وأعوانهم » ؛ ... لقد عطلوا فريضة الجهاد .

ماذا فعل موسى عليه السلام ، فى مواجهة الأمة التى تُعَطِّل فريضة الجهاد .. التى أصبحت غثاء كغثاء السيل .. **﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنّكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾** (آية ٢٣ سورة المائدة) .. أى أن مقومات النصر ، الاستسلام لله رب العالمين .. الدخول فى الإسلام كله .. « وإعداد العدة (ما فى الطوق فقط) ثم التوكل على الله ومجاهدة الأعداء .. ولكن الجيل الجبان هو هو لا يتغير .. **﴿ قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون ﴾** (آية ٢٤ سورة المائدة) ، نفس الكلمة التى تتردد فى عالمنا المعاصر .. « اللى عاوز يحرر فلسطين يروح يحررها » . ولكن أنَّى للأمة أن تخرج لتحرير المقدسات ، وأبناؤها وإخوانها على استعداد لضرب ظهورها قبل أن يخطوا خطوة واحدة باتجاه الأرض التى يغتصبها الأعداء .

ماذا يفعل موسى عليه السلام قائد الجماعة المسلمة ؟.. قائد الدعوة الإسلامية ، وقد خذلته أمته بأكملها ؟ **﴿ قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾** .. إنها قضية الولاء والبراء لابد من المفاصلة ، لابد من البراءة من القاعدين الناكصين عن القيام بفرائض الإسلام ، لابد من البراءة ممن أعطوا ولاءهم لأعداء الأمة ، لابد من البراءة من الذين سلموا للعدو بأنه صاحب الأرض المقدس وأنّه له الحق فى أن يحيا فى حماية أبناء الأمة الذين ينتسبون إلى الإسلام .. لابد من البراءة من الجيل الجبان .. الجيل الذى عطل شرائع الله .. الجيل الذى قبل أن تُنتهك الأرض الإسلامية والأعراض الإسلامية لابد من البراءة من الجيل الذى يرى إخوانه يقتلون ويشردون ويعتقلون .. لابد من البراءة من الجيل الجبان الذى يرى النساء يُرملن والحوامل يجهضن وهو لا يحرك ساكنا.. «لابد من البراء من هذا الجيل .. » **﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾** (آية ٢٥ سورة المائدة) .

وكان العقاب الربانى للناكصين عن أداء فريضة الجهاد .. **﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ، فلا تأس على القوم الكافرين ﴾** (آية ٢٦ سورة المائدة) العقوبة هى التيه .. لقد كتب الله التيه على الجيل الجبان .. وهى نفس العقوبة التى ضربت بها الأمة فى وقتنا المعاصر .. الأمة تائهة وليست نائمة أو منومة أو مخدرة .. الأمة تائهة عقابا لها من الله لأنّها رفضت

إحياء فريضة الجهاد لتحرير فلسطين وكل مقدسات وديار الإسلام ، وذلك جزاء وفاقا على الارتداد عن أداء الفريضة ﴿ **ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ (آية ٢١ سورة المائدة) .

وظل المغتصبون لأرض القدس جاثمين على الأرض المقدسة التى أمر الله أمة الإسلام دخولها وسكناها حتى هلك الجيل الجبان ، بعد حياة التيه الحافلة بالضياع .. وولد الجيل المجاهد الذى وعى الدرس ، وتربى على الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والدين الإسلامى ، وتربى على مقاومة الترف والعزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، وتربى على استشعار العزة الإسلامية ، وإعداد ما فى الطوق امتثالاً لأمر الله ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ (آية ٦٠ سورة الأنفال) .

وقيض الله لهذا الجيل المجاهد قائدًا ربانيًا لعله « يوشع بن نون » الذى استشعر واجبه وواجب الأمة المسلمة تجاه بيت المقدس ، فاستنفر قومه باتجاهها ؛ وفى نفس الوقت كان حريصا على أن يستبعد من صف المجاهدين الرجال الذين غلب عليهم حب الدنيا .. لأن حب الدنيا وكراهية الموت تضعف الروح المعنوية للجند .

وقف القائد خطيبا قائلاً : « **لا يتبعنى منكم رجل ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها** »[1] .

ووصل المجاهدون على أبواب بيت المقدس حين وقت العصر ، وخشوا أن يدخل الغروب قبل إتمام الفتح ، فرفع القائد يديه إلى السماء مخاطبا الشمس .. « إنّك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا »[2] ... الشمس مأمورة بأن تشرق وتغرب ، ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ (آية ٣٨ سورة يس) وهو مأمور بالجهاد ودخول بيت المقدس لتطهيره ممن غلب عليه .. ﴿ **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** ﴾ (آية ٥٨ سورة البقرة) .

لقد دعا القائد المسلم ربّه : « اللهم احبسها علينا » فحسبت حتى فتح الله عليه[3] .
وحبست الشمس ودخل المجاهدون إلى بيت المقدس وطهّروها من قوم جبارين قد غلبوا عليها ، وتحررت القدس وتحرر المسجد الأقصى وتحررت فلسطين .

من الذين حرروها ؟؟ إنهم المجاهدون المسلمون .. كيف ؟.. بإحياء فريضة الجهاد فى سبيل الله .. لماذا ..؟ لأن أرض القدس .. فلسطين .. سورية .. هى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ..

---

(١) فقرة من حديث رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده ، وصحيح الجامع الصغير صفحة ١٩٧٢/٤٠٢٩ .
(٢) نفس الحديث .
(٣) نفس الحديث .

هى الأرض المقدسة .. هى وقف إسلامى .. ولهذا فقد أوجب الله على أمة الإسلام تحريرها وإقامة حكم الله عليها .

الدليل الثانى أيضا من كلام رب العالمين :

الوثائق : سورة البقرة آيات ٢٤٦ - ٢٥٢ وآيات أخر وحديث النبى محمد - ﷺ - :

وظل بيت المقدس فى أيدى المسلمين .. إلى أن غلب عليها عدو آخر للإسلام والمسلمين هو جالوت وجنوده ، وشاء الله أن يقيض لهذه النكبة رجالاً مسلمين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. هؤلاء الرجال هم العلماء المسلمين من أبناء يعقوب (إسرائيل عليه السلام)[1] الذين تعلموا فى مدرسة الإسلام ..

إن مقتضيات التوحيد : إذًا غلب على ديار الإسلام عدو فقد أصبح الجهاد مفروضا فى حق الأمة لإنهاء العدوان وتحرير الديار ، وتحقيق الأمن لأهلها ، ولهذا توجه هؤلاء الرجال إلى نبيهم وطلبوا منه تعيين قائد ربانى يقود جموعهم لتحرير بيت المقدس .. ﴿ **ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله** ﴾ (آية ٢٤٦ سورة البقرة) ﴿ **قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألّا تقاتلوا قالوا وما لنا ألّا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا** ﴾ (آية ٢٤٦ سورة البقرة) أى ماذا ننتظر بعد أن اغتصب العدو الديار وأباد وشرد أهلها .. ﴿ **فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** ﴾ .

وقيض الله للصف المسلم قائدًا ربانيًا هو طالوت ، الذى زاده الله بسطة فى العلم والجسم .. وتعلم فى مدرسة الإسلام أن بيت المقدس جزء من ديار الإسلام ، وأنّها الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وأنّها الأرض المقدسة التى كتب الله على المسلمين دخولها وسكناها ، وإلى مسجدها الأقصى تشد الرحال ، وأن تحريرها لن يتحقق بالمفاوضات ولا المؤتمرات ، وإنّما يتحرر بالجهاد ، ولهذا كان حريصا على تنقية صف المقاتلين من الرجال الذين لا يستطيعون تحمل تبعات الجهاد ، ولهذا فإنه قد خاض بهم تجربة مثيرة .. لقد سار بهم مسافات طويلة حتى بلغ العطش منهم مبلغا ، فلما اقتربوا من الماء قال لهم القائد : ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنّه منى إلّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم** ﴾ (آية ٢٤٩ سورة البقرة) إن الجهاد يتطلب من الإنسان أن يجوع وأن يظمأ ، فإن لم يكن متعودًا على ذلك فإنّه لا يستطيع أن

---

(١) وإسرائيل عليه السلام نبى مسلم ، لا علاقة له بدولة اليهود التى اغتصبت فلسطين وانتحلت اسم إسرائيل (يعقوب عليه السلام) ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ آية١٣٣سورة البقرة .. واليهود كفار ، والكافر لا يرث مسلما حتى ولو كان من صلبه ومن ظهره ..
﴿ **إنه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح** ﴾ آية ٤٦ سورة هود وذلك يعنى أن اليهود زوروا التاريخ لخدمة مخططاتهم حينما زعموا أنّهم من أبناء إسرائيل عليه السلام وهو يبرأ إلى الله من اليهود الكفار فى الدنيا والآخرة .

يجاهد جهادًا حقيقيا ، والذين يصبرون دواما قلة.. وواصل الذين ثبتوا على الطريق – ونجحوا فى الاختبارات التى تعرضوا لها بقيادة طالوت عليه السلام – السير باتجاه بيت المقدس والذكرى

وهناك تصدى لهم جالوت وجنوده ، وكانوا كثرة فى العدد ، وكثرة فى العدة ، وحينما نظر المسلمون المجاهدون إليه قالوا : ﴿ **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** ﴾ (آية ٢٤٩ سورة البقرة) نفس الكلمة التى يرددها قطاع ضخم من أبناء الأمة .. لا طاقة لنا باليهود وأمريكا والسلاح النووى .

وهنا انبرى لهم إخوانهم .. ﴿ **قال الذين يظنون أنّهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾.. لقد ذكرهم إخوانهم – والذكرى تنفع المؤمنين– فثبتوا وتوجهوا بالدعاء إلى الجهة التى تملك النصر .. ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ .. وكانت الإجابة من رب العالمين .. لقد نصرهم على عدوه وعدوهم .. ﴿ **فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ (آية ٢٥١ سورة البقرة) .

يقول التفسير : وداود (النبى المسلم) كان فتى صغيرًا من بنى إسرائيل (النبى المسلم) وجالوت كان قائدًا قويا ، وقائدًا مخوفا ، وقد أراد أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير ليرى الناس أن الجبابرة الذين يرهبوهم ضعاف يغلبهم الفتية الصغار حين يشاء الله أن يقتلهم » .

وكانت هناك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله ، فلقد قدر أن يكون داود هو الذى يتسلم الملك بعد طالوت ويرثه ابنه[1] سليمان فيكون عهدهم هو العهد الذهبى جزاء انتفاضة العقيدة فى نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشرود ، ﴿ **وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء** ﴾ .. وعلمه الله صنعة الدروع وعدة الحروب .

وتحررت بيت المقدس .. المسجد الأقصى .. فلسطين .. من الذى حررها ؟ المسلمون المجاهدون .. كيف ؟ .. بإحياء فريضة الجهاد .. لماذا ؟.. لأنهم تعلموا أنه إذا غلب العدو على ديار الإسلام فقد أصبح الجهاد لتحريرها فريضة .

وتحررت بيت المقدس من جالوت وجنوده بفضل الله ثم بفضل المجاهدين ، وخلد الله هذا الحدث فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة ليعلمنا أن النصر الأخير للعقيدة الواثقة .. لا للقوة المادية ،

---

(١) « إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثة – حكما يصادف حكمة فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألّا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه (رواه النسائى وأحمد فى مسنده وابن ماجة أى أن سليمان النبى المسلم بنى مسجداً لله يصلى فيه المسلمون ، ولم يبن هيكلا لمعبود اليهود ، أي أن =

وللإرادة المستعلية .. لا للكثرة العددية .. وأن مصارعة الحق للباطل لا تهدف إلى غنائم أو أسلاب أو أمجاد ، إنما هو الصلاح فى الأرض والتمكين للخير .. ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ (آية ٢٥١ سورة البقرة) .

دولة إسلامية عاصمتها بيت المقدس وعلى رأسها خليفة مسلم هو داود عليه السلام ...
وبفضل الله بعد أن تحررت القدس ، قامت دولة إسلامية ، قيض الله مجاهدًا مسلمًا هو داود عليه السلام ليكون خليفة للمسلمين :

سمت دولة الخلافة الإسلامية :

خلافة إسلامية على الأرض التى بارك الله فيها للعالمين (سورية وفلسطين) عاصمتها بيت المقدس .
سليمان عليه السلام النبى المسلم يبنى بيت المقدس ويعيد بناء وتوسيع المسجد الأقصى .
دولة الخلافة تقوم على تطبيق شريعة الله ، وتحصيل العلوم الشرعية والعلوم الكونية لتعمير الأرض بمقتضى المنهج الربانى .. ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علما** ﴾ .

دولة الخلافة حريصة على قيام الصناعات الثقيلة وصناعة السلاح على أرضها لإقامة العدل فى الأرض ودفع الظلم الواقع على بنى الإنسان ﴿ **وألنّا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنّى بما تعملون بصير** ﴾ (آية ١١٨ سورة سبأ) ﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** ﴾ (آية ٨٠/٧٩ سورة الأنبياء) ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾ (النحاس المذاب) (آية ١٢ سورة سبأ) .

دولة الخلافة تعد جيشا مجاهدًا ينتظم فيه غالبية أبناء الأمة .. ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير** ﴾ .

صفات الدعاة الذين حكموا أرض القدس :

- مسلمون .. ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين** ﴾ .
- علماء .. ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علما** ﴾ (آية ١٥ سورة النمل) .
- عاملون .. ﴿ **واعملوا صالحا إنّى بما تعملون بصير** ﴾ (آية ١١ سورة سبأ) .
- ذاكرون الله .. ﴿ **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير** ﴾ (آية ٧٩ سورة الأنبياء) .
- عمالاً .. يأكلون من عمل أيديهم ولا يأكلون من بيت مال المسلمين .. « **وإن نبى الله داود كان يأكل من كسب يده** » فقرة من حديث .

= المسلمين أوْلَى بسليمان عليه السلام ، وهم ورثته وليس اليهود . لأن الكافر لا يرث مسلما ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا** ﴾ .

- عابدون لله .. صوامون قوامون .. ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ (آية ٣٠ سورة ص) « **أحب الصلاة إلى الله صلاة أخى داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود** » (فقرة من حديث شريف) .
- قضاة يحكمون بشريعة الله .. يخافون الفتنة .. ﴿ **ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ (آية ٢٦ سورة ص) ﴿ **وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب** ﴾ (آية ٢٤ سورة ص) .
- تربوا فى بيئة إسلامية .. فها هى أم سليمان عليه السلام وزوج داود عليه السلام توصيه : « يا بنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرًا يوم القيامة » .
- يحرصون على إمضاء مبدأ الشورى .. ﴿ **يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين** ﴾ (النمل) .
- متواضعون بين يدى الأمة ، عبيد لله .. ﴿ **هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر** ﴾ .
- يرجون رحمة الله .. ﴿ **وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** ﴾
- حريصون على تفقد أحوال الرعية .. ﴿ **وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ .
- لا يأخذون بالظن .. فلا يقتلون ولا يضربون .. ﴿ **أو ليأتينى بسلطان مبين** ﴾ .
- يقومون بواجب الدعوة إلى الله .. ﴿ **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ .
- ويربون الرعية على التوحيد وعلى القيام بهذه الفرائض .. فها هو أحد أفراد الرعية وهو الهدهد يستنكر أن يتعبد الناس لغير الله ، ويطالب إمام المسلمين بضرورة التحرك لأداء واجب الدعوة إلى الله ويبين لمن ينبغى أن يكون الركوع والسجود .. ﴿ **ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون** ﴾ (آية ٢٥ سورة النمل) .
- دعاة لا تأخذهم فى الله لومة لائم .. ولا يصرفهم عن دعوتهم متاع الدنيا .. ﴿ **بل أنتم بهديتكم تفرحون** ﴾ (آية ٣٦ سورة النمل) .
- دعاة يوظفون الجيش فى نصرة دين الإسلام .. لا لترويع الآمنين أو اغتصاب حقوق الآخرين .. ﴿ **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها** ﴾ (آية ٣٧ سورة النمل) .

الدليل الثالث :

الرسول محمد - ﷺ - والصحابة رضوان الله عليهم يحررون القدس من الاحتلال الأوروبى (الرومى) :

الروم (أبناء أوروبا) يحتلون بيت المقدس [1] عام ٦٤ قبل ميلاد المسيح وحتى عام (١٦

---

(١) احتلت القوات الأوروبية (الرومية) بقيادة أحد أبناء رومية وهو بومبى سورية ٦٤ قبل الميلاد ، وقبلها احتلت بيت المقدس فى ٦٣ قبل الميلاد .
=

هجرى) إذا ألقينا نظرة على المجتمع الدولى قبيل ميلاد وبعثة النبى محمد - ﷺ - ، نجد أنه كان يمسك بزمامه قوتان كبريان ، قوة الفرس وقوة الروم ، وكان نصف الكرة الغربى بما فى ذلك بلاد الشام كلها (سورية وفلسطين) ومصر وتونس والجزائر والمغرب واقعة فى قبضة الاحتلال الرومى ، ولم يكن للعرب كيان سياسى ، فالمناذرة عمال من قبل الفرس ، والغساسنة عمال من قبل الروم ، وأحيانا كان العربى المنذرى يقاتل العربى الغسانى من أجل الفرس ، وأحيانا كان العربى الغسانى يقاتل المنذرى من أجل الروم ، بل وأحيانا كان العربى يقاتل أخاه العربى كما حدث عام ١٩٩١ م عندما قاتل العرب بعضهم البعض أثناء محنة الخليج .

وأحيانــا على بكــر أخينــا إذا لم نجد إلا أخانــــا

وكان من الطبيعى أن تضيع المقدسات ، فقد اغتصب الروم بيت المقدس منذ عام ٦٣ قبل ميلاد المسيح وبعدها وقعت فلسطين فى يد الروم ، وقعت مصر فى قبضتهم ، وما كان الاحتلال الأجنبى لديار الأمة أن ينجح لولا الخلل الذى تسلل إلى الإيمان فى القلوب التى أشربت حب الطاغوت والكفر بالله ، وحينما يضعف الإيمان فى القلوب ، ينسحب الخلل إلى بقية جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والسلوكية والأخلاقية ، فتأسن الحياة ، ويكثر الظلم والظالمون .

فى هذه الظروف ، أذن الله فى تحرير الإنسان ، كل الإنسان من قبضة الطاغوت ، وتعبيده لله الواحد القهار ، أذن الله فى تحرير بيت المقدس وديار الأمة من قبضة الاحتلال الأجنبى الأوروبى وتسلط الطاغوت العربى والفارسى .. أذن الله فى إنهاء المظالم وتحرير حرم الله من قبضة الطاغوت العربى من قبضة أبى لهب وأبى جهل ؛ أذن الله فى قيام حكم الإسلام على أرض الله لتحرير الإنسان كل الإنسان على أرض الله ، وتعمير الأرض بمقتضى المنهج الربانى ، وكانت الوسيلة وكان الطريق وكان المنهج .

وكان الاختيار الربانى لمحمد - ﷺ - « سيد ولد آدم » للقيام بهذه المهام العظام وغيرها ؛ وكان الطريق : الدعوة إلى الله ، والمنهج كتاب الله سبحانه وتعالى .

ونزل الوحى من السماء على رسول الله - ﷺ - ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ .

أى أن الرب سبحانه وتعالى المتعهد بالإصلاح والتربية يُعرِّف عبده بالخالق سبحانه وتعالى ، ويحدد له الجهة التى يتلقى عنها مناهج الحياة كلها ، الدعوية والعقدية والسياسية والاقتصادية

= هكذا ندرك أن أعداء الأمس هم أعداء اليوم ، الروم بنو الأصفر أحفادهم الإنجليز والأمريكان والفرنسيون والأسبان والبرتغال والألمان هم الذين جاءوا إلى ديار العالم العربى فى عام ١٩٩١ ليحتلوا هذه الديار ويغتصبوا ثرواتها وخيراتها ، ولتكون هذه الديار سوقا لاستهلاك منتجاتهم ومصنوعاتهم .

والسلوكية والإصلاحية والجهادية ، من عند ربنا الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ، وذلك يعنى أن بداية الإنقاذ .. إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، بداية تحرير الإنسان .. إنهاء المظالم ، تحرير القدس .. تحرير أرض الإسلام .. إقامة دولة الخلافة الإسلامية .. إقامة دين الله منهاج حياة شامل .. يبدأ بتحرير الإنسان وبناء الإنسان الذى يعرف ربه وخالقه ويستسلم له فى شئون الحياة كلها ..

وانطلق رسول الإسلام محمد - ﷺ - إلى ورقة بن نوفل يسأله تفسيرًا لما وقع له ، فأخبره أنه الوحى وأنه صاحب الرسالة الإسلامية الخاتمة ، وأردف ذلك بقوله : لتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه .. هذه هى طبيعة الطريق .. طريق الإنقاذ .. إنّه طريق محفوف بالابتلاءات .. تكذيب وإيذاء وتصفية جسدية وإخراج من الديار .

وفتر الوحى .. ثم نزل يحمل إلى النبى - ﷺ - المنهج السلوكى الذى يقوم على عقيدة الإسلام : ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر. وأمّا السائل فلا تنهر. وأمّا بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

ونزل أمر الله .. ﴿**يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر**﴾ .

فانطلق رسول الله محمد - ﷺ - يؤدى مهمته ، يدعو إلى عبادة الله وحده ، دعوة خاصة .. فردية ، مقترنة باختيار الأفراد الصالحين لبناء القاعدة الصلبة ، قاعدة الدعاة إلى الله ، واقترن ذلك بتربيتهم ، بتعليمهم .. بتعريفهم بربهم وخالقهم ورازقهم .. بتعريفهم برسولهم محمد - ﷺ - ... بالإسلام .. بقرآنهم .. بالفرائض .. بالحلال والحرام .

أى بناء إنسان العقيدة .. الفرد المسلم .. لبنة المجتمع المسلم .. على مائدة القرآن .. على حكمة (سُنّة) النبى محمد - ﷺ - بالعبادات المشروعة .. بالصلاة والصيام والزكاة .

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة الفردية ، أتم رسول الله - ﷺ - بناء القاعدة الصلبة التى ستتحمل مسئولية الدعوة إلى الله والعمل لإقامة دين الله (الإسلام) وكان يتمثل فيها كل طبقات المجتمع حينذاك ، وبعدها نزل الوحى ، ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ .. وبدأت مرحلة أخرى وهى مرحلة الدعوة العامة جنبا إلى جنب الدعوة الفردية .. « يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا ، أيها الناس إنّى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ،.. أيها الناس والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، وإنّها لجنة أبدا أو لنار أبدا » ..

وانتفضت الجاهلية تنافح عن وثنيتها .. عن عقيدتها الفاسدة .. لأنّها أدركت أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله رب العالمين يعنى انهيار سلطان كفار العرب وغيرهم من طواغيت البشر .. ووقفت الجاهلية فى وجه الدعوة إلى الله تؤلب الناس على أصحابها تارة بالتشكيك فيها وفى قرآنها ..

وقالوا ﴿ **أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا** ﴾ (سورة الفرقان آية ٥) .. ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب** ﴾ (سورة ص آية ٥) ، وتارة أخرى بالتهديد والوعيد المقترن بالتعذيب للدعاة (بلال وصهيب وزنيرة) أو قتلهم (مثلما حدث لسمية التى قتلها أبو جهل) وياسر الذى مات تحت التعذيب ، وتارة ثالثة بتسليط المغنيات والراقصات على كل من مال قلبه إلى الإسلام ، يقدمن له الخمر ويرقصن ويغنين له .. لصرفه عن دين الإسلام (مثلما يفعل الإعلام الفاجر فى عالمنا المعاصر) .

بل إن رسول الإسلام – ﷺ – لم يسلم من الابتلاء ، فقد داس رأس من رؤوس الطاغوت وهو عقبة بن معيط رقبة النبى – ﷺ – بقدمه حتى ظن النبى – ﷺ – أن عينيه ستندران من رأسه .

والنبى – ﷺ – صابر محتسب ، كل ما فعله رفع يديه إلى السماء .. اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط ، بل إن عتيبة بن أبى لهب تفل فى وجه النبى – ﷺ – ومزق قميصه .. ماذا فعل صاحب الدعوة – ﷺ – ، هل قاتله ؟ لا .. لقد رفع يديه إلى السماء .. « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » .

ولم يقف أمر طواغيت العرب فى وجه دعوة الإسلام عند هذا الحد ، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك ، لقد طاردوا المسلمين فى أعمالهم وأرزاقهم ، وحاصروهم ثلاث سنوات حصارًا اقتصاديًا فى شعب أبى طالب لا يبيعونهم ولا يسمحون لأحد يبيعهم أو يشترى منهم ، حتى هلك عدد كبير من الأولاد والنساء والشيوخ .. بل إنَّهم اضطروا الكثير من المسلمين إلى ترك حرم الله الآمن والدار والمال والأهل والهجرة بدينهم إلى الحبشة .

ومرت أيام ورسول الله – ﷺ – يمر بين القبائل بعد أن عز النصير ومات عمه أبو طالب وزوجه خديجة رضى الله عنها ، وزاد الإيذاء ، ويقول : « من يحمينى حتى أبلغ دعوة ربى ، من ينصرنى حتى أبلغ دعوة ربى وله الجنة » .

تصرفات الجاهلية .. مواقفها .. تجعل الحليم حيرانا .. قد تدفع الإنسان إلى الاندفاع حمية لنفسه وإخوانه ودينه .. قد تدفع الإنسان إلى العراك مع الجاهلين ؛ ولو فعل المسلمون هذا .. لو فعل أصحاب الدعوات هذا .. ماذا ستكون النتيجة ؟؟ معارك !! ثأر !! وتضيع القضية الأساسية .. وهى تعبيد الناس لربهم وإقامة حكم الإسلام وتحرير أرض الله .

إن المسلمين أصحاب الدعوة .. إن الجماعة المسلمة بقيادة رسول الله – ﷺ – كانت فى موقفها هذا ، فى تصرفاتها حيال موقف الجاهلية تتصرف طبقا لتوجيه الله عز وجل : ﴿ **واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور** ﴾ (لقمان : ١٧) ، ﴿ **ولقد كذبت رسل من قبلك**

فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴾ (الأنعام : ٣٤) ؛ ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ﴾ (النساء : ٧٧) إنّها مقتضيات المرحلة حينما يكون المسلمون مستضعفين .. ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ (الأحقاف : ٣٥) أى أن الجاهلية لم تفلح فى استفزاز الجماعة المسلمة التى استمرت تبلغ دعوة ربها ، وتربى وتكون ، صابرة ثابتة تقدم التضحيات ملتزمة بأوامر معلمها رسول الله - ﷺ - .

وفى أثناء هذه الظروف القاسية وقعت حادثة على جانب كبير من الأهمية وهى حادثة الإسراء والمعراج .. لقد أسرى برسول الله محمد - ﷺ - من مكة حرم الله الآمن إلى بيت المقدس المسجد الأقصى (وكان قد مضى على احتلاله بمعرفة الروم (بنى الأصفر أبناء أوروبا) سبعة قرون ، وفى المسجد الأقصى عرج بالرسول محمد - ﷺ - إلى السماء حيث التقى بالأنبياء والرسل عليهم السلام ، وشاهد جانبا من أهل الجنة وأهل النار ، ووصل إلى سدرة المنتهى حيث رأى من آيات ربه الكبرى ، وبعد هذه الرحلة نزل إلى المسجد الأقصى حيث جمع له جميع الأنبياء والرسل (من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام) فصلى بهم إماما ، فدل ذلك على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم - ﷺ - ، ونزلت سورة الإسراء لكى تخلد هذه الرحلة ولتعلم الرسول محمد - ﷺ - وتعلمنا :

أولاً : إن أرض بيت المقدس حيث المسجد الأقصى هى جزء من الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير** ﴾ .. (سورة الإسراء آية ١) .

ثانيًا : إن المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى يشد إليها الرحال « **ولا تُشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجد رسول الله - ﷺ - ، والمسجد الأقصى** » (البخارى كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة) .

ثالثًا : إن بيت المقدس وما حوله هى أرض الله التى هاجر وأقام فيها إبراهيم ولوط عليهما السلام وعلى أرضها ولد وكبر وتربى وبعث أنبياء مسلمون منهم إسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وداود وسليمان عليهم السلام[1] ، هذه الأرض المباركة هى وقف المسلمين ، ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ (سورة الأنبياء آية ١٠٥) .

رابعًا : إن الرسول محمد - ﷺ - والصحابة والتابعين مكلفون من رب العالمين بتحرير هذه الأرض المباركة من بنى الأصفر الذين غلبوا عليها واحتلوها منذ بضعة قرون ﴿ **ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾ (سورة المائدة : آية ٢١) وذلك يعنى أن سبيل تحرير القدس وفلسطين وسورية وغيرها هو بإحياء فريضة الجهاد .

(١) ﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله** ﴾ (سورة البقرة آية ١٢٠) .

خامسًا : إن بعض أبناء يعقوب عليه السلام (إسرائيل) النبى المسلم ، قد نقضوا عهدهم مع أبيهم ﴿ **فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ واشركوا بالله وكفروا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ، ولهذا فقد نَحَّاهم الله عن موقع القيادة التى كانت لهم أيام كانوا مسلمين ، وأنَّ إمامة البشرية ستنتقل إلى أمة محمد - ﷺ - (التى تعبد الله ولا تشرك به شيئا) لأنها هى الأمة الشاهدة القائدة ﴿**وكذلك جعلناكم أمَّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٣] وأن الله قد حملها مسؤولية العمل لتحرير الإنسان ، كل الإنسان وكسر شوكة الظالمين الذين يفسدون فى الأرض ، ومنهم اليهود ، وتريح البشرية من شرهم ﴿ **وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرًا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا** ﴾ (الإسراء آية ٥)[1].

وعاد رسول الله محمد - ﷺ - من رحلة الإسراء والمعراج وقد وعى التكليف الربانى واستمر فى دعوته واختيار الرجال اللازمين لتحقيق وعد الله وإقامة دين الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، مع تربيتهم وإعدادهم لليوم الموعود .

وبعد فترة من هذه الرحلة المباركة فتح الله على الدعوة الإسلامية بشباب من يثرب رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد - ﷺ - نبيا ورسولا ، جاءوا مكة وبايعوا رسول الله - ﷺ - على الجهاد ، أن يَعْبُدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأن يمنعوا رسول الله - ﷺ - مما يمنعون منه أزواجهم وأولادهم وأموالهم ، وذلك فى مقابل جنة عرضها السموات والأرض .. ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن** ﴾ (التوبة آية ١١١) .

وكانت البيعة إيذانا بقيام الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة (بعد ثلاثة عشر عاما من الدعوة إلى الله) ، دولة رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد - ﷺ - رسولا وإماما ، دولة أمِنَ الناس فيها على دينهم وأعراضهم وأموالهم .. وكانت هذه الدولة هى بركة من بركات القيام بالتكليف ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ .

وواصل رسول الله محمد - ﷺ - إرساء قواعد النظام العقدى السياسى والاقتصادى والسلوكى والأخلاقى والجهادى ، التى يقوم عليها بناء دولة الإسلام ؛ يحدث ذلك والدعوة إلى الله مستمرة وبناء إنسان العقيدة مستمر ،.. وإعداد كتائب المجاهدين ينطلق فى طريقه المرسومة .

---

(١) وقد سلط الله المسلمين على اليهود الذين تآمروا لكشف عورة امرأة مسلمة من بنى قينقاع ، بل إنهم قتلوا مسلما ، وتآمروا على قائد الدولة الإسلامية - ﷺ - فى بنى النضير حينما قرروا أن يلقوا عليه حجرا (ولكن الله سلم) ، وحينما ألبوا القبائل العربية كلها على الدولة الإسلامية الوليدة (غزوة الأحزاب) ، وحينما دسوا السم للنبى - ﷺ - وأصحابه فى خيبر فكان الانتقام الربانى بتسليط عبادًا له أولى بأس شديد ، محمد - ﷺ - وأصحابه .

وبقيام الدولة الإسلامية ، قامت قيامة طواغيت الأرض ، كفار العرب والفرس (المجوس هبدة النار) والروم (أبناء أوروبا) ، ووصل التهديد إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه يتوعدونهم بالقتل والقضاء على دولتهم ، ووصل التهديد إلى أهل المدينة يتوعدونهم إذا لم يقاتلوا النبى محمد - ﷺ - وأصحابه ويخرجونهم .

ماذا فعل النبى محمد - ﷺ - وأصحابه .. لقد أعدوا لكل شيء عدته ، لقد أتمُّوا بناء الرجال الذين وصفهم الله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾ (سورة الأنفال آيات ٢، ٣) .

لقد تم بناء المجاهدين الذين يقول الله عنهم : ﴿ **أذلَّة على المؤمنين ، أعزَّة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ .

الرجال الذين يقول اللّه عنهم : ﴿ **محمـد رسـول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيما** ﴾ (سورة الفتح آية ٢٩) .

وحينما اكتمل البناء وتم الإعداد ، تنزل أمر الله وتوجيهه .. ﴿ **أذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير** ﴾ (سورة الحج آية ٣٩)..

وتتابعة أوامر وأحكام الجهاد : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّه لا يحب المعتدين** ﴾ (سورة الحج آية ٣٩) ، ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** ﴾ (سورة التوبة آية ٤١) ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم** ﴾ (سورة التوبة آية ٣٩) .

رسول الله محمد - ﷺ - يعقد الرايات والألوية للسرايا والبعوث (ستين سرية وسبعة وعشرين غزوة) ، **ووجهها فى أربعة محاور أساسية** :

المحور الأول : دفع عدوان طواغيت العرب الذين يفتنون الناس عن دينهم ويقفون فى وجه دعوة الله سبحانه وتعالى .

المحور الثانى : دفع العدوان الفارسى الواقع على جزء من الإنسانية ، حتى يتحرر الناس ، ويعبّدوا أنفسهم لله رب العالمين .

المحور الثالث : تحرير بيت المقدس - المسجد الأقصى - فلسطين - سورية - أرض الشام كلها من الاحتلال الرومى الواقع عليها ، تمهيدًا لتحرير أرض مصر وتونس والجزائر وأرض الله كلها

من بنى الأصفر الذين احتلوا أرضها واغتصبوا أموالها وديارهم ، ويحولون بين شعوبها وبين العودة إلى ربها وخالقها .

المحور الرابع : كسر شوكة اليهود المتآمرين على الدولة الإسلامية بل على الإنسان كل الإنسان ، وإنهاء تواجدهم على أرض الجزيرة العربية بعد أن نقضوا عهودهم مع ربهم ومع رسول الله محمد - ﷺ - وبعد أن تآمروا لتقويض بنيان الدولة الإسلامية الوليدة .

وقد سَبَق عقد الرايات رسائل حملها رسل رسول الله - ﷺ - إلى حاكم الفرس وإلى قيصر الروم وإلى عظيم القبط فى مصر وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام ، وسبق ذلك واقترن به بيان من الله رب العالمين عن تاريخ اليهود وخطورتهم على الجنس البشرى (لهذا فإن تاريخهم يعتبر جزءا من ملحقات العقائد الإسلامية) ، وإنهم يتحالفون مع النصارى (المحاربين) والمشركين ضد المسلمين ، واقترن ذلك بتوجيه من الله وتحذير :

(أ) ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ (المائدة آية ٨٢) .

(ب) ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ (المائدة آية ٥١) .

(ج) ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا** ﴾ (آل عمران ١١٨) .
أى أن المنافقين من أبناء المسلمين هم أيضا من أعداء الأمة يقفون فى صف واحد مع اليهود والمشركين من أعداء الإسلام .

(د) ويبين الله سبحانه وتعالى سبب التحذير ... ﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾ (سورة الممتحنة آية ٢) .
وخلص رسول الله محمد - ﷺ - وصحبه إلى جملة أمور (دروس مستفادة) :

إن الأمة المسلمة مطالبة بتحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .. ﴿ **إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة** ﴾ (المائدة ٥٥) ، وأن تقيم علاقتها الداخلية والدولية على أساس عقيدة الإسلام .

وأنّها مطالبة بتحرير البراء أيضا بمعنى أن الأمة مطالبة بألا توالى اليهود أو أعوانهم من الصليبيين أو المشركين أو الذين ينتسبون إلى أبناء العرب والمسلمين .. « بمعنى أنها لا تحالفهم ولا تناصرهم ولا تتخذ منهم أصدقاء أو مستشارين أو خبراء لتطوير التعليم مثلاً أو لتطوير القوات المسلحة ... ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء** ﴾ (الممتحنة آية ١)
ويقول - ﷺ - : « **أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله ، الحب فى الله والبغض فى الله** » .

وقامت حركة جهادية عارمة فى عهد رسول الله محمد - ﷺ - أسفرت عن انهيار الطاغوت العربى الإلحادى والطاغوت اليهودى لأن رسول الله - ﷺ - نبّه الأمة والأمة أطاعت

« لا يجتمع فى الجزيرة دينان » .. « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب » أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب .. هذه واحدة .

وعلى الجانب الآخر ، لم ينس رسول الله – ﷺ – بيت المقدس المسجد الأقصى فلسطين مصر وأرض الله الواقعة تحت الاحتلال الرومى – لم ينس تكليف الله رب العالمين له ليلة الإسراء والمعراج – لم ينس كلام الله فى قرآنه الكريم : ﴿ **ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم** ﴾ (المائدة : ٢١) .. أى كتب عليكم دخولها وسكناها بعد تحريرها ممن غلب عليها مع إقامة حكم الله على أرضها ..

فعقد رسول الله – ﷺ – لواء مؤتة لزيد بن حارثة .. (فى العام الثامن من الهجرة أى بعد إحدى وعشرين عاما من البعثة) وحدد القائدين من بعده .. جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة .

وخرجت سرية مؤتة (ثلاثة آلاف مقاتل) باتجاه بيت المقدس بلاد الشام كلها لتحريرها من بنى الأصفر الذين غلبوا عليها بمعاونة نصارى الشام .. وإذا بالسرية تواجه جيشا أوروبيا مكونا من مائتى ألف مقاتل غير نصارى الشام ، وأحب المسلمون أن يشاوروا رسول الله – فنظر إليهم عبد الله ابن رواحة قائلا : «ياقوم إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل عدونا بعدد ولا عدة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا ، فإنما هى إحدى الحسنيين إمّا نصر وإمّا شهادة » .

وخاض المسلمون معركة شرسة ، وحجز الليل بينهم وبين عدوهم وكان قد استشهد القادة الثلاثة .. زيد وجعفر وابن رواحة رضوان الله عليهم أجمعين ، وتولى القيادة سيف الله المسلول خالد ابن الوليد رضى الله عنه فأعاد تشكيلْ الجيش ، جعل الميمنة ميسرة ، والميسرة ميمنة ، والساقة فى المقدمة ، والمقدمة بدلاً من الساقة ، وحينما جاء الصباح .. ظن الروم أن هناك مددا جاء للمسلمين فانسحبوا من أمامهم .

وكانت نتيجة المعركة اثنى عشر شهيدا، ورجع بقية الثلاثة آلاف انتظارًا لجولة أخرى لتحرير بيت المقدس .

غزوة تبوك ، وبعث أسامة :

ما كان لرسول الله محمد – ﷺ – أن يأمر أصحابه بالجهاد ثم لا يجاهد ، فخرج بنفسه فى غزوة تبوك باتجاه بلاد الشام فى العام التاسع من هجرته – ﷺ – لتحريرها من يد بنى الأصفر (الروم) الذين غلبوا عليها ، ولما انتهوا إلى تبوك أتاهم بحنة بن رؤبة صاحب إيلة، وصالحهم على دفع الجزية ، أمّا الروم فقد انسحبوا من هذه المنطقة قبل وصول رسول الله محمد – ﷺ – ، وبعد إقامة بلغت بضع عشرة ليلة رجع رسول الله محمد – ﷺ – إلى المدينة ، وبهذا قدم رسول الله محمد

- ﷺ - دليلاً عمليًا بسيرته على وجوب مواصلة الجهاد لتحرير أرض الشام وخاصة بيت المقدس ، تحقيقا لأمر الله : ﴿ **ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم** ﴾ .. أى كتب عليكم دخولها وسكناها ، وكانت هذه الغزوة بيانا عمليا من رسول الله محمد - ﷺ - أنّه لا يجوز أن يكون هناك مسلمون موحدون يعيشون على سطح الأرض.. ويكون ببيت المقدس مشركون يعيثون فى المقدسات فسادا ، ويقتلون ويشردون أهل البلاد ، ويقودونهم بغير شريعة الله .

ولهذا عقد رسول الله محمد - ﷺ - رايـة لأسامة بن زيد وأمره بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام لكسر شوكة المحتل الرومى .

وفى هذا إشارة من رسول الله محمد - ﷺ - إلى صحابته وإلى أمته من بعده ، انَّ ما بدأه لابد وأن يستمر ، وأنّه لابد أن تظل راية الجهاد مرفوعة ، حتى تتحرر بلاد الشام بما فى ذلك المسجد الأقصى من ربقة الاحتلال الأوروبى (الرومى) وممن متابعة من أبناء العرب المشركين .

الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه يواصل حمل الأمانة ، **ويُنْفِذ** بعث أسامة رضى الله عنه فى السنة الحادية عشرة من الهجرة ، ووصل جيش التحرير الإسلامى إلى أطراف الشام حيث عسكر هناك لمدة أربعين يوما ، وتحاشى الروم استفزازه أو منازلته .

ولكن تحرير القدس لم يتحقق ، ولهذا فقد قرر الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه تسيير أربعة جيوش ، كل منها ثلاثة آلاف مجاهد .. أحدها بقيادة أبى عبيدة بن الجراح إلى حمص والثانى بقيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين ، والثالث بقيادة يزيد بن أبى سفيان إلى دمشق ، والرابع بقيادة شرحبيل بن حسنة فى العام الثالث عشر من الهجرة ، أى أن وجهة جند الله كانت بلاد الشام لتحريرها وتحرير بيت المقدس من الاحتلال الأوروبى .. وبعدها الانطلاق لتحرير مصر وتونس وأرض الله كلها لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار .

وحاصر أبو عبيدة عامر بن الجراح بيت المقدس (فى سنة خمس عشرة من الهجرة) وفتحت بيت المقدس صلحا ، وجاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح القدس ، وصالح نصارى القدس (إيلياء) على أن لا يبقى فيها رومى (أى أوروبى) ولا يهودى ولا لص .. وهم الفئات التى تمسك بزمامها الآن (عام ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م) .

وهكذا بعد جهاد استمر سبع سنوات ، نجح صحابة رسول الله - ﷺ - فى تطهير وتحرير بيت المقدس بل ومصر من رجس الاحتلال الأوروبى (الرومى) والطاغوت العربى الذى أعطى ولاءه لأبناء أوروبا ، وقبل أن يكون عميلاً للعدو .

وهكذا عادت القدس إلى المسلمين بعد غربة استمرت سبعمائة عام ، أعادها رب العالمين على يد صحابة رسول الله محمد - ﷺ - وأصحابه رضوان الله عليهم .

وظلت القدس فى كنف الدولة الإسلامية طيلة عهد بقية الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين ، وطيلة عهد بنى أمية (٤١ - ١٣٢ هـ) ، وطيلة أربعة قرون من عهد بنى العباس .

الدليل الرابع :

من حياة التابعين وتابعى التابعين (أواخر عهد الخلافة الإسلامية لآل العباس منذ ٤٩٢ هـ) حينما اغتصبت أوروبا بيت المقدس لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقتلت فى وسطه ما يزيد على سبعين ألفا من المسلمين ، منهم جماعة كثيرين من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم .

الظروف والأحوال التى جرى فيها اغتصاب بيت المقدس :

- ضعف دولة الخلافة العباسية .
- عدم يقظة الأمة أدى إلى نجاح يهودى (عبيد) – كما يقول الحافظ ابن كثير – فى تأسيس دولة سماها « الدولة الفاطمية » خرجت على الدولة العباسية وقاتلت الخلفاء ، ومزقت وحدة العالم الإسلامى وحولت مصر من مذهب أهل السنة والجماعة إلى المذهب الشيعى ، وطورد العلماء وطلاب العلم ، وعزلت مصر عن بقية بلاد العالم الإسلامى ، هذه الدولة العبيدية كانت سوط عذاب على العالم الإسلامى .. لأنها استدرجت العالم الإسلامى إلى معارك أفادت العدو الأوروبى ، بل ويقال : إن الغزوة الصليبية الأولى لديار الإسلام التى احتلت القدس لم تحدث إلا بعد أن أرسل العبيديون (الفاطميون) رسالة إلى الفرنج أبناء أوروبا يستعدونهم ضد السلاجقة الأتراك المسلمين (من أهل السنة) وهكذا عزلت مصر عن العالم الإسلامى بل وكانت عونا للعدو ضد أمتها .
- ظهور الباطنيين القرامطة وخروجهم على الخلافة الإسلامية ، وإشاعة الفتنة داخل العالم الإسلامى .
- الله سبحانه وتعالى يقيض لهذه المرحلة رجالاً على رأسهم عماد الدين زنكى (ولى أمر الموصل عام ٥٣٨ هـ) . وولديه سيف الدين غازى ، ونور الدين محمود ، وآل أيوب (أسد الدين شيركوه ، ونجم الدين أيوب وصلاح الدين يوسف بن أيوب ، للتصدى للعدوان الأوروبى على العالم الإسلامى ، والتصدى للحركات الباطنية العدوانية التى استطاعت أن تصل إلى سدة الحكم فى بعض بلاد العالم الإسلامى .
- هؤلاء الرجال يتحرون نهج الرسول محمد – ﷺ – والصحابة والتابعين فى التصدى لهذا العدوان وتحرير المقدسات :

أولاً : تحديد الأعداء الحقيقيين للأمة الإسلامية وهم الأوروبيون الذين كانوا يرفعون شعار الصليب ويزعمون أن المسجد الأقصى مبنى على كنيسة للعذراء(*) كان قد بناها الامبراطور جستنيان (الآن اليهود يزعمون أن هناك هيكلا لهم أسفل المسجد الأقصى وهذا كذب وبهتان) .

(*) حضارة العرب : جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، مكتبة الحلبى .

ويعاونهم النصارى والأرمن والإسماعيلية والدرزية والعبيدية (اليهود) وفئات من أبناء المسلمين تصورت أنَّ السلامة فى اجتناب خوض الصراع ضد الأعداء ، واجتناب الانحياز إلى الفئة المسلمة المجاهدة ، وآثرت الحياة الذليلة ، وموقف المتفرج على العرض الإسلامى وهو ينتهك ، وأرض الإسلام وهى تتعرض للغصب ودين الله يحارب ، وينحى عن تسيير الحياة .

ثانيًا : تحديد المرض .. أن الأعداء ما كانوا لينجحوا لولا ضعف الإيمان الذى أصاب قلوب المسلمين ، وحب الدنيا وكراهية الموت ، وضعف الخلافة الإسلامية وتمزق الصف المسلم .

ثالثًا : إن الغزوة العسكرية الصليبية قد سبقتها غزوة فكرية أدت إلى اشتغال الأمة بالفلسفة اليونانية الإلحادية ، وعلم الكلام ، وأعرضت بعض فصائلها عن معنى التوحيد الصافى .. فأدى ذلك إلى انتشار الإلحاد وظهور الفرق الباطنية ..

وكانت خطة العلاج :

(أ) بناء إنسان العقيدة ، الفرد المسلم لبنة المجتمع المسلم ، الذى حرر ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين ، إنسان العقيدة الذى استشعر العزة الإسلامية ، إنسان العقيدة الذى تربى على مقاومة الترف ، إنسان العقيدة الذى أعد ما فى الطوق .

(ب) إحياء فريضة الجهاد فى التو واللحظة بالعدد القليل المتيسر ضد قواعد العدو ، حتى لا يتاح له فرصة ترسيخ وجوده فى أرض الإسلام .

(ج) دعم الخلافة الإسلامية لآل العباس ، حتى تظل راية الخلافة مرفوعة رمزًا لوحدة العالم الإسلامى ، ولأن الخلافة هى السياج الحامى للأمة الإسلامية بعد الله سبحانه وتعالى .

(د) ضرورة عودة مصر ودمشق إلى صف أهل السنة والجماعة ، وتطهير الصف من الحكام الخونة الذين أثروا الكرسى المهين الذليل وبذلوا أرض الإسلام وأموال المسلمين لأعداء الأمة المسلمة .

عماد الدين زنكى يقود معارك التحرير ويحرر الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدى الصليبيين أبناء أوروبا عام ٥٣٩ هـ ، ثم اغتيل عماد الدين – رحمه الله – وهو يحاصر حصن جعبر عام ٥٤١ هـ .

سيف الدين غازى ونور الدين محمود ، ولدا عماد الدين زنكى يحملان راية الجهاد بعد استشهاد والدهما وينزلان ضربات قاصمة بجنود الاحتلال الأوروبى الصليبى .

نور الدين محمود يوجه رسالة إلى حاكم دمشق (مجير الدين) : إن الفلاحين أخذت أموالهم وشتت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج وإنعدام الناصر لهم ، فلا يسعنى مع ما أعطاه الله لى – وله الحمد – من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ، ولا يحل لى القعود عنهم والانتصار لهم ، مع معرفتى بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها ، والتقصير الذى دعاكم إلى

الاستصراخ بالفرنج على محاربتى ، وبذلتم لهم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلما لهم وتعديا عليهم (وهذا ما فعله حكام العرب فى القرن العشرين) وهذا مالا يرضى الله تعالى ولا أحدا من المسلمين ..

شعب دمشق يعاون نور الدين محمود فى إنهاء حكم مجير الدين ، وعودة دمشق إلى صف أهل السنة والجماعة ضد الغزو الأوروبى (الصليبى عام ٥٤٩ هـ) .

بناء على أمر نور الدين محمود بن آل زنكى : أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب يتوجهان إلى مصر لإعادتها إلى صف أهل السنة والجماعة فى مواجهة أعداء الأمة ، لأن عودتها أمر ضرورى على طريق العودة إلى القدس (عام ٥٦٤ هـ) .

عودة مصر إلى صف أهل السنة والجماعة ، وصلاح الدين يوسف يحكم نيابة عن نور الدين ويخطب باسم الخليفة المستنجد بالله العباسى .. أى أنّه لم يقم ملكا شخصيا لنفسه أو لنور الدين ..

وكانت مؤامرة شيعية يهودية أوروبية فى مصر للقضاء على قوات نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف فى مصر ، ولكن الله سلم ، ونجىّ الله صلاح الدين يوسف ومصر .

وبعودة مصر وتولية قضائها لعلماء أهل السنة ، وتوحيد العالم العربى والإسلامى ، انتقل العالم العربى والإسلامى من طور الدفاع إلى طور الهجوم .

موت نور الدين محمود .. صلاح الدين يوسف بن أيوب يحمل راية الجهاد بعده عام ٥٦٩ هـ ، وكانت معارك ومعارك ، ومنها حطين التى كانت إمارة وبشارة لفتح بيت المقدس واستعادته من يد الكفرة ، حيث انتصر المسلمون بقيادة صلاح الدين نصرًا مؤزرًا على العدو الغاصب ، وأسر عدد كبير من جند المعتدين وملوكهم وأعدائهم ومن هؤلاء أمير الكرك « أرناط » الذى كثيرًا ما روع المسلمين وكان يقول : « دعوا محمدًا ينصركم » ؛ فلما وقع فى يد صلاح الدين دعاه إلى الإسلام فامتنع ، فقال له : « نعم أنا أنوب عن رسول الله - ﷺ - فى الانتصار لأمته ، ثم قتله .

وكان الفتح الكبير ، عودة القدس على يد جند الإسلام بقيادة صلاح الدين يوسف فى عام ٥٨٣ هـ .. وكان النصارى قد استحوذوا عليها مدة ٩٢ سنة (وذلك يعنى أنه مهما طال الزمن أو قصر فلابد وأن تعود القدس إلى المسلمين إن شاء الله) .

وتوفى صلاح الدين يوسف بن أيوب فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وجاء بعده رجال ليواصلوا المسيرة الجهادية ، وإتمام تحرير أرض الإسلام .

وحينما اقترنت الهجمة الصليبية على ديار الإسلام بالهجمة التتارية الكافرة ، منذ سنة سبع عشرة وستمائة (من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا العراق) ، وأسقطوا الخلافة الإسلامية

(المعتصم بالله) فى بغداد عام ٦٥٦ هـ وأنزل بأهلها أسوأ أنواع القتل والدمار ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى والروافض .

قيض الله لهذه المرحلة قائدًا مسلمًا ربانيا هو الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركى لإجهاض هذه الهجمة التتارية الشرسة ، وكانت عين جالوت ،وا إسلاماه ، وكان النصر العظيم بفضل الله سبحانه وتعالى .

وجاء بعد قطز رجال ، ساروا فى نفس طريق الرسول محمد - ﷺ - والصحابة والتابعين ومن سبقهم ، يجاهدون أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار ، ومن هؤلاء بيبرس ومحمد بن قلاوون والملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون الذى نجح بفضل الله فى تطهير بلاد الشام من آخر جيب من جيوب الصليبية وهى عكا سنة ٦٩٠ هـ .

الدليل الخامس : عهد الخلافة الإسلامية .. حكم آل عثمان (٦٩٩ - ١٢٩٩هـ تقريبا ١٢٩٩ - ١٨٩٩ م) :

ظلت بيت المقدس وفلسطين بل العالم العربى والإسلامي فى أمنة وطمأنينة طيلة حكم آل عثمان . دين الله قائم ، الشريعة مطبقة والحدود قائمة ، وراية الجهاد مرفوعة ، وفتحت القسطنطينية، وأثار الإسلام أوروبا الشرقية وشبه جزيرة البلقان (اليونان ، يوغوسلافيا ، ألبانيا) والمجر (وبودابست) والصرب والبوسنة ، وطرق المسلمون أبواب لينتجراد مرتين ، وحاصروا فيينا عدة مرات ، حيث كان المؤذن يؤذن « حى على الصلاة » « حى على الفلاح » خمس مرات فى اليوم والليلة) .

وحينما جمع بابا روما البرتغال والأسبان وقسم بينهم الكرة الأرضية (عند خط طول ٤٦) فى معاهدة تسمى « توردسيلاس » ، وخرجوا مأذونا لهم من البابا فى تطويق العالم الإسلامى وشعارهم الصليب أو المدفع ، (العجيب أن كتب التاريخ المزورة تعتبرها كشوفا جغرافية وتدرس لأبناء العالم الإسلامى كذلك وهى حروبا صليبية) .

ووصل فاسكو دى جاما (وكانت مراكبه من صناعة المسلمين ، وأدوات الملاحة إسلامية والبحارة مسلمين ، وقائد رحلته ابن ماجد العربى) إلى رأس الرجاء الصالح ، وكانت معروفة من قبل للمسلمين، قال كلمته : « الآن طوقنا العالم الإسلامى وما علينا إلا أن نشد الخيط ليختنق ، وحاول إنزال قواته فى شرق إفريقيا المسلمة فقاومته ، فضرب مدينة كيلوا بالمدفعية وهدم بالأسلحة ثلاثمائة مسجد ، ثم هاجم المراكب الإسلامية وخاصة مراكب الحجاج والتجارة فى المحيط الهندى وموانى الهند (أى أن بدء عهد القرصنة واللصوصية الدولية كان على يد أبناء أوروبا القتلة سفاكى الدماء) .

وحاول البرتغاليون السيطرة على البحر الأحمر من مدخله الجنوبى ، وأحس السلطان سليم الأول أن العالم الإسلامى ومقدسات المسلمين فى خطر ، وخطوط المواصلات التى تربط العالم

الإسلامى فى خطر ، ولهذا ترك الجبهة الأوروبية ، وقاد جيوش المجاهدين باتجاه بلاد الشام حيث وحدّها ومعها مصر لتقف وجها واحدًا – صفا واحدًا – فى مواجهة الهجمة الأوروبية البرتغالية والإسبانية .

وطلبت تونس والجزائر الانضمام إلى دولة الخلافة الإسلامية على عهد آل عثمان ، وبهذا أصبح العالم الإسلامى بقيادة آل عثمان وحدة واحدة ، راية الجهاد مرفوعة ، البحر الأبيض فيه اسطول إسلامى بقيادة خير الدين برباروس ، البحر الأسود . البحر الأحمر كلها بحار إسلامية لا تجرؤ سفينة من سفن الفرنجة على الاقتراب منها لأن السلاطين العثمانيين كانوا يعتبرون وجود مركب أجنبية بمياهها خيانة للدين وخيانة للسلطان وخيانة لأمة الإسلام (تعلموا يا حكام ويا شعوب العالم العربى والإسلامى . هذا هو الاستعمار التركى الذى تزعمونه) !!

وقام سلاطين العثمانيين بتحصين الثغور وبناء مصانع السلاح وترسانة لصناعة الأسطول فى مصر وغيرها من باب إعداد العدة لحماية دور الإسلام .

وحينما حاول اليهود أن يتخذوا لهم دارا فى أرض سيناء أو فلسطين أو سورية ، كان الرفض التام من قبل سلاطين آل عثمان كما قدمنا ، وكان موقف السلطان عبد الحميد الثانى ، وهو عدم السماح لليهود بالإقامة ، مجرد الإقامة فى أرض فلسطين ، رغم أنهّم أغروه بالمال والسلطان (الجزء الثانى ﷺ) .

هذه هى الخلافة الإسلامية التى حمت ديار الإسلام وحمت القدس ، وحررت الإنسان كل الإنسان فى أوروبا الشرقية ، ووقفت حاجزًا منيعا فى وجه أوروبا العدوانية طيلة ستة قرون ، تنازلها ، تقاتلها حماية للإسلام والمسلمين ، والأمة كانت فى عافية من اقتصادها .. تتعامل بالذهب والفضة تنتج سلاحها ورغيف خبزها (لا تتسوله ، ولا تستجديه ولا تتسول جدولة ديونها) . مصر مخزن الغلال والسلاح ، أوروبا تحاول أن تتسوقه من مصر ، اقرأوا التاريخ أيها الببغاوات !!

الأمة كانت فى قمة التقدم العلمى فى مجال صناعات السلاح وغيرها .. أول تجربة للغواصة فى إسلام بول (أى مدينة الإسلام) على عهد عبد الحميد الثانى .

فى ظل هذه الدولة الإسلامية ظلت القدس إسلامية ... ظل العالم الإسلامى فى أمن وطمأنينة حتى انهارت الدولة كنظام سياسى .. وبقى الإسلام كامنا فى قلوب أبناء المسلمين ، لينطلق – إن شاء الله – مرة أخرى ويقيم خلافة على منهج النبوة كما أخبر بذلك النبى محمد – ﷺ – ، وليقضى على قوة العدوان ومن أجل هذا جاء رب العالمين بهذه القوى (اليهود وأعوانهم) ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا** ﴾ ليسلط عليهم المسلمين ﴿ **ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا** ﴾ .

هذا هو الطريق إلى بيت المقدس ، لا طريق سواه .. طريق النبى المسلم موسى عليه السلام طريق يوشع بن نون النبى المسلم ، طريق داوود وسليمان عليهما السلام النبيين المسلمين طريق

التابعين وتابعيهم « نـور الدين محمود بن زنكى وصلاح الدين يوسف بن أيوب وقطز بن عبد الله سيف الدين التركى وآل عثمان ومنهم عبد الحميد الثانى .. » وهو نفس الطريق الذى ستسلكه طلائع البعث الإسلامى فى كل مكان ، والتى تبدو بشائرها فى شباب الانتفاضة الفلسطينية ومجاهدى أفغانستان ومجاهدى المسلمين فى كل مكان فى الجزائر وتونس وكشمير والفلبين والبوسنة والهرسك ومصر وأذربيجان وغيرها من ديار الإسلام ﴿ **لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ ..

« **ألا قد بلغنا ، اللهم فاشهد** »

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا **أنت نستغفرك ونتوب إليك** .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم وما يتصل به من كتب التفسير :

- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٦٦ .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، دار الفكر ، بيروت .
- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار المعرفة بيروت ١٣٩٢ هـ .
- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق القاهرة .

سنة النبى محمد - ﷺ - وشروحها ومنها :

- صحيح أبى عبد الله البخارى ، مطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة - بيروت .

- البداية والنهاية ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى ، مكتبة المعارف بيروت .
- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) ، على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- الكامل فى التاريخ ، ابن الأثير الجزرى (على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨١٣ - ٨٧٤هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط ١ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ .
- تاريخ أبى يعلى القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق ، مكتبة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ .

سنا البرق الشامى ، مقوم الدين الفتح بن على البُندارى (وهو مختصر البرق الشامى) للعماد الأصبهانى ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ١٩٧١ ، ومكتبة الخانجى مصر .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) المكتبة الحجازية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير للإمام الحافظ المؤرخ أبو القاسم على بن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) بيروت .
- أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام كار ، ترجمة سعيد جزائرلى ، ١٩٧٣ م .
- احتواء العقل المصرى ، د. حامد عبد الله ربيع رئيس قسم العلوم السياسية جامعة القاهرة ، الأهرام الاقتصادى عدد ٧٣٣ فى ٣١ يناير ١٩٨٣ .
- أزمة الخليج ، أبعاد الواقع وآفاق المستقبل ، مجموعة من الأساتذة المتخصصين ، نادى أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة .
- أيبقى السيف الحكم ؟ موشى دايات مترجم عن العبرية ط ٢ القاهرة ، ١٤١٠هـ .
- إسرائيل والتلمود ، تأليف إبراهيم خليل أحمد (القسيس إبراهيم خليل فليبس سابقًا) دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا د. جمال عبد الهادى ، د. وفاء محمد رفعت ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة .
- انهارت الامبراطورية السوفيتية – متى تنهار الامبراطورية الأمريكية ؟! محمد المهدى ، رسالة الجهاد ، العدد ١٠٧ السنة العاشرة ، رجب ١٤٠١ من وفاة الرسول محمد – ﷺ – فبراير ١٩٩٢ م .
- الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ، كامل الشريف ، مكتبة المنار الزرقاء ، ط ٣ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
- الإخوان المسلمون بين إرهاب فاروق وعبد الناصر ، على صديق ، دار الاعتصام القاهرة .
- الأمن المطلوب فى سياسة جمع المعلومات ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٩ فى ١٤ مارس ١٩٨٣ .
- التاريخ بين الحقيقة والتضليل (الداء والدواء) من عهد آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام ضمن سلسلة دعوة لإنقاذ التعليم (الحل الإسلامى) د /جمال عبد الهادى الأستاذ /على أحمد لبن ود / وفاء محمد رفعت دار الطباعة والنشر الإسلامية .
- التبشير والاستعمار ، عمر فروخ ، مصطفى الخالدى (المكتبة العصرية لبنان) .
- التربية فى مصر (د. جوديت كوكران ، ترجمة د / أحمد شفيق الخطيب .
- التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية فى التخطيط الإسرائيلى ، ماجد عرسان الكيلانى ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
- التطوير بين الحقيقة والتضليل (الداء والدواء) وسلسلة دعوة لإنقاذ التعليم (الحل الإسلامى) الكتاب الثانى لعام ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م ، د / جمال عبد الهادى ، الأستاذ على أحمد لبن ،دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة .

- التوافق الإسرائيلي الأمريكي ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى العدد ٧٣٨ بتاريخ ٧ مارس ١٩٨٣ .
- الإسلام والقضية الفلسطينية ، عبد الله ناصح علوان ، مكتبة المنار الزرقاء الأردن .
- الأصابع الخفية ، أبو إسلام أحمد - ١٤١٢ هـ .
- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر د / خالد محمد نعيم - كتاب المختار القاهرة .
- الحركة الإسلامية وقضية فلسطين (سلسلة دراسات إسلامية هادفة) زياد أبو غنيمة دار الفرقان عمان ١٤٠٥ هـ .
- الحركة الصليبية ، أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٧١ م .
- السياسة الدولية وفلسطين ، الأستاذ د. محمد كمال الدسوقى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .
- الطابور الخامس (الماسونية الجديدة فى الشرق الأوسط) أبو إسلام أحمد عبد الله ، بيت الحكمة للإعلام والنشر - القاهرة .
- الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة ، نفس المؤلف ودار النشر (بسام العسلى) ١٩٧٦ .
- المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ، دار الشروق .
- المقاومة الإسلامية للغزو الصليبى ، د. عماد الدين خليل ، ط١ ، مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠١ هـ .
- النقط فوق الحروف ، أحمد عادل كمال ، الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٤٠٩ هـ .
- الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى ، أ.د /حامد ربيع ، دار الموقف العربى القاهرة .
- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، تأليف أ.د. عبدالعزيز محمد الشناوى - مكتبة الأنجلو المصرية .
- الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين فى الشيخان ، ضمن سلسلة دعوة لإنقاذ التعليم الحل الإسلامى ، د. جمال عبد الهادى ، الأستاذ /على أحمد لبن ، د / وفاء محمد رفعت ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ودار الوفاء .
- السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الذى خسر عرشه من أجل فلسطين) رفيق شاكر النتشة ، مكتبة مدبولى .
- الشخصية اليهودية من خلال القرآن (تاريخ وسمات ومصير) (سلسلة من كنوز القرآن) دكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى - دار القلم - دمشق ١٤٠٧ هـ .
- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام أ.د. عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الوفاء .
- الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية ، أ. على أحمد لبن ، دار الوفاء ، المنصورة .
- الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ، د. على محمد جريشة ، محمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام - القاهرة .

- المثلث ٣٥٢ ، أبو إسلام أحمد عبد الله ، دار الاعتصام .
- بيت المقدس وما حوله (سلسلة دراسات فى القضية الفلسطينية من منظور إسلامى) محمد عثمان شبير ، مكتبة الفلاح – الكويت .
- تحركات السياسة الأمريكية على أرض مصر ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٥ فى ١٩٨٣/٢/١٤ .
- تذكير الحكام بأيام الله ،د. جابر الجاج ، دار الاعتصام .
- تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية (سلسلة أوراق فى تاريخنا المعاصر) تأليف د. عبد الفتاح محمد العويسى ، دار الطباعة والنشر الإسلامية .
- ثورة يوليو الأمريكية (علاقة جمال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية) ، محمد جلال كشك ، الزهراء للإعلام العربى – القاهرة .
- جذور البلاء ، عبد الله التل ، المكتب الإسلامى ، دمشق .
- جمال عبد الناصر وحادثة المنشية ، الاسكندرية ، عباس حسن السيسى ، دار الطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٤٠٨ هـ .
- جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، صالح أبو يصير ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت .
- حبال من رمل (قصة إخفاق أمريكا فى الشرق الأوسط) و.ك إيفلاند مسئول المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط (١٩٥٠ – ١٩٨٠) ترجمة د / سهيل زكار ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط١ دمشق ١٩٨٤ .
- حقائق حول أزمة الخليج ، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالى ، مكة المكرمة .
- حماس حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين الجذور التاريخية والميثاق ، إعداد الدكتور عبد الله عزام ، باكستان .
- دراسات فى الحروب الصليبية د /عفاف سيد صبرة ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٤٠٧ هـ .
- دور المعلومات فى الاستراتيجية الأمريكية ، أ.د حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٤ فى ٧ فبراير ١٩٨٣ .
- دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية ، د. محمد محمد إبراهيم زغروت ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- ذرية إبراهيم عليه السلام والمسجد الأقصى د. جمال عبد الهادى ، د. وفاء محمد رفعت ، دار طيبة – الرياض ، ودار الوفاء للطباعة والنشر القاهرة .
- رؤية إسلامية فى الصراع العربى الإسرائيلى ، محمد عبد الغنى النوادى ، باكستان .
- زوال إسرائيل حتمية قرآنية ، (المختار الإسلامى) أسعد التميمى ، إمام المسجد الأقصى ، المختار الإسلامى – القاهرة .

- عماد الدين زنكى ، د. عماد الدين خليل ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ .
- (سلسلة مشاهير قادة الإسلام) بسام العسلى ، دار النفائس - بيروت ١٣٩٩ هـ .
- المظفر قطز ومعركة عين جالوت ، صلاح الدين الأيوبى ، نفس المؤلف ودار النشر .
- (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية) محمود شاكر ، المكتب الإسلامى دمشق .
- سياسة جمع المعلومات فى منطقة الشرق الأوسط ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ٧٣٧ فى ١٩٨٣/٢/٢٨ .
- شرخ فى جدار الروتارى ، أبو إسلام أحمد عبد الله ، دار الاعتصام .
- صراعنا مع اليهود (سلسلة دراسات فى القضية الفلسطينية من منظور إسلامى) د /محمد شبير - مكتبة الفلاح ، الكويت ط١ ١٤٠٧ هـ .
- صفحات من جهاد الشعب المسلم ، حسن دوح ، دار الاعتصام .
- صفحات من حياة الحاج أمين الحسينى ، عونى جدوع العبيدى ، مكتبة المنار الزرقاء - الأردن .
- فتاوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين ، دار الفرقان - عمان .
- ليس لليهود حق فى فلسطين ، سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، د /جمال عبد الهادى ، د. وفاء محمد رفعت ، دار الوفاء للطباعة والنشر - القاهرة .
- لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند تعريب مروان خير - مكتبة الزيتون ، بيروت ١٩٧٠ م .
- لعبة الأمم وعبد الناصر ، محمد الطويل ، المكتب المصرى .
- لعبة الأمم والسادات ، محمد الطويل ، المكتب المصرى .
- مجلات (المجتمع الكويتية) ؛ (البلاغ الكويتية) ؛ (الإصلاح البحرينية) .
- محاولات تهويد الإنسان المصرى ، مدحت أبو بكر ، مصر العربية للنشر .
- مذابح الإخوان فى سجون ناصر ، جابر رزق ، مطابع الوفاء ، المنصورة
- مصر والحرب القادمة (مقالات فى جريدة الوفد المصرية ، يونية ويولية وأغسطس ١٩٨٩) تأليف أ.د. حامد رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة .
- معركتنا مع اليهود ، سيد قطب ، دار الشروق .
- معركة الإسلام والرأسمالية ، سيد قطب ، دار الشروق .
- نور الدين محمود الرجل والتجربة ، د. عماد الدين خليل ، دار القلم ، ط١ ، دمشق ١٤٠٠ هـ .
- وتحطمت الأسطورة عند الظهر (قمة ٦ اكتوبر ١٩٧٣) أحمد بهاء الدين ، ودار الشروق ، ط١ القاهرة ١٩٧٤ م .
- ولم يتعلم الأمريكيون من أخطائهم ، أ.د. حامد ربيع ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ٧٣٦ فى ٢١ فبراير ١٩٨٣ .
- وجاء دور المجوس (أمل والمخيمات الفلسطينية) عبد الله محمد غريب .